من النقل إلى العقل

الجزء الثاني: (علوم الحديث)



حسن حنفي

من النقل إلى العقل: الجزء الثاني (علوم الحديث)

من نقد السند إلى نقد المتن

تأليف

حسن حنفي



من النقل إلى العقل: الجزء الثاني (علوم الحديث)

حسن حنفي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣١٨٢ ٢

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

المحتويات

الإهداء

إلى كل من يتجرأ على نقد المتن كما تجرأ القدماء على نقد السند.

حسن حنفي

١٨ أبريل ٢٠٠٩م

تصدير

نهاية المطاف للجبهة الأولى

«من النقل إلى العقل» هي محاولة لإعادة بناء العلوم النقلية الخمسة بعد أن تركها القدماء والمحدثون، كما وضعها الأوائل مُكتفين بوضعها تاركين للزمن تطويرها؛ وهي: علوم القرآن، علوم الحديث، علم التفسير، علم السيرة، علم الفقه، بصرْف النظر عن الترتيب. وهي العلوم السائدة في الكليات الأزهرية والكليات الدينية، والتي تخشى كليات الآداب عامة وأقسام الفلسفة خاصة الاقتراب منها وهي الأقدر على دراستها خاصة أنها كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

وهي أكثر العلوم تأثيرًا في الحياة العامة والخاصة، استشهادًا بحجة القول «قال الله» و«قال الرسول» القائم على منهج الانتقاء، والانتزاع من السياق، والاختيار وفقًا للأهواء اعتمادًا على سلطة النص منفصلًا عن سلطة العقل. فيتحوَّل النص إلى مُقدس، يدخل في معارك التفسير والتأويل والتي تصل إلى حدٍّ التكفير. وتقوى جذور السلفيَّة منذ أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم ورشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب.

والسؤال بالنسبة لنا: لماذا تبقى هذه العلوم نقليةً خالصة ولا تنضم على الأقل إلى مجموعة العلوم النقلية العقلية، مثل الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف؟ لماذا لا يتم تحويلها إلى علوم إنسانية؛ فالقرآن علم النص، والحديث علم الرواية، والتفسير علم الهرمنيطيقا، والسيرة علم التاريخ، والفقه علم القانون؟ إن العقل أساس النقل. ومن قدَح في العقل فقد قدَح في النقل. النقل دون عقلٍ يبقى ظنيًّا خالصًا في حين أنه بتأسيسه على

العقل يُصبح أقرب إلى اليقين. ولماذا ندافع عن العقلانية ولا نقضي على جذور اللاعقلانية من تراثنا القديم؛ أي من ثقافتنا الشعبية بعد أن تحوَّلت أجزاء فيه إلى أمثال عامية؟ وهل تنجح المشاريع العربية المعاصرة مثل «نقد العقل العربي» في إرساء قواعد العقلانية في أرض ثقافتها نقلية؟ وهل تنجح عقلانية عربية مُستمَدة من العقلانية الغربية العلمية أو الرياضية ومُقلدة لها، والعقلية العربية مغروزة في العلوم النقلية؟

ولماذا تظل العلوم الإسلامية القديمة ثابتة في لحظة تاريخية واحدة، لا تتطور والزمن يتغير؟ إن العلوم جزء من الثقافة. والثقافة تتغير بتغير العصور والأزمان. العلوم مثل الفلسفات والفنون؛ جزء من تصورات العالم التي تُعبر عن تطور الوعي الإنساني.

إن أخطر ما يُهدد العلم نزعتان متناقضتان: القطعية والشك. الأولى تجزم باليقين المُطلق الثابت الذي لا يتغيَّر حتى لو عارضت اليقين العقلي أو اليقين الحِسِّي. والثانية الشك في كل شيءٍ وعدم التسليم بشيء حتى لو كان البداهة العقلية أو الحِسِّية. وهما النزعتان اللتان تؤديان إلى الإثبات المُطلق أو الرفض المطلق. وقد تكونان مرحلتَين متتاليتين، البداية بالقطعية والنهاية أو البداية الثانية بالشك. هكذا كان الحال في الغرب عندما بدأ بالقطعية عند بوسويه وليبنتز، وكانت البداية الثانية بالشك عند ديكارت في القرن السابع عشر. ويكفينا نحن أن نتساءل دون إصدار حُكم، ونترك إصدار الأحكام إلى الأجيال القادمة. والتساؤل جزء من ثقافتنا داخلٌ في قلب النص «ويسألونك عن ...» سمَّاه ياسبرز الفلسفة «التساؤلية». وكانت الأسئلة قديمًا من وحي عصرها: المحيض، الإنفاق، الخمر والميسر، الأهلة، الشهر الحرام، اليتامى، الجبال، الروح، ماذا ينفقون. ونسأل نحن في هذا العصر عن الاستبداد، والقهر، وحقوق الإنسان، والفقر، والظلم، والاستعمار، والصهيونية، والعولمة. والأحكام تتغيَّر وتتبدَّل فيما عُرف باسم الناسخ والمنسوخ طبقًا لتغيُّر الأزمان. فالأحكام الشرعية تسير وفقًا للمصالح العامة.

لقد آن الأوان أن نبدأ الإصلاح من الجذور بدلًا من أن نبدأه منذ قرنين من الزمان، ويكبو جيلٌ وراء جيل حتى نحصل على ثورة دائمة بدلًا من مجرد الطموح إليها، ولا تأتي بل تكبو؛ إذ إنها تبدأ عاجزة. لذلك أصبح التقدم لدينا دائريًّا أو مُتجهًا إلى الخلف وليس متجهًا إلى الأمام. ونؤجل معركته خوفًا من الصدام مع مُعوقاته. وفي نفس الوقت نُعجَب بمفهوم التقدم المستمر إلى الأمام في الغرب الذي دخل معاركه وانتصر فيها.

لقد ظهر الجزء الأول من «النقل إلى العقل» عن «علوم القرآن»، والجزء الثاني عن «علم الحديث» في بيروت ٢٠١٠م لما عرفتُ عنه من شجاعة فكرية وحرية رأي. ويبدو أنه لا عاصمة عربية تعلو على القاهرة التي احتضنت الأجزاء الخمسة: القرآن، والحديث،

والتفسير، والسيرة، والفقه؛ كمقدمة للطبعة الثمانينية لأحد مُفكريها، تتلوها «من النص إلى الواقع» في علم أصول الفقه ثم «من الفناء إلى البقاء» في علوم التصوُّف، ثم «محمد إقبال». وعسى أن يطول الأجل لإتمام باقي الأجزاء وآخرها الجبهة الثالثة «الموقف من الواقع» أو «نظرية التفسير». وتظل الهيئة العامة للكتاب الأمينة على حرية الرأي منذ بولاق حتى الضفة الأخرى كورنيش النيل، وحاضنة لمُفكريها الأحرار بالرغم مما يبدو عليها من كبواتٍ وقتية سرعان ما تنهض بعدها لتستأنف تاريخها.

حسن حنفي
مدينة نصر ٣٠ / ٦ / ٢٠١٣م

مقدمة

نقد المصادر

الهدف من هذه المقدمة هو ضياع إرهاب علم الحديث باعتباره علمًا مُقدسًا، وبيان أنه من وضع المُحدِّثين بأهوائهم ومذاهبهم وأهدافهم. فلا يوجد نمط واحد لمُصنف في الحديث، بل هناك عدة أنماط. ليست الغاية هي معرفة الحديث، ماذا قال الرسول وماذا لم يقُل، بل الغاية هي كيفية التدوين أو منطق التاريخ. الغاية هي الكشف عن الجوانب الذاتية في نشأة العلم وليس مادة العلم. وكما اهتم القدماء بالسند أكثر من اهتمامهم بالمتن، كذلك يهتم المُحدثون بعملية التدوين أكثر من اهتمامهم بالمُدوَّنات نفسها. تبدو تقليدية، ولكن يكفي إثبات تنوع المصادر وطرُق تدوينها، مما يدل على إمكانية تحريكها واستكمال دراستها. فعلم الحديث مثل علوم القرآن؛ علوم إنسانية خالصة بالرغم من أن موضوعها الوحي وكلام الرسول.

أولًا: من علوم القرآن إلى علوم الحديث

من المُبكر للغاية البداية بنقد الجزء الأول عن «من النقل إلى العقل» عن «علوم القرآن» من «المحمول إلى الحامل»، كما جرت العادة في النقد الذاتي؛ لأن الموضوع لم يختمر بعد، ولأن المسافة الزمنية بين الأجزاء ما زالت قريبة. ومن الأفضل الانتظار حتى تكتمل الأجزاء الخمسة، بعد ذلك يمكن نقدها جميعًا في الجبهة الثالثة «الموقف من الواقع أو نظرية التفسير»، وربما تكون حدة النقد قد خفَّت نظرًا للتعلُّم المستمر، وتجاوز الأخطاء. صحيح أن الكمال صعب المنال، ومع ذلك يمكن الإقلال من النقص إلى الحد الأدنى.

وعلم الحديث هو ثاني العلوم النقلية بعد علوم القرآن. موضوعه الحديث، المصدر الثاني للتشريع. وهو وحي أيضًا ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. ليس بمعنى أنه نزل مثل القرآن، ولكن بمعنى أنه شرْح وبيان وتفصيل من الرسول للوحي الأول، سُلطته مُستمَدة من سلطة الوحي، به جانب شخصي وهو تفسير الرسول وفهمه للوحي، إذا أخطأ فإن الوحي الأول يقوم بتصحيحه كما هي الحال في واقعة الأعمى الشهير ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، وفي أربع وقائع مشهورة أيد فيها الوحي عمر أكثر ممَّا أيد فيها الرسول، ومنها صلح الحديبية، وعدم الاستغفار للمنافقين. ولا حاجة إلى نظرية خلافية في عصمة الأنبياء تمتدُّ على عصمة الأئمة. وعصمة الكتاب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، بصرف النظر عن مناهج النقل التاريخي الشفاهية أو الكتابية؛ وهي النظرية التي سادت العصور الوسطى الغربية بالنسبة لصحة الكتب المقدسة السابقة، حتى ظهر علم النقد التاريخي في العصور الحديثة، ووضعها تحت مجهر النقد، ووضع مناهج للنقد التاريخي أشبَهَ بعلم الحديث.[١]

وكان الرسول نفسه يُفرِّق بين ما هو وحي في كلامه وبين كلامه الشخصي الذي قد يُصيب فيه وقد يُخطئ، مثل حادثة تأبير النخل المشهورة وقوله «أنتم أعلم بشئون دنياكم.» ومثل غزوة الخندق وسؤال الصحابة له ردًّا على رأيه الحربي أهو وحي من الله أم هي الحرب والمكيدة. فلما أجاب أنها الحرب والمكيدة اقترحوا عليه الخندق فقبِل. وقد يدخل الطب النبوي في مثل هذه الحالات، مثل واقعة شُرب العسل فزاد الإسهال بدلًا من أن يقِف، وقوله: «صدق الله وكذب بطن أخيك.»[٢] والأفضل تصديق التجربة بعد تكرارها على أكثر من شخص.

[١] يقول رينان في مقدمة «حياة يسوع» إنه تعلم النقد التاريخي من علم الحديث عند المسلمين، ويُطبقها في الكتب المقدسة؛ العهد القديم والعهد الجديد. انظر أيضًا «ظاهريات التأويل»، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٥؛ القرآن محفوظ من تطرُّق الطعن والتغيير بخلاف السنة، الكافي، ص١١١؛ عناية المحدثين بضبط الأحاديث رواية ودراية، ص١١٢–١١٣؛ شرف علم الحديث، قواعد التحديث، ص٤١–٤٦، فضل راويه، ص٤٦–٤٩، الأمر بروايته، ص٤٩–٥٠، حث السلف عليه، ص٥٠–٥٢، إجلاله وتعظيمه، ص٥٢–٥٤، فضل المحامي عنه، ص٥٤–٥٦، أجر التمسك به، ص٥٦–٥٧، بيان أن الوقيعة في أهل الأثر من علامات أهل البدع، ص٥٧، الحديث من الوحي، ص٥٨–٥٩، أيادي المحدثين البيضاء، ص٥٩.

والحديث لا يأتي بجديد بالنسبة إلى القرآن؛ فهو بعض البيان والشرح والتفصيل النظري والعمل النظري مثل «لا وصية لوارث.» والعملي مثل «صلوا كما رأيتموني أصلي.» فكل ما أتى في السنة مُخالفًا للقرآن ومعارضًا له يكون أدعى إلى التشكيك.

وهو مبدأ مُقرَّر في علم الأصول الذي وضع منطقًا للتعارُض والتراجيح بين الأدلة الشرعية العربية المُدوَّنة منها مثل القرآن والسنة أو الاجتهادية غير المدونة مثل الإجماع والقياس.[٣] هو الصياغات النظرية للتجربة النموذجية لتطبيق القرآن في الزمان والمكان وتكوين مجتمع وتأسيس دولة.[٤] والسنة تخصص القرآن. وهو موضوع أصولي.[٥]

والغاية من الحديث هو تحويله إلى عمل والالتزام به مثل القرآن.[٦] فغايته عملية وليست نظرية. وبتعبير عِلم أصول الفقه هو أقرب إلى الوعي العملي منه إلى الوعي النظري. ويسبقه الوعي التاريخي للتأكُّد من صحة النقل الشفاهي أو المُدوَّن، فالوعي التاريخي هو حلقة الاتصال بين علم الحديث وعلم أصول الفقه.[٧]

وإذا كان القرآن له أسماء عديدة مثل الكتاب، ولكن الأشهر هو القرآن، فإن الحديث له اسم آخر وهو السنة. والأشهر في تسمية العلم هو علم الحديث وليس علم السنة؛ لبيان أهمية السنة القولية على السنة العملية، فهي أكثر يقينًا، وهي خطاب من نفس النوع الأدبي الذي للقرآن؛ ومن ثم يخضع لقواعد تحليل الخطاب سواء الأشكال الأدبية أو تحليل المضمون أو تصديقه في الواقع أو في الصدر الأول للوحي وهو القرآن. الحديث مُعطى، والسنة تأسُّس. الحديث فَهم، والسنة تقليد. ويستعمل ابن النفيس «علم أصول الحديث» مثل علم أصول الفقه؛ ربما لبيان أهمية الجانب النظري في علم الحديث مثل علم مصطلح الحديث لبيان أهمية المصطلحات.[٨]

---

[٢] تعريف علم الحديث، التهانوي، ص٢٢–٢٤.

[٣] من النص إلى الواقع، ج٢؛ بنية النص، ص٩٩–٢٤٣.

[٤] لذلك سُمِّيت في «من النص إلى الواقع» التجربة المميزة L'Expérience Privilégiée. ويمكن تسميتها أيضًا التجربة النموذجية L'Expérience exemplaire أو L'Expérience modelé. في تبيين السنة للكتاب، الكافي، ص١٠٩–١١١.

[٥] تخصيص السنة لعموم مُحكَم القرآن والحاجة في المُجمَل إلى التفسير والبيان، الكفاية، ص١٧–٢٠.

[٦] التسوية بين حُكم كتاب الله وحُكم سنة رسول الله في وجوب العمل ولزوم التكليف، الكفاية، ص١٣–١٧.

[٧] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٣٩–١٩٠.

وكما أن «علوم القرآن» بالجمع، فكذلك «علوم الحديث» بالجمع؛ فهي تتضمَّن تحليل السند وتحليل المتن وتحليل شعور الراوي. وقد تُضاف علوم أخرى خاصة بالتواتر والآحاد كما هو الحال في علم أصول الفقه.[٩] وإذا أضيف نقد المتن إلى نقد السند فقد يشمل نقد المتن الأشكال الأدبية، وتحليل المضمون، وربما موضوعات أخرى مثل الأحاديث القدسية التي تخضع لنقد السند ونقد المتن على حدٍّ سواء.

وقد تدخل علوم الحديث في منظومة أعمَّ للعلوم. فالعلوم نوعان؛ سمعية، وعقلية، طبقًا لمُقدماتها. وقد تستعمِل العلوم السمعية مقدمات سمعية عقلية معًا مما يُبين إمكانية تحويل العلوم النقلية إلى علوم عقلية[١٠] ... فالسمع مهما صحَّ لا يستغني عن العقل مهما أخطأ؛ لأن السمع يحتاج إلى فهم، ولا يتم الفهم إلا بالعقل.

ومُقدمات العلوم السمعية إما من الله وهي العلوم الشرعية أو ليست منه وهي العلوم الأدبية؛ أي الاجتهادية التي من وضع البشر، خاصة العلوم اللغوية، منها الألفاظ المفردة والألفاظ المركبة، ومنها ما يجمع بين الاثنتين. بل إنَّ مقدمات العلوم السمعية في اختيارها وفهمها واستعمالها وتركيبها في قضايا، تحتاج إلى فهم وتحويل نصوص القرآن والحديث إلى مُقدمات كلية في قضايا الاستنباط، وليست المقدمات الاجتهادية فقط هي العلوم الأدبية اللغوية، بل العلوم الأدبية بوجهٍ عام؛ أي العلوم الإنسانية.

وإذا كان العلم الناظر في الألفاظ المفردة عُمدته الاحتجاج؛ فهو التصريف. وإذا كان عُمدته السماع من أهل اللغة؛ فهو علم اللغة. وإن كان عمدته الفهم؛ فهو اللغة الإنسانية. وإذا كان العِلم الناظر في الألفاظ المؤلَّفة على الإطلاق؛ فهو البيان والبديع. وإذا كان على وزنٍ خاص بقطعة؛ فهو علم القوافي، أو غير خاص بقطعة؛ فهو علم العروض. والناظر في الألفاظ المُفردة والمؤلَّفة معًا هو علم النحو. والناظر في معاني الألفاظ؛ فهي العلوم الحكمية. والناظر في دلالاتها؛ فهي العلوم الإنسانية.

---

[٨] في بيان ألفاظ مُستعملة على اصطلاح أهل هذا الشأن، السنة والحديث، الكافي، ص١١٤–١١٥؛ تعريف الحديث والسنة والخبر، منظومة ألقاب، ص٣٤–٣٦؛ رواية علم الحديث، موضوعه، فائدته، السابق ص٣٦–٣٧.

[٩] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٥٠–١٩٠.

[١٠] ابن النفيس: المختصر، ص٩٥–٩٨.

وإذا كان هدف العلوم الشرعية العمل؛ فهو الفقه، وهو غير مذهب المجتهد، وهو غير علم الخلاف لنُصرة مجتهدٍ على آخر. والفقه يتعلق بالعبادات والمعاملات. وإذا كانت العبادات ثابتة، فإن أشكال المعاملات مُتغيرة تحتاج إلى استنباط أحكامٍ جديدة.

وإذا كان الغرض جودة الألفاظ في كلام الله؛ فهو علم القراءات، أو فهم كلام الشارع؛ فهو علم التفسير، أو الرسول؛ فهو علم معاني الحديث، أو تصحيح الرواية؛ فهو باقي علوم الحديث ومنها مصدر الشرع؛ الكتاب والسنة، علما الأصول دون علوم الفروع، علوم الكليات دون علوم الجزئيات، وليسا علم الواقع. والنص والواقع واجهتان لعُملة واحدة. وإذا كان الغرض النظر في مواد الحجج الفقهية فهو علم أصول الفقه، وإلا فهو علم الكلام.

والحديث أشرف العلوم؛ لأنه يُثبت صحة الرواية وفهمها، وليس الأصول الذي يستنبط الأحكام، أو الجدل الذي ينتصر لرأيٍ دون آخر. وبنفس المنطق يمكن القول إن علوم القرآن هي أشرف العلوم لأن القرآن هو المصدر الأول للتشريع في حين أن الحديث هو تفصيلات عليه. والعلوم ليس فيها أشرف أو أقل شرفًا، بل كلها تؤدي وظائف متعددة لبناء المعرفة الإنسانية. ولا يُوجَد علم إلا ويقدم نفسه على أنه أهم العلوم سواءً كان من العلوم النقلية الخمسة، القرآن، والحديث والتفسير، والسيرة، والفقه؛ أو من العلوم النقلية العقلية. الكلام، والفلسفة، والتصوف، والأصول.[11]

والحديث قول وفعل وإقرار. القول هو القول المباشر للرسول. والفعل هو بيان فعلي دون كلام. والإقرار هو الموافقة الضمنية على فعل الآخرين. فالتعبير والإعلان قول وفعل، وقد يأتيان من الآخرين، لأن الوحي إما من أعلى أو من أدنى؛ إما نازل أو صاعد؛ إما من الوحي إلى العقل والواقع، وإما من العقل والواقع؛ أي الفطرة إلى الوحي كما كان يحدُث لعمر مُحدث هذه الأمة.[12]

[11] ابن تيمية: علم الحديث، ص٥٥–٦٤؛ في مناقب الحديث وأصحابه، الكافي ص١٠٩–١١٣؛ ماهية علم الحديث، رواية ودراية، موضوعه وغايته، قواعد التحديث، ص٧٧–٧٨، المقصود منه ص٧٨، المسند والمحدِّث والحافظ ص٧٩–٨٠، النية في طلب الحديث ص١١–١٧.

[12] ابن تيمية: علم الحديث، ص٥٥. وأيضًا الوحي والعقل والطبيعة، حصار الزمن ج٣، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٥٣٩–٥٨٥.

ويدافع علماء الحديث عن أنفسهم ضد اتهام علماء الكلام لهم بقلة الفهم وأنهم أهل رواية وليسوا أهل دراية.[١٣]

ويحتج بعض الفقهاء بأحاديث وهي باطلة. وإذا جاء الحلال والحرام وجب الشد في الأسانيد خوفًا من إدخال الترغيب والترهيب من الإسرائيليات.[١٤]

وقد ألَّف القدماء في فضل علم الحديث عدة رسائل أهمها:

(أ) «أصول السنة» للحميدي (٢١٩هـ)[١٥]

وهي رسالة قصيرة تحدد العقائد الصحيحة لأهل السنة، وهي «أصول السنة». فالحديث شرعية علم الكلام. القرآن كلام الله، ومن قال إنه مخلوق فهو مبتدع. والإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. والرؤية جائزة بعد الموت. والوقوف على ظواهر القرآن خوفًا من الوقوع في التشبيه والتجسيم كما وقع اليهود والنصارى من قبل دون تعطيل كما تفعل الجهمية. ولا يجوز تكفير مرتكب الكبيرة كما فعل الخوارج، إنما الكفر في ترك أركان الإسلام الخمسة.

(ب) «مختصر نصيحة أهل الحديث» للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)[١٦]

وهي أيضًا رسالة قصيرة نسبيًّا، نصيحة لأهل الحديث، نظرًا لفضل العلم وموضوعه الحلال والحرام، والخاص والعام، والفرض والندب، والإباحة والحظر، والناسخ والمنسوخ. وهي خاصة بالمتن، وأخرى خاصة بالسند. ويكون طالب العلم في سن الشباب «طراة السن» حيث تقوى الذاكرة وتشتد الدراية والفقه.[١٧] ويعتمد على الحديث دون القرآن.[١٨]

---

[١٣] ابن تيمية، ص١٢٠–١٤٥ «الرد على علماء الكلام»، علم الحديث رواية ودراية، التهانوي، ص٢٢–٢٤.

[١٤] ابن تيمية، ص١٤٧–١٤٩، ١٥١–١٥٥.

[١٥] الإمام الحافظ الكبير أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي: أصول السنة، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ملحق لكتاب «المسند»، ج٢، ص٥٤٦–٥٤٨.

[١٦] الخطيب البغدادي: مختصر نصيحة أهل الحديث، مجموعة رسائل في علوم الحديث للإمام النسائي وللخطيب البغدادي. حقَّقها وعلق عليها السيد صبحي الباري السمرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د.ت)، ص٢٩–٣٥.

[١٧] يستشهد بقول عمر «تفقهوا قبل أن تسودوا»، السابق ص٢٩.

[١٨] الأحاديث (٥). ويضيف الناسخ في آخر الرسالة أبيات لابن تيمية، السابق ص٣٤-٣٥.

وتعتمد الرسالة كلها على الرواية والإسناد. وتدافع عن علم الحديث ضد الطعن على المحدثين لجهلهم بأصول الفقه وأدلته. لذلك يجمع صاحب الحديث بين الحديث والفقه.[١٩]

(ج) «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)[٢٠]

وهي رسالة طويلة نسبيًّا. تنقسم إلى خمسة نماذج من الرحيل في طلب العلم أسوة بالصوفية، وهي: موسى والخضر، ورحيل الصحابة حتى في طلب حديث واحد، ورحيل التابعين وتابعي التابعين، والشهادة في الطريق.[٢١] فقد كان طريق العلم قديمًا شفاهيًّا يتطلَّب الانتقال في طلبه لسماع المريدين للمشايخ. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.[٢٢] والأحاديث عامة تفيد طلب العلم ولو في الصين كفريضةٍ على كل مسلم ومسلمة. وتتكرَّر الأحاديث بنفس الصياغة أو في صياغات متعددة. وتُعطي نماذج من رحلة موسى مع الخضر وعدم صبره؛ وهو النموذج الذي يعتمد عليه الصوفية لإثبات علوم الباطن. ورحيل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وشهادة من رحل إلى شيخ يبتغي علو إسناده فاستُشهد في الطريق قبل بلوغه.

ثانيًا: أشكال علوم الحديث

وقد نشأت علوم الحديث وتطورت بناء على حاجة فعلية لجمع الحديث. واقتضى هذا الجمع ضبط صحة الرواية ووضع قواعد لضمان تسلسلها واتصالها بمصدرها الأول وهو الرسول.

---

[١٩] «وإنما أسرعت ألسنة المخالفين إلى الطعن على المُحدثين لجهلهم أصول الفقه وأدلته في ضمن السُّنن مع عدم معرفتهم بمواضعها. فإذا عُرف صاحب الحديث بالتفقُّه خرست الألسُن، وعظُم محله في الصدور والأعين، وخشي من كان عليه أن يطعن.» السابق ص٣٢.

[٢٠] الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، مجموعة رسائل في علوم الحديث للإمام النسائي وللخطيب البغدادي، حققها وعلق عليها السيد صبحي الباري السمرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د.ت)، ص٤٢–٧٢.

[٢١] وهي: ذكر الرحلة في طلب الحديث والأمر بها والحث عليها وبيان فضلها، وذكر رحلة نبي الله موسى وفتاه في طلب العلم ص٥٠–٥٣. من رحل في حديث واحد من الصحابة الأكرمين ص٥٣–٥٧. الرواية عن التابعين والخالفين ص٥٧–٨٦. من رحل إلى شيخ يبتغي علو إسناده فمات قبل ظفر الطالب منه ببلوغ المراد ص٦٨–٧٢.

[٢٢] الآيات (١٤)، الأحاديث (١٤)، الأشعار (٢).

ومادة علم الحديث في كتب الإصحاحات الخمسة، وأهمها الصحيحان الأوَّلان؛ البخاري ومسلم. وهذا ما عليه إجماع الأمة. والسؤال الآن: ماذا عن باقي المُدوَّنات وأشهرها: «الموطأ» لمالك، و«المسند» لابن حنبل؟ وماذا عن باقي المدوَّنات الأخرى التي قد تصل إلى العشرات؟ ما مدى صحتها واتفاقها واختلافها مع الإصحاحات الخمسة؟ ولماذا وضَعَت المدوَّنات المتأخرة الأحاديث التي لم يضعْها الإصحاحان الأوَّلان، أو على أكثر تقدير الإصحاحات الخمسة؟ وما هي العوامل التي ما زالت تدفع إلى جمع الأحاديث الأقل يقينًا؟ هل هي الحاجة إلى الفقه نظرًا لتشعُّب الوقائع والمُستجدات، أم هي الدوافع السياسية لإعطاء الشرعية لبعض المواقف من خلال الحديث — تنبئوا ببعضها — أو استبعادًا للبعض الآخر؟[٢٣]

وماذا عن المدوَّنات الشيعية التي تختلف في أحاديثها عن مدوَّنات السنة؟ هنا يبدو أثر العقائد والسياسة في تدوين عِلم الحديث. فقد أفرز الخلاف السياسي خلافًا عقائديًّا كان له أبلغ الأثر في التدوين. فالتدوين ليس بريئًا؛ لا تدوين السنة للحفاظ على السلطة، ولا تدوين الشيعة لزعزعتها وإعطاء الشرعية لسلطة بديلة، إن لم تكن في العاجل ففي الآجل كما هو الحال عند معظم فِرق المعارضة. وهل يمكن الآن في إطار «التقريب» الاتفاق على مجموعةٍ واحدة من الأحاديث يتفق عليها السنة والشيعة والإباضية بدلًا من المجموعات الثلاث التي يؤدي كل منها مذهب فرقته؟

وعلوم الحديث كلها خلافيَّات مثل باقي العلوم النقلية. ومن ثم فهي ليست علومًا مقدَّسة؛ الصواب فيها من جانب واحد. هي اجتهادات إنسانية خالصة، الصواب فيها متعدد. ومن ثم فالاجتهاد مع القدماء وضدهم خلاف مشروع. فهو علم نسبي لا إطلاق فيه، مع أنه ضمن العلوم النقلية الخالصة التي لا اجتهاد فيها ولا إعمال للعقل؛ مما يدل على أن النقل الخالص لا وجود له؛ مجرد ادِّعاء غير صحيح. فالعقل داخل النقل والعلوم النقلية — نظرًا لما فيها من خلاف — علوم نقلية عقلية. وادِّعاء أنها علوم نقلية خالصة للحصول على مزيدٍ من السلطة الشرعية أكثر من العلوم النقلية العقلية أو العلوم العقلية الخالصة.

وإذا كان تدوين القرآن مُمكنًا وهو جزء من علومه، فكيف يكون تدوين الحديث مكروهًا؟[٢٤] ومع ذلك إذا اقتضت العادة كتابته فليكن بخطٍّ واضح، مُعجمًا، مُعربًا ولا يُزاد على ما يُتوهَّم أنه من المتن لتفسير لفظٍ أو إضافة نكتة، باستثناء عبارات الثناء بعد لفظ الجلالة أو بعد لفظ النبي. وتُوضَع فصلة بين كل حديثين؛ دائرة وبداخلها نقطة. وقد

[٢٣] الباعث الحثيث، ص٢٦–٣٦.

اشترط البعض أن يكون ذلك بحضرة الشيخ وهو تضييق؛ لذلك أصبح التنقيط والتشكيل جزءًا من علم الحديث.

والخطورة هي كثرة استعماله لسهولته أو لاتجاهاته في الخطب والمواعظ أكثر من القرآن، وبالتالي إعطاء الأولوية للمصدر الثاني على المصدر الأول. ويستطيع كلُّ صاحب هوى أو مصلحة أن يختار من الحديث ما يشاء حتى ولو كان أقلَّ من صحيح أو مسند؛ ويلعب بأذواق العامة وعواطفهم كما يشاء، وحجته حديث الرسول «وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا.» ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ويُدوَّن الحديث بطريقتين. الأولى التبويب الموضوعي طبقًا لأبواب الفقه، وهو ما درجت عليه الإصحاحات والسنن والمسانيد والجوامع؛ والثانية التبويب الذاتي طبقًا للرواة، وإسناد كل حديث لراويه. الأول المروي والثاني الراوي. الأول المتن، والثاني السند.[٢٥]

لذلك ارتبط علم الحديث بعلم الفقه؛ ليس فقط في تبويب الأحاديث طبقًا لموضوعات الفقه، بل لوجود أحاديث فقهية ومُحدِّثين فقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية من الأحاديث النبوية. وفقه الحديث ليس نوعًا من أنواع الحديث، بل هو أقرب إلى التبويب الموضوعي له كما حدث في الإصحاحات الخمسة في كثيرٍ من المساند والسنن. وأصحاب المذاهب الأربعة هم من المُحدِّثين، وقد يرتبط بأحد المذاهب الفقهية الأربعة مثل الحنفية؛ أبي حنفية وأصحابه، ويُترجم لهم ولآرائهم في علم الحديث.[٢٦] فلم يكن مُحرجًا حتى زمن البخاري، بل زكاه القدماء مثل أبي داود.[٢٧]

---

[٢٤] من النقل إلى العقل ج١، علوم القرآن «من المحمول إلى الحامل»، الباب الثاني: العوامل الموضوعية الذاتية، الفصل الثالث: التدوين، وذلك لقول الرسول «لا تكتبوا شيئًا إلا القرآن. من كتب عنِّي شيئًا فليمحُه.» ابن النفيس: المختصر، ص١٦٩–١٧٠. حُكم من نسخ القرآن وكتب السنة، ابن تيمية، ص١٦٥–١٦٦.

[٢٥] النيسابوري: معرفة علوم الحديث، ص٢٥٠–٢٥٤، ابن الصلاح، ص١٢٨.

[٢٦] ويرصد النيسابوري منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، الأوزاعي، سفيان بن عيينة، عبد الله بن المبارك، يحيى بن سعيد القطان، عبد الرحمن بن مهدي، يحيى التميمي، أحمد بن حنبل، علي بن عبد الله بن جعفر المديني، يحيى بن معين، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، محمد بن يحيى الذهلي، البخاري، أبو زرعة، أبو حاتم محمد بن إدريس، إبراهيم بن إسحاق الحربي، مسلم بن الحجاج، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدي، الدارمي، المروزي، النسائي، ابن خزيمة. النيسابوري ص٦٣–٨٥.

[٢٧] في تراجم الأئمة الثلاثة؛ أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسين. التهانوي: قواعد في علوم الحديث، الفصل التاسع، ص٣٠٥–٤٦٨.

والتبويب الموضوعي للحديث يساعد على ضبط الرواية وتَذكُّر المَنسي منها، وما يتفرع من أبواب الطهارة والصلاة.[٢٨]

ويمكن إعادة تبويب أنواع علم الحديث إلى نوعَين؛ النقد الموجب الخاص بالسند، وهو ما غلب على عِلم مصطلح الحديث وتقسيمه إلى صحيح وحسن وضعيف، والنقد السالب الذي يتعلق بالمتن وتقسيمه إلى موضوع وغريب ومشهور ومختلف.

وفي المتون تعدَّدت الأسماء بين الصحيح «الإصحاحات الخمسة» والمسند «أحمد ابن حنبل»، والسنن «البيهقي، الدارمي»، والجامع «ابن كثير»، أو أسماء خاصة مثل المدونة، الموطأ «مالك». فهل هناك فروق بين هذه الأسماء أم أنها كلها أسماء للإشارة إلى مجموعاتٍ من الأحاديث والحُكم عليها من المتأخِّرين؟

وقد انقضت مشاكل علم الحديث الآن بعد التدوين، بل لقد تحول التدوين إلى تدوينٍ آلي عن طريق الأجهزة الحديثة، ولم يعُد في الإمكان الآن الجرح والتعديل، ولا إقامة علم لميزان الرجال؛ فقد بَعُد العهد، وتغير الزمان؛ فهو علم تاريخي خالص مثل علوم القرآن، إنما يمكن تحييده عن طريق التحول من نقد السند إلى نقد المتن، ودراسة أشكال المتن الأدبية لمعرفة كيفية التدوين، ودخول العامل البشري فيه، وعن طريق تحليل المضمون من أجل فهمه وتفسيره، وتطبيق قواعد صدقه من ركيزتَي الوحي ودعامتَيه؛ العقل والواقع؛ البداهة والمصلحة. وهما أيضًا أساسا الفطرة. فالوحي والفطرة واجهتان لعملة واحدة ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾، ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

(١) الإصحاحات الستة

الخمسة أكثر المجموعات صحة تاريخية وهي البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه. وأحيانًا تكون ستة بإضافة النسائي. كانوا متعاصرين وعرف بعضهم بعضًا، وتتلمذوا على بعضهم البعض، وأخذوا من بعضهم البعض.[٢٩] ولا توجد حتى الآن طبعة للحديث متقابلة في عواميد متوازية لمعرفة التشابه والاختلاف، الزيادة والنقصان بينهم كما هو الحال في الأناجيل المتقابلة. هناك فقط معاجم مفهرسة وضعها المستشرقون أو

[٢٨] النيسابوري، ص٢٥٠–٢٥٤.

[٢٩] بيان معنى شرط البخاري ومسلم، ابن تيمية ص١٠٥–١٠٦.

الوسائل الإلكترونية الحديثة بالأقراص الممغنطة.[٣٠] وأهمية شروحها في منطق الشرح. هل هو شرح لغوي أو داخل علم الحديث أو إعادة قراءته من حيث السند أو المتن أو إصدار الحكم على مدى صحته. فلكل إصحاح شروح واختصارات عديدة.

(أ) «صحيح البخاري» للبخاري (٢٥٦هـ)[٣١]

وهو أول الإصحاحات الخمسة أو الستة وأصحها عند الخاصة والعامة، وأكثرها تقديسًا. يُقسم به، ويُتبرك ويُتهادى ويُحفظ في المكتبات والمنازل ويوضع على الموائد في القصور كوثن أو تمثال.[٣٢] في حين أنه أكثر إيغالًا في الغيبيات والإسرائيليات والخرافات والثقافات الشعبية مثل الكتاب السابع عشر بدء الخلق والكتاب الثالث والأربعين كتاب التوحيد.[٣٣] وقد حيكت حوله القصص الخيالية لبيان إعجازه في الحفظ والتجميع والرواية والتدوين.

ويضم العديد من الأحاديث الطوال والحكايات الرمزية التي تسمح بإطلاق العنان للخيال. ومع ذلك هو الإصحاح الذي تم اختياره لتحليل الأشكال الأدبية لمتون الأحاديث لأنه الأكثر كشفًا لها وتعبيرًا عنها. ويتكوَّن من تسعة أجزاء في ثلاثة مجلدات، دون مقدمة نظرية باستثناء حديث «إنما الأعمال بالنيات» وصياغاته المختلفة.[٣٤] يضم سبعة آلاف

---

[٣٠] المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل. رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور أ. ي. ونسنك، أستاذ العربية بجامعة ليدن، مكتبة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٦م «سبعة أجزاء»، «الاتحاد الأسمى للمجامع العلمية».

[٣١] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزْبه البخاري الجعفي: صحيح البخاري «ثلاثة مجلدات، تسعة أجزاء»، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٤٥هـ.

[٣٢] «إن مسلمًا صاحب الصحيح كان كلما دخل عليه يقول دعني أُقبِّل رجليك يا طبيب الحديث في علله ويا سيد المحدثين. وكان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردًا. وكان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة. وكان يقوم بعد التراويح في رمضان بثلث القرآن. وكان مجاب الدعوة. وصحيحه أصح كتب السنة. ولما دُفن فاحت من قبره رائحة الغالية أطيب من المسك واستمرت أيامًا كثيرة حتى تواتر ذلك عند جميع أهل البلاد. وكان يأكل في كل يوم لوزتين. وكانت أمه مجابة الدعوة. وكان قد ذهب بصره في صغره فرأت أمه الخليل إبراهيم في المنام فقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك فأصبح بصيرًا» البخاري ج١، ص٨.

[٣٣] ج٤، ص١٢٨–٢٥٣، ج٥، ص٢–٢٢٦، ج٦، ص٢–٢٠.

[٣٤] ج١، ص٢–٨.

ومائتين وسبعين حديثًا. إذا سقط المُكرر يبقى حوالي أربعة آلاف.[٣٥] وقد تنازع عليه أصحاب المذاهب الأربعة، كل منهم يريد ضمَّه إليه. ويعتمد على كثيرٍ من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية.[٣٦]

والإصحاح الأول مبوب طبقًا لأبواب الفقه بعد البداية بكتابي الإيمان والعلم. فالإيمان علم، والعلم إيمان.[٣٧] ثم تبدأ العبادات،[٣٨] ثم المعاملات.[٣٩] وكل كتاب قد يشمل عدة أبواب. وهناك أبواب ميتافيزيقية خالصة لا تدخل في الحديث العملي مثل كتاب بدء الخلق.[٤٠] وهناك كتاب في التفسير يُبين تداخُل العلوم النقلية.[٤١] ثم تعود المعاملات من جديد.[٤٢] ثم تأتي كُتب الآداب العامة في المعاملات الاجتماعية.[٤٣] وأخيرًا تأتي كُتب الحروب والفتن نهايةً بكتاب التوحيد كما بدأ بكتاب الإيمان.[٤٤] وافتتاح الصحيح قبل الكتاب الأول «كتاب الإيمان» بحديث «إنما الأعمال بالنيات».[٤٥]

ووضع موضوع الحديث في عنوان قبل الرواية يدل على إمكانية التبويب الموضوعي للحديث كما تم في تبويبه طبقًا لأبواب الفقه. فلا يكفي فقط عنوان الكتاب ولكن أيضًا

---

[٣٥] كان قد جمع في الأصل ستمائة ألف حديث أي ما يجاوز نصف المليون بمائة ألف!

[٣٦] الآيات (٥٤٠)، الأشعار (٣٦).

[٣٧] الإيمان ج١ ص٨–٢٢ (١٤)، العلم ج١، ٢٢–٤٥ (٢٣)، الوضوء ج١، ٤٦–٧١ (٢٥)، الغسل ج١، ٧١–٨١ (١٠)، كتاب الحيض ج١، ٨١–٩١ (١٠)، الصلاة ج١، ٩٧–٢٢٠ (١٢٣)، الجمعة ج٢، ٢–١٦٣ (١٦١)، الحج ج٢، ١٦٣–٢٢٣ (٦٠)، ج٢، ٢–٣٠، الصوم ج٣، ٣٠–٦٧ (٣٧).

[٣٨] البيوع ج٣، ٦٧–١١١ (٤٤)، السلم ج٣، ١١١–١٢٨ (١٧)، الوكالة ج٣، ١٢٨–١٦٢ (٣٤)، اللقطة ج٣، ١٦٢–٢٠١ (٣٩)، الهبة وفضلها ج٣، ٢٠١–٢١٨، الشهادات ج٣، ٢١٨–٢٦٠ (٤٢)، الوصايا ج٤، ٢–١٧ (١٥).

[٣٩] بدء الخلق ج٤، ١٢٨–٢٥٣، ج٥، ٢–٢٢٦، ج٦، ٢–٢٠ (١٨).

[٤٠] التفسير ج٦، ٢٠–٢٤٥ (٢٢٥).

[٤١] النكاح ج٧، ٥٢ (٥٠)، الطلاق ج٧، ٥٢–٨٠ (٢٨)، النفقات ج٧، ٨٠–٨٧.

[٤٢] الأطعمة ج٧، ٨٧–١٠٨ (٢١)، العقيقة ج٧، ١٠٨–١١٠ (٢)، الذبائح والصيد ولا تسمية عليه ج٧، ١١٠–١٢٨ (١٨)، الأضاحي ج٧، ١٢٨–١٣٥ (٧)، الأشربة ج٧، ١٣٥–١٤٨ (١٣)، الطب وكفارة الرحمة ج٧، ١٤٨–١٥٨ (١٠)، الطب، ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء ج٧، ١٥٨–١٨٢ (٢٤).

[٤٣] الأدب ج٨، ٢–٦٢ (٦٠)، الاستئذان ج٨، ٦٢–٨٢ (٢٠)، الدعوات ج٨، ٨٢–١٥٨، الإيمان والنذور ج٨، ١٥٨–١٨٤ (٢٦)، الفرائض ج٨، ١٨٤–١٩٥ (١١)، الحدود ج٨، ١٩٥–٢٠١ (٦)، المحاربون من أهل الكفر والردة ج٨، ٢٠١–٢١٨ (١٧).

رأس موضوع كل حديث. وتبويب الحديث طبقًا لأبواب الفقه هو اختيار أيديولوجي، أي عقائدي يقوم على تصوُّر الشريعة، عبادات ومعاملات، طبقًا للسلوك القديم وما يتَّفق مع البيئة العربية الأولى مثل أهمية الوضوء والغسل وأشكال الطهارة في البيئة البدوية، وأهمية الشعائر الجديدة، أركان الإسلام الخمسة، والمعاملات الرعوية والتجارية البسيطة الأولى مع مصادر الثروة مثل الصيد والذبائح. ويتضح ذلك في «كتاب الإيمان» وأنه قول وفعل، يزيد وينقص. وهي اختيارات الأشاعرة في مُجملها في حين أن المُرجئة تجعله قولًا فقط. والخوارج تجعله موجودًا أو غير موجود، لا يزيد ولا ينقص.[٤٦] والعلم قبل القول والعمل متصدر بآية ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ وآيات أخرى بنفس المعنى.[٤٧] ويتناول الجزء الخامس سيرة النبي في اثني عشر موضوعًا.[٤٨] بعضها غير معروف كعنوانٍ وبعضها خاص بالصحابة. وأكثرها روايات. وأقلها أقوال مباشرة قصيرة.

ويضم الإصحاح ثلاثة وأربعين كتابًا، الأول والثاني الإيمان والعلم وهما متداخلان؛ فالإيمان هو العلم والعلم هو الإيمان.[٤٩] وتتمايز كتب أخرى بالرغم من أنها موضوع واحد مثل الثالث الوضوء، والرابع الغسل، والخامس الحيض.[٥٠] كما يتمايز السادس الصلاة والسابع الجمعة وهما موضوع واحد.[٥١] والتاسع عشر النكاح، والعشرون الطلاق، والواحد والعشرون النفقات موضوع واحد.[٥٢] والثاني والعشرون الأطعمة، والسادس

---

[٤٤] الديات ج٩، ٢–٧٧ (١٥)، استتابة المُرتدين المعاندين ج٩، ١٧–٢٤ (٧)، الإكراه ج٩، ٢٤–٥٨ (٣٤)، الفتن ج٩، ٥٨–٧٧ (١٩)، الأحكام ج٩، ٧٧–١١٢ (٣٥)، الاعتصام بالكتاب والسنة ج٩، ١١٢–١٣٩ (٢٧). التوحيد ج٩، ١٣٩–١٩٩ (٦٠).

[٤٥] ج١، ٢–٨.

[٤٦] ج١، ٨.

[٤٧] ج١، ٢٦، وأيضًا من العقيدة إلى الثورة ج٥، الإيمان والعمل–الإمامة.

[٤٨] أكبرها غزواته، ثم زواجه من خديجة، ثم بنيان الكعبة أيام الجاهلية، ثم فضائل أصحابه والمهاجرين والأنصار وبعض أصحابه من المشركين، ثم الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ودعوته إلى هجرة أصحابه، وحديث الإسراء، وحديث بني النضير، وحديث الأول، وعمرة القضاء وحج أبي بكر، وبعث موسى ومعاذ إلى اليمن، وبعث علي وخالد إلى اليمن قبل حج الوداع، وذهاب جرير إلى اليمن، وقصص عكل وعرينة، والأسود العنسي، وعمان والبحرين، ودوس والطفيل بن عمرو الدوسي.

[٤٩] الإيمان ج١، ٨–٢١؛ العلم ج١، ٢٢–٤٥.

[٥٠] السابق، الوضوء ج١، ٤٦–٧٠؛ الغسل ج١، ٧١–٨٠؛ الحيض ج١، ٨١–٩٦.

[٥١] السابق، الصلاة ج١، ٩٧–٣٢٣؛ الجمعة ج٢، ٢–١٦٢.

والعشرون الأشربة، موضوع واحد.[٥٣] والرابع والعشرون الذبائح والصيد، والخامس والعشرون الأضاحي موضوع واحد.[٥٤] والثلاثون الأدب، والواحد والثلاثون الاستئذان موضوع واحد.[٥٥] والخامس والثلاثون الحدود، والسابع والثلاثون الدِّيات موضوع واحد.[٥٦] والسادس والثلاثون المُحاربون من أهل الكفر والردة، والثامن والثلاثون استتابة المُرتدين والمُعاندين موضوع واحد.[٥٧] وقد يضم كتاب واحد موضوعين مُختلفين مثل الكتاب السابع الزكاة والجمعة.[٥٨] والسابع عشر، بدء الخلق الذي يضم فضائل النبي والسيرة. وقد تدخُل كتب في علم الفقه هي أدخَلُ في علمٍ آخر مثل الثامن عشر كتاب التفسير، وهو أدخل في علم التفسير بالرغم من رواية بعض الأحاديث أسباب النزول، والثالث والأربعين كتاب التوحيد وهو أدخَلُ في علم أصول الدين.[٥٩] وقد يتجزأ موضوع واحد مثل الطب في كتابَين مُختلفين، السابع والعشرين، والثامن والعشرين.[٦٠]

وأكبرها بدء الخلق وهو أكثر إيغالًا في أساطير خلق العالَم المُستمدَّة من الإسرائيليات وأساطير الشرق القديم، ثم التفسير وهو علم مُستقل، ثم الجمعة وهو أدخل في الصلاة، ثم الحج، ثم الوصايا وهي أدخل في الأخلاق، ثم الصلاة. وأصغرها العقيقة وهي أدخَلُ في الأطعمة، ثم استتابة المُرتدين والمعاندين وهو موضوع وقتي في عصر الفتنة الأول يتعارض مع حرية الفكر والاعتقاد.[٦١]

---

[٥٢] السابق، النكاح ج٧، ٢–٥١؛ الطلاق ج٧، ٥٢–٧٩؛ النفقات ج٧، ٨٠–٨٦.

[٥٣] السابق، الأطعمة ج٧، ٨٧–١٠٧؛ الأشربة ج٧، ١٣٥–١٤٧.

[٥٤] السابق، الذبائح والصيد ج٧، ١١٠–١٢٨؛ الأضاحي ج٧، ١٢٨–١٣٤.

[٥٥] السابق، الأدب ج٨، ٢–٦١؛ الاستئذان ج٨، ٦٢–٨١.

[٥٦] السابق، الحدود ج٧، ١٩٥–٢٠٠؛ الديات ج٩، ٢–١٦.

[٥٧] السابق، المحاربون من أهل الكفر والردة، ج٨، ٢٠١–٢١٨؛ استتابة المرتدين والمعاندين، ج٩، ١٧–٢٣.

[٥٨] السابق، ج٢، ٢–١٦٢.

[٥٩] السابق، ج٦، ٢٠–٢٤٥، ج٩، ١٢٩–١٩٩.

[٦٠] السابق ج٧، ١٤٨–١٨١، ج٤، ١٢٨–٢٥٣، ج٥، ج٦، ٢–١٩.

[٦١] بدء الخلق (٣٧٠)، (٢) التفسير (٢٢٢)، (٣) الجمعة (١٦١)، (٤) الحج (١٢٨)، (٥) الوصايا (١٢٦)، (٦) الصلاة (١٢٤)، (٧) الدعوات (٧٦)، (٨) التوحيد (٦١)، (٩) الأدب (٦٠)، (١٠) النكاح (٥٠)، (١١) البيوع (٤٤)، (١٢) الشهادات (٤٢)، (١٣) اللقطة (٣٩)، (١٤) الصوم، اللباس (٣٧)، (١٥) الأحكام (٣٥)، (١٦) الإكراه (٣٤)، (١٧) الوكالة (٣٢)، (١٨) الطلاق، الاعتصام بالكتاب والسنة (٢٧)،

ونظرًا لأهمية صحيح البخاري وشيوعه وانتشاره فهو الكتاب المقدس الثاني بعد القرآن، صدرت له طبعات فاخرة إما لأسبابٍ دينية أو لأسباب تجارية.[٦٢] يُصدرها الناشر بمقدمةٍ عن علم مصطلح الحديث، لا صلة لها بالإصحاح، ولا جديد فيها عمَّا قاله القدماء إلا الوضوح والتركيز، مشفوعة بأهم المراجع في علم الحديث. تُكمل الآية، وتُضاف هوامش حديثة أسفل الصفحة للتعريف بالأعلام، وتصحيح القراءات. وترقيم الأحاديث.[٦٣] وتتبع نفس الأبواب مع زيادتها في التقسيم من ثلاثة وأربعين إلى سبعة وتسعين.[٦٤] كما ترقم الأبواب وتُضاف إليها أربعة فهارس أسوةً بالنشر الحديث.[٦٥] وهناك عشرات أخرى من الطبعات ممَّا يدلُّ على أن الإصحاح ليس مُقدسًا لا في تقسيمه ولا في طريقة إخراجه كالمصحف العثماني.

«عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع» للسخاوي (٩٠٢هـ)[٦٦]

وفي نفس الوقت الذي دُوِّنت فيه الإصحاحات وُضعت موضع النقد، ولم تُصبح موضع التقديس من العلماء مثل هذه الدراسة لصحيح البخاري من مؤرخ؛ مما يدل على ارتباط

---

(١٩) الإيمان والنذور (٢٦)، (٢٠) الوضوء (٢٥)، (٢١) العلم، الطب، الحدود (٢٤)، (٢٢) الأطعمة (٢١)، (٢٣) الاستئذان (٢٠)، (٢٤) الفتن (١٩)، (٢٥) الذبائح والصيد والمحاربين من أهل الكفر والردة (١٨)، (٢٦) السلم، الهبة (١٧)، (٢٧) الحيض (١٦)، (٢٨) الديات (١٥)، (٢٩) الإيمان (١٤)، (٣٠) الأشربة (١٣)، (٣١) الفرائض (١١)، (٣٢) الغسل، الطب (١٠)، (٣٣) النفقات، الأضاحي، استتابة المُرتدين والمُعاندين (٧)، (٣٤) العقيقة (٢).

[٦٢] تيسير صحيح البخاري «ثلاثة أجزاء»، د. موسى شاهين لاشين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

[٦٣] السابق، ص١–٥.

[٦٤] وهي ٧٥٦٣ حديثًا.

[٦٥] وهي أربعة فهارس:

(أ) فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار الواردة في المتن ج١، ٥٣٣–٥٥٢، ج٢، ٢٨٢–٥١٠، ج٣، ٥٥٧–٥٨٧.

(ب) فهرس الأعلام المُترجَم لهم «رجالًا ونساء»، ج١، ٥٥٣–٥٥٥، ج٢، ٥١١–٥١٢، ج٣، ٥٨٨.

(ج) المحتويات ج١، ٥٥٦–٥٧٢، ج٢، ٥١٣–٥٧٢، ج٣، ٥٨٥–٦١٣.

(د) الموازين والمكيالات والأطوال الشرعية، ج٣، ٥٥٣–٥٥٦.

علم الحديث بعلم التاريخ، كارتباطه بعلم الفقه وأصول الفقه. الشافعي وأحمد بن حنبل نموذجًا. وللبخاري كتُب أخرى في الفقه والتاريخ غير الإصحاح.[٦٧] وفي نفس الوقت يعني الحديث السنة النبوية والطريق القويم في العقائد وفي العبادات، في الإيمانيات والشرعيات، في تعظيم الله وتسبيحه بل في عبادته.[٦٨] ويُشخَّص الحديث في المُحدِّث نظرًا لارتباط الرواية بالراوي، والبخاري بأبي هريرة.[٦٩] كما يبدو ارتباط علم الحديث بعلم الفقه في ترتيب الموضوعات والاعتزاز بمذاهب الفقه، خاصة الشافعي وأحمد بن حنبل. ويرجَّح البخاري على مُسلم. وهو كذلك في الثقافة الشعبية. وقد جمع الحديث كجزء من جمَع الأدبيات في عصر التدوين. فللبخاري أيضًا «الأدب المفرد».[٧٠] وهو أيضًا جزء من تدوين الشعر. فالبخاري شاعر له ديوان.[٧١] ويتمُّ هذا التدوين كله بالذاكرة وطرق النقل الشفاهي قبل وسائل التدوين الحديثة. وقد كانت الغاية التفسير مع الحديث، والفهم مع النقل. ولم يكن التدوين نقلًا خالصًا.[٧٢] ويعتمد على عديدٍ من الآيات والأحاديث وكُتب السابقين.[٧٣] ونظرًا للطابع النقلي العام تغيب المُقدِّمات النظرية.

(ب) «صحيح مسلم» (الجامع الصحيح) لمسلم، النيسابوري (٢٦١هـ)[٧٤]

وهو الإصحاح الثاني في القدْر بعد البخاري. ويجمع معه في الصحيحين.[٧٥] له مقدمة نظرية تُحدِّد أهمية العِلم والتيقُّن من الأخبار.[٧٦] والغاية معرفة سنن الدين وأحكامه في الثواب والعقاب والترغيب والترهيب عن طريق الأسانيد. وقد كان التأليف بناء على سؤال؛ أي على حاجةٍ اجتماعية دون تكرار المتون من أجل الاستفادة منها في استنباط الأحكام.[٧٧]

---

[٦٦] الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي: عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ١٤١٨هـ.

[٦٧] السابق ص٧٢.

[٦٨] السابق ص٨١–٨٣، ٩٣–١٠٢.

[٦٩] السابق ص٦٥–٨٦.

[٧٠] السابق ص٧٢.

[٧١] السابق ص٥٦–٥٧.

[٧٢] السابق ص٨١.

[٧٣] الآيات (١١)، الأحاديث (٢٦)، الكتب (٢٣).

والصحيح القليل أولى من الكثير السقيم. وهو مُوجَّه للخاصة وليس للعامة. فالعامة قد لا تهتمُّ بالكثير بعد أن عجزت عن معرفة القليل.

والأخبار المُسندة إلى الرسول ثلاثة أقسام، وثلاث طبقات من الناس بصرْف النظر عن اختلاف الصياغات في الحديث الواحد، زيادة ونقصانًا؛ الأول الأخبار الصحيحة الأسلم من العيوب، وأن يكون رُواتها من أهل استقامة. والثاني الأخبار الموضوعة التي لا تسلم من الكذِب وأن يكون رواتها من مُهتمِّين في الأكثر. والثالث الأخبار الجائزة المقبولة وهو ما يقتضي المراجعة عند أهل الحديث.[٧٨]

والإسناد من الدين بنص الحديث. وقد قام علم الحديث على السند وكشف معايب رواة الحديث ونقَلة الأخبار. وتصحُّ الرواية من البعض بينما يغلو البعض الآخر، ويصح الاحتجاج بالحديث المُعنعن.

والرواية عن الثقات دون الكذَّابين طبقًا لنص القرآن كما هو الحال في الشهادة والحديث والتحذير من الكذب والتنبيه على عواقبه. ولا يُحدَّث بكل المسموع خشية الخلط والنسيان واحتمال دخول الكذب في بعض الأجزاء. في كل زمان هناك كذَّابون ودجَّالون نبه عليهم الحديث.[٧٩] والمُحدِّث والشاهد يتَّفقان من جانبٍ ويختلفان من جانبٍ آخر.[٨٠]

والصحيح جزءان، كل جزء قسمان، والمجموع أربعة أقسام. تُقسَّم ثمانية وأربعين كتابًا.[٨١] أكبرها الفضائل ثم المساجد ومواقع الصلاة. وأصغرها ألفاظ الأدب والشعر.[٨٢]

---

[٧٤] إمام المُحدِّثين الحافظ أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم (جزءان)، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (د.ت).

[٧٥] السابق ج١، ٢–١٨.

[٧٦] «همَمتُ بالفحص عن تعرُّف الأخبار؛ جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله في سُنن الدين وأحكامه وما كان منها في الثواب والعقاب والترغيب والترهيب، وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نُقلت وتداولَها أهل العلم فيما بينهم.» السابق ج٢، ٢.

[٧٧] السابق ج٣، ١–٤.

[٧٨] السابق ج١، ٧–١٨.

[٧٩] صحيح مسلم ج١، ٤–٧.

[٨٠] الكفاية ص٨٩–٩١.

[٨١] الإيمان، (٢) الطهارة، (٣) الصلاة، (٤) المساجد ومواقع الصلاة، (٥) صلاة الجمعة، (٦) صلاة العيد، (٧) صلاة الاستقساء، (٨) الجنائز، (٩) الزكاة، (١٠) الصيام، (١١) الاعتكاف، (١٢) الحج،

وللكتب والأبواب عناوين. أقلها في العبادات وأكثرها في المعاملات.[83] لا تتصدرها آيات قرآنية كالبخاري. وتتكرر أكثر من مرة. وتُوجَد الآيات فقط في معرض الأحاديث بالمئات. وتكاد تغيب الأشعار والأمثال.[84] وتذكر بعض الآيات على لسان الجن.[85] وينقسم الموضوع الواحد إلى عدة كتب.[86] وهو مجرد رصد وتجميع للأحاديث دون تحليل أو دراسة. تجمع بين

(١٣) النكاح، (١٤) الرضاع، (١٥) الطلاق، (١٦) اللعان، (١٧) العتق، (١٨) البيوع، (١٩) الهبات، (٢٠) الوصية، (٢١) النذر، (٢٢) الإيمان، (٢٣) القسامة والمحاربون والقصاص والديات، (٢٤) الحدود، (٢٥) الأقضية، (٢٦) اللقطة، (٢٧) الجهاد والسير، (٢٨) الإمارة، (٢٩) الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، (٣٠) الأضاحي، (٣١) اللباس والزينة، (٣٢) الآداب، (٣٣) السلام، (٣٤) قتل الحيات وغيرها، (٣٥) الألفاظ من الأدب وغيرها، (٣٦) الشعر، (٣٧) الرؤيا، (٣٨) الفضائل، (٣٩) القدر، (٤٠) العلم، (٤١) الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، (٤٢) الرقاق، (٤٣) التوبة، (٤٤) صفات المنافقين وأحكامهم، (٤٥) صفة القيامة والجنة والنار، (٤٦) الفتن وأشراط الساعة، (٤٧) الزهد والرقائق، (٤٨) التفسير.

[82] (١) الفضائل (١٥٥)، (٢) المساجد ومواقع الصلاة (٣٣٤)، (٣) الحج (١٢٢)، (٤) الإيمان (٧٧)، (٥) الجهاد والسير (٦٠)، (٦) الزكاة (٥٧)، (٧) الأضاحي والبيوع (٥٥)، (٨) الصلاة (٥٢)، (٩) الإمارة (٥١)، (١٠) الصيام (٥٠)، (١١) الفتن وأشراط الساعة (٣٦)، (١٢) صفة القيامة والجنة والنار (٣٣)، السلام، النكاح (٣٣)، (١٣) اللباس والزينة (٣١)، (١٤) الجنائز (٢٩)، الاعتكاف (٢٠)، (١٥) الطلاق (٢٢)، (١٦) التوبة، الزهد والدقائق (٢١)، (١٧) الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠)، (١٨) الرضاع (١٦)، (١٩) الإيمان، الحدود (١٥)، (٢٠) الصيد والذبائح وما يأكله الحيوان (١٤)، (٢١) القدر (١٠)، (٢٢) الأقضية (٩)، (٢٣) الآداب، الوصية (١٣)، (٢٤) الرؤيا (١٢)، (٢٥) الوصية (١٢)، (٢٦) اللعان، العتق، الهبات، التفسير (١٤)، (٢٧) اللقطة (٦)، (٢٨) صلاة العيدين، قتل الحيات وغيرها (٦)، (٢٩) العلم (٥)، (٣٠) النذر، الحدود (١٩)، صفات المنافقين وأحكامهم (٤)، (٣١) ألفاظ الأدب وغيرها (٣)، الرقاق (٣)، (٣٢) الشعر (٢).

[83] العبادات (١١)، المعاملات (٣٧) (عدد الكتب).

[84] الآيات (٤١٠)، الأشعار (٨).

[85] مسلم ج١، ١٦٩.

[86] الصلاة خمسة كتب؛ الطهارة، والمساجد والمواقع، والجمعة، والعيدان، والاستقصاء. والزواج أربعة أيضًا؛ النكاح، والرضاع والطلاق، واللعان؛ والحدود ثلاثة؛ القسامة والمحاربون، والقصاص والديات، والأقضية. والذبائح اثنان؛ الصيد وما يؤكل من الحيوان، والأضاحي. والأدب ثلاثة؛ ألفاظه، وأنواعه، وأشعاره. والمعاد اثنان؛ القيامة والجنة والنار، والفقه وأشراط الساعة. والمعاملات التجارية ثلاثة؛ البيوع، والهبات، واللقطة. والسياسة ثلاثة؛ الإمارة، والجهاد والسيرة، وأفعال القلوب. والسلام ثلاثة عشر؛ الإيمان، والنذر، والرؤيا، والفضائل، والقدر، والعلم، والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، والرقاق، وصفات المنافقين وأحكامهم، والزهد والرقائق، والتفسير.

السنن القولية والسنن الفعلية. وتصبح السنن الفعلية أحيانًا مُمارساتٍ خاصة وليست وصايا عامة مثل مناسك الحج وأماكن وفود القبائل وعادات الزواج والطلاق. وتكثر التفصيلات في الصلاة؛ فجاءت من أكبر الكتب. بل يتحوَّل الحديث أحيانًا إلى سيرةٍ خلطًا بين الكلام والشخص، بين الرسالة والرسول، مثل أزواجه وعاداته في الطعام والشراب واللباس.[٨٧]

وتتغيَّر المتون في صياغاتٍ عدة بين الطول والقِصر لعدم التأكد منها، ودون مُقارنات بينها لمعرفة منطق الزيادة والنقصان والتغيير.[٨٨] ويتحوَّل بعضها إلى روايات، كما تتحوَّل بعض الروايات إلى متون؛ أي إلى أقوال مباشرة.[٨٩] والقول المباشر أكثر من الرواية. والرواية قصيرة دون إخراج أدبي كثير من حوارٍ وسؤال وجواب. ومرة يكون الحديث نبويًّا، وهي الأكثر، ومرة قدسيًّا وهو الأقل. ويخلو من الدرجات العُليا من الخيال، على عكس البخاري.[٩٠]

بعض الموضوعات تبدو تجاوَزَها الزمان مثل التفصيلات الدقيقة لوسائل الطهارة في عصر المُنظفات الصناعية. وبعض الأحاديث موجهة توجيهًا سياسيًّا مع السلطة الأموية ضدَّ المعارضة السياسية، المعتزلة والخوارج والشيعة دون تسميتهم.[٩١] وبعضها تبدو معارِضة للعقل والواقع وهو ما يحتاج إلى عمل الناقد التاريخي والمفكر، مثل رضاعة الكبير التي أُحيل بسببها أحد المشايخ إلى المحاكمة وفُصل عن عمله، وأحاديثها في صحيح مسلم.[٩٢] فالتراث هو المسئول، والشيخ مجرد وسيلة إعلامية. وبعض الموضوعات ما زالت عصرية مثل «الردع» «نُصرت بالرعب».[٩٣]

[٨٧] السابق ج١، ٦٣٣–٦٤٢، ٥٠١–٥٠٢.

[٨٨] مسلم ج١، ١٥١، ٢٤٢، انظروا دراستنا تأويل الظاهريات ص١٤٥–١٦٤.

[٨٩] السابق ج١، ١٧٦، ٤٧٤، ٥١٨–٥١٩، ظاهريات التأويل ص١٨٦–٢١٨.

[٩٠] السابق ج١، ٤٨٠.

[٩١] باب خاص بالخوارج، السابق ج١، ٤٣٤–٤٤١.

[٩٢] السابق ج١، ٦٥٧.

[٩٣] السابق ج١، ١٩٥.

«تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي (٤٨٨هـ)[٩٤]

فالإصحاحات الخمسة أو الستة ليست مقدسة، بل أصبحت كذلك بفعل التاريخ وعدم إعمال العقل في النقل. ولقد أخضع القدماء الصحيحَين للنقد اللغوي بعرْض غريب الألفاظ في الحديث على القرآن أولًا ثم الشعر ثانيًا. بمقياس فوقي أولًا وبمقياس تحتي ثانيًا. ليس المطلوب الحكم على صحة الأحاديث من حيث السند؛ فذاك ما قام به علماء الحديث من قبل، بل شرح ألفاظه الغريبة في متونه وهو أشبه بالقاموس اللغوي. واللغة العربية هي الجامع بين الشعر والقرآن. والآيات أكثر من الأحاديث والأشعار.[٩٥] وتضاف إليها الأمثال العربية أي النثر الفني؛ فقد أوتي الرسول جوامع الكلم، وإنَّ من البيان لسحرًا.[٩٦] ويشارك القرآن والحديث والشعر في نفس اللفظ. والاستعمالات الثلاثة يشرح بعضها بعضًا. وأحيانًا تُجمع عدة آيات مُتتالية حول لفظٍ واحدٍ كما هو الحال في التفسير الموضوعي للقرآن دون محاولةٍ لتركيب المعنى والاكتفاء بمباني الألفاظ المُتفرقة.[٩٧] والكتاب تالٍ لكتابٍ أول «الجمع بين الصحيحين» للاقتصار على المتون. ثم أتى الكتاب الثاني لشرح ألفاظها.[٩٨] وبعض الألفاظ في حاجة إلى دقَّة أكثر في شرح أصولها التاريخية مثل «الأريسيون» في اللغة لا يعني الأكاريون بلغة الشوام، وهو إحدى فرق النصارى والصابئة، بل صفة من آريوس الذي قال بالتوحيد وأنكر التثليث.[٩٩]

ويُقطَّع متن الحديث إلى عباراتٍ ذات ألفاظ. وربما تقتطف منه بعض العبارات أو بعض الألفاظ فحسب. لا يروي المتن لفظًا بل يتمحور حول لفظٍ واحد. وقد يتحوَّل إلى

[٩٤] الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: تفسير غريب ما في الصحيحين، قرأه واعتنى به د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٩٥] الآيات (٣٤٥)، الأحاديث (٢٩٤)، الأشعار (١١).

[٩٦] الأمثال العربية، تفسير غريب ص١٦٣.

[٩٧] السابق ص٧٦–٧٧، ١٥٣، ١٦٤، ١٧٣–١٧٤، ٢٧٣.

[٩٨] «فإنَّا لَّما فرغنا من كتابنا في الجمع بين الصحيحين الذي اقتصرنا فيه على متون الأخبار بالحفظ والتذكار، أردْنا أن نُفسِّره بشرح الغريب الواقع في أثناء الآثار. فلا يتوقَّف المُستفيد له من مطالعته. ولا ينقطع بالتفتيش لما أشكل عليه في دراسته. ورأينا أن ذلك أولى بما أعنَّاه به وهديناه إليه. وقد ذكرنا ما في كلِّ مسندٍ من الغريب أولًا فأولًا على ذلك الترتيب ليكون متى أشكل عليه شيء منه قصد إليه فوجدَه في غريب ذلك السِّفر مُفسَّرًا على حسب ما وجدْنا بعد البحث عنه في أخطائه والاجتهاد فيه.» السابق ص٥.

[٩٩] السابق ص٢٣٢–٢٣٣.

رأس موضوع في صياغةٍ مختلفة مثل النقل بالمعنى. وبعض الصياغات أشبه بالأمثال العربية.[١٠٠] ويشمل الحديث السُّنة القولية والسُّنة الفعلية.

ويتضمن الكتاب مائة وثلاثة وتسعين راويًا يُنسب إليه المسند أو الحديث.[١٠١] وداخل المسانيد هناك قسمة خاصة للمُقلِّين وللنساء.[١٠٢] فلم يكن النساء مُهمَلات في الرواية قبل التصوُّرات النسوية المعاصرة.

«تقييد المُهمل وتمييز المُشكل» للجيَّاني (٤٩٨)[١٠٣]

وهو كتاب من ثلاثة أجزاء في مراجعة أسماء وأنساب وكُنى الرواة في صحيحي البخاري ومسلم. اثنان للبخاري، والثالث في مسلم. فكلاهما لم يَنسبا رواتهم. كانا مشغولين بجمع المتون أكثر من نسبة الرواة؛ فالإصحاحات ليست مقدسة كما أصبحت عبر التاريخ، بل أخذها القدماء موضوعًا للنقد والمراجعة. بل إن العنوان نفسه يدل على شجاعةٍ أدبية باستعمال ألفاظ المُهمل والمشكل والأوهام. ومراجعة صحيحٍ واحد أو اثنين مُمكنة؛ إذ يصعُب مراجعة الإصحاحات الخمسة أو الستة أو جميع كتب السنة مرةً واحدة.[١٠٤] وهذا هو سبب التأليف. وقد تمَّ بناء على سؤال.[١٠٥] وقد تمَّ تقسيم الموضوع إلى خمسة أقسام؛ الأول ضبط مُشكل الأسماء والأنساب. والثاني تمييز المُشكِل من المُتشابه في

---

[١٠٠] السابق ص١٧٢.

[١٠١] أصحاب المسانيد (١٢٠)، أصحاب الأحاديث (٧٣).

[١٠٢] المُقلون (٣٧)، مسانيد النساء (١٠)، أحاديث النساء (١٦).

[١٠٣] الشيخ الحافظ أبي علي الحسين بن محمد الغساني الجياني (٤٩٨هـ): تقييد المُهمل وتمييز المشكل، اعتنى به علي بن محمد العمران ومحمد عزيز شمس، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، دار عالم الفوائد، السعودية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[١٠٤] لذلك اقتصرنا في الأشكال الأدبية على دراسة صحيح البخاري؛ نظرًا لتكرارها في باقي الإصحاحات.

[١٠٥] «فإنك سألتني أنْ أجمع لك ما اشتبه عليك مما يأتلِف خطه ويختلف لفظه من أسماء الرواة وكُناهم وأنسابهم من الصحابة والتابعين، ومَن بعدهم مِن الخالفين، ممن ذُكِر في الكتابين الصحيحين في السنة المسندة عن رسول الله ... وأُقيِّد ما التبس عليك في هذه الأسماء والكُنى والأنساب بتقييدٍ يحفظه من الإشكال في الخط ويُخرجه من الإهمال بالشكل والنقط، وأن أُميز بين مَن تتفق أسماؤهم وأسماء آبائهم أو كُناهم مع تقارُب أعصارهم ممن خرَّج عنه فيهما، وأن أذكر الأوهام التي في الأسانيد التي العهدة في أكثرها على نقَلة الكاتبين، وأُبين وجه الصواب في ذلك ...» السابق ص٣-٤.

الأسماء. والثالث التنبيه على الأوهام الواقعة في المُسندَين الصحيحَين في الأسانيد وأسماء الرواة. والرابع التعريف بشيوخٍ حدَّث عنهم البخاري وأهمل أنسابهم. والخامس كتاب الألقاب.[١٠٦] والترتيب مُعظمه أَبجدي خاصة في الألقاب. وفي كل حرفٍ أسماء وأنساب. كما تتبع أحيانًا الأبواب الفقهية كما اتبعها البخاري. البداية بالبخاري ثم مُسلم.[١٠٧] والهدف هو منع التداخُل والاختلاط بين الحروف في الأسماء المتشابهة. ومع الرواة تُذكَر الأحاديث.[١٠٨] وتذكر الألقاب بلا تعليل. وغالبًا ما تكون صفاتٍ في الجسد أو في النفس أو في الشخصية. وتظهر في بعض الأحاديث بداية بروز الأحاديث القدسية التي يبدو فيها الله أو جبريل مُتحدثًا ومحاورًا.[١٠٩] كما تبدو أحاديث الطبيعة وأحاديث التوجُّه السياسي مثل قتال الخوارج، وأحاديث تعارُض العقل مثل ضرورة الوضوء مما مسَّته النار، وأخرى بديهية مثل إصلاح النعل قبل السير به.[١١٠] وأحاديث أولوية الرسول على من سواه. ويعتمد على السابقين مثل الكلاباذي مما يدل على وجود محاولاتٍ سابقة لمراجعة الإصحاحات ووضعها وضْع النقد. ويعتمد على كثيرٍ من شواهد القرآن والحديث والشعر. وقد أفاضت الفهارس الحديثة في نهاية الكتاب في رصد الأحاديث عامَّةً وأحاديث الصحيحين خاصة، والمواد المضبوطة، والأعلام، والرواة، وشيوخ البخاري المُهمين، وأسماء الكتب، والفهرس التفصيلي للموضوعات.[١١١]

«قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين» لأحمد البحراني (القرن الثاني عشر)[١١٢]

دراسة الصحيحين اتجاه قديم بعد أن تحوَّلا إلى مُقدَّسَين عبر التاريخ بعد توقف البحث العلمي التاريخي لصالح الإيمان بالموروث النقلي. ثم عاد البحث العلمي التاريخي في حركة

[١٠٦] الأول ص٦٩–٥٠٠، الثاني ص٥٠١–٦٢٥، الثالث ص٥٦٣–٩٣٨، الرابع ص٩٤١–١٠٦٩، الخامس ص١٠٧١–١١٥٠.

[١٠٧] البخاري ص١٠–٥٢، مسلم ص٥٣–٦٧.

[١٠٨] تقييد المهمل ص٣–٦٨.

[١٠٩] السابق ص٥٠٦، ٥٠٧، ٥٥٥، ٦٥١.

[١١٠] أحاديث الطبيعة ص٥٨١، التوجُّه السياسي ص٧٤٩، الوضوء ممَّا مسَّته النار ص٧٩٦، إصلاح النعل ص٩٠١، وأحاديث أولوية الرسول على من سواه ص٩٨٨.

الإصلاح الحديث والنظر إلى الموروث نظرةً نقدية، والتحوُّل من النقل إلى العقل. وهي دراسة في الرواية وليست في المروي. وتقسيم الرواة في الإصحاحين إلى أحد عشر نوعًا، وترتيب الرواة في النوع الحادي عشر ترتيبًا أبجديًّا،[١١٣] وتقسيم أنواع الرواية طبقًا للرواة، أي الإسناد ومنطقه.[١١٤] الأول من تُقبل روايته ومَن لا تُقبل، والثاني والثالث في علو الأسانيد ونزولها، والمزيد من الأسانيد. والرابع التدليس، والخامس والسادس رواية الروايتَين عن شيخٍ واحد أو عن الأقران. والسابع والثامن رواية الآباء عن الأبناء ورواية الأبناء عن الآباء، والتاسع من لم يروِ عنه إلا واحد، والعاشر رواية الأكابر عن الأصاغر، والحادي عشر السند المُعنعن. وهي محاولة مُتأخِّرة للتنظير مع ضرب المثل لكل نوعٍ براوٍ. فالتاريخ استقراء وليس استنباطًا. ولكل نوع عدة مؤلَّفات جمعًا بين الجانبين النظري والتطبيقي. وتظهر مقولات الرواية مثل الشاذ والمُعلَّل ومقولات الجرْح والتعديل.[١١٥] ومقاييس ذلك العدالة والضبط، وذكر السبب بقولٍ واحد أو بأكثر من قول مع ضرورة تعديل المعدل، واختيار ألفاظ الجرْح والتعديل وتدرُّجها بين الأعلى ثقة مثل الثقة والمتقن أو المُثبت والحجة أو الحافظ أو الضابط، ثم الصدوق ثم الذي لا بأس فيه، ثم الصالح للحديث. ومن مراتب ألفاظ الجرح لين الحديث وليس بقوي وضعيف ومتروك. ولا تقبل رواية مَن عُرِف بالتساهُل أو مجهول الحال ظاهرًا وباطنًا. ولا يقبل قول مُبتدِع أو ثابت تائب عن فِسق أو كذِب، أو من أخذ أجرًا. فتنطبق قواعد نقْد الحديث على الحديث نفسه من القدماء دون انتظار ادِّعاء المُحدثين مُستشرقين وعربًا مُسلمين وبغية الشهرة والإعلام. ويُحدَّد المذهب الفقهي لكل راوٍ.[١١٦] فالمُحدِّثون فقهاء أو ينتسبون إلى مذاهب فقهية، مثل انتساب المؤلف إلى الشافعية. ويعتمد على شاهدٍ شعري واحد. وطبقًا لعادة المُتقدمين والآخِرين يُشتَق اسم الكتاب من اسم السلطان.[١١٧]

---

[١١١] تقييد المهمل ص١١٥١–١٣٠٤.

[١١٢] الفقيه العارف العلامة عبد الغني بن أحمد البحراني الشافعي: قرة العين في ضبط أسماء الصحيحين، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م (طبعة الهند ١٣٢٣هـ).

[١١٣] السابق ص٢٨–٦١.

[١١٤] «السند إخبار عن طريق المتن، والإسناد رفع الحديث إلى قائله.» السابق ص٧.

[١١٥] السابق ص٩–١٤.

[١١٦] السابق ص١٧.

(ج) «سُنن ابن ماجه» (٢٧٥هـ)[١١٨]

وهو سُنن تُركز على الأقوال المباشرة أكثر من الروايات، وعلى الأحاديث القصيرة دون الطويلة، وعلى الموضوعات العملية وليست الأمور الميتافيزيقية مثل البخاري. وتتكرَّر الأحاديث في صياغاتٍ عدة، وتتفاوت زيادة ونقصًا. تجمع بين السُّنن القولية والفعلية؛ لذلك أتت بعض الأحاديث رواياتٍ فحسب دون أقوالٍ مباشرة تخلو من المُقدِّمات النظرية لصالح الرصد والتجميع والمادة الخام، بل إن المقدمة مجرَّد تجميع أحاديث.[١١٩] تتوجَّه بعض الأبواب إلى فِرَق المعارضة خاصة الخوارج بالاسم أو الوصف.[١٢٠] وتُرقَّم الأحاديث داخل كل بابٍ من الناشر الحديث حتى يسهل تتبُّعها. وتعتمد على القرآن أكثر من الشعر.[١٢١]

ويضمُّ أربعة آلاف وثلاثمائة وواحدًا وأربعين حديثًا في سبعةٍ وثلاثين كتابًا، وكل كتاب في عدة أبواب، وفي كل بابٍ عدة أحاديث.[١٢٢] أكبرها الصلاة ثم الزهد، الخارج والداخل، ثم الطهارة والأذان والناسك. وكلها في العبادات. ثم تأتي المعاملات العامة كالفتن، والخاصة

---

[١١٧] «وسمَّيته باسم المولى الخليفة مَورد العِلم والإحسان، وشمس أفق المجد المُشرقة أنوارها بكل مكان، أمير المؤمنين سلالة الأئمة الطاهرين ابن المهدي لدين الله رب العالمين؛ العباس ابن أمير المؤمنين نفع الله به كما نفع بآبائه وأيَّده بغِنى لطفه وسوَّاه بغنى آلائه؛ وذلك لما هو عليه أيده الله من الاشتغال بكتب الحديث والنظر في القديم منها والحديث.» السابق ص٦.

[١١٨] الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سنن ابن ماجه (جزءان)، حقق نصوصه، ورقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلَّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٢٧هـ/١٩٥٢م.

[١١٩] السابق ج١، ٣–٩٨.

[١٢٠] السابق ج١، ٢٤، ٢٨، ٣٥، ٦١.

[١٢١] الآيات (١٠٨)، الأشعار (٨).

[١٢٢] الكتب هي: (١) الطهارة وسننها، (٢) الصلاة، (٣) الأذان، (٤) المساجد والجماعات، (٥) إقامة الصلاة، (٦) الجنائز، (٧) الصيام، (٨) الزكاة، (٩) النكاح، (١٠) الطلاق، (١١) الكفاءات، (١٢) التجارات، (١٣) الأحكام، (١٤) الهبات، (١٥) الصدقات، (١٦) الرهون، (١٧) الشفعة، (١٨) اللقطة، (١٩) العتق، (٢٠) الحدود، (٢١) الديات، (٢٢) الوصايا، (٢٣) الفرائض، (٢٤) الجهاد، (٢٥) المناسك، (٢٦) الأضاحي، (٢٧) الذبائح، (٢٨) الصيد، (٢٩) العقيقة، (٣٠) الأشربة، (٣١) الطب، (٣٢) اللباس، (٣٣) الأدب، (٣٤) الدعاء، (٣٥) تعبير الرؤيا، (٣٦) الفتن، (٣٧) الزهد.

كالجنائز. والنكاح والأدب والتجارات. وأصغرُها الشفعة ثم الهبات واللقطة ثم العتق والوصايا وهي من المعاملات.[١٢٣]

(د) «سنن أبي داود» تصنيف أبي داود السجستاني (٢٧٥هـ)[١٢٤]

وهو من الإصحاحات الخمسة. تبوب طبقًا للتبويب الفقهي، خمسة وثلاثين كتابًا فقهيًّا.[١٢٥] كل منها ينقسم إلى عدة أبواب. ويكون مجموعها ألفًا وسبعمائة وواحدًا وثمانين بابًا. تضمُّ خمسة آلاف ومائتين وأربعةٍ وسبعين حديثًا. وتُبين درجة صحة كلِّ حديث، صحيح أو حسَن أو ضعيف. أكبرها كتاب الصلاة ثم كتاب الأدب.[١٢٦] يغلب عليها الطابع العملي.

---

[١٢٣] إقامة الصلاة (١٩٧)، (٢) الصلاة (١٣٣)، (٣) الزهد (١٥٨)، (٤) الطهارة (١٢٠)، (٥) الآذان (١١١)، (٦) المناسك (٨١)، (٧) الفتن (٧٨)، (٨) الجنائز (٦٤) (٩) النكاح (٥٨)، (١٠) الأدب (٥٢)، (١١) التجارات (٥١)، (١٢) الصيام (٤٣)، (١٣) الجهاد (٤٢)، (١٤) الطب (٣٢)، (١٥) العقيقة (٣٦)، (١٦) اللباس (٣٠)، (١٧) الديات (٢٧)، (١٨) الطلاق، الحدود (٢٦)، (١٩) الزكاة، الدعاء (٢٤)، (٢٠) المساجد والجماعات الأحكام (٢١)، (٢١) الرهون، الأشربة (١٨)، (٢٢) الصدقات (١٦)، (٢٣) الكفاءات، الصيد (١٥)، (٢٤) الأضاحي، تعبير الرؤيا (١٣)، (٢٥) الفرائض (١٢)، (٢٦) الوصايا (٨)، العتق (٧)، (٢٧) الهبات، اللقطة (٤)، الشفعة (٣).

[١٢٤] أبو داود بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، حكَم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني. طبعة مميزة بضبط نصِّها ووضح الحكم على الأحاديث والآثار وفهرست الأطراف والكتب والأبواب. اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

[١٢٥] هي: (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) الزكاة، (٤) اللقطة، (٥) المناسك، (٦) النكاح، (٧) الطلاق، (٨) الصيام، (٩) الجهاد، (١٠) الضحايا، (١١) الصيد، (١٢) الوصايا، (١٣) الفرائض، (١٤) الخراج والفيء والصلاة، (١٥) الجنائز، (١٦) الإيمان والنذور، (١٧) البيوع (الإجارة)، (١٨) القضاء، (١٩) العلم، (٢٠) الأشربة، (٢١) الأطعمة، (٢٢) الطب، (٢٣) العتق، (٢٤) الحروف والقراءات، (٢٥) الحمام، (٢٦) اللباس، (٢٧) الترجل، (٢٨) الخاتم، (٢٩) الفتن والملاحم، (٣٠) المهدي، (٣١) الملاحم، (٣٢) الحدود، (٣٣) الديات، (٣٤) السنة، (٣٥) الأدب.

[١٢٦] الصلاة (١٩٢ صفحة)، (٢) الأدب (٨٧)، (٣) الطهارة (٨٦)، (٤) المناسك (٥٦)، (٥) الحروف والقراءات (٥٢)، (٦) البيوع «الإجارة» (٤٦)، (٧) الضحايا (٤٠)، (٨) السنة (٣٦)، (٩) الخراج والفيء والإمارة (٣٤)، (١٠) الصيام، الحدود (٢٩)، (١١) الجنائز، الزكاة (٢٨)، (١٢) الهبات، الطلاق (٢٣)، (١٣) السنة (٢١)، (١٤) الأطعمة (٢٠)، (١٥) الإيمان، الزكاة، النذور (١٦)، (١٦) القضاء (١٤)،

وتغيب منها الموضوعات الغيبية. لا يتميز بشيءٍ خاص بين الإصحاحات الخمسة، مجرد تجميع وتبويب وتصنيف للأحاديث.

«رسالة الإمام أبي داود السجستاني إلى أهل مكة في وصف سننه» (٢٧٥هـ)[١٢٧]

وهو أيضًا صاحب «كتاب المصاحف». فالمُشتغل بعلوم القرآن مُشتغل أيضًا بعلوم الحديث؛ علم التدوين الأصولي الأوَّلي. ولَّما كان علم الحديث منقولًا شفاهًا فقد دُوِّن رواية.[١٢٨] وهو جزء من السيرة الذاتية يصِف فيها المُحدث سُنَنَه، عددها، وتكرارها لزياداتٍ في كشفها، ومراسيلها دون متروكها أو مُنكَرها أو ما وهَنَ منها أو غريبها أو مُدلَّسها، وما سُمع منها سماعًا مباشرًا. ومعظمها من المشاهير. وقد قُسِّمت ثمانية عشر جزءًا، واحد منها فقط من المراسيل.[١٢٩]

«تهذيب السنن» لابن القيم (٧٥١هـ)[١٣٠]

وبعد خمسة قرونٍ تقريبًا من جمع الحديث وتدوينه، جاء النقد الداخلي من القدماء أنفسهم من التيار السَّلفي الحنبلي. وهذا هو معنى «تهذيب السنن» أي نقدها وبيان درجة صحَّة كلٍّ منها طبقًا لقواعد الجرح والتعديل. وهي دراسة تطبيقية على سُنن أبي داود بعد اختصار المُنذري لها للتحقُّق من صدق الروايات وتحديد درجة صحَّة كل رواية؛ صحيح أو حسن أو ضعيف، متروك أو مجهول، مُنكَر أو مُدلَّس، مُرسَل أو مقطوع.[١٣١] يتحقَّق من الروايات

---

(١٧) الطب، الأشربة، الملاحم (١٢)، (١٨) الضحايا (١٠)، (١٩) الفرائض، الفتن والملاحم (٩)، (٢٠) العلم (٦)، (٢١) الوصايا (٥)، (٢٢) اللقطة، الخاتم (٤)، (٢٣) الصيد، المهدي (٣).

[١٢٧] ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، شركة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ص٢٩–٥٤.

[١٢٨] رواية أبي الحسين بن جميع عن محمد بن عبد العزيز الهاشمي عنه.

[١٢٩] عدد الأحاديث ٤.

[١٣٠] الإمام ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي: تهذيب السنن، حقَّقه وعلَّق عليه وخرج أحاديثه الدكتور إسماعيل بن غازي مرحبا «خمسة أجزاء»، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[١٣١] «جعلتُ كتابه من أفضل الزاد، واتَّخذتُه ذخيرة ليوم المعاد. فهذَّبته نحو ما ذهب هو به الأصل. وزدتُ عليه من الكلام على عِللٍ سكتَ عنها أو لم يُكملها والتعرُّض إلى تصحيح أحاديث لم يُصحِّحها، والكلام

سندًا أم متنًا، ويرجع إلى التاريخ، ويكتشف عِلل الأحاديث. ويُراجع أوجه الاستنباط من الحديث بطريقة علماء أصول الفقه ومناهجه؛ من نصٍّ وإجماع واستصواب، وإلى بعض مبادئ القياس الإسلامي مثل قياس الأولى وعدم جواز تكليف ما لا يُطاق، والنَّسخ في النصوص، وبعض مبادئ اللغة.[١٣٢] هي دراسة ومراجعة وكأنها موضوع فقهي وليست مجرد جمعٍ ورصدٍ للأحاديث مع الحكم والتقدير والنظر والتصحيح، اعتمادًا على السابقين وتراجع الأحكام وطرُق استنباطها، وليس فقط يتحقَّق من صحة مصادرها.[١٣٣] ويدخُل في سِجالٍ مع الخصوم.[١٣٤] فهي أقرب إلى التهذيب منها إلى السنن، وإلى علم أصول الفقه منها إلى علم الحديث. ولا يتورَّع المُصنف من إصدار أقوى الأحكام السلبية مثل «فأي شذوذ أكثر من هذا؟»[١٣٥] ويعتمد على مئات من الآيات.[١٣٦] وآلاف من الأحاديث والآثار في ثلاثةٍ وثلاثين كتابًا فقهيًّا.[١٣٧] أكبرها الصيام ثم السنة ثم المناسك، وأصغرها الوصايا والفتن والمهدي.[١٣٨] والسؤال هو: لماذا اختيار سنن أبي داود للتحقق من صحتها دون غيرها؟

على متون شكله. لم يفتح مُقفلها، وزيادة صالحة في الباب لم يُشر إليها، وبسْط الكلام على مواضع جليلة لعلَّ الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه ...» السابق ص٩٥.

[١٣٢] السابق ص١٣٣، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٢–١٦٤، ١٩٥، ٢١١.

[١٣٣] السابق ١٢٤–١٣٠.

[١٣٤] السابق ص١٠٩، ١٣٢.

[١٣٥] السابق ص١٦٧.

[١٣٦] الآيات (٢١٠)، الأحاديث والآثار (٥١٠٠).

[١٣٧] هي: (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) الزكاة، (٤) اللقطة، (٥) المناسك، (٦) النكاح، (٧) الطلاق، (٨) الصيام، (٩) الجهاد، (١٠) الأضاحي، (١١) الصيد، (١٢) الوصايا، (١٣) الفرائض، (١٤) الخراج والإمارة والفيء، (١٥) الجنائز، (١٦) الإيمان والنذور، (١٧) البيوع والجارات، (١٨) الأقضية، (١٩) العلم، (٢٠) الأشربة، (٢١) الأطعمة، (٢٢) الطب، (٢٣) العتاق، (٢٤) الحمام، (٢٥) اللباس، (٢٦) الترجل، (٢٧) الخاتم، (٢٨) الفتن، (٢٩) المهدي، (٣٠) الحدود، (٣١) الديات، (٣٢) السنة، (٣٣) الأدب.

[١٣٨] (١) الصيام (٢٩٠)، (٢) السنة (٢٤٦)، (٣) المناسك (٢٤٤)، (٤) الطهارة (٢٣٨)، (٥) البيوع والإجارات (١٦٦)، (٦) الطلاق (١٦٤)، (٧) الصلاة، الأدب (١٢٠)، (٨) النكاح (١١٨)، (٩) الجنائز (٨٦)، (١٠) الجهاد (٧٠)، (١١) الديات (٦٢)، (١٢) العتاق (٥٤)، (١٣) الأضاحي (٥٢)، (١٤) الأطعمة (٣٨)، (١٥) الزكاة (٣٦)، (١٦) الفرائض (٣٢)، (١٧) الطب (٢٦)، الأقضية (٣٠)، (١٨) الحدود (٢٤)، (١٩) الإيمان والنذور (٢٢)، (٢٠) الأشربة، اللباس (٢٠)، (٢١) الخاتم (١٦)، (٢٢) العلم (١٢)،

(هـ) «سنن الترمذي» (الجامع الصحيح) للترمذي (٢٩٧هـ)[١٣٩]

وهو الإصحاح الخامس وله اسمان «سنن»، «الجامع الصحيح». يخلو من مقدمة نظرية، مجرد رصدٍ وتجميع. كما يخلو من أي تحليلٍ أو دراسة. يُصدر أحكامًا على درجة صحة الحديث. ويهتم بالسند قدْر اهتمامه بالمتن، بالعنعنة وبالصياغات المختلفة للمتون، زيادة أو نقصانًا. لذلك تتكرَّر الأحاديث. وكان صاحبه ضريرًا يعتمد على السماع وحدَه. لم يمنعه فقدان بصره من الحفظ؛ فهو العزيز الحافظ.[١٤٠] يركز على الأقوال المباشرة دون الروايات. وينذُر وجود رواياتٍ دون أقوال مباشرة؛ أي سُنن فعلية دون سُنن قولية.[١٤١] وينذُر وجود الأحاديث الطوال التي تسمح بإعمال الخيال. مُعظمها أحاديث عملية تتفق مع أهداف علم الحديث. باستثناء قصص الرجال، والشفاعة، والشوق إلى الجنة، وخلود أهل النار، والخضر، وقصص الأنبياء، والدعوات، وضرب الأمثال.[١٤٢] فهو أكثر الإصحاحات تركيزًا على الأقوال العملية وبعدًا عن الخيال. وأقربها إلى ابن ماجه, وأبعدها عن البخاري. عناوينه الجانبية داخل الأبواب كثيرة وتفصيلية. فكل موضوع حديث رأس موضوع. بعض الأحاديث للتمايُز عن اليهود والنصارى والمشركين وباقي الطوائف.[١٤٣] يعتمد على الآيات القرآنية أكثر مما يعتمد على الأشعار. والقرآن تصديق للحديث. وأكثره في كتاب القرآن وكتاب التفسير.[١٤٤] كما يعتمد على أقوال السابقين، فقهاء ومحدثين.

---

(٢٣) الترجل (٨)، (٢٤) اللقطة، الصيد، الخراج والإمارة والفيء، الحمام (٦)، (٢٥) الوصايا، الفتن، المهدي (٤).

[١٣٩] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي «الجامع الصحيح»، حقق أصوله وخرَّج أحاديثه على الكتاب والسنة، ورقَّمه حسب المعجم المُفهرس تحت الإشراف، الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. «طباعة جديدة في مجلد واحد بلونَين على ورقٍ فاخر».

[١٤٠] السابق ص٧.

[١٤١] السابق ص٧١٣، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٩–٧٢٠.

[١٤٢] الرجال ص٨٨٨–٨٩٠، الشفاعة ص٩٥٦-٩٥٧، شوق أهل الجنة ص٩٩٤-٩٩٥، خلود أهل الجنة والنار ص٩٩٨-٩٩٩، ضرب مثل للصلاة ص١٠٠٥–١١٠٦، الخضر ٩١٢٠–١٢١١، القصص ١٢٧٨–١٢٨٠، ١٢٨٨، ١٢٢٩، الدعوات ص١٣١٩–١٣٦٧، ضرب الأمثال ص١١٠٣–١١٠٩.

[١٤٣] السابق ص٧٣٠.

[١٤٤] الآيات (٦٠٤)، الأشعار (٥).

وينقسم الإصحاح إلى ثمانية وأربعين كتابًا.[١٤٥] وكل كتاب إلى عدة أبواب[١٤٦] تنقسم أبواب الصلاة إلى أبواب تفصيلية.[١٤٧] والكتب غير مُرقمة. ولا تبدأ بآياتٍ قرآنية مثل البخاري. وقد ينقسم الموضوع إلى كتابين مثل فضائل الجهاد والجهاد.

وسبب التأليف هو بيان عِلل الأحاديث؛ أي إيجاد الأدلة والبراهين على صحَّتها وإصدار حُكم على درجتها.[١٤٨] وقد وضعه على الاختصار.[١٤٩] بل إنَّ الترمذي قد عقد كتابًا خاصًّا في النهاية عن «العلل».[١٥٠] وهو ما أصبح فيما بعد في علم مصطلح الحديث نقد الرواة أو «الجرح والتعديل».

وله طبعات أُخرى عديدة بأسماء مختلفة مثل «الجامع الكبير» وليس «الجامع الصحيح».[١٥١] ولو أن المعنيَين مُتشابهان مع اختلاف تاريخ وفاة الترمذي بين ٢٧٩هـ، ٢٧٧هـ، بين مجلدات أو مجلد واحد. وتبدو لغة التعظيم والتبجيل في مقدمة الناشر الجديد في مدح المؤلف.[١٥٢]

---

[١٤٥] باستثناء الطهارة والصلاة فهي أبواب بدلًا من الكتاب الأول والكتاب الثاني.

[١٤٦] وهي: (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) الزكاة، (٤) الصوم، (٥) الحج، (٦) الجنائز، (٧) النكاح، (٨) الرضاع، (٩) الطلاق واللعان، (١٠) البيوع، (١١) الأحكام، (١٢) الديات، (١٣) الحدود، (١٤) الصيد، (١٥) الذبائح، (١٦) الأطعمة، (١٧) الأحكام، والفوائد، (١٨) الأضاحي، (١٩) النذور والإيمان، (٢٠) السِّيَر، (٢١) فضائل الجهاد، (٢٢) الجهاد، (٢٣) اللباس، (٢٤) الأطعمة، (٢٥) الأشربة، (٢٦) البر والصلة، (٢٧) الطب، (٢٨) الفرائض، (٢٩) الوصايا، (٣٠) الولاء والهبة، (٣١) القدر، (٣٢) الفتنة، (٣٣) الرؤيا، (٣٤) الشهادات، (٣٥) الزهد، (٣٦) صفة القيامة والرقائق والورع، (٣٧) صفة الجنة، (٣٨) صفة جهنم، (٣٩) الإيمان، (٤٠) العلم، (٤١) الاستئذان، (٤٢) الأدب، (٤٣) الأمثال، (٤٤) فضائل القرآن، (٤٥) القراءات، (٤٦) تفسير القرآن، (٤٧) الدعوات، (٤٨) المناقب.

[١٤٧] مثل الوتر والجمعة والعيدين والسفر، الترمذي ص٨٣–٢٨٠.

[١٤٨] «وإنما حمَلْنا على ما بيَّنا في هذا الكتاب من قول الفقهاء وعِلل الحديث لأنَّا سُئلنا عن هذا فلم نفعله زمانًا ثم فعلناه لِما رجَونا فيه من منفعة الناس.» السابق ص١٤٨٨.

[١٤٩] «وقد وضعنا هذا الكتاب على الاختصار لِما رجونا فيه من المنفعة.» السابق ص١٥٠٢.

[١٥٠] السابق ص١٤٨٧–١٥٠٢.

[١٥١] الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه الدكتور عواد معروف، «ستة مجلدات»، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ط٢، ١٩٩٨م.

[١٥٢] «الإمام الجهبذ الحافظ الثقة المُتقن.» السابق ج١، ٥. «علَم من أعلام الأمة الإسلامية، وفارس من فرسان الحديث الأفذاذ.» السابق ج١، ٦.

«شروط الأئمة الخمسة» لمحمد بن موسى الحازمي (٥٨٤هـ)[١٥٣]

وهي محاولة للكشف عن منطق الإصحاحات الخمسة، ما يجمعها وما يُفرقها ثم تطبيقها على كل مُحدِّث طبقًا لقواعد علم الجرح والتعديل. فهي دراسة تجمع بين النظر والتطبيق، بين التنظير والتاريخ. وقد تمت بناء على سؤالٍ على شروط الأئمة الخمسة، وغرض كل منهم وقصده. فكل إصحاحٍ له هدف وقصد، غاية ومرام، والشرط الجامع للصحيحين الأولين هو السماع من شيخَين عَدلين عن الرسول. وقسمة الأخبار إلى متواتر وآحاد من الفقهاء. أما أهل الحديث فيقسمونه إلى عشرة: خمسة مُتفق عليها، وخمسة مختلف عليها. المُتفق عليها الصحيح في الصحيحين الأولين، ما له راويان ثِقتان من التابعين إلى الصحابة إلى الرسول. وقد يمتدُّ الأمر إلى أربع طبقات. وأحاديثها لا تبلغ عشرة آلاف حديث. والثاني نقل العدل عن العدل والتابعي عن الصحابي، وليس له إلا راوٍ واحد. وهو موجود أيضًا في الصحيحين الأولين. والثالث أخبار التابعين عن الصحابة براوٍ واحد. والرابع أحاديث الأفراد والغرائب، رواية الثقات عن العدول. تفرَّد بها ثقة من الثقات وليس لها طرُق مُخرجة من الكتب. والخامس أحاديث الآباء عن الأجداد دون أن تتواتر.[١٥٤] وهي موجودة في كتب الأئمة مُحتج بها. ولم يخرج منها في الصحيحين حديث. وبالتالي يبطُل قول من زعم أن شرط البخاري إخراج الحديث عن عَدلَين إلى أن يتَّصِل الخبر بالنبي.[١٥٥] وكلها أخبار آحاد في نظرية عامة لقسمة الخبر إلى متواترٍ وآحاد، أو إلى صحيح وفاسد ومُشتبه به. طريق معرفة الصحيح المتواتر والفاسد ما تدفعه العقول مثل الأخبار عن المُتضادَّين.[١٥٦] والشروط المُعتبَرة عن الأئمة هي العدل مُشتبه فيه. وله شروط: الإسلام والعقل والصدق وعدم التدليس والعدالة.[١٥٧] وتتضمَّن العدالة العلم، والأخذ عن العلماء وليس عن الصحف،

---

[١٥٣] الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي: شروط الأئمة الخمسة، ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، شركة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٠٩–١٨٩.

[١٥٤] السابق ص١٠٩–١٢٠.

[١٥٥] السابق ص١٢٩–١٣٣.

[١٥٦] السابق ص١٤٣–١٥٤.

[١٥٧] «هو الذي تدفع العقول صحته بموضوعها والأدلة المنصوب فيها، نحو الأخبار عن جماعة المُتضادِّين، أو أن الجسم الواحد في الزمن الواحد في مكانَين، أو مما يدفعه نص القرآن أو السنة المتواترة أو أجمعت الأمة على تكذيبه، وغير ذلك.» السابق ص١٤٤.

والضبط واليقظة؛ أي سلامة الذهن من شوائب الغفلة، وقلة الغلط والوهم، وحُسن السَّمت والاتصاف بالوقار، ومُجانبة الأهواء.[١٥٨] وهم على طبقات.

«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث» لعبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ)[١٥٩]

وهو الصوفي الشهير تلميذ ابن عربي، يجمع بين التصوف وعلم الحديث، بين الذوق والرواية على الرغم من التعارُض بين التأويل والتنزيل. وهي دراسة في الإصحاحات الخمسة والتحقُّق من رُواتها، بإضافة سُنن ابن ماجه عند المَشارقة ومُوطَّأ مالك عند المغاربة. وقد تمَّت دراسات ومراجعات من قبل في نفس الموضوع، يراجعها النابلسي ويستأنفها في هذا العصر المتأخر؛ القرن الثاني عشر، بعد استقرار علم الحديث، مما يدل على أن العلم لم ينتهِ بعد، وأنه ما زال موضوعًا للدراسة. وتُصنَّف الأحاديث طبقًا لرُواتها من الصحابة دون الوسطاء من التابعين وتابعي التابعين، وليس طبقًا لموضوعاتها حتى ولو كانت أبواب الفقه التقليدية. وهذا هو معنى العنوان الفرعي «مواضع الحديث». ويُرتَّب الرواة أبجديًّا؛ فالحديث مُشخَّص في الراوي، والمتن في السند، مع أن الراوي مجرد وسيلة، في حين أن المَروي هو الغاية. وتغلب الأحاديث القولية على الأحاديث الفعلية، والقول المباشر وليس الرواية أو الحوار، بل لبُّ القول المباشر وقلبه حتى ولو تمَّ اختصاره في عبارةٍ تظهر موضوعه، بل يمكن إظهار تصنيفٍ جديد للموضوعات مثل قوانين الطبيعة، مركزية الرسول، قول الله «الحديث القدسي».[١٦٠] ويظهر أبو هريرة أكثر الصحابة رواية.

وينقسم الرواة إلى رجال ونساء مما يدل على حضور النساء في علم الحديث مثل حضورهم في التصوف، وتخصيص فصلٍ في كتب طبقات الصوفية لهن. فالرواة رجال ونساء. وينقسم كل فريقٍ إلى صحابة وكُنية ومُبهمات. لذلك انقسم الكتاب إلى قِسمين الأول

[١٥٨] السابق ص١٤٩–١٥١.

[١٥٩] الشيخ الإمام عبد الغني بن إسماعيل النابلسي: ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث، «ثلاثة أجزاء»، خرَّج أحاديثه عبد الغني عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[١٦٠] السابق ص٣٥، ٥٤، ٢٧، ٥٠، ١٠٣، ١٠٥.

مسانيد الرجال من الصحابة «أهل الكمال»، والثاني من اشتُهر بالكُنية من الصحابة ومن لم يُعرَف اسمه أو اختلف في اسمٍ منهم.[١٦١] ومجموع الأحاديث ١١١١٤ حديثًا.[١٦٢] ويظهر القرآن مع الحديث. وتتعدَّد روايات بعض الأحاديث.[١٦٣] وتغيب الأحاديث الطويلة.[١٦٤]

(د) «السنن الكبرى» للنسائي (٣٠٣هـ)[١٦٥]

ويُعتبر الإصحاح السادس هو مجرد جمعٍ ورصد وترتيب وتصنيف لأحاديث؛ أحد عشر ألفًا وتسعمائة وثمانية وأربعون حديثًا مُرتَّبة دون أي مقدمة نظرية أو مدخل يُبين سبب هذا الجمع الجديد بعد الإصحاحات الخمسة. وتُعطي أكبر قدرٍ ممكن من التفصيلات لدرجة وجود أكثر من عنوانٍ في الصفحة الواحدة. وبهذا المعنى تكون «السنن الكبرى» أبعد عن الإصحاحات الخمسة، وتذكُر الاختلافات بين الرواة في الأحاديث؛ فالسند أهم من المتن.[١٦٦] وكثير من التفصيلات لا لزوم لها، وكأن الأمة ما زالت في مرحلة بني إسرائيل بكثرة السؤال. ويقلُّ الخلاف في المسائل الطبيعية والنعوت؛ أي الذات والصفات الإلهية.[١٦٧] وبعضها مُوجَّه سياسيًّا مثل نقد الحرورية أي الخوارج.[١٦٨] ويظهر العامل الجغرافي في توقيت العبادات.[١٦٩]

وقد صنفت الأحاديث طبقًا لأبواب الفقه إلى اثنين وستين بابًا.[١٧٠] بعضها مُتداخل مثل كتب الصلاة التي تضم عشرة أبواب. والنكاح والطلاق وعِشرة النساء كتُب متداخلة،

[١٦١] القسم الأول في الجزأين الأول والثاني. والقسم الثاني في الجزء الثالث.

[١٦٢] القسم الأول ٦٥٨٢ حديثًا، والثاني ٤٥٣٢ حديثًا.

[١٦٣] السابق ج١، ٧٤–٧٥.

[١٦٤] السابق ص٣–٩.

[١٦٥] الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: السنن الكبرى «ثلاثة أجزاء»، قدَّم له واعتنى به وخرَّج أحاديثه أبو أنس جاد الله بن حسن الخداش، مكتبة الرشد، الرياض، الدار العثمانية، عمان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[١٦٦] حوالي ٤٠٠ اختلاف وعشرة اتفاقات.

[١٦٧] السنن الكبرى ص١١٥٦–١١٨٦، ١١٨٦–١٢٠٤.

[١٦٨] السابق ص٢٠٣٧.

[١٦٩] المدينة، والشام، ومصر، واليمن، ونجد، والعراق؛ السابق ص٥٦١.

والوليمة والأشربة مُترابطان. والرجم وقطع يد السارق كلاهما حدود. وكتاب الإيمان والنذور لا يستوجب كتابًا خاصًّا للنذور. أكبرها عمل اليوم والليل وهو عنوان رسالة للحسَن البصري، ثم التفسير، ثم المساجد، ثم المناسك.[١٧١] وأصغرها العقيقة، والعارية والوديعة، والرقى. والجهاد الصغير.[١٧٢] وهناك مسائل تجاوزها الزمن مثل: السواك، بعد انتشار فرشاة الأسنان، والاستطابة بحجر بعد انتشار المياه وأوراق الحمام، وربط الأسير بسارية المسجد، والأسرى الآن لهم حقوقهم محفوظة بالمواثيق الدولية، وإرضاع الكبير يتعارَض مع العقل الواقع، وقص الشارب وإطالة اللحى عادة عربية.[١٧٣] وهناك أمور

[١٧٠] (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) السهو، (٤) التطبيق، (٥) المساجد، (٦) الجمعة، (٧) صلاة العيدين، (٨) الاستسقاء، (٩) قصر الصلاة في السفر، (١٠) الجنائز، (١١) الزكاة، (١٢) الصيام، (١٣) الاعتكاف، (١٤) المحاربة، (١٥) المناسك، (١٦) الجهاد، (١٧) الخيل، (١٨) قسم الخميس، (١٩) العقيقة، (٢٠) الفرع والعشيرة، (٢١) المزارعة، (٢٢) الإيمان والنذور، (٢٣) النذور، (٢٤) الصيد، (٢٥) العتق، (٢٦) الأشربة، (٢٧) النكاح، (٢٨) الطلاق، (٢٩) إحياء الموات، (٣٠) العارية والوديعة، (٣١) السؤال، (٣٢) اللقطة، (٣٣) العلم، (٣٤) القضاء، (٣٥) البيوع، (٣٦) الفرائض، (٣٧) النحل، (٣٨) الهبة، (٣٩) الرقى، (٤٠) العمرى، (٤١) الوليمة، (٤٢) الأشربة المحظورة، (٤٣) القسامة، (٤٤) وفاة النبي، (٤٥) الرجم، (٤٦) قطع يد السارق، (٤٧) الطب، (٤٨) النعت، (٤٩) البيعة، (٥٠) الاستعاذة، (٥١) فضائل القرآن، (٥٢) المناقب، (٥٣) الخصائص، (٥٤) السير، (٥٥) عشرة النساء، (٥٦) الزينة، (٥٧) عمل اليوم والليلة، (٥٨) التفسير، (٥٩) الشروط، (٦٠) الرقائق، (٦١) المواعظ، (٦٢) الملائكة.

[١٧١] عمل اليوم والليلة (١٧٤)، (٢) التفسير (١٤٨)، (٣) المساجد (١٤٤)، (٤) المناسك (١٠٢)، (٥) الزينة (٦٧)، (٦) عشرة النساء (٦٦)، (٧) السِّير (٥٩)، (٨) الطهارة، المناقب (٤٧)، (٩) الجنائز، النكاح (٤٢)، (١٠) الرجم (٣٩)، (١١) الخصائص (٣٨)، (١٢) البيوع (٣٧)، (١٣) الأشربة (٣٥)، (١٤) الصلاة، الزكاة (٣٤)، (١٥) الطلاق (٣٢)، (١٦) الفرائض (٣١)، (١٧) الطب (٣٠)، (١٨) الوليمة (٢٨)، (١٩) التطبيق، المحاربة (٢٥)، (٢٠) القسامة (٢٦)، (٢١) القضاء (٢٣)، (٢٢) الصيام، العتق، الاستعاذة (٢٣)، (٢٣) فضائل القرآن (٢٢)، (٢٤) الجهاد (٢٤)، (٢٥) النعوت (١٨)، (٢٦) الاستسقاء، قسم الخمس، المزارعة، الأشربة المحظورة (١٧)، (٢٧) العلم (١٦)، (٢٨) السهو، الجمعة، الصيد (١٥)، (٢٩) الاعتكاف (١٤)، (٣٠) البيعة (١١)، (٣١) الرقاق (١٠)، (٣٢) وفاة النبي، الشروط (٩)، (٣٣) صلاة العيدين، قصر الصلاة في السفر (٨)، (٣٤) الإيمان والنذور، الملائكة (٧)، (٣٥) الخيل، الفرع والعشيرة، اللقطة، العمرى (٦)، (٣٦) النذور، المواعظ (٥)، (٣٧) إحياء الموات، (٣٨) النحل، الهبة (٣)، (٣٩) العقيقة، العارية والوديعة، الرقبى (٢).

[١٧٢] السابق ص٦٥٨–٦٧٧.

[١٧٣] السابق ص٥، ١٠–١١، ٨٣٤، ١٣٠.

أخرى أقرب إلى الخيالات مثل سجود الملائكة يوم الجمعة أمام أبواب المسجد، ولعن إبليس، وخنق الشيطان في الصلاة.[١٧٤]

«شروط الأئمة الستة» لمحمد طاهر المقدسي (٥٠٧هـ)[١٧٥]

وهي دراسة مقارنة لكتُب الإصحاحات الستة من حيث الصحة التاريخية للسند أو فهم المتن أو الزيادة والنقصان، ومعرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بينها. هي دراسة لشروط الإصحاحات الستة النظرية والتطبيقية أفضل ممَّا قام به المُحدثون. ولا يُوجَد شرط واحد مُتفق عليه بين الإصحاحات الستة. شرط البخاري ومسلم النقل عن الصحابي المشهور واتصال الإسناد. فإن كان للصحابي راويان فالحديث حسن. ثم أخرج مسلم ما تركه البخاري بعد إزالة الشبهة. الشرط عند البخاري العدالة والثقة.[١٧٦] ثم جاء أبو داود فقسم الحديث إلى صحيحٍ وهو ما خرج على شرط البخاري ومسلم، والثاني ما لم يكن كذلك وتفرَّد به.[١٧٧] والثالث المُتضادة لعِلَلها، وهو ما لا يمنع من إيرادها. قسم الترمذي صحيحه إلى أربعة أقسام: صحيح مقطوع به وهو ما وافق البخاري ومسلم. والثاني على شرط الثلاثة السابقين، وثالث للضدية وبيان عليه، ورابع عمل به بعض الفقهاء.[١٧٨]

(ز) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبَّان» (٣٥٤هـ)[١٧٩]

وهو كتاب ضخم يتجاوز الألفي صفحة، جمع ابن حبان وترتيب الخراساني (٧٣٩هـ). فهو عمل جماعي عن اثنين من المُحدِّثين مما يدل على أن الجمع كرصدٍ لا يكفي دون ترتيب، أي رؤية للسلوك الفردي والاجتماعي. وهو إملاء وليس كتابة. يعتمد على أسلوب

---

[١٧٤] السابق ص٢٧٥، ٩٠.

[١٧٥] الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: شروط الأئمة الستة، ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، شركة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ص٨٥–١٠٥.

[١٧٦] السابق ص٨٦.

[١٧٧] حفظ البخاري ١٠٠٠٠٠ حديث صحيح، ٢٠٠٠٠٠ حديث غير صحيح، وأخرج مسلم صحيحه من ٣٠٠١٠٠ حديث غير مسموع، السابق ص٨٩.

[١٧٨] السابق ص٩١–٩٢.

القول، قال ... قلت.[180] يبدأ بمقدمة نظرية. النص الأصلي بعنوان «التقسيم والأنواع» مما يدل على أهمية التبويب. ويبدأ المُبوِّب الثاني بذكر محاسن المؤلِّف الأول، وخطبته أي مقدمته النظرية، ثم تبويبه. ويبدو غلبة الفقه على الحديث، وعدم التمايُز بين المُحدثين والفقهاء.[181] إذ ينقسم الحديث كله إلى خمسة أقسام: الأوامر، النواهي، والأخبار، والمباهات، وأفعال النبي. الأوامر والنواهي متقابلان، وأفعال النبي تقترب من السيرة، وخروج السيرة من علم الحديث، من الرسالة إلى الرسول، ومن القول إلى القائل.[182] وتنقسم الأوامر إلى مائةٍ وعشرة. والنواهي إلى مائة وعشرة كذلك.[183] والأخبار إلى ثمانين نوعًا، معظمها من الغيبيات في الماضي والمستقبل، في التاريخ الماضي، وفي ما بعد الموت.[184] والمباهات تشتمل المكروه والمندوب؛ خمسون نوعًا.[185] وأفعال النبي عن سيرته خمسون نوعًا كذلك. وتنتهي المقدمة النظرية بوضع منطقٍ للرواية أدخَلُ في علم مصطلح الحديث. وتبدأ ببيان الخبر الذي تتنازع فيه الأئمة وتأويله. وتُوضَع السنن داخل أصولها في القرآن. وتظهر أهمية شروط الراوي: العدالة، والصدق، والعقل، والعلم، والخلو من التدليس. ويحذر من الزيادة في المتون، وانتحال المذاهب، مثل الإرجاء، وهو مذهب السلطة، والرفض، مذهب المعارضة، والاختلاط في أواخر العمر، والتدليس.[186] ويذكر السند مع المتن. ويخلو جمع الأحاديث من الحِكَم على درجة صحتها، كما هو الحال في كتب الأحاديث الموضوعة. وتتكرَّر بعض الأحاديث. وتقل الأحاديث الطوال وتندُر الروايات الطويلة.[187]

---

[179] الإمام أبو حاتم محمد بن حبان الخراساني: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الإمام الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفاسي، حقق أصوله وخرَّج أحاديثه الشيخ خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، (طباعة فاخرة بلونَين وورق جيد بعد تحوُّل علم الحديث إلى علم مقدس).

[180] السابق ص٩٩–١٠٤.

[181] السابق ص٦٧–١٠٨.

[182] السابق ص٦٨–٧١.

[183] السابق ص٧١–٨٦.

[184] السابق ص٨٧–٩١.

[185] السابق ص٩١–٩٤.

[186] السابق ص٩٤–٩٧.

[187] الأحاديث الطوال ص٢٠٢، ٢٨٧–٢٨٩. الروايات الطويلة ص٢٢٩–٢٣١.

ويتضمن الكتاب سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة وتسعين حديثًا. تستند إلى حوالي سبعمائة آية وبيتَين من الشعر.[١٨٨] تتوزَّع على ستين قسمًا؛ مقدمة وتسعة وخمسين كتابًا.[١٨٩] تزيد بعض الكتب الغيبية مثل الوحي والإسراء والنجوم والأنوار والكهانة والسحر والتاريخ. أي بدء الخلق. وتظهر بعض الكتب الأخلاقية الصوفية مثل الرقائق، وتشبه الدقيق في طبيعيات علم الكلام. أكبرها التاريخ؛ أي بدأ الخلق وهو كتاب غيبي خالص في البخاري ومملوء بالإسرائيليات وثقافات الشعوب المجاورة، ثم مناقب الصحابة، وهو أقرب إلى التاريخ، ثم السِّيَر وهو أقرب إلى السيرة، ثم الرقائق، وهو أقرب إلى الأخلاق والتصوف ثم الطهارة. فالكتب الخمسة الأولى من حيث الحجم خارج علم الحديث. وأصغرها الكهانة والسحر وهو أيضًا موضوع غيبي لا يتعلق بالأحاديث العملية.[١٩٠]

---

[١٨٨] الأحاديث (٧٤٩٤)، الأشعار (٢).

[١٨٩] (١) مقدمة، (٢) الوحي، (٣) الإسراء، (٤) العلم، (٥) الإيمان، (٦) البر والإحسان، (٧) الرقائق، (٨) الطهارة، (٩) الصلاة، (١٠) الجنائز، (١١) الزكاة، (١٢) الصوم، (١٣) الحج، (١٤) النكاح، (١٥) الرضاع، (١٦) الطلاق، (١٧) العتق، (١٨) الإيمان، (١٩) النذور، (٢٠) الحدود، (٢١) السِّيَر، (٢٢) اللقطة، (٢٣) الوقف، (٢٤) البيوع، (٢٥) الحجر، (٢٦) الحوالة، (٢٧) الكفالة، (٢٨) القضاء، (٢٩) الشهادات، (٣٠) الدعوى، (٣١) الصلح، (٣٢) العارية، (٣٣) الهبة، (٣٤) الرقبى والعمرى، (٣٥) الإجارة، (٣٦) الغصب، (٣٧) الشفعة، (٣٨) المزارعة، (٣٩) إحياء الأموات، (٤٠) الأطعمة، (٤١) الأشربة، (٤٢) اللباس وآدابه، (٤٣) الزينة والتطيب، (٤٤) الحظر والإباحة، (٤٥) الصيد، (٤٦) الذبائح، (٤٧) الأضحية، (٤٨) الرهن، (٤٩) الجنايات، (٥٠) الديات، (٥١) الوصية، (٥٢) الأنوار، (٥٣) الرؤيا، (٥٤) الطب، (٥٥) الرقاء والتمائم، (٥٦) العدوى والطيرة والفأل، (٥٧) النجوم والأنوار، (٥٨) الكهانة والسحر، (٥٩) التاريخ، (٦٠) الأخبار عن مناقب الصحابة ورجالهم ونسائهم بذرك أسمائهم.

[١٩٠] (١) التاريخ (١٩٣)، (٢) مناقب الصحابة (١٨٣)، (٣) السير (١٥٥)، (٤) الرقائق (١٠٥)، (٥) الطهارة (٩٨)، (٦) البر والإحسان (٨٢)، (٧) الحج (٨٠)، (٨) الجنائز (٧٦)، (٩) الحظر والإباحة (٧٤)، (١٠) الصوم (٥٤)، (١١) الزكاة (٥٣)، (١٢) النكاح (٤٨)، (١٣) الصلاة (٤٥)، (١٤) الإيمان (٤٢)، ١٥ البيوع (٣٣)، (١٦) الأطعمة (٢٥)، (١٧) الأشربة (٢٣)، (١٨) الزينة والتطيب (٢١)، (١٩) الحدود (١٨)، (٢٠) العلم (١٧)، (٢١) الطلاق (١٤)، (٢٢) الرضاع (١٣)، (٢٣) الجنايات (١١)، (٢٤) الإيمان، اللباس وآدابه (١٠)، (٢٥) المقدمة، الأضحية، الرهن (٩)، (٢٦) الأسرار، القضاء، الهبة (٨)، (٢٧) الرقاء والتمائم (٧)، (٢٨) العتق (٦)، (٢٩) الوحي، النذور، الإجازة، المزارعة، الرؤيا، الطب (٥)، (٣٠) اللقطة، الرقبى والعمرى، الغصب، الذبائح، الديات، العدوى والطيرة والفأل (٤)، (٣١) الشفعة (٣)، (٣٢) الدعوى والفرائض (٣)، (٣٣) الوقف، إحياء الموتى، الصيد، الوصية، النجوم والأنوار (٢)، (٣٤) الحجر، الحوالة، الكفالة، الشهادات، الصلح، العادية، الكهانة والسحر (١).

(٢) السنن

(أ) «سنن الأوزاعي، أحاديث وآثار وفتاوى» للأوزاعي (١٥٧هـ)[١٩١]

وهو صاحب المذهب الفقهي المشهور في الشام. تتداخل سننه مع آثاره وآرائه وفتاويه ممَّا يدل على إمكانية تدخُّل المُحدِّث بشخصه في الجمع، ولا يكتفي بمجرد الجمع والرصد والتسجيل. وهي مبوبة طبقًا للتبويب الفقهي مثل باقي السنن، ستة وسبعين بابًا صغيرة.[١٩٢] منها أبواب غيبية تخرج عن غاية الحديث العملية مثل الملائكة والشياطين والجن والجنة والنار والدجال.[١٩٣] يبدأ بالكتب النظرية مثل بدء الخلق، بدء الوحي، الإيمان، العلم. ويتكرر الحديث بصياغاتٍ مختلفة. تضم ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وتفصِّل الطهارة في ستة أبواب كان يمكن ضمُّها في باب واحد. وفصَّلَت الصلاة في ستة عشر كتابًا كان يمكن ضمُّها في كتاب واحد. وبعض الأبواب أدخل في التصوف الخلقي، مثل ليلة القدر والاعتكاف والدعاء والذكر والتسبيح والاستغفار. فالفقه يتعلق بأعمال الجوارح،

---

[١٩١] الإمام عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي: سنن الأوزاعي، تصنيف الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

[١٩٢] (١) بدء الخلق، (٢) بدء الوحي، (٣) الإيمان، (٤) العلم، (٥) الطهارة، (٦) الحيض، الاستحاضة، (٧) الغسل، (٨) الوضوء، (٩) المسح على الخفين، (١٠) التيمم، (١١) الصلاة، (١٢) مواقيت الصلاة، (١٣) الأذان والإقامة والإمامة، (١٤) كيفية الصلاة، (١٥) القراءة في الصلاة، (١٦) ما يجوز في الصلاة، (١٧) تخفيف الصلاة، (١٨) السهو، (١٩) جامع، (٢٠) تطوع النهار، (٢١) الوتر، (٢٢) الجمعة، (٢٣) العيدين، (٢٤) الجنائز، (٢٥) الاستقساء، (٢٦) صلاة الخوف، (٢٧) صلاة الكسوف، (٢٨) القنوت، (٢٩) الزكاة، (٣٠) الصيام، (٣١) ليلة القدر، (٣٢) الاعتكاف، (٣٣) الحج والعمرة، (٣٤) النكاح، (٣٥) الطلاق، (٣٦) الرضاع، (٣٧) الفرائض، (٣٨) الهبة، (٣٩) العمرى، (٤٠) الوصايا، (٤١) الجهاد، (٤٢) المحاربين من أهل الكفر والردة، (٤٣) السير، (٤٤) الخمس وقسمة الغنائم، (٤٥) الحدود، (٤٦) القصاص، (٤٧) الصيد والأطعمة، (٤٨) الأشربة، (٤٩) اللباس والزينة، (٥٠) الإيمان والنذور، (٥١) الأقضية والشهادات، (٥٢) البيوع، (٥٣) الربا، (٥٤) السلم، (٥٥) الضمان والكفالة، (٥٦) الشفعة، (٥٧) أحكام العبيد، (٥٨) التفسير، (٥٩) تعبير الرؤيا، (٦٠) من أحاديث الأنبياء، (٦١) الفضائل، (٦٢) الدعاء، (٦٣) الذكر، (٦٤) الاستعاذة، (٦٥) التسبيح، (٦٦) الاستغفار، (٦٧) الأدب، (٦٨) الملائكة، (٦٩) الشيطان، (٧٠) الجن، (٧١) الإمارة، (٧٣) الدجال، (٧٤) الحساب، (٧٥) من أحاديث النار، (٧٦) من أحاديث الجنة.

[١٩٣] الأدب (٣٧)، الجهاد (٣٠).

والتصوف بأعمال القلوب. وأكبر الأبواب كتاب الأدب ثم الجهاد. وأصغرها الرضاع ثم الشيطان، وأحاديث النار، والذكر، وتعبير الرؤيا، والعمرى، وصلاة الخوف، والتيمم.

(ب) «سنن الدارمي» للدارمي (٢٥٥هـ)[١٩٤]

وهي سنن مثل غيرها. تُبوِّب الأحاديث طبقًا للتبويب الفقهي في أبوابٍ أقل. اثنين وعشرين بابًا.[١٩٥] وتتكرَّر بعض الأبواب مثل كتاب الصلاة في كتابين دون كتاب في الطهارة. وتخصِّص أبوابًا للعيدين. وتضمُّ ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانية وتسعين حديثًا. منها أحاديث طوال. وأكبر الأبواب الصلاة، ثم الفرائض، ثم المناسك، ثم فضائل القرآن. وأصغرها الصيد والنذور والإيمان.[١٩٦] وأهم ما يُميز السنن هي المقدمة عن مقارنة العرب قبل الإسلام وبعدَه والتركيز على شخص الرسول؛ أي وضع السنن في إطارٍ من فلسفة التاريخ. فقد كان الناس قبل الإسلام على حالٍ من الجهل والضلالة، ثم جاء النبي وآمَن الشجر والبهائم والجن به. وفجَّر الماء بين أصابعه. وحنَّ المنبر إليه. ونال الطعام البركة بين يديه. وأُعطي النبي الفضل ونزول الطعام من السماء. وكلَّم الموتى. وكان حسَن الطلعة سخيًّا متواضعًا. وأكرمه الله بعد وفاته بحِفظ السنة وأتباعها. ويكره الفتية بالرأي والتنطُّع والتبدُّع، ويستحسن الاقتداء بالعلماء والتشبُّث بالحديث. والعلم مقرون بالعمل واجتناب الأهواء، وضرورة توفُّر النية والترخُّص في كتابة العلم دون شهرة، والرحلة في طلَب العِلم ضرورية.[١٩٧]

---

[١٩٤] الإمام أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي: سنن الدارمي (جزءان في مجلد واحد)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[١٩٥] وهي: (١) الصلاة، (٢) الزكاة، (٣) الصوم، (٤) المناسك، (٥) الأضاحي، (٦) الصيد، (٧) الأطعمة، (٨) الأشربة، (٩) الرؤيا، (١٠) النكاح، (١١) الطلاق، (١٢) الحدود، (١٣) النذر، (١٤) الديات، (١٥) الجهاد، (١٦) السير، (١٧) البيوع، (١٨) الاستئذان، (١٩) الرقائق، (٢٠) الفروض، (٢١) الوصايا، (٢٢) فضائل القرآن.

[١٩٦] (١) الصلاة (١٥٣)، (٢) الفرائض (٣٩)، (٣) المناسك (٣١)، (٤) فضائل القرآن (٣٠)، (٥) الرقائق (٢٩)، (٦) البيوع (٢٣)، (٧) الصوم، النكاح (١٩)، (٨) الوصايا (١٨)، (٩) الاستئذان (١٦)، (١٠) الزكاة، السير (١٤)، (١١) الأطعمة (١١)، (١٢) الأضاحي، الجهاد (١٠)، (١٣) الأشربة (٩)، (١٤) الحدود، الديات (٨)، (١٥) الطلاق (٧)، (١٦) الرؤيا (٦)، (١٧) الصيد، النذور والإيمان (٤).

[١٩٧] السابق ص٩–١٧.

(جـ) «سنن الدارقطني» لعلي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ)[١٩٨]

وهي مجموعة من السنن طبقًا للتبويب الفقهي، ثلاثة وعشرين كتابًا.[١٩٩] كل كتاب عدة أبواب. وتفصل الصلاة في عدة كتب مثل الصلاة، والجمعة، والوتر، والعيدين، والاستسقاء، والجنائز. كما تفصل الزكاة في كتابين: الزكاة، وزكاة الفطر. الغيبيات أقل. ويتكرر الحديث أكثر من مرة. وأكبرها الطهارة ثم الصلاة.[٢٠٠] وأصغرها الأقضية والإحكام. ويدخل التاريخ مع الفقه في «كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري». ليس بها جديد بالرغم ممَّا نالها من شهرةٍ كمصدر للحديث وكموضوع للدراسة والمراجعة.

«أطراف الغرائب والإفراد للدارقطني» لأبي الفضل المقدسي (٥٠٧هـ)[٢٠١]

وهي دراسة أحد القدماء لدراسةٍ قديمة، التراث ينقد نفسه، ويدرس نفسه بنفسه، هو نوع من النقد الذاتي، الهدف مراجعة كتاب الدارقطني «أطراف الإفراد» من المقدسي يراجع ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وأربعين حديثًا مع تحديد لأنواع الإفراد وهي خمسة. الأول

---

[١٩٨] شيخ الإسلام الحافظ الإمام علي بن عمر الدارقطني: سنن الدارقطني، وبذَيله التعليق المُغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد أبادي (أربعة أجزاء في مُجلَّدين)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

[١٩٩] (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) الجمعة، (٤) الوتر، (٥) العيدين، (٦) الاستقاء، (٧) الجنائز، (٨) الزكاة، (٩) زكاة الفطر، (١٠) الصيام، (١١) الحج، (١٢) البيوع، (١٣) الحدود والديات، (١٤) النكاح، (١٥) الطلاق والخلع والإيلاء، (١٦) الفرائض، (١٧) السير، (١٨) المكاتب، (١٩) الأحباس، (٢٠) الأقضية والأحكام، (٢١) كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري، (٢٢) الأشربة، (٢٣) السبق بين الخيل.

[٢٠٠] (١) الطهارة (٢١٦)، (٢) الصلاة (١٩٨)، (٣) الحدود والديات (١٣٥)، (٤) النكاح (١٠٩)، (٥) الحج (٨٧)، (٦) البيوع (٧٨)، (٧) الطلاق (٦٥)، (٨) المكاتب (٦٤)، (٩) الصيام (٥٩)، (١٠) الأشربة (١١)، (١١) الزكاة (٤٩)، (١٢) كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري (٤١)، (١٣) الفرائض (٣٩)، (١٤) الوتر (٢٣)، (١٥) العيدين (٢٢)، (١٦) الجنائز (١٩)، (١٧) الأحباس، السير، الجمعة، زكاة الفطر (١٨)، (١٨) السبق بين الخيل (٩)، (١٩) الاستقاء (٤)، (٢٠) الأقضية والأحكام (٣).

[٢٠١] الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي على كتاب الإفراد للدارقطني: أطراف الغرائب والإفراد للدارقطني، مُذيلًا بثلاثة أجزاء من كتاب «الإفراد» للدارقطني، وهي الثاني والثالث والثمانون. نسخَه وصحَّحه جابر بن عبد الله السريع (جزءان)، دار التدمرية، دار ابن حزم، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

إفراد صحيح، وهو أن يُشتهر الصحابي برواية جماعة من التابعين ثم ينفرد بحديثٍ عنه أحد الرواة الثقات لم يرووه عنه غيره، ويرويه عن التابعين رجل واحد من الأتباع ثقة. والثاني حديث يرويه جماعة من التابعين عن الصحابي ويرويه عن كلٍّ واحدٍ منهم جماعة، فينفرد بعض رُواته بالرواية عن رجلٍ واحد. والثالث حديث ينفرد بزيادة ألفاظٍ فيه واحد عن شيخه ولم يروِ تلك الزيادة غيره. والرابع متون اشتُهرت عن جماعةٍ من الصحابة أو عن واحدٍ منهم، فيروي عن غيره من الصحابة، فمن لا يعرف به إلَّا من طريق هذا الواحد. والخامس أسانيد ومتون ينفرد بها أهل بلدٍ ولا تُوجَد إلا من روايتهم وسُنَن ينفرد بها أهل مصر ولا يُعمَل بها إلا عندهم.[٢٠٢] ويُقَسِّمه المؤلف إلى خمسة فصول. الأول ما أسنده العشرة في هذا الكتاب. والثاني مسانيد من اشتُهر بالأسماء عن الصحابة على المعجم وترتيب الرواة عنهم.[٢٠٣] والثالث من اشتُهر بالكُنى وإن كان له اسم معروف. والرابع ما أسند عن النساء من سُمِّي وكُني. والخامس ما ورد فيه من المراسيل والمجاهيل ولم يُسمِّه.[٢٠٤]

«من تكلم فيه الدارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين المجهولين» لابن زُريق الحنبلي (٨٠٣هـ)[٢٠٥]

ويحتوي على مجرد أسماء أعلام مُرتبة أبجديًّا لخمسمائة واثنين وعشرين علَمًا، وأربعة وثلاثين حديثًا؛ مجرد رصد دون مقدمات نظرية أو حُكم على درجة الصحة التاريخية. والأحاديث قولية وفعلية، وهو أقصر من «كتاب الضعفاء والمتروكين» للدارقطني؛ مجرد تحقيق تاريخي دون شواهد قرآنية أو شعرية. وتتكرَّر بعض الأحاديث. وتنقطع لأجزاء في الحوار. البعض منها متروك بلا تعليق مثل «تنكح المرأة بحفنة أو حفنتين من الدقيق.» وكأنها عاهر بأجر.[٢٠٦] وهو يدل على أهمية الراوي على المروي، والمُحدِّث على الحديث.

---

[٢٠٢] السابق ص٢٩–٣٠.

[٢٠٣] مسانيد من اشتُهر بالأسماء من الرجال (١١)، شيوخ الدارقطني (١٤٣)، الجرح والتعديل (٦٠)، أصحاب الأقوال النقدية والفقهية عند الدارقطني (٣٠)، مسانيد الجزء الثاني (١٤٦)، مسانيد النساء (٤٤).

[٢٠٤] السابق ص٣٢.

[٢٠٥] ثلاث رسائل في علم الجرح والتعديل، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٠م، ص١٧٣–٢٦٧.

(د) «السنن الصغرى» للبيهقي (٤٥٨هـ)[٢٠٧]

والعنوان الأدنى «السنن الصغير» وصفًا للكتاب وليس للسنن في مقابل «السنن الكبرى». والفرق في الحجم. وقد استمرَّ ظهور السنن إلى هذا الوقت المتأخِّر حتى القرن الخامس ربما لنسيان حديثٍ في الإصحاحات والسنن والمجاميع الأولى. وما فائدة جمع المجموع سابقًا إذا لم يُضف الجديد؟ وقد يترك هذا الجمع المستمر فرصة لوضع أحاديث جديدة يتم جمعها. كذلك يكثُر الوضع في كتب الحديث المتأخرة أكثر من المتقدمة.

فقد ظهرت دوافع جديدة للاستمرار في جمع السنن مثل النزاع العقائدي والخلاف بين الفِرَق الكلامية واختيار كل فرقةٍ ما يُناسبها من الأحاديث لتدعيم موقفها العقائدي والسياسي لتقوية الإيمان بها وتركيز سلطتها.[٢٠٨] وهي المقدمة النظرية الوحيدة للكتاب دون وعي نظري آخر بطرق الجمع وتبويبه وترتيبه واختياره. حذفًا وإضافة. ويضم الكتاب أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثمانين حديثًا، وحوالي خمسمائة وخمسين آية. وتختفي الشواهد الشعرية. وتقل الأحاديث الطوال.[٢٠٩] ومضمونها غيبي. وبعض المسائل قد تجاوزها الزمن في الوضوء أو رفع اليدين أو ثنيها في الصلاة أو تفضيل سور القرآن بعضها على بعض أو الحرية من الإبل أو الغنائم.[٢١٠]

وتتضمن السنن ثمانية وعشرين كتابًا معظمها في العمليات وليست في النظريات.[٢١١] غابت منها كتُب التوحيد وبدء الخلق، وحضرت كتُب أخرى في ظهور المُرتد والصراع

---

[٢٠٦] السابق ص٢١٩.

[٢٠٧] إمام المحدثين الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي: السنن الصغرى «جزءان»، حقق أصوله، وخرج أحاديثه، ورقَّمه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٢٠٨] «تصنيف كتاب مُختصر في بيان ما يجب على العاقل البالغ اعتقاده والاعتراف به في الأصول، مُنور بذِكر أطراف أدلته من كتاب الله وسنة الرسول، ومن إجماع السلف ودلائل النقول ... تصنيف كتاب يشتمل على بيان ما يجب أن يكون مذهبه بعدما صح اعتقاده في العبادات والمعاملات والمناكحات والحدود والسِّير والحكومات ...» السابق ج١، ٥. «ما نويتُه من بيان مذهب أهل السنة والجماعة في استعمال الشريعة على طريقة الاختصار.» السابق ص٦.

[٢٠٩] السابق ص٨٧–٨٨.

[٢١٠] السابق ج١، ٣٢١–٣٢٨. ج٢، ٢٤٣–٢٥٤.

[٢١١] وهي: (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) فضائل القرآن، (٤) الجنائز، (٥) الزكاة، (٦) الصيام، (٧) المناسك، (٨) البيوع، (٩) الفرائض، (١٠) النكاح، (١١) الخلع والطلاق، (١٢) الإيلاء، (١٣) النفقات، (١٤) الجارح، (١٥) الديات، (١٦) قتال أهل البغي، (١٧) المرتد، (١٨) الحدود، (١٩) الأشربة،

السياسي وقتال أهل البغي والمرتد. ينقصها الترتيب والتواصل. إذ يفصل كتاب الجنائز من كتاب الصلاة بكتاب فضائل القرآن. وكتب النكاح والخلع والطلاق والإيلاء والنفقات موضوع واحد هو الأحوال الشخصية. والجراح والديات موضوع واحد هو التعويض. وقتال أهل البغي والمرتد موضوع واحد هو الموقف من الخصوم السياسيين. وآداب القاضي والشهادات والدعوى والبيانات موضوع واحد وهو القضاء. أكبرها الصلاة ثم المناسك من العبادات ثم البيوع والنكاح والسير من المعاملات. قتال أهل النبي والمُرتد ثم الدعوى والبينات.[٢١٢]

ولا يمكن استيعاب وتحليل كل إصحاح وسنن وجوامع الحديث كلها بعد أن أصبح التأليف فيه مُستمرًّا إلى القرون المتأخرة. فكل مُحدِّث له مجموعته. يكرر أحاديث المجموعات السابقة ويزيد عليها ما ظنَّه أنه نقصها. وقد يكون مشهورًا أو مُختلَفًا عليه أو غريبًا أو موضوعًا. وما دام القرآن فيه غِنًى عن كل شيء فالاستمرار في جمع الحديث بهذه الطريقة المتواصلة قد ينشغل الناس به عن القرآن ذاته. ولا جديد في جمعٍ إلا إعادة الرصد والدراسة والتحقُّق من صِدق الجمع السابق. يبدو أن علم الحديث عند القدماء استوفى غرضه وأدى مهمته ولم يعُد التأليف فيه ذا فائدة إلا نيل درجة علمية، أو تلبية مطلب ناشر، أو ادعاء، أو رغبة في شهرة.

(٣) المسانيد

(أ) «مُسند الإمام زيد» لزيد بن علي (١٢٢هـ)[٢١٣]

والمسانيد هي مجموعات أحاديث شخصية لأئمة أو مُحدِّثين أو صحابة أو من بيت الرسول، روَوها بأنفسهم أو رواها آخرون عنهم، ونُسبت إليهم. ولم يقتصر جمع الأحاديث على أئمة السُّنة فقط وفقهائهم، بل شمل أيضًا أئمة الشيعة مثل الإمام الشهيد زيد بن علي. يقاتلون ويتعلمون. يستشهدون ويعلمون. فهم مُحدِّثون شهداء على عكس بعض مُحدِّثي أهل السنة الذين كانوا علماء السلطان. وقد كان جمع الحديث مبكرًا. بل وسابقًا على جمع أهل السنة خوفًا من الوضع، ولجمع الصحيح قبل أن يختلط بالموضوع. وربما اعتمدت

---

(٢٠) السير، (٢١) الجزية، (٢٢) الصيد والذبائح، (٢٣) الإيمان والنذور، (٢٤) آداب القاضي، (٢٥) الشهادات، (٢٦) الدعوى والبينات، (٢٧) العتق، (٢٨) المكاتب.

عليها الإصحاحات الستة. وقد كان جمعًا شفاهيًّا قبل التدوين للسند والمتن، للسنة القولية والسنة العملية. الأقوال المباشرة أكثر من الرواية التي قد يتدخل فيها الخيال. والرواية عن جدِّه منها سماعًا مباشرًا ومنها بتوسط. فالقضية شخصية عائلية. يعتمد نادرًا على القرآن والشعر.[٢١٤] وتصنف الأحاديث طبقًا لأبواب الفقه، أربعة عشر بابًا.[٢١٥] أكبرها الفرائض ثم الصلاة. وأصغرها الشركة ثم الشهادات.[٢١٦] فالعبادات لها الأولوية على المعاملات.

(ب) «مسند أبي حنيفة» (١٥٠هـ)[٢١٧]

ويقوم على تتبُّع أسانيد أبي حنيفة من الرواة وليس على أبواب الفقه، ثمانية وسبعون إسنادًا لرواتهم، وتسعمائة وخمسة عشر حديثًا مُسندون إلى رواتهم ليس على التساوي. قد يُسند حديث واحد لراوٍ واحد أو عشرين. وتعني «مُسند» هنا طريق الرواية، السند وليس المتن. ولا تُرقَّم الأسانيد في حين تُرقَّم الأحاديث. وكل إسناد به مُحدثون فرعيُّون. وهي رواية الحارثي قبل التدوين. تغيب الأحاديث الطوال والروايات الخيالية. ويغلب على المسند النزعة العملية الغالبة على المُحدِّثين الفقهاء. يخلو من أي مقدمة نظرية، مجرد إحصاء للرواة بعد أن تحوَّلت المقدمة النظرية للمسانيد إلى «علم مصطلح الحديث». يعتمد على القرآن دون الشعر في حين أن الشافعي صاحب ديوان.[٢١٨]

---

[٢١٢] (١) الصلاة (٢٣٢)، (٢) المناسك (١٢٦)، (٣) البيوع (١٢٥)، (٤) النكاح (٩٧)، (٥) السير (٧٨)، (٦) الطهارة (٧١)، (٧) الذبائح، (٨) الإيلاء (٥٨)، (٩) الحدد (٥٠)، (١٠) الصيام، الشهادات (٤٧)، (١١) الديات (٤٥)، (١٢) الزكاة (٤٢)، (١٣) الأشربة (٤١)، (١٤) الجنائز (٣٩)، (١٥) الجزية (٣٧)، (١٦) الإيمان والنذور (٣٦)، (١٧) الخلع والطلاق (٣٥)، (١٨) الجراح (٢٧)، (١٩) الفرائض (٢٦)، (٢٠) فضائل القرآن (٢٤)، (٢١) العتق (٢٢)، (٢٢) النفقات (٢١)، (٢٣) آداب القاضي، المكاتب (١٩)، (٢٤) الدعوى والبينات (١٤)، (٢٥) قتال أهل البغي، المرتد (٨).

[٢١٣] الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: مسند الإمام زيد، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

[٢١٤] الآيات (١)، الأشعار (١).

[٢١٥] (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) الجنائز، (٤) الزكاة، (٥) الصيام، (٦) الحج، (٧) البيوع، (٨) الشركة، (٩) الشهادات، (١٠) النكاح، (١١) الطلاق، (١٢) الحدود، (١٣) السير، (١٤) الفرائض.

[٢١٦] (١) الفرائض (٧٠)، (٢) الصلاة (٦٩)، (٣) الطهارة (٤٣)، (٤) الحج (٣٤)، (٥) البيوع (٣٢)، (٦) الجنائز (٢٦)، (٧) الصيام (١٨)، (٨) النكاح، الحدود (١٦)، (٩) الزكاة (١٥)، (١٠) الطلاق، السير (١٤)، (١١) الشهادات (١١)، (١٢) الشركة (٦).

(ج) «مسند أبي داود الطيالسي» لسليمان بن داود بن الجارود (٢٠٤هـ)[٢١٩]

المسند مجموعة من الأحاديث مُرتبة طبقًا للرواة وليس طبقًا لكتب الفقه. جُمع الكثير منها قبل كتُب الإصحاحات الستة. والسؤال هو: هل اعتمدت عليها أم لا؟ ظهر بعضها مع المذاهب الفقهية. فقد تُوفي الطيالسي نفس العام الذي تُوفي فيه الشافعي كما تُوفي أصحاب المذاهب قبل وفاة أصحاب الإصحاحات، مما يدل على أن المذاهب الفقهية كانت أسبق في الظهور من الحديث الكامل في الإصحاحات؛ آخر صياغة لعِلم الحديث وتبويبه موضوعيًّا طبقًا لأبواب الفقه. وتتكرَّر أحاديث الإصحاحات الستة المشهورة. والسؤال هو: ما الذي جعلها متميزة عن باقي الإصحاحات والسنن والمجاميع والمسانيد الأخرى؟ ولماذا البخاري أولًا وهو أكثرها إيغالًا في الأمور الغيبية مثل كتاب «بدء الخلق»؟

والتبويب طبقًا لأسماء الرواة: والسؤال هو: وكيف يتم ترتيب أسماء الرواة؟ لم يتم ذلك أبجديًّا أو جغرافيًّا بل تاريخيًّا طبقًا لقُربهم من النبوة والسماع المباشر من الرسول دون توسُّط. كذلك يبدأ الرواة بالخلفاء الأربعة وبأكثر الصحابة التصاقًا بالرسول قبل أبي هريرة، أو أكثرهم علمًا مثل ابن عباس، أو أقربهم إليه سكنًا مثل عائشة. كما يقوم الترتيب على التعاصُر، وجود راويين في عصرٍ واحد قد يسمع أحدهما من الآخر، وهو أحد شروط صحة الرواية عن طريق صحة العنعنة. كذلك يهم تحديد سنة وفاة الرواة.[٢٢٠] وقد يكون ترتيب الرواة طبقًا للفضل كما هو الحال في ترتيب الطبقات، الأفضل فالأقل فضلًا. وهو حُكم شخصي يتداخل فيه الولاء العقائدي. فلا حرج في الرواية عن معاوية عند أهل السنة. فمعاوية رجل ليس له مال ولا قوة فأصبح خليفة للمسلمين ذا ثروة وسلطة.[٢٢١] وهو مُحرَّم عند الشيعة الذين يُكثرون الرواية عن علي. وعثمان قبل علي عند أهل السنة،

---

[٢١٧] إمام الأئمة، الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي: مسند أبي حنيفة، رواية أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث الحارثي (٣٤٠هـ)، حققه وضبط نصه وخرَّج أحاديثه أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/٢٠٠٨م.

[٢١٨] الآيات (٤٤).

[٢١٩] سليمان بن داود بن الجارود: مسند أبي داود الطيالسي «ثلاثة أجزاء»، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٢٢٠] الطيالسي ج١، ١٥.

[٢٢١] السابق ج١، ٣٣٨.

وعلي قبل عثمان عند الشيعة. وقد يذكر بعض أسماء الرواة دون إسناد أي حديثٍ لهم.[٢٢٢] وهذا يدل على أهمية الراوي على المروي، والسند على المتن، والرواية على موضوعها، دون التطرق لموضوع الصحة سواء في السند أو في المتن. ويكون أقرب إلى التاريخ، تاريخ الرجال أو تاريخ الطبقات. ويُفيد في علم نقد الرجال، أي علم الجرح والتعديل. وتختلف حِرف الرواة بين تجَّار وقُوَّاد وسلاطين.

ويختلف عدد الرواة عن الراوي الأصلي المُسند إليه. وقد يكون أكثرهم رواية غير معروف مثل الزهري، باستثناء علي بن أبي طالب والصحابة. وتشارك النساء في الرواية مثل هند بنت أبي أمية، وبعض الصوفية مثل أبي سعيد الخدري. وقد يكون الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أقلهم رواية حرصًا من التوجُّه نحو الحديث أكثر من الأصل وهو القرآن.[٢٢٣] وقد يروي راوٍ حديثًا واحدًا فقط.[٢٢٤] وتزداد الرواية بتقدُّم الخلفاء. المتقدمون مُقلون، والمتأخرون مُكثرون.[٢٢٥] وكلما كان الراوي مجهولًا زادت نسبة الخيال؛ أي الوضع. وكلما كان معلومًا قل. وكلما تأخر الراوي زادت نسبة الوضع. وكلما تقدَّم قل. فالتاريخ يساعد على الإبداع عن طريق الخيال الشعبي. والأحاديث الطوال أقرب إلى الوضع من الأحاديث القصار. ونظرًا لاستحالة استيعاب الذاكرة لها فإنها تتقطع على مراحل، وفي

[٢٢٢] السابق ج١، ٥٣٩–٥٤٥. «وأما معاوية فرجل لا مال له.» السابق ج٢، ٢٩٢.

[٢٢٣] المسانيد: (١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٧٩)، (٢) علي بن أبي طالب (٦٧)، (٣) سماك بن حرب (٥١)، (٤) ثابت البنائي (٥٠)، (٥) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عبد الله بن عمر (٤٧)، (٦) عويمر بن مالك (٤٥)، (٧) سعيد بن جبير (٤٣)، (٨) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (٤٠)، (٩) إبراهيم بن يزيد النخفي (٣٩)، (١٠) هند بنت أبي أمية أم سلمة (أم المؤمنين) (٣٨)، (١١) سعد بن مالك أبو سعيد الخدري (٣٦)، (١٢) حذيفة ابن اليمان (٣٤)، (١٣) عمرو بن شعيب (٣٣)، (١٤) قتادة المنذر بن مالك أبو نضرة (٣٠)، (١٥) نافع (٢٩)، (١٦) أبو عبيدة بن عبد الله مسعود (٣٣)، (١٧) عبد الله بن الصامت وهب بن عبد الله، أبو جحيفة السوائي (٢٧)، (١٨) شقيق بن سلمة أبو وائل (٢٦)، (١٩) (٢٦)، (٢٠) أبو سليمة بن عبد الرحمن بن عوف (٢٥)، (٢١) سمرة بن جندب (٢٤)، (٢٢) عبد الله بن أبي أوفي، عبد الرحمن بن أبي بكرة (٢٣)، (٢٣) صدي بن عجلان، أبو إمامة الباهلي، عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري (٢٢)، (٢٤) هشام بن عروة (٢١)، (٢٥) أبي بن كعب، عمارة بن ياسر، عمر بن الخطاب (٢٠).

[٢٢٤] الطيالسي ج١، ١٠٦–١٠٧.

[٢٢٥] علي بن أبي طالب، السابق ج١، ٦٠–١٠٥؛ ج٢، ٣١٤.

فقرات، بفعل القول وتكراره. كما تطول الروايات.[٢٢٦] وتطول أحاديث ابن عباس حبر الأمة وعبد الله بن مسعود. ويتغير لفظ الإسناد أحيانًا من «أحاديث» إلى «ما أسند إلى.»[٢٢٧] وقد تُذكَر المسانيد دون عبارة «أحاديث» أو «إسناد».[٢٢٨] وتُذكَر بعض الأحاديث المفردة بتعبير «الإفراد في الحديث».[٢٢٩] وتتكرر بعض الأحاديث طبقًا للرواة.[٢٣٠] ومن حيث المرويات أكثرهم أبو هريرة ثم ابن عباس ثم عائشة.

وتتعدَّد صياغات الحديث في الرواية.[٢٣١] كما يشرح الراوي بعض ألفاظ الحديث، وهنا يتحول الراوي إلى مفسر، والحديث إلى تفسير. والتفسير أحد أبواب الحديث.[٢٣٢] ويفسر الراوي بعض ألفاظ الرسول ومقاصده. ويضم المُسند ألفين وثمانمائة وتسعين حديثًا ومائة راوٍ تُسند إليهم آلاف الرواة الفرعيين.[٢٣٣] تجمع بين السنن القولية والفعلية. تعتمد على الآيات القرآنية. فكل حديث له أصل قرآني. ويبين الحديث سبب نزول الآية، وكيف تتعدد القراءات.[٢٣٤] وتستعمل بعض الأحاديث الآيات المنسوخة قبل النسخ.[٢٣٥] وتظهر بعض الشواهد الشعرية القليلة. فالسند لا يحتاجها كما يحتاجها المتن.[٢٣٦] وتظهر بعض

---

[٢٢٦] عبد الله بن عباس، الطيالسي ج١، ٢٧–٥١، عبد الله بن مسعود ١٢٩–٢١٠.

[٢٢٧] الطيالسي ج١، ٤٠٧–٤٠٩، ٥٣٠–٥٣٤، ٦٠٣-٦٠٤.

[٢٢٨] السابق ج١، ١٢٩.

[٢٢٩] السابق ج١، ٤٨١، ٤٧٧، ٥٨٠. ٥٨٣.

[٢٣٠] السابق ج١، ٢٥٧؛ ج٢، ٦٠٦–٦٠٧، ٦٨٣.

[٢٣١] السابق ج١، ١٧، ٤٥، ٥٥، ٦٦، ٨٢، ١٠٥، ١١٩، ٢١٠، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٨٦، ٤٠٠–٤٠٢، ٤٠٧، ٤٦١، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٦٠، ٥٧١-٥٧٢، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٠٩، ٦٢٢، ٦٣٩؛ ج٢، ١–٨، ١١، ١٧، ٣٤، ٣٦-٣٧، ٤٣، ٥٧، ٦٣، ٨٧، ٩٦، ١٠٥، ١١٧، ١٥٠، ١٧٧، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٨٨، ٤١١، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٨٠، ٥١١، ٥٢٨-٥٢٩، ٥٦٨، ٦٠١، ٦١٢، ٦١٨، ٦٣٦، ٦٦٤، ٧٣٠، ٧٥٥، ٧٦٤. ج٣، ٣٠، ١١٥، ١٢٠، ١٤٥، ١٦١.

[٢٣٢] السابق ج١، ١١٨، ١٤٥، ١٨٣، ٢٤٣، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٤٠، ٤٤٦، ٥٩٩؛ ج٢، ٢٩١، ٤٢٤، ٣٨٠، ٥٦٥، ٦٦٦، ٦٧١.

[٢٣٣] الأحاديث (٢٨٩٠)، الرواة المسانيد (١٠٠)، الرواة الفرعيون (١٧٢٥). المراسيل (٤٦).

[٢٣٤] الطيالسي ج١، ٥٠٠، ١١٣، ٥٤٨؛ ج٢، ١٣١، ٣٢٣، ٣٤٨؛ ج٣، ١١٣، ١٣٩، ١٥١.

[٢٣٥] السابق ج١، ٢٨٢؛ ج٢، ٤٦٥.

[٢٣٦] السابق ج١، ١٢٦، ٣٨٤، ٥٠٠؛ ج٢، ٣٩٢، ٥١٧؛ ج٣، ٥٩.

الأحاديث «القدسية»، وكأن الأحاديث التي يتكلم فيها الرسول أقل قدسية.[٢٣٧] ويضيف الناشر الحديث تعبير «عز وجل» بعد الله إمعانًا في التقديس. كما يضيف تعبير «صلعم» كلما ذكر الرسول. وقد يكون بعضها موضوعًا إذا ما طُبقت عليه مقاييس الوضع: الطول في القول المباشر أو الرواية، تقطيع الحديث، قصص الأنبياء، خلق العالم، الأخرويات، الموضوعات الغيبية، الإخراج الروائي في الحوار، القصص والحكايات، الركاكة، أو البلاغة المصطنعة.[٢٣٨]

ويتوارى المتن أمام السند. ولا يتم التعليق عليه إيجابًا أو سلبًا. منها متون غيبية صرفة عن الملائكة والشياطين وظراط الشيطان وأشراط الساعة والتي لا يمكن التحقق من صحتها لعدم اتفاقها مع الحس وهو أحد شروط التواتر الأربعة.[٢٣٩] ومنها أحاديث بيئية خالصة عن الخيل والبغال والحمير والأغنام، وأوضاع اجتماعية تغيرت مثل الرق والرجم والقتل، وهي من بقايا يهودية.[٢٤٠] ومنها أحاديث سياسية وضعت لإعطاء الأولوية لقريش في السيادة والسلطة وتكفير المعارضة، خاصة الخوارج والأزارقة الذين يُبيحون الخروج على السلطان بالسلاح، والدعوة إلى طاعة السلطان.[٢٤١] وأهل الكتاب ليسوا كلهم جماعة واحدة. منهم العدو ومنهم الصديق.[٢٤٢] ومنها أحاديث إيجابية خالصة، مثل السؤال عن الأرض قبل السؤال عن السماء.[٢٤٣] ومثل أحاديث الفطرة والقانون الطبيعي.[٢٤٤] ومنها أحديث تبدو متناقضة مع غيرها مثل أحاديث القضاء والقدر وفي نفس الوقت أحاديث

---

[٢٣٧] أحاديث يتكلم فيها الله، ج١، ٢٤١–٢٤٢؛ ج٢، ٤٥٧، ٧٠٦، ٧٧٢؛ أحاديث على لسان جبريل، ج١، ٢٨٤، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٣١؛ ج٢، ٣٥٤، ٥٥٣؛ ج٣، ٧٣، ١٢٣، ١٣٥، ١٥١، ١٥٨.

[٢٣٨] السابق ج٢، ١٤، ٢٢، ١١١–١١٢، ٥٦٥–٥٦٧، ٢٩٣، ٣٦٠، ٣٨٥، ٤٨٠–٤٨١؛ الأحاديث الطوال ج٣، ١٣٧–١٣٨.

[٢٣٩] الطيالسي ج١، ٥٩٨؛ ج٢، ٦٧٩. وأيضًا: من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص١٥٠–١٥٣.

[٢٤٠] السابق ج١، ٥٩٠–٥٩١؛ ج٢، ٧٤٢؛ ج٢، ٣١٦–٣١٧، ٣٦٠، ٥١٣، ٥١٩، ٦٢٩، ٦٧٥.

[٢٤١] قريش، السابق ج١، ١٥٩، ٣٦٢، ٤١٥، ٤٩٥، ٥٠٧؛ ج٢، ٨٨، ٥٤٣، ٧٠٠؛ الخوارج، الأزارقة، السابق ج١، ٤٤١، ٤٦٥، ٤٦٧؛ الدعوة إلى طاعة السلطان، السابق ج١، ١٢٣، ٤٧٤، ٤٩٤؛ ج٢، ٩٥، ٢٦٤، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٨٢، ٧٣٦.

[٢٤٢] السابق ج١، ٤٨٤؛ ج، ٥٤٨.

[٢٤٣] «يسألن أحدهم عن خبر السماء ويدع أظافر، كأظفار الطيور يجمع فيها الجفانة والتعنث.» السابق ج١، ٣١٧.

[٢٤٤] السابق ج١، ٣٥٤، ٣٧٧، ٣٨٥، ٤٠٣، ٤٨٥، ٤٨٩؛ ج٢، ٧٣٧.

الفعل والمبادرة ورفض الاتكال.[٢٤٥] وأحاديث رفض الحديث عن «الأنا» وبعض أحاديث الرسول تبدأ بها. وأحاديث طاعة السلطان والخروج على فرعون الأمة. ومنها أحاديث ركيكة لا تتفق مع أساليب البلاغة وفنون القول وقد أوتي الرسول جوامع الكلم.[٢٤٦] ومنها أحاديث تُبين التواصل بين الجاهلية والإسلام وليس الانقطاع، على عكس ما هو شائع في الثقافة الشعبية وفي بعض الاتجاهات السلفية المعاصرة.[٢٤٧] ومنها بعض الأحاديث التي تدعو إلى التمسُّك بالأرض «من أخذ شبرًا من الأرض بغير حقِّه طُوِّقه من سبع أرضين.» ومنها عدم التمسُّك بالألفاظ والتوجُّه نحو المضمون، على عكس بعض الاتجاهات الحرفية المعاصرة. فلا يهم إذا كان محمد رسول الله وإلا فلماذا حاربه من لا يؤمن به أو ابن عبد الله.[٢٤٨] ومنها بعض الأحاديث التي تعترف بأن نعيم الجنة في الآخرة تعويض عن مآسي الفقراء في الدنيا.[٢٤٩] ومنها ما يتعلق بالثقافة الشعبية خاصة ما يتعلق بالمرأة أنها رمز الإثارة والشهوة والجنس والشر. فكما أنَّ معظم أهل الجنة من الفقراء فمُعظم أهل النار من النساء.[٢٥٠] ومع ذلك فهناك جزء خاص للرواة من النساء وفي مقدمتهم عائشة.[٢٥١] وكثير من أحاديثها سُنن فعلية لأنها كانت تشاهد الرسول في حياته الخاصة. وقد روت الكثير. وكثير منها عادات شخصية أكثر منها سنن عامة. وموضوعاتها خاصة مثل الحيض والجماع والتقبيل.[٢٥٢] ومنها أحاديث تعبير عن مجرد ذوق شخصي.[٢٥٣] ومنها

---

[٢٤٥] السابق ج١، ٤٥٠، ١٦٨؛ ج٢، ٣٣٤.

[٢٤٦] السابق ج١، ٤٨٤.

[٢٤٧] «لا حلف في الإسلام وتمسَّكوا بحلف الجاهلية.» السابق ج١، ٦٠٧. ومثل «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام.» ج٢، ٧٢٣.

[٢٤٨] السابق ج١، ٣٨٧.

[٢٤٩] «يا عبد الله، إن أُدخِلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذَّت عيناك.» السابق ج١، ٣٤٤؛ ج٣، ٣٠، ١٦٧، ٩٦.

[٢٥٠] «نظرتُ في أهل الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء، ونظرت في النار فإذا أكثر أهلها النساء.» السابق ج١ ٤٤٦–٤٤٧. «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة.» السابق ج١، ٤٧٠؛ ج٢، ٢٣١، ٤٩٨، ٣٨٦؛ ج٣، ٣٣.

[٢٥١] مثل «أطيب اللحم الظهر.» السابق ج١، ٥٢٦.

[٢٥٢] مثل «ضحك ربنا عز وجل من قنوط عباده وقرب غيره ... لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا ...» السابق ج١، ٦١١.

[٢٥٣] السابق ج٢، ١٥٠١، ١٥٢–٢٥٧.

أحاديث إنسانية عامة لا ترى حرجًا في تصوير الله وتشبيهه للدلالة على هذه النزعة.[٢٥٤] ومنها أحاديث تُبين أهمية تفسير الشرائع طبقًا لتغير الزمان في صيغة نمطية «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت.»[٢٥٥]

(د) «المسند» للحميدي (٢١٩هـ)[٢٥٦]

وهو مجموعة من الأحاديث وعددها ألف وثلاثمائة مُرتبة طبقًا للرواة، وعددهم مائة وأربعة وسبعون راويًا. منهم رواة من النساء وآخرون من الأنصار. وهو مُقسَّم إلى عشرة أجزاء دون سبب واضح. لعلَّه الترتيب الزماني للرواة أو طبقاتهم؛ أي تعاصُرهم حتى تصح العنعنة عن بعضهم البعض. يسبق الراوي مرة «أحاديث» جمعًا، ومرة «حديث» مفردًا. وتضم الرواية السند والمتن دون إصدار حُكم بالصحة ودرجتها. وقد عزَّ على الناشر الحديث ترْك الروايات دون تبويب فقهي لأن المؤلف قد تُوفي قبل ظهور الإصحاحات التي اتبعت أبواب الفقه. وهي ثلاثة وأربعون كتابًا فقهيًّا. ومرة يُوضَع اسم الكتاب ومرة لا يُوضع، مثل التفسير وفضائل القرآن. وأكثر الرواة روايةً أبو هريرة ثم عائشة ثم عبد الله بن عمر ثم جابر الأنصاري ثم ابن عباس ثم أنس بن مالك ثم أبو سعيد الخدري ثم عمر بن الخطاب ثم علي بن أبي طالب ثم عبد الله بن مسعود ثم أبو ذر.[٢٥٧] وتستعمل عائشة بعض الشواهد الشعرية.[٢٥٨]

---

[٢٥٤] السابق ج٢، ٢٨٢، ٢٧٨، ٣٨٦، ٢٩٩.

[٢٥٥] السابق ج٢، ٢٢٩، ٢٣٣–٢٣٥.

[٢٥٦] الإمام الحافظ الكبير أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي: المسند «جزءان»، حقق أصوله وعلق عليه الأستاذ المُحدِّث المُحقق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م (طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند).

[٢٥٧] (١) أبو هريرة، (٢٤٨)، (٢) عائشة (١٧٩)، (٣) عبد الله بن عمر (٩٤)، (٤) جابر الأنصاري، (٥) ابن عباس (٤٨)، (٦) أنس بن مالك (٤١)، (٧) أبو سعيد الخدري (٢٩)، (٨) عمر بن الخطاب (٢٥)، (٩) علي بن أبي طالب (٢٣)، (١٠) عبد الله بن مسعود (١٧)، (١١) سعد بن أبي وقاص (١٥)، (١٢) أبو ذر، أبو قتادة (١٣). ثم ثلاثة رواة كل منهم عشرة أحاديث، ثم ٧: ٨، ثم ٤: ٧، ثم ١: ٦، ثم ٧: ٥، ثم ٩: ٤، ثم ١١: ٣، ثم ٣٢: ٢، ثم ٨٣: ١.

[٢٥٨] الأشعار (٧).

(هـ) «مسند ابن الجعد» لعلي بن الجعد (٢٣٠هـ)[٢٥٩]

وله مؤلفان؛ الواضع والجامع، الراوي والمدون. الأول ابن الجعد والثاني البغوي (٣١٧هـ) يجمع ثلاثة آلاف وأربعمائة واثنين وستين حديثًا من ثلاثمائة وأربعة عشر راويًا.[٢٦٠] وتوزَّع على ثلاثة عشر جزءًا دون معرفة سبب القسمة أو مقياسها. ويخلو من أي مُقدمة نظرية، وكأنه كتاب في علم الرجال دون نقد. وللسند الأولوية على المتن. العنعنة هي الأهم. وتضم جيلين، راوٍ عن آخر، فلان عن فلان. فأصبح المسند مجرد أسماء رواة أهم من المرويات نفسها. وأحيانًا يضاف لفظ «أخبار» قبل اسم العلَم.[٢٦١] أحيانًا تتضمَّن الرواية راويًا واحدًا أو راويين. وأحيانًا يكون للراوي الواحد أكثر من رواية.[٢٦٢] وبعض الروايات ليس بها أحاديث للرسول.[٢٦٣] وتبدأ الرواية بلفظ «أخبرنا» أو «سمعت» أو «قال» أو «حدثنا». هي سُنن قولية وسُنن فعلية. وقد تروى صياغات مختلفة للحديث الواحد. وتعتمد الأحاديث على عديدٍ من الآيات القرآنية أكثر من الأشعار.[٢٦٤]

(و) «مسند أبي هريرة» لأبي إسحاق العسكري السمسار (٢٨٢هـ)[٢٦٥]

وهي مسانيد يقوم بها المُصنف حول شخصية المُحدِّث مثل أبي هريرة الذي كان كيسه واسعًا في الحديث. ويدل ذلك على أهمية الرواة، وهو غير كامل. يضم الجزء الثاني فقط. يروي تسعةً وتسعين حديثًا. نسبة الغيبيات فيها كثيرة وهو غير الهدف من الحديث والتوجُّه العملي له. وتتعدَّد رواياته.[٢٦٦]

يعتمد على قليلٍ من الآيات وكثيرٍ من الأحاديث والآثار.[٢٦٧]

---

[٢٥٩] مسند بغداد الحافظ الثبت أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري: مسند ابن الجعد، رواية وجمع الحافظ الثقة الكبير أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، مراجعة وتعليق وفهرسة الشيخ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

[٢٦٠] الأحاديث (٣٤٦٢)، الرواة (٣١٤)، الأجزاء (١٣).

[٢٦١] ابن الجعد ص١٨–٢٥.

[٢٦٢] السابق ص١٧.

[٢٦٣] السابق ص١٨–٢٥.

[٢٦٤] الآيات (١٧١)، الأشعار (٣).

[٢٦٥] الإمام المُحدِّث أبو إسحاق إبراهيم بن حرب العسكري السمسار: مسند أبي هريرة، تقديم وتحقيق وتخريج الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(ز) «حديث عبد الله بن عباس» من مسند الإمام إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ)[٢٦٨]

ويضم مائة وثمانية وخمسين حديثًا في عدة روايات.[٢٦٩] وتزيد نسبة الآيات في الأحاديث. والسؤال هو: ما مقياس الجمع؟ هل هو مجرد الراوي، مثل ابن عباس، أم أنَّ هناك رؤيةً وهدفًا ومزاجًا للجامع والراوي؟

(ع) «أحاديث من المسند الصحيح» لأبي حامد الشرقي النيسابوري (٣٢٥هـ)[٢٧٠]

وهي جزء من الكتاب. يقوم على روايتَين وسماع.[٢٧١] يُعطي سبعةً وعشرين حديثًا. كل حديث له مُسند. يخلو من أي مقدمة نظرية، ويعتمد على بعض الآيات وكثير من الأحاديث والآثار.[٢٧٢]

(ط) «مسند إبراهيم بن أدهم» (القرن الثاني) للأصبهاني (٣٩٥هـ)[٢٧٣]

وصاحب المسند وراويه أيضًا مُختلفان يفصل بينهما قرنان من الزمان. الرواية على لسان إبراهيم عن الرسول. وهو مسند صوفي. ليس له ترتيب مُعين طبقًا لأسماء الرواة كما هو

---

[٢٦٦] منها أربعة روايات: (١) رواية أبي الحسن أحمد بن سهل بن عمر بن سهل بن بحر العسكري، (٢) رواية أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الحافظ، (٣) أبو علي الحسن بن علي بن الحسن الحداد، (٤) أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني، السابق ص٤١.

[٢٦٧] الآيات (٣)، الأحاديث والآثار (١٠٤).

[٢٦٨] الإمام الهمام مُحدِّث أهل المشرق إسحاق بن راهويه: حديث عبد الله بن عباس «من مسنده»، خرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبد الله عمر بن بسام الصادق، راجعه وأشرف عليه فضيلة الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، الدار الأثرية، عمان، ٢٠٠٨م.

[٢٦٩] وهي أربع روايات: (١) ما يروى عن رجال أهل مكة، ما يروى عن طاووس وغيره (٧٥ حديثًا)، ص١٩–٦٨، ٢. ما يُروى عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج المكي عن ابن عباس عن النبي (٢٠ حديثًا)، ص٦٩–٩٠، ٣. ما يُروى عن عطاء بن رباح عن ابن عباس عن النبي (٣٨ حديثًا)، ص٩١–١٢٨، ٤. ما يُروى عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي (٢٥ حديثًا)، ص١٢٩–١٤٩.

[٢٧٠] الإمام الحافظ أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقي النيسابوري: أحاديث من المسند الصحيح، تقديم وتحقيق وتخريج الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الحال في باقي المسانيد أو طبقًا لأبواب الفقه كما هو الحال في الإصحاحات والسنن. يتضمَّن ثمانيةً وأربعين حديثًا تتعلق بالأخلاق أو بالتصوُّف الخلقي. يذكُر أسماء المروي عنهم في المقدمة.[٢٧٤] يجمع بين السند والمتن، والرواية والقول المباشر. ويعتمد على آيةٍ قرآنية واحدة وعلى ثلاثة شواهد من الشعر.[٢٧٥] وتضم بعض الأحاديث الطوال التي تسمح بتأويلاتٍ صوفية روحية خاصة بأسماء الله.[٢٧٦]

(ي) «مسند الإمام علي الرضي» (٢٠٣هـ)[٢٧٧]

وهو مسند صغير مُلحق بمسند الإمام زيد. ينقسم إلى عشرة أبواب.[٢٧٨] لا يضم الفقه إلا ثلاثةً منها. الثاني عن الأذان، والسادس عن الأطعمة، والتاسع عن الغزو والجهاد. والباقي عن فضائل آل البيت؛ الرابع والخامس، أو عن الأخلاق مثل السابع عن بر الوالدين وصلة الرحم، والثامن في التحذير من الغش والغيبة والنميمة. أو عن التصوف مثل الأول عن الذكر. والعاشر في الأحاديث المُتفرقة. وبالتالي يغلب على السند الأخلاق والتصوُّف وفضائل آل البيت. وهو ما يُميز الشيعة عن السنة. أكبرها الرابع عن فضائل آل البيت وأصغرها الثاني في الأذان.[٢٧٩]

---

[٢٧١] راوية: (١) سعيد العيار عن أبي العباس السليطي، (٢) أبو المجد زاهر بن أبي طاهر الثقفي عن أبي عبد الله الخلال عن العيار، (٣) سماع إسماعيل بن عمر المقدسي ولأخيه، السابق ص١٣٣.

[٢٧٢] الآيات (٤)، الأحاديث والآثار (٢٩).

[٢٧٣] الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني (٣٩٥هـ)، مسند الإمام الزاهد إبراهيم بن أدهم، دراسة وتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٢٧٤] السابق ص٤٠٥.

[٢٧٥] السابق ص٤٠٨، ٤٤٩، ٤٥١.

[٢٧٦] السابق ص٤٣٢-٤٣٣.

[٢٧٧] مسند الإمام زيد، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٤٣٥–٥٠٤.

[٢٧٨] (١) الذكر، (٢) الأذان، (٣) الحث على الصلوات الخمس وصفة صلاة الجنازة، (٤) فضل آل البيت، (٥) فضل المؤمن وحسن الخلق وفضل من اسمه محمد أو أحمد، (٦) الأطعمة والفواكه والإدهان، (٧) بر الوالدين وصلة الرحم، (٨) التحذير من الغش والغيبة والنميمة، (٩) فضل الغزو والجهاد، (١٠) أحاديث التفرقة.

[٢٧٩] (١) فضل أهل البيت (٨)، (٢) الأطعمة والفواكه والإدهان (١١)، (٣) الذكر، أحاديث التفرقة (٩)، (٤) فضل المؤمن وحُسن الخلق وفضل من اسمه محمد أو أحمد (٥)، (٥) الحث على الصلوات الخمس

(ك) «المسند» لابن حنبل (٢٤١هـ)[٢٨٠]

وهو أضخم مُسند. يضم عديدًا من المسانيد طبقًا للرواة أو مجموعات الرواة، مثل الخلفاء الأربعة أو الصحابة أو زوجات الرسول، مثل عائشة أو المجموعات الثانية: آل البيت، بنو هاشم، المكيُّون، المدنيون، الشاميون، الكوفيون، الأنصار، القبائل، أو الجنس: النساء. نسبة إلى المدن: مكة، المدينة، الكوفة، أو الأقطار، الشام، أو الطوائف، الأنصار والقبائل أكبرها بنو هاشم الذين كان لهم مصلحة في الرواية، ثم الكوفيون ثم الأنصار ثم الشاميون؛ نظرًا للصراع بين الشام والحجاز، ثم المكيون والمدنيون؛ المهاجرون والأنصار، ثم القبائل لظهور النصرة القبلية على السلطة السياسية، وأخيرًا آل البيت وهم أقلهم روايةً لتوجُّههم إلى الآخرة بعيدًا عن مغانم الدنيا.[٢٨١] والأحاديث كلها مُرقمة، تبلغ سبعةً وعشرين ألفًا وخمسمائة وتسعة عشر حديثًا.[٢٨٢] ويتأرجح ترتيب الرواة بين الترتيب الزماني والترتيب الطبقي من حيث الفضل. وقد أضاف الناشر على الترتيب الأبجدي للأحاديث الترتيب الفقهي لها؛ نظرًا لسيطرته على كتب الأحاديث؛ الإصحاحات والسنن.[٢٨٣] ويخلو من أي مقدمة نظرية باستثناء مقدمة نظرية صغيرة عن الناشر، وما ألحقه الناشر من مدحٍ للمسند وإطراءٍ له من أقوال السابقين.[٢٨٤] يكتفي بمجرد الرصد دون حتى تبرير التمييز بين المسند والصحيفة.[٢٨٥] قد يعطي الانطباع بضيق الأُفق والالتزام بحَرفية النص. ولا يشعر القارئ معه بأي دلالةٍ أو توجُّه. فهو التقليد في العلوم النقلية. يشعر بعد قراءته بخيبة الأمل. يغلب عليه الطابع العملي والأحاديث القصار باستثناء القليل من الطوال

وصفة صلاة الجنازة (٤)، (٦) فضل الغزو والجهاد (٣)، (٧) بر الوالدين وصلة الرحم، التحذير من الغش والغيبة والنميمة (٢)، (٨) الأذان (١).

[٢٨٠] الإمام أحمد بن حنبل: المسند «عشرون جزءًا»، شرَحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر «من الأول حتى الثامن»، حمزة أحمد الزين «من التاسع حتى العشرين»، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٢٨١] بنو هاشم (١٣٤٧٤حديثًا)، الكوفيون (٢٩٨٥)، الأنصار (٢٩٠٩)، الشاميون (١٢٥١)، المكيون (٧٩٨)، المدنيون (٧٢١)، القبائل (٤٨٩)، آل البيت (٤٥).

[٢٨٢] الأحاديث (٢٧٥١٩).

[٢٨٣] الجزءان التاسع عشر والعشرون مُخصصان للفهارس، بالإضافة إلى آخر الجزء الثامن عشر للأسماء والكُنى وأسماء النساء، ج١٨، ٦٢٦–٦٥٥.

[٢٨٤] السابق ج١، ٦–٦٥.

[٢٨٥] السابق ص١٠٠–٨١.

التي يغلب عليها الخيالات والغيبيات. وحديث السقيفة حادثة وليس شخصًا.[٢٨٦] وأحيانًا يضاف لفظ «أخبار» قبل الراوي مثل «من أخبار عثمان.»[٢٨٧] ويعتمد على كثير من الآيات والأشعار.[٢٨٨] ويتكرر الكثير منها. وقد يصعب معرفة إذا كان استناد الحديث إلى آيةٍ قد تم بالفعل، أم أنه من صُنع الراوي وإدراكه، أم من وضع صاحب المسند. كما يصعب معرفة هل المسند من وضع صاحبه أم هو تجميع من مسانيد أخرى كانت معروفة من قبل مثل مسند عائشة؟ والغريب أن بعض الرواة أحاديثهم مملوءة بالآيات، ومعظمها مكررات.[٢٨٩]

وأكثر الرواة أبو هريرة فقد كان كيسه واسعًا وحجَّته مُصاحبته للرسول، ثم أنس بن مالك، ثم عبد الله بن عمر اعتمادًا على سلطة أبيه، ثم عبد الله بن عباس اعتمادًا على لقبه؛ حبر الأمة، ثم عائشة، هذه الحميراء التي روت عن حياة الرسول العامة والخاصة؛ ثم أبو سعيد الخدري من الصوفية الذين روَوا أحاديث التصوُّف الخلقي، ثم عبد الله بن مسعود والمشهود له بالثقة، ثم علي بن أبي طالب الذي لم يُكثر من الرواية حياءً واعتمادًا على حكمته، ثم سعد بن أبي وقاص اعتمادًا على إمرته للجيش وفتحه فارس، ثم عمر بن الخطاب الذي كان أقل رواية من ابنه لانشغاله بالاجتهاد والاعتماد على عقله ورعايته للمصالح العامة، ثم أم سلمة زوجة الرسول أقل من عائشة، ثم أبو موسى الأشعري تقي الأنصار، ثم عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين الذي لم يكن بحاجةٍ إلى الاعتماد على سلطة الحديث بعد أن اعتمد عليه كل الفرقاء وهو الزاهد العابد، ثم معاذ بن جبل الصحابي القاضي، ثم المغيرة بن شعبة وأبو أيوب الأنصاري من أتقياء الصحابة، ثم زيد ابن ثابت وابنه أسامة أقرب الناس إلى قلب الرسول، الأب والابن بالتبنِّي، ثم ثوبان من الصوفية الزهاد، ثم أسماء بنت أبي بكر، ثم أبوها وقد كان أقل الخلفاء رواية لأنه عاشَر الرسول وصاحَبَه وتوحَّد معه، ولم يكن في حاجة إلى رواية لأن الرواية تحتاج المُغايرة؛

---

[٢٨٦] السابق ج٨، ١٨٠–٢٥٣.

[٢٨٧] السابق ج١، ٣٢٧–٣٣٤؛ ج٢، ١٥–٢٠، ٣٥٤–٣٦٠؛ ج٣، ٧٩–٨٢، ٣٣١–٣٣٣؛ ج٥، ٣١٩–٣٢٢؛ ج١٢، ٢٦١–٢٦٢؛ ج١٤، ٣٠٣–٣٠٩؛ ج١٦، ٣٢٧–٣١، ٤٢٠–٤٢٢؛ ج١٧، ٩٥–١٠٠، ٢٩٢–٢٩٥؛ ج١٨، ٩–١٤، ٤٧–٤٩، ٤٥٨–٤٦١.

[٢٨٨] السابق ج١، ٣٩٥.

[٢٨٩] الآيات (١٣٢٢)، الأشعار (٤٩).

ثم يأتي رجال من أصحاب النبي على المجهول. فالمهم الرواية لا الراوي، والحديث لا الشخص.[٢٩٠]

وبعد أن يكثر الرواة ونقل الروايات، ويزداد الرواة إلى ما يقرب من ثلاثمائة راوٍ يروي كل منهم رواية واحدة. وتتضح التوجُّهات السياسية في جمع المسانيد من الأحاديث حول إمرة قريش.[٢٩١] ومع ذلك فأحاديث الفِرَق غائبة نظرًا لموقف صاحب المسند من عِلم الكلام والمُتكلمين والفِرَق، كما هو معروف في موقفه من «خلق القرآن».

[٢٩٠] (١) أبو هريرة (٣٨٠٧)، (٢) أنس بن مالك (٣١٦٣)، (٣) عبد الله بن عمر (٢٦٧١)، (٤) عبد الله بن عباس (١٧١٠)، (٥) عائشة (١٥٨٨)، (٦) جابر بن عبد الله (١١٩٣)، (٧) أبو سعيد الخدري (٩٥٣)، (٨) عبد الله بن مسعود (٩٠٠)، (٩) علي بن أبي طالب (٨١٩)، (١٠) أبو إسحاق بن أبي وقاص (٤٣٩)، (١١) عمر بن الخطاب (٣٠٩)، (١٢) أم سلمة (٢٧٩)، (١٣) جابر بن سمرة (٢٦٨)، (١٤) البراء بن عازب (٢٣٩)، (١٥) حذيفة بن اليمان (٢٢٤)، (١٦) أبو موسى الأشعري (١٩٧)، (١٧) أبو أمامة الباهلي (١٨٦)، (١٧) سمرة بن جندب (١٨٥)، (١٨) عثمان ابن عفان (١٦٣)، (١٩) معاذ بن جبل، أبو بكرة بن الحرث بن كلدة (١٥٢)، (٢٠) أبو قتادة الأنصاري (١٤٢)، (٢١) المغيرة بن شعبة (١٠٨)، (٢٢) أبو أيوب الأنصاري، زيد بن ثابت (٩٩)، (٢٣) يعلى بن مرة الثقفي (٩٧)، (٢٤) عمران بن حصين (٩٥)، (٢٥) ثوبان، أسامة بن زيد (٩٣)، (٢٦) زيد بن أرقم (٨٥)، (٢٧) أسماء بنت أبي بكر (٨٤)، (٢٨) أبو بكر الصديق (٨١)، (٢٩) عقبة بن عامر الجهني (٦٨)، (٣٠) أسماء ابنة زيد (٥٦)، (٣١) أبو الدرداء (٥١)، (٣٢) عبد الله بن أبي أوفى، أبو برزة الأسلمي (٥٠)، (٣٣) أبو مسعود الأنصاري (٤٧)، (٣٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب، (٣٥) الفضل بن عباس عبد الله بن زيد بن عاصم المازني (٤٤)، (٣٦) وائل ابن حجر (٤١)، (٣٧) بلال، عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري (٤٠)، (٣٨) كعب بن مالك الأنصاري، عدي بن حاتم الطائي، عبد الله بن مقفل المزني (٣٨)، (٣٩) عبد الله بن الزيت، سلمة بن الأكوع، سلمان الفارسي (٣٧)، (٤٠) خزيمة بن ثابت (٣٦)، (٤١) أبو بردة بن نيار، المقدام بن جعد، رافع بن جريج، رجال من أصحاب النبي (٣٥)، (٤٢) أبو رزيق العقيلي، كعب بن عجرة (٣٣)، (٤٣) سعد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عامر بن ربيعة (٣٠).

[٢٩١] (١) ثلاثة رواة (كل منهم ٢٩ حديثًا)، (٢) راويان (٢٨)، (٣) خمسة رواة (٢٧)، (٤) ثلاثة رواة (٢٦)، (٥) أربعة رواة (٢٥)، (٦) أربعة رواة (٢٤)، (٧) أربعة رواة (٢٣)، (٨) خمسة رواة (٢٢)، (٩) خمسة رواة (٢١)، (١٠) خمسة رواة (٢٠)، (١١) خمسة رواة (١٩)، (١٢) راوٍ واحد (١٨)، (١٣) راويان (١٧)، (١٤) ثلاثة رواة (١٦)، (١٥) سبعة رواة (١٥)، (١٦) ثمانية رواة (١٤)، (١٧) ستة رواة (١٣)، (١٨) أحد عشر راوية (١٣)، (١٩) ستة رواة (١١)، (٢٠) ٨ رواة (١٠)، (٢١) ٨ رواة (٩)، (٢٢) ٢٥ راويًا (٨)، (٢٣) ٢٥ راويًا (٧)، (٢٤) ثلاثين راويًا (٦)، (٢٥) ٤٣ راويًا (٥)، (٢٦) ٤ رواة (٤)، (٢٧) ١١٢ راويًا (٣)، (٢٨) ١٧٥ راويًا (٢)، (٢٩) ٣٩٢ راويًا (رواية واحدة).

«الثلاثيات التي في مُسند الإمام أحمد بن حنبل» تخريج إسماعيل بن عمر المقدسي (٦١٣هـ) وزيادات ضياء الدين المقدسي[٢٩٢]

وقد درس القدماء الإصحاحات والسنن والأسانيد والجوامع ولم يُحولوها إلى كتب مقدسة لا يجوز الاقتراب منها أو التشكيك في صحة أسانيدها أو متونها، بما في ذلك مسند ابن حنبل أعظم الكتب قداسةً عند السلفيين. وتعني الثلاثيات، الروايات التي في السند وليست في المتن. يخلو من أي مقدمة نظرية لتبرير لماذا الثلاثيات وليس الثنائيات أو الرباعيات؟ هل ربما لأن الرواية تتطلب بداية ووسطًا ونهاية، من تابعي التابعين إلى التابعين إلى الصحابة إلى الرسول؟ وتُقسَّم إلى جزأين دون تبرير نظري واضح. الأول ثلاثة مسانيد.[٢٩٣] والثاني مسندان. ثم يتغيَّر اللفظ إلى حديث، ستة وثلاثين حديثًا.[٢٩٤] وتنتهي بسَماعين أي طريقين شفاهيين للرواية.[٢٩٥] ويضم ثلاثمائة وتسعة وعشرين حديثًا. وتظهر مسانيد المَكيِّين والمدنيين دون تصنيف المسانيد فيها.[٢٩٦] وتعتمد على عديد من الآيات والأحاديث والآثار دون الأشعار.[٢٩٧]

(ل) «مسند الصحابة» للروياني (٣٠٧هـ)[٢٩٨]

وهو معروف أيضًا باسم صاحبه «مسند الروياني»، وهو مسند مجموعة من الصحابة؛ ثمانين، خمسة وثلاثون مُكثرون، وثمانون مُقلون، وهو جمع ورواية وسماع؛ ثلاث مراحل في الرواية الشفاهية.[٢٩٩] مُرتَّب طبقًا لأسماء الأعلام مثل باقي المسانيد. وكل مُسند له

[٢٩٢] الحافظ مُحب الدين بن عمر المقدسي (تخريج): الثلاثيات التي في مسند الإمام أحمد بن حنبل، ومنها الزيادات على الثلاثيات للحافظ ضياء الدين المقدسي، تحقيق وتعليق محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[٢٩٣] السابق ص٣٣–٧٩.

[٢٩٤] السابق ص٨٠–١٦٥.

[٢٩٥] السابق ص١٦٦–١٧١.

[٢٩٦] السابق ص١١٦.

[٢٩٧] الآيات (٩)، والأحاديث (٣٤١)، الآثار (١٤١).

[٢٩٨] الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن هارون الروياني الرازي الآملي الطبري: مسند الصحابة «جزءان»، خرَّج أحاديثه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٢٩٩] السابق ج١، ٩، ٣١.

عنعنته؛ صحابي أو اثنان. وتجمع كلها في سبعة عشر جزءًا، من السادس عشر حتى الثالث والثلاثين وغياب ما قبل السادس عشر؛ الاثنين والثلاثين، ودون تحديد ماذا يعني الجزء؟ وما الذي يُميز جزءًا عن الآخر؟ تقلُّ الروايات وتكثُر الأقوال المباشرة. وتقل الغيبيات، وتكثُر العمليات، الفقهيَّات والأخلاقيات. ويعتمد على كثير من الآيات القرآنية وقليل من الشواهد الشعرية.[٣٠٠]

(هـ) «مسند محمد بن إسحق السرَّاج» (٣١٣هـ) لضياء الدين المقدسي (٦٤٣هـ)[٣٠١]

وصاحب المسند غير راويه. تفصل بينهما ثلاثة قرون وثلث تقريبًا. يجمع بين السند والمتن، بين الرواية والقول المباشر. ولأول مرة يُرتب المسند طبقًا لأبواب الفقه. كله أبواب باستثناء كتاب الصلاة. وأبواب الطهارة غير كاملة. ويُسمَّى التيمُّم. تسميته للكل بأحد أجزائه. يروي ألفًا وخمسمائة وخمسة وسبعين حديثًا. ويعتمد على الآيات القرآنية دون الشواهد الشعرية.[٣٠٢] يخلو من الخيالات والغيبيات لسيادة الطابع الفقهي. وهو الفقه القديم، التيمُّم والصلاة، فقه العصر الذي كان جديدًا في وقته ولم يعُد كذلك الآن. فقد تغيرت المشاكل. وجدَّت قضايا أخرى تدخُل في الاجتهاد والفتاوى ولكنها لا تدخل في الفقه القديم الذي ثبت وأصبح مقدسًا. والفقه فِقهٌ في كل عصر. ولا يُوجَد فِقه لكل العصور.

(ن) «مسند أبي عوانة المُسمَّى المسند الصحيح المُخرَج على صحيح مُسلم» لأبي عوانة (٣١٦هـ)[٣٠٣]

وله اسمان، شخصي لأنه هو المسند إليه، وموضوعي المسند الصحيح، جمَعا يبن المسند والإصحاح. ويعتمد على صحيح مسلم. فقد دُوِّن بعده. ويجمع الحديث بين السند

---

[٣٠٠] الآيات (٨٦)، الأشعار (٧).

[٣٠١] الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي (محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن): مسند أبي العباس محمد بن إسحق السرَّاج، دراسة وتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

[٣٠٢] الأحاديث (١٥٧٥)، الآيات (٧٢).

[٣٠٣] الإمام أبو عوانة يعقوب بن إسحاق إبراهيم الأسفراييني النيسابوري: مسند أبي عوانة، ضبطه وخرَّج أحاديثه أبو علي النظيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

والمتن. لذلك أتى تبويبه فقهيًّا مثل الإصحاحات وعلى نحوٍ تفصيلي. وفَصَل كتاب الصلاة والاستقصاء والجمعة مع أنها كتاب واحد. كما تتداخل الطهارة والحيض. تغيب عنه المُقدمات النظرية. وينقسم الكتاب إلى ثلاثين كتابًا. تضم سبعة آلاف وواحدًا وأربعين حديثًا. وبعد العنوان يأتي عنوان فرعي. رأس موضوع فرعي شارح لموضوع. وكل مجموعة أحاديث لها عنوان رئيسي يسبقه لفظ «باب». وكل مجموعة أحاديث تحت الباب لها عنوان فرعي يسبقه لفظ «بيان». فالكتاب ثم الباب ثم البيان، والمسند مهموم بالبداية والنهاية. فبعض الكتب عنوانها «مبتدأ كتاب».[٣٠٤] وأحيانًا تبدأ بعض الموضوعات بأبوابٍ دون كتاب.[٣٠٥] وبعض الأبواب بلا عنوان.[٣٠٦] ويتكرَّر كتاب الجهاد.[٣٠٧] ويعتمد على عديدٍ من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية.[٣٠٨] فبعض الأحاديث تتعلق بأسباب نزول الآيات.[٣٠٩] وتتكرر بعض الآيات.

وينقسم المُسند إلى ثلاثين كتابًا.[٣١٠] أكبرها الصلاة ثم الحج. فقد كانا موضوعين جديدين في بداية تدوين الفقه ولم تعُد كذلك الآن. ثم البيوع لأن المجتمع كان تجاريًّا

[٣٠٤] مثل: مبتدأ كتاب الطهارة، ج١، ١٣٤؛ مبتدأ كتاب الحيض والاستحاضة، ج١، ٢٠٩؛ مبتدأ كتاب الجمعة، ج١، ٥٣٥؛ مبتدأ كتاب الصيام، ج٢، ١٧؛ مبتدأ فضائل القرآن، ج٢، ٢٢٠؛ مبتدأ كتاب البيوع، ج٣، ٢١؛ مبتدأ كتاب الوصايا، ج٣، ١٧٥؛ مبتدأ أبواب في النذور، ج٣، ٤٦٥؛ مبتدأ أبواب في الإيمان ج٣، ٢٠٦؛ مبتدأ كتاب الأحكام، ج٣، ٣٠٣؛ مبتدأ كتاب الجهاد، ج٣، ٣٢٦؛ متبدأ كتاب الأمراء، ج٤، ٣؛ مبتدأ كتاب الجهاد، ج٤، ٥٣؛ مبتدأ كتاب الصيد، ج٤، ١١٢؛ مبتدأ كتاب الذبائح، ج٤، ١٤٤؛ مبتدأ كتاب الأضاحي، ج٤، ١٥٢؛ مبتدأ كتاب تحريم الخمر، ج٤، ١٧٤؛ مبتدأ كتاب الأشربة، ج٤، ٢٠٨؛ مبتدأ كتاب الأطعمة، ج٤، ٢٢٧؛ مبتدأ كتاب اللباس، ج٤، ٢٧١.

[٣٠٥] مثل: مبتدأ أبواب في النذور، ج٣، ٤٦٥؛ مبتدأ أبواب في الإيمان، ج٣، ٢٠٦.

[٣٠٦] السابق، ج٢، ١٠–١١.

[٣٠٧] السابق، ج٣، ٣٢٦–٤٥٨؛ ج٤، ٥٣–١١١.

[٣٠٨] الأحاديث (٧٠٤١)، الآيات (٤٥٧)، الأشعار (٣٧).

[٣٠٩] السابق، ج٢، ٢١٧.

[٣١٠] (١) الإيمان، (٢) الطهارة، (٣) الحيض، والاستحاضة، (٤) الصلاة، (٥) الاستقصاء، (٦) الجمع، (٧) الزكاة، (٨) الصيام، (٩) الحج، (١٠) فضائل القرآن، (١١) النكاح، (١٢) الطلاق، (١٣) العتق والولاء، (١٤) البيوع، (١٥) المواريث، (١٦) الوصايا، (١٧) النذور، (١٨) الإيمان، (١٩) الحدود، (٢٠) الأحكام، (٢١) الجهاد، (٢٢) الأمراء، (٢٣) الجهاد، (٢٤) الصيد، (٢٥) الذبائح، (٢٦) الأضاحي، (٢٧) تحريم الخمر، (٢٨) الأشربة، (٢٩) الأطعمة، (٣٠) اللباس.

وليس صناعيًّا كما هو الآن. ثم الإيمان لأنه كان جديدًا بالنسبة للديانات السابقة، وربما الآن العلم؛ ثم النكاح لتنظيم العلاقات الشخصية، ثم الطهارة في المجتمع البدوي بما في ذلك طرُق الاستنجاء، ثم الصيام للتمايز عن أشكال الصيام التي كانت معروفة في ذلك العصر، ثم الجهاد لأن العصر كان عصر الفتوحات ويستمرُّ الآن في عصر التحرُّر من الاستعمار. وأصغرها الذبائح ولا أحد يذبح الآن إلا في عيد الأضحى، ثم الاستسقاء، والكل الآن يعتمد على وسائل الزراعة الحديثة، ثم الزكاة لإعادة توزيع الدخول الآن بين الأغنياء والفقراء، ثم العتق وقد انقضى زمن الرق.[٣١١]

وبعض الأحاديث طويلة مما يسمح بتدخُّل الخيال وتصوير الأمور الغيبية.[٣١٢] كما يتضمن كتاب الإيمان عديدًا من الموضوعات الغيبية. تتعلق بالأخرويات.[٣١٣] وتتشكل العقائد الإيمانية طبقًا للصراعات السياسية، وكما بدت في الفِرَق الكلامية وظهور أحاديث لنقد عقائد الجهمية.[٣١٤] لذلك أتت الروايات أطول من الأقوال المباشرة؛ إذ تسمح الرواية بإبداع الراوي واستثمار خياله.

(ق) «جامع المسانيد» لابن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ)[٣١٥]

وهو كتاب ضخم يضم سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعين حديثًا، مروية من تسعمائة وتسعة وأربعين صحابيًّا وثلاثٍ وتسعين صحابية من مسانيد النساء المعروفات بكُناهن

[٣١١] (١) الصلاة (٣٠٢)، (٢) الحج (١٣٤)، (٣) البيوع (١٣٠)، (٤) الإيمان (١٢٣)، (٥) النكاح (٩٧)، (٦) الطهارة (٧٥)، (٨) الصيام (٦٩)، (٨) الجهاد (٥٩)، (٩) الحدود (٥٨)، (١٠) الطلاق (٥٦)، (١١) الأمراء (٥٠)، (١٢) الأطعمة (٤٤)، (١٣) اللباس (٤٢)، (١٤) فضائل القرآن (٤٠)، (١٥) الإيمان (٣٩)، (١٦) تحريم الخمر (٣٤)، (١٧) الجهاد (٣٣)، (١٨) الصيد (٣٢)، (١٩) المواريث (٢٤)، (٢٠) الأحكام (٢٣)، (٢١) الأضاحي (٢٢)، (٢٢) الأشربة (١٩)، العتق والولاء والوصايا (١٨)، (٢٤) الزكاة (١٤)، (٢٥) الاستقصاء، النذور (١٣)، (٢٦) الحيض والاستحاضة، الجمعة (١١)، (٢٧) الذبائح (٨).

[٣١٢] مسند أبي عوانة، ج١، ٨٨–١١٠؛ ج٣، ١٤٢–١٤٥، ١٤٨–١٥٠، ٣٦٢–٣٦٥، ٣٦٧–٣٦٨، ٤٢٣–٤٢١، ٤٥١–٤٥٧؛ ج٤، ٢٤٢–٢٤٤.

[٣١٣] السابق، ج١، ١١–١٣٤.

[٣١٤] السابق، ج١، ٩٨.

[٣١٥] الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي: جامع المسانيد «ثمانية أجزاء»، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

أو جماعة من أزواج النبي. والكل مُرتب ترتيبًا أبجديًّا. وقد كان الواقع على التأليف تكرار الأحاديث في الكتب، وزيادة ألفاظها ونقصانها وعدم كفاية كتاب بمفرده مثل «موطأ مالك» أو «مسند أحمد». يتكرر الحديث الواحد تارة باللفظ والإسناد، وتارة بتغيير رجُل في الإسناد، وتارة بتقطيع الحديث. وقد فات المُسند بعض الأحاديث، ولا يفي صحيح البخاري بكل الأحاديث ولا صحيح مسلم. ويُقطِّع البخاري الحديث على الأبواب ليحتجَّ في كل باب بكلماتٍ منه. في صحيح مسلم تكرار. وفي كتاب الترمذي اختصار. ويصعب الجمع بين الكل. كان حديث الرسول يُحفظ ولا يُكتب ثم بدأ التدوين أربعة كتب؛ مسند أحمد وصحيح البخاري وصحيح مسلم والترمذي كأصولٍ تحتوي أحاديث الرسول. ولكلٍّ منها فضائل؛ فجاء جامع المسانيد ليجمع بينها ويُرتب على نحوٍ أبجدي. لوضع المُتفق عليه أو في مجموعات الكُنى والآباء والأبناء والنساء.[٣١٦] أما المُختلَف عليه فله كتاب آخر.[٣١٧] وواضح أهمية الرواة وليست المرويات، الأشخاص وليس الموضوعات، السند وليس المتن. وهو تجميع ضخم دون تحليل موضوع أو استنباط دلالة. ولكل رواية طريق آخر. فإذا كان صحيحًا عند القدماء أننا أُمَّة السند فصحيح عند المُحدَثين أيضًا أننا أمة المتن. وصدَق الصوفية كردٍّ فعل على أمة السند قولهم «عن قلبي عن ربي أنه قال» للتأكيد على أهمية التجربة المباشرة ومُجتمع الذوق. وفرق بين القدرة على التجميع والحفظ والتذكُّر والقدرة على الفهم والتذوُّق.

«جامع المسانيد والسُّنن الهادي لأقوم سنن» لابن كثير (٧٧٤هـ)[٣١٨]

وهو أضخم جامع للمسانيد، سبعة وثلاثون جزءًا في ثمانية عشر مجلدًا. جمع كل مسانيد الصحابة، كبارهم وصغارهم، مشاهيرهم وأقلهم شهرة، من روى آلاف الأحاديث ومن روى حديثًا واحدًا، من استغرقت أحاديثه مجلدًا ومن لم يدوَّن عنه إلا سطر. وهو مجرد

---

[٣١٦] السابق ص٣–٨.

[٣١٧] هو «التحقيق في أحاديث التعليق»، السابق، ص٨.

[٣١٨] الإمام الحافظ المُحدِّث المؤرخ الثقة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي: جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن (سبعة وثلاثون جزءًا، ثمانية عشر مجلدًا)، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الفكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

رصد لأحاديث الصحابة دون تحليل ظاهر. يكفي في المقدمة أنه يشرح دوافع التدوين مثل القرآن واستشهاد القراء في حروب الردة، وكيف جمع المُصنِّف جامعه من كتب عشرة، الأحاديث فيها مُكررة، فيها الصحيح والحسن والضعيف.[٣١٩] وتضمُّ ما يزيد على المائة ألف حديث. وهناك حوالي ألفي صحابي صاحب مُسند صغار وحوالي اثني عشر صحابيًّا صاحب مسند كبار.[٣٢٠] وأكثرهم رواية عائشة، ثم أنس بن مالك، ثم عبد الله بن عباس، ثم جابر بن عبد الله، ثم أبو سعيد الخدري، ثم علي، ثم عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم عمر، ثم عبد الله بن عمر، ثم عثمان. وأقلهم رواية أبو بكر. والمنغمسون في السياسة أكثر روايةً من المُنعزلين عنها. وأحيانًا يكون بين الصحابي والرسول وسيط آخر.[٣٢١]

(ع) «مسند عائشة من المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي» لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)[٣٢٢]

ويروي ألفًا وواحدًا وثمانين حديثًا عن زوجة الرسول، واسم راوي كل حديث عنها. وما زال التركيز على السند دون المتن. ويعتمد على كتاب أطراف الحديث الذي اشتمل على مُسند أبي عبد الله أحمد بن حنبل مع زيادات ابنه. رُتبت أسماء الصحابة ترتيبًا أبجديًّا على حروف المعجم، ثم مَن عُرف بالكنية، ثم المُبهم ثم النساء.[٣٢٣] ويعتمد على مسانيد عشرة.[٣٢٤] ويقوم على عدد من الآيات.[٣٢٥]

---

[٣١٩] السابق، ج٢، ٨–٩.

[٣٢٠] الكبار هم: أبو بكر (١٤٢ حديثًا)، عثمان (٢١٣)، عمر (٥٥٤)، علي (١٠٩٤)، أنس بن مالك (٣٤٧٨)، جابر بن عبد الله (١٩٥١)، عبد الله بن عمرو بن العاص (٨٧٩)، عبد الله بن مسعود (٩٤٨)، عبد الله بن عمر (٢٧٩)، عبد الله بن عباس (٢٩٧٠)، أبو سعيد الخدري (١٢٩٣)، عائشة (٣٧٩٦).

[٣٢١] أنس بن مالك (٣٥٦ وسيطًا)، عبد الله بن عمرو بن العاص (١٧٤)، عبد الله بن عمر (٣٢٦)، عبد الله بن عباس (١٧٩)، أبو سعيد الخدري (١٨٢)، عائشة (٣٤١).

[٣٢٢] شيخ الإسلام الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: مسند عائشة من المسند المُعتلي بأطراف المسند الحنبلي، حققه وخرَّج أحاديثه أبو مطيع عطاء الله بن عبد الغفار كوربجو السِّندي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

[٣٢٣] السابق ص٦٦–٦٧.

[٣٢٤] وهي مسند أهل البيت وفيه مسند العباس وبَنيه، ومسند عبد الله بن عباس، ومسند ابن مسعود، ومسند أبي هريرة، ومسند عبد الله بن عمر، ومسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ومسند أبي سعيد الخدري،

(٤) الموطأ والمدونة والخطاب

(أ) «مُوطَّأ الإمام مالك» (١٧٩هـ)[٣٢٦]

وهو جزء واحد على غير العادة من باقي السنن والإصحاحات والمجاميع. ويعني «الموطأ» اشتقاقًا التوطئة أي التمهيد لشيءٍ آخر هو الفقه بالضرورة؛ فالحديث توطئة للفقه. ومالك مُحدِّث وفقيه. ولكل فقيهٍ مُسنده؛ مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل. وكلها ظهرت قبل الإصحاحات الخمسة أو الستة ليس بغاية جمع الأحاديث ولكن بغاية التمهيد للفقه. لم تضُم مساند وموَطَّآت الفقهاء كل شيء، بل كل ما له صبغة عملية وفائدة فقهية؛ لذلك أتت خاليةً من الكتب النظرية الخيالية الخالصة مثل «بدء الخلق» و«أمور المعاد» وكتب التوحيد الفقهية في الإصحاحات. كما خلت من كتب القرآن والتفسير والسيرة. وتخلو من أي مُقدمة نظرية، مجرد رصدٍ وتجميع. تجمع بين السند والمتن، بين السنن القولية والسنن الفعلية، بين الأقوال المباشرة والرواية. والمتون والأقوال أكثر من المسانيد والروايات. كما تخلو من الأحاديث الطويلة التي تسمح بإطلاق الخيال والتي لا تستوعبها ذاكرة، وتضمُّ ما يقارب الألفي حديث والمائة آية. وتقلُّ الأشعار.[٣٢٧]

وتُصنَّف الأحاديث في اثنين وثلاثين كتابًا في الفقه.[٣٢٨] وهو نفس تبويب الإصحاحات فيما بعد، عبادات ومعاملات. بعضها مُكرر مثل «أوقات الصلاة» و«الصلاة» وهما موضوع واحد. ويُقسَّم كل كتاب إلى موضوعات. وتُرقم الأحاديث. ويوضع لكل كتاب عنوان. وبعضها ما لا يعقل مثل رضاعة الكبير الموجودة في الإصحاحات كذلك، والاعتراض عليها

ومسند أنس، ومسند جابر، ومسند الأنصار، ومسند المكيين والمدنيين، ومسند الكوفيين، ومسند البصريين، ومسند الشاميين، ومسند عائشة، ومسند النساء. السابق ص٦٧.

[٣٢٥] الآيات (١٠).

[٣٢٦] الإمام مالك: المُوطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٣٢٧] الأحاديث (١٨٤٣)، الآيات (١١٣)، الأشعار (٣).

[٣٢٨] (١) أوقات الصلاة، (٢) الطهارة، (٣) الصلاة، (٤) الجنائز، (٥) الزكاة، (٦) الصيام، (٧) الاعتكاف، (٨) الحج، (٩) الجهاد، (١٠) النذور والإيمان، (١١) الضحايا، (١٢) الذبائح، (١٣) الصيد، (١٤) العقيقة، (١٥) الفرائض، (١٦) النكاح، (١٧) الطلاق، (١٨) الرضاع، (١٩) البيوع، (٢٠) القراض، (٢١) المُساقاة، (٢٢) كراء الأرض، (٢٣) الشفعة، (٢٤) الأقضية، (٢٥) العتاقة والولاء، (٢٦) المكاتب، (٢٧) المدبر، (٢٨) الحدود، (٢٩) الأشربة، (٣٠) العقول، (٣١) القسامة، (٣٢) الجامع.

من القدماء.[٣٢٩] وهو ما يُثير ضجةً حاليًّا. والمسئول هم القدماء ومناهج النقل دون العقل، ونقد السند دون المتن، وليس المُحدثين الذين غايتهم الإعلام والشهرة ويكون جزاؤهم الطرد والفصل والعقاب. وأكبرها الصلاة، ثم الحج من العبادات، ثم الجامع والبيوع في المعاملات. وأصغرها كراء الأرض في المعاملات ثم الأشربة والذبائح في العبادات.[٣٣٠]

«إسعاف المبطأ برجال الموطأ» للسيوطي (٩١١هـ)[٣٣١]

وهي دراسة عن رواة «الموطأ»؛ توثيقهم وعدالتهم. ويعني «المبطأ» المُتردِّد في الثقة بأحاديث المُوطأ لأنه لا يعرف عدالتهم.[٣٣٢] ويعني ذلك أنَّ السند أهم من المتن، وأنَّ نقد السند أهم من نقد المتن. وتخلو المقدمة من أي تنظير باستثناء أهمية نقد الرجال ولا يؤخذ العلم من أربعة: سفيه، وصاحب هوًى، وكذَّاب، وشيخ لا يعرف ماذا يُحدِّث.[٣٣٣] ويُصنِّفون أبجديًّا. وبعد الحروف الأبجدية تُعقد أبواب في الكُنى والمجموعات والأبناء والأنساب، مرة في الرجال وأخرى في النساء، وكأن هناك فرقًا في الرواية بين الجنسين.[٣٣٤]

«كشف المُغطَّى من المعاني والألفاظ الواقعة في المُوطَّا» للطاهر بن عاشور (١٣٩٤هـ/١٩٧٣م)[٣٣٥]

وهو كما يدل العنوان ليس شرحًا لفظًا بلفظ، وعبارة أصلية بعبارةٍ أخرى شارحة، ولكن يكشف عن المعاني ودلالات الألفاظ في النص الأصلي بطريقة ابن رشد؛ توضيح الغامض،

---

[٣٢٩] الموطأ ص٣٢٣-٣٢٤.

[٣٣٠] (١) الصلاة (٦٩)، (٢) الحج (٦٠)، (٣) الجامع (٥١)، (٤) البيوع (٤٦)، (٥) الطلاق، الأقضية (٣١)، (٦) الزكاة (٢٥)، (٧) الطهارة (٢٢)، (٨) العقول (١٩)، (٩) الجهاد (١٧)، (١٠) النكاح، المكاتب (١٦)، (١١) الصيام (١٥)، (١٢) الحدود (١٤)، (١٣) الفرائض (١٣)، (١٤) القراض (١٢)، (١٥) الجنائز (١١)، (١٦) العتاقة والولاء (٩)، (١٧) أوقات الصلاة (٧)، (١٨) الاعتكاف، المدبر (٦)، (١٩) النذور والإيمان، الصيد، المساقاة، الشفعة، القسامة (٥)، (٢٠) الضحايا، العقيقة، الرضاع (٤)، (٢١) الذبائح، الأشربة (٢)، (٢٢) كراء الأرض (١).

[٣٣١] الإمام جلال الدين السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. بعد الموطأ ص٥٤٩–٦١٤.

[٣٣٢] السابق ص٥٥١.

[٣٣٣] السابق ٥٥٢–٥٥٦.

وتحديد المعاني، وتفضيل الحديث، وتحويل الرواية إلى دراية، والنقل إلى عقل، والترجيح بين المعاني، وتعليل الأحكام.[٣٣٦] يستند إلى أصول الفقه، ويعتمد على التحليل اللغوي ومبادئ الحقيقة والمجاز.[٣٣٧] يبحث عن الدلالات ولا يكتفي بالإشارات مثل رفع اليدين في الصلاة دليلًا على التعظيم والإجلال.[٣٣٨] ويدخل إلى قلب النص، ويبحث عن مُراده وقصد المؤلف. يشرح الموضوعات خارج علم الحديث لتحديد العلاقة بين النص من ناحية والعقل والواقع من ناحية أخرى.[٣٣٩] يضع النصَّ في إطاره التاريخي الخاص أو في إطار المصلحة الإنسانية العامة، اعتمادًا على القراءات المختلفة لنسخ المخطوط، وعلى تعدُّد قراءات الآيات. وهو شرح واضح للغاية يحمل همَّ العصر.[٣٤٠] فصاحِبُه من زعماء الإصلاح. يستعمل طريقة ابن رشد في الشرح الكبير؛ الفصل بين النص المشروح والنص الشارح، الأول بنط ثقيل، والثاني خفيف. يُقَطع النص إلى فقراتٍ صغيرة. وليس من الضروري إيرادها كلها، بل يكفي قليلها. وقد اعتمد الشرح على الآيات القرآنية أسوةً بالنص، والشواهد الشعرية زيادة على النص.[٣٤١]

ويُراجع الصحة التاريخية للأحاديث؛ لذلك يتوجَّه إلى نقد السند قدر توجُّهه إلى نقد المتن، جمعًا بين الرواية والدراية، بين النقل والعقل، بين النص والمصلحة. لا يكتفي بالنزعة التاريخية الاستشراقية ولا بالنزعة النقلية عند علماء الزيتونة. لا يكتفي برصد

---

[٣٣٤] باب في الكُنى، السابق ص٦٠٣، ٦-٧، باب الهمزات ص٦٠٨-٦٠٩، باب في الأبناء والأنساب ص٦٠٧-٦٠٨، باب في النساء ص٦٠٨، فصل في الكُنى ص٦١٣-٦١٤، فصل في المُبهمات ص٦١٤.

[٣٣٥] فضيلة الشيخ سماحة الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور: كشف المُغطَّى من المعاني والألفاظ الواقعة في المُوطَّأ، ضبَط نصَّه، وعلَّق عليه، وخرَّج أحاديثه د. طه بن علي بوسريح التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، «تُوفِّي في نفس العام الذي تُوفِّي فيه علال الفاسي، عام حرب أكتوبر. وقد تعرَّفتُ عليه بمجمع اللغة العربية بالقاهرة من خلال إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[٣٣٦] السابق ص١٧.

[٣٣٧] السابق ص٧٩، ١٠٤، ١٥٢.

[٣٣٨] السابق ص٩٤.

[٣٣٩] السابق ٦٨، ١٠٤.

[٣٤٠] السابق ص١٥٣.

[٣٤١] الآيات (١٢٣)، الأشعار (٥١).

الأحاديث وجمعها بل يُقيِّمها نقلًا وعقلًا، صحَّة تاريخية ومصلحة عصرية. يُخفف من حدَّة المعاني البيئية القديمة وارتباط النص بالواقع التاريخي الخاص.[٣٤٢] وينقل دلالته إلى العصر الحاضر، يُعرِّف «القنفذ» وفي نفس الوقت يعتمد على التفسيرات العلمية للجهاز العصبي ودَوره في حركة الجسم.[٣٤٣] يعتمد على الشروح السابقة والاقتباسات منها، وفي نفس الوقت يعتمد على اجتهادات العصر ومناهج الاستنباط.[٣٤٤] ويُحدد الشارح خطوات منهجه التاريخي في ثلاث: تحقق صِدق الراوي طبقًا لشروط العدالة واليقظة والضبط وعدم البدعة، تحقق عدم الالتباس والاشتباه على الراوي أي انتفاء التدليس والتغفل، والتحقُّق من مطابقة المروي لما هو واقع من الأمر في زمن النبي، وهي قاعدة الترجيح بين المُتعارِضات ومحامل المُتشابهات وتأويلها والنسخ.[٣٤٥] ليس العلم بكثرة الرواية بل بالتحقُّق من صِدقها.[٣٤٦]

والشارح على وعيٍ بمنهج الشرح الذي يعرضه في المقدمة النظرية الأولى.[٣٤٧] وكلها تتعلق بالسند أكثر من تعلُّقها بالمتن.[٣٤٨] إذ يحتوي الموطأ على أقسام من الروايات: المُتصل، والمُرسَل، والمنقطع، والموقوف، والبلاغات، وأقوال الصحابة والتابعين، وما استنبطه مالك استنادًا إلى العمل والقياس أو استنباطًا من قواعد الشريعة. القسم الأول مقبول بالإجماع، والأقسام الأخرى مُختلَف عليها.[٣٤٩]

---

[٣٤٢] كشف المُغطَّى ص١٢٨.

[٣٤٣] السابق ص١١٥، ٧٠.

[٣٤٤] «رواية ودراية ومُطالعة، نُكت وتحقيقات وفتح لمُغلقات»، السابق ص١٧. «فهذه الشروح لا أجلب منها إلا ما يتعيَّن جلبه للتنبيه على وَهْمٍ أو تقصير. وما عداه أَكِلُه إلى مُطالعة الناظر المُعتني، وأقتصر على ما ينفتح لذهني من الحقائق والألفاظ التي أشكلت أو أُهمِلت أو أُغفِلت ...» السابق ص١٨.

[٣٤٥] السابق ص٢٢.

[٣٤٦] «ليس العِلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء.» السابق ص٢٧.

[٣٤٧] كشف المُغطى ص١٧–٥٦.

[٣٤٨] السابق ص٢٩.

[٣٤٩] بالموطأ (١٧٢٠ حديثًا) منها: ٦٠٠ مُسند، ٢٢٢ مُرسلًا، ٦١٣ موقوفًا، وأقوال التابعين ٨٥ حديثًا. السابق ص٤٥–٤٦.

وقد تمَّ اختصار عدد الكتب من اثنين وثلاثين في «المُوطأ» إلى عشرين في الشرح.[٣٥٠] فقد تمَّ جمع أوقات الصلاة، والطهارة، والصلاة في كتابٍ واحد «الطهارة والصلاة».[٣٥١] وحُذفت كتب الضحايا والذبائح والعقيقة. وحُذف كتاب الرضاع والاكتفاء بالإشارة إليه داخل كتاب الطلاق. وحُذفت المُساقاة وكراء الأرض باعتبارهما أشكالًا وقتية في العلاقات التجارية، كما حذفت المكاسب والمُدبر لنفس السبب. وحذفت الأشربة والعقول لوضوحهما؛ فالدراسات الإصلاحية على كتب الحديث القديمة بداية التحوُّل من النقل إلى العقل، ونقل علم الحديث من مرحلة القدماء إلى مرحلة المُحدثين.

(ب) «المدونة الكبرى» لمالك بن أنس (١٧٩هـ)[٣٥٢]

وهي اسم على مُسمًّى، مدونة لمجموعة من الأحاديث رواية عن تلاميذه، سحنون وغيره، عن طريق القول «قال»، «قلت»، أشبه بجلسات الحديث وسجلاتها. وأحيانًا تكون الرواية مُزدوجة بتوسُّط سحنون عبد الرحمن بن القاسم.[٣٥٣] سؤال وجواب، وليس نصًّا من مالك أو قولًا مباشرًا له؛ لذلك كبر الحجم. «المُوطأ» مكتوب بطريقةٍ أفضل؛ رواية مالك مباشرة، وأصغر حجمًا وتركيزًا على الأقوال المباشرة. يخلو من أية مُقدمة نظرية بل يبدأ بالموضوعات العملية مباشرة مثل «التوقيت في الوضوء». ويخلو من القرآن إلا فيما ندر؛ مرة واحدة. فالفروع الفقهية لا تدخُل في الأصول القرآنية. ويخلو من الشعر على الإطلاق على عكس الشافعي شاعرًا. كما يخلو من الأمثال العربية. وتغليب الطابع العملي وتغيُّب الرواية ووصف الراوي، جعله يخلو من الخيالات والإبداعات والغريبات والموضوعات، بل جعل المُدونة تقع في أدقِّ تفصيلات الوضوء والزكاة وأنواعها وعيناتها، عينةً عينة، فتوارى الطابع الأخلاقي العام للحديث لصالح الطابع القانوني الفقهي مثل شريعة بني إسرائيل

---

[٣٥٠] كشف المُغطى ص٥٧–١٣٤.

[٣٥١] السابق ص٢٦٩–٢٧٠.

[٣٥٢] الإمام مالك بن أنس: المدونة الكبرى «ستة أجزاء»، دار صادر، بيروت، (د.ت)، وهي تصدير بالأوفست لطبعة دار السعادة بمصر على نفقة حضرة الحاج محمد أفندي ساس المغربي التونسي التاجر بالفحامين بمصر. وهي أول طبعة ظهرت على وجه البسيطة لهذا الكتاب الجليل.

[٣٥٣] «أوردها الإمام سحنون بن سعيد التونخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي عن إمام دار الهجرة وأوحد الأئمة الأعلام أبي عبد الله الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.»

التي ثار عليها المسيح، والقوانين الكنسية التي ثار عليها الإصلاح. وتدخل المُدونة في أدق التفصيلات الجزئية، بل يُقسَّم الكتاب الواحد إلى كتابين وثلاثة وأربعة وخمسة بلا داعٍ وبلا سبب ودون دلالة وبلا عناوين خاصة.[٣٥٤] والتفصيل في موضوع النكاح يجعل القارئ الحديث يتَّهم الكتاب بأنه جنسي التوجُّه في أجزاء، ومُمِل في أجزاءٍ أخرى.[٣٥٥]

وتنقسم «المدونة» إلى أربعة وسبعين كتابًا.[٣٥٦] وقد يتشابه كتابان يستحقَّان أن ينضمَّا في موضوعٍ واحد. إنما الرغبة في التفصيل هي التي دفعت إلى مزيدٍ من التقسيم.[٣٥٧] وكلها كتب في الفقه العملي لدرجة التفصيل الجزئي ووضع كل أنواع فضلات الجسد في الوضوء.

---

[٣٥٤] السابق ج٣، ٢٣٠. وعنوان الكتاب «المكاتب» وتتكرر داخل الكتاب أيضًا.

[٣٥٥] تقسيم كتاب الصلاة إلى قسمين وكذلك كتاب الزكاة وكتاب النذور وكتاب العتق وكتاب الشفعة وكتاب القسمة وكتاب الوصايا، وتقسيم النكاح إلى ستة أقسام، وتقسيم كتاب الحج إلى ثلاثة أجزاء وكذلك كتاب السلم.

[٣٥٦] (١) التوقيت في الوضوء، (٢) الصلاة، (٣) الجنائز، (٤) الصيام واعتكاف ليلة القدر، (٥) الاعتكاف، (٦) الزكاة، (٧) الحج، (٨) الجهاد، (٩) الصيد، (١٠) الذبائح، (١١) الضحايا، (١٢) النذور، (١٣) النكاح، (١٤) إرخاء الستور، (١٥) الرضاع، (١٦) العدة وطلاق السنة، (١٧) الإيمان بالطلاق وطلاق المريض، (١٨) الظهار، (١٩) الإيلاء واللعان، (٢٠) الاستبراء، (٢١) العتق، (٢٢) المكاتب، (٢٣) التدبير، (٢٤) أمهات الأولاد، (٢٥) الولاء والمواريث، (٢٦) الصرف، (٢٧) السلم، (٢٨) الآجال، (٢٩) البيوع الفاسدة، (٣٠) بيع الخيار، (٣١) بيع الغرر، (٣٢) بيع المرابحة، (٣٣) الوكالات، (٣٤) العرايا، (٣٥) التجارة بأرض العدو، (٣٦) التدليس، (٣٧) الصلح، (٣٨) تضمين الصناع، (٣٩) كراء الرواحل والدواب، (٤٠) كراء الدور والأرضين، (٤١) المُساقاة، (٤٢) الجوائح، (٤٣) الشركة، (٤٤) القراض، (٤٥) الأقضية، (٤٦) القضاء، (٤٧) الشهادات، (٤٨) الدعوى، (٤٩) المديان، (٥٠) التفليس، (٥١) المأذون له في التجارة، (٥٢) الكفالة والحمالة، (٥٣) الحوالة، (٥٤) الرهن، (٥٥) الغصب، (٥٦) الاستحقاق، (٥٧) الشفعة، (٥٨) القسمة، (٥٩) الوصايا، (٦٠) الهبات، (٦١) الحبس، (٦٢) الصدقة، (٦٣) الهبة، (٦٤) الوديعة، (٦٥) العارية، (٦٦) اللقطة والضوال والآبق، (٦٧) صريح الآبار، (٦٨) الحدود في الزنا والقذف والأشربة، (٦٩) الرجم، (٧٠) الأشربة، (٧١) السرقة، (٧٢) المحاربين، (٧٣) الرجاحات، (٧٤) الجنايات.

[٣٥٧] وذلك مثل: فصل كتاب الصلاة عن كتاب الجوائز، السابق ج١، ٥٥–١٩١. كتاب الصيام والاعتكاف وليلة القدْر وكتاب الاعتكاف ج١، ١٩١–٢٤٢. كتاب الصيد والذبائح والضحايا ج٢، ٥١–٧٦. كتب النكاح وإرخاء الستور والرضاع والعدة وطلاق السنة، والإيمان بالطلاق وطلاق المريض، والطهارة والإيلاء واللعان، والاستبراء وأمهات الأولاد والغصب السابق ج٢، ١٥٢–٤٨٢؛ ج٣، ٢–١٥٠، ٣١٥–٣٩٣؛ ج٥، ٣٤١–٣٧٢. كتب البيوع الفاسدة، بيع الخيار، بيع الغرر، بيع المُرابحة، الوكالات، العرايا، التجارة بأرض العدو. التدليس ج٤، ١٤٥–٣٦٠. كتب كراء الرواحل والدواب، كراء الدور والأرضين السابق

والتفصيل في أنواع الأطعمة. ولا تُوجَد كتب نظرية مثل العِلم والإيمان والتوحيد وكما هو الحال في الإصحاحات. وكثير من الموضوعات تجاوزها الزمن وتقوم على المعيار المُزدوج بين الطوائف، حتى في موضوعات بدنية صرفة مثل الغُسل من الجنابة والتمييز بين المُسلمة والنصرانية.[٣٥٨] وبعض الألفاظ لم تعُد مُستعملة مثل «المديان» و«الحمالة».

وأكبرها النكاح ثم الحج ثم الصلاة ثم الزكاة؛ فالجنس له الأولوية المُطلقة. وأصغرها الأشربة ثم الذبائح ثم الصدقة أي ما يتعلَّق بالطعام. لقد خضعت قسمة الأبواب إلى الموضوعات الفقهية القديمة. وكثيرٌ منها تجاوز عصره مثل الصيد وإرخاء الستور والاستبراء والعتق والآبق وتحريم الآبار والرجم ... إلخ.[٣٥٩]

ج٤، ٤٦٣–٥٦٠. كتاب الأقضية وكتاب القضاء ج٥، ١٣٢–١٥٢. كتب الشهادات والدعوى. السابق ج٥، ١٥٢–٢٠٤. كتاب المديان وكتاب التفليس السابق ج٥، ٢٠٤–٢٤٢. كتاب الكفالة والحمالة وكتاب الحوالة السابق ج٥، ٢٥٢–٢٩٦. كتاب الهبات وكتاب الهبة وكتاب الصدقة ج٦، ٧٩–٩٨، ١١٢–٥٤٤. كتاب الوديعة وكتاب العارية ج٦، ١٤٤–١٧٣. كتاب الحدود في الزنا والقذف والأشربة. كتاب الرجم، كتاب الأشربة ج٦، ٢٠٢–٢٦٥. كتاب الجراحات وكتاب الجنايات وكتاب الديات ج٦، ٣٠٦–٤٥٧.

[٣٥٨] المدونة ج١، ٣٥.

[٣٥٩] (١) النكاح (١٦٨)، (٢) الحج (١٣١)، (٣) الصلاة (١٢٢)، (٤) الزكاة (١١٨)، (٥) السلم (١١٥)، (٦) إرخاء الستور (٨٥)، (٧) العتق (٨٠)، (٨) الوصايا (٧٧)، (٩) النذور، تضمين الصناع (٧٦)، (١٠) القسمة (٧٠)، (١١) الجنايات (٧٦)، (١٢) المكاتب (٦٤)، (١٣) العدة وطلاق السنة، الشفعة (٦٣)، (١٤) الديات (٦٢)، (١٥) التدليس (٦٠)، (١٦) الصرف (٥٦)، (١٧) كراء الدور والأرضين (٥٥)، (١٨) التوقيت في الوضوء (٥٣)، (١٩) الجهاد (٤٩)، (٢٠) الإيمان بالطلاق، وطلاق المريض (٤٧)، (٢١) القراض (٤٦)، (٢٢) الرهن (٤٥)، (٢٣) كراء الرواحل والدواب (٤٢)، (٢٤) الولاء والمواريث، الكفالة والحمالة (٣٦)، (٢٥) الظهار، بيع الخيار (٣٥)، (٢٦) الصيام والاعتكاف وليلة القدر (٣٤)، (٢٧) الحدود في الزنا والقذف والأشربة والسرقة (٣٣)، (٢٨) أمهات الأولاد (٣٢)، (٢٩) الغصب (٣١)، (٣٠) التجارة بأرض العدو (٣٠)، (٣١) الاستبراء (٢٩)، (٣٢) الآجال (٢٨)، (٣٣) الصلح والاستحقاق (٢٧)، (٣٤) الشركة، الشهادات، الدعوى، الهبة، الرجم (٢٦)، (٣٥) البيوع الفاسدة (٢٥)، (٣٦) الإيلاء واللعان، المديان، الجراحات (٢٢)، (٣٧) التدبير، بيع الغرر (٢١)، (٣٨) الهبات (١٩)، (٣٩) الوديعة (١٨)، (٤٠) الجنائز، بيع المرابحة (١٧)، (٤١) التفليس، اللقطة والضوال والآبق (١٦)، (٤٢) الاعتكاف، الوكالات، الجوائح (١٥)، (٤٣) الإرضاع، الحبس (١٤)، (٤٤) الصيد، تحريم الآبار (١٣)، (٤٥) العرايا، الأقضية (١٢)، (٤٦) العارية (١١)، (٤٧) المأذون له في التجارة (١٠)، (٤٨) القضاء، الحوالة، المحاربون (٨)، (٤٩) الضحايا (٧)، (٥٠) الصدقة (٦)، (٥١) الذبائح (٥)، (٥٢) الأشربة (٤).

(ج) «الفردوس بمأثور الخطاب» لألكيا (٥٠٩هـ)[٣٦٠]

وهو نوع من جمع الأحاديث مثل الإصحاحات والمسانيد والسنن طبقًا للرواة، ومُرتبة ترتيبًا أبجديًّا وليس موضوعيًّا، حوالي عشرة آلاف حديث. وهي أقوال مباشِرة دون رواية أو حوار. وأحيانًا قلب الحديث فقط مع قدْرٍ كبير من التركيز والاختصار. وهو مجرد رصد وجمع لتسهيل التصرُّف على المتون دون نقدٍ نظري، مع التركيز على الصحيح دون إصدار حُكم على السند أو المتن. وسبب التأليف هو إعراض الزمان عن الحديث وأسانيده والجهل بمعرفة الصحيح منه والسقيم، وترك الكتب القديمة والحديثة في الفرائض والسنن، والانشغال بالقصص والأحاديث دون أسانيدها.[٣٦١] ومع ذلك فالأحاديث مُقسَّمة إلى فصول بلا عناوين.[٣٦٢] وقد تكون عناوين بعض الفصول الكلمات الأولى في الحديث تحت الحرف الأبجدي. وأحيانًا تُذكر موضوعات بلا فصول.

ثالثًا: المجموعات الجزئية

وقد ظهرت بعض المجموعات الجزئية في موضوع واحد جُمعت بعض الأحاديث حوله، إما لضروراتٍ للواقع مثل فِتن آخر الزمان أو النصر آخر الزمان من أجل تحذير المسلمين من مخاطر قادمة، أو تقوية الروح المعنوية لنصر موعود. وقد يكون الهدف لا سياسيًّا بالمرة؛ مجرد إبراز لموضوع بناء على اختيار تقليدي آمني مثل الطهارة أو الصلاة أو الصوم أو الحج؛ أي العبادات الرئيسية أو بعض موضوعات المعاملات نظرًا لضخامة المجموعات والسنن والإصحاحات الكبرى بالرغم من تقسيمها إلى كتُبٍ في موضوعات محددة.

---

[٣٦٠] أبو شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي الهمذاني المُلقب «ألكيا»: الفردوس بمأثور الخطاب (٦ أجزاء)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[٣٦١] «فإني لما رأيتُ أهل زماننا هذا، خاصة أهل بلدنا، أعرضوا عن الحديث وأسانيده، وجهلوا معرفة الصحيح والسقيم، وتركوا الكتب التي صنعها الأئمة قديمًا وحديثًا في الفرائض والسنن والحلال والحرام والآداب والوصية والأمثال والمواعظ، واشتغلوا بالقصص والأحاديث المحذوفة عنها أسانيدها التي لم يعرفها ناقلو الحديث، ولم تُقرأ على أحدٍ من أصحاب الحديث لا سيما الموضوعات التي وضعَها القُصَّاص لينالوا بها القطيعات في المجالس بالطرقات، أثبتُّ في كتابي عشرة آلاف حديث … وحذفتُ أسانيدها وحددتُها مبوبةً أبوابًا على حروف المعجم، ومُفصلة فصولًا حسب تقارُب ألفاظ النبي.» السابق ص٦–٧.

(١) «تمام المنة في تقريب صريح السنة» للطبري (١٣٠هـ)[٣٦٣]

ويبين صلة علم الحديث بعلم التاريخ؛ فالطبري مؤرخ ومُحدث. ولا تعني السنة هنا الحديث المُدون، بل الطريق القويم والعقائد الصحيحة مما يدل على ارتباط علم الحديث بعلم أصول الدين. فمُعظم الأحاديث مُنتقاة في علم العقائد، بما في ذلك الأحاديث المتبادلة بين علماء الفِرَق مثل «القدرية مجوس هذه الأمة.»[٣٦٤] «اللفظية جهمية.»[٣٦٥] وترتيب الأحاديث طبقًا لنسق العقائد طبقًا للمُثار منها في العصر مثل خلق الله، ورؤية الله، وأفعال العباد، والتشبيه، وما يتعلق منها بالسياسة مثل الصحابة والإمامة، والإيمان والغيبة والخلافة واتباع الإمام.[٣٦٦] وهي رواية سماعية. ويعتمد على الآيات والأحاديث والآثار غير المرفوعة وغريب الحديث والأثر وعلى عديدٍ من الرواة.[٣٦٧]

(٢) «نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول» للحكيم الترمذي (٣١٩هـ)[٣٦٨]

والعنوان الأصلي «سلوة العارفين وبستان المُوحدين». فقد كان الصوفية الأوائل في المرحلة الخلقية مُحدثين مُهتمين بجمع الأحاديث الخلقية بما فيها من مقاماتٍ وأحوال لدرجة أنه يصعب التمييز بين الحديث والتصوُّف الخلقي. وهي مساهمة الصوفية في علم الحديث أكثر من مساهمة المُحدثين في علم التصوف. وقد يكون الكثير منها موضوعًا. بل إنَّ

[٣٦٢] مثل رفع أخبارٍ جاءت عن النبي في مناقبه ج١، ٤١. الأحاديث التي أمر النبي أُمَّته في أمر الدين وغيره ج١، ٧٨. الإسلام ج١، ١١٥. أن الله عزَّ وجلَّ ج١، ١٨٢. حكاية عن الأنبياء ج١، ١٢٢. الصلاة ج١، ٣١١. التحذير والوعيد ج١، ٣٨٠. ما أمر النبي أُمته وأوصاهم ج١، ٤٢٧. فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، الأدعية التي دعا بها النبي في أوقاتٍ شتَّى ج١، ٤٣٩. أدعية الصلاة على الجنائز ج١، ٤٩٦. أدعية النبي معينًا ج١، ٤٩٨. الرقية ج٢، ١٩. التعبد ج٣، ١٥. التزوج ج٣، ٢١. الأدوية ج٣، ٢٤. المأكول ج٣، ٢٥. تفسير آي من القرآن ج٣، ١٥٠. في الأمثال ج٤، ١٢٨. في تفسير آي من القرآن ج٤، ٤٢. فصل لم يسمَّ فاعله ج٥، ٥٣٤.

[٣٦٣] الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: إتمام المنة في تقريب صريح السنة، حقَّقها وضبطها واعتنى بها أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية، دار ابن عفان، عمان، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٣٦٤] السابق ص٣٤.

[٣٦٥] هي تسعة موضوعات: (١) القرآن وأنه كلام الله، خلق الله، (٢) رؤية الله، (٣) أفعال العباد، (٤) صحابة الرسول، (٥) الإمامة، (٦) الإيمان، (٧) ألفاظ العباد، (٨) الاسم والمُسمى، (٩) الاستواء، أحاديث تحريم الغيبة (السابق ص٢٣–٥١).

الصوفية إحدى جماعات وضع الأحاديث بطرقهم الخاصة في الرواية «عن قلبي عن ربي أنه قال». وهو ما يُبرر العنوان «نوادر الأصول» التي تشمل الأحاديث النادرة أي الغريبة، وربما الموضوعة التي لم يسمع عنها أحد من قبل ولا تدخل في الموضوعات؛ لأن المؤلِّف لم يُصرح بذلك كما صرَّح الجوزي. وتتعدَّد الروايات للحديث الواحد. ويتم شرحه بما في ذلك الشرح اللغوي.[٣٦٩] يشرح الحديث بالقرآن، وتتخللها بعض الأحاديث القدسية التي يتحدَّث فيها الله وليس الرسول.[٣٧٠] ومنها أحاديث أقرب إلى العادات الاجتماعية مثل الحلاقة.[٣٧١] ويستشهد بأقوال الأنبياء السابقين مثل: موسى وعيسى.[٣٧٢]

وتُجمَع الأحاديث في أصولٍ بلا عناوين فقهية، وعددها مائتان وواحد وتسعون أصلًا. يمكن تجميعها في عددٍ أقل لا يتجاوز العشرة طبقًا لموضوعات الأخلاق والتصوُّف الخلقي. أولًا الفقه الباطني في مقابل الفقه الظاهري.[٣٧٣] فكل عبادة لها ظاهر وباطن.

---

[٣٦٦] السابق ص١٧–١٨.

[٣٦٧] الآيات (٢٥)، الأحاديث (٢٩)، الآثار المرفوعة (١٢)، غريب الحديث والأثر (٧)، الرواة (٧٠).

[٣٦٨] أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي: نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (طبعة مصورة عن طبعة أزهرية قديمة).

[٣٦٩] السابق ص٣.

[٣٧٠] السابق ص٧.

[٣٧١] السابق ص٩.

[٣٧٢] السابق ص٦–٧.

[٣٧٣] مثل: آداب الاتصال بتقديم اليمين على الشمال، (٢) النهي عن الفزع (الحلف)، (٣) حقيقة الفقه وفضيلته، (٤) النهي عن الأكل على الخوان، (٥) الأمر بقطع المراجيح، (٦) النظافة وسِر فضلها، (٧) في مشاركة الجليس في الهدية، (٨) سِر قتل الحيَّات والنهي عنه، (٩) أكل القثاء بالرطب وسِره، (١٠) فضيلة المؤذنين، (١١) النهي عن إكراه المرضى على الطعام، (١٢) البركة في بيع العقار نزوعه، (١٣) النفقة في التراب والبناء لا أجر فيها، (١٤) للصائم دعوة مُستجابة عند إفطاره، (١٥) للخل منافع في الدين والدنيا، (١٦) دفع المنكرات بالدعاء، (١٧) الناس ينزلون منازلهم، (١٨) حكمة الله فيما نهى عن قتله وأمر بقتله، (١٩) القبلة وتقبيل الباكورة، (٢٠) رهبانية هذه الأمة الجهاد، (٢١) الولد من ريحان الله، (٢٢) أفضل الصلاة لوقتها، (٢٣) أطيب الكسب كسب التجار، (٢٤) مبادرة العاطس بالحمد، (٢٥) فضل ماء زمزم، (٢٦) أدب التنزُّه عن المأكول وتناوله، (٢٧) ما يستصلح به الأقوات سيد الأدم، (٢٨) الكلام عليك لا لك وضروبه، (٢٩) إيداع العهد بالدعاء بعد الصلاة، (٣٠) فضل صلاة الفجر يوم الجمعة، (٣١) سِر الكلمات العشر بعد الصلاة، (٣٢) النهي عن الاعتزاز بالعبيد، (٣٣) في حق الولد على الوالد، (٣٤) فيما يُقال عن إحلال الإحلال، (٣٥) فضل يوم عاشوراء وسِر التوسُّع فيه، (٣٦) المصافحة وسرها،

وثانيها الإيمان أي الجانب الداخلي للعبادات والمعاملات. يعطي الطمأنينة، وكلاهما من نفس الاشتقاق. لا يخاف الموت. له حاسَّة باطنية تنهى عن المنكر. يُبتلى ليُمتحن. يُبلِي بدنه وتصفو روحه. يستر صاحبه. الوسوسة والشك بدايته واليقين نهايته. يُسهِّل العمل وييسره.[٣٧٤] والأخلاق فضيلة. وهي نوعان؛ رذائل وفضائل. الرذائل مثل الحرص والاعتراض والعجلة، والبهتان، والهوى، والفُجر والسرَف وغيرها. والفضائل الأدب وإعطاء الأجير أجره، وإماطة الأذى عن الطريق، والحسنة، والصدقة والخير، والفطرة الأصلية، والإحسان إلى اليتيم، وترك ما لا يعني، وحُسن الجواب، والحلم، والحكمة، والأمانة، وغض البصر، والبِر بالوالدين، والرحمة، والاستقامة. وتجمع بين الفضائل النظرية والسلوك العملي.[٣٧٥]

(٣٧) أدب شرب الماء وفوائد كل شربة، (٣٨) النهي عن إسكان النساء الغُرَف، (٣٩) النوم مع الطهر كالصوم مع القيام، (٤٠) فضيلة صوم شهر رمضان، (٤١) فيما يُقال عند النوم، (٤٢) زمزم واشتقاقه وأنها من الجنة، (٤٣) الأشربة من خمس، (٤٤) حقيقة الفقه وفضيلته، (٤٥) سر العمل وعلانيته، (٤٦) سر الاحتجاب وبيان الحكمة، (٤٧) حقيقة الاستيداع وسره، (٤٨) سر شهادة العطاس.

[٣٧٤] (١) تأثير الغضب في الإيمان، (٢) حسن حال المؤمن المُحتضر، (٣) في مرتبة روح المؤمن، (٤) في العين المؤمنة إذا رأت منكرًا، (٥) أول تحفة المؤمن بعد الموت، (٦) حق المؤمن على المؤمن ست خصال، (٧) المؤمن يموت بعرق الجبين، (٨) النعمة والرحمة وبلوغ ذُرى الإيمان، (٩) هم الأنبياء وتنزُّههم عما لا يليق، (١٠) عمل الأنبياء والأولياء خدمة وعبودية، (١١) سنن المُرسلين، (١٢) المرض للمؤمن تمحيص للذنوب، (١٣) خصال طعم يحصل بها طعم الإيمان، (١٤) المؤمن يبلى ويصفى، (١٥) سِر دعوات نبوية، (١٦) الانتفاع لبسة أهل الإيمان، (١٧) الوسوسة من برازخ الإيمان، (١٨) قوة الإيمان ويسر العمل وهو التأييد والصبر والاستعفاف والاستغفار، (١٩) خصائص النبي الأمي وسِر قوله أُعطيت خمسًا، (٢٠) وصف مشي الرسول.

[٣٧٥] (١) ذم الحرص والاعتراض والعجلة، (٢) حد التأديب في الممالك، (٣) تعجيل إعطاء أجرة الأجير، (٤) مراتب الأخلاق، (٥) فضل العلم، (٦) سر إماطة الأذى عن الطريق، (٧) أدب الصحبة، (٨) بطاقة البهتان والاحتراز منه، (٩) الحسنة بعشرة أمثالها، (١٠) بيان أفضل الصدقة، (١١) الاختيار من الخير، (١٢) معنى الفطرة الأصلية، (١٣) المنافات بين اللحان والصديق، (١٤) من الناس مفاتيح الخير وبالعكس، (١٥) الحث على ترك ما لا يعني، (١٦) فضل الإحسان إلى اليتيم، (١٧) البداية في الخيرات بالأكابر، (١٨) أي النساء خير؟ (١٩) الموحد والصديق في الناس قليل، (٢٠) مذاهب أهل الأهواء، (٢١) ذكر الفاجر بما فيه للتحذير منه، (٢٢) بيان جملة مكارم الأخلاق، (٢٣) حسن الجواب في خلال الخطاب، (٢٤) بيان أفضل ما أُعطي للناس، (٢٥) طلب الخير والتعرض للنفحات، (٢٦) عثرة الحليم وتجربة الكريم الحكيم، (٢٧) شرف الخير وقوام الروح، (٢٨) الحسنة الحديثة والذنب القديم، (٢٩) أخلاق المسافرين، (٣٠) فضل الأمانة، (٣١) فضل غض البصر، (٣٢) فضيلة الأمور الثلاثة، (٣٣) حسن الخلق، (٣٤) بر الوالدين،

ومن الأصول المقامات والأحوال عند الصوفية. المقامات مثل: الصبر، التوبة، اليقين، الشكر، الزهد، المحبة، العبودية. والأحوال مثل الخوف والرجاء. ومن التصوُّف الفلسفي الأبدال. ومن الرياضات والمُجاهدات: الذكر، الدعاء، وغيرها.[٣٧٦] ومن موضوعات التصوف؛ النفس والقلب واللب والفؤاد والوسوسة والنظرة. فالقلب موطن الطمأنينة. والتقوى في القلب. والقلب ملِك، والأركان عبيد. ولا ينظر الله إلا إلى القلوب. والغِنى في النفس. تألف بمن يبرها. ولا تفنى.[٣٧٧] والقرآن والسنة هاديان. وقد تتبدل بالسنة العترة أي آل البيت.[٣٧٨] والقرآن يضع المحبة المتبادلة والإحسان المتبادل. ويقرأ القرآن أربعين ليلة. وفزع وعد القرآن أن تولد الشيب. وتفسيره بالباطن على عكس تفسير المغربين. وللقرآن أقسام تفضل فيه بعض السور. وهو سلطة في الزمان والمكان مع السلطان والمؤمنين والكعبة. وفي الحديث تُعطي تفسيرات لبعضها الأمان، وتُحذر من الدنيا، وتدعو إلى الاستغفار، وبيان

---

(٣٥) أخلاق المعرفة، (٣٦) كمال المرء في سبع، (٣٧) أخلاق الله المائة والسبعة عشرة، (٣٨) من لا يرحم لا يُرحم، (٣٩) عشرة الحكيم وتجربة الحكيم، (٤٠) مبدأ الاستقامة ومُنتهاها، (٤١) تمثيل الحرص والسرَف بالمُذنبين، (٤٢) الحياء، (٤٣) مناولة المسكين تقي ميتة السوء، (٤٤) الهدية خلق من خلق الإنسان، (٤٥) سر التحية بالسلام، (٤٦) تخير المغبون، (٤٧) العين حق، (٤٨) تفسير الاستئناس، (٤٩) ذم الاعتزاز بالعبد.

[٣٧٦] الذكر الخفي، ذكر الله من أهل الغفلة، الخشوع، أحب الأصوات إلى الله اللهفان، لا أحد أحب إليه العُذر من الله، حُسن المجاورة لنِعَم الله، كلمات الفرج والمغفرة والتلقين في أن الله مع من أحب، ضروب البكاء عشرة، المقه والعيت وعلامة أهلهما، فيما تراه للحكيم من منازل القُربة، جمع الهموم وتشعبها، القنوت وقوف العبد وإقباله وركود وخشوع.

[٣٧٧] (١) في حقيقة النظرتين، (٢) الكبائر لا تجامع مع طمأنينة القلب بالله، (٣) أن النفس تألف بمن يبرها، (٤) الفرق بين حسن الأشياء عند أولي الألباب، (٥) الغنى في النفس والتُّقى في القلب، (٦) النفس لا تموت حتى تستكمل رزقها، (٧) الخصال التي تُظهر الجسد والقلب، (٨) القلب ملك والأركان عبيد، (٩) صورة النفس وإحياؤها، (١٠) الله إنما ينظر إلى القلوب، (١١) كلمة التقوى وصورة معناها في القلب، (١٢) القلب الحقيقي في أثقال العظمة يتحمل بالمزاج.

[٣٧٨] (١) الاعتصام بالكتاب والعترة وبيانها، (٢) تفسير ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾، (٣) تفسير ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، (٤) قراءة القرآن أربعين ليلة، (٥) فزع وعد القرآن يورث الشيب، (٦) سر ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾، (٧) تفسير المغربين، (٨) بيان أقسام القرآن، (٩) القرآن مَثله كجرابٍ فيه مسك، (١٠) فضل سورة الفاتحة، (١١) آية الكرسي وما يحرس به، (١٢) والقرآن مع غياث العباد مع السلطان وأهل الإيمان وأشرف المكان وهو الكعبة.

متى يصدُق الحديث، وروايته بالمعنى.[٣٧٩] ويتم الانتقال من الحديث إلى السيرة، هيبة الرسول في حياته وزيادة الخبرة.[٣٨٠] وتجمع الأحاديث حول موضوع الولاية. والتمطر من إمارات المشتاقين.[٣٨١]

وتظهر موضوعات الحياة الجسدية الطبية مثل المعدة والأدوية على ما هو معروف في الطب النبوي.[٣٨٢] ومثل الشباب والهرم، والمعمرين في الإسلام والصبا.[٣٨٣] ومن الحياة الجسدية يتم الانتقال إلى الحياة الاجتماعية والسياسية في صفات ولاة الأمور العادلين، والمعارضة السياسية مثل الخوارج، وعقاب من غش العرب، وفضل الشهيد والشهادة، وفضل الصحابة، وإجماع الأمة واختلافهم رحمة، وخيرها أولها وآخرها، وأمناء هذه الأمة، والكتابة والحفظ. وغير الحق من العلماء يمسخ، والنصح لله.[٣٨٤] وتجمع الأحاديث حول موضوعات البُعد عن الدنيا والزهد فيها؛ فالدنيا أسحر من هاروت وماروت.[٣٨٥] والحياة بلاء واختبار غير مُحدد بوقت. وتجمع الأحاديث حول التوحيد. وهو توحيد قلبي

---

[٣٧٩] في سر «لا تأمنن على أحدٍ بعدي»، (٢) قوله «أُحشر أنا وأبو بكر وعمر.» (٣) قوله «فروح وريحان بالوجهين.» (٤) قوله «إن هذا المال خضرة حلوة.» (٥) قوله «من يعمل سوءًا يُجز به.» (٦) قوله «إني أستغفر الله في اليوم مائة مرة.» (٧) قوله «بئس العبد من ثمانية أوجه.» (٨) فيما يعدُّونه صدق الحديث، (٩) زيارة قبر لبى هجرة المُضطرين دعاؤه، (١٠) تأثير هيبة الرسول في حياته، (١١) في سِر رواية الحديث بالمعنى، (١٢) ديدان القراء والتمسُّك بالسنة.

[٣٨٠] (١) علامات أولياء الله، (٢) شرائط الولاية، (٣) صفة الأولياء والتحذير من إهانتهم.

[٣٨١] (١) التمطُّر من إمارات المشتاقين، (٢) فضل نظرة المُشتاق.

[٣٨٢] (١) المعدة إذا كانت صحيحة تُرجى معها النجاة، (٢) أصل الأدوية وسر الحكمة في التداوي، (٣) ما يهرم ويشيب من الآدمي، (٤) أمعاء الآدمي لِمَ كانت سبعة فصارت واحدة، (٥) المُعمرون في الإسلام، (٦) عرامة الصبي ذكاة فؤاده، (٧) سبب زيادة العمر.

[٣٨٣] (١) صفات ولاة الأمور العادلين، (٢) بيان الخوارج، (٣) عقاب من غش العرب، (٤) تسليم الحق ومُصافحته العمر، (٥) تمثيل بلال، (٦) أبو بكر خير من مؤمن آل فرعون، أبو موسى أوتي مزمارًا من مزامير آل داود، (٧) سر دعوات أبي ذر، (٨) فضل الشهيد، (٩) مراتب الشهادة سبع أو ثمانٍ، (١٠) إجماع الأمة حجة واختلافها رحمة، (١١) خير هذه الأمة أولها وآخرها، (١٢) دعاؤه للأمة عشيةً عرفة، (١٣) النجوم أمان لأهل السماء وأهل البيت أمان للأمة، (١٤) أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، (١٥) حكمة قصر أعمار هذه الأمة، (١٦) خصوصية هذه الأمة، (١٧) النصح لله وبيان سره.

[٣٨٤] (١) الكتابة قيد للعلم وحفظ له، (٢) غير الحق من العلماء يمسخ، (٣) الاعتبار في الاجتهاد بعقد العقل، (٤) فضل العقل، (٥) الأمثال من معدن الحكمة ولِمَ مثلت المرأة بالسيف، (٦) راس الحكمة مخافة الله، (٧) حقيقة الفراسة ودواعيها، (٨) فضل العلم بالله.

شعوري؛ يناجي الموحد ربه. والتعلق بالأسباب مع التوحيد لا يضر.[٣٨٦] ولا يساء الظن بالله.[٣٨٧] ويظهر التوحيد في الاستعاذة بالله.[٣٨٨] والرضا بالقضاء.[٣٨٩] ويستجيب الله لدعوة المغموم.[٣٩٠] ويغفر للمستغفر.[٣٩١] ويهدي الناطقين بالحق.[٣٩٢] والاعتبار والاتعاظ بكل شيء.[٣٩٣] وفيما يعلم به منزلة العبد عند ربه.[٣٩٤]

وتظهر موضوعات الأخرويات أو المعاد، الموت والقبور والحشر والجنة والنار والآخرة.[٣٩٥] فيقبض العبد حيث أثره، وينبت الميت على إيمانه حين الدفن.[٣٩٦] وزيارة فتاني القبر، وتحريم زيارة القبر.[٣٩٧] والنهي عن الجلوس على القبور.[٣٩٨] ثم تظهر أحاديث

---

[٣٨٥] (١) الدنيا أسحر من هاروت وماروت، (٢) مدة المحنة لِمَ تُقدَّر بثلاثة أيام، (٣) قدر تعظيم الدنيا والمداهنة ووزر السيئات، (٤) الأرض تنادي بني آدم كل يوم سبعين مرة، (٥) الدنيا ملعونة إلا عن ثلاثة.

[٣٨٦] (١) التعلق بالأسباب مع التوحيد لا يضر، (٢) العبد يسأل عن صدق لا إله إلا الله، (٣) محبة الأسباب ومعرفة الشرك والتوحيد فيها، (٤) أُسس النعم وشكر المُنعم.

[٣٨٧] (١) خوف الإقلال من سوء الظن بالله، (٢) ظن العبد ربه إن كان حسنًا حقَّق له ذلك.

[٣٨٨] (١) الاستعاذة وكلمة التحصين، (٢) كلمة النجوى، (٣) التعوذ بنسبة الحق، (٤) الاستعاذة بالله، (٥) التعوذ من النفاق، (٦) الاستعاذة من النفاق وثمراته.

[٣٨٩] (١) دعوة المغموم، (٢) الدعاء مخ العبادة.

[٣٩٠] سعادة ابن آدم في الاستخارة والرضا بالقضاء.

[٣٩١] (١) حقيقة الاستغفار، (٢) سر الغفران بعد الفراغ.

[٣٩٢] هدى الله على لسان الناطقين بالحق.

[٣٩٣] الاعتبار والاتعاظ بكل شيء.

[٣٩٤] فيما يعلم به منزلة العبد عند الله.

[٣٩٥] (١) يقبض العبد حيث أثره، (٢) التهديد على زوارات القبور، (٣) ذكر فتاني القبر، (٤) الحكمة في فتاني القبر، (٥) بيان أنه مما يحصل عذاب القبر، (٦) ضغطة القبر وعذابه، (٧) النهي عن الجلوس على القبور، (٨) مسألة التثبيت للميت على الدفن.

[٣٩٦] (١) نشر السجلات يوم الحشر، (٢) أن الحوض لا يرِده من كذَّب به، (٣) أغراض من الله سفائح الآخرة وسره، المبادرة إلى الآخرة.

[٣٩٧] (١) كيفية الاحتراز من الشيطان، (٢) منع الشيطان من المشاركة، (٣) حقيقة الرؤيا وأن الشيطان لا يتمثل بالنبي، (٤) تلاقي الأرواح في الدنيا، (٥) سر طنين الأذن.

[٣٩٨] (١) صفات الجنان الأربع، (٢) أن الروحانيين قراء أهل الجنة، (٣) مراتب أهل الجنة، (٤) الورود في النار الدخول، (٥) فيما كتب على جباه الجهنميين، (٦) فضل الاستغاثة من النار بعفو الله، أهل الغرف في الجنة ومراتب الدرجات.

الحشر والآخرة والحوض، والشيطان، والثواب والعقاب.[٣٩٩] ويظهر قصص الأنبياء خاصة الحكماء منهم مثل سليمان.[٤٠٠]

(٣) «فضائل الأوقات» للبيهقي (٤٥٨هـ)[٤٠١]

وهي مجموعة من الأحاديث حول موضوعٍ واحد هو «الأوقات» وفضائلها، ومُعظمها أوقات العبادات، الصلاة والصوم دون العلم والجهاد وأفعال المعاملات وهي الأهم، توجُّهًا إلى الآخرة بعيدًا عن الدنيا، وإيغالًا في الدين بعيدًا عن السياسة. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.[٤٠٢] ومنها أحاديث طوال.[٤٠٣] ومنها أيضًا أحاديث موضوعة من الصوفية الأوائل. تتكون من أربعة وثلاثين بابًا قصارًا؛ اثنان منها ينقسمان إلى فصول أربعة.[٤٠٤] منها فضل الشهور، وفضل الليالي وفضل الأيام وفضل الأوقات.[٤٠٥] والسؤال هو: هل تتمايز الأوقات موضوعيًّا أم نفسيًّا؟[٤٠٦] وهل تتمايز الأوقات باعتبارها أوقاتًا أم باعتبارها أفعالًا في الزمان؟[٤٠٧]

(٤) «الأربعون الكيلانية» لعبد الرازق عبد القادر الكيلاني (٥٦١هـ)[٤٠٨]

وهي أربعون حديثًا في التصوف الخلقي جمَعها ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني مما يدلُّ على أن جمع الأحاديث ليس مما بدأ، بل يتوقف على رؤية الجامع. وتدور الأربعون حديثًا حول عدة محاور؛ الأول الرسول وأصحابه وشفاعته ودعاؤه وأسماؤه، فالحقيقة المحمدية ركن أساسي في التصوف. والثاني فضل العمل، والعمل الصالح وتناصُح المؤمنين، فالتصوُّف عمل ومجاهدة. والثالث أهل القرآن وفضل القرآن وسورة الإخلاص. فالقرآن

---

[٣٩٩] (١) غرس الله محفوظ في الدارين، (٢) العقوبة من الله تعم والرحمة للمطيع، (٣) الكيِّس من أبصر العاقبة، (٤) العقوبة لا تثني في الآخرة.

[٤٠٠] (١) في خصال سألها سليمان، (٢) وصية نوح بنيه وهي أربع كلمات، (٣) فيمن يقص ويتحقق القصص.

[٤٠١] أبو بكر بن الحسين البيهقي: كتاب فضائل الأوقات، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[٤٠٢] الآيات (٦٧)، الأحاديث (٣٠٨)، الأشعار (٥).

[٤٠٣] فضائل الأوقات ص٢٦، ٥٣–٥٤، ٧٢–٧٣، ١٠٥–١٠٦.

[٤٠٤] السابق ص٤١–٥٧، ١١٠–١٢٥.

تجربة ذوقية. والرابع حفظ الجوارح وصلاة الليل والتحجيل في الوضوء وصلاة العيد وصيام عاشوراء ورمضان. فالتصوُّف تحوَّل من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب. والخامس البر بالوالدين ورضاء الوالدة والتزام الجماعة وتناصح المسلمين، وخير أهل الأرض وخير الناس. فالتصوُّف علاقة بين الشيخ والمريد. والسادس أدعية النوم والمضاجع والدعوات المُستجابة ودعاء الصباح، فالدعاء طريق الروح. والسابع التخلي عن أهواء البشر مثل الطمع والمُراباة والمظالم وعدم التشدُّد. والثامن التفكر في عذاب القبر ونعيم الجنة والنهي عن تمنِّي الموت، والتاسع رؤية الله وأصابع الرحمن وفرح الله بتوبة عبده.

(٥) «تعيين الأوان والمكان للنصر الموعود به آخر الزمان، مستقرأ من صحيح السنة ومحكم القرآن» للثقفي (٧٥٦هـ)[٤٠٩]

وهي مجموعة تضم ثمانيةً وسبعين حديثًا عن النصر آخر الزمان لتقوية الروح المعنوية للمسلمين بعد تساقط مدن الأندلس واحدةً بعد الأخرى ونزوح العلماء إلى غرناطة.[٤١٠] فهو نوع من أساليب المقاومة عن طريق الثقة بالنص وتأييده واعتمادًا على سلطته.[٤١١] والعنوان دال؛ تحديد المكان والزمان للنصر الموعود آخر الزمان مُستقرأ من صحيح السنة ومحكم

[٤٠٥] الشهور مثل رجب وشعبان ورمضان وشوال والمحرم وذي الحجة. والليالي مثل ليلة القدر وليلة النحر، إحدى وعشرين أو ثلاثًا وعشرين أو سبعًا وعشرين من شهر رمضان. والأيام مثل الأيام العشرة من ذي الحجة ويوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق، واليوم التاسع أو العاشر من رمضان، ويوم عاشوراء، ويوم الجمعة، ويوم الاثنين ويوم الخميس، وثلاثة أيام من كل شهر للصيام.

[٤٠٦] وهو الإشكال الرئيسي في فلسفة برجسون. انظر كتابنا برجسون، فيلسوف الحياة. ص١٩٣–٢٢٢.

[٤٠٧] وهو الإشكال الرئيسي في فلسفة هوسرل. انظر كتابنا؛ تأويل الظاهريات، ص٧٦.

[٤٠٨] الشيخ الحافظ عبد الرازق ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني: الأربعون الكيلانية، علق عليها زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٤٠٩] شيخ الجماعة أحمد بن الزبير الثقفي، كتاب تعيين الأوان والمكان للنصر الموعود به آخر الزمان، مستقرأ من صحيح السنة ومحكم القرآن، حقَّقه وضبطه وقدم له وعلق عليه محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠٠٨م.

[٤١٠] في القرن السابع الهجري اجتاح التتار المشرق العربي واستولَوا على مُدنه بقيادة هولاكو حتى سقطت بغداد عام ٦٥٦هـ. وهدم الصليبيون مُدن الشام. وفي الأندلس كانت هزيمة العقاب عام ٦٠٩هـ مُؤذنة بوقوع مدن الأندلس مثل جيان، نموذج الخصب والرخاء، ومنها كانت عائلة المؤلف، السابق مقدمة المُحقق، ص٥–٧.

القرآن، بالرغم من أن بعض الأحاديث المُستعملة أقل صحةً، وبعض آيات القرآن عرضة للتأويل. ومع ذلك استعمل الحديث النصر والجهاد وكان لهما أثر بالغ في شحذ عزيمة المسلمين لفتح القسطنطينية والاستبسال فيه ونيل شرَف الشهادة وهم على أبوابها. ومنها أحاديث فتن آخِر الزمان وأحاديث فضائل البلدان في مصر والشام والأندلس وشبه الجزيرة العربية. وبالرغم من دعائه لنصرة أحد الأمراء إلا أن مُمارسته للحسبة؛ أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتهت إلى التضييق عليه وسجنه.[٤١٢] ويعتمد على القرآن والشعر.[٤١٣] وهنا يصعب التمييز بين الحديث والفقه؛ فمنها موضوع واحد، الأحاديث في موضوع فقهي وهو الأحكام أو الفتن كما هو الحال في البخاري. ومع ذلك يتعرض المؤلف للأصول والفقه والفلسفة والتصوُّف دون الكلام وإمكانيته تثوير العقائد.[٤١٤] هاجم التصوُّف الفلسفي المنحرف عن أصول العقيدة.[٤١٥] كما يتعرض لبعض الأمور الفلسفية النظرية مثل البعث، ويُناقش أبا حامد في آخر الكتاب.[٤١٦]

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول بلا عناوين بعد الديباجة. الأول مقدمة لبناء المقصود، والثاني تمهيد ومدخل له، والثالث الإفصاح بالمقصود، والمقصود هو عنوان الكتاب. ولمَّا كان الفصل أكبر من الباب على غير العادة ينقسِم الفصل إلى بابين: الأول الآيات القرآنية، والثاني أدلة السنة. وأدلة السنة أدلُّ من أدلة القرآن وأكثر مباشرة.[٤١٧] وتدلُّ على النصر على فارس والروم. كسرى وقيصر. ثم تئول قياسًا في الأندلس، وفرق بين قديمًا وحديثًا، بين عصر الفتوحات وعصر الردة. وآيات القرآن عامة من الوعد بالنصر وليست بالضرورة في الأندلس وعن نهاية فرعون وليست بالضرورة على ملوك الطوائف، وعلى وراثة العباد الصالحين للأرض وليس بالضرورة الأندلسيون، ونهاية المسيح الدجال في فلسطين وليس في الأندلس. والنصر مشروط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العموم وليس على

---

[٤١١] وللمؤلف أعمال أخرى دفاعًا عن الإسلام وتحريكًا لهِمَم المسلمين في الحسبة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. السابق ص١٣.

[٤١٢] السابق ص٤٦–٤٧.

[٤١٣] الآيات (٨٠)، الأشعار (٦).

[٤١٤] في الأصول شرح كتاب الإشارة لأبي الوليد الباجي وكتاب سيبويه، السابق ص١٥.

[٤١٥] السابق ص١٦.

[٤١٦] السابق ص١١٤–١١٥.

[٤١٧] السابق ص٤٧.

الخصوص.[٤١٨] ويضم الفصل الثاني أربعة أبواب: الأول فضيلة الصقع الأندلسي، والثاني فضيلة الأنصار، والثالث أن ما ثبت للسلف مرعى للخلف، والرابع أن الأندلس أولى بغيرها بالنصر الموعود. ويتم اللجوء إلى النصوص كذلك بعد تأويلها على الأندلس ونصرة أهل الغرب حتى تقوم الساعة تشمل المغرب والأندلس وليس الأندلس وحدَه. والفتنة في المشرق وليست في المغرب. والأنصار قديمًا وحديثًا.[٤١٩] ويضمُّ الفصل الثالث أربعة أبواب: بعد تمهيد عن مخفيات الشريعة: الأول أدلة الكتاب، والثاني شواهد السنة، والثالث شواهد الاعتبار، والرابع إقامة الدليل. وكلها أدلة نصيَّة مؤوَّلة بحيث تتطابق على الوضع المُعاصر. وتئول من العام إلى الخاص، ومن الماضي إلى الحاضر.[٤٢٠] فهو نوع من التبرير لواقع وليس لنقده. والتطبيق غير مطابق، فنصر الروم في المستقبل إنما تعني غلبة النصارى وليس المسلمين، فالنصارى الإسبان ورثة الروم. وتتكرَّر الشواهد نفسها أكثر من مرة.[٤٢١] إنما الأمر المبطن هو التركيز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكأن النصر الخارجي مشروط بالنصر الداخلي.[٤٢٢]

(٦) «حديث الثقلين» للوشنوي والخراساني[٤٢٣]

وقد يصبح حديث واحدٍ لا يشك في صحته أو تعدَّدت صياغاته، موطن خلافٍ قديم بين الفرق الإسلامية مثل السنة والشيعة واتفاق حديث بفضل دار التقريب بين المذاهب. وهو رسالتان قصيرتان في موضوعٍ واحد. يعتمد على آية قصيرة وحديثٍ طويل.[٤٢٤] هو حديث جزئي في معترك الخلاف القديم بين الفرق حول الإمامة بالنص والتعيين، كما هو الحال

---

[٤١٨] مثل «كيف أنت إذا وضع تاج كسرى على رأسك؟» «الروم ذات قرون إلى آخر الدهر.» «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله.»

[٤١٩] السابق ص٤٨–٦٥.

[٤٢٠] السابق ص٦٥–٨٢.

[٤٢١] السابق ص٨٢–١١٩.

[٤٢٢] السابق ص٩١، ٩٦-٩٧.

[٤٢٣] الشيخ قوام الدين الوشنوي، الأستاذ محمد الواعظ الخراساني: حديث الثقلين، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية «معاونية شئون الإعلام»، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[٤٢٤] السابق ص٤٧.

عند الشيعة، أم بالعقد والاختيار كما هو الحال عند أهل السنة. والرسالة الثانية تورد الخلاف في المتن «كتاب الله وعترتي» عند الشيعة و«كتاب الله وسنتي» عند أهل السنة.[٤٢٥] وقد يكون حديثًا موضوعًا لطوله وتشعبه بالكونيات. ويقطع الحديث مرتين للاستدراك. ويتم الاعتماد على المُحدثين السابقين؛ واحدٍ من كل قرن. وفي كلتا الحالتين يتم توجيه النقد إلى السند وليس إلى المتن باستثناء رصد الخلاف بين الروايتَين في المتن. وتعتمد كل رسالة على القرآن والشعر.[٤٢٦] ولا يهم الخلاف القديم أو الاتفاق الجديد بل توظيف حديثٍ واحد لغايتين مُختلفتين قديمًا، ولغايةٍ واحدةٍ حديثًا.

(٧) «الرصف لما رُوي عن النبي من الفعل والوصف» لابن العاقولي (٧٩٧هـ)[٤٢٧]

وهو كتاب بين الحديث والسيرة والفقه ممَّا يدلُّ على الارتباط بين هذه العلوم النقلية الثلاثة. فالحديث أقوال الرسول، والسيرة حياته، والفقه مأثوراته.[٤٢٨] يظهر الحديث في لفظ «رُوي» في العنوان، والفقه في «الفعل»، والسيرة في «الوصف». فالسيرة تشخيص للحديث والفقه تشخيص للسيرة. والأحاديث مصدر لكتابة السيرة والفقه، وهي مجرد أقوال منقولة دون تنظيرٍ أو تطبيق لقواعد نظرية للسند أو المتن. وفي المقدمة يتمُّ تعريف الفعل والوصف والقول بعد الاسم والنسب.[٤٢٩] والدافع هو الإيمان وليس النظر، والتصديق وليس النقد. فالاسم سمة دالة على مُسمَّاه. متى أُطلق فُهِم منه. والنسب لأن الله قسَّم بني آدم إلى شعوبٍ وقبائل. والصفات لأنها تُزيل ما يبقى من الجهالة وتجعل المنعوت كالحاضر. فإذا

---

[٤٢٥] السابق ص١٧–٢٠.

[٤٢٦] الرسالة الأولى، الآيات (٣)، الشعر (١).

[٤٢٧] أبو المكارم غياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد الواسطي البغدادي الشافعي المعروف بابن العاقولي: الرصف لما رُوي عن النبي من الفعل والوصف، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن محمود إسماعيل الشافعي (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٤٢٨] «فهذا كتاب مختصر جامع لكثيرٍ من أوصاف رسول الله، وأفعاله، وجمل من أقواله، والذي حملَنا على تأليفه أنَّا مكلفون بالإيمان به، وذلك يقتضي معرفته ليصادف تصديقنا محله. وكمال التعريف يحصل بذكر الاسم والنسب والوصف والأفعال والأقوال.» السابق ١٢-١٣.

[٤٢٩] منها: «جامع الأصول» للجزري، «دلائل النبوة» للبيهقي، «الشفا» للقاضي عياض، «النعت» للحكيم الترمذي، «الطبقات» للواقدي، «الدراية في معرفة الرواية» لمشيخة المؤلف، السابق ص١٣.

كانت جميلة وقعت محبة الموصوف في القلب. والأفعال شواهد الرجال لهذا العالم معروف لله. والأقوال هي المُعرِّف الواضح لعِلم القائل. وتعتمد على مؤلفات السابقين.[٤٣٠] والكتاب مُقسَّم إلى سبعة عشر فصلًا؛ الثمانية الأولى والسابع عشر في السيرة: أسماؤه ونسَبه، أوصافه وأخلاقه، لباسه وألوان ثيابه، زينته، كرامه وآلة الحرب والمراكيب، إبله وماشيته، مواليه وخدمه وكتَّابه ورسله ومؤذنوه، مدينته ومساجده ومساكنه ومسجد قباء، ومرضه ووفاته. والثانية الأخرى في الفقه: العبادات وهو أكبرها، المُعاملات من التجارات والصناعات، النكاح، الجراح والقصاص، الصيد والذبائح والأطعمة والحقيقة، الطب والرقي، آدابه وتواضعه وشفقته، الفتن والمعجزات.[٤٣١] وتدخل اعتبارات خارجية في السيرة والفقه مثل لباسه، وألوان ثيابه وزينته وإبله وماشيته. وأوصاف الجسد ليس له فضل فيها، بل إن أوصافه الشريفة مثل سمات الجسد، شعره وفرقه وشيبه وصوته وسبابته ومشيه وظله وطيبه وعرقه ودمه وفضلاته، وكلها رواياتٍ وليست أقوالًا مباشرة.[٤٣٢] ويكمن تصنيف الأحاديث طبقًا للموضوعات مثل أحاديث الأنا والتنبؤ بالمستقبل السياسي للخلافة والعرب، والمقارنة مع عيسى، والإسراء والمعراج كحديث طويل، الأحاديث التي يتحدث فيها جبريل، واللغات الأجنبية التي يتكلم بها الرسول، والأدعية التي تُشبه الكهنوت.

(٨) «تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج» لابن المُلقن (٨٠٤هـ)[٤٣٣]

وهي أحاديث تتعلق بمنهاج الأصول للبيضاوي، مما يدل على صلة علم الحديث بعلم أصول الفقه.[٤٣٤] ويعرض مائة حديث آخرها عن القياس. وهي مُصنفة طبقًا للشخص وليس طبقًا للموضوع. يغلب عليها الاتجاه العملي، ويغيب منها التحليل النظري. وتبرز الأحاديث السياسية فيما يتعلق بقريش والقتال والإمامة.[٤٣٥]

[٤٣٠] الأول (عدد الصفحات ٣٦)، الثاني (٢٦)، الثالث (١٥)، الرابع (٥)، الخامس (٧)، السادس (٣)، السابع (١٤)، الثامن (١٦)، التاسع (٢٧٢)، العاشر (٣٠)، الحادي عشر (٣٦)، الثاني عشر (٧٤)، الثالث عشر (٢٠)، الرابع عشر (١٣)، الخامس عشر (٤٠)، السادس عشر (٣٣)، السابع عشر (٢١).

[٤٣١] الوصف ص٤٧–٧٢.

[٤٣٢] السابق أحاديث الأنا ص٢١، العرب ص٢٣، الإسراء والمعراج ص٤٧–٤٨، ١٦٠–١٦٢، المقارنة مع عيسى ص٥٩–٦٠، أحاديث جبريل ص٩٦، ١٣٥، ٢٠٠، اللغات الأجنبية التي يتكلم بها الرسول ص٧١، الأدعية ص٧٩، ١٩١، ١٩٤.

(٩) «الأحاديث القدسية مع شرحها»
جمع وإعداد الشيخ عبد القادر عرفات العشا وحسونة[٤٣٦]

ولا يُوجَد مصطلح عند القدماء بهذا المعنى، ولكنها تعني عند المُحدثين الأحاديث التي يكون فيها اللفظ من الرسول والمعنى من الله، هي أحاديث نبوية بوحيٍ من الله.[٤٣٧] وهو ما يصعُب فهمه. ويكاد ينطبق على الوحي في الإنجيل، المعنى من الله، واللفظ من اختيار كاتب الوحي. والألفاظ هي الأحاديث التي يتكلم فيها الله أو جبريل لفظًا ومعنًى. ومعظمها غيبيات. ومع ذلك يظل السؤال قائمًا: لم هذه المرحلة المتوسطة بين القرآن والحديث؟ هو أقل من قرآن وأكثر من حديث! قد تكون أحاديث دفعت إلى أعلى لمزيدٍ من التقديس لمُتحدثها أو لموضوعها أو لإعطائها مزيدًا من السلطة. ومُعظمها أحاديث طويلة، مثل خلق آدم.[٤٣٨] ليست لها صياغات واحدة بل عدة صياغات لاختلاف القراءات الأدبية للمُبدعين. تكثر فيه الآيات. وهي تجميع من كتب الأحاديث الأخرى، ولا يُوجَد قسم خاص بها. تبويبها فقهي مثل باقي كتب الأحاديث، خمسة وعشرون كتابًا، ومائتان وستة وأربعون بابًا، كل باب حديث تقريبًا. وتضم أربعمائة وسبعة وثلاثين حديثًا. تحتاج إلى دراسة خاصة لعمليات الإبداع الفني.

رابعًا: المنظومات الشعرية

(١) «ألفية الحديث» للعراقي (٨٠٦هـ)[٤٣٩]

وهو تحويل لعِلم مصطلح الحديث من النثر إلى النظم كما جرت العادة في القرون المتأخِّرة عودًا إلى الشعر القديم كوسيلةٍ للتعبير عن العلوم الإسلامية الجديدة. وأهم ما فيه تقديم المتن على السند.[٤٤٠] وتدل على قدرةٍ لغوية أسلوبية وبلاغية، على التعبير عن الفكر والعلم بالشعر. لا جديد فيها من حيث المضمون إذ إنها تقتفي معظم مصطلحات علم الحديث.

---

[٤٣٣] ابن الملقن: تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج، تحقيق وتعليق حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

[٤٣٤] «فهذا تعليق نافع على الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين البيضاوي على سبيل الاختصار. وقدمت الكلام على الأحاديث على الكلام من الآثار»، السابق ص٩.

[٤٣٥] السابق ص١٠، ١٨–١٩.

[٤٣٦] الشيخ عد القادر عرفات العشا وحسونة: الأحاديث القدسية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٧–١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢) «منظومة ألقاب الحديث» للمغربي الفاسي القصري (١٠٥٢هـ)[٤٤١]

وهي منظومة مُتصلة واحدة. وبعد الحمد لمن نزَّل أحسن الحديث، يذكُر الناظم سبب التأليف وهو سؤال الآخرين وطريقة الإجابة بالاقتصار على الألقاب؛ أي المصطلحات. ويذكر الصحيح في بيتين والحسَن في بيتٍ واحد والضعيف في بيتٍ واحد كذلك. ومعظم المصطلحات في بيتٍ واحد.[٤٤٢] وقد يأتي موضوعان في بيتٍ واحد وبعضها في بيتين.[٤٤٣] وقد تُجمع بعض المصطلحات المُتشابهة في ثلاثة أبيات.[٤٤٤] والبعض منها في أربعة.[٤٤٥] وكالعادة في الشعر التعليمي يُضحَّى بالشعرية في سبيل المضمون التعليمي. وهو أسهل في حفظ العلم في ذاكرة شفاهية تعوَّدت على نظم الشعر. وكان الشعر قبل نزول القرآن أدبَها وعلمها وديوانها.

(٣) «المنظومة البيقونية» للبيقوني (١٠٨٠هـ)[٤٤٦]

وهي من أشهر المنظومات في علم مصطلح الحديث مثل منظومة العراقي. وهي أيضًا مركزة حوالي أربعة وثلاثين بيتًا. ولها طبقات عدة منفصلة ومع شروح ومع كتب أخرى. تقوم على التعريفات القصيرة مما يدلُّ على براعةٍ في صياغة الشعر التعليمي.

---

[٤٣٧] السابق ص٣.

[٤٣٨] السابق ص٧.

[٤٣٩] الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي: ألفية الحديث، حقَّقه وصحَّحه المُحدث أحمد محمد شاكر، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٥–٥٦.

[٤٤٠] تقديم المتن على السند، السابق ص٣٨–٣٩.

[٤٤١] محمد العربي بن يوسف بن محمد بن حامد بن أبي المحاسن المغربي الفاسي القصري (١٠٥٢هـ): منظومة ألقاب الحديث، تحقيق محمد مظفر الشيرازي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٤٤٢] مثل المتواتر، المرفوع، المسند، الموقوف، الموصول والمتصل، المقطوع، المُسلسل، المهمل، المُعلق، المرسل، المنقطع، المعضل، المزيد في متصل الأسانيد، المتروك، المُعلل، المضطرب، المدرج، المقلوب، المحكم، مختلف الحديث، الناسخ والمنسوخ، غريب ألفاظ الحديث، مشكل الحديث، المصحح والمحرف.

[٤٤٣] مثل أخبار الضاد، العالي والنازل من الأسانيد، المدلس، زيادة الثقة والمحفوظ والشاذ، الموضوع، المعروف والمنكر.

[٤٤٤] المتابع والشاهد والمفرد والاعتبار.

(٤) «منظومة الصبان في علم مصطلح الحديث» للصبان (١٢٠٦هـ)[٤٤٧]

وقد استمرَّ التأليف في علم مصطلح الحديث إلى وقتٍ متأخر. وتتألف من ستة عشر بيتًا يتم شرحها في أكثر من ثلاثمائةٍ وعشرين صفحة مما يدلُّ على صغر حجم المنظومة وكبر الشرح الحديث في الهامش الذي ما زال في حاجةٍ إلى مسند يعتمد عليه، وعكاز يسير عليه، بل يستمر الشرح بالهامش أحيانًا بلا شِعر وكأنه تأليف مُستقل.[٤٤٨] الشرح حديث لمنظومة حديثة. يبدو الشرح أهم من المنظومة لما يجمع من مادة من القدماء، خاصة في مقدمة الشارح عن علم الحديث.[٤٤٩] ويتم الشرح أحيانًا شطرًا شطرًا. فالمنظومة مجرد مناسبة لإظهار العِلم من الشارح المُتعالِم ناقل العلم. وهو تجميع بلا هدف إلا مجرد نقل العِلم في عصر التدوين الثاني. ميزة الشرح أنه استدعاء لمادة القدماء والمُحدثين المُتناثرة. وإعطاء صورة عامة عن الموضوع. هو تأليف في صيغة شرح كعادة الأزهريين. تضم مادة حديثة مثل نقد الكتب المقدسة.[٤٥٠] وهو مملوء بالشواهد النقلية من القرآن والحديث والشعر.[٤٥١] وتذكر الأحاديث القصيرة الأشبه بالأمثلة العربية.[٤٥٢] وتبوب الأحاديث طبقًا للفقه. وتتكرَّر دون المقارنة بين الصياغات المختلفة لمعرفة أشكالها الأدبية ومنطق الزيادة والنقصان، الإضافة والحذف. ولا يكتفي الشرح بالإصحاحات بل يضيف كتب السنن والأحاديث التي جُمعت قبلها وبعدها. التعريفات من القدماء، والأمثلة من الحديث، والأسلوب «قال ... قلت». والمنظومة وكأنها في الحب الصوفي. تتضمَّن ثمانية عشر نوعًا من عِلم مصطلح الحديث بين السند والمتن.[٤٥٣] وتتيه وسط تركيز المنظومة وإسهاب الشرح والتعليق في الهامش.[٤٥٤]

---

[٤٤٥] مثل المتون عن فضل الحديث وسبب التأليف، المُبهمات.

[٤٤٦] العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين: الثمرات الجنية شرح المنظومة البيقونية، اعتنى بها سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، دار العاصمة، الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١٣-١٤.

[٤٤٧] أبو العرفان محمد بن علي الصبان: منظومة الصبان في علم مصطلح الحديث، تصحيح وشرح الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٤٤٨] السابق ص٢٧٥–٣٢٠.

[٤٤٩] السابق ص١١–٦٨.

[٤٥٠] السابق ص١٥٠.

[٤٥١] الأشعار، السابق ص٤١، ٢٨٢، ١٨٧–١٨٨، ١٩٠، ٢٠٤، ٢٠٦–٢٠٧، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٩٢.

[٤٥٢] السابق ص٦٠–٦٢.

خامسًا: الشروح والمعلقات والحواشي

والشروح هي الغالبة. ثم بعد ذلك تأتي التلخيصات ثم الحواشي. وأهم الشروح:

(١) «غريب الرصف» لابن العاقولي (٧٩٧هـ)[٤٥٥]

وهو شرح من المؤلف نفسه لكتاب «الرصف لما رُوي عن النبي من الفعل والوصف»، شرح لغوي خالص، لفظ بلفظٍ دون هدف مُعلن أو قراءة أو تأويل. والمتن سهل لا صعوبة فيه تُبرر الشرح.[٤٥٦] وهذا يدل على أن التأليف المُتأخر فقد غايته وانفصلت حركته، وتوقف مساره، وأصبح مجرد تحصيل حاصل بعد أن ابتلعت اللغة كل العلوم.

(٢) «الشذا الفيَّاح من علوم ابن الصلاح» للأبناسي الشافعي (٨٠٢هـ)[٤٥٧]

وهو شرح فقرة بفقرة. ويُفصل بين النص المشروح والنص الشارح بلفظ «انتهى». وقد تقصر الفقرات وقد تطول نظرًا لأنه لا جديد في الشرح.[٤٥٨] وأحيانًا يكون الشرح أصغر من

---

[٤٥٣] وهي: الصحيح، الحسن، العليل، الغريب، العالي، النازل، المعضل، المرسل، المنقطع، المتسلسل، المبهم، المشهور، المقلوب، الشاذ، الحديث عن المعارضين، التدليس، المدبج، المدرج، المتروك، المسند، الموضوع، المضطرب، الآل، الصحابة، التابعين، المعلق، المختلط، الضعيف. السابق ص٣-٤.

[٤٥٤] يصعب التفرقة بين المنظومة وشرحها والتعليق عليها في الهامش لصغر المنظومة وكبر التعليق. ومع ذلك دخلت في النصوص وليست في الشروح، لأن لفظ شرح لا يرد في العنوان. ولا يدخل التعليق تحت الشرح كعنوان أدبي.

[٤٥٥] أبو المكارم غياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد الواسطي البغدادي الشافعي المعروف بابن العاقولي: غريب الرصف، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٤٥٦] «وأردفنا الفصول بشرح ما عساه يُشكِل من ألفاظها وأساء بعض الرواة نقلًا من كتاب «نهاية الغريب» للشيخ مجد الدين المبارك بن الأثير، وكتاب «الصحاح» للجوهري، وكتاب «الاستيعاب» للشيخ الحافظ أبي عمر بن عبد البر المغربي»، السابق ج١، ١٥.

[٤٥٧] العلامة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي الشافعي: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، حقَّقه أبو عبد الله محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

[٤٥٨] الفقرات الطويلة، السابق ٢٦٨–٢٧٣، ٢٨٦–٢٨٨، ٢٩٢–٢٩٤، ٣٢٧–٣٢٩، ٣٥٢–٣٥٥، ٤١٥–٤١٨، ٤٢٥–٤٣٠، ٤٣٦–٤٤١، ٤٥٦–٤٦٠، ٤٩٣–٤٩٧، ٥٣٧–٥٣٩، ٥١٤، ٥١٦.

الأصل لأنه جديد يُقال.[٤٥٩] بل يمكن القول إنه لا لزوم للشرح في هذه الحالة ما دام لا هدف له ولا جديد فيه. وأحيانًا يبدو الأصل أفضل من الشرح تركيزًا ووضوحًا وتصوُّرًا. وأحيانًا يكون الشرح مجرد فرصة لإظهار العلم المنقول وتعليقه على شماعة النص المشروح بدلًا من كتابته في مصنف لا جديد فيه ولا هدف له.

وبالإضافة إلى مُقدمة عن أهمية عِلم الحديث يعتمد الشرح على شروحٍ سابقة.[٤٦٠] ويعتمد على مادة القدماء ومزيد من الإحالات إلى المُصنفات القديمة، وتخريج أحاديث الأصل، والتعريف بالرجال، ووصف مسار فكر النص الأصلي وعلى معرفة بصاحبه، وتظهر الاقتباسات من القدماء بعلامة «انتهى». وأحيانًا يتم نقد بعض الأسانيد.[٤٦١] وأحيانًا أخرى يتم الرد على بعض الافتراضات مع الإشارة إلى بعض الفرق مثل المعتزلة.[٤٦٢] ويتم الاعتماد على مزيدٍ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار.[٤٦٣] كما يظهر التوجُّه السياسي في وضع بعض الأحاديث.[٤٦٤]

(٣) «محاسن الاصطلاح في تضمين ابن الصلاح» للبلقيني الشافعي (٨٠٥هـ)[٤٦٥]

وهو شرح لمقدمة ابن الصلاح من لفظ جديد للشرح وهو «تضمين». النص الأصلي في أعلى الصفحة وتحته هوامشه، ثم الشرح وتحته هوامشه، والفصل بين هذه النصوص الأربعة.[٤٦٦] ووضع الشرح في الهامش يعني أنه أقلُّ أهمية من الأصل؛ فهو مجرد هوامش عليه إحساسًا بالضآلة أمامه والتقديس له. والأصل أطول من الشرح، وأكثر أهميةً منه.

---

[٤٥٩] السابق ص٩١-٩٢.

[٤٦٠] السابق ص١٨-١٩.

[٤٦١] السابق ص٦٦.

[٤٦٢] السابق ص٥١.

[٤٦٣] القرآن (٦)، الحديث (٩٢)، الشعر (١٢).

[٤٦٤] الشذا الفياح ص١٩٦، ٣٦٦.

[٤٦٥] الإمام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي: محاسن الاصطلاح عن تضمين ابن الصلاح، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٤٦٦] «وضعنا في أعلى الصفحات متن مقدمة ابن الصلاح وتحته مباشرة هوامش المقدمة. وتحت هوامشه وضعنا نص «محاسن الاصطلاح» مشارًا إليه بعبارة «محاسن البلقيني». وتحتها هوامش المحاسن، وفصلنا بينهما بجداول.» (صفحة الغلاف).

ويشعر الشارح أن النص ليس في حاجة إلى شرح.[٤٦٧] هو مجرد مناسبة لإظهار المعلومات ابتداء من الأنواع السادس والستين حتى السبعين.

يقدم الشرح بعض المعلومات الإضافية المنقولة من القدماء، مجرَّد ذكر زيادات أو استنتاج فوائد مع التنبيه على ذلك بألفاظ «زيادة»، «فائدة» أو «فوائد». ويرد على بعض الآراء بعبارة «لا يقال ... لأنا نقول».[٤٦٨] وبعض الاستنتاجات من الأصل مع محاولة إضافة بعض الأجناس.[٤٦٩] ولا تتغير في الأجناس الخمسة والستين، ولا جديد في الشرح، دون غاية أو قصد.[٤٧٠] ويستعمل القرآن كسندٍ للشرح. والأحاديث والأشعار قليلة.[٤٧١]

(٤) «فتح المُغيث بشرح ألفية الحديث» للحافظ العراقي (٨٠٦هـ)[٤٧٢]

وهو شرح من المؤلف نفسه؛ فهو الشارح والمشروح. والسبب تبسيط الشعر وتوضيحه واختصار حجمه.[٤٧٣] يضبط الشكل لحسن القراءة. وتقطع الأبيات عبارةً عبارةً ولفظًا لفظًا. ومع ذلك أتى الشرح أكبر من النص بالرجوع إلى المصادر السابقة.[٤٧٤] ويُعاد باستمرارٍ إلى مُقدمة ابن الصلاح، النص-النموذج.[٤٧٥] ويَستعمِل القرآن كعاملٍ مساعد في الشرح بِردِّ الفروع إلى الأصول. كما يُعطي المزيد من الحديث كأمثلة، ويُستعان بالشعر،

---

[٤٦٧] السابق ص٣٤٥–٣٨١.

[٤٦٨] السابق ص٤٦، ٨٦.

[٤٦٩] السابق ص١٠١–١٠٥.

[٤٧٠] السابق ص٣٤٤، ٣٨١.

[٤٧١] القرآن (٨)، الحديث (١٦)، الشعر (٢).

[٤٧٢] الحافظ أبو الفضل زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي: فتح المُغيث بشرح ألفية الحديث، حقَّقه وعلَّق عليه بتعليقاتٍ نفيسة، الأستاذ محمود ربيع، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣–٤٧٨.

[٤٧٣] «وشرعت في شرحٍ لها بَسطْتُه وأوضحته، ثم رأيته كبير الحجم فاستطلتُه وحللته. ثم شرعت في شرحٍ لها متوسط غير مُفرط لا مُفرِّط، يُوضِّح مشاكلها، ويفتح مُقفلها، ما كثُر فأمَلَّ، ولا قصُر فأضلَّ، مع فوائد لا يستغني عنها الطالب النبيه، وفرائد لا تُوجَد مجتمعةً إلا فيه.» السابق ص٣-٤.

[٤٧٤] السابق ص٦٩.

[٤٧٥] السابق ص١٢٩، ٣٢٣، ٣٥٦، ٣٥٩، ٤٢٤، ٤٧٢.

دليل اللغة.[٤٧٦] لا جديد فيه، ولا يثير اعتراضًا، ولا يُعبر عن موقف، ولا يضع تساؤلًا أو يُبرز إشكالًا. هو أقرب إلى التمرينات التي تُبين تعالُم الأساتذة وإعجاب الطلاب.

(٥) «التقييد والاصطلاح لما أُطلق وأُغلق من كتاب ابن الصلاح» للحافظ العراقي (٨٠٦هـ)[٤٧٧]

وهو شرح لُمقدمة ابن الصلاح الشهيرة في علم مُصطلح الحديث، نوع من الأنواع الخمسة والستين، بداية بعبارةٍ ثم البناء حولها، بداية بالشرح اللغوي واعتمادًا على مادة القدماء والمنقولات القديمة بطريقة التفسير الطولي. ويدافع عن النص ضدَّ المُعترِضِين عليه. لا يضيف أي جديد. والنص ذاته واضح بَيِّن لا يحتاج إلى شرح.[٤٧٨]

(٦) «شرف الطالب في أسمى المطالب» لابن قنفذ القسنطيني (٨١٠هـ)[٤٧٩]

وهو شرح لمنظومةٍ شعرية من ستة عشر بيتًا، بيتًا بيتًا ولفظًا لفظًا لعِلم مصطلح الحديث، في غاية التركيز.[٤٨٠] تبدأ ببيان فضل عِلم الحديث، ثم تشرح بوضوحٍ مصطلحاته، ثم

---

[٤٧٦] القرآن (٧)، الحديث (٢٤)، الشعر (٦).

[٤٧٧] الحافظ أبو الفضل زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي: «التقييد والاصطلاح لما أُطلق وأُغلق من كتاب ابن اصلاح» (جزءان)، تحقيق وشرح د. أسامة بن عبد الله خياط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٤٧٨] «فإن أحسن ما صنَّف أهل الحديث في معرفة الاصطلاح كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح ... إلا أنَّ فيه غير موضع خُولف فيه وأماكن أُخَر تحتاج إلى تقييدٍ وتنبيه فأردتُ أن أجمع عليه نكتًا تُقيِّد مطلقه وتفتح مُغلقه ... وقد أوردَ عليه غير واحدٍ من المتأخِّرين إيرادات ليست بصحيحةٍ فرأيتُ أن أذكرها وأبين تصويب كلام الشيخ وترجيحه لئلَّا يتعلق بها من لا يعرف مصطلحات القوم ...» السابق ص٢٠٢.

[٤٧٩] العلَّامة الجزائري ابن قنفذ القسنطيني (أبرز علماء القرن الثامن الهجري): شرف الطالب في أسمى المطالب، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[٤٨٠] ويُسجل البيت الأول: الصحيح، المُعضل، المُرسل، المُسلسل؛ والبيت الثاني: الشاهد، والضعيف والمتروك؛ والثالث: الحسَن والسماع؛ والرابع: المنكر والمقلوب والمُزوَّر والتدليس والمردود؛ والخامس: الموقوف؛ والسادس: المرفوع؛ والسابع: المُتصل والمنقطع؛ والثامن: المُدرج؛ والتاسع: المُتفق والمفترق؛ والعاشر: المؤتلف والمختلف؛ والحادي عشر: المُسند والمُعنعن والموضوع والمُعلَّل؛ والثاني عشر: الإبهام والاعتبار؛

تُعيد قراءتها كقصيدةٍ غرامية صوفية بدايةً بالصلاة على النبي وبيان عدالة الصحابة والرواية بالمعنى، والتائبين، والوفرة من الرواة، ورواية الآباء عن الأبناء وعكسه، ورموز كتب السنة، وفضيلة طلب الرواية والإجازة. وقد كان الشرح بناء على سؤالٍ على طريقة الفقهاء.[٤٨١] وتعتمد على مادة السابقين الفقهية والصوفية. والمصطلحات تسمح بذلك مثل الغريب. ويعتمد على عديدٍ من الآيات والأحاديث والآثار من الصحابة والتابعين، وعديد من الأعلام.[٤٨٢]

(٧) «شرح فن أصول مصطلح الحديث للجرجاني» لشمس الدين التبريزي (٨١٦هـ)[٤٨٣]

وهو كالعادة شرح لغوي، لفظًا بلفظٍ وعبارةً بعبارة، بإضافة مادةٍ مُستقاة من الآخرين. ويناقش آراء المؤلِّف وإظهار تعدُّد الآراء في الموضوع.[٤٨٤] ويعني الشرح إعطاء مزيدٍ من التفصيلات والمعلومات حول نصٍّ مُركز للغاية، وتحويله من منطقٍ إلى علم ومن فنٍّ إلى فلسفة دون تغييرٍ في بنية الموضوع.

(٨) «النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)[٤٨٥]

وهو شرح «نخبة الفكر» للمؤلِّف نفسه بعد أن أتى النصُّ مُلخصًا مركزًا للغاية.[٤٨٦] فالمؤلف يشرح نفسه؛ فهو أدرى بنصه من غيره، ويشرح النصَّ عبارةً بعبارةٍ وأحيانًا لفظًا لفظًا. يُضيف معلوماتٍ أكثر عليه، مصادر وتواريخ وأمثلة من الحديث، واختلاف الآراء عند

والثالث عشر: العزيز والفرد والمشهور؛ والرابع عشر: الغريب والمقلوب؛ والخامس عشر: المقطوع؛ والسادس عشر: الإسناد العالي والإسناد النازل.

[٤٨١] السابق ص٦٣.

[٤٨٢] الآيات (١٤)، الأحاديث (١٣٧)، الآثار (٢١)، الأعلام (٢١١).

[٤٨٣] الإمام محمد شمس الدين التبريزي المشهور بملَّا حنفي: شرح فنِّ أصول مصطلح الحديث للسيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

[٤٨٤] السابق ص٧١–٧٢، ٧٩–٨٣.

قدماء المُحدثين، ويبرز بعض الفوائد بلفظ «فائدة» على عادة القدماء.[٤٨٧] ويتجاوز الشرح النصَّ بأربعة أضعاف، ويزيد المُحقق هوامشه على نفس القدْر من الشرح بحيث يكاد يختفي النص الأول ويتضاءل أمام الشرح القديم والهوامش الجديدة؛ فيَتيه داخل هذه الأغلفة المُتوالية. ويستعرض الشرح المعلومات التاريخية دون أن يدخُل في تحليل لمضمون النص وبيان خصائصه؛ فالشارح حامِل علمٍ في الشرح وعالِم في النص.[٤٨٨] وكذلك يضيف الشرح معلوماتٍ من العلوم الأخرى مثل علم أصول الفقه عن شروط التواتر.[٤٨٩]

(٩) «فتح المُغيث شرح ألفية الحديث» للسخاوي (٩٠٢هـ)[٤٩٠]

ويتبع منهج الشرح المعروف، شرح النظم بالنثر، دفعةً دفعة. وتختلف الدفعة الشعرية بين القِصر والطول، بين البيت الواحد إلى السبعين بيتًا تقريبًا.[٤٩١] ثُم يتمُّ شرح لفظٍ لفظ أو ترك بعض الأبيات دون شرحها تقريبًا.[٤٩٢] وتأتي مادة الشرح من الشواهد النقلية من القرآن والحديث؛ شواهد من السابقين. وبعد كلِّ اقتباسٍ توضع كلمة «انتهى».[٤٩٣]

---

[٤٨٥] الحافظ ابن حجر العسقلاني: النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، بقلم علي حسن بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمَّام، السعودية، ط١٠، رمضان ١٤٢٧هـ.

[٤٨٦] «فرغب إليَّ جماعة ثانيًا أن أضع عليها شرحًا يحلُّ رموزها، ويفتح كنوزها، ويُوضح ما خفِيَ على المبتدئ من ذلك فبالغْتُ في شرحها في الإيضاح والتوجيه، ونبَّهت على خبايا زواياها لأنَّ صاحب البيت أدرى بما فيه، وظهر لي أن إيراده على صورة البسط ألْيَق، ودمجها ضِمن توضيحها أوفق. فشكلتُ هذه الطريقة القليلة المسالك.» السابق ص٥٢.

[٤٨٧] السابق ص٦٠.

[٤٨٨] السابق ص٤٥–٥١.

[٤٨٩] السابق ص٥٦.

[٤٩٠] الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي: فتح المُغيث شرح ألفية الحديث (ثلاثة أجزاء)، شرَح ألفاظه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه الشيخ صلاح محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

[٤٩١] ١٨ بيتًا، السابق ج٢، ١٤١–١٤٢ (٢٣)، ص٢٩–٣٠ (٢٤)، ص٣١٥–٣١٦ (٢٩)، ص٢٧٣–٥٧٤ (٥٤)، ص٦٠–٦٢ (٦٩)، ج١م ٧٧–٧٨ (٢٨)، ج٣، ٢٣٤–٢٣٥ (٥٠)، ص١٨١–١٨٢ (٣١)، ص٧٧–٧٨.

[٤٩٢] فتح المُغيث ج١، ٣٠٦–٣٠٧.

[٤٩٣] السابق ص٦٨، ٩١، ١٠٩، ١٥٧.

كما تأتي مادة الشرح من الشعر، شرحًا للشِّعر بالشعر.[٤٩٤] فما زال الشعر يُمثل ذخيرة للعقل العربي إذا ما أعوزه العِلم. ولا جديد في الشرح، بل إن تقسيمات الشرح إلى فصولٍ وعناوين، هي من الناظم. النص مُجرد شماعة لتعليق مادةٍ من القدماء عليها؛ مجرد أداة للتجميع؛ نظرًا للعجز عن التأليف والابتكار دون «عكاز» أو «سناد». يخلو من أي هدفٍ ولا يدخُل أي معركة، ولا يُعبر عن أي موقف. مُجرَّد تجميعٍ خوفًا من الضياع من الذاكرة الشفاهية. ويشير مجرد إشارة عابرة إلى المُعتزلة وفي حيادٍ تام لا يأخُذ موقفًا بالسلب أم بالإيجاب.[٤٩٥] يقتصر الشرح على التوضيح باستعمال مادة القدماء والمُحدثين، دون تطويلٍ مُمل أو اقتصارٍ مُخل.[٤٩٦]

(١٠) «شرح ألفية العراقي في علوم الحديث» للسيوطي (٩١١هـ)[٤٩٧]

والغاية من الشرح كالعادة التوضيح والتسهيل على المبتدئين باختصارٍ دون حشوٍ وتطويل. والشروح المطولة على متونٍ أخرى.[٤٩٨] وتُقطَّع المنظومة قطعةً قطعة، تضمُّ كلٌّ منها

[٤٩٤] السابق ج١، ٢٦، ١٦٢، ١٦٨، ٣٢٥، ٣٧٤؛ ج٢، ٩٥، ٩٧، ١٤٦، ١٤٧، ٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٩٩، ٢٨٨، ٢٨٢–٢٨٤، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧–٣٢٩، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٣–٣٤٥؛ ج٣، ١٦–١٧، ٢٦–٢٧، ٣١، ٣٦، ١٠٤، ١٠٧–١٠٨، ١١٠–١١١، ١٤٥، ١٥٠–١٥١، ١٨٥–١٨٦، ١٩٠، ٢٠٠، ٢١١، ١٢٦، ٢٥٥–٢٥٦، ٢٥٨–٢٦٠، ٢١٧، ٢٩٥، ٣٠١.

[٤٩٥] السابق ج٣، ٩٥.

[٤٩٦] «فهذا تنقيح لطيف، وتلقيح للفهم المنيف، شرحتُ فيه ألفيةَ الحديث، وأوضحتُ به ما اشتملت عليه من القديم والحديث، فتح من كنوزها المُحصنة الأقفال كل مُرتِج، وطرح عن رموزها الإشكال ما بين الحُجَج، سابكًا لها فيه بحيث لا تتخلَّص منه إلَّا بالتمييز لأنه أبلغ في إظهار المعنى، تاركًا لمن لا يرى حُسن ذلك في خصوص النظم والترجيز؛ لكونه إن لم يكن مُتعنِّتًا لم يذُق الذي هو أهنى، مُراعيًا به الاعتناء بالناظم رجاءَ برَكته، ساعيًا في إفادة ما لا غنى عنه لأئمة الشأن وطلبته. غير طويل، ولا قصير مُخل، استغناء عليها وعلى شروط للمؤلف، وعلمًا بنقص هِمَم أماثل الوقت فضلًا عن المتعرف إجابة لمن سألني فيه من الأئمة ذوي الوجاهة والتوجيه ممَّن خاض معي في الشرح وأصله وارتاض فكره بما يرتقي به عن أقرانه وأهله.» السابق ج١، ١٦.

[٤٩٧] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: شرح ألفية العراقي في علوم الحديث، دراسة وتحقيق أبي حفص شادي بن محمد سالم الزمان، دار ابن حزم، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٤٩٨] «فهذه تعليقة على «ألفية الحديث» ... توضح كلامها، وتُفكِّك نظامها، وتُبلِغ طلَّابها مَرامها على وجهٍ وجيز، سهل للمبتدئين، حسَن للناظرين. ألَّفتُها إجابةً لمن سأل، وصنتها عن الحشو والتطويل، حذرًا من

مجموعة أبياتٍ تتراوَح بين القِصر والطول.[499] ويُغطي أمثلةً من الحديث، كما يعتمد على أقوال السابقين، لا جديدَ فيه، ولا يُقدِّم رؤيةً أو تأويلًا. يعتمد على تقسيمات الألفية دون خروجٍ عليها.

(١١) «شرح منظومة ألقاب الحديث» ليوسف الفاسي (١١١٦هـ)[500]

ولم يقتصر الشرح على النثر بل امتدَّ أيضًا إلى الشعر. ولا فرق في الشرح بين النظم والشعر؛ فشرح الشعر أيضًا لفظًا لفظًا مثل شرح النثر وليس بيتًا بيتًا للمُحافظة على الوحدة الأولى للشعر.[501] وتأتي مادة الشرح من إعراب الألفاظ أو تجميع مادةٍ متشابهة من أقوال القدماء؛ فالشرح تجميع بمناسبة النص، معلومات لا علمًا، يشرح الشعر بالشعر.[502] وتُستعمل أقوال أئمة المذاهب الفقهية الأربعة، وأئمة الحديث المُتأخرين مثل ابن الصلاح، كما تُستعمل بعض أقوال المُتكلمين مثل المُعتزلة والجبائي.[503] ويُستعمل الحديث أكثر من القرآن.[504] والأهم هو تحويل الشعر المُتصل إلى موضوعات مُنفصلة، تبرُز موضوعات علم الحديث، ولكل منها عنوان.[505] وتُوضَع بعض التنبيهات للَفْتِ النظر.[506]

الشاقة والمَلل؛ فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يُمَل. ومن أراد الزوائد والفوائد والأبحاث المؤنَّقة والفرائد، فعليه بشرحِنا على «التقريب» للشيخ مُحيي الدين النوَوي؛ فهو الكتاب الذي لم يؤلَّف في الفن أجمع منه.» السابق ص٩١-٩٢.

[499] (١٥ بيتًا) ص١٣٧–١٣٨، (٢٤) ص٣١٩–٣٢٠، (٢٨) ص٣١٢–٣١٣، (٣١) ص٣٥٠–٣٥١، (٤٠) ص١١٨–١١٩، ٢٢٨–٢٣٠. (٥٠) ص٣٩٣–٣٩٤، (٥٤) ص١١٨–١١٩، (٦٩) ص١٩٥–١٩٨.

[500] محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي: شرح منظومة ألقاب الحديث، تحقيق الأستاذ محمد مُظفر الشيرازي، مدير الجامعة الإسلامية، صادق أباد، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، دمشق، عمان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[501] أطول المقاطع خمسة أبياتٍ، ثم أربعة، ثم ثلاثة، ثم اثنان (٧ مرات)، ثم البيت الأول (٢١ مرة).

[502] السابق ص٦٠.

[503] السابق ص٦٩.

[504] الحديث ص٦٢، ٩٣، ١١٩، ١٢٤، ١٣٠–١٣٣. القرآن ص٨٠.

[505] وهي: الصحيح، الحسن، الضعيف، المتواتر، أقسام أخبار الآحاد: المشهور، العزيز، الغريب، المرفوع، المسند، الموقوف، الموصول والمُتصل، المقطوع، العالي والنازل، المُسلسل، المهمل، المُعلق، المُرسَل، المُنقطع، المُعضل، المدلس، المرسل الخفي، المُزين في مُتصل الأسانيد، زيادة الثقة والمحفوظ والشاذ، المُتابع والشاهد

(١٢) «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» للأمير الصنعاني (١١٨٢هـ)[٥٠٧]

وهو شرح لكتاب «تنقيح الأنظار في تنقية أحاديث الأبرار» للوزير الحسني اليمني (٨٤٠هـ). وطبقًا لعنوان الشرح «توضيح الأفكار» والنص المشروح «تنقيح الأنظار» يتَّضح المدخل العقلي النظري لِعلم الحديث، وهو المشهور عن الزيدية في علاقتهم بالاعتزال، ممَّا يُبرر عنوان «من النقل إلى العقل» لإعادة بناء العلوم النقلية الخمسة. والشرح عبارة بعبارة، ولفظًا بلفظ؛ ممَّا يجعل الأصل — بعد تقطيعه إلى عدَّة أجزاء — صعبًا في قراءته. والتوضيح للمعاني وليس للألفاظ. ويعني الشرح تعيين الشيء في الخارج. والشرح كالعادة أطول من النصِّ؛ لملئه بكثيرٍ من المعلومات واختلاف الفقهاء والاقتباسات المُوضَّحة نهاياتها بلفظ «انتهى». ويضمُّ الشرح ثلاثةً وستِّين نوعًا وليس خمسة وستِّين أو سبعين نوعًا.[٥٠٨] وهي نفس قِسمة علم مصطلح الحديث. والشارح على وعيٍ بمنهجه بالنسبة للنصِّ الأصلي أو بالنص النموذج؛ مُقدِّمة ابن الصلاح خاصة في قِسمته الموضوعات واختلاف الأسماء.[٥٠٩] والأمثلة من الحديث قليلة، ومع ذلك يعتمد على كثيرٍ من الشعر المعروف به أهل اليمن.[٥١٠] وأهم ما يُميز الشرح، على عكس السلفيين، روحه الهادئة دون تكفيرٍ أو إقصاء، بحيث لا يبدو فرقٌ بين زيديٍّ وسُني وشيعي وخارجي.

والمُغرر والاعتبار، الموضوع، المتروك، المعروف والمنكر، المُعلل، المُضطرب، المدرج، المقلوب، المُحكم، مختلف الحديث، الناسخ والمنسوخ، مُشكِل الحديث، المُصحَّف والمُحرَّف، المُبهمات.

[٥٠٦] شرح منظومة ص٥٥، ٥٦، ٥٨، ٩٤. التنبيه الأول ص٥٦. التنبيه الثاني ص٥٨. تنبيه ص٩٤. تنبيهان ص٥٥.

[٥٠٧] الإمام أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد المعروف بالأمير الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، علَّق عليه ووضَع حواشيَهُ عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٥٠٨] السابق ص٩.

[٥٠٩] «واعلم أن المُصنِّف رحِمه الله تعالى لم يجعل لمسائل كتابه عنوانًا بمسألةٍ ولا فصل ولا نوع ولا باب. وفي عنوان المسائل بذلك ما لا يخفى على ذوي الألباب. وقد عنون ابن الصلاح كتابه بالأنواع. والمُصنف رحِمه الله جعل اسم كلِّ نوعٍ تحته ترجمته ... إلا أنه عنوان خفي؛ فرأيتُ أن أجعل عنوان كل بحثٍ لفظ مسألة؛ إذ قد لا ينتبه الناظر لجعلِه أسماء الأنواع عنوانًا.» السابق ص٩-١٠.

[٥١٠] الشعر ج١ (٦)، ج٢ (٢٣).

(١٣) «الثمرات الجَنيَّة شرح المنظومة البيقونية» للجبرين[٥١١]

وهو شرح لأشهر المنظومات في عِلم مصطلح الحديث، شرحًا ارتجاليًّا في دروسٍ شفاهية.[٥١٢] والشرح لفظًا لفظًا، وشرحًا للحديث بالقرآن وبالحديث.[٥١٣] ويعقد مُقدمة عن علم الحديث وأهم المؤلَّفات فيه نثرًا أو شعرًا وأهم الشروح عليها والمُلخصات لها. وهو شرح سَهل وواضح تكثُر فيه الأمثلة والتعقيبات وعدَم التقيُّد بالمباحث التي اقتصر عليها الناظم.

(١٤) «شرح مُوقظة الذهبي» للشريف العوني[٥١٤]

والشارح ما زال حيًّا ممَّا يدلُّ على أن هذا الشكل الأدبي، الشرح، ما زال مُستمرًّا، خاصة في الحجاز؛ فقد كانت دروسًا شفاهيةً في مسجد مكة، مُسجلة قبل أن تُفرَّغ وتُطبَع.[٥١٥] ويُبين الشرح أنَّ النصَّ المشروح هو صياغة حديثة لكتاب «الاقتراح» لابن دقيق العيد مع نقلٍ مباشر منه؛ فهو اختصار له وإضافة عليه.[٥١٦] ويُفصَل النص المشروح عن النص الشارح، ثم يُستعاد النص المشروح عبارةً عبارة، ولفظًا لفظًا. وتُوضَع عناوين جانبية في الهامش للشرح مع العنوان الرئيسي. ويستعمل اللون الأحمر لإبراز النصِّ المشروح والعناوين الجانبية وأسماء الأعلام بالاستفادة من وسائل الطباعة الحديثة. وهو شرح مُركَّز بالرغم من استعماله «قال ... قيل ... قُلنا» الأسلوب التقليدي.[٥١٧] ويتبع طريقة

---

[٥١١] العلَّامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين: الثمرات الجنية شرح المنظومة البيقونية، اعتنى به سعد الله بن السعدان، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٥١٢] السابق ص١١-١٢.

[٥١٣] الشرح بالقرآن، السابق ص٢١٨–٢٢٥؛ الشرح بالحديث ص٤٦، ٥٠.

[٥١٤] الشريف حاتم بن عارف العوني: شرح موقظة الذهبي، توضيح وتحرير لمسائل مصطلح الحديث المُتضمنة في كتاب المُوقظة للإمام الذهبي المُتوفَّى سنة ٧٤٨هـ، اعتنى به عدنان بن زايد الفهمي، وبدر بن زايد الفهمي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٢٨هـ.

[٥١٥] «قمتُ بشرح كتاب المُوقظة للإمام الذهبي، وذلك في أحد مساجد مكة، زادها الله تشريفًا وتعظيمًا ضِمن إحدى الدورات العلمية لصيف عام ١٤٢٥هـ. وقد سُجِّل هذا الشرح في أشرطةٍ مسموعة ... وعُرِض عليَّ الإذن بنسخه من عددٍ من طلبة العِلم ليكون أسرعَ في الإفادة.» السابق ص٥.

[٥١٦] السابق ص٧.

[٥١٧] السابق ص٣٠.

التقسيم لإبراز جوانب الموضوع، ويضيف مادةً من المذاهب الأربعة.[518] وتذكر أقوال السابقين، وتتعدَّد الآراء للاختيار منها أو الترجيح بينها.[519] ولا يخلو الشرح من بعض وجهات النظر الاستدراكية، وليست النظرية للمُراجعة.[520] وتُضاف المُصنفات القديمة للأحاديث الموضوعة.[521] وبالرغم من عدم وجود أي جديدٍ إذ تأتي المادة كلها من علم الحديث التقليدي، فإنه يتمُّ إبراز بعض التحليلات تحت عنوان «تنبيه».[522] ويعتمد على أقل قدْرٍ مُمكن من الآيات القرآنية والأشعار وعلى بعض الأحاديث النبوية.[523]

(١٥) «تلخيص صحيح الإمام مسلم» للقرطبي (٦٥٦هـ)[524]

ويعني التلخيص؛ اختصار الأسانيد، وحذف التكرار، وشرح معانيها، وأعلامها، وإرشاد الطالب إلى فحواها.[525] يكفي في الإسناد صاحبه إلا حين الضرورة فيذكُر غيره؛ واختيار أكمل المتونِ مساقًا وأحسنها سياقًا إذا ما تعدَّدت الصياغات. وتُقدَّم بعض الأحاديث على الأخرى. يضمُّ الأحاديث المُتشابهة في موضوعٍ واحد. ويتمُّ ذلك دون تغييرٍ في بنية الكتاب، والمحافظة على أبوابه الفقهية وترتيبه إلى حدٍّ كبير، باستثناء تفصيل المُجمل، وحذف بعض الكتب أو إضافة أخرى. وتُرقَّم الأحاديث في كل كتاب.[526] ومن ثَمَّ انخفض عدد الكتُب

---

[518] السابق ص٢٢–٢٣.

[519] السابق ص٧٠.

[520] السابق ص٥٨.

[521] السابق ص٨١.

[522] السابق ص١١٣.

[523] القرآن (١)، الشعر (٢)، الحديث (١٢).

[524] الإمام الفقيه أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: تلخيص صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١)، (جزءان)، تحقيق د. رفعت فوزي، أحمد محمود الخولي، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

[525] «نختصر أسانيده، ونحذف تكراره، ونُنبه على ما تضمَّنته أحاديثه بتراجِم تُسفِر عن معناها، وتدلُّ الطالب على موضعها وفحواها.» السابق ص٣٤.

[526] «فاقتصرتُ من الإسناد على ذِكر الصاحب إلا أن تدعو الحاجة إلى ذِكر غيره فأذكُره لزيادة فائدة، وحصول فائدة؛ ومن تكرار المتون على أكملها مساقًا، وأحسنها سياقًا، مُلحِقًا به ما في غيره من الرواية،

من ثمانيةٍ وأربعين إلى أربعين. وهو تلخيص شكلي. وحذف وإضافة كميةٍ دون التعرُّض لجوهر الموضوع وتغيُّر الفقه بتغيُّر العصور.[٥٢٧]

(١٦) «مصنف» سعيد بن منصور[٥٢٨]

ولم يقتصر الجمع الجزئي للحديث حول بعض الموضوعات الفقهية على القدماء دون المحدثين أو على العرب دون العجم، بل شارك فيه الأتراك. وهو اختصار للبخاري في تسعة وعشرين كتابًا.[٥٢٩] أكبرها الجهاد. ولم تؤثر الثورة الكمالية في ١٩٢٣م وإلغاء الخلافة في ١٩٢٤م في حذفه؛ فالدولة علمانية ولكن الشعب ما زال مُسلمًا. ولم يتجرَّأ المُصنف على السؤال حول جدوى جمع الأحاديث حول بعض موضوعات الوضوء مثل «إذا ولَغ الكلْب في الإناء.» فالوضوء الآن من الصنبور، و«من مسَّ فرجَه فليتوضأ.» فلا يكاد أحد يفعل ذلك الآن، و«الاستنجاء بالحجارة» مع الكم الهائل من وسائل التنظيف الحديثة، الماء والورق. وكذلك الأمر في كتاب الصلاة مثل تَطيُّب المرأة للخروج، ورفع اليدَين في الصلاة وعند الركوع، ووضع الرُّكبتَين قبل اليدين. وقد كان الاختصار عن طريق جمع الأحاديث المَروية عن طريق سعيد منصور مع مسانيد الأحاديث وطبقًا لقاعدة الأحاديث المروية عن راوٍ واحد ومجموعها مائتان وتسعة وعشرون حديثًا.

مُحافظًا على ألا أُغفِل منه شيئًا من مهمَّات الفوائد ... وربما قدَّمتُ بعض الأحاديث وأخَّرتُ حيثما إليه اضطُررتُ حِرصًا على ضمِّ الشيء لُشاكِله وتقريبًا له على مُتناوِله.» السابق ص٣٥.

[٥٢٧] حذف كتاب المساجد وموانع الصلاة، وحذف ليلة القدْر من عنوان أبواب الاعتكاف، وحذف صفات المُنافقين في أحكامهم، وزيادة أبواب الكسوف، السابق ص٣٣٩–٣٤٦، وكتاب النبوَّات وفضائل نبينا ج٢، ٩٩٣–١١٢٤، واستبدال التوبة بالزهد ج٢، ١٢٣١–١٢٤٤، والبر والصلة بالفضائل ج٢، ١١٢٥–١١٦٨، واستبدال كتاب ذكر الموت وبما بعده ج٢، ١٢٤٥–١٢٧٠ بكتاب صِفة القيامة والجنة والنار.

[٥٢٨] Said B. Mansurun: Musannefinin, Yeniden Insasi Dr. Ali Akyuz. Marmara Universitesi Ilahiyat fakultesi Yayinlari nu. 55, Istanbul, 1997.

[٥٢٩] هي: (١) الوضوء، (٢) الصلاة، (٣) الجمعة، (٤) الجنائز، (٥) الصيام، (٦) الزكاة، (٧) المناسك، (٨) الضحايا، (٩) العقيقة، (١٠) الفرائض، (١١) النكاح، (١٢) الطلاق، (١٣) الجهاد، (١٤) البيع، (١٥) الأشربة، (١٦) الأطعمة، (١٧) اللباس، (١٨) الشهادة، (١٩) الحدود، (٢٠) الإيمان، والنذور، (٢١) العلم، (٢٢) الأدب، (٢٣) الزهد، (٢٤) الفضائل، (٢٥) المناقب، (٢٦) المغازي، (٢٧) الإيمان، (٢٨) الفتن، (٢٩) الإمارة.

وفي هذا التلخيص يتم جمع أحاديث في موضوعاتٍ متفرقة دون تبويبٍ في كتب الحديث، حوالي مائة وثمانية أحاديث دون مقياسٍ واضح للاختيار إلَّا ضخامة إصحاحات وسنن ومسانيد الأحاديث الأصلية. تجمع بين موضوعاتٍ مُتفرقة عملية وخيالية.[٥٣٠]

(١٧) «مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول للدمشقي» (القرن الثالث عشر)[٥٣١]

وهي حاشية لكتاب «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي من أحد علماء السلطنة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وهي حاشية على الأصول المائتين وواحد وتسعين أصلًا صوفيًّا أخلاقيًّا للترمذي مع القفز على بعضها.[٥٣٢] والبعض الآخر يتم الاسترسال فيه.[٥٣٣] وبما أنَّ النصَّ الأصلي صوفي، غاصت الحاشية في الغيبيات والخيالات وعالم الجن والشياطين.[٥٣٤] وأوَّلت الحروف والأعداد.[٥٣٥] وكشفت العلوم المستورة، علوم القلب والنفس.[٥٣٦] وزادت في قَصص الأنبياء، الشعبي وما به من خرافات. وشُخِّص الحديث في الرسول وفي بعض صفاته الجسدية. مثل طول سبابته عن خنصره عن بنصره.[٥٣٧] واعتمدت على تأويلات القرآن والحديث وبعض الأشعار وعلى بعض الشروح السابقة.[٥٣٨]

---

[٥٣٠] Dr. Ali Akyay Abdurrazzak–Zuhari Zliskisi Uzerine bir Mukayere Mramara Univer-sitesi, Ilahiyat fakultesi vakfi Yayinlari nu. S3, Istanbul, 1997.

[٥٣١] مصطفى ابن الشيخ إسماعيل الإمام الدمشقي: مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول، دار صادر، بيروت، (د.ت).

[٥٣٢] القفز على الأصلية ٤٩-٥٠ ص٣٨-٣٩، الأصلان ٥٨-٥٩ ص٤١، الأصلان ٧٩-٨٠ ص٦٤، الأصل ٨٦ ص٦٨، الأصلان ٨٨-٨٩ ص٧٠، الأصل ١٠١ ص٧٦، الأصل ١٠٨ ص٨٤، الأصل ١٣٠ ص٩٨، الأصل ١٣١ ص٩٩، الأصلان ١٣٨-١٣٩ ص١٠٠، الخمسة أصول ١٤١-١٤٥ ص١٠١، الثلاثة أصول ١٤٧-١٤٩ ص١٠١، السبعون أصلًا ١٥١-٢٢١ ص١٠٢، الستة أصول ٢٢٣-٢٣٨ ص١٠٢، التسعة وأربعون أصلًا ص١٢٧.

[٥٣٣] مثلًا ص٣٢-٣٧، ٤٣-٤٤، ٤٧-٥٠، ٥٥-٥٦، ٦١-٦٣، ٧٩-٨٢، ١٠٣-١٠٨، ١١١-١١٣، ١٢١-١٢٢، ١٢٤-١٢٥.

[٥٣٤] السابق ص١٠٩.

[٥٣٥] السابق ص٢، ٤-٧.

[٥٣٦] السابق ص٨، ٣٣.

[٥٣٧] السابق ص٣١.

[٥٣٨] السابق ١-٢، ١٣١.

وفي نفس الوقت يتمُّ مدح السلطان والخلافة العثمانية والقسطنطينية مدينة العِلم والعلماء. فالسلطان ما زال خليفة الله في الأرض شعرًا ونثرًا.[٥٣٩]

[٥٣٩] «ولما أن وافق هذا الجمع والتجريد أوقات سرورٍ وسعود وعيد بجلوس الملك المُظفر السعيد الذي أورقت أغصان خلافته، وازدهرت أشجار سُلطته وإمارته، وصدحت البلابل باسمه الحميد، وازدهرت المنابر بذكر نعته المجيد، الخليفة الأعظم، والسلطان المُعظَّم، مولى ملوك العرب والعجم، خادم طيبة والحرم، ظِل الله في العالَم، غيَّاث بني آدم، فخر سلاطين آل عثمان، ألا وهو المؤيد بآيات القرآن، والمحفوظ بالسبع المثاني، لا زالت أقطار الأرض مشرقة بأنوار معدلته، وأغصان الخيرات مورقة بسحائب رأفته، رسمتُها باسمه السعدي الحميد، دام له الظفر والتأييد، فإنه نصره الله من خواصِّ أهل الطريق، ملحوظ بالعناية والتوفيق لتكون خدمة لحضرته، وأثرًا من آثار سلطته. ولا شك أن ظهور مثل هذا الأثر وقت جلوسه وخلافته علامة على كمال موفقيته.» السابق ص١. «فإذا عاملت الملوك بمعاملة الرعية فقد استخففتَ بحقِّ السلطان. وكيف يجوز أن تستخفَّ بحق والسلطان ظل الله في الأرض؟» السابق ص٦٧.

الباب الأول

نقد السند

الفصل الأول

تحليل السند

أولًا: هل يكفي نقد السند؟

ركزت علوم الحديث عند القدماء على تحليل السند أكثر من تحليل المتن؛ فصحة الحديث تاريخية صرفة مشروطة باتصال سلسلة الرواة من الرسول حتى جامع الحديث الراوي الأخير قبل التدوين. ومعظم المصطلحات؛ صحيح وحسَن وضعيف ومقطوع ومتصل ومشهور قد يكون السند صحيحًا من حيث قواعد التواصُل والانقطاع، ولكن يظل المتن ظنيًّا مشكوكًا فيه وربما موضوعًا. وقد حدَث ذلك في الكتب المقدَّسة الأخرى في مدرسة القدس للكتاب المقدس.[1] فقد ظنَّت أن تطابُق الوصف المكاني الزماني الجغرافي بين الرواية والواقع يجعلها صادقةً في حين أنه يمكن للراوي أن يجعل روايته الوصفية مُطابقة للواقع الجغرافي، وهو ما يعادل السند، ثم يضع الراوي متنًا كاذبًا. فصدق الرواية في هذه الحالة لا يعني صدق القول المباشر. وصدق الوصف لا يعني صدق القول. ومن ثم لا يكفي نقد السند لنقد المتن. ولا تعني بالضرورة صحة السند صحة المتن.[2] وإذا كان السند من الدين فماذا عن المتن؟[3]

---

[1] L'Ecole Biblique de Jérusalem Le Pére Lagrange. المدرسة التي أسسها الأب لاجرانج.

[2] يقول البغوي في «المصابيح» «والحكم بالصحة أو الخسة على الإسناد لا يلزم منه الحُكم بذلك على المتن؛ إذ قد يكون شاذًّا أو معللًا.» الباعث الحثيث ص٤٣. «إذا صحَّ الحديث هل يكون صدقًا.» ابن تيمية ص٧١–٧٩.

[3] عند ابن المبارك «السند من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.» النيسابوري ص٦. «حدود ألفاظ تستعمل في هذا العلم، الأثر، المتن، السند، الإسناد، المُسند.» التهانوي ص٢٤–٢٧.

ومع ذلك يمتاز عِلم الحديث بالقُدرة على وضع المصطلحات الخاصة بالسند والتمييز بين أنواعه من حيث التواصُل والانقطاع: الصحيح والحسن والضعيف، والمسند، والمتصل، والمرفوع، والموقوف، والمقطوع والمرسل، والمنقطع ... إلخ، دون أثر أجنبي، بل إبداعًا خالصًا، وهو ما تتميز به العلوم النقلية الخالصة التي حمَت نفسها من إعمال العقل، وبالتالي إمكانية تدخُّل مؤثرات حضارية عقلية واحدة، الحضارة اليونانية نموذجًا وتمييز أرسطو بين الشعر والتاريخ. وكلها في اتجاهٍ واحد، وكأن الرواية هي السند وحدَه دون المتن. كان الدافع هو الاطمئنان على الاتصال بين الرسول والرواة في عصرٍ كانت النبوَّة فيه ما زالت الحدث الأكبر، والمصدر المعرفي والتشريعي الأول. لم يكن الاهتمام بالمتن لأنه لا شك فيه. إذا صح السند صح المتن. كان الهمُّ هو الاتصال بالرسول الذي يَجُبُّ ما دونه. وماذا أفضل من الاتصال بالرسول بصرف النظر عما يقول.[٤]

ويهتمُّ علم الحديث بمنطق الرواية. ونادرًا ما يُعطي الأمثلة من الأحاديث. أما الآيات القرآنية فأندر.[٥] فالغاية السند وليس المتن، المنهج وليس الموضوع. على عكس علوم القرآن التي أكثرت من الشواهد القرآنية بحيث طغَتْ على موضوعها الحوامل الموضوعية؛ المكان والبيئة الاجتماعية والزمان «التاريخ»، أو الحوامل الموضوعية الذاتية «اللغة»، اللفظ والمعنى، وأساليب البلاغة والتفسير.

وقد تطورت المؤلفات في علم الرواية قبل أن تستقر في علم مصطلح الحديث على النحو الآتي:

(١) «مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن شيوخه» (٢٩٧هـ)[٦]

وهي رواية ثم أخبار بتسعين مسندًا دون متونها مما يدلُّ على أولوية السند على المتن. ونادرًا ما يصدر حكم على أحد الرواة. وإذا صدر فإنه من الثقات. يعتمد على بعض الآيات

[٤] الباعث الحثيث ص٢٠-٢١.

[٥] لا تتجاوز الأمثلة في «الباعث الحثيث» ٢٧ حديثًا في أكثر من خمسة وستين نوعًا. أما القرآن فآيتان. وفي «المختصر في علم أصول الحديث النبوي» لابن النفيس، الحديث حديثان، والقرآن آيتان.

[٦] ثلاث رسائل في علم الجرح والتعديل، تقديم وتحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٩٧-١٣٤.

والأحاديث دون الأشعار.[٧] وتبدو الفرق الكلامية كعاملٍ مُوجِّهٍ للرواية. وتذكر خمسة اتجاهات كلامية: القدر، والإرجاء، والعثمانية، والتشيع، والرفض.[٨]

(٢) «تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم» للنسائي (٣٠٣هـ)[٩]

لم يكتب أصحاب الإصحاحات الكبرى فقط إصحاحاتهم بل كتبوا رسائل تُبشر بعلم مصطلح الحديث وموضوعاته المتفرقة؛ فهم أصحاب مجموعات وأصحاب بدايات الدراسات النظرية في علم الحديث. فقد كتب النسائي عدة رسائل في علم الحديث، مثل هذه الرسالة، وهي مجرد رصدٍ لأسماء الرواة مُوزَّعين جغرافيًّا طبقًا للأمصار: المدينة والكوفة والبصرة والشام ومصر وخراسان، جمعًا بين المدن والأقاليم، والأمصار والطبقات، والصحابة والتابعين. وهي أقرب إلى التاريخ منها إلى الحديث. وتُبين أهمية السند على المتن، والراوي على المروي دون جرحٍ أو تعديل.

(٣) «المزكيات وهي الفوائد المُنتخبة الغرائب العوالي» للمزكي النيسابوري (٣٦٢هـ) انتقاء وتخريج الدارقطني (٣٨٥هـ)[١٠]

وهو عمل جماعي؛ فالراوي له وظائف عديدة بين تدوين وسماع ونقل عبر أجيالٍ عديدة قد تصِل إلى ما يزيد على خمسة قرون. ولفظ «مزكي» مُتشابه بين اسم العلَم والمُثبِت لصحَّة

---

[٧] الآيات (٦)، الأحاديث (٣).

[٨] مسائل ابن أبي شيبة، القدر ص٢، ٢٢، ٤١؛ الإرجاء ص٨١–٨٢؛ العثمانية ص٧٨–٧٩؛ التشيع ص٦، ٦٠؛ الرفض ص٧٣.

[٩] الإمام النسائي: تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم: مجموعة رسائل في علوم الحديث للإمام النسائي وللخطيب البغدادي، حقَّقها وعلَّق عليها السيد صبحي السامرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د.ت)، ص٧–١٠.

[١٠] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري: المزكيات «من كتب العلل ومعرفة الغرائب» وهي الفوائد المنتخبة الغرائب العوالي، انتقاء وتخريج عَلَم الحفَّاظ علي بن عمر الدارقطني، عن نسخة عليها سَمَاعات أئمة كبار كابن الجوزي والمَقدسي وابن تيمية والمزي والبرزالي والذهبي وغيرهم. قابَل أصوله وخرَّج أحاديثه الدكتور أحمد بن فارس السلوم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

حديثٍ والراوي له. فالمُزكي غير الراوي، والرواية غير السماع، والسماع غير الإملاء.[11] يعتمد علم الحديث على صيغته الأولى؛ السماع المباشر. وأصبح موضوعًا لتخصُّصٍ دقيق له دُور ومراكز أبحاث. الهدف الحكم على درجة صحته ونوعه كصحيحٍ أو غريب، ومُعلل أو شاذ، محفوظ أو مرسل.[12] ويتم التضحية بالمتن من أجل التركيز على السند. وليس كلام المزكي مُطلقًا؛ فقد يُقابله مُزكٍّ آخر.[13] فهو أقرب إلى الغريب منه إلى الصحيح.[14] يجمع بين الحديث والأثر والشعر.[15] ويقسم الكتاب إلى جزأين دون سببٍ ظاهر. ومع ذلك هناك بعض الأحاديث لا تستحقُّ التزكية، مثل بعض أحاديث التنمية والتخطيط للمُستقبل المُناهض لِما فعل يوسف، وبعض الأحاديث القدسية عن مركز القرآن وقلبه. والأحاديث حول الملائكة والشياطين، وبعض الأحاديث حول التعارُض بين الدنيا والطبيعة الخيالية كعنصرٍ للتشويق وبعض الأحاديث القدسية وأحاديث الخضر، وتَصوُّر الجنة طبقًا لحاجات الناس في الدنيا والوضع الاجتماعي والديني وإيقاف الحدود.[16] وهناك أخرى تستحق التركيز مثل «خيركم للناس أنفعكم للناس.» والانفتاح الثقافي.[17]

(٤) «الأوائل السُّنبلية وذيلها» لمحمد سعيد سنبل المكي (١١٧٥هـ)[18]

وهو كتاب في طُرق الرواية وأسانيدها واسمها وإجازتها. وهي مُجرَّد مادة منقولة من القدماء دون أي مقدمة نظرية أو تحديد الهدف من الكتاب. يعتمد على الآيات والأحاديث، وهو استمرار للتراث الشفاهي بالرغم من التدوين القديم والطباعة الحديثة. ويتضمَّن

[11] السابق ١٥٤.

[12] السابق ص١٢٠، ١٢٢، ١٣٢، ١٥٧، ٢٠١.

[13] السابق ص٢٧٩–٢٨٦.

[14] السابق ص٧٦، ٨٦، ٩٢، ١٠٠-١٠١، ١١٨، ١١٩، ١٤٨، ١٨٨، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٣٦-٢٣٧.

[15] الحديث والأثر (١٩٢)، رواه الدارقطني (٦٥)، الشعر ص٢٧٢–٢٧٤.

[16] السابق ص٩٢-٩٣، ٩٧، ١١٣، ٢٨٣، ١٤٨، ٢٥٨.

[17] السابق ص٦٩، ١٠٤.

[18] الإمام العلامة الفقيه المسند الشيخ محمد سعيد سنبل المكي: الأوائل السُّنبلية وذيلها، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجها سلمان عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ص٤١–١٠٥.

استذكار الاثنين والسبعين حديثًا من مصادر مُتعددة؛ إصحاحات أو سُنن أو مسانيد أو جوامع أو آثار أو مُصنفات أو معاجم أو تواريخ أو مُستخرجات أو أمالي أو مُختصرات أو من أجزاء.

(٥) «العجالية المكية في أسانيد الشيخ محمد سعيد سنبل إلى مُؤلفي الكتب الحديثية المذكورة في أوائله السنبلية» تخريج علم الدين الفاداني (١٤١٢هـ)[١٩]

وهي دراسة على أسانيد شيخٍ راوٍ لعدة أحاديث من مصادر متعددة؛ فقد أصبح الحديث عالَمًا مُستقلًّا بذاته وليس بواعث على الفعل أو توجُّهات السلوك. يغلب سنده على متنه، وروايته على مَرويه. يتكرَّر دون أن يتجدد، ويعيش في الماضي ولا ينتقل إلى الحاضر بالرغم مما يزيد على ألف عام. ويُراجع طرُق روايات أحد الرواة، محمد سعيد سنبل من مصادره في الإصحاحات أو السنن أو المسانيد أو المُوطآت أو الآثار أو المُستخرجات أو الكتب أو المُصنَّفات أو المعاجم أو المُستدرَكات أو الجوامع.

(٦) «الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة» للكنوي الهندي (١٣٠٤هـ)[٢٠]

وهي أسئلة في عِلم الحديث والأجوبة عليها مثل الفتاوى الفقهية، وعلى طريقة فقهاء الهند وعلمائه. الأسئلة شرعية تدل على الرغبة في التجديد ولكنَّ الإجابات تقليدية باستثناء القلة منها.[٢١] والاعتماد الأكثر على مواقف القدماء. ومُعظم الأسئلة في التعارض والتراجيح بين الأحاديث، وهو موضوع في علم أصول الفقه. وتظهر المواقف التقليدية في رفض الجمع بالرأي.[٢٢] وتبرُز أهمية العمل في كونه شرط الرواية كما أنه شرط الفتوى.[٢٣] كما يقبل الحديث الضعيف سندًا وفي فضائل الأعمال مَتنًا؛ فالمتن يفرِض نفسه على السند.[٢٤]

---

[١٩] علَم الدين محمد يس بن محمد عيسى الفاداني الأندنوسي المكي: العجالية المكية في أسانيد الشيخ محمد سعيد سنبل إلى مُؤلفي الكتب الحديثية المذكورة في أوائله السُّنبلية، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ص١١٩–١٤٨.

[٢٠] الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، وعليه التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة، بقلَم عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلَب، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[٢١] السابق ص١٤٠.

والسؤال الأول عن ضرورة السند في الدين؛ فالسند هو الطريق إلى الصحة التاريخية للمتن، ولكن ليس الطريق الوحيد؛ فالمتن يمكن إثباته عن طريق التجربة الحيَّة كما يفعل الصوفية.[٢٥] والثاني إذا كانت الأحاديث الصحيحة في الإصحاحات والسنن لذاتها أم لغيرها؟ الصحة التاريخية تُعطي يقينًا تاريخيًّا يستبعد الشك، ولكنها ليست لذاتها بل من أجل يَقينها العملي.[٢٦] والثالث: هل يجوز الاحتجاج في الأحكام بكلِّ ما في كُتُب الحديث دون وقفة ونظر؟ الحديث به كلُّ شيءٍ ولا يجوز الاحتجاج إلا بما يتفق مع مصالح العصر.[٢٧] والرابع والخامس: كيف يُمكن حل التعارُض بين الحديثين، بالترجيح أو النسخ، أو الرتبة أو العدد أو تقديم أحدِها على الإطلاق؟ والأفضل المصالح العامَّة للعصر.[٢٨] والسادس: أيهما أفضل؛ الجمع أم الترجيح؟ والسابع هل الترجيح بكثرة طرق الرواية وتخريج الشيخين؟ وكلاهما ليسا مُطلقَين دون اللجوء إلى المصالح العامة.[٢٩] والثامن جواز الجمع بالرأي لأن اللجوء إلى النصِّ عَودٌ على بَدء في الخلاف بين نَصَّين.[٣٠] ولا تهمُّ الإجابة بقدْر ما يهم السؤال.

(٧) «ضوابط الرواية عند المُحدثين» للصديق بشير نصر[٣١]

وما زال التأليف في علم الحديث القديم متواصلًا سواءً في الرسائل الجامعية أو عند العلماء، دون اجتهادٍ جديد، مُجرَّد إعادة عرض ما قاله القدماء. فبعد المُقدمة التي تُبين شرف علم الحديث كما فعل القدماء وتعريف العلم، ينقسم البحث إلى ثلاثة أبواب؛ الأول

[٢٢] السابق ص٢٢٠.

[٢٣] السابق ص٢٢٢–٢٣٠، وهو السؤال التاسع والعاشر ص٢٢٢–٢٣٨.

[٢٤] السابق ص٣٦.

[٢٥] السابق ص٢٠–٦٥.

[٢٦] السابق ص٦٦–١٣٩.

[٢٧] السابق ص١٤٠–١٥٩.

[٢٨] السابق ص١٦٠–١٩٥.

[٢٩] السابق ١٩٦–٢١٩.

[٣٠] السابق ص٢٢٠-٢٢١.

[٣١] الصديق بشير نصر: ضوابط الرواية عند المُحدثين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، السلسلة التراثية (٨)، طرابلس، ليبيا، ١٤٠١هـ/١٩٩٢م.

يشمل العِلم كله بفصوله الثلاثة: ضوابط تتعلق بالمتن، وضوابط تتعلق بالسند، وأحوال الراوي والرواية، وهي الثلاثة المحاور الرئيسية في العلم؛ وربما ضوابط المتن أصغر الأبواب لأنه ما زال جديدًا ولم يُبرِزه أحد من قبل. والباب الثاني له فصول ثلاثة: آداب الحديث، وعِلم العِلل والرجال، والجرح والتعديل. والباب الثالث بفصلَيه عن موقف المُستشرقين من عِلم الحديث والمنهج النقدي عند المحدثين. وضوابط المتن ليست ضوابط بل هي مجرد مادة حول الموضوع ردًّا على اتهام المُستشرقين بعناية القدماء بالسند دون المتن.[٣٢] ويضع ثلاثة أسئلة: هل هناك تَلازُم بين صحة المتن وصحة السند؟ هل فرَّق المحدثون بين الاثنين؟ هل يُحكَم المنقول بالمعقول مُطلقًا؟[٣٣]

وإجابة على السؤال الأول عن التلازُم بين صحة المتن وصحة السند، هناك أربعة احتمالات: صحَّة السند والمتن، بطلان السند والمتن، بُطلان السند وصحَّة المتن، صحة السند وبطلان المتن. وإجابةً على السؤال الثاني بالإيجاب وهو عدَم تفرقة القدماء بين الاثنين. وإجابة على الثالث، رفض تحكيم العقل في النقل ونقد الاتجاهات التحديثية المُعاصرة التي حاولت ذلك.[٣٤] ومُحاولة وضع ضوابط للمَتن ما زالت ضعيفةً وبنفس منطق نقد السَّند، أهمها التعارض مع الحس والعقل والذوق، والتناقُض مع السُّنَّة الصحيحة أو القرآن، وبطلان الحديث في نفسه أو ادِّعاء كِتمانه أو الخطأ التاريخي أو ركاكة اللفظ أو تكذيب القرآن له.[٣٥]

ثانيًا: معرفة أسماء الرواة

ومعرفة الأسماء المُؤتلفة والمختلفة فنٌّ يفيد في دفع معرَّة التصحيف.[٣٦] فالتحقُّق من معرفة أسماء الرواة خطوة لضبط السند حتى لا يقع التباس في قراءة الأسماء ومعرفة

---

[٣٢] نقد السند Le Critique de Provenance. نقد المتن La Critique de Restitution. طبقًا لتفرقة سيجنو بوس ولالوا في كتابهما «العمدة» مُقدمة في الدراسات التاريخية. وقد عرَضَه في ترجمةٍ حرة عبد الرحمن بدوي.

[٣٣] من المستشرق كايتاني L. Caitani. وجوزيف شاخت J.Schacht.

[٣٤] مثل حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، ضوابط الرواية ص٣٧–٥٦.

[٣٥] السابق ص٤٧–٥٠.

[٣٦] الاقتراح ص٤٥٥–٤٧٧.

الكُنى والأنساب. وقد تم التأليف فيها كموضوعٍ خاص مثل:

(أ) من سؤالات أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم (بعد ٢٦٠هـ) أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)[٣٧]

وهو مُجرَّد رصد أسماء أعلام من الرواة، اثنين وتِسعين مع ذكر خمسة عشر حديثًا دون أي شواهد قرآنية أو شعرية، دون أي مقدمة نظرية، مجرد تاريخ أعلام أو قوائم مطلوبين. وفي النهاية تذكر أربعة سماعات الكتاب؛ أي أسانيده وطرُق روايته.[٣٨] ونادرًا ما يُطلق حُكم بصحة رواية مثل لا بأس به.[٣٩] وتُذكَر الفِرَق مثل الخوارج أو الصفرية كمناخٍ عام لروايات الحديث.[٤٠] ويخصُّ أهل مصر.[٤١]

(ب) «المُؤتلِف والمختلف في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم» للأزدي المصري (٤٠٩هـ)[٤٢]

وهو أيضًا مرجع لضبط الأسماء لألفين ومائتين وعشْر حالاتٍ مُوزَّعة على أربعمائة وثلاثة عشر بابًا، حدث فيها الخلط بين الأسماء طبقًا للترتيب الأبجدي.[٤٣] يخلو من أي مقدمات نظرية أو أفكار أو تحليلات أو دلالات، مجرد تاريخ وقاموس أعلام، ولا يتضمَّن في النهاية فهرسًا للألفاظ وآخر للأعلام. وهو خالٍ من أي حديثٍ أو بيت شعر.

---

[٣٧] ثلاث رسائل في الجرح والتعديل، تقديم وتحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٥–٥٦.

[٣٨] السابق ص٥٤–٥٦.

[٣٩] السابق ص٣٦.

[٤٠] السابق ص٤٠.

[٤١] السابق ص٤٣.

[٤٢] الحافظ أبو محمد عبد الغني سعيد الأزدي المصري: المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، حقَّقه وعلَّق عليه مُثنَّى محمد حميد الشحري، قيس عبد إسماعيل التميمي، أشرف عليه وراجعه الدكتور بشار عواد معروف (جزءان)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.

[٤٣] السابق ص٤٩.

(ج) «غنية المُلتمِس إيضاح الملتبس» لأحمد الخطيب (٤٦٣هـ)[٤٤]

والقصد منه رفع الالتباس بين تداخُل الأسماء المُتشابهة إما بالنطق أو بالكتابة أو بالكُنية، والتحقُّق من شخصية الرواة.[٤٥] ويتم ذلك عن طريق تحديد المنطقة الجغرافية التي يأتي منها الراوي أو طريق الرواية، أو الاعتماد على الأخبار السابقة في كتُب ميزان الرجال. فالكتاب أقرب إلى التاريخ الخالص؛ يخلو من أي مقدمةٍ نظرية أو تحليل أو تنظير، أشبَه بالاستشراق الحديث. لا يعتمد على آياتٍ أو أحاديث أو أشعار إلا ثلاثة أحاديث. ولا يُصدِر أحكامًا على درجة صحة الحديث إلا مرة واحدة بأنه مرسل.[٤٦] والأسماء مُرتَّبة أبجديًّا حتى يسهل الكشف عنها.[٤٧] ويتنوَّع الرواة بين الصحابة والتابعين والموالي، والإخوة والأخوات والكُنى والألقاب، والأجداد والأبناء والأنساب، والزُّهَّاد والعُبَّاد، والقضاة والولاة، والشعراء والمُعمِّرين، والمُجرحين والمُعدلين، ومن ليس له إلا شيخ أو لم يروِ عنه إلَّا واحِد، والمُصنفين ورواة الكتب، والوَفَيات والمُصنفات الواردة.[٤٨]

(د) «التمييز والفصل بين المُتفِق في الخط والنقط والشكل» لابن باطيش (٦٥٥هـ)[٤٩]

وهو كتاب لرفع الخلط بين الأسماء بسبب القرَّاء والتدوين. يُعطي معلومات تاريخية دقيقة. وهو ما تميَّز به المُستشرقون الغربيون المُحدَثون. لا يُعطي مقدمةً نظرية لأن الموضوع لا يتحمَّلها، ويستعمل الشعر العربي كمقياسٍ للضبط.[٥٠] كما يعتمد على تواريخ الميلاد والوفاة للأعلام مُرتَّبة أبجديًّا. والفائدة الآن تاريخية خالصة للتمييز بين الأعلام

---

[٤٤] الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب: غنية الملتمس إيضاح الملتبس، حقَّقه وعلَّق عليه د. يحيى بن عبد الله البكري الشهري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٤٥] مثل سليمان بن المغيرة، سليمان بن أبي المغيرة، عروة بن الجعد، عروة بن أبي الجعد ... إلخ. السابق ص٥–٧.

[٤٦] السابق ص٢٠٠.

[٤٧] ما تغيَّر فيه اسم الراوي الواحد (٧٧)، المُستدرك على ما تغاير فيه اسم الراوي الواحد (٥٣)، ما تغايَرَ فيه أسماء الرواة (٧٠٠)، المُستدرك على ما تغاير فيه أسماء الرواة (٢٣٢)، ما لم يُترجَم لأحدٍ منهم لشهرتهم وأمن اللبس فيهم (٦٣).

المُتداخلة. ويعتمد على بعض الآيات والأحاديث والأبيات الشعرية.[٥١] وتظهر الفِرَق الكلامية والفقهية التي ينتسِب إليها الأعلام.[٥٢]

(هـ) «الإفصاح عن المعجم من إيضاح الغامض والمُبهم» لابن القسطلاني (٦٨٦هـ)[٥٣]

وهو عِلم الرجال للتحقُّق من الرواة بمصطلحين جديدين؛ الغامض والمُبهم مثل المشهور والغريب أو المؤتلف والمختلف. ويتعلقان بالسند وليس بالمتن.[٥٤] وهم حوالي أربعمائة وأربعة وسِتِّين مُبهمًا مُرتَّبة ترتيبًا أبجديًّا، ومُقسَّمة إلى مجموعاتٍ طبقًا للابن والأب

[٤٨] الصحابة (١٢)، التابعون (٥)، الموالي (٣٢)، القرابات والأصحاب (٢٥)، الإخوة والأخوات (٢٣)، من نُسِب لكنية أبيه (٤٤)، من نُسب إلى جده (٢)، الكنى (٨)، الألقاب (١١)، الأبناء (١)، الأنساب (٦)، القضاة والولاة (١٠)، الزهاد والعباد (٧)، الجرح والتعديل (١٨)، من ليس له شيخ واحد (١)، من لم يروِ عنه إلا واحد (٣)، المصنفون ورواة الكتب (٣)، الشعراء (٢)، المعمرون (١)، الوفيات (١٢)، المصنفات الواردة (١٣).

[٤٩] إسماعيل بن باطيش: التمييز والفصل بين المُتفق في الخط والنقط والشكل (جزءان)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

[٥٠] الأشعار (١٤٧).

[٥١] الآيات (١١)، الأحاديث (٤٦)، الأشعار (١٩٣).

[٥٢] مثل الشيعة، الخوارج، العلوية، الصوفية، المُعتزلة، المُسلمون، الإمامية، الحنابلة، الرافضة، الشافعية، المُشركون، التجاربة، النصارى، الزيدية اليمانية، الإباضية، الأزارقة، الباطنية، الصابئة، العجاردة، العطوية، الغرابية، الغسانية، الغيلانية، القداحية، الكرامية، الكعبية، المالكية، المجوسية، المحمدية، الملامية، الموسوية، الميمونية، النصرية، النصيرية، الهاشمية، الهندية، الواصلية، اليونسية؛ وأشهر الأماكن: بغداد، البصرة، الحجاز، مصر، أصبهان، خراسان، دمشق، الشام، سمرقند، العراق، الكوفة، المدينة، مكة، الموصل، نيسابور؛ والأعلام حوالي أربعة آلاف.

[٥٣] الشيخ العالِم الإمام العلامة الحافظ المُحقق قدوة السالكين قطب الدين ابن القسطلاني: الإفصاح عن المعجم من إيضاح الغامض والمبهم، تحقيق وتخريج الدكتور محمود مغراوي، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[٥٤] «فإن من أطراف العِلم وزواياه وما يفتقر إليه من كان قصده أن يتحلَّى بجليل مزاياه، وأن النظر في الغامض والمُبهم من الإسناد والمتن من دقيق العِلم الذي لا يُوصَل إليه إلا بعد العِلم بجليله.» السابق ص٣٥.

والجد والابنة والأخ والأخت والأم حيث يقع التداخُل. لا فرق بين رجلٍ وامرأة؛ فالرواية عكس الشهادة، وهي مجرد أسماء أعلام للتحقُّق منها؛ أي مجرد «معجم» كما يدل على ذلك العنوان. ويُحدِّد المؤلف الهدف ومنهج البحث وهو التوضيح لجليل العِلم مثل دقيق الكلام. يجمع بين منهجَين من مناهج القدماء: القرطبي في «الغوامض والمُبهمات» والمقدسي.[٥٥] ويعتمد على العديد من الآيات والأحاديث.[٥٦]

(و) «المتكلمون في الرجال» للسخاوي (٩٠٢هـ)[٥٧]

وهو آخِر جزءٍ من كتابه الشهير «الإعلام بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التوريخ»، وفي كتابه «فتح المُغيث بشرح ألفية الحديث»، مجرَّد سرد أسماء أعلام، مائتين وعشرة من الصحابة والتابعين.[٥٨] ثم انقضى القرن الأول وأتى الثاني آخِر عصر التابعين، ثم الطبقة التي تَلوها في زمانهم لنقد الرجال، ثم طبقة تالية، التي بدأت التصنيف والتدوين وولاة الجرح والتعديل، ثم الطبقات التالية.[٥٩] ويمكن تقسيم الحديث في الرجال إلى ثلاثة أقسام؛ الأول من تكلَّم في سائر الرواة، والثاني من تكلَّم في كثيرٍ من الرواة، والثالث من تكلم في الرجلِ بعدَ الرجل. ويمكن قِسمة الرجال قسمةً ثُلاثية أُخرى؛ الأول المُتعنِّت في التوثيق للتثبت في التعديل ويغمز الرواة مرةً أو اثنتين، وهو إما مُتشدِّد أو متوسط. والثاني مُتسمِّح، والثالث معتدل.[٦٠] ويعتمد على نُقولٍ من السابقين. يخلو من الشواهد القرآنية والحديث والشعر.

---

[٥٥] «فرأيتُ أن أجمع بينهما على طريقةٍ مفيدة للطلاب، مُبيدة للأتعاب، مُرتبة من حروف المعجم على الأبواب، ولا أخرج عما أودعاه، وإن كان قد تضمن بعضه نوعًا من الاضطراب فالعهدة عليهما فيما أورداه ...» السابق ص٣٦.

[٥٦] الآيات (٤٣)، الأحاديث والآثار (١٦٢).

[٥٧] أربع رسائل من علوم الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط٧، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٩٣–١٤٦.

[٥٨] السابق ص٩٣.

[٥٩] الصحابة (٧)، التابعون (٤)، القرن الثاني (١٥)، والطبقة التالية (٦)، والطبقة الثانية التالية (١٢)، طبقة المُصنفين (١٨)، الطبقة التالية (١٥٢).

[٦٠] السابق ص١٣٦–١٤٦.

ثالثًا: تطوُّر التأليف في علم مصطلح الحديث

وتنقسم المُصنفات في علم مصطلح الحديث إلى مصنفاتٍ جزئية ومصنفات كلية شاملة. الأولى تتناول بعض موضوعاته مثل السند أو الراوي. والثانية تتناول العلم كله. وهو ما حدث أيضًا في علوم القرآن.

(١) المصنفات الجزئية

(أ) «بهجة المُنتفع، شرح جزءٍ في علوم الحديث في بيان المُتصل والمرسل والموقوف والمنقطع» للداني المقرئ (٤٤٤هـ)[٦١]

والمؤلف هو المقرئ المشهور صاحب المفردات العديدة في علم القراءات. وهو تأليف في موضوع جزئي، في أربعة أنواع فقط من السند: المتصل، والمُرسَل، والموقوف، والمنقطع. المُتصل والمُنقطِع على الضد، والمُرسل والموقوف أيضًا على الضد. والحرص على السجع في العنوان سِمة من سمات المُصنفات القديمة في كل العصور، وليس فقط في العصر المملوكي المتأخِّر. وكل نوع عليه عدة أمثلةٍ من الحديث. والمُحقق للحديث يضع النص، ثم يضيف الشرح التخريج؛ أي تخريج الأحاديث، وهو ما لا يدخُل في عِلم مصطلح الحديث، ممَّا يجعل الكتاب بهذا الشرح والتخريج أقربَ إلى المادة العلمية منه إلى التنظير. لذلك أتى مملوءًا بأسماء الأعلام بالإضافة إلى التركيز كأمثلةٍ على بعض أحاديث مثل «إنما الأعمال بالنيات.» وصياغاته المُختلفة دون دراسة المتن وتعليل الاختلافات بين الأشكال الأدبية؛ فالشارح من القدماء مع أنه من المُعاصرين. شرحه كله، كما يقول، من القدماء. يعتمد على الشعر مثلهم.[٦٢] وقد كان التأليف بناءً على سؤالٍ عن طريق نقل الآثار والإسناد المُتَّصِل والمُرسَل والموقوف والمنقطع. فجاءت الإجابة شاملةً لكل الأنواع والأمثلة عليها والاستدلال بها على الأنواع المُتشابهة، بالإضافة إلى أصول المُدلِّسين وطبقاتهم ومذاهبهم باختصارٍ دون إطناب.[٦٣]

---

[٦١] أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المقرئ: بهجة المُنتفع، شرح جزء في علوم الحديث في بيان المُتصل والمرسَل والموقوف والمنقطع، تصنيف أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان، دار أنصار المدينة، المدينة، ١٤٢٨هـ.

[٦٢] السابق ص٢٨١، ٣٢٨، ٤١٤.

(ب) «جامع التحصيل في أحكام المراسيل» لابن كيكلدي العلائي (٧٦١هـ)[٦٤]

وهو كتاب في المُرسَل فقط؛ فقد خُصَّت الأمة بشرَف الإسناد وخُصَّت باتصاله.[٦٥] وأسَّست لذلك علم الإسناد.[٦٦] يجمع الكتاب بين النقل والعقل، بين الرواية والدراية، بين التاريخ والتأسيس النظري.[٦٧] لذلك ارتبط عِلم مصطلح الحديث بعِلم أصول الفقه، كما ارتبط الحديث بالفقه. ومع ذلك جاء الجانب النظري قليلًا وأصبح أقرب إلى التاريخ بأسماء الرجال.[٦٨] وبسبب الوعي النظري يأتي فهرس الكتاب في المُقدمة في ستةِ أبواب حول تحديد المُرسَل وبيان مذاهب العلماء فيه، وحجج كلِّ مذهبٍ ونتائج هذا العلم، وبيان المراسيل الخَفي إرسالها، وأخيرًا مُعجم الرواة المحكوم على روايتهم بالإرسال.[٦٩] ويتحدَّد معنى الإرسال مقارنة بمعنى المنقطع والمتصل.[٧٠] ويظهر الفرق بين المسند والمرسل.[٧١]

---

[٦٣] «فإنكم سألتموني ... أن أُعرِّفكم بطريق نقل الآثار، وكيفية المُسند المُتصل منها والمُرسَل الذي ليس بمُتصلٍ والموقوف والمُنقطع لتقِفوا على حقيقة ما يُروى في ذلك من المُوطَّآت، وفي سائر المصنفات، فأسرعت في إجابتكم عمَّا سألتموني، وشرحتُ لكم الأنواع المذكورة التي بها ترِد الآثار نوعًا نوعًا على حِدة، وجعلتُ لكل نوعٍ فيها حقًّا لا يُقاس عليه سائر أشكاله، ويُستدَلُّ به على نظائره وأمثاله، وأضفتُ لكم إلى ذلك أحوال المُدلِّسين من أصحاب الحديث، الذين لا يُميِّز من كتَبَ عنهم ما سمِعوه ممَّا لم يسمعوه، وقسَّمتُ طبقاتهم، وبيَّنتُ مذاهبهم، والمتحدث في جميع ذلك على الاختصار، وترك الإطناب والإكثار؛ ليصِل من رغب معرفة ذلك من طلبة الحديث ورواة الأخبار إلى حقيقته في يُسر، ويتحفَّظ عن قُرب.» السابق ص٨١–٨٢.

[٦٤] الحافظ صلاح الدين أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل، حقَّقه وقدَّم له وخرَّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٦٥] «فإن الله سبحانه فضَّل هذه الأمة بشرَف الإسناد، وخصَّها باتصاله دون من سلَف من العباد، وأقام لذلك في كل عصورٍ من الأئمة الأفراد والجهابذة النقَّاد من بذل جهدَه في ضبطه وأحسن الاجتهاد، وطلب الوصول إلى غوامض عِلَله فظفر بنيل المُراد.» السابق ص٢١. «تسمَعون ويُسمَع منكم ويُسمَع ممَّن يسمَع منكم.» «نضَّر الله امرءًا سمِع مقالتي فأدَّاها إلى مَن يُسمِعها فرُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع.»

[٦٦] «فباتصال الإسناد عُرِف الصحيح من السقيم، وصان الله هذه الشريعة عن قول كل أفَّاك أثيم؛ فلذلك كان الإرسال في الحديث عِلةً يُترك بها ويُتوقَّف عن الاحتجاج به بسببها لِما في إبهام المروي عنه من الغرَر والاحتجاج المبني على الخطر.» السابق ص٢٢.

[٦٧] «جامعًا بين طريقة أهل الحديث وأئمة الأصول، والفقهاء الذين في الرجوع إليهم أنفسُ حصول، ذاكرًا من المنقول ما أمكن الوصول إليه، ومن المباحث النظرية ما يُعوَّل عند التحقيق عليه ...» السابق ص٢٢.

[٦٨] السابق ص١٣٩–٣٢٣.

وتُعرَض الأدلة التفصيلية على قبول المُرسَل أو ردِّه.[٧٢] كما تظهر فوائده في المنع من التدليس؛ تدليس الشيوخ وتدليس السماع.[٧٣] كما يظهر الفرق بين المُرسَل الظاهر والمُرسَل الخفي.[٧٤] ويُضيف ذلك على آلاف من الأحاديث وعشرات الآيات ومئات الآثار ونادرٍ من الأشعار.[٧٥]

(٢) المُصنفات الكلية

(أ) «معرفة علوم الحديث» للنيسابوري (٤٠٥هـ)[٧٦]

وهو من أوائل مُصنفات علم مصطلح الحديث النظرية الكاملة قبل ابن الصلاح (٦٤٢هـ)، وابن النفيس (٦٨٧هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ). وواضح عدم استقرار اسم العِلم بين «علوم الحديث» (النيسابوري، ابن الصلاح، ابن كثير) و«عِلم أصول الحديث» (ابن النفيس). يجمع بين التنظير والأمثلة، بين الأنواع والمادة العلمية من الأحاديث. ويبدأ ببحث موضوع الخلاف حول التدوين بين الإباحة من أجل الاستنكار وإكمال ضعف الذاكرة في الرواية الشفاهية، والتحريم منعًا لاختلاطه بالقرآن. والدافع على التأليف هو كثرة البِدَع في الزمان، وقِلة المعرفة بالحديث، والإهمال في كتابة الأخبار. وبطبيعة الحال كثرة الوضع واختلاط الصحيح بالحَسَن والضعيف. وهو اختصار دون أطناب.[٧٧]

---

[٦٩] هذه الأبواب الستة هي: (١) تحقيق الحديث المُرسَل وبيان حدِّه، (٢) ذكر مذاهب العلماء فيه، (٣) الاحتجاج لكل قول وبيان الراجح، (٤) فروع وفوائد غزيرة تترتَّب على ما تقدَّم، (٥) بيان المَراسيل الخفي إرسالها أثناء السند، (٦) معجم الرواة المحكوم على روايتهم بالإرسال. السابق ص٢٢.

[٧٠] السابق ص٢٣–٣٢.

[٧١] السابق ص٣٣–٥٠.

[٧٢] السابق ص٥١–٨٥.

[٧٣] السابق ص٨٦–١٢٤.

[٧٤] السابق ص١٢٥–١٣٨.

[٧٥] الأحاديث (١٠٣٩)، الآيات (١٩)، الآثار (٣٤٥)، الأشعار (١).

[٧٦] الإمام الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري: معرفة علوم الحديث، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المُصنِّف، الأستاذ الدكتور السيد مُعظم حسين، أم-أي، دي، فل (آكس)، رئيس الشعبة العربية والإسلامية بجامعة دكة بنخالة، وطبع تحت إدارة جمعية إدارة المعارف العثمانية الكائنة في عاصمة حيدر آباد الدكن، صانها الله عن الشرور والفتن، مكتبة المُتنبي، القاهرة، (د.ت).

ويضم اثنين وخمسين نوعًا. تدور معظمها حول المحاور الثلاثة الرئيسية للخبر: السند والمتن والراوي. معظمها في السند والراوي، وأقلُّها في المتن. وتأتي أهمية الإسناد من الأحاديث المروية في شرحه، وهو نوع من الأمانة في النقل، وتتداخل مصطلحاته باستثناء فروقٍ دقيقة مثل المسلسل والمُعنعن والمُتصل في مقابل المنقطع والمقطوع والمرفوع ... ونظرًا لأهمية الرواة في عِلم الجرح والتعديل تكثُر أسماء الأعلام.

ويتداخل كثير من مادة علم الحديث مع علوم القرآن مثل «أسباب النزول»، و«الناسخ والمنسوخ». أما «التعليل» فلا يعني عِلل الأحكام كما هو الحال في مباحث العلل في علم أصول الفقه، بل يعني أسباب ضعف حديثٍ من العِلة بمعنى المرض.[٧٨] ويعتمد على علم القرآن في تنظير عِلم الحديث والاستشهاد بآياته.[٧٩] كما يعتمد على الشعر أسوةً بالقرآن.[٨٠] ويظهر الدافع السياسي في تدوين الحديث وذلك بظهور أحاديث ضدَّ بعض الفِرَق الإسلامية، وهي الأحزاب والقوى السياسية مثل: الخوارج والمعتزلة والشيعة؛ فرق المعارضة الرئيسية في الأمة. وهي حوادث وقعت بعد وفاة الرسول وانقطاع الوحي.[٨١] ويتمُّ التغلُّب على ذلك بقدرة الرسول على التنبُّؤ بما سيقع لأُمَّته بعد وفاته مثل استشهاد الحسين، وقتال الخوارج، ومُعارضة الشيعة.[٨٢]

(ب) «مُقدمة في علوم الحديث» لابن الصلاح (٦٤٢هـ)[٨٣]

وهو أشهر نصٍّ في علم الحديث. عرفت باسم «مُقدمة ابن الصلاح». والعجيب صورة ابن الصلاح في رفض العلوم العقلية مثل: الفلسفة أسُّ السَّفَه. وقدرته على تنظير العلوم

[٧٧] «فإني لَمَّا رأيتُ البِدَع في زماننا كثرت، ومعرفة الناس بأصول السُّنَن قلَّت، مع إمعانهم في كتابة الأخبار، وكثرة طلَبِها على الإهمال والإغفال وعلى ذلك إلى تصنيف كتابٍ خفيف يشتمل على ذكر أنواع عِلم الحديث مِمَّا يحتاج إليه طلبة الأخبار، المُواظبون على كتابة الآثار، واعتمد في ذلك سلوك الاختصار دون الإطناب في الإكثار.» السابق ص١-٢.

[٧٨] من النصِّ إلى الواقع ج٢، بنية النص ص٣٨٥–٤١٢.

[٧٩] النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص١١٢–١١٩.

[٨٠] السابق ص٤١، ٧٥، ٩٠، ١٠٢، ١٣٧، ١٥٩، ١٦٥، ١٩٧، ٢١٦.

[٨١] السابق ص٩١، ١٠٣، ١٧٠، ٢١٠، ٢١٣.

[٨٢] السابق ص٩٢، ٩٦.

النقلية مِثل علم الحديث. وقد اشتُهرت المقدمة لقدرتها الفائقة على التنظير والتقسيم والتمييز والتحديد مع تركيزٍ شديد على المصطلحات، ووضوحٍ تامٍّ في أساليب التعبير، وإعطاء أمثلة من الحديث على كل تعريف. ويبدأ كالعادة بفضل عِلم الحديث وكما هو الحال في علوم القرآن. وبطبيعة الحال علوم القرآن أفضل لارتباط الشرَف بالموضوع. والقرآن هو النصُّ الأول، والحديث النص الثاني. ويرجع شرَف موضوعه لارتباطه بعِلم الفقه.[٨٤]

والهدف من التأليف إيجاد منهجٍ دقيق للنقل بعد أن غلط الناقلون والفقهاء، وظهر الخلل في كلام العلماء. وبعد حملة الحديث الأوائل في الانقراض.[٨٥] ظهر علم الحديث لإنقاذ وضع الحديث في التاريخ مِثل القرآن لضبطه قراءةً وكتابة، شفاهًا وتدوينًا؛ لذلك أتى في هذا الطابع المنهجي النظري لحصر الأنواع، وكشف المُشكلات، ووضع القواعد، وبيان أحكام، وتفصيل أقسامه وتوضيح أصوله، وشرح فروعه، وجمع علومه.[٨٦] فعِلم الحديث تنظير لاحِق للحديث، كما أن علوم القرآن تنظير لاحِق لنزول القرآن؛ لذلك كانت الأمثلة من علم الحديث قليلة، أقرب إلى النظر منه إلى التطبيق. ويُعوَّض عن ذلك بالتنبيهات والتفريعات والفوائد، وهي بين النظر والتطبيق؛ لذلك أتى الكتاب صغيرًا كمًّا

---

[٨٣] الإمام المُحدِّث الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح: مُقدمة في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[٨٤] «وإنَّ عِلم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة، وأنفع العلوم النافعة، يُحبه ذكور الرجال وفحولهم، ويُعنى به مُحقِّقو العلماء وكَمَلتهم، ولا يكرهه من الناس إلَّا رذالتهم وسِفلتهم. وهو من أكثر العلوم تولُّجًا في فنونها، لا سيما الفقه الذي هو إنسان عيونها.» السابق ص٣.

[٨٥] «لذلك كثُر غلَط العاملين منه من مُصنِّفي الفقهاء، وظهر الخلل في كلام المُخلين به من العلماء. ولقد كان شأن الحديث فيما مضى عظيمًا، عظيمةً جموع طلبته، رقيقةً مقادير حُفَّاظه وحمَلَته. وكانت علومهم بحياتهم حيَّة، وأفنان فنونه ببقائهم غضَّة، ومفاهيمه بأهله آهِلة. فلم يزالوا في انقراضٍ ولم يزَلْ في اندراسٍ حتى أضاءت به الحال إلى أن صار أهله إنما هو شرذمة قليلة العدد، ضعيفة العُدَد. لا تُغني على الأغلب في تحمُّله بأكثر من سماعه غفلًا ولا تُعمي في تقييده بأكثر من كتابته عطلًا، مطرحين علومه التي بها جلَّ قدرُه، مُباعدين معارفه التي بها فخُم أمره.» السابق ص٣-٤.

[٨٦] «أن أجمع بكتابٍ معرفة أنواع علم الحديث، هذا الذي باح بأسراره الخفية، وكشف عن مشكلاته الأبية، وأحكم مَعاقِبه، وأقعد قواعده، وأنار مَعالِمه، وبيَّن أحكامه، وفصَّل أقسامه، وأوضح أصوله، وشرح فروعه وفصوله، وجمع شتات علومه وفوائده، وقنص شوارِد نُكَتِه وفرائده.» السابق ص٤.

بالنسبة لكُتُب مصطلح الحديث، يعتمد على السابقين، خاصَّةً المُصنفات الجزئية، مُحدثين وفقهاء.[٨٧] كما يعتمد اللاحقون عليه مثل ابن النفيس وابن كثير. وهي أشهر مُقدمة تناولها الشرح. كما يعتمد على القرآن والشعر.[٨٨]

وقلب العِلم الأنواع، وهي خمسة وستون هذه المرة، في حاجةٍ إلى إعادة تصنيف حول المحاور الثلاثة للعِلم؛ السَّنَد والمتن والراوي. ونظرًا لأهميتها فإنها وُضِعت في أول الكتاب.[٨٩] وهي أنواع أكثر تتعلَّق بأحوال الرواة؛ أي الجانب الذاتي في الرواية مثل الحوامل الذاتية في علوم القرآن.[٩٠] والتمييز بين الأنواع غير دقيق خاصة في مناهج النقل الكتابي. وتتداخَل الأنواع فيما بينها لأنها تفصيلات لا تؤثر في الأنواع الكلية للسَنَد.[٩١] والأسانيد خاصية الأمة. تعلَّم منها رينان في كتابة تاريخ المسيحية خاصَّة «حياة يسوع» بعد إخضاع الأناجيل لمناهج الحديث عند المسلمين.[٩٢] ونظرًا لخطورة الكذب والوضع فإن التدليس في السند وفي المتن أخذ مكانًا بارزًا.[٩٣]

(ج) «المختصر في علم أصول الحديث النبوي» لابن النفيس (٦٨٧هـ)[٩٤]

ولا يعني المُختصر هنا أن الكتاب اختصار لنصٍّ سابق، بل يعني التركيز واستبعاد الإطالة والإطناب. هدفه تذكرة للمُنتهي وذريعة للمبتدئ.[٩٥] ويتميز بالبنية المُحكمة؛ مُقدمة وخمسة أبواب. المقدمة تتعرض لموضوعين؛ أقسام العلوم وأقسام الخبر. والباب

---

[٨٧] السابق ص٤٧.

[٨٨] السابق القرآن ص٢٤، ١٤٧. الشعر ص١١٩، ١٢٧.

[٨٩] السابق ص٤–٧.

[٩٠] «وليس «النوع الخامس والستون» بآخِر المُمكن في ذلك؛ فإنه قابل للتنويع إلى ما لا يُحصى، إذ لا تُحصى أحوال رواة الحديث وصفاتهم ولا أحوال متون الحديث وصفاتها. وما من حالة منها ولا صفة إلا وهي بصدد أن تُفرد بالذكر وأهلها، فإذا هي نوع على حياله.» السابق ص٧.

[٩١] السابق ص٨٣.

[٩٢] السابق ص١٣٠، ٢٢٨.

[٩٣] السابق ص٣٤–٣٦.

[٩٤] علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي: المُختصر في علم أصول الحديث، دراسة وتحقيق د. يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١م.

[٩٥] السابق ص٩٣.

الأول في الخبر المقطوع بصِدقه، وهو المتواتر، وينقسم إلى فصلين. والثاني الخبر المظنون بصِدقه، وهو خبر الواحد وبه أربعة فصول. الثالث منها ألفاظ الرواية. والثالث في طرُق النقل الشفاهي وبه ثمانية فصول: المشافهة، وعرض القراءة، والمناولة، والإجازة، والوجادة، والمكاتبة، والإعلام، والوصية. والرابع عن أحوال الرواية أي الراوي عن الجرح والتعديل وبه ثلاثة فصول. والخامس عن توابع علم الحديث؛ كتابه وسَماعه وشروط الرواية. والقدح في الحديث وبه أربعة فصول، ومع ذلك التركيز حول السند والراوي دون المتن. والطبيب الشهير يؤلِّف في عِلم الحديث مما يدل على سَعة المعارف ووحدة العلوم الإسلامية. تقلُّ فيه الشواهد النقلية.[96] فالعناية بالتنظير أكثر من ضرب الأمثلة. ومِن الفِرَق تُذكَر السمنية والبراهمة والخطابية وموقفها من النقل كأحد مصادر المعرفة.[97] وهو أقرب إلى تحليل عِلم أصول الفقه منه إلى علم مصطلح الحديث.

(د) «الاقتراح في بيان الاصطلاح، وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح» لابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)[98]

وهو في عِلم مصطلح الحديث كما يدل العنوان مثل مُقدمة ابن الصلاح و«الباعث الحثيث» لابن كثير. الهدف منه تحرير مدخل لفَهم مصطلحات العِلم على سبيل الاختصار والإيجاز.[99] وهو واضح الأسلوب، حسن الترتيب، مُركَّز بلا إسهاب، يضم الأصول دون الفروع، ويكتفي بالموضوعات دون الخلافات حولها. الشواهد قليلة من القرآن والسنة.[100] كما يعتمد على الشعر.[101] تكثُر أسماء الأعلام عن تحليل الأفكار.[102] لذلك جاء أقربَ إلى

---

[96] الآيات (٢)، الأحاديث (٢).

[97] السابق ص١٠٥، ١٥٧.

[98] تقي الدين محمد بن علي الشهير بابن دقيق العيد: الاقتراح في بيان الاصطلاح، وما أُضيف إلى ذلك من الأحاديث من الصحاح، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م.

[99] «هذه نبذة من فنون مُهمة في علوم الحديث يُستعان بها على فَهم مصطلحات أهله ومراتبهم على سبيل الاختصار والإيجاز لتكون كالمدخل إلى التوسُّع في هذا الفن.» السابق ص٢١٣–٢١٤.

[100] الآيات (٢٦)، الأحاديث (٦٣٠)، الأشعار (٣٥).

[101] ابن دقيق العيد (٨٤)، الترمذي (٤٨)، أبو داود (٤٧)، ابن عباس الثاني (٤٣)، محمد (٤٠)، الأدفوي (٢٩)، أبو هريرة (٣٤)، ابن ماجه (٢٥)، البخاري (٢٤)، جابر بن عبد الله، عكرمة (١٩)، عائشة،

السند منه إلى المتن مع التركيز على «أوهى الأسانيد». ويُشير إلى أهل الأهواء الذين لا تصحُّ روايتهم.[١٠٣] البنية جيدة في القِسمة إلى تسعة أبواب وخاتمة. الأول في المصطلحات، والثاني في النقل الشفاهي، والثالث والرابع في النقل الكتابي، والخامس في السند، والسادس والسابع والثامن والتاسع، الرواية في شروط الرواية؛ طبقات الرواة.[١٠٤] أما الخاتمة فإنها أقرب إلى العنوان الثاني «أحاديث الصحاح»، المُتفَق والمُختَلَف فيها.[١٠٥] المُتفَق على إخراجها من البخاري ومسلم، وما انفرد به البخاري، وما انفرد به مسلم، وما اتفق عليه الصحيحان، وما خرَّج له البخاري دون مُسلم، وما خرَّج له مسلم دون البخاري، وما صحَّحه بعض الأئمة. وكل قسم أربعون حديثًا على التساوي.[١٠٦] وهي أحاديث قولية وفعلية، تكشف عن تداخُل القرآن والحديث، كما تظهر أهمية صياغات الأحاديث الأدبية مثل نِسبة القول إلى الله، وأهمية موضوعاته مثل الوحي الطبيعي وحُرية الأفعال، والمساواة بين الرجل والمرأة، والتنبُّؤ بآخر الزمان، نصرًا وهزيمة.[١٠٧] وتتَّضِح أهمية مصر في عِلم الحديث.[١٠٨]

(هـ) «علم الحديث» لابن تيمية (٧٢٨هـ)[١٠٩]

وهو كتاب يتحقَّق من صِدق الأحاديث ليس فقط عن طريق صحة السند بل أيضًا عن طريق صِدق المتن طبقًا لمدى تطابُقه مع القرآن أو الأدلة العقلية والشواهد اللفظية.[١١٠] فصحة السند لا تؤدي إلى صدق المتن بالضرورة.[١١١] هدفه رفع الاضطراب في علم

مسلم (١٨)، التجيبي (١٦)، الصفدي (١٥)، مالك (١٤)، ابن سيد الناس، علي بن ذهب (١٢)، البزار، تقي الدين السبكي (١٠)، ابن مسعود، العز ابن عبد السلام، قتادة (٩).

[١٠٢] السابق ٣٦٦، ٣٧٣–٣٧٤.

[١٠٣] السابق ص٤٤١.

[١٠٤] الأول: مدلولات الألفاظ (١٥)، الثاني: كيفية السماع والتحمُّل وضبط الرواية وآدابها (٣٠)، الثالث: آداب المُحدِّث وكتابة الحديث (٢٨)، الرابع: آداب كُتَّاب الحديث (١٩)، الخامس: معرفة العالي والنازل (١٠)، السادس: معرفة بقايا من الاصطلاح (١٦)، السابع: الثقات من الرواة (١٢)، الثامن: الضعفاء (٢٠)، التاسع: الأسماء المؤتلفة والمختلفة (٢٣).

[١٠٥] «ذكر أحاديث صحيحة مُنقسِمة على أقسام الصحيح، المُتَّفَق عليه والمُختلَف فيه» (٤٥).

[١٠٦] السابق ص٤٥٥–٧١٩.

الحديث.[١١٢] يجمع بين النظرية والتطبيق؛ بين القاعدة والأمثلة. ومع ذلك هو أقرب إلى النظر. ويتَّضح الموقف السلفي بإرجاع الحديث إلى القرآن أكثر من أمثلة الحديث. ولا تظهر الشواهد الشعرية؛ فالشعر ليس مقياسًا للصدق. ويمكن القول إنه أحيانًا يغلب التوجُّه الأيديولوجي على التحليل العلمي؛ لذلك يبرُز سؤال: من تصدق؛ علماء الحديث أم أهل السلَف منهم؟ لذلك يبدو الكتاب كلُّه في دحض الأحاديث الموضوعة من الفِرَق الضالة، الصوفية مثل ابن عربي وابن سبعين، والباطنية الشيعة، والمُتفلسِفة مثل إخوان الصفا، وجمهور الفلاسفة مثل ابن سينا، والمشَّائين أتباع أرسطو، والفرق الكلامية مثل الدهرية والجهمية والقدرية والإسرائيليات. والدوافع السياسية في التفضيل بين الصحابة.[١١٣] وهناك كتب بأكملها في الأحاديث الموضوعة.[١١٤] ولم تُذكَر الأحاديث القدسية حتى هذا العصر المُتأخِّر؛ القرن الثامن، لا كشكلٍ أدبي، ولا كمضمونٍ صحيح أو موضوع.

وعِلم الحديث عند ابن تيمية أدخَلُ إلى نقد المتن منه إلى نقد السند، ومِن مضمون الحديث إلى شكله؛ إذ يُحلل مضمون اثني عشر حديثًا من حيث هي متون وليس من حيث هي أسانيد، وتستغرِق ثُلثي الكتاب.[١١٥] منها أحاديث للتقييم، وموقف العلماء من القصاصين أو مجموعة من الأحاديث القِصار أشبه بالأمثال.

---

[١٠٧] نسبة القول إلى الله، السابق ص٥٢٠–٥٢١، ٥٢٧، الوحي الطبيعي ص٥١٢، حرية الأفعال ص٦٤٣، الرجل والمرأة ص٦٩٨، فتح مكة ص٥٧٥.

[١٠٨] قوص (٢١)، القاهرة، مصر (١٩)، الشام (١٠)، بغداد، مكة (٨)، الحجاز، دمشق (٥)، الصعيد (٤).

[١٠٩] شيخ الإسلام ابن تيمية: علم الحديث، تحقيق وتعليق مُوسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

[١١٠] الشواهد اللفظية السابق ص٢٨٩، ٥٣٣. الأدلة العقلية ص٢٧٢.

[١١١] «إذا صحَّ الحديث هل يكون صدقًا؟» السابق ص٧١.

[١١٢] «فليتدبَّر اللبيب هذه التفاصيل التي يتبيَّن بها فصل الخطاب في هذه المواضع التي عظُم فيها الاضطراب.» السابق ص١٠٧.

[١١٣] الفرق الضالة، السابق ٢٩٥؛ الرد على علماء الكلام ص١٢٠–١٤٥؛ القدرية ص٢٠٣؛ الخوارج والمُعتزلة ص٣٤٦، ٤٠٣؛ الدهرية والجهمية ص٢٩٥؛ إخوان الصفا ص٤٦٤؛ جمهور الفلاسفة ص٤٦٦؛ ابن سينا وأرسطو ص٢٩٧، ٤٦٥؛ الصوفية وباطنية الشيعة ص١٥٩–١٦٣، ١٧٩–١٨٦، ٤٦٥، ٤٧٩؛ الإسرائيليات ص١٥٢، ١٦٧، ٢٥٥، ٥٢٤؛ الدوافع السياسية ص٤٩٥.

[١١٤] مثل «تنقُّلات الأنوار» للبكري، السابق ص٤٩١–٤٩٣.

(و) «رسوم التحديث في علوم الحديث» للجعبري (٧٣٢هـ)[١١٦]

معنى التحديث هنا عملية الحديث وانتقال الرواية وليس التحديث بالمعنى الغربي المعاصر. وتعني رسوم طرُق وأدوات وأساليب ومناهج. وفرَضَ العنوان ضرورات السجع. ويعتمد اعتمادًا كبيرًا على «مُقدمة ابن الصلاح» في علوم الحديث؛ إذ يقوم مثله خمسًا وستين نوعًا. ويُكثر من الإحالة إليه.[١١٧] يبدأ بتعريف ثلاثة مصطلحات: الخبر، والحديث النبوي، والواحد.[١١٨] ثم يعرض الأنواع بطريقة التعريفات القصيرة المُركزة، أشبه بالقاموس دون عبارات شارحة أو إنشائية. يتميز بالاختصار الشديدة والنحت الصخري والصياغة الحديدية لعِلم الحديث. وهو تحليل نظري صرف دون أمثلةٍ تطبيقية من القرآن أو المأثورات؛ فقط من الحديث والشعر.[١١٩] وكل لفظٍ يبدأ بتعريف؛ لغةً واصطلاحًا، دون عُرفًا؛ طبقًا للتعريفات الثلاثة للَّفظ عند الأصوليين. وهو تحليل موضوعي مُحايد لا يأخذ صفَّ اتجاهٍ أو ضدَّ اتجاهٍ آخر.

(ز) «الكافي في علوم الحديث» للتبريزي (٧٤٦هـ)[١٢٠]

هو اختصار لمُقدمة ابن الصلاح الشهيرة في علوم الحديث مع الاستفادة من مُختصَرَين آخرَين، وإضافة الناقص، وتوضيح المضطرب.[١٢١] ومع ذلك أتَتْ موسوعة ضخمة مع فهارس وافيةٍ مِن المُحقق تجمع بين الاصطلاح والتاريخ، بين النظر والتطبيق، وأقرب إلى النظر منها إلى الأمثلة، مثل مقدمة ابن الصلاح ذاتها. وتعليقات المُحقق طويلة ومُسهبة

---

[١١٥] وهي: «إني حرَّمتُ الكلام على نفسي.» ابن تيمية ص١٨٧–٢٨٠؛ حديث عمران بن معين ص٢٨١–٣١٤؛ «إنما الأعمال بالنيات.» ص٣١٥–٣٦٤؛ الأفكار الثلاثة ص٦٥–٣٧١؛ «بدأ الإسلام غريبًا.» ص٣٧٣–٣٩٩؛ «مَثَل أمتي كمثل الغيث.» ص٤٠١-٤٠٢؛ «سبعة لا تموت ولا تغني.» ص٤٠٣؛ «أُعطيتُ جوامع الكلم.» ص٤٠٥–٤٠٨؛ «تفريج الكرب» ص٤٠٩–٤١٢؛ «عيش المرء مع من أحب.» ص٣١٤–٤٤٣؛ «اللهم أحيني مسكينًا.» ص٤٤٥–٤٤٧؛ «العفة والفتن» ص٤٤٩–٤٥٠؛ «أكبر الكبائر» ص٤٥١–٤٥٤؛ «المُهلكات والمنجيات» ص٤٥٥–٤٦١؛ «القول في خلق الله العقل» ص٤٦٣–٤٦٨؛ «الطواف بالبيت والوقوف بعرفات» ص٤٦٩–٤٧٦؛ خبر «من علمك آية ...» ص٤٧٧–٤٧٨؛ خبر «من انتهر صاحب بدعة ...» ص٤٧٩؛ «لو» تفتح باب الشيطان ص٤٨١–٤٨٤؛ قصة إبليس وإخباره النبي ص٤٨٥–٤٨٩؛ تنقلات الأنوار للبكري ص٤٩١–٤٩٣؛ موقف العلماء من القصاصين ص٣٩٥–٥١٧؛ من توجهات النبوَّة ص٥١٩–٥٢١؛ ذكر بعض أحاديث يرويها القصاص وغيرهم بالطرق وغيرها عن النبي ص٥٢٣–٥٣٤.

تتجاوز حجم النص نفسه. ويتضمَّن الكتاب نقاشًا وأسئلةً وأجوبة كطريقةٍ في الاختصار غير المباشر.[١٢٢] كما يأخذ موقفًا سلفيًّا ضد الصوفية، خاصة ابن عربي في مِقياس صدق الحديث لديهم، وهو اتفاقه مع التجربة الذوقية والأحوال والمقامات الصوفية، وإن كان بعضها مُتفقًا مع الأخلاق الإسلامية.[١٢٣] وتُضاف خاتمة في الرسول تُنبئ عن بداية تحوُّل عِلم الحديث إلى علم السيرة، والتحوُّل من المبدأ إلى الشخص، ومن الرسالة إلى الرسول، ومن النبوة إلى النبي.[١٢٤] والجديد في الكتاب هو قِسمته الرباعية للحديث إلى المتن، والسند، والمتن والسند، والحفَّاظ؛ فلأول مرةٍ يظهر المتن في علم الحديث كموضوعٍ مُستقل عن السند، مع مُقدِّمتَين: الأولى في مناقب الحديث وأصحابه، والثانية في ألفاظ الاصطلاح.[١٢٥] أكبرها في طبقات الحفاظ، ثم «في السند والمتن» ثم «في متن الحديث». وأصغرها «في السند».[١٢٦]

---

[١١٦] الإمام العلامة المُتقن شيخ القرَّاء برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الشهير بالجعبري: رسوم التحديث في علوم الحديث، تحقيق ودراسة إبراهيم بن شريف المكي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[١١٧] السابق ص٥١.

[١١٨] السابق ص٥٣.

[١١٩] الأحاديث القولية (٢٨)، والفعلية (١٠)، الشعر (٧).

[١٢٠] أبو الحسن علي بن أبي محمد عبد الله الحسن الأردبيلي التبريزي: الكافي في علوم الحديث، قرأه وشرحه وخرَّج أحاديثه ووثَّق نصوصه أبو عبيد مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[١٢١] «ولما كان كتاب «علوم الحديث» للشيخ العلامة الحافظ المُتقن إمام المُتأخرين تَقي الدين أبي عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري، كتابًا لا نظير له فيها، ولا غِنى لأحدٍ في هذا الفن عنه، واختصره جماعة من الحُفَّاظ الذين بعدَه اختصارًا رأى كلُّ واحدٍ أنه أضبط وأسهل طريقًا إلى المقصود وأحوطها، وللناس فيما يعشقون مذاهب، رأيتُ أن أختصره على ما رُئي لي أنه أيسر وأجمل وأضبط لفوائد هذا الفن وأسهل، بحذف ما يُرى المُكرَّر في إطنابه وإضافة ما لا بدَّ للطالب منه في كل بابه، مع زيادة ممَّا ذكَرَه قاضي القضاة العلامة الحافظ تقي الدين ابن دقيق العيد والشيخ الإمام الجليل الحافظ مُحيي الدين النوَوي، تغمَّدهما الله بغفرانه، في مُختصرَيهما؛ فاختصرتُ حسب ما أردتُ مُحافظًا على مسائل جميع الأنواع وأضرابه، مُحترزًا عمَّا يخيل بغرض في مزاحه وسمَّيتُه «كافيًا» لكفايةِ مَن أقبل عليه بقراءته في روايته. وبيَّنتُه على مُقدِّمتَين وأربعة أبواب وخاتمة.» السابق ص١٠٦–١٠٧.

[١٢٢] السابق ص٣٣١.

[١٢٣] نقد ابن عربي السابق ص٢٤٩. استعمال أقوال الصوفية الأخلاقيين، السابق ص٦٥٥، ٦٥٧، ٨١٨.

[١٢٤] السابق ص٨٧٧–٩١٦.

(ح) «شرح اختصار علوم الحديث» لابن كثير (٧٧٤هـ)[١٢٧]

وهو من المؤلفات التي تمَّ فيها تنظير مصطلح الحديث. يُعادل «البرهان» للزركشي (٧٩٤هـ) ثُم «الإتقان» للسيوطي (٩١١هـ)، وهو اختصار لُمقدمة ابن الصلاح «علوم الحديث» (٦٤٣هـ). يبدأ بمُقدمة عن المصادر التي اعتمد عليها في التلخيص، خاصة المُدخَل إلى كتاب السُّنن للبيهقي.[١٢٨] ثم يُقسِّم أنواع الحديث إلى خمسةٍ وستين نوعًا ليست كلها أنواع؛ البعض منها موضوعات مثل: تعارُض الأحاديث، والصحابة والتابعون، والمُخضرمون، والأكابر والصغائر، والإخوة والأخوات، والآباء والأبناء، والأسماء والكنى، ووَفَيات الرواة وأعمارهم، والطبقات، والموالي من الرواة والعماء وأوطانهم. ومع ذلك يمكن إعادة تصنيف هذه الأنواع الخمسة والستين إلى ثلاثة محاور؛ الأول السند، والثاني المتن، والثالث الراوي. ويعتمد على أقل قدرٍ مُمكن من الشواهد النقلية.[١٢٩] ويَذكُر أكبر قدرٍ مُمكن من أسماء الأعلام، صحابةً وتابعين ومُحدِّثين. ومن الفِرَق تُذكَر الرافضة والخطابية وموقفهما من المعرفة النقلية.[١٣٠] ويعتمد علم الحديث في صياغاته النظرية المُتأخِّرة مثل «الباعث الحثيث» لابن كثير (٧٧٤هـ) على مادة القدماء. فهناك تواصُل في تطور العِلم منذ البداية حتى النهاية.[١٣١] وكثيرٌ من كتُب المُتأخرين تلخيص لكتُب المتقدمين بأسلوب «قال ... قلت».[١٣٢]

---

[١٢٥] المقدمة الأولى ص١٠٧–١١٣، المقدمة الثانية ص١١٤–١٢٥؛ الباب الأول: في متن الحدث ص١٢٧–٣١٣؛ الباب الثاني: في السند ص٣١٧–٤٦٢؛ الباب الثالث: في السند والمتن ص٤٦٥–٦٨١؛ الباب الرابع: في أسماء الرجال وطبقات الحُفَّاظ ص٦٨٥–٨٧٥؛ خاتمة: في أحوال سيد المرسلين ص٨٧٧–٩١٦.

[١٢٦] طبقات الحُفَّاظ (٢٣٦)، السند والمتن (٢٢٠)، المتن (١٨٨)، السند (١٤٦).

[١٢٧] الحافظ بن كثير: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، محمد علي صبيح، ط٣، (د.ت)، (الباعث الحثيث إضافة من إضافة الناشر أحمد محمد شاكر بناء على إضافة الشيخ محمد عبد الرازق حمزة)، ص٣.

[١٢٨] «سلكتُ وراءه (ابن الصلاح) واحتذيتُ حذاءه واختصرتُ ما بسَطَه ونظمتُ ما فرطه ... مع ما أُضيف إليه من الفوائد المُلتقَطة من كتاب الحافظ الكبير أبي بكر البيهقي المُسمَّى «المدخل إلى كتاب السنن». وقد اختصرتُه أيضًا بنحو هذا النمَط من غير وكسٍ ولا شطط.» السابق ١٧.

[١٢٩] الآيات (١)، الأحاديث (٢٣).

[١٣٠] الباعث الحثيث ص٩٩.

وفي كل علمٍ نَقلي نصٌّ عمدة؛ في علوم القرآن «البرهان» للزركشي (٧٩٤هـ) و«الإتقان» للسيوطي (٩١١هـ)؛ وفي علوم الحديث «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» لابن كثير (٧٧٤هـ). فالمادة تتكرَّر، ولا يمكن إحصاء كل المُصنفات في علم الحديث المطبوع والمخطوط والمفقود؛ فالكيف المحصور يُغني عن الكمِّ غير المحصور. ونظرًا لأن نصَّ النيسابوري وابن الصلاح وابن النفيس على نفس المستوى من التنظير، فإنه يمكن اعتبارها نصوصًا عُمدة، خاصة أنها تتشابَهُ في تعريفاتها.

وبالرغم من تركيز عِلم الحديث على نقد السند أكثر من نقد المتن، فإن تصنيف الخمسة والستين نوعًا من السند في «الباعث الحثيث» لا يتعلق السند إلا بثلاثة وعشرين نوعًا. أما الضبط عن طريق الراوي فيُمثِّل ثلاثةً وثلاثين نوعًا، أي أكثر من السند. ثم يأتي المتن في سبعة أنواع. أما الأنواع التي يشترك فيها المتن مع السند فهي ستة أنواع.[١٣٣] وبالتالي يكون الضبط الذاتي عن طريق وعي الراوي، كما هو في خبر الآحاد عند الأصوليين؛ هو الغالب بالرغم من كل هذا الجهد في التحليل الموضوعي لأنواع السند؛ فالسند مُرتبط بشعور الراوي؛ ضبطه وعدالته، سمعه وحِفظه وأدائه. كما أنه لا يُمكن فصله عن المتن، مثله مثل استحالة فصل الذَّيل عن الرأس، والمنبع عن المصب. ويُمكن تجميعها في عددٍ أقل؛ ثلاثة محاور على الأقل؛ ما يتعلق بالسند، وما يتعلق بالمتن، وما يتعلق بالراوي. وهو ما حاوله عِلم أصول الفقه عندما فرَّق في السند بين المتواتر والآحاد، وفي المتن بين النقل بالمعنى والوضع المعنى، وجعل يقين الآحاد في عدالة الراوي وضبطه.[١٣٤] وهو ما حاوله ابن النفيس من قَبل في «المختصر في علم أصول الحديث النبوي» بالرغم من تركيزه على السند وشعور الراوي دون المتن.[١٣٥]

---

[١٣١] الحافظ ابن كثير: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث.

[١٣٢] الباعث الحثيث، ص١٩–٢٢.

[١٣٣] وبالتالي تكون النِّسَب كالآتي: ٥٢٪ للراوي، ٣٣٪ للسند، ٩٪ للمتن، ٦٪ للأنواع المُشتركة بين السند والمتن.

[١٣٤] «وفي هذا كُلِّه بل في بسطه هذه الأنواع إلى هذا العدد فيه نظر؛ إذ يمكن إدماج بعضها في بعض، وكان أليقَ مِمَّا ذكره. ثُم إنه فرَّق بين مُتماثلاتٍ منها بعضها عن بعض، وكان اللائق ذِكر كل نوع إلى جانب ما يُناسِبه. ونحن نُرتِّب ما ذكره على ما هو الأنسب، وربما أدمجنا بعضها في بعض طلبًا للاختصار والمناسبة.» الباعث الحثيث ص٢١؛ وأيضًا من النصِّ إلى الواقع، ج٢، بنية النص، ص١٥٠–١٦٧.

[١٣٥] البابان الأول والثاني في السند، والثالث في النقل الكتابي، والرابع والخامس في شروط الراوي وشروط الرواية.

(ط) «فن أصول مصطلح الحديث» للشريف الجرجاني (٨١٦هـ)[١٣٦]

والجديد هو إضافة لفظ «فن» للتأكيد على الجانب المنطقي في الموضوع، واستعمال لفظ «أصول» بدلًا من لفظ عِلم لِبيان الجانب المنهجي في العلم. ويبدو علم مصطلح الحديث على صِلة بأسماء الله وصفات الرسول؛ أي بعلم أصول الدين المُتأخِّر الدائر على ذات الله وذات الرسول سعيًا وراء وحدة العلوم.[١٣٧] كما تظهر الصِّلة بين علم مصطلح الحديث وعلم أصول الفقه في موضوع الخبر.[١٣٨] ويُقسَّم علم مصطلح الحديث في أربعة أقسام: الأول أقسام الحديث الثلاثة: الصحيح والحسَن والضعيف.[١٣٩] والثاني الجرح والتعديل، ويتعلق بالعدالة والضبط.[١٤٠] والثالث تحمُّل الحديث وهي موضوعات الإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام والوجادة.[١٤١] والرابع أسماء الرجال وهي تتعلق بالرواة من الصحابة والتابعين والمشاهير من الرواة.[١٤٢] وهناك اعتراف صريح بأن علم مصطلح الحديث كله يتعلق بالسند أكثر ممَّا يتعلق بالمتن.[١٤٣] ويعتمد على كثيرٍ من نصوص السابقين.

(ي) «تنقيح الأنظار في معرفة علوم الآثار» لمحمد بن إبراهيم الوزير (٨٤٠هـ)[١٤٤]

والمؤلف هو الوزير اليمني الصنعاني، زيدي.[١٤٥] ومن عنوان الكتاب وصاحبه يبدو تغليب العقل على النقل؛ فالعنوان «تنقيح الأنظار» أي «نقد العقل». والنقل علوم الآثار وليس

---

[١٣٦] العلَّامة علي بن محمد بن علي الجرجاني المشهور بالسيد الشريف: فن أصول مصطلح الحديث، تحقيق ودراسة أحمد مصطفى وقاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

[١٣٧] السابق ص٢٢، ٢٥.

[١٣٨] السابق ص٢٧.

[١٣٩] السابق ١٥٤–١٤٨.

[١٤٠] السابق ص١٤٩–١٥٩.

[١٤١] السابق ص١٦٠–١٧٤.

[١٤٢] السابق ص١٧٥–١٨٦.

[١٤٣] «اعلم أن متن الحديث نفسه لا يدخل في الاعتبار إلا نادرًا، بل يكتسب صفةً من القوة والضعف وبين بين بحسب أوصاف الرواة من العدالة والضبط والحفظ …» السابق ص٥٢.

[١٤٤] الإمام المجتهد النظار محمد بن إبراهيم الوزير: تنقيح الأنظار في معرفة علوم الآثار، حقَّقه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه محمد صبحي بن حسان حلاق، وعامر حسين، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[١٤٥] هو صاحب «العواصم والقواصم»، «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان»، اسابق ص١١-١٢.

علم الحديث وحدَه بل يمكن مدُّه إلى كل العلوم التاريخية. والمؤلف مُجتهد نظَّار أي يعتمد على العقل. وهو أقرب إلى التنظير الخالص أسوةً بمؤلفات علم الحديث المُتأخرة لابن الصلاح وابن النفيس وابن كثير. الأمثلة قليلة. ويضاف «تنبيه» للتركيز على الجانب النظري.[١٤٦] ويبدو أن «الأخبار» في علم أصول الفقه بمناسبة المصدر الثاني للتشريع «السنة»، هي تنظير التنظير.[١٤٧] وهو ما تشير إليه المقدمة.[١٤٨] ويقوم على القِسمة الثلاثية للحديث إلى صحيح وحسَن وضعيف (سقيم). وهي قِسمة تتعلق بالسند؛ فصحة المتن مشروطة بصحة السند. وكل صحيح له شرط بالرغم من الشروط العامة لكل الصحاح.[١٤٩] وتتشابه الأسانيد سواءً كان القطع في الوسط أو في الأول أو في الآخر. وشروط السند لا تُغني عن شروط المتن أو الراوي. ويعتمد على القرآن دون الشعر.[١٥٠]

ويبدأ ببيان شرَف العلم وأهله، ودلالة العقل والنقل على ذلك.[١٥١]

(ك) «الموقظة في عِلم مصطلح الحديث» للذهبي (٧٤٨هـ)[١٥٢]

والعنوان غريب «الموقظة» مع أن الكتاب من القرن الثامن بعد تأسيس علم مصطلح الحديث. ولماذا بالمؤنث وليس بالمذكر؟[١٥٣] والنصُّ أصغر من الشروح والتعليقات للمُحقِّقَين

---

[١٤٦] السابق ص٤٤.

[١٤٧] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٤٢–١٤٨.

[١٤٨] «فهذا مُختصر يشتمل على مهمَّات علوم الحديث، واصطلاحات أهلِه، ولا غِنى لطلاب العِلم عن معرفته أو معرفة مثله.» السابق ص٢٥.

[١٤٩] تنقيح الأنظار ص٦٧–٩٠.

[١٥٠] السابق ص٥٩.

[١٥١] «الحمد لله الذي رفع أعلام علوم الحديث، وفضَّل العِلم النبوي بالإجماع على شرَفه في قديم الزمان والحديث. اشترك في الحاجةِ إليه والحثِّ عليه القرابة والصحابة، والسلف والخلف؛ فهو عِلم قديم الفضل، شريف الأصل، دلَّ على شرَفه العقل والنقل.» السابق ص٢٥.

[١٥٢] الإمام الحافظ المُحدِّث المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: الموقظة في عِلم مصطلح الحديث، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ويليه خمس تَتِمَّات في أبحاثٍ حديثية مُهمة، اعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدة، ط٦، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[١٥٣] ومن اعتنى به مُعتد بنفسه ويضع على الغلاف: «وُلد بحلب سنة ١٣٣٦هـ، وتوفِّي بالرياض سنة ١٤١٧هـ، ودُفن بالبقيع الشريف، رحمه الله وغفر له.» على غير العادة. كما يضع خمسة أبحاث له في عِلم الحديث والإعلان عن ذلك على الغلاف الأول والثاني. واعتنى بإخراجه وطباعته ابنه سلمان.

الأب والابن.[١٥٤] وتكثر الفهارس في آخر الكتاب: الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار عن الصحابة وأسماء الأعلام، والكتب ومُتونها، والمصادر والمراجع، والأبحاث والتتمَّات.[١٥٥] والمؤلِّف له عشرات الألقاب مما يُوحي بالغرور.[١٥٦] وهو نصٌّ مُركز جديد يضيف نوعًا جديدًا هو «المطروح» الأقل من الضعيف.[١٥٧] وينقد موقف الصوفية من عِلم الحديث وعدَم اهتمامهم بالسند ما دام المتن يتَّفق مع تجربتهم الذوقية، بل يضعون متونًا بصرف النظر عن أسانيدها، لأن مصدرها الله مباشرة وليس الرسول «عن قلبي عن ربي أنه قال.»[١٥٨] وينعي الزمان والعصر الذي لم يعُد قادرًا على نقد المُحدِّث.[١٥٩]

(ل) «نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)[١٦٠]

والنُّكَت من وضع المُحقق والشارح للحديث. أما النص فهو «نُخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر» للعسقلاني، وهو تلخيص مُقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث بناء على سؤال وطلب.[١٦١] ثم قام المؤلف نفسه بتوضيح تلخيصه في «نزهة النظر» وشرَحَه مما يدل على تمكُّنه من المعنى ضمًّا ومدًّا، انكماشًا وتمددًا. والنص مُركز للغاية مثل نصِّ الجعبري

---

[١٥٤] النص ٧١ص والشروح حوالي الضعف ١٥٠ص. وآخر صفحة إعلان عمَّا سيصدُر من الأب والابن من مطبوعاتٍ أربعٍ قريبة وأماكن توزيع مؤلفاتهما خاصة في المملكة العربية السعودية وغيرها من المكتبات.

[١٥٥] القرآن (١)، الحديث (٣).

[١٥٦] «الشيخ العالِم العلامة، الرُّحلة المُحقق، بحر الفوائد، ومعدن الفرائد، عمدة الحفَّاظ والمُحدِّثين، وعمدة الأئمة المُحقِّقين، وآخر المُجتهدين، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، رحمه الله ونفعَنا بعلومه وجميع المسلمين.» الموقظة ص٢٣.

[١٥٧] السابق ص٣٤-٣٥.

[١٥٨] السابق ص٨٨-٨٩.

[١٥٩] «وهذا في زماننا يعسُر نقدُه على المُحدِّث، فإن أولئك الأئمة كالبخاري وأبي حاتم وأبي داود عاينوا الأصول، وعرفوا عِلَلها، وأما نحن فطالت علينا الأسانيد، وقعدت العبارات المُتيقِّنة.» السابق ص٤٦.

[١٦٠] الحافظ ابن حجر العسقلاني: النُّكَت على نُزهة النظر في توضيح نخبة الفِكَر، بقلَم حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط١٠، رمضان ١٤٢٧هـ.

[١٦١] نقد المصادر Critique de Provenance. نقد المتون Critique de Restititution. طبقًا لكتاب لأنجلو سيجنوبوس الشهير «مقدمة للدراسات التاريخية» الذي ترجمه عبد الرحمن بدوي، ترجمة حرة، أقرب إلى العرَض منه إلى الترجمة.

«رسوم التحديث». يتعامل مع المصطلحات، وتغيب الأمثلة من القرآن والحديث والشعر، ويتَّضح أن عِلم الحديث حالة خاصة من عِلمٍ أعمَّ هو عِلم الأثر من الآثار؛ أي التاريخ، وبالتالي يُمكن تعميم عِلم مصطلحات الحديث على عِلم الآثار ككل، وتحويله إلى منهج للنقد التاريخي للمصادر، السند والمتن على حدٍّ سواء.[١٦٢]

(م) «قفو الأثر في صفو علوم الأثر» لابن الحنبلي (٩٧١هـ)[١٦٣]

وقد استمرَّ التأليف في علم مصطلح الحديث إلى وقتٍ متأخر بالرغم من استقراره وبلوغه الذروة في «مُقدمة ابن الصلاح». والمؤلف على وعيٍ بتاريخ العلم؛ يرصد مراحله في المُقدمة نصوصًا وشروحًا قبل أن يضع بِنيته.[١٦٤] وهي بنية تفصيلية للغاية دون بنية أعمَّ مثل التواتر والآحاد، الصحيح والحسَن والضعيف، المشهور والمُستفيض والعزيز والغريب، الشاذُّ والمنكر والمحفوظ والمعروف، المُحكم والمنسوخ، المرفوع والموقوف والمقطوع، والسابق واللاحق والمُهمل، المُتفق والمُفترق، والمؤتلف والمختلف، والمتشابه والمحكم والمنسوخ … إلخ.[١٦٥] فمن خلال البنية الشاملة يظهر نقد السند ونقد المتن وأبعاد الزمان والمكان والبيئة الاجتماعية واللغة. ويعتمد على بعض الشواهد الشعرية.[١٦٦]

(ن) «بُلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب» لمُرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)[١٦٧]

ويبدو من العنوان سيطرة علوم التصوُّف ومصطلحاته على عِلم مصطلح الحديث. فالرسول هو الحبيب، ومصطلح الحديث هي لغة الأريب، أقرب إلى اللغة الإشارية منها إلى اللغة الاصطلاحية. تخلو الرسالة من الجدة، ويضعف فيها الجانب النظري. وهي تفصيلية للغاية. تغيب عنها البنية الشاملة للعِلم. وهي تدوين ذاتي أقرب إلى المُذكرة

[١٦٢] «فإنَّ التصانيف في اصطلاح أهل الحديث قد كثُرت وبُسِطت واختُصِرت، فسألني بعض الإخوان أن أُلخِّص لهم المُهم من ذلك فأجبته إلى سؤاله رجاء الاندراج في تلك المسائل.» النكت ص٤٥–٥١.

[١٦٣] الإمام العلَّامة رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي الشهير بابن الحنبلي: قفو الأثر في صفو علوم الأثر، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

الشخصية.[١٦٨] وهي مذكرة دراسية للطلاب.[١٦٩] تبدأ الرسالة بتعريف الخبر وقسمته إلى مُتواتر وآحاد، كما هو الحال في عِلم أصول الفقه، ثم ينقسِم علم الحديث إلى صحيحٍ وحسَن وضعيف، ثم تظهر المصطلحات القريبة للسند مثل المشهور والمُستفيض، والمقبول والمردود، والشاذ والراجح والمنكر، والمحكم والمتشابه. وهي مصطلحات من علم أصول الفقه. وتتعلق معظم المصطلحات بالسند، مثل المُعلق والمرسل والمُغني، والمُتصل والمنقطع أو المدلس والمتروك، ومُدرج السند ومُدرج المتن، والمزيد والمضطرب، والمُصحَّف والمحرَّف، والمُبهم والمجهول والمُختلط، والمقطوع والموقوف، والمؤتلف والمختلف. وتظهر في خفاء أبعاد الرواية؛ الزمان والمكان واللغة والفَهم والتفسير، والاعتماد على باقي العلوم النقلية. وتخلو الرسالة من الآيات والأبيات.

(س) «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» للقاسمي (١٣٣٢هـ)[١٧٠]

وواضح استمرار التأليف في علم مصطلح الحديث حتى الحركة الإصلاحية. ولفظ «التحديث» نفسه به رنَّة إصلاحية، مع أنه لا يعني أكثر من الرواية؛ فقد شمل الإصلاح

---

١٦٤ وأهمُّها: (١) المُحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، (٢) الكفاية في قوانين الرواية، (٣) الجامع لآداب الشيخ والسامع للبغدادي أيضًا، (٤) الاطلاع إلى أصول الرواية والسماع للقاضي عياض، (٥) ما لا يسع المُحدث جهله للميانجي، (٦) مقدمة ابن الصلاح، (٧) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني. السابق ص٣٥–٤٦.

١٦٥ ثلاثة وأربعون فصلًا.

١٦٦ الأشعار (٢).

١٦٧ الإمام الحافظ المُحدِّث اللغوي محمد مُرتضى الحسيني الزبيدي: بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٦٨ «فهذه نبذة منيفة، ومنحة شريفة، ضمَّنتُها بيان ما اصطلح عليه أهل الحديث في القديم والحديث، جعلتها تذكرة لنفسي، ولمن شاء الله من الإخوان بعدي.» السابق ص١٨٧.

١٦٩ «وقد سهلتُ فيها الطريق على كل طالب، ويسَّرتُ في تنسيقها حتى انتهى إليها مناط كل راغب.» السابق ص١٨٧.

١٧٠ الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

أيضًا، على الأقل على مستوى النوايا، العلوم النقلية، التفسير والحديث عند القاسمي، وهو كتاب شامل يعتمد على السابقين واقتباسات منهم، وأحيانًا بين معقوفتين «أ هـ» وتعني «انتهى». كما يعتمد على القرآن والحديث والأشعار.[١٧١] ويتكوَّن من مُقدمة وعشرة أبواب وخاتمة وتتِمَّة في مقصدين. وتضمُّ الأبواب الثلاثة الأُوَل أهمية العلم ومعناه وبيانه. ثم يأتي الباب الرابع في معرفة أنواع الحديث، وهو أكبر الأبواب، وليس علم مصطلح الحديث. ثم الباب الخامس في الجرح والتعديل، والسادس في الإسناد، والسابع في أحوال الرواية، والثامن في آداب المُحدِّث وطالب الحديث، والتاسع في كتب الحديث، والعاشر في فقه الحديث وهو أكبر الأبواب.[١٧٢]

(ع) «قواعد في علوم الحديث» للتهانوي (١٣٩٤هـ)[١٧٣]

ويتحوَّل عِلم الحديث في العصور المتأخِّرة إلى علمٍ حجاجي دفاعًا عن السنة ضدَّ المُتشدِّدين ضدَّها لإماتتها، خاصةً ما نُسِب إلى أبي حنيفة بأنه لا دليل ولا برهان على سنة صحيحة.[١٧٤] وبعد استكمالٍ لكتاب «إحياء السنن» الذي ضاع ثم أعيدت كتابته في

[١٧١] الآيات (١١١)، الأحاديث (١٤٧)، الأشعار (١٧)، المصادر (٢٣٠)؛ أسماء الأعلام: أحمد بن حنبل (٧٨)، البخاري (٧٤)، الشافعي (٦٩)، عمر (٦٠)، النووي (٥٦)، مسلم (٥٣)، ابن حجر العسقلاني (٤٧)، أبو داود السجستاني، مالك (٤٥)، الترمذي (٤٣)، ابن عباس (٤٢)، أبو هريرة (٣٨)، السيوطي (٣٩)، عبد الله ابن مسعود (٣٦)، عبد الله بن عمر (٣٤)، علي (٣٣)، النسائي (٢٨)، البيهقي (٢٧)، النيسابوري (٢٦)، ابن تيمية، أبو حنيفة (٢٤)، ابن ماجة (٢٣)، ابن الصلاح، الزهري، ابن المسيب، سفيان الثوري، ابن القيم (٢٢)، أبو بكر البصري، السخاوي (٢٠)، الشعراني (١٩)، أنس بن مالك (١٨)، ابن حزم، الذهبي (١٣).

[١٧٢] (١) الحديث (١٩)، (٢) معنى الحديث (١٥)، (٣) بيان الحديث (١١)، (٤) أنواع الحديث (١٠٣)، (٥) الجرح والتعديل (١٤)، (٦) الإسناد (٢٠)، (٧) أحوال الرواية (١١)، (٨) آداب المُحدِّث وطالب الحديث (٦)، (٩) كتب الحديث (٣٠)، (١٠) فقه الحديث (١٢٥).

[١٧٣] العلَّامة المُحقق المُحدِّث الفقيه ظفر أحمد العثماني التهانوي: قواعد في علوم الحديث، حقَّقه وراجع نصوصه وعلَّق عليه عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام، القاهرة، ط٦، ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[١٧٤] «وكان من فِتن هذا الزمان سَعْي بعض المتشدِّدين في إماتة السنن التي هي أصول لفروع الإمام أبي حنيفة النعمان، وأطالوا ألسنتهم فيه بالطعن والافتراء والبهتان، وفي مذهبه بأنه لا دليل له ولا برهان من السنة الصحيحة والقرآن. وايم الله إن هذه فِرية بلا مرية، ودعوى لا أساس لها ولا بنية. فمسَّت

«جامع الآثار» ولكن ظلَّ ناقصًا مُعابًا في حاجة إلى تصحيح وتضعيف، وهي أمور ظنية تتوقَّف على المُحدِّث والمجتهد،[175] مَن يقبل العنعنة، ومَن يقبل المعاصَرة.[176]

ويشمل الكتاب مُقدمةً وعشرة فصول. أكبرها الثاني، وأصغرها السادس.[177] المُقدِّمة عن المبادئ والحدود المُستعملة في العِلم، وأنواع الحديث؛ والأول عن أنَّ التضعيف، والتوثيق للرجال، والتصحيح، والتحسين، أمور اجتهادية؛ والثاني قواعد التصحيح والتحسين؛ والثالث حُكم العِلم بالحديث الضعيف؛ والرابع حُكم الرفع والوقف والوصل والقطع؛ والخامس أحكام المُرسَل والمدلَّس والمعلق والمنقطع والمفصل؛ والسادس المُضطرب؛ والسابع الجرح والتعديل؛ والثامن التعارُض والتراجيح بين الأدلة؛ والتاسع تراجم الأئمة الثلاثة أبي حنيفة، أبي يوسف، ومحمد، دون مالك والشافعي وأحمد. ويهتمُّ البخاري بالانحراف عن أبي حنيفة؛ فأبو حنيفة ناقد للحديث، وهو صاحب جرح وتعديل.[178]

ويعتمد على كثيرٍ من السابقين، اقتباسات بعلامة «انتهى» أو اختصارًا بحرفي «أ.هـ».[179] لذلك تكثُر أسماء الأعلام والمصادر. يجمع بين القواعد النظرية والتطبيقات العملية، بل ويعتبر دليلًا عمليًّا لمعرفة صحَّة الأحاديث أكثر منه قواعد نظرية في عِلم مصطلح الحديث، ويراجع صحة الأحاديث أكثر منه قواعد في عِلم مصطلح الحديث، ويراجع كثيرًا من الأحكام القاطعة من علماء الحديث أو من الفِرَق؛ كالروافض والمعتزلة والخوارج.[180] والشواهد النقلية قليلة في حين تظهر الشواهد الشعرية.[181] ويتداخَل مع عِلم

الحاجة إلى إقامة الدلائل الحديثية على مهمَّات الفروع من مذهب السادة الحنفية، لتُدحَض بها حجة الطائفة الباغية، وتُحصر بها صدور الجماعة الطاغية، وتنشرح قلوب أهل السنة بالأنوار اللامعة ... مع تصحيح الأحاديث أو تحسينها على الأصول المُتلقَّاة بالقبول عند علماء الرواية، ومع تقرير استنباط ما يُحتاج إليه بالقواعد المقررة عند فقهاء الدراية.» السابق ص١٨.

[175] وهو مِن وضْع أشرف علي، السابق ص١٩.

[176] وهو ما تمَّ في المقدمة بعنوان «الاستدراك الحَسَن على أخبار السنن» أو «إنهاء السكن إلى من يطاع إعلاء السنن»، السابق ص٢١.

[177] المقدمة (٣١)، الأول (٦)، الثاني (٣٦)، الثالث (٢٦)، الرابع (٢٠)، الخامس (٢٧)، السادس (٢)، السابع (١٢١)، الثامن (١٧)، التاسع (١٦٤)، العاشر (٦).

[178] السابق ص٣٣١.

[179] التهانوي ص٥٦.

[180] السابق ص٤٤٣.

[181] السابق ص٣٣٧–٣٣٨.

أصول الفقه في التعارُض بين الأخبار والأدلة، ويدخل في أدقِّ التفصيلات والتفريقات.[١٨٢] لذلك أتى مُسهبًا إنشائيًّا، غير مُركَّز، أدخَلُ في فروع الحديث منه إلى أصوله.

ومن المُصنفات يُحال إلى «تدريب الراوي» للسيوطي، ثم «المُوطأ» للشيباني، ثم «تهذيب التهذيب» لابن حجر. ثم يأتي الإصحاحان البخاري ومُسلم، ثُم أبو داود والترمذي، ثم مُسند ابن حنبل فيما بعد.[١٨٣] ومن حيث الأعلام يتقدَّم البخاري، ثم ابن حجر العسقلاني، ثم الذهبي، ثم أحمد بن حنبل، ثم أبو حنيفة، ثم مُسلم، ثم الشافعي، ثم أبو داود والسيوطي، ثم الشافعي ومالك، ثم ابن القيم، ثم الشيباني، ثم الترمذي. ويتداخل المُحدثون والفقهاء.[١٨٤]

(ف) «الإيضاح لمباحث الاصطلاح» للشهيد حسن البنا (١٩٤٩م)[١٨٥]

فقد حاولَت كبرى الحركات الإصلاحية الحديثة ومؤسِّسها حسن البنا التعامُل مع عِلم مصطلح الحديث باعتباره أحد المداخل الإصلاحية، مما يدل على أهمية التعامُل مع العلوم النقلية، وهو ما حدث أيضًا عند اليهود والنصارى في نشأة عِلم النقد التاريخي للكتُب المقدَّسة، مع أن أمة الإسلام هي أمة السند، وعِلم النقد التاريخي من آثار المُسلمين، وأثر

---

[١٨٢] السابق ص٢٥٨.

[١٨٣] تدريب الراوي للسيوطي (٨٤)، الموطأ للشيباني (٦٧)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٥٩)، هدى الساري مُقدمة فتح الباري لابن حجر (٤٧)، الرفع والتكميل للكنوي (٤٥)، صحيح البخاري (٤٢)، صحيح مسلم (٣٣)، نصب الراية للزريعي (٢٨)، فتح المُغيث للسخاوي (٢٦)، تذكرة الحافظ للذهبي (٢١)، قفو الأثر لابن الحنبلي الحنفي (٢٠)، لسان الميزان لابن حجر (١٨)، أعلام المُوقعين لابن القيم (١٧)، الجواهر المضيئة للقرشي، شرح النخبة لابن حجر (نخبة النظر) (١٦)، أنجاء الوطن للتهانوي، الثقات لابن حيان (١٤)، سنن أبي داود (١٣)، تقريب التهذيب لابن حجر، سنن الترمذي، المسند لابن حنبل (١٢).

[١٨٤] البخاري (١٣١)، ابن حجر العسقلاني (١٠٥)، الذهبي (١٠٤)، أحمد بن حنبل، أبو حنيفة (١٠٠)، يحيى بن معين (٧٦)، مسلم، (٦٧)، الشافعي (٥٦)، ابن حبان (٤٦)، أبو داود، السيوطي (٤٥)، النسائي مالك (٤٤)، أبو حاتم الرازي (٤٢)، الكوثري (٤١)، علي بن المديني (٤٠)، الدارقطني، السخاوي (٣٦)، ابن القيم (٣٥)، الخطيب البغدادي (٣٣)، اللكنوي عبد الحي، الشيباني (٣١)، الترمذي، شعبة بن الحجاج (٣٠)، ابن عبد البر، سفيان الثوري (٢٨)، يحيى القطان (٢٧)، النيسابوري (١٤)، أبو زرعة الرازي، أبو يوسف القاضي (٢٣)، ابن الصلاح، الزيلعي، سفيان بن عيينة (٢٢)، ابن عدي (٢١)،

عِلم الحديث في الغرب. وفي الملاحق بعض المواقف الإصلاحية في الجزائر.[186] ويردُّ على مَن أنكر حجية السنة في ماليزيا وفي الاستشراق الغربي.[187] ويستأنف جهد محمد رشيد رضا وعبد الحميد بن باديس. وينتبه إلى منطق الحديث وهو السند وليس رجاله أو رُواته أو نقَلَته كما فعل القدماء في عِلم نقد الرجال؛ فقد انتهى العصر. ومع ذلك أتى الكتاب أقربَ إلى التقليد منه إلى التجديد، إلى السَّلف منه إلى الخلف، وإلى القدماء منه إلى المحدثين، وإلى التقليديين منه إلى الإصلاحيين. أتى أقربَ إلى التاريخ منه إلى الفكر. ما زال يُغلِّب خبر الواحد إذا ما تعارَض مع العقل.[188] ويُقسِّم الحديث القسمة التقليدية الثلاثية؛ الصحيح والحسن والضعيف.[189] وإذا تعارض موقفان فإنه يأخذ موقفًا وسطًا بين الغلو والتقصير.[190] ومع ذلك يغلِب عليه التركيز والوضوح الشديد. ويُطالِب بتحرِّي المصلحة والمناسبة في رواية الحديث الصحيح.[191]

رابعًا: طرق السند

طبقًا لمدى اتصاله بالرسول، السند على أنواع: المُسند والموقوف والمُدلَّس.

(١) المُسنَد

وهو أنواع أيضًا: المُسلسل والمُعنعن والمُتصل والموصول والمرفوع. وهو النوع النموذجي في عِلم الحديث يحتجُّ به، وهو الحديث المروي عن شيخ يُسمع منه لِسنِّه وسماعه هو مِن شيخه إلى أن يصل الإسناد إلى صحابيٍّ مشهور إلى الرسول.[192] وهو مثل المتصل؛ المسند

إبراهيم النخعي، ابن تيمية، ابن القطان، ابن مسعود، عمر بن الخطاب (١٩)، الحافظ العراقي (٢٠)، ابن الجوزي، ابن حزم، النووي (١٨)، علي بن أبي طاب (١٧)، الزهري (١٦)، ابن المبارك (١٥)، تاج الدين السبكي، سعيد ابن المسيب، الطحاوي، العيني البدر (١٣)، ابن شراحيل، ابن عباس، علي القاري (١٢)، المنذري (١١)، الآمدي، الطبري، يعقوب البصري (١٠)، الشوكاني (٧).

[185] الإمام الشهيد حسن البنا: الإيضاح لمباحث الاصطلاح، رسالة في شرح المقالات التي كتبَها في علوم مصطلح الحديث في مجلة «الشهاب»، جمعها واعتنى بها وشرحها الدكتور ماجد الدرويش، قدَّم لها الداعية الدكتور فتحي يكن، دار الإمام أبي حنيفة، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[186] السابق ص٩٤–١٠٤.

[187] السابق ص١٠٥–١٠٦.

ما اتَّصل إسناده إلى الرسول أي السماع منه سماعًا مباشرًا دون واسطة. وقد يكون مُتصلًا أو مرفوعًا أو متصلًا مرفوعًا.[193] هو ما اتَّصل إسناده من راويه إلى مُنتهاه.[194] وتتَّصِل الأسانيد زيادة للعدد في السند، ومع ذلك قد يكون المزيد في متصل الأسانيد زيادة وَهْم.[195] وقد يكون تفسير الصحابي مُسندًا وليس فقط الحديث؛ فالصحابي مُحدِّث ومُفسِّر.[196] وتختلف المسانيد في الاحتجاج بها طبقًا لنوعها.[197]

الإسناد من خصائص الأُمة وسنَّة مؤكدة، وهو من الدين، ولولاه لقال من شاء ما شاء. وطلَبُ العلو أيضًا سنة، ويمتاز بقُربه من الرسول أو من إمامٍ من أئمة الحديث أو إلى الرواية من الصحيحين أو مِن تقدُّم وفاة الراوي أو من تقدُّم السماع. الإسناد العالي هو المُتصل بالرسول، والإسناد النازل هو الخارج منه.[198] الإسناد العالي سنة عن السلف، وهو ما يتطلَّب الحِل والترحال للبحث عن الرواة. وقد يكون العلوم إلى إمامٍ حافظ أو شيخ للموافقة معه أو البدل أو المساواة أو المُصافحة. والعلو أفضل من النزول لأن الخروج أفضل من العودة.[199] ولا فرق بين العالي والنازل ما دام كلاهما يتصلان بالرسول صعودًا

[188] السابق ص٦٥–٦٧.

[189] السابق ص٦٨–٩٠.

[190] السابق ص١٢١–١٢٣.

[191] السابق ص١٢٣.

[192] النيسابوري ص١٧–١٩.

[193] ابن كثير ٤٤–٥٣، ابن النفيس ١٢١–١٦١.

[194] ابن الصلاح ص٢١.

[195] ابن الصلاح ص١٤٤-١٤٥؛ الجعبري ص٦٣-٦٤.

[196] الكافي ص٢٣١، منظومة ألقاب ص٧٥–٧٧، قواعد التحديث ص١٢٦، التهانوي ص٣٨، المزيد في مُتصل الأسانيد ص٤٥، الاقتراح ص٢٦٧، ٢٧٣–٢٧٧، الكفاية ص٢٤–٢٦.

[197] الجعبري ص٩١–٩٢، الذهبي ص٤٢، العسقلاني ص١٤٠–١٤٨، ١٥٤، الكافي ص١٢٣.

[198] ابن كثير ص١٥٩–١٦٤، النيسابوري ص٥–١٤.

[199] الجعبري ص١٣٤–١٣٥، الجامع ص٣١، ٢٩١–٢٩٣. الموافقة؛ الوصول إلى شيخ أحد المُصنفين من غير طريقه. البدل؛ الوصول إلى شيخ شيخه. المساواة؛ استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنفين. المصافحة؛ الاستواء مع تلميذ المُصنف، وأن يتشارك الراوي والمروي عنه في السن والمَلقى والأقران.

وهبوطًا. ومع ذلك فهناك تمييز بين العلو المطلق والعلو النسبي.[٢٠٠] وطلب العلو مرغوب فيه، وهو نوعان: تاريخي وأخلاقي.[٢٠١] والنزول ضدَّ العلو ومُضاد له في أقسامه. اعتبره البعض شؤمًا مذمومًا. وهناك تفاضل بين العلو والنزول، وبين أصح الأسانيد وأوهاها، ولا يجوز اجتزاء السماع النازل مع كون الذي حدَّث عنه موجودًا. ولا يجوز لمن سمِع حديثًا نازلًا أن يطلُبه عاليًا أو مدح العلو وذم النزول. والأفضل اختيار النزول عن الثقات على العلو عن غير الثقات.[٢٠٢] وينقسِم إلى عدة أقسام:

(أ) المسلسل

وهو نوع من السماع الظاهر المقبول.[٢٠٣] هو المُتصل بعيدًا عن الانقطاع والتدليس. هو الذي تشابهت أحوال الرواة في جميع مراتب إسناده قولًا وفعلًا.[٢٠٤] هو تتابع رجال الإسناد وتوارُدهم واحدًا بعد واحدٍ على صفةٍ أو حالة واحدة.[٢٠٥] المسلسل من تماثُل الأجزاء، هو نعت الإسناد، هو صفة للرواية أو للرواة. وأفضله ما كان بالسماع. وفائدته التأسي والتقوية ومزيد من الضبط من الرواة.[٢٠٦] وقلَّ ما يسلَم من ضعف.

(ب) المعنعن

هو الخالي من التدليس، المُتصل والذي تورَّع راويه عن التدليس.[٢٠٧] هو المتصل حتى الرسول عن طريق العنعنة، ويشترط سلامة الرواة عن التدليس وتلاقيهم وسماع كلٍّ منهم ممَّن فوقه.[٢٠٨] وقد يكفي العِلم بتعاصُرهم في كل مرتبتَين دون إجماع. وقد يكون المُعنعن من قبيل المُرسل والمنقطع لاتصاله بغيره، وهو من قبيل الإسناد المتصل.[٢٠٩] والمؤنن كالمُعنعن.[٢١٠]

---

[٢٠٠] العسقلاني ص١٥٦–١٥٩، الكافي ص٢٧٣، ٣٩٤–٤٠٤، منظومة ألقاب ص٤٠. وهناك فرق بين الإسناد الضعيف والحديث الضعيف. وقد يتمُّ التساهل في الإسناد دون المتن.

[٢٠١] ابن الصلاح ص١٣٠–١٣٤، الكافي ٤٠٤–٤١٥، الاقتراح ٣٩٧–٤٠٦.

[٢٠٢] الجامع ص٣٣–٣٩.

[٢٠٣] ويُقسِّمه النيسابوري إلى ثمانية أنواع تطبيقية، النيسابوري ص٢٩–٣٤.

[٢٠٤] ابن كثير ص١٦٨–١٦٩، ١٧٦–١٧٧.

[٢٠٥] ابن الصلاح ص١٣٨–١٣٩.

(ج) المتصل

والموصول مثله، وهو المرفوع إلى النبي مع استبعاد الإرسال والانقطاع، ولكنه أقلُّ لأنه قد يوقَف على الصحابي وليس على الرسول وحده. وإذا توقَّف على الصحابي فهو موقوف. ويُسمَّى أيضًا أثرًا؛ لذلك كتب كثير من المُحدثين في «السنن والآثار» وقد يكون الموقوف على التابعي، فيكون المقطوع والمُرسَل هو الموقوف على التابعي الذي عاصر الصحابي. والمنقطع إذا ما سقط من الإسناد رجل أو ذُكر رجل مُبهم. والمُعضل ما سقط منه اثنان فأكثر، ويقع مُطلعه على المرفوع والموقوف.[٢١١] وهو ما اتَّصل إسناده عن كل راوٍ حتى يصِل إلى مُنتهاه.[٢١٢] هو ما سلم من الحذف، وهو موجب القبول والعمل.

(د) الموصول

وهو ما سلم من الانقطاع.[٢١٣] وهو مجرد تعريف نفي الضد. والمفهوم واحد، وهو اتصال السند إلى الرسول؛ فصحَّة المصدر تقتضي صحة المنقول.

(هـ) المرفوع

وهو أقل من المُتصل، وهو ما أضيف إلى الرسول قولًا أو فعلًا سواءً كان متصلًا أو منقطعًا أو مرسلًا. هو الخبر المَروي عن الرسول بإسنادٍ مُتصل، ولا يقع مُطلقه على غيره

---

[٢٠٦] الجعبري ص٨١-٨٢، الذهبي ص٤٣-٤٤، العقلاني ص١٦٧، الكافي ص٣٧٥–٣٨٤، منظومة ألقاب ص٩٣–٩٥، قواعد التحديث ص١٣٠-١٣١، التهانوي ص٤٠، الاقتراح ص٢٧٣–٢٧٧.

[٢٠٧] النيسابوري ص٣٤-٣٥، ١٠٣–١١٢.

[٢٠٨] ابن النفيس ص١٢٤-١٢٥.

[٢٠٩] ابن الصلاح ص٢٩.

[٢١٠] الجعبري ص٧١-٧٢، الذهبي ص٤٤–٤٦، الكافي ص٢٣٢–٢٣٦، قواعد التحديث ص١٢٧، التهانوي ص٣٨، الاقتراح ص٢٧٨–٢٨٢.

[٢١١] الجعبري ص٦٤، الذهبي ص٤٢، العسقلاني ص١٢٦، الكافي ص١٢٥، منظومة ألقاب ص٨٣-٨٤، المزيد في متصل الأسانيد ص١٠٩، قواعد التحديث ص١٢٦، التهانوي ص٣٨، ١١٨، الكفاية ص٢٣-٢٤.

[٢١٢] ابن الصلاح ص٢١.

[٢١٣] الاقتراح ص٢٦٦.

مثل الصحابة، ويدخل فيه المرفوع المتصل والمنقطع والمُرسَل. يساوي المسند الذي يدخل عليه أيضًا الانقطاع والاتصال، وقد لا يقع المُسنَد إلَّا على المُتصل المضاف إلى الرسول.[٢١٤] وللمرفوع عدة صِيَغ «يرفع الحديث».[٢١٥] ويتميز الرفع عن الإرسال والوصل والوقف.[٢١٦]

(٢) الموقوف

هو الأثر أو المَروي عن الصحابي ولا يُسند إلى الرسول أو يتَّصِل به.[٢١٧] وهو مثل المُسند الذي لا يصِل إلى الرسول. ويُعبر عنه بألفاظ الرواية «أمرنا». هو ما يُروى عن الصحابة قولًا وفعلًا ولا يتجاوزه إلى الرسول.[٢١٨] وهناك موقوف له حُكم الرفع، ويشمل عدة أنواع:

(أ) المُنقطع

وهو غير المرسل؛ إما للجهل برجُلَين أو برجلٍ واحد في سلسلة الأسانيد، أو يكون في الإسناد ورواية لم يسمع بها الراوي قبل الوصول إلى التابعي.[٢١٩] والساقط مُبهم غير معروف.[٢٢٠] هو ما حذف راوٍ أو مُبهم.[٢٢١]

(ب) المقطوع

وهو غير المُنقطع. وجمعه المقاطع أو المقاطيع.[٢٢٢] وهو ما جاء موقوفًا على التابعين قولًا وفعلًا، ويُعبَّر عنه في ألفاظ الرواية بتعبير «كنَّا نفعل»، «كنا نقول» دون إضافةٍ إلى زمان الرسول. ويستعمل أيضًا تعبير الصحابي «أُمِرنا ...» «نُهينا ...» وتفسير الصحابي مُسند في التفسير وليس في الحديث، وهو ما حلَّله علماء أصول الفقه من قبل في ألفاظ الرواية.[٢٢٣]

---

[٢١٤] ابن الصلاح ص٢٢.

[٢١٥] السابق ص٢٤، الجعبري ص٦٤، الذهبي ص٤١، العسقلاني ص١٥٢-١٥٣، الكافي ص٢٢٦، ٢٣١.

[٢١٦] الكافي ص٢٣٧–٢٤٢، منظومة ألقاب ص٧٣–٧٥، قواعد التحديث ص١٢٦-١٢٧، التهانوي ص٣٨، ١١٨، الاقتراح ص٢٦٥.

[٢١٧] النيسابوري ص١٩–٢٢.

(ج) المرسل

هو المَروي عن الرسول ومراتب إسناده مُنتهية إلى التابعي دون الصحابي. هو الحديث الذي قُطع إسناده قبل الوصول إلى التابعي.[٢٢٤] ويعني لغةً المُطلق، واصطلاحًا ما حُذف آخِر سنده تابعي. وإطلاقه ما سقط من سنده اثنان. والخفي من المراسيل يعمُّ المُنقطع والمُفصل معًا.[٢٢٥] والمُرسَل الخفي من مُعاصر لم يلقَ.[٢٢٦] وفيه ثلاثة مذاهب: ضعيف مُطلقًا، وحجة مُطلقًا، وتفصيل فيه، وفيه يبرز سؤال: هل يجب العمل بالمُرسَل؟[٢٢٧] وفيه خلاف بين من يُعطي الأولوية للنظر على العمل وبين من يُعطي الأولوية للعمل على النظر. وهناك فرْق بين الإرسال والاتصال في العمل بهما.[٢٢٨] فالاتصال يُوجِب العمل، والإرسال يُرجِّحه.

(د) المطلق

هو ما حُذف من أوله فأكثر أو كله، وإلَّا فمُنقطع أو مُعضل.[٢٢٩] فما زال المِقياس هو الاتصال أو الانقطاع من البداية؛ أي من الرسول بصرف النظر عن المتن. هو نوع من نقد المصادر وليس نقد المتون.[٢٣٠]

---

[٢١٨] ابن الصلاح ص٢٢، الجعبري ص٦٥، الذهبي ص٤١، العسقلاني ص١٥٤، الكافي ص١٢٣، ٢٠٣، ٢٢٦–٢٣٢، منظومة ألقاب ص٧٨–٨٣، قواعد التحديث ص١٣٣-١٣٤، التهانوي ص١١٨، الاقتراح ص٢٦٥.

[٢١٩] النيسابوري ص٢٧–٢٩.

[٢٢٠] ابن الصلاح ص٢٦-٢٧.

[٢٢١] الجعبري ص٧١، الذهبي ص٤٠-٤١، الكافي ص٢٠٨–٢٢٤، منظومة ألقاب ص١٠، قواعد التحديث ص١٣٤، التهانوي ص٣٩، ١٦٣-١٦٤، الاقتراح ص٢٦٣.

[٢٢٢] ابن الصلاح ص٢٣–٢٥، الجعبري ص٦٨، العسقلاني ص١٥٤، الكافي ص١٢٣–١٢٥، ٢٢٦، منظومة ألقاب ص٨٤–٩٠، قواعد التحديث ص١٣٤، التهانوي ص٤١، ١١٨، الاقتراح ص٢٦٤.

[٢٢٣] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٤٨–١٥٠.

[٢٢٤] ابن كثير ١٧٧-١٧٨، ابن الصلاح ص١٤٥.

[٢٢٥] ابن الصلاح ص٢٥-٢٦، الجعبري ص٦٨–٧١، ٧٤، الذهبي ص٣٨–٤٠.

(هـ) المُعضل

هو أن يكون بين المُرسَل إلى الرسول أكثر من رجلٍ غير المُرسل لأن المراسيل للتابعين دون غيرهم.[٢٣١] وهو الذي سقط في إسناده مرتبتان أو أكثر من الاعتبار.[٢٣٢] هو نوع من المُنقطع؛ فكل مُعضل منقطع وليس كل منقطع مُعضلًا، وقد يُسمَّى مُرسلًا، وهو ما سقط إسناده، اثنان فصاعدًا.[٢٣٣] إن كان باثنين فصاعدًا مع التوالي فهو المُعضل، وإلا فالمُنقطع. وقد يكون واضحًا أو خفيًّا؛ فالأول يُدرَك بعدم التلاقي ومن ثم احتيج إلى التاريخ.[٢٣٤] ولُغة من أعضله أي غمه، وهو ما حذف من سنده اثنان فأكثر مُطلقًا من مكانٍ أو أكثر.[٢٣٥] وحُكمه كالمرسل.

(٣) المدلس

لغةً الدلسة أي الظلمة. واصطلاحًا مُعاصرة الراوي شخصًا روى عنه بتوسُّط وأوهم عدمه.[٢٣٦] هي رواية شيءٍ لم يُسمَع، ولم يلتقِ بمن سمِعَ منه أو عاصرَه. ويكون في الإسناد، وهو رواية ما لم يَسمعه مُوهِمًا أنه سمِعه أو عاصرَه وهو لم يلتقِ به. وقد يكون تدليس الشيوخ، وهو رواية حديثٍ سمِعه فيُسمِّيه أو يُكنيه أو ينسبه أو يصِفه

[٢٢٦] العسقلاني ص١١٤، ١٣٩، ابن تيمية ص٩٩–١٠٠، الكافي ص٢٠٣–٢٠٨، ٢٤٤-٢٤٥، منظومة ألقاب ص٩٧–١٠٠، قواعد التحديث ص١٣٧–١٥١، التهانوي ص٣٩، ١٣٨–١٥٨، ١٦٣-١٦٤، الاقتراح ص٢٦٢.

[٢٢٧] الكفاية ص٣٣٣–٣٥١.

[٢٢٨] السابق ص٣٥١–٣٥٥.

[٢٢٩] الجعبري ص٧٣، منظومة ألقاب ص٩٦، قواعد التحديث ص١٢٧، التهانوي ص٣٩، ١٦٣-١٦٤.

[٢٣٠] نقد المصادر Critique de Provenance نقد المتون Critique de Restitution.

[٢٣١] النيسابوري ص٣٦–٣٩.

[٢٣٢] ابن كثير ص٧٢، ابن النفيس ص١٢٩–١٣٠.

[٢٣٣] ابن الصلاح ص٢٨–٣٤.

[٢٣٤] العسقلاني ص١١٢، الكافي ص٢٢٤–٢٢٦، منظومة ألقاب ص١٠٢–١٠٣، قواعد التحديث ص١٣٤، التهانوي ص٤١، ١٦٣-١٦٤، الاقتراح ٢٦٢.

[٢٣٥] الجعبري ص٧٣، الذهبي ص٤٠.

[٢٣٦] الجعبري ص٧٤-٧٥، الذهبي ص٤٧–٥١.

بما لا يُعرَف به كي لا يُعرَف.[٢٣٧] فالتدليس قِسمان؛ في الإسناد أو في الشيوخ. وهو مفسدة. والمُدلَّس يَرِدُ بصيغةٍ تحتمِل اللُّقى ك «عن» و«قال».[٢٣٨] وقد يمتدُّ التدليس إلى المتن بالتبعية إذا كان التدليس قد وقَعَ من قبل في السند.[٢٣٩] وهو على أنواع:

(أ) الشاذ

لغةً البعيد، واصطلاحًا رواية الثقة خلاف الناس أو متوحد الإسناد.[٢٤٠] الشاذ رواية حديث يُخالف ما روى الناس. فالمتن هنا هو طلَب الرواية.[٢٤١] ليس الشاذ أن يروي الثقة ما لا يروي غيره بل أن يروي ما يخالف ما روى الناس.[٢٤٢] هو الذي يتفرَّد به الثقة على خلاف ما رواه الناس، وقد يكون هو الذي له إسناد واحد من غير ثقة فيُرَدُّ أو من ثقة فيتوقَّف.[٢٤٣] فإن خُولِف بأرجحَ فالرَّاجح المحفوظ ومقابله الشاذ.[٢٤٤] الشاذ هو غير المَعلول. فالمعلول ما يُوقَف على عِلته إذا دخل حديث في حديث أو وَهمَ فيه راوٍ أو أرسلَه فوصَلَه واهِم. أما الشاذُّ فإن ما يتفرَّد به ثقة وليس للحديث أصل تابع لتلك الثقة. ويكون الشذوذ في الإسناد والمتن على السواء.[٢٤٥] وقد يكون الشاذ في السند أو في المتن.[٢٤٦]

(ب) المنكر

هو ما يتفرَّد به الراوي ولا يعرف متنه من غير روايته، لا من حيث الرواية ولا من حيث المتن. هو الحديث المُتفرِّد بالردِّ والإنكار والشذوذ. وهو غير المعروف. هو ما تفرَّد به واحد غير ثقة ولا مشهور بالحفظ.[٢٤٧]

---

[٢٣٧] ابن الصلاح ص٣٤–٣٦.

[٢٣٨] العسقلاني ص١١٣، ١٣٩، الكافي ص٣٨٤–٣٩٣، منظومة ألقاب ص١٠٣–١٠٨، قواعد التحديث ص١٣٦–١٣٧، التهانوي ص٤١، ١٥٨–١٦٣، الاقتراح ص٢٨٣–٢٩٥، الكفاية ٣٠٩–٣٢٢.

[٢٣٩] ابن كثير ص٥٣.

[٢٤٠] الجعبري ص٧٥–٧٦، الذهبي ص٤٢.

[٢٤١] ابن كثير ص٥٦–٥٨.

[٢٤٢] ابن الصلاح ص٣٦–٣٧.

[٢٤٣] ابن النفيس ص١٢٥–١٢٦.

وهو قسمان مثل الشاذ؛ الأول المُتفرِّد والمُخالف للثقات، والثاني المُفرَد الذي ليس في رواية الثقة. والإتقان له ما يُبرِّره.[248] ومع الضعف فالراجح المعروف ومُقابله المنكر.[249] ويطرح المُنكر والمُستحيل.

(ج) المُعلَّل

تعليل الحديث هو بيان أوجه ضَعفه، وليس التعليل في علم أصول الفقه وهو بيان عِلل الأحكام.[250] وهو مُستقل عن السقيم والجرح والتعديل، وهي أحاديث مُطلقة أولها عِلة عجيبة مثل تدخُّل الملائكة.[251] ومنها ما يُعارض العقل والقيمة والحِس البديهي والفطرة. ومنها ما يثبت الفُرقة والغيرة بين الصحابة أو تقابُل مصطنع. المُعلل من الحديث يتعلَّق بالمتن، وهو من أوجه ضَعفه لأنه معلول. وليست العِلة بمعنى مناهج الاستنباط في عِلم أصول الفقه، بل بمعنى المَرَض والخلل. المُعلل هو الذي اطُّلِع فيه على علةٍ تقدح في صحته مع السلامة عنها في الظاهر.[252] ويُسمَّى أيضًا المعلول، وهو معنى قدْحي. وللتعليل

---

[244] العسقلاني ص٩٧، ١٣٨، الكافي ٢٧٨–٢٧٩، زيادة الثقة والمحفوظ والشاذ، منظومة ألقاب ص١١٠–١١٣، قواعد التحديث ص١٣٤، التهانوي ص٤٢، ١٢٤، الاقتراح ص٢٨٦.

[245] النيسابوري ص١١٩–١٢٢، البيان المُكمل ص١٢–١٤.

[246] البيان المُكمل ص١٣-١٤.

[247] ابن النفيس ص١٢٥-١٢٦، الجعبري ص٧٧، الذهبي ص٤٢.

[248] ابن الصلاح ص٣٧–٣٨.

[249] العسقلاني ص٩٨، الكافي ص٢٨٠، منظومة ألقاب ص١٢٤–١٢٥، قواعد التحديث ص١٣٤-١٣٥، التهانوي ص٤٢، الاقتراح ص٢٦٩، الكفاية ص٣٦٩–٣٧٠.

[250] النيسابوري ص١١٢–١١٩؛ وأيضًا من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص٣٨٥–٤١٢.

[251] نماذج من الأحاديث المعلولة «من جلس مَجلسًا كثُر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك.» «أرحم أُمتي أبو بكر، وأشدُّهم في الله عمر، وأصدقُهم حبًّا عثمان، وأقرؤهم أُبي بن كعب، وأعلمُهم بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل، وإنَّ لكل أمةٍ أمينًا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة.» «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة.» «كانت لغة إسماعيل قد درَسَت فجاء بها جبرائيل عليه السلام إليَّ فحفظتُها.» «المؤمن غر كريم، والفاجر خبٌّ لئيم.» «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، ونزلت عليكم السكينة.»

[252] ابن النفيس ص١٢٥–١٢٦.

أسباب خفية غامضة قادحة في الحديث؛ فالمعلل هو الحديث الذي به علة تقدح في صحته الظاهرة، ويتعلق أيضًا بالإسناد، ويُعرَف بتفرُّد الراوي وبمخالفة غيرِه مع قرائن تُنبِّه العارف على إرسال الموصول أو وقْف المرفوع أو إدخال حديثٍ في حديثٍ أو وَهْم واهِم. ومنه تعليل الموصول بالمُرسَل. والعلة في المتن مثل إسقاط البسملة. وقد يطلق التعليل على عديدٍ من أسباب الجرح؛ مثل الكذب والغفلة وسوء الحفظ وهو ما يتعلق بالراوي.[٢٥٣] قد تكون العِلة إذن في الإسناد، أو في صِحة الإسناد والمتن، أو في صحة المتن؛ وبالتالي يسهل التحوُّل من نقد السند إلى نقد المتن لأنَّ نقد المتن مُتضمَّن في نقد السند.

(د) المردود

هو الذي لا يجوز العِلم به لأنه لم يظن صحته وإن جاز أن يكون صحيحًا؛ وعكسه المقبول. وقد يكون لسقطٍ أو طعن. والسقط إما أن يكون من مبادئ السند من مُصنف أو من آخره بعد التابعي أو غير ذلك. فالأول المعلق والثاني المُرسَل. وقد يكون الشاذ مردودًا أو غير مردود.[٢٥٤]

(هـ) المتروك

هو ما يرويه مُتَّهم بالكذب، ولا يُعرَف إلا من جهته، ويكون مُخالفًا للقواعد المعلومة أو معروفًا بالكذب في غير الحديث أو كثير الغلَط أو الفسق أو الغفلة.[٢٥٥] وهنا يتداخل نقد السند مع شعور الراوي وبنائه المعرفي والأخلاقي؛ فنقد السند ونقد المتن وشعور الراوي ثلاثة جوانب لمنطق الرواية.

(و) المضطرب

وأحيانًا يظهر المتن مع السند كما هو الحال في المضطرب، وهو الذي يختلف فيه الرواة على شيخ بعينه أو مِن وجوهٍ أخرى مُتعادلة، ولا إمكانية للترجيح بينها. وقد يكون

[٢٥٣] ابن الصلاح ص٤٢–٤٤، الجعبري ص٧٧–٧٩، الذهبي ص٥١–٥٣، العسقلاني ص١٢٣، الكافي ص٢٧٤، منظومة ألقاب ص١٢٥–١٢٧، قواعد التحديث ص١٣٥، التهانوي ص٤٣.

الاضطراب في السند أو في المتن.[٢٥٦] المُضطرب هو المَروي على وجهَين مُتباينين في الإسناد أو في المتن من غير ترجيحٍ سواء كان الراوي في الوجهين واحدًا أو أكثر. هو ما تختلف الرواية فيه.[٢٥٧] يُروى على وجهٍ ثم يُروى على وجه آخر مخالف مع تَساوي الروايتين. فإذا رُجِّحت إحداهما بأن يكون راويها أحفظ أو أكثر صُحبة للمَروي عنه تكون الراجحة. وقد يقع الاضطراب في السند وفي المتن وفي الراوي.[٢٥٨] ويُسمَّى أيضًا حُكم اختلاف أسانيد الحديث الواحد، وهو أن تكثُر أسانيد حديثٍ واحد. وقد تكون الأسانيد مُتنافية أو غير مُتنافية. إذا كانت غير مُتنافية فأحدهما مُعنعن والآخر مسلسل أو أحدهما مُستفيض والآخر غير مُستفيض. والمتنافية تُغاير الإسناد، والزمان بينهما يزيد على عُمر الراوي فأحدهما كاذب. ومع ذلك لا يقدَح ذلك في صحة الحديث ولا يبطل وجهَ العمل به؛ إذ إن الإسناد الآخر ظاهر الصحة ورواية العدل عن العدل. وإذا كان الإسناد في أحدهما مُتصلًا والآخر مُرسلًا أو مُنقطعًا أو معضلًا فالأولى المُتصل، والآخر لا يقدَح في صحَّة الحديث ووجوب العمل به؛ فقد ينسى الراوي بعض المراتب فيحذفه ويتذكَّره في إسنادٍ آخر دون أن يكون بالضرورة أحد الإسنادين كاذبًا، وقد يُحال مثل هذا السند إلى غير المُتصل أو بالأشهر بقوة الحفظ وقُربه أو يرد ويقدح في عدالة الراوي. ويكون في المتن، ويتعرَّض الاضطراب بالقلب والشذوذ.

(ز) المقلوب

وهو في الإسناد كله أو بعضه، وهو تركيب المتن على إسنادٍ آخر أو تركيب الإسناد على متنٍ آخر. هو الذي غُيِّر إسناده فعُزي في مرتبةٍ أو مراتب إلى غير الراوي فيها.[٢٥٩] القلب

[٢٥٤] ابن النفيس ص١٢٥-١٢٦، العسقلاني ص٧١، ١٠٨-١٠٩، الكافي ص٢٧٨-٢٧٩.

[٢٥٥] وإن يكن مُتهمًا به فقط ... فذلك المتروك عند من فرَّط، منظومة ألقاب ص١٢٤، قواعد التحديث ص١٣٥.

[٢٥٦] ابن كثير ص٧٢.

[٢٥٧] ابن النفيس ص١٢٩-١٣٠.

[٢٥٨] ابن الصلاح ص٤٤-٤٥، الجعبري ص٨٥، الذهبي ص٥١-٥٣، العسقلاني ص١٢٦، الكافي ص٢٦٥-٢٧٠، منظومة ألقاب ص١٢٧، قواعد التحديث ص١٣٦، التهانوي ص٤٣، ١٦٥-١٦٦، الاقتراح ص٢٩٦-٣٠٠.

[٢٥٩] ابن كثير ص٦٧-٩١، ١٤٨-١٥٠.

للمتون والأسانيد وجعْل هذا الإسناد لمتنٍ آخر وهذا المتن لإسنادٍ آخر، وهذا يدلُّ على أنه لا تُوجَد صِلة ضرورية بين السند والمتن، وأنها مجرد علاقة خارجية مُمكن فكُّها. هو رواية حديثٍ بإسناد آخر عكسه للترغيب أو الامتحان فيُكرَه أو للتبكيت فيحرُم.[٢٦٠] إذا كانت المُخالفة بتقديمٍ أو تأخير فالمقلوب.[٢٦١] ويُسمَّى أيضًا المُنقلِب.[٢٦٢] والأفضل الحُكم بأنه حديث ضعيف لأنه يجوز التساهُل في الأسانيد أو يُروى بغير إسناد.[٢٦٣]

(ح) المبهم

يفيد المُبهم رفع الإرسال؛ أي التخلِّي عن السند كليةً والعجز عن الحُكم عليه بصرف النظر عن المتن؛ فصحَّة المتن مشروطة بصحة السند. وإذا كان السند مُبهمًا فيمكن الحكم على صحة المتن بوسائل أُخرى مثل المطابقة مع العقل والبديهية أو التجربة الذاتية، كما تُعبر عن نفسها في الأمثال العامية، أو التجربة الشعرية. فكثيرًا ما كان الشعر وسيلةً لتصديق الحديث أو تفسير الآية.[٢٦٤]

(ط) المهمل

إن روي عن اثنين مُتفقَي الاسم ولم يتميَّزا فباختصاصه بأحدهما يتبيَّن المهمل.[٢٦٥] وهو ناتج عن تداخُل الأسماء؛ لذلك كان التحقُّق من المُشكل في الأسماء جزءًا من منطق الرواية. المُهمل حُكم سلبي على المُختلف بعد الإبقاء على المُتفق، ويتعلق بالراوي أكثر ممَّا يتعلق بالسند أو المتن؛ لذلك كثُرت المصنفات عن أسماء الرواة وكُناهم وأنسابهم لرفع التداخُل بينهم.

---

[٢٦٠] الجعبري ص٩١، الذهبي ص٦٠.

[٢٦١] العسقلاني ص١٢٥، الكافي ص٢٦٤-٢٦٥، منظومة ألقاب ص١٣٠–١٣٢.

[٢٦٢] قواعد التحديث ص١٣٠، ١٣٦، التهانوي ص٤٣، الاقتراح ص٣١٧–٣١٩.

[٢٦٣] ابن الصلاح ص٤٨–٤٩، وذلك مثل «إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني.»

[٢٦٤] الجعبري ص١٥٥–١٥٧، العسقلاني ص١٣٤-١٣٥، منظومة ألقاب ص١٨٠–١٨٣.

[٢٦٥] العسقلاني ص١٦٣، منظومة ألقاب ص٩٥، التهانوي ص٤٥.

(ي) الاعتبارات والمتابعات والشواهد

الاعتبارات والمُتابعات هي هذه الروايات لحديثٍ واحد وشهادة بعضها على بعض أو تفرُّد أحدها دون الأخرى.[٢٦٦] هي ما يتفرد به الراوي سواء كان معروفًا أم لا.[٢٦٧] الاعتبار هو النظر في طرُق الحديث ليلحق بنوعه. والمُتابعة رواية راوٍ، ولو بضَعفٍ ما، حديثًا عن شيخه؛ فإنه رواه عنه ثقة غيره فمتابعة، أو عمَّن فوقه فناقصة. والشاهد رواية ثقة معناه، يفيد رجحان القوي وتقوية الضعيف.[٢٦٨] الفرد النسبي إن وافقه فهو المتابع، وإن وجد متنًا يُشبهه فهو الشاهد، وتتبع الطرق لذلك هو الاعتبار.[٢٦٩]

خامسًا: التواتر والآحاد

والعجيب أن التواتر والآحاد؛ قلب السند في علم أصول الفقه، غير مذكورين كثيرًا في عِلم الحديث عند ابن كثير. يبدو أن علم أصول الفقه أكثر تنظيرًا من عِلم الحديث فيما يتعلق بالسند والمتن، وهو يتناول المصدر الثاني للتشريع، وأنَّ عِلم الحديث انشغل كثيرًا بالتواصُل والانقطاع في السند أكثر ممَّا انشغل بحصول اليقين؛ فالسند طُولي فردي وليس بالضرورة مُتعددًا متوازيًا، مُجتمعًا في البداية ومتفرقًا في النهاية.[٢٧٠]

(١) التأليف في الموضوع

وقد بدأ التمييز بين المُتواتر والآحاد في عدَّة مؤلفات أهمها:

(أ) «الآحاد والمثاني» للشيباني (٢٨٧هـ)[٢٧١]

ويدلُّ العنوان على السند؛ فالآحاد في مقابل المتواتر، وهنا في مُقابل المثاني بالنسبة للرواة. وهو تأليف جزئي مُبكِّر في عِلم الحديث. يُصنف الأحاديث طبقًا للرواة، الآحاد والمثاني. ولا يفهرس إلا طبقًا لأسماء الرواة، ويبلُغ عددهم ألفًا ومائتين وخمسين حديثًا؛ ولا تُوجَد

---

[٢٦٦] ابن كثير ص٥٩–٦٠.

[٢٦٧] ابن الصلاح ص٣٨–٤٠ مثل «لو أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به.» «ألا نزعتم جلدها فدبغتموه فاستمتعتم به.» «أيما أهاب دُبغ فقد طهُر.»

مقدمة للكتاب ولا بيان للهدف منه، ولا حتى شرح العنوان. يبدأ بالصحابة ثم التابعين، ويعطي الرواية دون بيانٍ لدرجة صحتها، وقد يكون بعضها موضوعًا، ومع ذلك يجد هوًى في النفس، لذلك وُضِعت. البعض منها طوال بحيث قد يُغطي موضوعاتها أسانيدها. وتعتمد بعض الأحاديث على القرآن لتقدِمتها، كما يعتمد على الشعر.[٢٧٢]

(ب) «تسمية من لم يروِ عنه غير رجلٍ واحد» (٣٠٣هـ)[٢٧٣]

وهي رسالة قصيرة في الرواة، في الراوي الواحد مصدر عدة روايات، مُقابلة بالروايتَين أو الثلاث أو الكثرة من الرُّواة موضوع التأليف فيما بعد. يحتوي على مجرد أسماء أعلام للرواة دون جرح أو تعديل، دون متون. وهم خمسة وعشرون راويًا. مجرد أسماء دون ذكر لتواريخهم أو قبائلهم أو آبائهم أو كنياتهم. ويذكر أسماء من رَوَوا عنهم، وهو واحد فقط. وخبر الواحد اصطلاحًا ليس هو الذي رواه واحد فقط؛ فقد يكون رواه أكثر من واحد، بل هو الذي ينقص أحد شروط التواتر.

(ج) «نظم المُتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني (١٣٢٣هـ)[٢٧٤]

بعد أن انتهت فترة وضع قواعد علم الحديث في السند والمتن بدأت التطبيقات لمعرفة المتواتر من الآحاد، والصحيح من الموضوع، والحسَن من الضعيف. واستمرَّ التأليف في

---

[٢٦٨] الجعبري ص٨٤–٨٥.

[٢٦٩] العسقلاني ص١٠١–١٠٢، الكافي ص٢٩٣–٢٩٧، منظومة ألقاب ص١١٤–١١٧، قواعد التحديث ص١٣٢–١٣٣، التهانوي ص٤٥.

[٢٧٠] ابن النفيس: المختصر ص١٠٥–١٣٠.

[٢٧١] الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحَّاك مخلد الشيباني: الآحاد والمثاني، قرأه وعلَّق عليه الدكتور يحيى مراد، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.

[٢٧٢] السابق ص٩، ١٥، ١٦.

[٢٧٣] الإمام النسائي: تسمية من لم يروِ عنه غير رجل واحد، مجموعة رسائل في علوم الحديث للإمام النسائي والخطيب البغدادي، جمعها وعلَّق عليها السيد صبحي الباري السامرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د.ت)، ص٢١–٢٢.

[٢٧٤] أبو الفيض مولانا جعفر الحسيني الإدريسي الشهير بالكتاني: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

علوم الحديث بشقَّيه النظري والتطبيقي، المنهجي والموضوعي، حتى اليوم؛ فهي دراسة في الحديث المتواتر وحده، اللفظي والمعنوي.[٢٧٥] ومجموع الأحاديث المتواترة ثلاثمائة وعشرة مُستقاة من صحيح البخاري وحدَه، وهو أصح كتب الأحاديث، والمتواتر أصح سندًا ومتنًا، وهي مُرتَّبة طبقًا لأبواب الفقه وأصول الدين بالرغم من التمايُز بين العِلمين، بين الشريعة والعقيدة في ثلاثين كتابًا.[٢٧٦] والخلط بين العِلمين في البخاري أيضًا، وينقل متن الحديث بموضوعه أي مُختصرًا، من قلبه وعبارته المُميزة وليس لفظًا. والتواتر المعنوي مقبول مع التواتر اللفظي، ويتم تخريج الحديث، ومراجعة أقوال العلماء في السند، كما يتم الاعتماد على التأليف السابق والاقتباسات منه بعلامة «أ هـ»، «انتهى».[٢٧٧] وتظهر الشواهد القرآنية والشعرية.[٢٧٨] ويشرح الحديث بالحديث، ويتكرر الحديث في الشرح، ولا تصنف الأحاديث طبقًا لموضوعاتها مثل ما سُمي فيما بعد القدسية التي يتحدَّث فيها الله أو جبريل، أو أحاديث فتن آخِر الزمان، أو الأحاديث السياسية في نقد المُعارضة مثل الخوارج.[٢٧٩]

(٢) نظرية الخبر

ويظهر تحليل السند في نظرية الخبر وقِسمته إلى متواتر وآحاد. صحيح أن المتواتر والآحاد في السند، ولكن صدق الخبر أو كذبه يتعلقان بالمتن.[٢٨٠]

(أ) ألفاظ الرواية

قبل تحليل الخبر تظهر ألفاظ الرواية، وهي على مراتب، من المباشر إلى اللامباشر، ومن القول إلى الفعل، ومن السماع إلى الرواية، ومن شهادة الفرد إلى شهادة الجماعة. جعلها علماء أصول الفقه خمسة، وعلماء الحديث سبعة.

(١) السماع المباشر بألفاظ «سمعت»، «قال لي الرسول»، «شافهني»، «أخبرني»، «أنبأني» دون وساطة.

(٢) السماع عن واسطة مثل «قال الرسول»، «أنبأ»، «حدَّث».

---

[٢٧٥] السابق ص٢٤–٢٥.

[٢٧٦] الفقه (٢١)، السيرة (٣)، المعاد (٣)، القرآن وفضله والدعوات (٢)، الميتافيزيقا (بدء الخلق) (١).

(٣) السماع عن الرسول مما لا ينفي الواسطة وهو مثل المرتبة الثانية.

(٤) السماع «من السنة» ويحتمل الواسطة، وتحول من القول إلى الفعل.

(٥) «كنَّا نفعل» أي في زمن الرسول، وهو فعل لا قول، جماعة لا فرد.

(٦) «أمر الرسول»، «نهي الرسول» دون قول الرسول المباشر أو لِمن يتوجَّه الأمر والنهي. وقد يكون الأمر نهيًا، والنهي أمرًا. وقد تكون حالة خاصة، وليست حالة عامة. وهي مرتبة ضعيفة.

(٧) «أمرَنا»، «حرَّم علينا». وهو أضعف لإدخال الجماعة كطرفٍ في الخطاب دون معرفة هل هي جماعة خاصة أم عامة؟[٢٨١]

(٣) شروط التواتر والآحاد

ويبدأ عِلم الحديث عند ابن النفيس بقسمة نظرية للخبر، وهو ما يحتمل الصدق والكذب أي اليقين. والخبر الصادق ما أتى من الله أو النبي عند السنة، أو الإمام المعصوم عند الشيعة، وهو الخبر المتواتر. والخبر الكاذب هو النقيض؛ أخبار المُبتدعين الذين يقولون بالتشبيه.[٢٨٢] أما الخبر المَظنون الصدق أو الكذب فيقينه في صدق الراوي وكذبه. والسؤال الآن: ما هي معايير الصدق والكذب؟ وكيف يتم مبدأ التصديق؟ إذا رجع الأمر إلى الاتصال مع الرسول عاد الأمر إلى السند. وإذا كان التصديق بالنسبة للمتن فلا يُوجَد إلا ثلاثة معايير للصدق؛ إما تطابق الخبر مع العقل واتفاقه مع البداهة، وفي هذه الحال يكون

[٢٧٧] نظم المتناثر ص١٠، ١٥، ١٠٧.

[٢٧٨] الآيات (١٠)، الأشعار (٣).

[٢٧٩] نظم المُتناثر ص٥٣، ٥٩–٦٠.

[٢٨٠] الجعبري ص٥٣، العسقلاني ص٥٢، ابن تيمية ص١٠٦–١١١، ١١٥–١٢٠، في بيان ألفاظٍ مُستعملة على اصطلاح أهل هذا الشأن، الخبر، الأثر، السند، المتن، الموقوف والمقطوع، المُتصل، الكافي ص١١٥–١٢٥، ماهية الحديث والخبر والأثر، قواعد التحديث ص٦١–٦٤، ١٥١–١٥٢، بيان الحديث القدسي ص٦٤–٧٠، أنواع الحديث، المتواتر والآحاد والمشهور، التهانوي ص٣١–٣٣.

[٢٨١] ابن النفيس: المُختصر ص١٢٧–١٢٨، من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٤٨–١٥٠، الذهبي ص٥٥–٩٨، العسقلاني ص١٦٨–١٧١، ابن تيمية ص٨٧–٩٨، التهانوي ص١٢٦–١٢٧، الاقتراح ص٢٠٥–٢١٠، الجامع ص٢٦٢–٢٦٣.

[٢٨٢] ابن النفيس ٩٩–١٠٢، العسقلاني ص٨٢.

العقل أساس النقل؛ وإما اتفاق الخبر مع الواقع التجريبي، الحاضر أو الماضي، التجربة الحاضرة أو التجربة التاريخية أي الطبيعية، وفي هذه الحالة تظهر ركيزتا الوحي العقل والواقع؛ وإما اتفاق الخبر مع التجربة الحية، أي مع الشعور، أي مع النفس، وهو ما يُسمَّى بلغة القرآن الفطرة أو الصبغة.

والخبر المقطوع بصدقه هو الخبر المتواتر.[٢٨٣] والتواتر لُغةً هو التتابع؛ ورود شيء بعد آخر. وفي الاصطلاح خبر أقوام بلغوا من الكثرة إلى حدٍّ يمنع من توافقهم على الكذب. وعند السمنية والبراهمة لا يفيد إلا الظن لأن السمنية لا تؤمن إلا باليقين الحسِّي، والبراهمة لا تؤمن إلا باليقين العقلي. وعند الكعبي والبصري يفيد العِلم ولكن هذا العِلم ثابت بالنظر؛ فالمعرفة التاريخية في حاجة إلى يقينٍ عقلي.[٢٨٤] والمتواتر ما نقلَه خمسة فأكثر عن عِلم مُستند إلى حِس، ويفيد العلم النظري وأولى بالوجوب والمجاز، ويتفاوت بقوة الشروط.[٢٨٥]

(أ) شروط التواتر

وللتواتر شروط عشرة.[٢٨٦] وفي علم أصول الفقه أربعة فقط:

(١) أن يكون السامع من أهل العِلم، ولا يكون مجنونًا ولا غافلًا ولا سكيرًا ولا طفلًا. وهو شرط بديهي لكل العلوم وليس للتواتر فقط. العقل شرط الفَهم عند السامع؛ وبالتالي يقين المُخبر عند سامعه وليس عند راويه أو مُبلغه.

(٢) ألا يكون لديه عِلم ضروري بثبوت المُخبَر عنه، وإلَّا لما أفاده الخبر بالعِلم أو أن تكون لديه شبهة مانعة كما هو الحال عند الشيعة بالنسبة لبعض أخبار أهل السنة الخاصة بأفضلية الشيخين، وللسنة بالنسبة لبعض أخبار الشيعة الخاصة بالإمامة. فالخبر يُعطي علمًا جديدًا وإلا كان تحصيل حاصلٍ وتكرارًا.

---

[٢٨٣] ابن النفيس: المُختصر ص١٠٥–١٠٧.

[٢٨٤] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٥٠–١٦٧.

[٢٨٥] الجعبري ص٥٤–٥٥، العسقلاني ص٥٨–٦١، ٧٣، الرد على من أنكر الحديث المتواتر، ابن تيمية ص١٥٧–١٥٨، القول في كتاب الحلية ص١٥٩–١٦٣، المتواتر الكافي ص٢٨٦–٢٩١، منظومة ألقاب ص٦٥–٦٧.

[٢٨٦] ابن النفيس المُختصر ص١٠٧–١١٢.

(٣) أن يكون المُخبَر عنه مُمكنًا وهو الاتفاق مع العقل والواقع. وهو أقرب إلى شروط علم أصول الفقه؛ فلا إخبار عن مُستحيل أو خارق للعادة؛ وبالتالي تنتفي أخبار المُعجزات.

(٤) أن يكون الإخبار عن حسٍّ يقيني دون تشبيهٍ كما يُخبر النصارى عن الصَّلب. وهو شرط في عِلم أصول الفقه؛ فلا إخبار عن خيالٍ أو رواية لحلمٍ أو رؤية.

(٥) أن يكون الخبر عن مشاهدة وليس عن حقائق نظرية أو عقائد مثل حدوث العالَم؛ فالإخبار عن حوادث ووقائع.

(٦) أن يكون المُخبَر جازمًا بما أخبر به غير ظانٍّ وإلا لما أفاد القطع للسامع، وفاقد الشيء لا يُعطيه، وهو ما يمنع قبول أخبار الرواة النصارى واليهود، مع أنه يمكن الفصل بين الخبر واعتقاد المُخبِر لِما يُسمَّى بالحياد والموضوعية والأمانة التاريخية؛ فالصدق لا يرويه إلا صادق.[٢٨٧]

(٧) أن يكون المُخبِر موثوقًا به دون إكراهٍ أو مُلاعنة، وهو شرط الراوي في خبر الواحد في عِلم أصول الفقه، وهو المحور الثالث في الخبر.

(٨) أن يبلُغ المُخبرون من الكثرة بحيث يمتنع تواطؤهم على الكذب، سبعون وهو العدد الذي اختاره موسى من قومه، وأربعون لأنه العدد الذي تنعقد به الجمعة، وعشرون لذكره في القرآن.[٢٨٨] وعشرة وهو عدد النقباء، وخمسة، وأربعة ... إلخ. ولكل عددٍ تبرير، إنما هو العدد الذي يحصل به اليقين بصدَد الخبر دون تحديده، وقد يختلف من حالة إلى حالة. وهو شرط العدد الكافي في عِلم أصول الفقه. وهو شرط فيما يتعلَّق بالسند.

(٩) استواء الأطراف والوسط، وهو تجانس الرواية في الزمان في درجة الانتشار ضدَّ مؤامرتي الصمت والذيوع في عِلم أصول الفقه، وهو شرط يتعلق بالسند.

(١٠) اختلاف أنساب المُخبرين، وهو شرط استقلال الرواة في عِلم أصول الفقه، وهو شرط يتعلق بالسند.[٢٨٩]

وهناك أخبار أُخرى مُفيدة للعلم مثل خبر الله. وهو لا يُعلَم مباشرة إلَّا من خلال تبليغ الرسول؛ فالله لا يُخبر أحدًا مباشرةً إلا عن طريق واسطة وهو الرسول. والرسول

[٢٨٧] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٤٢–١٤٨.

[٢٨٨] وذلك في آية ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾.

[٢٨٩] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٥٠–١٥٣.

يُبلغ الناس مباشرة، أو عن طريق الرواية والسماع بعد وفاته. وخبر الرسول صادق في ذاته، يمتنع عليه الكذب كمتن، والقضية في التحقق من اتصال السند. والرسول لا ينطق عن الهوى. وأما خبر مجموع المُسلمين فإنه ينطبق عليه شرط التواتر، والأمة لا تكذب ولا تجتمع على ضلالة نظرًا لكثرة رواتها وتواتر أخبارها. وأما الخبر الذي يسمعه النبي ولا يُنكره فهو صادق بثلاثة شروط: حضور وقت العمل، وبيان ذلك من قبل، ومنع التكرار، وخروجه عن إمكانية التشريع؛ أي الخبر النظري الخالص، وهو الخبر الطبيعي الذي يخرج تلقائيًّا من الفطرة. والوحي والفطرة واجهتان لشيءٍ واحد. والخبر المعتمد على القرائن إن صحَّت، مَدعاة للصدق؛ لأن صدق الخبر في قرائنه أي في صِدقه الداخلي وليس في قائله أو سامعه. أما أخبار اليوم فهي ظنية نظرًا لبُعد العهد وانتهاء عصر التدوين واستقرار عِلم الحديث. أما اتفاق الصحيحَين على الخبر فإنه يُوجِب العِلم به وليس بالضرورة إفادته للعِلم.[٢٩٠] فالعمل مُقدَّم على العلم. العمل حاجة عاجلة، والعِلم مطلب آجِل.

(ب) خبر الواحد

ليس خبر الواحد ما يرويه الواحد بل هو الذي ينقصه أحد شروط التواتر؛ فهو تعريف بنفي الضد. فالتواتر هو الأصل، والآحاد الفرع. وأنواعه هي المشهورة المعروفة في علم مصطلح الحديث الخاصة بالسند؛ ثلاثة وعشرون نوعًا.[٢٩١]

الآحاد ما نقله ثلاثة فأقل أو اختل الأكثر.[٢٩٢] هو ما ينقله عدل تام الضبط مُتصل السند غير مُعلل ولا شاذ، وهو الصحيح لذاته.[٢٩٣] وتتفاوت رُتَبه بتفاوت الأوصاف. فإن خفَّ الضبط فالحسن لذاته ويُصحح بكثرة طرُقه. وللتردُّد في النقل حقُّ التفرد. وإلا

---

[٢٩٠] ابن النفيس المُختصر ١١٣–١١٥.

[٢٩١] المرفوع، الموقوف، الصحيح، المُتفق عليه، الحسَن، القوي، الضعيف، المتصل، المنقطع، المعضل، المعنعن، المسند، المشهور، المستفيض، الشاذ، المنكر، المعلل، المضطرب، المقلوب، الموضوع، المردود، المسلسل؛ ابن النفيس: المختصر ص١٢١–١٢٦.

[٢٩٢] الجعبري ص٥٥.

[٢٩٣] العسقلاني ص٨٢–١٠٦، ابن تيمية ص٦٥–٦٨، منظومة ألقاب ص٦٧–٧٢، قواعد التحديث ص١٥٢–١٥٥، الكفاية ص٢٢–٢٣، ٢٨–٣٣.

لزم إسنادان. الزيادة فيه في الرواة مقبولة ما لم تقع مُنافية لما هو أوثق. فإن خولف بأرجح، فالراجح المحفوظ ومُقابله الشاذ. ومع الضعف، الراجح معروف ومقابله المنكر. والفرد النسبي إن وافقه فهو المتابع، وإن وُجِد متن يشبهه فهو الشاهد. وتتبُّع الطرق في ذلك هو الاعتبار. ثم المقبول إن سلِم من المعارضة فهو المُحكم، وإن عورض بمِثله فإن أمكن الجمع فهو مختلف الحديث أولًا. وإن ثبت المتأخر فهو الناسخ والآخر المنسوخ وإلا فالترجيح ثم التوقف. فكل أنواع السند من الآحاد.

وخبر الواحد ظني في العِلم يقيني في العمل كما قرر علماء أصول الفقه. والعمل به اضطرار في الشهادات والفتوى وأمور الدنيا. ولا يمكن وصول التبليغ لكل الناس تواترًا وإلا بطل الشرع بالنسبة لمن لم يبلُغه. أما في الأمور الاعتقادية فاليقين فيها ضروري. العمل يستدعي السرعة والإنجاز ولا يتحمَّل انتظار اليقين.[٢٩٤]

ويرد خبر الواحد إذا خالف سنَّةً متواترة أو مشهورة أو على خلاف رواية الجماعة.[٢٩٥] وقد يُقبل خبر الواحد في موضوعٍ ولا يُقبل في آخر.[٢٩٦] وإذا قَبلت الأمة الآحاد فقد يُصبح متواترًا عند الحنفية.[٢٩٧] ويتصارع موقفان إذا ما حدث تعارُض بين خبر الواحد ودليل العقل؛ الأول ترجيح خبر الواحد وقول الصحابي التابعي على الرأي. وقول الصحابي المجتهد فيما النص فيه حجة تَرجح على القياس. وكذلك قول التابعي الذي أفتى زمن الصحابي. والثاني ترجيح الرأي على خبر الواحد. وإعراض الأئمة في الصدر الأول عن خبر الواحد إلى الرأي دليل على انقطاعه. وعدم اهتمام الصحابة بفعلٍ تتوفر دواعيه دليل على كراهيته. وترك العمل بالحديث زمن الصحابة أو التابعين دليل على نسخه أو ضعفه.

(ج) التعارُض والتراجيح

إذا تعارض في الحديث الإرسال والاتصال أو الوقف والرفع من الثقات الضابطين فالصحيح الوصل والرفع.[٢٩٨] والحديث غير المرفوع والمرفوع المرجوح قد يقوم على الراجح بقرائن

[٢٩٤] ابن النفيس: المختصر ص١١٩–١٢٠؛ من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٥٣–١٥٨.

[٢٩٥] التهانوي ص١٢٥–١٣٧.

[٢٩٦] الكفاية ص٧٣٧.

[٢٩٧] التهانوي ص٦٢–٦٣.

[٢٩٨] السابق ص١١٨، ٢٨٨–٣٠٤، الكفاية ص٣٧١–٣٧٥.

تفيد صحته.[٢٩٩] الأمر اعتباري خالص. لا يُوجَد تعارُض ولا تدافع في الحجج الشرعية في نفس الأمر بل في نفس العالم في نظرِه إلى النصوص وتوهُّم النسخ؛ فالتعارُض والتراجيح في الذهن وليسا في الواقع، في الاتساق المنطقي وليسا في تعقيد الواقع. والإثبات مُقدَّم على النفي؛ فالإثبات حكم، والنفي مجرد رفض. يقع التعارض بين حُكمَين مُثبتَين وليس بين حكمٍ مُثبت وآخر منفي. ويصح التعارض في بعض الأخبار وليس في كلها. وهنا يأتي الترجيح لتقديم أحد الخبرين على الآخر. وإذا تعارَض الحديثان في الصحيحين يُرجَّحان من الخارج وليسا من الداخل؛ أي بعوامل خارجية وليس بعوامل داخلية مثل الاتفاق مع حديثٍ آخر أو مع الكتاب، وليس شكًّا في السند أو في المتن.[٣٠٠] والترجيح لا يكون بكثرة الأدلة أو الرواة، بل هو حُكم اعتباري وإحساس عام بأولوية حديثٍ على آخر؛ فهو ترجيح كيفي وليس ترجيحًا كميًّا، ويكون إما طبقًا للسند أو للرواية أو إلى المدلول والحكم أو إلى أمر خارجي، وهو مُرتبط بعِلم أصول الفقه وأدلة الشرع الأربعة وترجيح الأول على الثاني، القرآن على السنة، والسنة على الإجماع، والإجماع على القياس، ويمتدُّ إلى علم الحديث وترجيح الرواية باللفظ على الرواية بالمعنى، والعام على الخاص، واليقيني على الظني، والحقيقة على المجاز.[٣٠١]

سادسًا: مناهج النقل الكتابي

وكتابة الحديث وضبطه وقيده ليس نوعًا بل هو جزء من مناهج النقل الكتابي.[٣٠٢] وهو مكروه بناء على قول الرسول.[٣٠٣] وهو مُعارَض بقولٍ آخر يُجيز الكتابة.[٣٠٤] فإذا جاز فمِن الضروري الضبط والتشكيل والإعراب والتوضيح والتدقيق والمقابلة مع الأصل إذا كان نسخًا. وهذا كله يتعلق بالمتن وليس بالسند. وقد يبدأ الموضوع بتحليل أهلية التحمُّل وفنِّه وزمان كتابته وأول زمانٍ يصحُّ فيه سماع الصغير.[٣٠٥]

---

[٢٩٩] السابق ص٦٠، ١٦٧–٢٨٧.

[٣٠٠] التهانوي ص٦٤، الرفع والتكميل ص١٢٩–١٨٦.

[٣٠١] التهانوي ص٢٩٤–٣٠٤.

[٣٠٢] ابن كثير ص١٣٢–١٣٩، أقسام تحمُّل الحديث، قواعد التحديث ص٢١١–٢١٣.

[٣٠٣] «من كتب عنِّي شيئًا سوى القرآن فليمحه.» السابق ص١٣٢.

[٣٠٤] «اكتبوا لأبي شاه.» السابق ص١٣٢.

(١) طرق نقل الحديث

ومع ذلك فهناك طرُق لنقل الحديث يُجملها القدماء في ثمانية.[٣٠٦] وهي ليست أنواعًا بل شروطًا لكل الأنواع المتعلقة بالراوي وليست بالسند أو المتن.[٣٠٧]

(أ) السماع

وهو السماع من لفظ الشيخ إملاءً أو تحديثًا من غير إملاء، حفظًا أو كتابة. وهو أرفع الأقسام، ولفظه «سمعتُ»، وليس «أجزنا»، أو «سمِعنا» أو «حدَّثنا» أو «أنبأني»؛ حتى يكون السماع مباشرًا وفرديًّا وليس جماعيًّا. والسماع المباشر أفضل من السماع المتوسِّط. وتُسمَّى أيضًا المشافهة؛ أن يقرأ الشيخ من خاطره أو من أصله المُدوَّن.[٣٠٨]

(ب) القراءة على الشيخ

وهو العرض والسماع حفظًا أو مِن كتاب في ثقافةٍ تقوم على الحفظ والنقل. والأفضل حفظ الشيخ نسخته أو تكون من النسخة بيده. ولا يشترط تفسير الشيخ بما قرئ عليه نطقًا بل يَكفي سكوته وإقراره. ولو كان السامع بمُفرده قال «حدثني» أو مع جماعة فيقول «حدَّثنا». والسؤال هو: هل يجوز للناسخ أن يتدخَّل ويقول «حدثني» أو «حدثنا» أو يكفي أن يقول «حضرت»؟ فالحضور لمن يفهم ومن لا يفهم، والقارئ أفضل من السامع لأنه يتحقَّق من القراءة. والسامع أفضل في فَهم المعنى والتركيز عليه، وله عدة صور:

(١) إذا كان أصل الشيخ بيد غيره موثوق به فلا حرج، وإذا كان الشيخ لا يحفظ ما يكتُب فإنه أضعف من الحفظ. ولا يجوز التبديل في الكتب المصنفة، والإجازة والمناولة.[٣٠٩]

---

[٣٠٥] الكافي ص٤٦٥–٤٧١.

[٣٠٦] ابن الصلاح ص٦٢–٨٧.

[٣٠٧] ابن النفيس ص١٣٥، الجعبري ص١٠٤–١١٦، الكفاية ص٢٧١–٢٨٦، ابن كثير ص١٠٨–٢٣١.

[٣٠٨] ابن الصلاح ص٦٢–٦٤، الجعبري ص١٠٤، الكافي ٤٧٣–٤٧٥، توسُّع الحفاظ في طبقات السماع، قواعد التحديث ص٢٢٧–٢٢٨.

(٢) إذا قال السامع «أخبرني» والشيخ ساكت، كانت القراءة مقبولةً أو «حدَّثني». ولفظ «أخبرَنا» أقل يقينًا لعدم تحديد السامع.
(٣) ويجوز «حدَّثنا» إذا كان بحضور الجمع.
(٤) من ينسخ وقت القراءة يُقلِّل الانتباه.
(٥) من يُحدِّث وقت القراءة أيضًا يقلل الانتباه.
(٦) يجوز السماع من وراء حجاب.
(٧) بعد السماع لا يجوز منع الشيخ من روايته.[٣١٠]

وقد يُرخَّص في العرض على العالِم ورؤيته سماعًا. وقد يُكتَب بالإجازة من بلدٍ إلى بلد إخبارًا. وقد يُرفَض كلاهما إيثار الشرح حال الرواية. وشرط العرض أن يكون الراوي حافظًا مُتقنًا حتى تتمَّ الاستفادة منه. ومنهم من كان من أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة ومصر والشام وخراسان.[٣١١]

(ج) الإجازة

وهي متنوعة:[٣١٢]

(١) إجازة مُعيَّن في مُعيَّن.
(٢) إجازة مُعيَّن في غير مُعيَّن.
(٣) إجازة غير مُعيَّن لمعيَّن.
(٤) إجازة مجهول لمجهولٍ أو غير مُعيَّن لغير مُعيَّن.
(٥) الإجازة لمعدوم مثل الطفل الصغير والجنين.

---

[٣٠٩] ابن الصلاح ص٦٤–٧١، الجعبري ١٠٥–١٠٨، العسقلاني ص٢٠٧، الكافي ص٣٩٤–٤٧٥، «وهذا هو الواقع في زماننا اليوم.» ابن كثير ص١١٦.

[٣١٠] ابن النفيس ص١٤٥.

[٣١١] النيسابوري ص٢٥٦–٢٦١.

[٣١٢] ابن الصلاح ص٧٢–٧٩، الجعبري ص١٠٨–١١٢، ١١٤-١١٥، العسقلاني ١٣٥، الكافي ص٤٩٤–٥١٤، قواعد التحديث ٢١٣–٢٢٤، الكفاية ص٢٩٠–٢٩٦، ٢٩٩–٣٠٥.

(٦) إجازة ما لم يسمعه المُجيز ولم يتحمَّله أصلًا ليرويه المُجاز له إذا تحمَّله المجيز بعد ذلك. وهي الإجازة بما سيتحمَّل سواءً في المستقبل أو على الإطلاق.[٣١٣]

(٧) إجازة المجاز خاصة إذا كان المُجيز عالمًا أو كاتبًا.

وقد تمَّ التأليف في أحد الموضوعات التفصيلية للإجازة وهو.

«الإجازة للمعدوم والمجهول» للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)[٣١٤]

وبالرغم من أن مفهومَي المعدوم والمجهول فلسفيَّان إلا أن الإجازة مفهوم في عِلمي الحديث وأصول الفقه، في طرُق التعلُّم والنقل الشفاهي. وهي رسالة في علم مصطلح الحديث بعد أن تكوَّن من قبل، نظرية خالصة، لا تعتمد على شواهد نقلية من القرآن أو الحديث أو الشعر. والإجازة عند علماء الحديث نوع من أنواع التحمُّل الثمانية. والتحمُّل هو أخذ الحديث وتلقِّيه وروايته عن الشيخ. وطرُق التحمُّل ثمانية: السماع، القراءة، الإجازة، المناولة، الكتابة، الإعلام، الوصية، الوجادة. وهي مصدر العِلم، وهي عدة أقسام: الإجازة لُعيَّن في مُعين، إجازة مُعين لغيره، إجازة غير المُعين بوصف العموم، إجازة المجهول للمجهول، الإجازة للمعدوم، إجازة ما لم يسمعه المُجيز، إجازة المجاز.

(د) المناولة

وهي نوعان:

(١) المناولة المقرونة بالإجازة إما على الإطلاق أو جزئيًّا أو يناول الشيخ الطالب كتابه ويُجيز له روايته.

(٢) المناولة المُجردة عن الإجازة.

---

[٣١٣] ابن النفيس ص١٣٩–١٤٣.

[٣١٤] الخطيب البغدادي: الإجازة للمعدوم والمجهول، مجموعة رسائل في علوم الحديث للإمام النسائي وللخطيب البغدادي، حقَّقها وعلَّق عليها السيد صبحي الباري السامرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د.ت)، ص٧٩–٨٣.

والمناولة لها صور أربع: الأولى مناولة الشيخ للطالب والسماح له بالرواية أو النسخ؛ والثانية عرض المناولة، أن يأتي الطالب للشيخ بالكتاب فيسمح له به للرواية منه؛ والثالثة أن يسمح الشيخ للطالب بالرواية من الكتاب دون مناولته له. والرابعة إعطاء الطالب الكتاب للشيخ وطلبه أن يناوله الشيخ إيَّاه. والمناولة بدون الإجازة لا تصحُّ بها الرواية وقد تصح. وألفاظها: «أخبرَنا»، «حدَّثنا»، «أنبأنا».[٣١٥]

(هـ) المكاتبة

وهو أن يكتب الشيخ إلى الطالب شيئًا من حديثه بخطه أو وهو حاضر. وقد تتجرَّد المكاتبة عن الإجازة وقد تقترِن بها، وهي الإجازة المُدوَّنة وليست الشفاهية.[٣١٦]

(و) الإعلام

وهو إعلان الراوي الطالب بأن هذا الحديث أو هذا الكتاب سمِعه من فلان وإجازة روايته عنه؛ هو إعلام الشيخ أنَّ هذا الكتاب سمِعه من فلان من غير الإذن في روايته.[٣١٧]

(ز) الوصية

وهو أن يوصي الراوي بكتابه يُروى عنه لموته أو سفره؛ فقد كان العِلم متوارثًا من الآباء إلى الأبناء.[٣١٨]

(ع) الوجادة

وهي أخذ العِلم من صحيفةٍ من غير سماعٍ ولا إجازة ولا مناولة. وهو حال العلماء اليوم، وصعوبة التعرُّف على الخطوط أو انتهاء عصر الخطوط ببداية الطباعة؛ هو وجود حديث أو كتاب بخطٍّ شخصٍ بإسناده. وكلها مصطلحات عادية لأمور بديهية تضمَن

[٣١٥] ابن الصلاح ص٧٩–٨٣، الجعبري ص١١٢، ١١٥، الكافي ص٥١٥–٥٢٣، الكفاية ص٢٨٧–٢٩٠.

[٣١٦] ابن الصلاح ص٨٣-٨٤، الجعبري ١١٢-١١٣، ١١٦، الكافي ص٥٢٤–٥٢٧، الكفاية ص٢٩٧–٢٩٩، ابن النفيس ص١٤٧–١٤٨.

عدَم التحريف إلى الحد الأقصى وضمان عدَم تدخُّل يدٍ غريبة في النص المدوَّن بالزيادة أو النقصان.[٣١٩]

(٢) تداخل النقل الشفاهي والنقل الكتابي

وقد تتداخَل مناهج النقل الشفاهي مع مناهج النقل الكتابي في رواية الحديث وشروط أدائه.[٣٢٠] فماذا تشترط الرواية من الحفظ ومن الكتاب الذي في اليد، ومن النسخ غير المقابل، والرواية بالوصية والإعلام والمناولة المجردة، والرواية من الكتاب، ورواية الضرير واستعانته بالمأمونين، والإقراء من نسخة لم يسمعها ولم يُقابلها؟ ماذا يفعل الراوي إذا وجد في كتابه خلاف ما يحفظه وإذا وجد سماعه في كتابٍ وهو غير ذاكرٍ له؟[٣٢١]

ولرواية الحديث شروط أداء بين التشدُّد والتساهُل، بين الإفراط والتفريط. ومن التشديد الحجة فيما رواه الراوي من حفظه وتَذكره.[٣٢٢]

(أ) قبول رواية الضرير الذي لم يحفظ من فم مَن حدَّثه بل استعان بالمأمونين في ضبط سماعه وحفظ كتابه.

(ب) عدم قبول رواية كتاب سمِعه من نسخةٍ غير التي سمِعها ولا مُقابلة بها بل فعل ذلك الشيخ.

(ج) إذا اختلف الحفظ عن المكتوب تتمُّ المراجعة على السماع أو على الكتابة.

(د) إذا نسيَ الراوي سماعه ووجدَه في كتابه تُقبَل الرواية، ولا تُقبَل بمُرجِّح آخر.

(هـ) الرواية بالمعنى جائزة إذا كان الراوي خبيرًا بالألفاظ ومعانيها، وغير جائزة إن لم يكن كذلك.

---

[٣١٧] ابن الصلاح ص٨٤-٨٥، الجعبري ص١٣٣، ١١٦، الكافي ص٥٢٧–٥٢٨، ابن النفيس ص١٤٩.

[٣١٨] ابن الصلاح ص٨٥، الجعبري ١١٣، ١١٦، الكافي ص٥٢٨–٥٢٩، الكفاية ص٣٠٥-٣٠٦، ابن النفيس ص١٥١، العسكري ص١٧٢–١٧٤.

[٣١٩] ابن الصلاح ص٨٦-٨٧، الجعبري ص١١٣-١١٤، الكافي ص٥٣٠–٥٣٥، الكفاية ص٣٠٧–٣٠٩.

[٣٢٠] الكافي ص٥٧٣–٦٣٢.

[٣٢١] السابق ص٥٧٣–٥٨٢.

[٣٢٢] ابن الصلاح ص١٠٢–١١٨، الجعبري ص١٢٦–١٣٣.

(و) التنبيه على الرواية بالمعنى بلفظ «أو كما قال».

(ز) عدم جواز اختصار الحديث ورواية بعضه دون البعض. ويجوز في حالة النقل بالمعنى.

(ح) عدم جواز رواية حديثٍ بقراءة لحَّان أو مُصحِّف حتى لا يتدخَّلا في المعنى عن طريق الألفاظ صوتًا أو كتابة.

(ط) عدم جواز وقوع لحنٍ أو تحريف في الرواية وإلا لا تقبل.

(ي) جواز زيادة الساقط إن لم يتغيَّر المعنى.

(ك) رواية حديث من اثنَين مُتطابقَين في المعنى دون اللفظ يحتاج إلى مُرجحٍ آخر في الإسناد.

(ل) عدم جواز زيادة نسب فوق الشيخ من رجال الإسناد حتى لا تزداد الثقة فيه.

(م) عدم جواز حذف «قال» من رجال الإسناد.

(ن) ذكر السند الواحد للحديث احترازًا.

(س) جواز تقديم المتن على السند أو بعضه.

(ع) جواز الرواية لحديثٍ بإسنادٍ واحد بالرغم من وجود إسنادين، والأفضل عدم الجواز لضرورة مُطابقة الإسنادين.

(ف) ذِكر المتن كله وليس جزء منه.

(ص) عدم جواز تغيير النبي إلى الرسول أو العكس حتى لا يختلف المعنى.

(ق) ذكر الصيغة التي بها بعض الوهن في الرواية.

(ر) ذكر المجروح في الإسناد للتنبيه.

(ش) عدم الجمع بين حديثين من شيخَين والإبقاء على تفرُّد كلٍّ منهما بحديثه.

وشروط الرواية شفاهًا أو كتابةً أربعة:

(أ) حفظ فنِّ الحديث وسندِه ممَّا يتطلب سلامة الحفظ في الرواية الشفاهية.[٣٢٣]

(ب) رؤية كتاب صحيح أو بالسماع، وتكون الرواية عن الكاتب بعد إجازته في الرواية الكتابية.

---

[٣٢٣] ابن النفيس ص١٧٣.

(جـ) جواز الرواية لغير الحافظ من كتاب يُقابل عليه الحافظ، والوثوق بصحته. وإذا تعارَض الحفظ مع القراءة فالأولوية للحفظ والإعلان على الخلاف بين القراءة والكتابة. وإذا خالفَه آخر يُعلن عنه.

(د) جواز الرواية بالمعنى إذا لم يُخِل بشيء[٣٢٤] ويجوز للعجمي التفسير.

(هـ) ولا يجوز تفريق النسخة المُدرجة وتجديد الإسناد في أوَّلها لمتونها للصلة الوثيقة بين السند والمتن، واشتراط القدماء صحَّة المتن بصحة السند.[٣٢٥]

والمذاكرة طريق المعرفة. وتعني تذكُّر الحديث شفاهًا أو تدوينًا.[٣٢٦] وهي ليست المذكرات المحفوظة التي يتدرَّب عليها الطلاب اليوم في المعاهد الأزهرية، بل والجامعات الإسلامية. وللحفظ عن المُحدِّث كيفية خاصة؛ إذ يعيد المُحدث حال الرواية ليحفظ. ويذاكر الطلبة بالحديث بعد حفظه ليثبت. ويُكتب عن المحدث في المذاكرة.[٣٢٧]

ومن درس في كتابه بعض الإسناد والمتن هل يجوز له استدراكه من كتب غيره؟ كيف يمكن حل التعارُض بين الشفاهي والمدوَّن؟ وأشكال التعارُض كثيرة، فقد يجد المحدِّث في أصل كتابه كلمةً من غريب اللغة غير مقيدة. وقد يسمع مُحدث من بعض الشيوخ أحاديث لم يحفظها ثم وجودها مكتوبة. وتُكرَه الرواية من كتاب الطالب إذا لم يُحضر الأصل، لأنه من الضروري مقابلة الكتاب المنسوخ بالأصل. وقد يُلقن الضرير ما في أصل كتابه وروايته.[٣٢٨]

(٣) كتابة الحديث

كتابة الحديث بالرغم من أنه مكروه إلا أن هناك قواعد لضبطه، أهمها: ضبط المُلتبس من الأسماء لصعوبة تدارُكها بالمعنى أو السياق، وضبط الألفاظ، وتكبير الخط، والتحقيق

---

[٣٢٤] نظرًا لقول الرسول «إذا أصبتُم المعنى فلا بأس.» استفهام الكلمة والشيء من غير الراوي وغيره، السابق ص٧٠–٧٣، يضم السماع قبل البلوغ، السابق ص٧٣-٧٤.

[٣٢٥] الكفاية ص١٩٣-١٩٤.

[٣٢٦] النيسابوري ص١٤٠–١٤٦.

[٣٢٧] الجامع ص١١٠–١١٥، ٢٥٠–٢٥٣.

[٣٢٨] الكفاية ص٢٢٣–٢٢٨.

فيه دون الكشط والتعليق، وضبط الحروف المُعجمة بالنقط، وعدم اصطلاح ما لا يفهمه الغير، والفصل بين الحديثين بدائرة، واستكمال الكلمة المُركبة مثل عبد الله في سطرٍ واحد، وإضافة الصلاة والتسليم على الرسول أو مرموزه بحرف، ومقابلة الكتاب بأصل السماع، وتخريج الساقط في الحواشي، والتصحيح والتضبيب والتمريض وهما ضدَّ التصحيح بعلامة صح. والضرب أو الحك أو المحو ليس من الكتابة. والإبقاء على اختلاف الروايات مع ضبط الاختلافات، والحرص من اختصارات الكلمة إلى نصفها مثل «ثنا» لكلمة حدثنا، وكتابة اسم الشيخ الذي سُمع منه بعد البسملة من الكتابة.[٣٢٩]

وكتب الحديث طبقات.[٣٣٠] الأولى المُوطأ والبخاري ومُسلم. والثانية سُنن أبي داود، وجامع الترمذي، ومُجتبى النسائي. والثالثة صُنعت قبل البخاري مثل مُسند أبي يعلي. وكان القصد الجمع وليس التلخيص أو التهذيب. والرابعة كتب الوعَّاظ كابن حبان. والخامسة كتب الفقهاء والصوفية، ولكل منها رموز. ومن الضروري المقابلة على الأصل، ولا يجوز الاحتكام في الأحكام بجميع ما في هذه الكتب. ولا يتعذَّر التصحيح في الأزمان المتأخرة.

(أ) التصحيفات في المتون

وتعني الخطأ في القراءة والكتابة في عصرٍ لم يكن التنقيط والتشكيل قد تمَّ بعدُ، مثل «غبينا» تقرأ «عنينا» و«يخبًّا» تقرأ «عنا».[٣٣١]

والمُصحَّف هو تغيير اللفظ أو المعنى.[٣٣٢] وقد يكون في الإسناد إما تصحيف البصر أو تصحيف السمع.[٣٣٣] وقد يُضاف إليه تصحيف اللفظ. كلها أخطاء يُعذَر فيها. يقع التصحيف في المتون وأسانيدها وهي طريقة قراءة الحروف. ويتعلم المحدث النحو العربي،

---

[٣٢٩] ابن الصلاح ص٨٧–١٠٢، مثل حديث «اكتبوا لأبي شاه.» ص١١٦–١٢٤، الكافي ص٥٣٦–٥٥٨.

[٣٣٠] في كتب الحديث، قواعد التحديث ص٢٤٧–٢٧٦.

[٣٣١] النيسابوري ١٤٦–١٤٩، ابن الصلاح ص١٤٠–١٤٣ مثل ابن مزاحم وليس ابن مراحم، احتجر وليس احتجم، وأُبَي وليس أَبِي، ومصيرهم وليس مصر في «سأريكم دار الفاسقين»، شيئًا وليس ستا.

[٣٣٢] الجعبري ص٩٢-٩٣، الكافي ص٣١٠–٣١٣، ٥٩٧–٦٠١، المُصحَّف والمُحرَّف منظومة ألقاب ص٣٥–٣٦، قواعد التحديث ص١٢٩-١٣٠.

[٣٣٣] مثل الأحول وليس الأحدب.

ويتجنَّب اللحن والتصحيف. وقد تُحمل الكلمة والاسم على الخطأ والتصحيف عن الراوي، فالواجب روايتها على من حملها عنه ثم يُبين صوابها. وتغيير نقط الحروف إحالة وتصحيف، وكذلك إبدال حرف بحرف. وقد يُصلح المحدث كتابه بزيادة الحرف الواحد فيه أو بنقصانه. وقد يتم إصلاح الكلمة التي لا بدَّ منها كابن في النسب وأبي في الكنية. وقد يلحق الاسم المتيقن سقوطه في الإسناد.[٣٣٤]

(ب) التصحيح والتضبيب والتمريض

التصحيح كتابة صح على كل كلمة. والتضبيب والتمريض كتابة على كلام صحَّت روايته في الأصل وظاهر خلل لفظًا أو معنى خطأ، الضاد للمرضى أو لضبة القفل لإغلاقه. وهناك فرق بين الضرب والمَحو. الأول تصحيح والثاني تخطئة. وللحك والكشط مفاسد، منها ذريعة التحريف والتغيير والتبديل. وقد تُختصر بعض الألفاظ تجوزًا.[٣٣٥]

وهناك حاجة إلى جمع كتب الحديث على العموم، المُسندات إلى النبي، والمُرسَلات عن النبي، والموقوفات على الصحابة، والمقاطيع الموقوفات على التابعين، وأحاديث الضعاف ومن لا يُعتمَد على روايته، وأحاديث التفسير والمغازي، وحروف القراءات، وأشعار المُتقدِّمين، وكتب التواريخ، وكتب الحفَّاظ في الجرح والتعديل، وكتب الأحاديث العادة، وكتب الطرق المختلفة، وما لا يفتقر كتبه إلى الإسناد.[٣٣٦]

ومن هو الحافظ؟ ومن يجوز إطلاق اللفظ عليه؟ قد يكون مَن يُكثر من الرواية.[٣٣٧] ولا تقتصر مهمَّته على الحفظ والرواية فقط، بل عليه بيان أحوال الكذَّابين والنكير عليهم وإنهاء أمرهم إلى السلاطين.[٣٣٨] والحقيقة أنه لا يجب إدخال السلطة في شئون العِلم وأمور العلماء. ومع ذلك يبقى سؤال: هل يجوز الانتقاء من الحديث والانتخاب حين العجز عن

[٣٣٤] الكفاية ص٢١٧–٢٢٣، أخبار الوهم والتحريف والمحفوظ عنهم من الخطأ (التصحيف)، الجامع ص١٤٥–١٥٥.

[٣٣٥] الجعبري ص١٢٤-١٢٥، العسقلاني ص١٢٧، الكافي ص٥٥٨–٥٧٢، باب المقابلة وتصحيح الكتاب، الكفاية ص٢١١–٢١٣.

[٣٣٦] الجامع ص٢٥٠–٢٧٢.

[٣٣٧] الجامع ص٣٤٣–٣٤٩.

[٣٣٨] السابق ص٣٤١–٣٤٣.

روايته أو كتابته على الوجه الأكمل؟ يجوز رسم الحافظ العلَّامة على ما ينتخبه، وهو انتقاء مُوجَّه. ويجوز استثبات الحافظ ما شكَّ فيه من كتاب غيره أو حفظه.[٣٣٩] لذلك قد تَذكُر بعض الروايات «حدَّثنا فلان»، «ثبتنا فلان».

ويُصنف الحديث حين التدوين والجمع والتصنيف إما على أبواب الفقه أو على طريقة المُسند؛ أي الموضوع، والراوي أي المتن والسند، الأبواب والسنن. وكلاهما ضروري؛ الموضوعات والرواة، أبواب الفقه، ومسانيد الصحابة، وتخريج الأول على الثاني، الأبواب والتراجم.[٣٤٠]

(٤) آداب الكتابة

وللحديث المدون آداب في كتابته.[٣٤١] منها:

(أ) ضبط الإسناد والمتن وإيضاح التشكيل مع الاعتناء بأسماء البلاد الأعجمية والعربية، وتكبير الخط، ووضع علامات الإهمال والإعجام، وعدم استعمال اصطلاحات خاصة، ووضع دائرة للفصل بين كل حديثين، والأدب في كتابة الأسماء المُعينة والصلاة على النبي.

(ب) المقابلة بأصل السماع، والكشف عن الإشكال وضبطه سواء في اللفظ أو في المعنى، والتضبيب وكتابة الصواب في الحاشية، وعدم رواية اللفظ المُحتمل لا صوابًا ولا خطأ، والتصحيح والتمريض.

وقد يجوز حذف بعض الحديث ورواية باقيه، وقد لا يجوز.[٣٤٢] والأرجح أنه لا يجوز لأن المتن وحدةٌ واحدة وليس مجموعة من الأجزاء المُركبة. كما لا يجوز تقطيع الحديث وتفريقه على الأبواب؛ فقد يكون هناك ترابط خفي بين الأجزاء.[٣٤٣] ويجوز إصلاح ما في

---

[٣٣٩] الجامع ص٢٤٠–٣٣٢، الكفاية ص١٩٥–١٩٧.

[٣٤٠] الجامع ص٤١٥–٤٣٣.

[٣٤١] آداب كتابة الحديث، الاقتراح ص٣٧٨–٣٩٦.

[٣٤٢] الكافي ص٥٩٢–٥٩٥.

[٣٤٣] السابق ص٥٩٥–٥٩٧.

الكتاب بزيادةٍ أو نقصان، إكمالًا للمتن نظرًا لوحدته.[٣٤٤] وإذا أرسل الراوي الحديث فإنه لا يجوز لِمن يسمعه أن يلفته، ويقود الإسناد على المتن.[٣٤٥] فالسند وسيلة، والمتن غاية. ولا يجوز للمُحدث أن يروي حديثًا ثم يُتبعه بإسنادٍ آخر نظرًا للصلة الوثيقة بين السند والمتن.[٣٤٦] ويجوز للمُحدث أن يروي عن شيخ ينسبه فيه ثم يروي بعده عن ذلك الشيخ في تعارُض بين النسيب والرواية.[٣٤٧] وإذا نسي الحافظ حديثًا سمِعه من شيخ لم يجُز له أن يرويه عنه بل يرويه نازلًا عمَّن ضبطه عن ذلك الشيخ.[٣٤٨] فلا يجوز تغيير السند أو أحد وسطائه. وإذا خالفه أحفظ منه فهل يحكي خلافه له في روايته؟[٣٤٩] وهي مسألة نسبية تقديرية. لا يُعتد بحديث السيئ الحفظ إلا بما رواه من أصل كتابه.[٣٥٠] ومن كان مُعوَّله على الرواية من كتُبه لسوء حفظه، فله شرائط تُلزمه.[٣٥١]

وإذا سمع كتابًا من جماعةٍ وقابله بأصل بعض دون بعض يذكر جميعهم في الإسناد.[٣٥٢] وقد يجد في كتابه خلاف ما حفظ من المُحدث.[٣٥٣] وقد يروي المُحدث عن السلف إجازة الرواية من الكتاب الصحيح وإن لم يحفظ الراوي ما فيه.[٣٥٤] وقد يجد راوٍ في كتابه بخطه حديثًا ويشك هل سمِعه أم لا.[٣٥٥] وهناك ما يجِب ضبطه واحتذاء الأصل فيه وما لا يجِب.[٣٥٦]

---

[٣٤٤] السابق ص٦٠١–٦٠٣.

[٣٤٥] الكفاية ص١٩٠-١٩١.

[٣٤٦] السابق ص١٩١–١٩٣.

[٣٤٧] السابق ص١٩٤–١٩٥.

[٣٤٨] السابق ص١٩٨–١٩٩.

[٣٤٩] السابق ص٢٠٠–٢٠٢.

[٣٥٠] السابق ص٢٠٠.

[٣٥١] السابق ص٢٠٢–٢٠٤.

[٣٥٢] الكافي ص٦١٠.

[٣٥٣] الكفاية ص١٩٧-١٩٨.

[٣٥٤] السابق ص٢٠٤–٢٠٧.

[٣٥٥] السابق ص٢٠٧–٢١١.

[٣٥٦] السابق ص٢١٤–٢١٦.

ولا تجوز الزيادة في نسب من فوق الشيخ.[٣٥٧] ولا يجوز حذف فعل «قال» بين رجال السند كتابةً وإن جاز نطقًا.[٣٥٨] والأحوط ألا تجوز الرواية من النُّسَخ المشتملة على أحاديث بسندٍ واحد. وتجوز إعادة الإسناد آخر الكتاب.[٣٥٩] وقد يُقدَّم المتن أو يُذكَر على إثر بعض السند ثم ذكر باقيه مُتصلًا ممَّا يدل على أولوية المتن على السند.[٣٦٠] وقد يُركَّب متن عن إسناد سبقه لم يذكر لفظه وفيه «نحوه» أو «مثله».[٣٦١] وهذا يدل على استقلال المتن على السند. ويجوز تتمَّة المتن الذي اختصره الشيخ.[٣٦٢] فالمتن مُستقل عن راويه. ويجوز تغيير «عن النبي» إلى «عن الرسول» فالنبي والرسول واحد ولو أن الرسول أفضل لأنَّ الأمر يتعلق بالرسول وليس بالنبوة كما هو الحال في عِلم أصول الدين.[٣٦٣] ويجوز بيان الوهَن أو بعضه الواقع في السماع ومثاله.[٣٦٤] ويجوز إسقاط المجروح أو أحد الثقتين من السند.[٣٦٥] وقد يقع الخلط بين مسموع الشيخين إن اقتصر سماعه على بعض الحديث من كلٍّ منهما.[٣٦٦] ويُرغَّب في إعارة كتب السماع. ويُذَم من سلك في ذلك طريق البُخل والامتناع.[٣٦٧] ويُكره حبس الكتب المُستعارة عن أصحابها، ويعجَّل ردُّها إلى أربابها. ولاستعارة الكتب بعض الأحكام.

ولتدوين الحديث في الكتب آداب.[٣٦٨] منها آلات النسخ كالمحبرة والقلم والسكين، وتحسين الخط وتجويده، واختيار التحقيق دون الكشط والتعليق. وأول ما يبدأ به الكتابة البسملة. ثم تُرسم تسمية الراوي في المنقول وتسمية من حضر سماعه منه. وتقيد

---

[٣٥٧] الكافي ص٦١١–٦١٣.

[٣٥٨] السابق ص٦١٣–٦١٦.

[٣٥٩] السابق ص٦١٦–٦٢٠.

[٣٦٠] السابق ص٦٢١–٦٢٢.

[٣٦١] السابق ص٦٢٢–٦٢٥.

[٣٦٢] السابق ص٦٢٥–٦٢٦.

[٣٦٣] السابق ص٦٢٦–٦٢٨، الكفاية ص٢١٦–٢١٧، من العقيدة إلى الثورة ج٤ النبوة–المعاد، ص٥–٣١٩.

[٣٦٤] الكافي ص٦٢٨–٦٢٩.

[٣٦٥] السابق ص٦٢٩–٦٣١.

[٣٦٦] السابق ص٦٣١–٦٣٢.

[٣٦٧] الجامع ص١١٦–١٢١.

[٣٦٨] الجامع ص١٢٢–١٤١.

الأسماء بالشكل والإعجام حذرًا من بوادر التصحيف والإبهام، وتُرسَم الصلاة على النبي في الكتاب، وتوضع دائرة في آخر كل حديث، وتجِب المعارضة بالكتاب لتصحيحه وإزالة الشك والارتياب.

وقد يُملى الحديث، وتعقد المجالس لذلك في يومٍ معلوم، نهارًا أو ليلًا، ويُخبر الطلبة بالموعد. وقد تعقد المجالس في المساجد، ويجلس المُحدِّث تجاه القبلة، ويُحلق قبل صلاة الجمعة، وتتسع الحلقة، ويبلغ الإملاء لمن بعُدَ في الحلقة، ويُشرِف المُستملي على الناس، ويتبع لفظ المحدث، ويبدأ بسورةٍ من القرآن، وذكر مصدر الإملاء.[٣٦٩] ويُستحبُّ في الإملاء الرواية لكافة الناس ويُكره من الخوف في دخول الشبهة فيه والإلباس. وتُملى فضائل الصحابة ومن قبلهم، وتُنشَر محاسن أعمالهم وسوابقهم، وتُختم المجالس بالحكايات ومُستحسن النوادر والإنشادات، والاستغفار والحمد لله. وتجوز المعارضة بالمجلس المكتوب وإتقانه وإصلاح ما أفسد منه زيغ الحكم وطغيانه. وقد يفوت المجلس ويُعاد ويعوض ما تعذَّر منه بالإجازة. وتجوز الكتابة عن الأقران، وكتابة الأكابر عن الأصاغر، بل والكتابة عن كل أحد.

[٣٦٩] السابق ص٢٦٤–٢٧٨، ٣٠٠–٣٠٩، ٣١٦–٣٢٢، ٣٧٣–٣٧٦.

الفصل الثاني

تحليل المتن

أولًا: أنواع الحديث: الصحيح والحسَن والضعيف

ومن الصعب الفصل التام بين تحليل السند وتحليل المتن؛ فالصحيح والحسَن والضعيف والشاذ والمنكر والمردود والمشهور تتعلق بالسند والمتن على حدٍّ سواء.[١]

وينقسم الحديث إلى صحيحٍ وحسَن وضعيف، دون تمييز بين السند والمتن؛ ففي هذه القسمة لا ينفصل تحليل السند بتاتًا عن تحليل المتن أو شعور الراوي، وإن كان أحيانًا تبدو التسمية من ناحية السند أكثر منها من ناحية المتن. والسند ما ارتفع من الجبل. والإسناد رفع الشيء إلى عُلو؛ أي إيصاله إلى الرسول على نحوٍ مُتصل.[٢] لذلك الإسناد له فضل كبير.[٣] والمتن من المتانة أي الشدَّة والقوة. والمتين اسم من أسماء الله أي الشديد القوي. فمتانة الحديث في النهاية في مَتنه أي في القول وليس في طريقة حصوله أو الوصول إليه.

والصحيح لغةً الصدق. واصطلاحًا المُتفق، ما نقله العدل الضابط عن مثله من أوله إلى آخره سالمًا من القدح.[٤] هو السند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط إلى مُنتهاه، احترازًا من المُرسَل والمنقطع والمُعضل والشاذ والمعلول بعِلةٍ قادحة والمجروح؛

---

[١] تعريف المتن لغةً واصطلاحًا، منظومة ألقاب، ص٣٩.

[٢] الكافي ص١٢٢–١٢٣. تعريف علم المصطلح، موضوعه، غايته، منظومة ألقاب، ص٣٧. تعريف السند ص٤٠، في الإسناد، قواعد التحديث، ص٢٠٩–٢٨٨، معنى السند والإسناد والمسند والمتن ص٢١٠–٢١١.

[٣] فضل الإسناد، قواعد التحديث، ص٢٠٩–٢١٠، فوائد الأسانيد المجموعة في الإثبات، ص٢٢٤–٢٢٥، ثمرة رواية الكتب بالأسانيد في الأعمار المتأخِّرة ص٢٢٥.

[٤] الجعبري ص٥٤.

فهو مصطلح يتعلق بالسند. وينقسم إلى المُتَّفق عليه والمُختلَف فيه، ويتنوع إلى مشهور وغريب، ويتفاوت قوة وضعفًا.[٥] وقد لا يُوجَد في الإصحاحات وبالتالي لزم عدم التسرُّع بالحكم على صحته. وأول من صنَّف فيه البخاري ثم مُسلم. وأصح الأسانيد البخاري، وأول من جرَّده البخاري ومُسلم.[٦] وقد يُوجَد في غيرهما. والمستخرج منها يفيد العلو والزيادة والطرُق.[٧] الصحيح لذاته هو خبر الآحاد بنقل عدْل تام الضبط مُتصل السند غير مُعلل ولا شاذ.[٨]

الحديث الصحيح هو السند المتصل إلى الرسول ولكن ينقله العدل؛ أي مشروط بوعي الراوي.[٩] وهو أيضًا مَوضع خلاف. يتفاوت الحفاظ في النظر إليه. ولا ينتهي إلى الرسول وحدَه بل قد ينتهي إلى الصحابي أو التابعي. فماذا يبقى من صحته؟ الصحيح هو السالِم عن الطعن في رجاله ومتنه ومعناه مع تتالي الإسناد، وحُكمه وجوب العمل بمُحكمه وعامة المُطلق. وحديث صحيح أعلى من صحيح الإسناد لأنه يتعلَّق بالمتن. ومكانه أنه يتلقَّى من حافظٍ أو أصل مُعتمد.[١٠] لذلك سُمِّيت كتُب الحديث الخمسة الإصحاحات، ثم المُفاضلة بين الصحيحين والأول البخاري. ولم يستوعِب كل الأحاديث الصحيحة. والسؤال هو: هل فات الإصحاحات الخمسة من الحديث الصحيح شيء؟ وكيف يمكن الحكم على صحتها؟ الصحيحان الأوَّلان هما المقياس مع الدقة في ألفاظ الأحاديث (الحاكم، ابن حبان). وفوائدها علو الإسناد والزيادة من الثقة وقوة الحديث. وهو الحديث المتفق عليه. ويظل السؤال قائمًا هل أحاديث الصحيحين تُفيد اليقين؟ وما وضع الحديث الذي انفرد به كل صحيحٍ من الصحيحين الأوَّلَين أو ما انفرد به كلاهما؟

جملة ما في الأحاديث المُكررة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا. وبعد إسقاط المكرر نحو أربعة آلاف. وفي مُسلم أربعة آلاف بعد إسقاط المُكرر. وفي معظم المُدوَّنات عشرون ألف حديث.

---

[٥] ابن الصلاح ص٧–١٥، الذهبي ص٢٤–٢٦.

[٦] الجعبري ص٥٦-٥٧.

[٧] السابق ص٦٩.

[٨] العسقلاني ص٨٢، ابن تيمية ص٨١–٨٥، ٨٩–٩٠، أقسام الحديث، منظومة ألقاب ص٤١، قواعد التحديث ص٨١–١٠٤، التهانوي ص٤٩–٥٠، الاقتراح ص٢١٥–٢٢٦.

[٩] ابن كثير ص٢١-٢٢.

[١٠] الجعبري ص٦٠، الكافي ص١٢٩–١٦٥، منظومة ألقاب ص٢–٥١، التهانوي ص٣٣–٣٥، ٥٦–٧١.

والصحيح قد يُضعَّف بالقرينة، والحسن قد يُصحَّح بالقرينة. قد يُحكم للحديث بالصحة مع حذف إسناده إذا قبله العلماء. ومُسند أحمد فيه الصحيح والضعيف والموضوع. وقد يكون الصحيح في السنن الصغرى للنسائي؛ لذلك كان التصحيح والتحسين والتضعيف أمورًا اجتهادية تتبع القدرة الذاتية على إثبات الصحة وليست أمورًا موضوعية في ذات الحديث؛ مجرد قول مسموع أو مَروي أو مُدوَّن بناء على عملياتٍ ذاتية خاصة.[١١]

والحسَن ما عُرف مخرجه واشتهر رجاله. ولغةً هو المُلائم، واصطلاحًا ما نقله العدل الضابط عن مثله مُتصلًا.[١٢] والحديث الحسن الصحيح باعتبار مُسندَين أو مذهبين، وحُكمه العمل به. وهو قسمان: الأول ما لا يخلو رجاله من مستورٍ لم تتحقق أهليته إلا أنه ليس كثير الخطأ ولا مُتَّهمًا بالكذب أو الفسق خاصة إذا روي المتن بإسناد آخر فيخرج عن كونه شاذًّا أو منكرًا. والثاني أن يكون روايةً من المشهورين بالصدق والأمانة إلا أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح، لكنه يقصر عنهم في الحفظ والإتقان.[١٣] وهو أقل من الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون جميع رواته من الثقات، عدالة وضبطًا وإتقانًا؛ إما بالنقل الصريح أو بطريق الاستفاضة وهي غير شروط الحسَن. ويطلق على الحسَن الصحيح؛ فالحسَن بتعدُّد طرُقه قد يصِل إلى درجة الصحيح ومِثاله، وقد يكون المتن ضعيفًا وأسانيده قوية.[١٤] ومع ذلك لا يكون حسَنًا لضعفٍ في المتن. وأنه يكون صحيح الإسناد دون المتن. وقد يكون راوي الحديث مُتأخرًا عن درجة أهل الحفظ والإتقان مع أنه مشهور بالصدق والستر. وإن خفَّ الضبط فالحسَن لذاته؛ أي المتن.[١٥] وبكثرة طرُقه يُصحَّح. وإن جُمِعا فالتردُّد في الناقل حيث التفرُّد وإلا فباعتبار إسنادين.

ويدخل المتن في تعريف الحسَن عندما يروي مثله وبالتالي لا يكون شاذًّا أو منكرًا. هو ما فيه وهَن لا يمنع من العمل به.[١٦] ويمكن لحديثٍ أن يكون حسَنًا من حيث المتن

---

[١١] التهانوي ص٥٦–٧١.

[١٢] الجعبري ص٦١-٦٢.

[١٣] ابن الصلاح ص١٥–٢٠، الذهبي ص٢٦–٣٣.

[١٤] وذلك مثل «الأذنان من الرأس.»

[١٥] العسقلاني ص٩١–٩٤، ابن تيمية ص٩٩–١٠٠، الكافي ص١٦٥–١٩٤، منظومة ألقاب ص٥٢–٥٩، قواعد التحديث ص١٥–١١١، التهانوي ص٣٣، ٤٩، ٧١–٧٨، الاقتراح ص٢٢٧–٢٤٥، البيان المكمل ص٥٠.

[١٦] الباعث الحثيث ص٣٩.

وصحيحًا من حيث الإسناد، وفي هذه الحالة تأتي صحة الحديث من السند أكثر ممَّا تأتي من المتن؛ لأن الصحيح أقوى من الحسَن.[١٧] الحسَن كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه قوة. والحسن لذاته إذا رُوِي من غير وجهٍ ولو وجهًا واحدًا ارتفع للصحة. والحسَن في معظم كتب السُّنَّة والمُتفق عليه عند الصحيحين. والقوي يعمُّ الصحيح والحسَن. وإذا كان المقصود منه العمل فلماذا لا يكون العمل على دراية وفهم وتبصرة؟ أحيانًا تطغى أولوية العمل على الصحة النظرية كما هو الحال في خبر الواحد؛ فالحديث ذو اتجاه عملي، وطرق الرواية أي وسائل المعرفة مجرد ضمانٍ نظري لصحة العمل.[١٨]

والضعيف والسقيم للسند والمتن على حدٍّ سواء. وهو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا الحسن. وهو أقسام طبقًا لِما نقص من صفات واحدة أو أكثر. وما عدمت فيه جميع الصفات هو الأرذل. ويشمل الموضوع والمقلوب والشاذ والمُعلل والمُضطرب والمرسل والمنقطع والمعضل.[١٩] وكلها مصطلحات في السند، وله أقسامه طبقًا لدرجة ضَعفه واتصال إسناده مثل المعلق والمُرسل والموقوف والمرفوع. وقد يشمل الضعيف الموضوع. أما إذا تعدَّدت طرقه فيصير حسنًا. والعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال؛ فالغاية في الحديث العمل وليس النظر.

والمطروح ما قلَّ عن رتبة الضعيف.[٢٠]

وقد أصبح موضوع الصحيح والحسَن والضعيف موضوعًا مُستقلًّا يتمُّ التأليف فيه مثل: «كشف اللثام عن الأحاديث الضعيفة في الأحكام المعمول بها منذ الأئمة الأعلام» لباشنقر.[٢١]

وتستمِرُّ الدراسة في عِلم الحديث على نحوٍ تطبيقي بعد أن وضعت القواعد النظرية في الفَرق بين الصحيح والحسن والضعيف؛ فالضعيف عكس الصحيح كما أنَّ المتواتر عكس

---

[١٧] السابق ص٤٣.

[١٨] السابق ص٦١-٦٢.

[١٩] النيسابوري ص٥٨–٦٢، ابن الصلاح ص٢٠-٢١، الجعبري ص٦٢-٦٣، الذهبي ص٣٣-٣٤، الكافي ص١٩٤–٢٠٤، ٢٤٥–٢٦٣، منظومة ألقاب ص٦٠–٦٤، قواعد التحديث ص١١١–١٢٦، التهانوي ٣٥، ٣٧، ٥٩، ٨٢، ٩٢–١٠٨، الاقتراح ص٢٤٦–٢٦١.

[٢٠] الذهبي ص٣٤-٣٥.

[٢١] سعيد بن عبد القادر باشنقر: كشف اللثام عن الأحاديث الضعيفة في الأحكام المعمول بها عند الأئمة الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الآحاد. تكشف هذه المؤلفات التطبيقية المتأخرة عن القدرة في الاستمرار في نقد السند والمتن على حدٍّ سواء، والجرأة على التضعيف دون حرج، والإحساس بضرورة الاستمرار في تنقية الأحاديث وتصفيتها ومُراجعتها وعدم الاكتفاء بمراجعات القدماء؛ فلا عيب في الحُكم على الحديث بالضعيف أو بالموضوع أو بالشاذ أو الغريب أو المُدلَّس أو المنكر إلى آخِر ما وضعه القدماء في نقد المتن، خاصة أن بعض الأحاديث الضعيفة أصبحت مشهورة وتعادل الصحيحة بقوة التداول. والتطبيق على إصحاح الترمذي وحدَه كما طبَّق الكتاني على إصحاح البخاري.[٢٢] وهي مُرتَّبة طبقًا لأبواب الفقه التقليدي بالتفصيل، ثمانية وستون موضوعًا، وداخل كل موضوعٍ يُذكَر الحديث وتخريجاته ومَن عمل به ومَن ضعَّفه مع الترجيح لبعض مذاهب أهل العِلم، بالإضافة إلى فروع وفوائد.[٢٣] ويُفسِّر الحديث بالحديث ويَعتمد على العديد من الشواهد القرآنية دون الشعر.[٢٤]

والسؤال هو: هل التعريف بنفي الضِّدِّ تعريف؟ فكثير من التعريفات تتِمُّ نفيًا. الصحيح ما لا يكون شاذًّا ولا مُعللًا ولا مردودًا.[٢٥] والحسَن ما سُكِت عنه. فالسكوت كلام سلبي. هو ضِدَّ السقيم والمكسور. والضعيف ما لم تجتمِع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسَن، ليس تعريفًا لأنه يقوم على نفي الضد.[٢٦] والخبر الكاذب هو نقيض الخبر الصادق.[٢٧] وخبر الواحد ينقص أحد شروط التواتر.[٢٨] والمشهور غير الصحيح.[٢٩] وهذا يدل على حدود التعريف، وأنه لا يُوجَد تعريف واحد مرة إيجابًا للإثبات ومرة نفيًا للنفي؛ فالمُتصل ما ليس المنقطع، والمنقطع ما ليس المتصل، وهو ما لا يُضيف جديدًا؛ فهناك تعريف واحد وليس تعريفان. وإذا كان أحدهما نفيًا للآخر فلا تعريف.

[٢٢] وهذه الدراسة عن علم الحديث «من نقد السند إلى نقد المتن»، على إصحاح البخاري وحدَه.

[٢٣] الترجيح، كشف اللثام، ص٢٧٥، ٣٠٣، ٣٢٥، مذهب أهل العلم ص١٩٢، ٣١٠، فرع ص٢١٠، فائدة ص٢١٠، ٢٨٥.

[٢٤] الآيات (٣٢).

[٢٥] ابن كثير ص٢١، ٤١، ابن الصلاح ص٨، الكافي ص١٢٩.

[٢٦] السابق ص٤٤، ابن النفيس ص١٢٣، ابن الصلاح ص٢٠.

[٢٧] ابن النفيس ص١٠١.

[٢٨] السابق ص١٢١.

[٢٩] النيسابوري ص٩٢.

وبعض التعريفات تضع نفسها فقط بين تعريفين في موقفٍ وسط مثل تعريف الحسن بأنه وسط بين الصحيح والضعيف.[30] وكيف يكون في الاحتياج كالصحيح وهو أقل منه يقينًا؟ وكيف يكون الحسن غريبًا؟ وقد ترجع صحته أيضًا إلى عدالة الراوي وشهرته بالصدق والأمانة وإن لم يَبلُغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والإتقان. وهو أيضًا ليس تعريفًا جديدًا بل مجرد إيجاد وسط بين طرفين. وإذا كان الطرفان أحدهما نفي للآخر فلا تعريف أصلًا.

وأحيانًا يجمع بين نوعين فيقضي على التمييز بينهما مثل الحديث الحسَن الغريب. فالحسن لا يكون غريبًا، والغريب لا يكون حسَنًا، أو الحَسن الصحيح، فالصحيح أقوى من الحسن، والحسن أضعف من الصحيح. التعريف هو الجامع المانع، والحسَن الغريب ليس جامعًا ولا مانعًا بل يدخل فيه الاثنان. ومن شروط التعريف ألا يكون مُتناقِضًا، ألا يكون إيجابًا وسلبًا في نفس الوقت؛ فالحديث الحسَن الغريب تعريف مُتناقض. الحديث إما حسَن أو غريب ولا يمكن أن يكون حسنًا وغريبًا في نفس الوقت.[31]

ثانيًا: أشكال المتن

(١) زيادات الثقات

وبالرغم من أن الزيادات في المتن إلا أن الثقات في السند.[32] وهي مقبولة إذا ما تمَّ التفرُّد بها سواء من راوٍ واحد أو من عدَّة رواة. وينقسِم إلى ثلاثة أنواع: الأول المُخالف لما رواه الثقات وحُكمه حكم الشاذ. والثاني عدم مخالفته فهو مقبول. والثالث ما بين الاثنين.

(٢) الإفراد

هو حديث تفرَّد به أهل مدينة واحدة من الصحابي أو تفرَّد بروايته رجل واحد عن إمام من الأئمة أو لأهل مدينة تفرَّد بها عنهم أهل مكة أو أهل المدينة أو الخراسانيون أهل الحرمين.[33] هو ما ينفرد به الراوي عن شيخه أو قُطره مثلًا الزيادة في الحديث. ومنه ما

[30] الباعث الحثيث ص٣٧–٤٠.

[31] السابق ص٣٨، ٤٣.

هو فرد مُطلقًا أو بالنسبة لجهة خاصة.[٣٤] الإفراد العام هو انفراد راوٍ بحديثٍ عن الكل. والإفراد الخاص هو انفراد قُطر أو مدينة.[٣٥] ويُسمَّى أيضًا الوُحدان أي مُتوحِّد الراوي. ويفيد في التعارُض.[٣٦] وهنا يتجاوز الإفراد خبر الواحد عن طريق المتن؛ فخبر الواحد يعتمد على السند فقط في حين أن الإفراد يعتمد على المتن الذي يفرض وجوده على السند.

(٣) المدرج

وهو تدخُّل كلام الصحابة في كلام الرسول وتلخيصه من كلام غيره.[٣٧] هو زيادة لفظٍ في متن الحديث من كلام الراوي فتُحسَب مرفوعة. هو الخلط بين الرواية والكلام المباشر.[٣٨]

وهو أقسام. منها ما أُدرج في حديث الرسول من كلام بعض رواته، مثل الصحابي مُوصلًا إيَّاه بالحديث دون فصلٍ بينهما فيلتبس الأمر. ويتصوَّر السامع أن كل الكلام من الرسول. ومنها أن يكون المتن عند الراوي بإسناد إلا طرفًا منه بإسنادٍ آخر فيُدرجه على الإسناد الأول ويحذف الثاني. ومنها إدراج في متن حديث بعض من حديث آخر غير الأول في الإسناد. ومنها رواية حديثٍ عن جماعة بينهم اختلاف في الإسناد، فلا يَذكُر الاختلاف ويُوفِّق بين الروايات.[٣٩]

والمُدرَج لغويًّا الوصل. وهو وصل الحديث بغيره من قوله أو قول غيره، ورواية حديثين بإسناد أحدهما أو رواية أحاديث مختلفة الأسانيد أو الألفاظ باتفاق يُوهمه.

---

[٣٢] ابن الصلاح ص٤٠-٤١، مثل حديث «جُعِلت لنا الأرض مسجدًا وجعلت تربتها لنا طهورا.» في مقابل «وجُعِلت لنا الأرض مسجدًا وطهورا.» الجعبري ص٨٢-٨٤، الكافي ص٢٤٢–٢٤٤، زيادة الثقة والمحفوظ والشاذ، منظومة ألقاب ص١١٠–١١٣، التهانوي ص١٢–١٢٢، الكفاية ص٣٦٤–٣٦٩، البيان المُكمل ص٣٤–٣٨.

[٣٣] النيسابوري ص٩٦–١٠٢.

[٣٤] ابن الصلاح ص٤١-٤٢.

[٣٥] الجعبري ص٨٥.

[٣٦] السابق ص١٥٨–١٦٠، العسقلاني ص١٣٤، قواعد التحديث ص١٣٢، التهانوي ص١٢٢.

[٣٧] النيسابوري ص٣٩–٤١.

[٣٨] ابن كثير ص٧٣–٧٧ وأيضًا ظاهريات التأويل ص١٨٦–٢١٩.

[٣٩] ابن الصلاح ص٤٥–٤٧ مثل «لا تباغَضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تناقشوا.» وإدراج «لا تناجشوا.» أو إضافة «لا تحسبوا، ولا تحسدوا.»

وهو مثل التلبيس.[٤٠] إن كانت المخالفة بتغيير السياق فمُدرَج الإسناد أو بدمج موقوف بمرفوع فمُدرج المتن.[٤١] ويدل المُدرَج على أنه لا تُوجَد صِلة ضرورية بين السند والمتن؛ إذ يمكن تركيب متنٍ على غير سنده، وسندٍ على غير متنه. للمتن استقلاله الذاتي بصرف النظر عن حامِلِه الذي قد يكون هذا الحامل أو ذلك. وقد تم التأليف في المُدرَج على نحوٍ مُستقل مثل:

«الفصل للوصل المُدرَج في النقل» للبغدادي (٤٦٣هـ)[٤٢]

وهي دراسة في المتن، ونوع معين منه وهو المدرج؛ أي إدخال قول الصحابي في متن الحديث بالرغم من أن العنوان أقرب إلى السند. المُدرج مُؤلِّفه اثنان ورواته ثلاثة. ولكل راوٍ أكثر من حديث. الحديث هو وحدة التحليل وليس الراوي. وبالرغم من أهمية الموضوع إلا أن الكتاب يخلو من أي مقدمةٍ نظرية تشرح التناصَّ في المتن كما يفعل النقَّاد المحدثون. يضطرب التقسيم بين الباب والذكر والقول. وتُعطى أمثلة من مائة وأحد عشر حديثًا. وللكتاب خمس روايات.[٤٣] وهو موضع أشكلَ على كثيرٍ من علماء الحديث. فمن الأحاديث ما رفع إلى النبي بألفاظ رواتها، ومنها ما أسند غير لفظه أو ألفاظ بإسناد آخر، ومنها ما أدخل لفظًا أو ألفاظًا من متنٍ آخر، ومنها ما رواه صحابي بمتن غيره إلى الرسول، ومنها ما اختُلِف عليه وأُدرج متفقًا.[٤٤] لذلك قُسِّمت الأبواب طبقًا لعلاقة المتون بأسانيدها.[٤٥]

---

[٤٠] الجعبري ص٩٠-٩١، الذهبي ص٥٣-٥٤، الكافي ص٢٧٠–٢٧٣، منظومة ألقاب ص١٢٨–١٣٠، قواعد التحديث ص١٢٨، التهانوي ص٣٩، الاقتراح ص٣٠١–٣٠٤.

[٤١] العسقلاني ص١٢٤.

[٤٢] الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي: الفصل للوصل المدرج في النقل (جزءان)، دراسة وتحقيق محمد بن مطهر الزهراني، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

[٤٣] السابق ج١، ٩٩.

[٤٤] «فمنها ما يلتبس على العالِم الجليل القدْر فضلًا عن المُتعلم القليل الخبر. فمنها أحاديث وصلت متونها بقول رواتها وسِيق الجميع سياقةً واحدة نصًّا، الكل مرفوعة إلى النبي. ومنها ما كان متن لحديث عند رواية بإسنادٍ غير لفظةٍ منه أو ألفاظ، فإنها عنده بإسنادٍ آخر فلم يُبين ذلك، بل أدرج الحديث وجعل جميعه بإسنادٍ واحد. ومنها ما أُلحق بمتنه لفظة أو ألفاظ ليست منه، وإنما من متنٍ آخر. ومنها ما كان بعض الصحابة يروي متنَه عن صحابي آخَر عن رسول الله فوصَل بمتنٍ يرويه الصحابي الأول. ومنه

فهناك أحاديث وصلت ألفاظ رواتها بمتونها ثم أُدرجت أقوال الصحابة منها أو أقوال التابعين. وهناك أحاديث أخرى مَتن كلِّ واحدٍ منها عند راويه بإسنادٍ باستثناء لفظةٍ لم تُسمع فأُدرجت دون بيان إسنادها. وقد يتَّصِل المُرسَل المقطوع بالمُتصل المرفوع. وقد تُوصَل متون متغايرة بعضها ببعض. وقد تُروى أحاديث عن صحابةٍ على لسان صحابة آخرين. وقد تروى أحاديث عن جماعةٍ وليس عن أفراد. كل ذلك يُبين عدم الصلة الضرورية بين المتن والسند؛ فالمتن له بنيتُه الخاصة وصِدقه الداخلي بصرْف النظر عن مصدره وطرُق سماعه. ومجموع الأحاديث أقلُّ من رواتها.[٤٦] وأكثرهم روايةً أبو بكر الفقيه والخوارزمي البرقاني. وأكثرهم روايةً ليس أكثرهم شهرة، وأكثرهم شهرة ليس أكثرهم رواية. وأبو هريرة هو باستمرار صاحب الكيس الواسع.[٤٧]

ما كان يرويه المُحدِّث عن جماعة اشتركوا في روايته فاتفقوا غير واحدٍ منهم خالفَهم في إسناده فأدرج الإسناد وحُمِل على الاتفاق. فذكرتُ جميع ذلك وشرحته وبيَّنتُه وأوضحته.» السابق ج١، ١٠٠–١٠١.

[٤٥] (١) باب ذكر الأحاديث التي وصلت ألفاظ رواتها بمتونها (١٩ حديثًا): (أ) ما أُدرج قول الصحابي فيه، (ب) ما أدرج بها ألفاظ التابعين (٢١ حديثًا)؛ (٢) باب ذكر الأحاديث التي من كل واحدٍ منها عند راويه بإسناد (٢٥ حديثًا): (أ) ذكر أخبار من روى عن شيخٍ حديثًا في متنه لفظة واحدة لم يسمعها ذلك الشيخ فأدرج المتن ولم يُبين إسناد تلك اللفظة (حديثان)، (ب) ذكر أخبار من وصل المُرسَل المقطوع بالمُتصل المرفوع (٦ أحاديث)؛ (٣) باب ذِكر المتون المتغايرة التي وصل بعضها لبعض (١٦ حديثًا)؛ (٤) باب ذِكر ما كان بعض الصحابة يرويه عن صاحبٍ آخر (حديثان)؛ (٥) باب ذكر من روى حديثًا عن جماعة (١٩ حديثًا).

[٤٦] الأحاديث (١١١)، الرواة (١٧٣٠).

[٤٧] (١) أبو بكر الفقيه، الخوارزمي (١٢٧)، (٢) أبو هريرة (١١١)، (٣) أبو علي بن شاذان (١٠٠)، (٤) عمر بن مسلم الزهري (٩٧)، (٥) أبو عبد الله نافع المدني مَولى عمر (٩٥)، (٦) عبد الله بن أحمد بن حنبل (٧٧)، (٧) الحسن بن علي الواعظ (٦٧)، (٨) مالك بن أنس (٦٨)، (٩) أحمد بن جعفر بن حمدان (٦٤)، (١٠) قتادة بن دعامة السوسي (٦٣)، (١١) أبو نعيم بن إسحاق الحافظ، سفيان النووي (٥٦)، (١٢) عبد الله بن مسعود (٥١)، (١٣) الحسن بن علي الجوهري (٤٨)، (١٤) أبو الحسن بن بشران المعدل (٤٧)، (١٥) محمد بن المظفر الحافظ (٤٥)، (١٦) دحلج بن أحمد السجستاني (٣٨)، (١٧) عبد الملك بن جريج عبد الله القصبي، علي بن عمر الحافظ (٣٦)، (١٨) مُسدد ابن مُسربل (٣٥)، (١٩) سفيان بن عيينة، محمد بن سيرين (٣٤)، (٢٠) أبو سهل بن زياد القطان، أبو علي اللؤلؤي، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله المصري، يونس (لم نذكُر الرواة الأقل تكرارًا)، بن حبيب الأصفهاني (٣٢)، (٢١) موسى بن هارون (٣١)، (٢٢) عبد الله بن جعفر بن فارس.

(٤) المُدبَّج

هي رواية الأقران عن بعضهم البعض لتقاربهم في السن والإسناد. وغير المُدبَّج هو رواية أحد القرينين دون الآخر.[٤٨] وهو ما يُسمَع بالتعاصُر أو المعاصرة كشرطٍ للرواية والسماع المباشر. والتباعد بين وفاة الراوِيَين عن شيخٍ واحد يُشكك في سماعهما وروايتهما، لأنهما غير مُتعاصِرَين. لو تعاصر راوٍ مع الشيخ فالثاني ليس كذلك.

(٥) النقل بالمعنى

والنقل باللفظ والنقل بالمعنى أقرب إلى المتن منه إلى السند. النقل باللفظ هو العزيمة. والنقل بالمعنى هو الرخصة «أو كما قال». الأصل هو النقل باللفظ وليس بالمعنى لأن استنباط الأحكام من الألفاظ وليس من المعاني. ولا يُوجد معنًى خارج اللفظ في الأحكام، وإن وُجِد في علوم الحكمة في الأذهان. كما لا يجوز إسقاط شيء في المتن كذلك لا يجوز في السند. كما لا يجوز اختصار الحديث وحذف بعضه؛ فالحديث وحدة متكاملة.[٤٩] ويكون النقل باللغة العربية، ويكون الناقل عارفًا بها حتى لا يقع في اللحن. وإذا روى الحديث عن شيخَين ولم يتطابقا في الألفاظ وإن تطابقا في السياق، فإن ذلك يُعارض النقل باللفظ ويجعله أقرب إلى النقل بالمعنى.

ولا يجوز إبدال كلمةٍ بكلمة؛ فلكل كلمة فرديتها، أو تقديم كلمة على كلمة.[٥٠] فكل كلمة لها وضعها في السياق من حيث التقديم والتأخير. ولا يجوز زيادة حرفٍ واحد ولا حذفه وإن كان لا يُغير المعنى، أو إبدال حرف بحرف وإن كانت صورتها واحدة، أو تقديم حرف على حرف، أو تخفيف حرف ثقيل، أو تثقيل حرف خفيف، وإن كان المعنى واحدًا، أو رفع أو نصب مرفوع أو مجرور.[٥١] فالحديث من جوامع الكلِم ومن

---

[٤٨] ابن الصلاح ص١٥٤–١٥٥، الجعبري ص١٥١–١٥٢، العسقلاني ص١٦٠، الكافي ص٤١٥–٤٢١، الاقتراح ص٤٠٩–٤١١.

[٤٩] الباعث الحثيث ص١٤١–١٤٨، العسقلاني ص١٢٨–١٣٠، في أحوال الرواية، رواية الحديث بالمعنى، قواعد التحديث ص٢٢٩–٢٣٩، الكفاية ص١٥٦–١٥٨، ١٧٩–١٩٠.

[٥٠] الكفاية ص١٥٨–١٦٢.

[٥١] السابق ص١٦٢–١٦٥.

أساليب البلاغة العربية؛ لذلك كان أداء الحديث على لفظه وليس على المعنى.[٥٢] ولا تجوز مخالفة اللغة العربية الفصيحة أو تغيير اللحن في الحديث لأن اللحن يكون مَدعاة للشك في صحته. والرسول أفصح العرب. ولا تجوز الزيادة أو النقصان فيه لأن الكلام يُفسِّر بعضه بعضًا.[٥٣] ولا يجوز تقطيع المتن الواحد وتفريقه في الأبواب؛ فالحديث وحدة واحدة في سياقٍ واحد وسبب نزولٍ واحد. وإن جاءت الرواية بالمعنى بشرط عدَم الإخلال به والمعرفة بالألفاظ وعدم تعارُضها مع روايات أخرى باللفظ أو بالمعنى، فإنها لا تجوز في الأحكام.[٥٤] وتجوز عند البعض الآخر رواية الحديث من الحفظ وتأدية معناه دون اللفظ.[٥٥]

وقد يُجمع المُتفرق أو يُوفَّق بينهما عندما يكون الحديث عن راوِيَين أو أكثر بينهما تفاوت في الألفاظ والمعنى واحد، وإمكانية الجمع بينهما في الإسناد ثم سَوق الحديث عن أحد اللفظين.[٥٦] ويكون ذلك في الموضوعات الخُلقية أو الإنسانية العامة وليس في الأحكام الشرعية الخاصة؛ فالمعنى مُستقل عن اللفظ مثل استقلال المتن عن السند.

(٦) المشهور والمُستفيض والعزيز

هو الشائع عند الناس أو المحدثين أو الفقهاء والأصوليين.[٥٧] وهو غير المُتواتر لأن المشهور بمَتنه لا بسنده، في حين أن المتواتر صحيح بسنده، وصحة متنه مشروطة بصحة سنده. ويتحوَّل في صياغته إلى شيءٍ أشبه بالقول المأثور أو المثل العربي البليغ الدقيق القصير، حكم في قضية، حكمة السنين.

والمشهور أمر نسبي، وهو غير المتواتر أو المُستفيض وليس أقوى منهما. تعتمد الشهرة على الأهواء؛ الإعلان أو السكوت والمصالح، في حين أن التواتر منطق مضبوط

[٥٢] السابق ص١٧١، من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص١٨٥–١٨٨.

[٥٣] الكافي ص٥٨٢–٥٩٢.

[٥٤] الكفاية ص١٦٦–١٧٩.

[٥٥] الجامع ص٢٣٨–٢٤١، ٢٤٨–٢٥٢.

[٥٦] الكافي ص٦٠٥–٦٠٩.

[٥٧] الجعبري ص٧٩–١٠٠، العسقلاني ص٦٢، القول السديد فيما اشتُهر على ألسنة الناس من الحديث، ابن تيمية ص١٦٧–١٧٨، الكافي ص٢٨٣–٢٨٦، ٢٩٢، منظومة ألقاب ٦٨، قواعد التحديث ص١٢٨، التهانوي ص٣٢.

للرواية الشفاهية.[٥٨] والمشهور في المنطق مِن المُقدمات الخطابية وليست البرهانية، أقرب إلى منطق الظن وليس إلى منطق اليقين.[٥٩] وقد يبلغ المشهور من الذيوع درجة تجعله أكثر استعمالًا من الصحيح، بل يتحول في الوعي الشعبي إلى أقوى من الصحيح.[٦٠]

وينقسم إلى صحيحٍ وغير صحيح.[٦١] فشُهرة المتن قد تصاحبها صحة السند فيكون صحيحًا. كما ينقسم إلى المشهور بين علماء الحديث والمشهور عند غيرهم.[٦٢] فالشهرة طبقًا للعِلم؛ المشهور عند الصوفية غير المشهور عند الفقهاء. والأهم المشهور المتواتر في الفقه وأصوله لاستنباط الأحكام منه. وقد أصبح المشهور موضوعًا مُستقلًّا يتمُّ التأليف فيه مثل:

(أ) «الشذرة في الأحاديث المُشتهرة» لمحمد بن طولون الصالحي (٩٥٣هـ)[٦٣]

وهو تطبيق عملي وتجميع للأحاديث المشهورة، وهي التي لم تبلغ درجة التواتر، مُرتَّبة أبجديًّا طبقًا للحروف.[٦٤] وهي على مستوى التداول لا تقل أثرًا أو فاعلية عن المتواترة. ولا يمكن الشك في صحتها. تُلخص ثلاثة كتب مُرتبة طبقًا للحروف، وطبقًا للحروف والأبواب، وطبقًا للأبواب. وهي مجرد رصد وتجميع ونقل من المجموعات السابقة، تنتهي بلفظ «انتهى». ولا يدَّعي المؤلف أن كتابه تأليف بل تطبيق. والغاية البحث عن الأحاديث

---

[٥٨] ابن كثير ص١٦٥–١٦٦.

[٥٩] النيسابوري ص٩٢–٩٤، ابن تيمية ص١١٦.

[٦٠] مثل «طلب العلم فريضة على كل مسلم.» «لا نكاح إلا بولي.» «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.» «إن الله لا يقبض من العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس.» «المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده.» «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها.» والأقل تداولًا مثل «أفطر الحاجم والمحجوم.» «من سُئل عن علمٍ فكتمه أُلجِم يوم القيامة بلجامٍ من نار.» «من مسَّ ذكَره فليتوضأ.» «من أتى الجمعة فليغتسِل.» «كل معروف صدقة.» «إنما الإمام ليؤتمَّ به.» «إذا انتصف شعبان فلا صيام حتى يجيء رمضان.» «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة.» وأخرى أقرب إلى الغريب مثل «الأذنان من الرأس.» «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم.» «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا.» «أُمِرت أن أسجد على سبعة أعضاء.» النيسابوري ص٩٢–٩٤.

[٦١] ابن الصلاح ص١٣٤–١٣٦، الصحيح مثل «إنما الأعمال بالنيات.» وغير الصحيح مثل «طلب العلم فريضة على كل مسلم.»

الصحيحة ضد محاولات الكذب على الرسول.[٦٥] ويُذكَر في الحديث مصدره ورواته ومكان تدوينه، ودرجته في السند وفي المتن طبقًا لقواعد الجرح والتعديل. ويُذكَر القول المباشر وأحيانًا رأس الموضوع في الحديث والصياغات المختلفة له. وتضمُّ ألفًا ومائة وتسعةً وستين حديثًا. تعتمد على الآيات كأسباب نزولها أو تفسيرها. ومنها بعض الأحاديث القدسية، كما تعتمد على الشواهد الشعرية. فالأحاديث من جوامع الكلم وفنون القول.[٦٦] وتظهر فيه بعض مصطلحات العلوم الإسلامية مثل «الإبدال» وهو مصطلح في علوم التصوُّف.[٦٧]

(ب) «كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عمَّا اشتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس» للعجلوني الجراحي (١١٦٢هـ)[٦٨]

وهو أيضًا مجموعة من الأحاديث المشهورة مُرتبة ترتيبًا أبجديًّا. والغاية من الكتاب تلخيص كتبٍ رئيسية سابقة في الموضوع تعميمًا للفائدة.[٦٩] ويضم ثلاثمائة ومائتين وواحدًا وثمانين حديثًا، ويذكر وضع كلٍّ منها من حيث السند والمتن عند علماء الحديث.

---

[٦٢] المشهور عند علماء الحديث مثل «المُسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.»

[٦٣] العلامة محمد بن طولون الصالحي: الشذرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق كمال بن بسيوني زغلول (مجلدان)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

[٦٤] وهي: (١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المُشتهرة على الألسنة، للسخاوي، (٢) الدُّرر المُنتثرة في الأحاديث المُشتهرة للسيوطي، (٣) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي، السابق ص١٧.

[٦٥] السابق ص١٧–٢٠.

[٦٦] الآيات (١٠٩)، القدسية (٦٠)، الأشعار (١١١).

[٦٧] الشذرة ص٢٣.

[٦٨] المُفسر المُحدث الشيخ إسماعيل بن محمد بن العجلوني الجراحي: كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عمَّا اشتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس (جزءان)، أشرف على ضبطه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

[٦٩] وهي أربعة: (١) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، لابن حجر، (٢) المقاصد الحسنة، للسخاوي، (٣) تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لابن الديبع تلميذ السخاوي، (٤) الدرر المُنتثرة في الأحاديث المُشتهرة، للسيوطي، السابق ج١، ٦–١٠.

ويُذكَر العديد من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية، وبعض الأمثال العربية؛ فبين الأحاديث المشهورة والشعر والأمثال العربية تشابه من حيث الصياغات الأدبية.[٧٠] وقد أوتي الرسول جوامع الكلِم، وهو أفصح العرب. وتتعدَّد أشكال الحديث الأدبية مثل الأشكال الشعرية.[٧١] وقد تتكرَّر بعض الأشعار.[٧٢] يغيب التبويب الموضوعي للأحاديث لمعرفة مضمونها مثل أحاديث الأنا أو مصر.[٧٣] إلا إنه يُضيف فهرسًا للكتاب مُرتبًا على الأبواب، وهي أبواب الفقه التقليدية بالإضافة إلى مُقدمتَين؛ الإيمان والعلم وثلاث خواتم في فضائل القرآن والمناقب والبعث والنشور والفتن.[٧٤]

والمُستفيض بين التواتر والآحاد.[٧٥] وهو الذي يزيد رواته عن ثلاثة، يتعلق بالسند أكثر ممَّا يتعلق بالمتن.

والعزيز ليس شرطًا للصحيح، وهو ألا يرويه أقل من اثنين عن اثنين. وسُمِّي كذلك لقلة وجوده.[٧٦] هو ما انفرد به اثنان أو ثلاثة. وحُكمه حُكم الغريب.[٧٧] وهناك فرق بين المشهور والعزيز؛ المشهور ما روته الجماعة والعزيز رواية رجُلين أو ثلاثة.[٧٨]

(٧) الغريب

(أ) تعريف الغريب. والغرابة في المتن، وفي اللفظ وفي الإسناد في التفرُّد به. وفي حين أن العزيز هو اشتراك شيخين في الرواية، والمشهور اشتراك الجماعة. الغريب إذا انفرد الراوي بالحديث، والعزيز إذا رواه اثنان أو ثلاثة، والمشهور إذا روته الجماعة. وضبط

[٧٠] السابق ج٢، ٨٠–٨١.

[٧١] الأمثال العامية ج٢، ١٥٠، ٢٧٥.

[٧٢] السابق ج٢، ٢٢٠، ٢٢٥.

[٧٣] فضائل مصر ج٢، ٢٧٥.

[٧٤] وهي ستة عشر بابًا: (١) الإيمان، (٢) العلم، (٣) الطهارة والصلاة، (٤) الجنائز (الطب، المرض، المواعظ)، (٥) الزكاة (الصدقة، البخل، الكرم، اصطناع المعروف، البر، الصلة، الزهد)، (٦) الصيام، (٧) الحج والسفر وفضل مكة والمدينة، (٨) الأضاحي والصيد والأطعمة، (٩) البيوع والسودان والخدم، (١٠) النكاح، (١١) الإيمان (الرضاع، النفقات، اللباس، الزينة، البناء فوق الكفاية)، (١٢) (الأشربة، الزنا، اللواط، الجنايات، الحدود)، (١٣) الجهاد والإمارة والقضاء والشهادات، (١٤) فضائل القرآن، (١٥) المناقب، (١٦) البعث والنشور والفتن، السابق ج٢، ٥٧١–٥٩٠.

ألفاظ الحديث أقرب إلى المتن منه إلى الإسناد.[٧٩] والأمثلة على الغريب كثيرة تبعث أحيانًا على الدهشة بل والضحك.[٨٠] وقد يكون الصحيح غريبًا لأن صحة السند لا تُوجِب صحة المتن.[٨١] ويُضاف إليه ما يتفرد به راوٍ في متنه أو إسناده؛ فالغريب متنًا وإسنادًا، الذي تفرَّد به واحد، والغريب إسنادًا لا متنًا إذا انفرد بروايته صحابي واحد.[٨٢] الغريب ما وقع في المتون من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم لقلة استعمالها. ولا حاجة إلى تفسيرها.[٨٣] وإذا كانت الغرابة في أصل السند فهو الفرد المُطلق، وإذا كانت في السند فهو الفرد النسبي.[٨٤] وقد يكون الغريب في الصحيحين. وقد تمَّ التأليف فيه كموضوع مُستقل مثل:

(أ) «غريب الحديث» لابن سلام الهروي (٢٤٤هـ)[٨٥]

«الغريب» أحد مقولات المتن. ويدل الكتاب على أن التأليف في الغريب كان مُبكرًا منذ جمع الحديث وربما قبلَه؛ فالمؤلف سابق على المُحدِّثين أصحاب الإصحاحات الخمسة. يصنف تصنيفًا أبجديًّا غير واضح طبقًا لحروف ألفاظ الحديث وليس بالضرورة أول الألفاظ.

[٧٥] الجعبري ص٥٥، العسقلاني ص٦٢، قواعد التحديث ص١٢٨، التهانوي ص٣٢.

[٧٦] العسقلاني ص٦٤–٦٩، منظومة ألقاب ص٦٨–٧٠.

[٧٧] الجعبري ص٨١، قواعد التحديث ص١٢٩، التهانوي ص٣٢.

[٧٨] الاقتراح ص٤٠٧–٤٠٨.

[٧٩] ابن كثير ص١٦٦–١٦٧، ١٧٠–١٧٤.

[٨٠] السابق ص١٧٠–١٧٤.

[٨١] مثل «حُزقة، حزقة، ترقَّ عين بقه ...» النيسابوري ص٨٨–٩١.

[٨٢] مثل «شواعيلها» على جبل أثناء حفر الخندق، «لا يبيع حاضرٌ لبادٍ.» «إن هذا الدين متين فادخل فيه برفق، ولا تُبغِّض إلى نفسك عبادة الله؛ فإن المُنبتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.» السابق ص٩٤–٩٦.

[٨٣] ابن الصلاح ص١٣٦–١٣٨، وذلك مثل «الجار أحق بسَقَبِه.» الجعبري ص٨٠-٨١، ٩٤-٩٥، الذهبي ص٤٣، العسقلاني ص٧٠، ابن تيمية ص١٠٠، الكافي ص٢٧٩، ٢٨١–٢٨٣، ٦٠٤، منظومة ألقاب ص٧١–٧٣، قواعد التحديث ص١٢٨، التهانوي ص٣٢، الاقتراح ص٢٧١.

[٨٤] الذهبي ص٧٨.

[٨٥] أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: غريب الحديث (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م (دون مُحقق).

وليس ترتيب الحروف هو الترتيب الأبجدي المعروف. والجزء الثاني مُصنف طبقًا للرواة من الصحابة والتابعين.[٨٦] ولا تُوجد مقدمة نظرية للكتاب تضع في إطار عِلم الحديث وتُبين هدفه ومناسبته، بل هو مُجرد مادة خام دون تحليل. ويبدو أن كثرة الاستشهاد بالشعر وبالقرآن وتفسيرهما لغويًّا وبلاغيًّا يدل على أن مقياس الغربة في الحديث هي اللغة العربية والأساليب البلاغية كما بدت في الشعر العربي وفي القرآن.[٨٧] والشعر أكثر من القرآن لأنه أصل البلاغة. وبلاغة القرآن في الشعر؛ فقد نزل بلغة العرب وبأساليبهم البلاغية. القرآن من أعلى والشعر من أسفل كمقياسين للحُكم على غرابة الحديث.[٨٨]

(ب) «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢٧٦هـ)[٨٩]

وهو نفس عنوان الهروي ومن نفس الفترة تقريبًا. وتُبين المقدمة الهدف من الكتاب؛ وهو توضيح الغريب من الحديث عن طريق شرح الألفاظ غير المألوفة أو رفع التناقُض بين الرواة؛ إذ تروي أحاديث وتروي نقيضها.[٩٠] وتُبوب الألفاظ طبقًا لأبواب الفقه أو ألفاظ القرآن والكتب السماوية وألفاظ علم الكلام، والأحاديث الطوال، وأحاديث النساء، وأحاديث الصحابة والتابعين.[٩١] والتعامُل مع الغريب بالفهم والرواية. ومعايير الصدق القرآن والحديث والشعر، واللغة الجامع بينها. الشعر وحدة القياس. يأتي مُرقمًا.[٩٢] وهو أكبر المقاييس، بعدها يأتي القرآن، ثُم أقلها الأحاديث. وتشرح الألفاظ الغريبة في الحديث بالقرآن والشعر، وهما واجهتان لعُملة واحدة. وتُذكَر الأحاديث طبقًا للرواة وليس طبقًا للرسول؛ فإن الراوي هو صاحبها نظرًا لروايته لها بالرغم من غرابتها وبالتالي يكون

---

[٨٦] وعددهم ٩٦ راويًا.

[٨٧] الأشعار (٨٦٦)، الآيات (٢٧٩).

[٨٨] مجموعة ألفاظ الأحاديث حوالي (١٦٥٠ لفظًا)، والأحاديث حوالي (٦٠٠)، والآثار طبقًا للرواة (٣٦٠).

[٨٩] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: غريب الحديث (جزءان)، صنع فهارسه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

[٩٠] السابق ص٣–٧.

[٩١] الفقه والأحكام (٤٦)، الكتب السماوية (٤)، ألفاظ القرآن (٣٢)، الأحاديث الطوال (٥٥)، أحاديث الصحابة والتابعين (٢٠٥)، أحاديث النساء (٣٣)، أحاديث التابعين ومن بعدهم (١٥٨).

[٩٢] الأشعار (٩١٨)، الآيات (١٦٢)، الأحاديث (١٣٤)، الأمثال (٨٨)، الأقوال المأثورة من كلام العرب (٥٧).

مشكوكًا في نِسبتها إلى الرسول. والأمثال العربية جامع ثانٍ بين الغريب والنثر العربي.[٩٣] فالذات الراوية أهم من الموضوع المروي.[٩٤] وتُضاف السنن الفعلية إلى السنن القولية.[٩٥]

(ج) «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٥٨٣هـ)[٩٦]

وهو أيضًا معجم ألفاظ غريب الحديث مُرتَّب ترتيبًا أبجديًّا على طريقة قواميس اللغة؛ ابتداء من الحرف الأول فالثاني فالثالث. هو مجرد مُعجم دون استخراج دلالاتٍ أو محاولات تركيبية لمعانٍ وأنساق فكرية؛ فاللفظ هو القصد واللغة هي الجامع للقرآن والشعر والحديث، مما يدل على سيطرة اللغة على العلوم النقلية، مع أن المؤلف هو المُعتزلي المُفسر الشهير صاحب «الكشاف»، ولكن هنا اقتصر على كونه لغويًّا خالصًا. وتبين المقدمة أهمية اللغة وهِبة النطق والعربية كأفصح اللغات. وقد عبر الرسول عن هذا البيان.[٩٧] فقد أُوتي جامع الكلِم، وهو أفصح العرب، ينتمي إلى قريش واستُرضِع في بني سعد بن بكر. وهو استئناف لجهود علماء نحوٍ سابقين في مُقدمتهم سيبويه والفسوي.[٩٨] ويُذكَر ألف وعشرون لفظًا. ويُعتمد على الأحاديث النبوية القولية والنقيلة وآثار الصحابة والتابعين والأعلام والقبائل والجماعات والأمثال والقوافي والأرجاز وأنصاف الأبيات.[٩٩] وأكبر الأعلام عمر بن الخطاب ثم علي ثم عائشة.[١٠٠]

(د) «غريب الحديث» لابن الجوزي (٥٩٧هـ)[١٠١]

وتتعدَّد كتب غريب الحديث وبنفس المنهج الترتيب الأبجدي للحرفين الأول والثاني، ليس الغرض منه إثبات صحة السند والمتن، بل شرح غرابة المتن لغويًّا عن طريق فهمه وشرحه وتفسيره اعتمادًا على اللغة العربية. وتعينها في القرآن من أعلى وفي الشعر من

---

[٩٣] الأمثال العربية، غريب الحديث ج١، ٢٤٧، ٢٦٩، ٢٧٦.

[٩٤] الأحاديث الواردة عن الصحابة والتابعين (٤٧٧)، الآثار الواردة عنهم (١٣٢).

[٩٥] السنن الفعلية (الأثار) (٤٨).

[٩٦] العلامة جاد الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب اللغة (أربعة أجزاء)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

[٩٧] السابق ص٩-١٠.

أسفل.[١٠٢] لا يتعلَّق بالوعي التاريخي بل الوعي النظري.[١٠٣] ولا يُذكَر المتن نصًّا بل روحًا، موضوعه وقلبه وقصده وليس أطرافه أو الحوار حوله أو روايته. فالغريب من مقولات المتن وليست من مقولات السند. ويعتمد على اللغة أساسًا؛ الجامع بين الحديث والقرآن والشعر.[١٠٤] والحروف أربعمائة وثلاثة وثمانون حرفًا. كل حرفٍ منها يضم عشرات الأحاديث القصار، الأقوال المأثورة أو ليست الرواية أو حوار الصحابة.[١٠٥] وأن يكون مجموع الأحاديث عشرات الألوف.[١٠٦] ويُنسب الحديث إلى راويه وليس إلى قائله وهو الرسول. ويُكتفى بالرصد والتجميع دون التحليل والتركيب؛ فاللغة هي الهمُّ الأكبر كما يتضح ذلك في المقدمة، فقد تحوَّلت اللغة من العربية الصافية إلى عربية مُهجنة بعد دخول الأعاجم في الإسلام.[١٠٧] ويعتمد الكتاب على الأدبيات السابقة في الموضوع. ومع ذلك يعجز التفسير اللغوي عن فهم بعض الألفاظ مثل الأريسيين.[١٠٨]

(هـ) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٦٠٦هـ)[١٠٩]

وهو نفس الموضوع؛ «الغريب» مع تغييرٍ في صياغة العنوان، إضافة الأثر مع الحديث في نهاية العنوان، وإضافة النهاية في أول العنوان أي المُبتغى والقول الفصل. والأحاديث مُرتبة ترتيبًا أبجديًّا طبقًا للحرفين الأول والثاني. والبحث عن الغريب بداية بالدوافع

---

[٩٨] الأحاديث القولية (١٩٠٠)، الألفاظ (١٢٠٠)، الأعلام (١١٤٠)، القوافي (٨٦٥)، آثار الصحابة والتابعين (١٢٥)، الأرجاز (٤٩٩)، الأماكن (٣٦٠)، القبائل والجماعات (٣٣٠)، الآيات (٢٣١)، أنصاف الأبيات (٢٢٣)، الأمثال (٦٥).

[٩٩] عمر بن الخطاب (١٧٥)، عائشة (١١١)، علي (١٢٠)، أبو بكر (٦٠)، عبد الله مسعود (٥٩)، أبو هريرة (٤٩)، الأصمعي (٥١)، ذو الرمة (٥٠)، معاوية (٤٨)، ابن الأعرابي، عثمان، عبد الله بن عمر (٤٥)، الحسن البصري (٣٠)، عمر بن عبد العزيز (٢٩)، سيبويه (٢٣)، إبراهيم النخعي (٢٢)، أنس بن مالك (٢٤)، الحجاج بن يوسف (٢٦).

[١٠٠] نظرًا لأهمية الفهارس التحليلية تم تخصيص الجزء الرابع بأكمله لها.

[١٠١] الشيخ الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي: غريب الحديث (جزءان)، وثَّق أصوله وخرَّج حديثه وعلَّق عليه د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[١٠٢] «وقد رتَّبتُه على حروف المُعجم وإنما آتي بالمقصد من شرح الكلمة من غير إيصال في التعريف والاشتقاق»، السابق ص٤.

العقلية واللجوء إلى أولي الألباب والعقل وذوي المعارف والمحصول.[110] ويبدأ بنظرية في قِسمة اللفظ إلى مُفرد ومركب، وقسمة المفرد إلى قسمين؛ الخاص والعام، وهي القسمة الأصولية.[111] ويستعرض الأدبيات السابقة ويُراجعها؛ لذلك كثُرت أسماء الأعلام.[112]

[103] من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ج٢، الفصل الأول، الفصل الثاني.

[104] الأشعار (١٨)، الآيات (١١).

[105] مجموع الأحرف (٤٨٣).

[106] عدد الأحاديث ٤٨٠٠ حديث على الأقل، بمُعدل عشرة أحاديث لكل مرتبة فتكاد تقترب من ٤٨٠٠٠ حديث، ولا توجد فهارس تفصيلية بين عدد الأحاديث والآثار والأشعار والأرجاز والأعلام والأماكن والرواة.

[107] «فإن رسول الله كان عربيًّا، وكذلك جمهور أصحابه وتابعيهم، فوقع في كلامهم من اللغة ما كان مشهورًا بينهم ثم وقعت مُخالطة الأعاجم، ففشا اللحن وجهل جمهور الناس مُعظم اللغة، فافتقر ذلك الكلام إلى التفسير.» غريب الحديث ١–٤.

[108] السابق ٢٩.

[109] الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر (خمسة أجزاء)، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[110] السابق ص٧–١٥.

[111] من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص، ص٢١٦–٣٥٦.

[112] الأعلام السابقين (١٣٠٠)، وأهمُّهم على الترتيب: عمر (٤٩٣)، علي (٤٨٢)، عائشة (٣٣٣)، أبو بكر ١٧٩)، عبد الله بن عمر (١٥٦)، أبو هريرة (١٥٤)، عبد الله بن مسعود (١٣٨)، عبد الله بن عباس (١٣٥)، معاوية (١٣١)، عثمان (١٢١)، الحجاج بن يوسف (١١٣)، الزمخشري (١٠٨)، الخطابي (٩٧)، الأزهري (٩١)، جابر بن عبد الله (٨١)، كعب بن زهير (٩٠)، كعب بن مالك (٨٦)، أبو ذر، أم زرع (٨١)، أنس بن مالك (٧٦)، عبد الله بن الزبير (٧١)، الهروي (٧٠)، حذيفة بن اليمان (٦٧)، قس ابن ساعدة (٦٤)، عمرو بن العاص (٦١)، الشعبي (٦٠)، الجوهري، أم سلمة (٥٩)، فاطمة (٥٨)، المغيرة ابن شعبة (٥٧)، إبراهيم بن يزيد، الزبير بن العوام، سطيح الكاهن (٤٩)، أبو الدرداء، أبو سفيان، طلحة ابن زهير (٤٨)، الأحنف بن قيس، ابن سلام، عمر بن عبد العزيز، أبو موسى الأشعري (٤٧)، العباس بن عبد المطلب، ابن قتيبة (٤٦)، سلمان الفارسي (٤٤)، الحسن بن علي، أم معبد (٤٠)، خزيمة السلمي (٣٩)، أبو جهل، مجاهد بن جبر، عطاء بن رباح (٣٩)، معاذ بن جبل (٣٨)، بلال، أبو موسى المديني، قيلة بنت مخزمة (٣٤)، الحسين بن علي، عبد الرحمن بن عوف (٣٣)، سعد بن أبي وقاص، عمار بن ياسر (٣٢)، خالد ابن الوليد، أبو سعيد الخدري، قتادة (٣١)، عبد الله بن عمرو بن العاص، محمد بن سيرين (٢٩)، عمرو بن يعرب، سيف بن ذي يزن، وائل بن عمر (٢٨)، حسان بن ثابت، لقمان بن عاد (٢٧)، ظبيان (٢٥)، الشافعي، أبو طالب (٢٤)، زيد بن ثابت (٢٣)، رفيقة، عبد الملك بن عمير، مالك بن أنس (٢٢)، أبي بن كعب،

أكبرها عمر ثم علي ثم عائشة ثم أبو بكر ثم عبد الله بن عمر ثم أبو هريرة ثم عبد الله بن مسعود ثم عبد الله بن عباس ثم معاوية ثم عثمان وباقي الصحابة، لا فرق بينهم من حيث الفضل والتقوى. ويعتمد على القرآن والشعر لضبط معاني الألفاظ. وتأتي الأمثال السائدة كشكلٍ أدبي مُشابه للحديث.[١١٣] وتعدُّد أماكن جمع الحديث، مواطن القبائل والجماعات.[١١٤]

(٨) مختلف الحديث

والتعارُض بين الأحاديث هو ما يعرف باسم معرفة مختلف الحديث.[١١٥] ومنه الناسخ والمنسوخ. وهو نفس الموضوع في علوم القرآن كما عرَض ابن قتيبة. وهو باب في عِلم أصول الفقه عن التعارُض والتراجيح. وهو في المتن. المختلف هو حديث مُعارَض بمثله فيَحتجُّ كل صاحب مذهبٍ بأحدهما، وهما في الصحة والضعف متساويان. وفي مقابل ذلك هناك أخبار لا مُعارِض لها بوجهٍ من الوجوه.[١١٦] المُختلف هو رواية حديثين ظاهرهما التضاد فإما الجمع بينهما أو الترجيح.[١١٧] إن عُورض بمثلِه وأمكن الجمع فمختلف الحديث.[١١٨] والموافقة الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه.[١١٩] وينقسم قِسمين؛ الأول الجمع بين الحديثين والقول بهما معًا، والثاني استحالة الجمع بينهما، فإما أن يكون أحدهما ناسخًا والآخر منسوخًا أو الترجيح بينهما.[١٢٠] وفي مقابل المؤتلف

عكرمة، النجاشي، هرقل (٢١)، أبو أيوب الأنصاري، حمزة بن عبد المطلب، سلمة، بن الأكوع، أبو قتادة الأنصاري.

[١١٣] الآيات (٣٧٠)، الأشعار (٢٠١)، الأرجاز (٢٦٧)، أشطار الأبيات (١٤٩)، الأمثال (٩٦).

[١١٤] الأماكن والبقاع (٦٨٠)، القبائل والجماعات (١٩٦).

[١١٥] ابن كثير ص١٧٤–١٧٥، ابن النفيس ص١٢٩، النيسابوري ص١٢٢–١٢٨.

[١١٦] النيسابوري ص١٢٩–١٣٥.

[١١٧] الجعبري ص٨٥–٨٦.

[١١٨] العسقلاني ص١٠٣.

[١١٩] العسقلاني ص٢٥٧، الكافي ص٢٩٨–٣٠٣، المحكم، مختلف الحديث، منظومة ألقاب ص١٣٢، مشكل الحديث ص٣٥، التهانوي ص٤٥، الاقتراح ص٤١٢.

والمختلف هناك المُتفق والمُفترق. وهناك فرق بين الموافقات في روايتَين عن شيخٍ واحد، والإبدال في الرواية الواحدة عن شيخين.

وقد تمَّ التأليف فيه كموضوع مُستقل:

(أ) «اختلاف الحديث» للشافعي (٢٠٤هـ)[١٢١]

ساهم الفقهاء في عِلم الحديث كما ساهم المُحدِّثون في علم الفقه؛ فالفقهاء مُحدِّثون، والمُحدِّثون فقهاء. الكتاب ليس بقلم الشافعي بل من رواية آخَر مثل «الرسالة»، وهي حتمًا رواية مُدوَّنة؛ لأنه بين المؤلف والراوي ستة وستون عامًا. وهي مدة طويلة لحفظ الرواية شفاهًا، ولا يُعقل أن تكون سماعًا مباشرًا لأنَّ المدة جيل بأكمله يصعُب معه التعاصُر بين الشيخ والراوي. موضوع الكتاب اختلاف الحديث سندًا ومتنًا، روايةً وقراءة، نصًّا وتأويلًا. والأحاديث مُبوَّبة طبقًا لأبواب الفقه التقليدي تفصيلًا، تسعة وسبعون بابًا. بعض المعاملات القديمة انتهت.[١٢٢] وبعض الخلافات القديمة استقرَّت. وعلم الخلافيَّات في المنقول وليس في المعقول، في بيان المُتَّفَق والمُختلَف عليه من الروايات. معظمها روايات وليست أقوالًا مباشرة أو سُننًا فعلية وليست سُننًا قولية. والغاية التأكيد على سلطة الحديث كما هو الحال في «الرسالة» من أجل ضبط الخلافات الفقهية.[١٢٣] تكثُر الشواهد القرآنية وتغيب الشواهد الشعرية. وإن كان للكتاب ميزته في حصر الموضوعات قلب الروايات، والشجاعة في إثبات اختلاف المنقول وتأويله، فإن العيب هو تصنيف الأحاديث تحت الموضوعات دون تحويلها إلى موضوعات تنتسِب إلى الفقه التقليدي، والاقتصار على المنقول دون المعقول.

[١٢٠] ابن الصلاح ص١٤٣، والتعارُض مثل حديثي «لا دعوى ولا طيرة.» «لا يُورد ممرض على مصح.» «فرَّ من المجزوم فرارك من الأسد».

[١٢١] الإمام محمد بن إدريس الشافعي: اختلاف الحديث، برواية الربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[١٢٢] مثل: أكل الضب، السابق ص١٢٩-١٣٠، الجزية ص١٣٦–١٣٨، النجش ص١٥٤–١٥٥، استقبال القبلة للغائط والبول ص٢٢٨–٢٣٠، العتق ص٢٩٣–٢٩٨، قتل المؤمن بالكافر ص٢٢٩–٣٠٢.

[١٢٣] السابق ص٣٥–٦٥.

(ب) «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (٢٧٦هـ)[١٢٤]

وهو كتاب في اختلاف الأحاديث والدفاع عنه ضدَّ الطعن فيه من أهل الأهواء وهم علماء الكلام والفِرق الكلامية وأصحاب الرأي، خاصة المُعتزلة أو القدرية والخوارج.[١٢٥] فقد أصبح الحديث أحد أسلحة الفِرَق والقوى السياسية المختلفة. ومُقدمة الكتاب كلها في هذا الموضوع.[١٢٦] والمُتكلمون هم الطاعنون على أهل الحديث. كل فرقة تروي الحديث الذي يؤيدها مثل: الخارجي والقاعد والمُرجئ والمخالف، ومُفضلو الغنى، ومفضلو الفقر، والقائلون بالبداء.[١٢٧] كما يردُّ على أصحا الرأي وعلى رأسهم أبي حنيفة وأهل الرأي في الرأي والقياس، روَوا واختلفوا في ثبوت الخبر وتفسير القرآن.[١٢٨] فأصحاب الحديث هم الأخيار. وغيرهم هم الأشرار.[١٢٩] فروَوا الأحاديث الموضوعة وحذروا منها. وأَوَّلَوا الأحاديث الصحيحة الشكل، ونبَّهوا على الأحاديث الضعيفة. ومع ذلك فهم مُعابون، حُذقاء في اللغة العربية وفي المعارف العامة، منفردون بفنٍّ واحد، ويزلُّون في غيره، ولكنها عيوب بسيطة بالمقارنة بآثام الأشرار وهفوات القدرية وضلالهم وطعنهم بالثقات. ولا عيب في الاختلاف فقد اختلف الصحابة أنفسهم، إنما العيب في النوايا الحسنة أو السيئة.

وينقسم الكتاب إلى قِسمين. الأول الأحاديث المتناقضة في ذاتها والمتعارضة مع الكتاب والتي يدفعها النظر والعقل، والثاني أحكام يُبطلها القرآن ويحتج بها الخوارج. ومقاييس التناقُض سبعة:

الأول تناقُض الحديث مع نفسه، وإبطال أوله آخره أو تناقض حديثَين؛ والثاني تناقض الحديث مع الكتاب ومُناقضته للقرآن؛ والثالث تناقُض الحديث مع القرآن

---

[١٢٤] الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد مُحيي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الإشراق، الدوحة، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[١٢٥] خاصة النظام، أبو الهذيل العلاف، هشام بن الحكم، ثمامة، عبد الله بن الحسين، صاحب البكرية، السابق ص٦٦–١٢٦.

[١٢٦] السابق ص٤٧–٦٠.

[١٢٧] «يأخذ النظَّام حظًّا وافرًا من الهجوم لأن أقواله مزاعم وأكاذيب. خالف أئمة المسلمين وطعن بالصحابة والتابعين، وخطَّأ أبا بكر وعمر، وكذَّب ابن مسعود واتَّهمَه، وعباس وعثمان، وطعن بأبي هريرة.» السابق ص٦٠–٩٤.

[١٢٨] السابق ص١٠٢–١٢٦.

[١٢٩] السابق ص١٢٧–١٤٢.

والإجماع؛ والرابع تناقُضه مع القرآن وحجة العقل؛ والخامس تكذيب الحديث وإبطاله بحجة العقل وحده؛ والسادس تكذيب النظر له.[١٣٠] والسابع تكذيب العيان له. وهناك تناقُضان آخران؛ الأول التناقض مع أحاديث أخرى، والتناقض مع التجربة الشعرية. لذلك كثرت الشواهد القرآنية والشعرية.[١٣١] وقد تُحَلُّ هذه التناقُضات بالرجوع إلى سياق كل حديث؛ أي إلى أسباب الورود وترتيب الأحاديث الزماني لمعرفة الناسخ والمنسوخ أو لإثبات أنَّ كِلا الحديثَين صحيحان، ولكن في سياقَين مختلفين؛ الأول تقريري لأحوال الجاهلية، والثاني معياري لتقنين أحوال الإسلام.[١٣٢] وقد يكون كلاهما ضعيفين أو أحدهما صحيحًا والآخر ضعيفًا، وقد يكون التأويل أحد عوامل رفع التناقُض؛ فدرجات المتن وصياغاته الأدبية تُرجِّح إحدى القراءات على الأخرى.[١٣٣] والتناقض في الأقوال المباشرة أقوى منه في الروايات والأقوال غير المباشرة. وتتشكل الأحاديث القدسية التي يتحوَّل فيها الله إلى مُتحدِّث، والأحاديث السياسية التي تُشير إلى وقائع سياسية بعد وفاة الرسول.[١٣٤] كما تظهر الإسرائيليات كمادةٍ دخيلة على الحديث.[١٣٥] كما يُحال إلى الفلاسفة بالرغم من بُعدهم عن موضوع الحديث.[١٣٦]

(ج) «مشكل الحديث وبيانه» لابن فورك (٤٠٦هـ)[١٣٧]

ويتعلق بالمتن وحسن فهمه بتأويله دفاعًا عن التنزيه ضد التشبيه والتجسيم عند بعض الفرق الإسلامية.[١٣٨] والمؤلف من أئمة الأشاعرة له باع طويل في علم الأصول، أصول الدين وأصول الفقه. يستعمل الفلسفة في محاجاته.[١٣٩] كما يستعمل القرآن والشعر. والتأويل للحديث والقرآن على حدٍّ سواء.[١٤٠] وسبب التأليف هو تأويل الأحاديث المروية عن الرسول مما يُوهم ظاهرُه التشبيه، للطعن في الدين من المُلحدين. وهناك فرقتان؛ الأولى أهل النقل

---

[١٣٠] «ذَكَر الأحاديث التي ادَّعوا عليها التناقض، والأحاديث التي تخالف عندهم كتاب الله تعالى، والأحاديث التي يدفعها النظر وحجة العقل.» الأول يشمل ستةً وستين حديثًا، السابق ص١٤٣–٢٧٦، الثاني يشمل ثلاثة وأربعين حديثًا، ص٢٧٧–٢٨٧، ويكون المجموع مائة وتسعين حديثًا.

[١٣١] التناقض في ذاته (٢٤)، التناقض مع القرآن (٦)، التناقض مع القرآن والإجماع (٥)، التناقض مع القرآن وحجة العقل (٤)، التناقض مع حجة العقل (٤)، التناقض مع العيان (١).

[١٣٢] الآيات (٢٣٧)، الأحاديث (٣٧٠)، الأشعار (٥٤).

[١٣٣] تأويل مختلف الحديث ص١٧٠.

والرواية، والثانية أهل النظر والمقاييس، وكلاهما ضروريان للدين. الأولى كالخُزنة للملك، والثانية كالبطارقة التي تذبُّ عنها. وأهل الأهواء خمسة: الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة والجسمية.[١٤١] وآيات القرآن نوعان؛ مُحكم ومُتشابه. ويُفهم المتشابه بردِّه إلى المُحكم.[١٤٢] كما يفهم الحديث المتشابه بردِّه إلى المُتشابه المثيل أو المُحكم في القرآن.

وتتفاوت فصول الكتاب كمًّا ولا تتمايز كيفًا.[١٤٣] والموضوع الغالب تأويل المُتشابه وردُّه إلى المُحكم في التوحيد مثل الصورة، والقبضة، واليمين، والرِّجل، والقدَم، وشَعر الذراعين، والنزول والصعود، والقرب والبعد أو المكان في السماء، والرؤية والنفخ والأصبع والطي والتجلي والساعد والعين والوجه والنظر والعرش والمنكب والكاهل، والجعد الأقطط وعرق الخيل، والجارحة والشاب الأمرد، وكلها تشبيهات للتقريب إلى الأفهام؛ فلا يمكن تصوُّر الله إلا بقياس الغائب على الشاهد أو بعض الصفات البشرية؛ كالنوم، أو بعض أحاديث الانفعالات كالضحك والفرَح والعجب والنفس والتخويف والملل والسب والاستحياء والقراءة والمحو والجمال والرفق، والكلام والمباهاة والمناجاة. والقليل بالنسبة للخلق مثل المرأة، وهو الأقل لأن المرأة حاضرة وليست غائبة ولا تحتاج إلى تشبيه.

ثالثًا: الموضوع

(١) تعريف الموضوع

والموضوع شكل من أشكال المتن ولكنه مُتفرد نظرًا لأهميته ودلالاته وكثرة التأليف فيه. له مترادفان آخران: المُختلق والمصنوع. ويضم الثلاثة في نوع واحد. ويعرف بالإقرار على النفس بالوضع قولًا أو حالًا. والقرائن؛ ركاكة الألفاظ وفساد المعاني أو مجازفة الفاحشة أو مخالفة للثابت في الكتاب والسنة الصحيحة. ولا تجوز روايته إلا على سبيل القدح للتحذير منه وحتى لا يغترَّ به الجهلة والعوام والرعاع.[١٤٤] وهي في الغالب روايات

---

[١٣٤] الأحاديث القدسية، السابق ص٧٧، ٢٥٤، ٣٢٧، ٣٩٨، الأحاديث السياسية ص١٣٦، ٢٠٠.

[١٣٥] السابق ص٢١٢.

[١٣٦] السابق ص٣٧٧.

[١٣٧] الإمام الحافظ أبو بكر بن فورك: مشكل الحديث وبيانه، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

أهل الأهواء من الزنادقة والمُتكلمين مثل الكرامية، مما يكشف عن الدوافع السياسية وراء الروايات؛ فالمتكلمون فِرقة سياسية. والزنادقة والكرامية من الشيعة من المعارضة ضدَّ أهل السنة عامة والأمويين خاصة. الموضوع هو المختلف وهو أردأ الكل. هو المختلف المعزوِّ إلى النبي كذبًا. وأضره وضْع المُعتقَد فيه.[145] الموضوع هو شرُّ الأحاديث الضعيفة التي تُمثل الصدق حين تجوز روايتها للترغيب والترهيب.[146] فغاية الراوية ليست المعرفة الخالصة بل تغيير سلوك الناس عن طريق جدل العواطف. وقد يكون الوضع عن لا تعمُّد أو عن تعمُّد في الترغيب والترهيب أو لنصرة المذهب أو تقربًا إلى الملوك أو بدافع الزندقة والإلحاد أو طمعًا في الجاه والدنيا. وقد تم التحذير منذ البداية من التدليس والوضع والكذب.[147] وأكثر الواضعين للحديث من يدعون الزهد، وهم الصوفية احتسابًا فيما زعموا. فتقبَّل الناس موضوعاتهم ثقةً منهم وركونًا إليهم. وقد اعترفوا بذلك دون مواربة مثل الأحاديث التي وضعت في فضائل القرآن.[148] وقد دخلت في علوم التفسير. أخذوا كلام بعض الحكماء ووضعوه على لسان النبي.[149] والطعن إما أن يكون لكذِب الراوي أو تُهمته بذلك أو فُحش غلَطه أو غفلته أو وهَنه أو مخالفته أو جهالته أو بدعته أو سوء حفظه؛ فالأول الموضوع، والثاني المتروك، والثالث المُنكر ثم خلق الوهم.[150] ويُعرف الوضع عن طريق حال الراوي أو المروي، ومنها ركاكة اللفظة والمعنى مما يتعلق بالمتن. وهناك طرق لمعرفته إما بإقرار واضعه، أو بتعريته من حال الراوي، أو مُعارض للعقل ولا يقبل التأويل.

---

[138] السابق ص٣٨–٣٩.

[139] السابق ص٥٥–٥٧.

[140] الشعر (٣٥).

[141] السابق ص٣٧–٣٩.

[142] السابق ص٤٠.

[143] فصل (٢٢)، فصل آخر (٢٢)، باب (١)، وتتفاوت الفصول كما بين ١٦١ ص وصفحتين.

[144] ابن كثير ص٧٨–٨٦.

[145] الجعبري ص٩٥–٩٦، الذهبي ص٣٦–٣٨.

[146] ابن الصلاح ص٤٧–٤٨.

[147] «سيكون في آخر أُمتي أناس يُحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإيَّاكم وإيَّاهم.» النيسابوري ص١٣.

هل يمكن معرفة الموضوع بضابطٍ من غير نظر في سنده؟[151] والحقيقة أنه لا عبرة بالأحاديث المنقولة في كتب الفقه والتصوُّف ما لم يظهر سندها وإن كان مُصنفها جليلًا.[152] ومع ذلك يتم الرد على من يزعم تصحيح بعض الأحاديث بالكشف بأنَّ مدار الصحة على السند.[153] فللقلب السليم إشراف على معرفة الموضوع.[154] وليس كل حديث في باب الترغيب تُحدَّث به العامة.[155]

ولا يعني الموضوع «الكاذب» غير الصحيح من حيث السند، وهو المعنى التداولي، بل يتطلب مهارة فائقة للتقليد تصل إلى حدِّ الإبداع كما هو الحال في الانتحال.[156] فالصياغة الأدبية تحتاج إلى قدرات بلاغية ولفظية وأسلوبية من أجل الإقناع، بعيدًا عن السطحية والفجاجة. والمضمون يكون إنسانيًّا صادقًا في التجربة الإنسانية يخاطب الفطرة والطبيعة. فالموضوع في حاجة إلى دراسة فنية لمعرفة طرق الإبداع فيه:

«كتاب العلل ومعرفة الرجال» عن ابن معين (٢٣٣هـ) تصنيف عبد الله أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ)[157]

وبالرغم من أن العنوان يُوحي بموضوعه، العلل والرجال، إلا أنه أقرب إلى الرجال مع نقدهم. له مؤلفان، ابن معين راويًا وعبد الله أحمد بن حنبل مُصنفًا في الجيل التالي له.

[148] صرح نوح بن أبي مريم «إني رأيتُ الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد ابن إسحاق، فوضعتُ هذه الأحاديث حسبة.» السابق ص٤٧–٤٨.

[149] مثل «من كثرت صلاته بالليل حسُن وجهه بالنهار.» السابق ص٤٧.

[150] العسقلاني ص١١٤–١٢٣، الكافي ص٢٤٦–٢٦٣، منظومة ألقاب ص١١٨–١٢٤، قواعد التحديث ص١٥٥–١٩٣، التهانوي ص٣٦، الاقتراح ص٣١١–٣١٦.

[151] هو سؤال ابن القيم، قواعد التحديث ص١٧١-١٧٢.

[152] السابق ص١٨٣–١٨٧.

[153] السابق ص١٩١–١٩٣.

[154] هو رأي أبي الحسن علي بن عروة الحنبلي في «الكواكب»، السابق ص١٧٢–١٨٢.

[155] السابق ص١٩١.

[156] من النقل إلى الإبداع مج١ النقل، ج١ التدوين، ص٢٩٥–٢٩٩.

[157] أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل: كتاب العلل ومعرفة الرجال عن أبي زكريا يحيى بن معين، حقَّقه وعلق عليه وخرَّج نصوصه أبو عبد الهادي محمد جعفان الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

يقدم مائتين وأربعًا وثمانين رواية ومائتين وسبعةً وستين راويًا. تتضمَّن ثمانية وثلاثين حديثًا. وتعتمد على أربع آيات قرآنية. يدخل في الموضوع مباشرة دون أي مقدمة نظرية تُحدد موضوع الكتاب أو الهدف منه أو طريقة تأليفه. والعلل أي العيوب في الحديث طبقًا لقواعد الجرح والتعديل عن طريق نقد الرجال، وليست العلل في عِلم أصول الفقه.[١٥٨] وتعطي عدة درجات للحُكم على الصحة التاريخية ابتداءً من السلب المُطلق مثل ليس بشيء، ولا يساوي فلسًا، ليس بثقة؛ إلى ثقة، صدوق وما بينهما، مثل لا بأس به، ضعيف، متروك، مُدلس، كاذب؛ أو التوقُّف عن الحكم، لا أعرفه.[١٥٩] فالموضوع هنا يرجع إلى حال الراوي.

(٢) التأليف في الموضوع

وقد كثُر التأليف في الموضوع نظرًا لأهميته، بل يكتب أكثر من عالِم مثل ابن الجوزي والسيوطي وملا علي القاري أكثر من كتابٍ وذلك مثل:

(أ) «كتاب الضعفاء» لأبي جعفر العقيلي (٣٢٢هـ)[١٦٠]

والعنوان صريح يُشير إلى ضعفاء الرواة بسبب الكذب والوضع والوهم والاتهام والمجهول والبدعة، حتى وإن كان الحديث مُستقيمًا.[١٦١] فالأمر يتعلق بشخص الراوي. وهم حوالي ألفين ومائة وستة رواة ضعفاء مع تقييم كل واحد، مما يدل على أن الراوي أهم من الرواية، وأن الرجل أهم مما يروي. يضم مجرد مادة خام، تاريخ رجال في ترتيبٍ أبجدي دون أي تحليل نظري. الباب الأول وحده حاول أن يكون مدخلًا نظريًّا. يعتمد على النقل

---

[١٥٨] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص١٧٩–١٨١.

[١٥٩] كتاب العلل ص٧٣، ٧٩.

[١٦٠] أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن جهاد العقيلي: كتاب الضعفاء، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[١٦١] العنوان الفرعي «ومن نُسِب إلى الكذب ووضع الحديث، ومن غلب على حديثه الوهم، ومن يُتَّهم في بعض حديثه، ومجهول روى ما لا يتابع عليه، وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حالُه في الحديث مستقيمة».

دون العقل، وعلى السند دون المتن. ضخم كمًّا وقليل كيفًا. لم يتحقَّق العنوان الفرعي في كل راوٍ لمعرفة أين الكذب والوضع والوهم في الحديث المروي. فالوضع هنا مرتبط بحال الراوي.[١٦٢]

(ب) «الأحاديث الطوال» للطبراني (٣٦٠هـ)[١٦٣]

وهو من الموضوعات الجزئية المبكرة الذي تحول فيما بعد في القرون المتأخرة إلى الأحاديث الموضوعة. وهو إدراك مبكر لأن طول الحديث مدعاة للشك فيه؛ إذ لا تستطع الذاكرة أن تعي حديثًا طويلًا بلا تغيير أو تبديل أو تحريف أو إضافة. كما تدل موضوعاته، مثل الأحلام والأخرويات والابتهالات وقصص الأنبياء والحكايات كالأمثال والإسراء والمعراج والسياسية وتفصيلات في الإبل والغنم وحياة الصحراء، على إمكانية الوضع؛ فهي موضوعات تثير الخيال، وتبهج النفوس، وتظهر الإبداعات اللغوية والبلاغية.[١٦٤] وبعضها ليست طوالًا تمامًا.[١٦٥] ولا يتعلق شيء منها بالعمل، العبادات، وهو الموضوع الغالب على الأحاديث الصحيحة. وهي نوع من جمع السنن الطويلة مرة بالمُحدِّثين ومرة بالموضوع ومرة بكليهما.[١٦٦] والأكثر المحدِّثون والموضوعات. وتتنوَّع الأشكال الأدبية بين الحديث، وإسلام الصحابة، وتفسير حديث وعهد، وكتاب، وخطبة، وشعر، وقصيدة، وإنشاء، وطواف، وقصة، وقول، واجتماع، ودخول، والأغلب حديث.[١٦٧] وهو مجرد رصد لها دون تحليل أو تعليل أو محاولة لإيجاد دلالة للأحاديث الطويلة على الوضع، وكأنها مجرد جمع للسنن مثل الإصحاحات والسنن والمسانيد.

---

[١٦٢] بعنوان «تبيين أحوال من نقل عنه الحديث ممَّن لم ينقل على صحبه»، السابق ص٧–١١.

[١٦٣] الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني: الأحاديث الطوال، حقَّقه وخرج أحاديثه حمدي عبد الحميد السلفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[١٦٤] الأحلام ص٨٤–٨٥، قصص الأنبياء ص٨٦–٨٧، الحكاية والمثل ص٨٧–٨٩، الإسراء والمعراج ص٩٠–٩١، السياسة ص١٢٨–١٣٣، تفصيلات الإبل ص١٣٣–١٤٠.

[١٦٥] الطوال ابتداء من ٥٧–٥٩.

[١٦٦] المُحدِّثون والموضوعات (٢٥)، الموضوعات (٨).

[١٦٧] الحديث (٤١)، الإسلام (١٠)، شعر (٨)، قصة (٦)، دخول، قول، اجتماع، كتاب، خطبة (٢)، إنشاء، قصيدة (١).

وتتأرجح قسمة الأجزاء إلى أربعة، يتكرَّر بعضها دون نظام مُطرد.[١٦٨] وتتقطع الأحاديث بلفظ «قال» لكسر حدة الطويل والسماح للوضع بالعمل بأنفاس مُتقطعة إن غاب النفَس الطويل.[١٦٩] والبعض له أصول مكتوبة للرد على استحالة حفظ الذاكرة لِمثل هذه الأحاديث الطوال. ويعتمد على كثيرٍ من الشعر، فالشعر مع الأحاديث الطوال إبداعان أدبيان.[١٧٠] بل إن هناك صفحات بأكملها تقتصر على الشعر.[١٧١] كما تنسج الأحاديث الطوال على القصص القرآني مثل قصة موسى والخضر، لذلك كثيرًا ما تعتمد على القرآن وتُحيل إليه.[١٧٢]

(ج) «كتاب الضعفاء والمتروكين» للدارقطني (٣٨٥هـ)[١٧٣]

وهو رصد لأسماء الرواة الضعفاء والمتروكين مُرتَّبة أبجديًّا دون أي مقدمات نظرية. يعتمد على خمس روايات، ويدون طبقًا لحوار.[١٧٤] ويخلو من الآيات والأحاديث والأشعار. ويطلق على كل حديثٍ درجة من الصحة التاريخية مثل: متروك، منكر، ضعيف، مجهول، مُقل، ليس بقوي، كذاب أو يغلب عليه الوهم، أو موضوع.[١٧٥] وقد يُطلق وصفان على نفس الحديث في آنٍ واحد، كما يحدد المنطقة الجغرافية التي ينتسب إليها الراوي مثل، حجازي، مصري، خراساني، يمني، شامي. وقد تحدد المدينة أكثر تخصيصًا مثل كوفي، بغدادي، مكي، مدني، بصري، هروي، بخاري، واسطي، بلخي، سرخسي، عسقلاني، صنعاني، حمصي. وقد يُعِين تحديد المنطقة على معرفة المذهب الغالب أو الموقف السياسي

---

[١٦٨] الأحاديث الطوال ص٤٥-٤٦، ٩٠، ١٠٠-١٠١، ١١٧-١١٨.

[١٦٩] السابق ص٧٧-٧٩.

[١٧٠] الشعر هي ٥١، ٦١، ٦٣-٦٤، ٦٩-٧٠، ٧١، ٧٣-٧٦، ٧٨-٧٩، ٨١-٨٢، ٨٦، ٩٣-٩٥، ١٠٤-١٠٦ (٧١ شاهدًا شعريًّا).

[١٧١] الأحاديث الطوال ١٤٥-١٦٤.

[١٧٢] السابق ص٤٦-٤٧، ٦٢، ٩٣-٩٤.

[١٧٣] الإمام علي بن عمر أحمد الدارقطني: كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمدين لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

[١٧٤] السابق ص٥٥، ٥٧.

[١٧٥] السابق ص٢٠٧، ١١، ٢٢١-٢٢٢، ٢٢٦.

من السلطة المركزية. وقد يُحدد مذهب الراوي بالقدرية أو الشيعة.[١٧٦] كما تُحدَّد مهنته وموهبته إذا كان من الحفاظ.[١٧٧] فالموضوع هنا يتحدَّد بحال الراوي.

(د) «العلل المُتناهية في الأحاديث الواهية» لابن الجوزي (٥٩٧هـ)[١٧٨]

والعنوان أصيل؛ فالموضوع هو الواهي أي الضعيف الساقط. فوهى يعني سقط. والعِلل المتناهية تعني الأسباب المحددة لوضع الحديث وليس الوضع من حيث هو وضع. والعلل كالأمراض تصيب الحديث بالسقم. والموضوع كالغريب مقولة من مقولات نقد المتن، ولكنها تعدَّت إلى شكل، أيضًا نقد المتن. وكما يتم تناول أنواع الوضع ودرجاته يتم أيضًا تناول أنواع السند، اتصاله وانقطاعه، ورفضه وإرساله. بل يتم أيضًا استعمال قواعد الجرح والتعديل لضبط شعور الراوي.[١٧٩] ولا يتم الاعتماد على القرآن والشعر لضبط الأحاديث، فالوضع هنا إبداع خالص.[١٨٠] واللفظ مثل الكرسي هو الرابط بين القرآن والحديث.[١٨١] والغاية الدفاع عن علم الحديث وإخراج الموضوع منه. وهناك أدبيات سابقة في الموضوع.[١٨٢] ويمكن معرفته بسهولة لطوله. فالذاكرة لا تعي الأحاديث الطوال. وركاكة الألفاظ وَعَيُّ العبارة، والرسول قد أوتي جوامع الكلم.

والتبويب طبقًا لأبواب الفقه؛ أربعون بابًا، طبقًا لمقدمة الكتاب وفهرسه المبدئي، ثم سقط في التنفيذ باب السخاء الذي أعلن عنه. ومن ضمنها أبواب التوحيد والإيمان والقرآن

---

[١٧٦] السابق ص١٠٨، ٢١٤.

[١٧٧] السابق ص١١٧.

[١٧٨] الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي التميمي القرشي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (جزءان)، قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.

[١٧٩] السابق ج١، ٥٩، ٦٤-٦٥.

[١٨٠] الآيات (٣٤)، الأشعار (٣).

[١٨١] السابق ج١، ٢٢.

[١٨٢] «لَمَّا كانت الأحاديث تنقسم إلى صحيح لا يُشك فيه، وحسَن لا بأس به، وموضوع مقطوع بكذبه، مُتزلزل قوي التزلزل، فأما الصحيح والحسَن فقد عُرِفا، وأما الموضوع فإني رأيتُه كثيرًا حتى إنهم وضعوا نسخًا طوالًا وأحاديث مدُّوا فيها النفس، لا يخفى وضعها وبرودة لفظها؛ فإنها تنطق بأنها موضوعة وأن حاشية المُصطفى منزَّهة عن مثلها.» السابق ج١، ١٧.

والحديث والمبتدأ؛ أي بدء الخلق مثل البخاري.[١٨٣] وأكبرها الفضائل والمثالب، وثانيها الصلاة، وثالثها العلم، ويشمل القرآن والحديث والفقه.[١٨٤] ورابعها الطهارة، وخامسها النكاح. وأصغرها الهدايا.[١٨٥] وترقم الأحاديث داخل كل باب. وقد وضع المُحدثون أكثر من ثلاثة آلاف حديث.[١٨٦]

والموضوع نقيض القسمة الثلاثية إلى صحيح وحسَن وضعيف.[١٨٧] ويتضمن الحُكم بالوضع أحكامًا أخرى مثل الكذب والتدليس والترك.[١٨٨] والوضع إبداع. ويتتبع أحيانًا منطق الإبداء وبيان أصله ومَساره وأسبابه الذاتية، مثل ضعيف الذاكرة في الأحاديث الطوال أو تدخُّل الخيال كما هو الحال فيما سُمي الأحاديث القدسية التي يتحدث فيها الله أو الملائكة في الصحو أو في المنام، أو الأخلاقية كما هو معروف في ألفاظ الجرح ولا شك

[١٨٣] السابق ج١، ١٩–١٣٣.

[١٨٤] هي على الترتيب: (١) التوحيد (٢٤)، (٢) الإيمان (٣)، (٣) المبتدأ (١٨)، (٤) العلم (٧٨)، (٥) السنة وذم البدع (٢٩)، (٦) الفضائل والمثالب (١٥٧)، (٧) الطهارة (٥٩)، (٨) الصلاة (٨٨)، (٩) الزكاة (٩)، (١٠) الصدقة (٥)، (١١) فعل المعروف والبر والصدقة (٢٣)، (١٢) الصوم (٣٥)، (١٣) الحج (١٤)، (١٤) السفر والجهاد (١١)، (١٥) البيع والمعاملات (١٩)، (١٦) النكاح (٤٣)، (١٧) الأطعمة (٨)، (١٨) الأشربة (١٠)، (١٩) اللباس (٧)، (٢٠) الزينة (١٠)، (٢١) النوم (٨)، (٢٢) الأدب (١٤)، (٢٣) معاشرة الناس (٣٥)، (٢٤) الهدايا (٢)، (٢٥) الأحكام والقضايا (١١)، (٢٦) الأحكام السلطانية (٣)، (٢٧) ذم المعاصي (٢٧)، (٢٨) الزهد (٣٤)، (٢٩) الذكر (٩)، (٣٠) الدعاء (٨)، (٣١) الملاحم والفتن (١٧)، (٣٢) المرض (١٠)، (٣٣) الطب (١٠)، (٣٤) ذكر الموت (٢٤)، (٣٥) القبور (٥)، (٣٦) أشراط الساعة وذكر البعث وأهوال القيامة (١٥)، (٣٧) صفة الجنة (٨)، (٣٨) صفة جهنم (٧)، (٣٩) المُستبشع من الروايات الواهية من الصحابة (٦).

[١٨٥] ومن ثم تكون على الترتيب الكمي: (١) الفضائل والمثالب، (٢) الصلاة، (٣) العلم، (٤) الطهارة، (٥) النكاح، (٦) الصوم، معاشرة الناس، (٧) الزهد، (٨) السنة وذم البدع، (٩) ذم المعاصي، (١٠) التوحيدي، ذكر الموت، (١١) فعل المعروف والبر والصدقة، (١٢) البيع والمعاملات، (١٣) المبتدأ، (١٤) الملاحم والفتن، (١٥) أشراط الساعة وذكر البعث وأهوال القيامة، (١٦) الحج، الأدب، (١٧) الأحكام والقضايا، السفر والجهاد، (١٨) الأشربة، الزينة، المرض، الطب، (١٩) الزكاة، الذكر، (٢٠) الدعاء، الأطعمة، النوم، صفة الجنة، (٢١) اللباس، (٢٢) صفة جهنم، المستبشع من الروايات الواهية من الصحابة، (٢٣) الصدقة، القبور، (٢٤) الأحكام السلطانية، الإيمان، (٢٥) الهدايا.

[١٨٦] مجموعها ١٥٧٩ حديثًا.

[١٨٧] العلل المتناهية ج١، ٥٥، ج٢، ٧٧٧.

[١٨٨] السابق ج١، ٢١.

في عدالة الراوي.[١٨٩] الأسباب التاريخية مثل الأهداف العقائدية والسياسية كما هو الحال عند الفرق الكلامية؛ الشيعة والقدرية والخوارج.[١٩٠] ويتحدَّد مستوى المتن من الركاكة اللفظية والأسلوبية، ودرجته في ضعف السند. وتتعدَّد طرُق روايته.[١٩١] وتوصف قصته كلها من خلال هذه الأسباب مُجتمعة.[١٩٢] ويُلجأ إلى مقاييس العقل والبداهة والفطرة للحُكم على صحة الحديث.[١٩٣]

(هـ) «كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» لابن الجوزي (٥٩٧هـ)[١٩٤]

وهو الكتاب الثاني في نفس الموضوع لنفس المؤلف.[١٩٥] وسبب التأليف هو إلحاح بعض الطلاب في جمع الأحاديث الموضوعة وسبب الوضع.[١٩٦] فقد أعرض الطلاب عن العلوم النقلية. واعتمد بعض الفقهاء والقصاصين والزهاد على الأحاديث الموضوعة؛ تملقًا للعوام، لما فيها من خيال. ويقوم على نقد السند وليس نقد المتن، مع أن الإشارة إلى نقد المتن تظهر في مقدمة كتاب التوحيد «نقد المتن بما يخالف المعقول أو يناقض الأصول؛ فقد فسد الزمان، وساء حال المتأخرين عن حال المتقدمين. لقد عرف السلف التمييز بين الصحيح والسقيم، والسليم والعليل، واستخراج الحُكم، واستنباط العِلم، ثم طالت طرُق البحث على

---

[١٨٩] السابق ج١، ٥٩، ٩٣، ١٠٧.

[١٩٠] السابق ج١، ٤٨، ١٦٣، ج٢، ٦٧٩–٧٠٣.

[١٩١] السابق ج١، ٥٠، ٦٤-٦٥.

[١٩٢] السابق ج١، ٢٩١.

[١٩٣] السابق ج١، ١٠٥.

[١٩٤] الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر ابن الجوزي: كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات (أربعة أجزاء)، حقق نصوصه وعلق عليه الدكتور نور الدين بن شكري بن علي بويا جيلار، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

[١٩٥] هو كتاب «العلل المُتناهية في الأحاديث الواهية».

[١٩٦] «فإن بعض طلاب الحديث ألحَّ عليَّ أن أجمع له الأحاديث الموضوعة، وأُعرِّفه من أي طريق يُعلم أنها موضوعة، فرأيت أن إسعاف الطالب للعِلم بمطلوبه يتعين خصوصًا عند قِلة الطلاب، لا سيما لعِلم النقل، فإنه قد أُعرِض عن ذلك بالكلية حتى إن جماعة من الفقهاء يبنون على أحاديث موضوعة، وكثيرًا من القصاص يروون الموضوعات فيتحدَّث بها العوام وخلفًا من الزهاد يتعبدون بها.» السابق ص٣-٤.

من قلدوهم. ثم جاء الخلف فخلطوا بين الصحيح والسقيم.»[١٩٧] ويروي القاص للعوام ما يخرج عن العلم.[١٩٨]

ويضم الكتاب مقدمة نظرية طويلة في اثني عشر فصلًا.[١٩٩] وتدور حول إكرام الله لهذه الأمة وتفضيلها على غيرها، وسبب ذلك، ثم تخلُّف المتأخرين عن المتقدمين، والخلف عن السلف.[٢٠٠] ثم تقسم الأحاديث إلى ستة أقسام: الصحيح، ما انفرد به البخاري أو مسلم، ما صح سنده على رأي أحد الشيخين، ما فيه ضعف قريب مُحتمل، الشديد الضعف، الموضوع.[٢٠١] وتطمئن النفس للأربعة الأولى. أما الوضع فقد تم لأسبابٍ ستة: إفساد الشريعة من الزنادقة، نصرة مذاهب الفِرَق، الترغيب والترهيب، وضع الأسانيد لكل كلامٍ حسَن، الوضع لغرَض دنيوي، الإغراب للطلب والإسماع.[٢٠٢] ثم يأتي ذم الكذب والتحقُّق من روايات حديث «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده في النار» وتبلغ حوالي ثمانٍ وتسعين رواية.[٢٠٣] وتذكر تأويلاته المختلفة. ونقد السند أمر شرعي منعًا للتدليس؛ فالموضوع هنا يرجع إلى حال الراوي.[٢٠٤]

وتستخرج الأحاديث الموضوعة من الإصحاحات خاصة البخاري طبقًا للتبويب الفقهي.[٢٠٥] ومجموعها ألف وثمانمائة وسبعة وأربعون حديثًا. ويستشهد بالقرآن بدرجةٍ

---

[١٩٧] السابق ص١٥٠-١٥١.

[١٩٨] «وقد كان جماهير أئمة السلف يعرفون المنقول من سقيمه، ومعلوله من سليمه، ثم يستخرجون حُكمه، ويستنبطون علمه، ثم طالت طرق البحث على من بعدهم فقلدوهم فيما نقلوا، وأخذوا عنهم ما هذَّبوا، فكان الأمر متحاملًا، إلى أن آلت الحال إلى خلَف لا يفرقون بين صحيح وسقيم ... فالفقيه منهم يقلد التعليق في خبرٍ ما غير خبره. والمُتعبد يتعبَّد لأجل حديثٍ لا يدري مَن سطرَه. والقاص يروي للعوام الأحاديث المُنكرة ... فكم قد أفسد القصاص من الخلق بالأحاديث الموضوعة ...» السابق ص٨.

[١٩٩] كتاب الموضوعات ص٤–١٤٨.

[٢٠٠] السابق ص٤–٨.

[٢٠١] السابق ص٩–١٤.

[٢٠٢] السابق ص١٥–٤٦.

[٢٠٣] السابق ص٤٨–١٣٨.

[٢٠٤] السابق ص١٣٩–١٤٦.

[٢٠٥] وهي: (١) التوحيد، (٢) الإيمان، (٣) المبتدأ، (٤) ذكر جماعة من الأنبياء القدماء، (٥) العلم، (٦) السنة وذم أهل البدع، (٧) الفضائل والمثالب، (٨) الطهارة، (٩) الصلاة، (١٠) الزكاة، (١١) الصدقة،

أقل وبالشعر نادرًا.[٢٠٦] بعضها أحاديث خيالية أو تفصيلية تُبين المصالح الخاصة.[٢٠٧] ويظهر ذلك في كتاب التوحيد وكتاب المبتدأ، وهو بدأ الخلق عند البخاري.[٢٠٨] وتتداخل مظاهر الطبيعة مع الملائكة في جوٍّ خيالي أسطوري شعبي. وتظهر الدوافع السياسية والنزاع بين الفرق مثل المُرجئة والقدرية في الوضع.[٢٠٩] وفي كتاب الفضائل والمثالب تُروى كثير من الأحاديث الموضوعة ذمًّا أو مدحًا أو تخيلًا.[٢١٠] ومن علامات الوضع التناقض،

---

(١٢) فعل المعروف، (١٣) مدح السخاء والكرام، (١٤) الصوم، (١٥) الحج، (١٦) السفر، (١٧) الجهاد، (١٨) البيع والمعاملات، (١٩) النكاح، (٢٠) النفقات، (٢١) الأطعمة، (٢٢) الأشربة، (٢٣) اللباس، (٢٤) الزينة، (٢٥) الطب، (٢٦) النوم، (٢٧) الأدب، (٢٨) معاشرة الناس، (٢٩) البر، (٣٠) الهدايا، (٣١) الأحكام والقضايا، (٣٢) السلطانية، (٣٣) الإيمان والنذور، (٣٤) ذم المعاصي، (٣٥) الحدود والعقوبات، (٣٦) الزهد، (٣٧) الذكر، (٣٨) الدعاء، (٣٩) المواعظ، (٤٠) الوصايا، (٤١) الملاحم والفتن، (٤٢) المرض، (٤٣) الطب، (٤٤) ذكر الموت، (٤٥) الميراث، (٤٦) القبور، (٤٧) البعث وأهوال القيامة، (٤٨) صفة الجنة، (٤٩) صفة جهنم، (٥٠) المستبشع من الموضوع على الصحابة.

[٢٠٦] الآيات (١٢٣)، الأشعار (١).

[٢٠٧] مثل: تشبيه كلام الله بالصواعق، عروج الله إلى السماء، التاج المخوص من لؤلؤ، نزول الله يوم عرفة وركوبه جملًا أحمر، رؤية الرسول ربه في المنام شابًّا موفرًا، جلوس الله بين الجنة والنار يوم القيامة، السابق ص١٦٠–١٨٤.

[٢٠٨] التوحيد، السابق ص١٤٩–١٨٤؛ المبتدأ، السابق ص٢٠٤–٣٠١، وذلك مثل الشمس والقمر يلتقيان في النار ص٢٠٦، خلق المجرَّة من عرق الأفعى ص٢٠٩، الملائكة المُوكلون بالمساجد الثلاثة ص٢٢٠، ما يكتب في رأس المولود قبل أن يُولَد ص٢٣٢، مدح الصلع في الرأس ص٢٦١، نبات الشعر في الأنف ص٢٦٢، خلق النخلة من طين آدم ص٢٩٠، خلق الزنابير من رءوس الخيل ص٢٩٩، المشي حافيًا في طلب العلم ص٣٥٠، ذم الحاكة، خروج الحاكة مع الرجال ص٣٦٥-٣٦٦، إفاقة المجنون والمصروع بقراءة القرآن عليه ص٤١٧، وضع القلم على الأذن ص٤٢٣، إنشاد الشعر بعد العتمة ص٤٢٦، زيارة الملائكة قبور العلماء ص٤٣٣، انتشار الشياطين يظهرون البدع ص٤٤٢.

[٢٠٩] الاستثناء في الإيمان، القول في المرجئة والقدرية، السابق ص١٩٥–١٩٧، القدرية مجوس الأمة، ذم المرجئة، ذم القدرية والمعصبية والروافض والخوارج، السابق ص٤٥١–٤٥٧.

[٢١٠] مثل تكليم حمار المسيح يعفور ج٢، ٢٦، مقدار بعثه في قبره ميتًا ٢٣٩، معانقة الله عليًّا عند موته، رؤية عودة الرسول، ركوبه يوم القيامة، صعود علي المنبر وكسوته يوم القيامة، فضل شيعته، دخولها الجنة، لا يجاز الصراط إلا به، إدخال الجنة من يُحب، تسليم روحه على الرسول قبل خلق الأجساد، علي نفس محمد ص١٧٥–١٩٠، فضل الحُسين وقتل سبعين ألفًا بقتله ص٢٠٦، خلق فاطمة من نطفة ص٢٠٨، كانت لا تحيض، تحريمها وذريتها على النار ص٢٢٥-٢٢٦، عائشة ولدت من الرسول ص٢٣٩، حبُّ العرب، فضل قريش، ذم النبط، فضل الجنة ص٢٩٢–٢٩٥، التنزُّه من مس الكافر ص٣٥٤، العمائم

وذم الأمر ومدحه في آنٍ واحد مثل الجراد والغناء.[211] ومن علاماته التعارُض مع العقل وغياب السبب، وكون الموضوع أقرب إلى العادات الشعبية. خاصة بالنساء.[212] ومنها ما يُشبه الأساطير مثل ذبائح الجن، ومنها ما يعتمد على الخبر وحدَه ولا يمكن التحقُّق من صِدقه، مثل كل ما يحدث بعد الموت وفي الجنة والنار والحور العين ممَّا يسمح بالخيال.

(و) «الكشف الحثيث عمَّن رُمي بوضع الحديث» لبرهان الدين الحلبي (٨٤١هـ)[213]

وهو كتاب يكشف عن أسماء الكذَّابين والوضَّاعين للأحاديث مُرتَّبين أبجديًّا، أي وضع قائمة اتهام مع مقدمة نظرية عن أنواعهم وأسباب الوضع.[214] وطبقًا لابن الجوزي، الوضَّاعون سبعة أقسام: الأول الانتصار للمذهب كالخطابية والروافض وقوم من السالمية، وهم ليسوا وحدَهم؛ فالوضع من فِرَق المعارضة ومن فرق السلطة. كل وضع رد فعل على الآخر، وضعًا بوضع. والثاني التقرُّب لبعض الخلفاء والأمراء دفاعًا عن السلطان. والثالث التكسُّب والارتزاق بالقصص، والرابع الامتحان مع الأولاد ووضع الأحاديث لتربيتهم بحُسن نية، فلا إثم فيه، ولكنه ليس بحجَّة وإن كانوا عدولًا. والخامس إقامة الدليل على الآراء في مجتمعٍ النصُّ فيه سلطة. والسادس قلب سند الحديث للاستغراب وإثارة الأسماع.

البيض يوم الجمعة ص٤٠٤، النهي عن قسمة طريق ناسكة ص٦٠٩، الأمر باتخاذ السودان، ذم السودان، ذم الزنج، مدح الحبش، ترك الترك ص٦٢٣–٦٢٤.

[211] السابق ج٣، ١٥٢–١٥٣، ٣٣٦–٣٣٧.

[212] مثل نثر التمر على رأس المُتزوج ج٣، ٥٦، تعليم النساء سورة النور ومنعهن من سُكنى الغرَف وتعلُّم الكتابة ص٦٤، بركة المرأة إذا بكَّرت بأنثى ص٧٧، أطراف الأولاد وتقديم البنات ص٧٨، تقليل كسوة المرأة ص٨٨، النهي عن ذبائح الجن ص١٢٧، ما ذُكر أن السماء ديك ص١٣٩، اتخاذ الحمام في البيت لدفع الشيطان ص١٤٩، صفة لباس الملائكة ص٢٢١، النهي عن قصِّ المنام على النساء ص٢٥٥، الركوع عند دخول الدار ص٢٦٢، إذا أراد الله أن يخلق خلقًا للخلافة مسح ناصيته بيده ص٣٠٢، في كيفية حشر أولاد الزنا، في أنَّ ولد الزنا لا يدخل الجنة ص٢٣٥–٢٣٦، قتل اللص ص٣٥٤، التعوُّذ من الهوام ص٤٢٥، ذم المولودين بعد المائة أو المائتين أو الثلاثمائة ص٢٦٣–٤٧٥، ذكر خليفة آخر الزمان ص٤٧٥، النهي عن الحجامة أيام السبت والثلاثاء والأربعاء والجمعة ص٥٠١–٥٠٧، دخول الذباب النار ص٦٠١.

[213] برهان الدين الحلبي: الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث، حقَّقه وعلَّق عليه السيد صبحي البدري السامرائي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

[214] وهم (٨٨٠ واضعًا)، وعدد الأحاديث الموضوعة والضعيفة والباطلة (٢١٢).

والسابع الترغيب لفعل الخير والترهيب لتجنُّب الشر كما يفعل بعض الزهاد والصوفية.[٢١٥] وقد جوَّز ذلك بعض الكرامية ترغيبًا للناس في الطاعة وزجرًا لهم عن المعصية، قياسًا على قول الرسول. فالوضع هنا يتعلق بحال الراوي. ويُعلم الحديث موضوعًا بإقرار صاحبه أو عن طريق التعاصُر بين الراوي ومَن سمع منه بأن يكون الشيخ قد تُوفي قبل أن يُولَد السامع أو أن يكون السامع قد تُوفي قبل أن يُولد الشيخ. وقد تكون ركاكة المتن وألفاظه مما يدل على الوضع. وقد تكون البداهة والإحساس الطبيعي.[٢١٦]

(ز) «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (٩١١هـ)[٢١٧]

وهو مجرد رصد وتجميع للأحاديث الموضوعة مع تشبيهها باللآلئ المصنوعة نظرًا لبريقها ومُطابقة بعضها للحسِّ والعقل والوجدان. وهو مُبوَّب طبقًا للتبويب الفقهي؛ واحد وعشرون بابًا، سبعة في الفقه الأكبر وأحد عشر في الفقه الأصغر.[٢١٨] أكبرها مناقب آل البيت، ثم المبتدأ، ثم الصدقات، وأصغرها المواريث.[٢١٩] وما يسمح بالوضع هو المدح

---

[٢١٥] السابق ص٢٨–٣٠.

[٢١٦] «قال الربيع بن خثيم: إن للحديث ضوءًا كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره. وقال ابن الجوزي: واعلم أن الحديث المُنكر يقشعر له جلد الطالب للعلِم وينفر منه قلبه.» السابق ص٣٠–٣١.

[٢١٧] الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، (ثلاثة أجزاء)، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

[٢١٨] وهي: (١) التوحيد (٢٦)، (٢) الإيمان (١٢)، (٣) المبتدأ (١٠٠)، (٤) الأنبياء والقدماء (٢٦)، (٥) العلم (٣٢)، (٦) السنة (١٦)، (٧) المناقب (٢٠٠)، (٨) الطهارة (٧)، (٩) الصلاة (٧٢)، (١٠) الصيام (١٧)، (١١) الحج (١٢)، (١٢) الجهاد (٨)، (١٣) المعاملات (١٥)، (١٤) النكاح (٢٠)، (١٥) الأحكام والحدود (٢٢)، (١٦) الأطعمة (٤٤)، (١٧) الأدب والزهد (٥١)، (١٨) الذكر والدعاء (١٣)، (١٩) المواعظ والوصايا (٢٠)، (٢٠) الفتن (٩)، (٢١) المرض والطب (١٥)، (٢٢) الموت والقبور (٢٣)، (٢٣) المواريث (١)، (٢٤) البعث (٣١).

[٢١٩] طبقًا للترتيب الكمِّي: (١) مناقب أهل البيت، (٢) المبتدأ، (٣) الصدقات، (٤) الأدب والزهدر، (٥) الأطعمة، (٦) فضائل القرآن، (٧) البعث، (٨) التوحيد، الأنبياء والقدماء، (٩) الموت والقبور، (١٠) الأحكام والحدود، (١١) المواعظ والوصايا، النكاح، (١٢) الصيام، (١٣) اللباس، (١٤) المعاملات، السنة، (١٥) الذكر والدعاء، المرض والطب، (١٦) الإيمان، (١٧) الفتن، (١٨) الجهاد، (١٩) الطهارة، (٢٠) المواريث.

والذم والتحيُّز والتحزُّب والتشيُّع، ثم الكون والخلق والخيال الميتافيزيقي. وما يقلُّ فيه هي الحدود والأحكام والقوانين مثل المواريث. يعتمد على المصادر السابقة التي تُذكَر أو تُذكَر أسماء أصحابها. كما يعتمد على القرآن والشعر.[220] يغيب التحليل والتنظير وأشكال الوضع، معناه ودوافعه. بل إن الفهارس الأخيرة، وهي الجزء الثالث كله. لا يشتمل إلا فهرس الأحاديث الفعلية.[221] لذلك استحق المؤلف اسم الحافظ بالرغم من أن الوضع يتعلق بالسند والمتن معًا.

ومع ذلك، تظهر بعض التحليلات النظرية في آخر الكتاب اعتمادًا على ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات وتقسيم الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب على خمسة أقسام:

(١) الزهاد والمُتقشِّفون الذين غفلوا من الحفظ والتمييز، منهم من ضاعت كتبه أو حُذفت أو دُفنت. فحُفظت شفاهًا فوقع الغلط. يرفع المرسل، ويسند الموقوف، ويقبل الإسناد، ويُدخل حديثًا في حديث. وهم الصوفية الموهوبون بالإبداع الفني.

(٢) قوم لم يُعانوا علم النقل فكثر خطؤهم وفُحشهم، وهم الذين أرادوا تجاوز تحليل السند إلى وضع المتن.

(٣) ثقات اختلطت عقولهم في أواخر أعمارهم فخلطوا الرواية، فالسند مرتبط بمراحل العمر وقوة الذاكرة، والقُدرة على الحفظ.

(٤) قوم غلبت عليهم الغفلة. قسم منهم مجرد مُلقن دون علم، وهم ضعاف السند الذين يجعلون الحديث مجرد نقل دون فهم، ورواية دون دراية.

(٥) قوم تعمدوا الكذب، إما أنهم روَوا عن خطأ دون عِلم ثم علموا وأصرُّوا على الخطأ، أو روَوا عن كذَّابين ضعفاء فدلَّسوا أسماءهم أو تعمَّدوا الكذب عن محمد، وهم كثر: زنادقة لإفساد الدين والشك في الشريعة وقد وضع أحدهم أربعة آلاف حديث، وقوم لنصرة مذاهبهم، وقوم للترغيب والترهيب لإتمام الشريعة ولحُبِّ الأوطان ووضع الأحاديث في فضلها، وللتقرُّب إلى السلطان ونصرته، وقصد للإغراب وجذب الانتباه للسماع إليهم، ولتجاوز النقل إلى الإبداع، والمحفوظ إلى الخلق.[222]

---

[220] الآيات (٥٨)، الأشعار (٣٠).

[221] الأحاديث القولية (٢٨٥٦)، الأحاديث الفعلية (١٠٧٧).

[222] فوائد متفرقة، ج٢، ٣٨٨–٣٩٣.

والوضاعون كبار وصغار. ولكل فرسان. وفرسان الإسلام أصحاب الأسانيد. فالوضع إبداع فني. ويختلف الوضاعون في درجات الإبداع.

وكما يقسم الرواة الوضاعون إلى خمسة أقسام تُقسَّم الأحاديث ستة أقسام طبقًا لدرجة صِحتها من الصحيح حتى الموضوع.

(١) ما اتفق عليه البخاري ومسلم وهما الصحيحان بالرغم مما أثاره القدماء قبل المُحدَثين من أوجه الضعف في روايات الصحيحَين.[٢٢٣]

(٢) ما تفرد به البخاري ومسلم.

(٣) ما صح سنده ولم يُخرجه واحد منهما. فصحة السند لا تعني صحة المتن. فقد يصحُّ السند ويكون المتن مُركبًا عليه وهو المدرج.

(٤) ما فيه ضعف قريب مُحتمل وهو الحسَن طبقًا للأنواع الثلاثة للحديث؛ الصحيح والحسن والضعيف. والحسن أقل درجة من الصحيح.

(٥) الشديد الضعف الكثير التزلزل، بين الحسَن والموضوع. وهو الدرجة الثالثة من قسمة الحديث إلى صحيح وحسَن وضعيف.

(٦) الموضوع الكذب.[٢٢٤] وهو المُتناهي في الضعف سندًا ومتنًا، وبالتالي الخروج من قسمة الحديث الثلاثية إلى الموضوع.

(ح) «تحذير الخواص من أكاذيب القصاص» للسيوطي (٩١١هـ)[٢٢٥]

ويدل العنوان على أن الكذب في الحديث كان شائعًا. وكان من يقوم بذلك القصاصون نظرًا لاستعداد الخيال على القصِّ والرواية. يعتمد على المنهج النقلي الخالص مثل معظم أعمال السيوطي، نقلًا وتلخيصًا.[٢٢٦] ويتضمن عشرة فصول. تتناول تعظيم الكذب على

---

[٢٢٣] انظر المقدمة.

[٢٢٤] السابق ص٣٩٣–٣٩٤.

[٢٢٥] الإمام جلال الدين السيوطي: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

[٢٢٦] والفصل العاشر تلخيص لأحد الأعمال السابقة «الباعث الحثيث على الخلاص من حوادث القصاص» للحافظ الكبير زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي، السابق ص٧٤، ٢٢١–٢٨٢.

الرسول وتجريحه، وتوقِّي الصحابة والتابعين كثرة الرواية، وضرورة المراجعة على العلماء، واستحقاق العقاب بالضرب، وظهور النبي في المنام مُنكِرًا الكذب عليه، وإنكار العلماء ذلك، وقدرة الناقد المُجتهد على معرفة الموضوع.[٢٢٧] ويعتمد الموضوع هنا على حال الراوي والقدرة على وضع المتون في آنٍ واحد.

(ط) «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني (٩٦٣هـ)[٢٢٨]

وهو عنوان دفاعي «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة»، وتخليص الصدق من الكذب، والحق من الباطل. والمقدمة النظرية الأولى دفاعية كذلك.[٢٢٩] فالغرَض من الكتاب تنزيه الشريعة عن كل حديثٍ مُفترى. وهو كتاب تجميعي، مُلخصًا من عدة كتب سابقة مثل ابن الجوزي. وتابع تقسيم «اللآلئ المصنوعة»، مع زيادة الأسيوطي. وهو مُقسم إلى كتب، والكتاب إلى أبواب، والباب إلى فصول. ولا يُوجَد موضوع خاص لكل فصلٍ أو مُبرر يتميز به فصل عن آخر. ولأول مرة يتمُّ تعريف الموضوع وإمارته وحكمه. فالموضوع اسم مفعول، ويعني اشتقاقًا «أسقط» و«حط»، واصطلاحًا مختلق مصنوع، لا يستحق الرفع. وهو أشر أنواع الضعيف. وله أمارات: إقرار الواضع، ما ينزل منزل الإقرار، التصريح بالكذب، خبر عن أمرٍ جسيم تتوفر الدواعي على نقله من الجميع وألا ينقله إلا واحد، رواية خبر قد استقرَّت فيه الأخبار، كون الراوي رافضيًّا والحديث في فضائل آل البيت،

---

[٢٢٧] وهي: (١) الأحاديث الواردة في تعظيم الكذب على الرسول، (٢) تحريم رواية الحديث والكذب عنه، (٣) توقى الصحابة والتابعين كثرة الحديث، (٤) لا يجوز لأحد رواية حديث حتى يعرضه على شيخ من علماء الحديث، (٥) من أقدم على رواية الأحاديث الباطلة يستحق الضرب ويغتاب ويستعدى عليه ويحكم عليه بالمنع من رواية ذلك، (٦) من رأى النبي في المنام مُنكِرًا لما رُوي عنه من الأباطيل، (٧) إنكار العلماء على القصاص ما روَوه من الأباطيل وسفه القصاص، (٨) الأحاديث الموضوعة كثيرة ولا يميزها إلا الناقد المجتهد، (٩) تلخيص كتب العراقي، (١٠) زيادات فاتت الحافظ العراقي.

[٢٢٨] أبو الحسن علي بن محمد عراق الكناني: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (جزءان)، حقَّقه وراجع أصوله وعلَّق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[٢٢٩] السابق ص٣–١٠.

وأن يكون الراوي جزءًا منه. وحُكمه تحريم روايته. وقد أنكر وقوعه بعض المتكلمين بالرغم من تحذير الرسول من الكذب عليه. ودراسة الأحاديث الموضوعة باتفاق القدماء وبيان أسباب الوضع أكثر أمانًا من دراسة الأحاديث الصحيحة والشك في صحتها.

والكتاب مُرتَّب طبقًا لأبواب الفقه؛ ثمانية وعشرون بابًا، ثمانية في الفقه الأكبر وعشرون في الفقه الأصغر.[٢٣٠] أكبرها المناقب والمثالب ثم المبتدأ أي بدء الخلق، وأصغرها المواريث.[٢٣١] فالإبداع في المدح والذم وفي الأطعمة وحاجات الناس وأذواقهم أكثر منه في الحدود والقوانين. ويوضع الفهرس في المقدمة إعلانًا لموضوعات الكتاب.[٢٣٢] والأحاديث الطوال كلها أحاديث خيالية عن عوالم ميتافيزيقية مثل ليلة القدر، وأطلق عليها فيما بعد الأحاديث القدسية، يتحدَّث فيها الله أو جبريل.[٢٣٣] والعجيب هذه القدرة الفنية والتبصُّر على الوضع.[٢٣٤] ولا يظهر القرآن إلا عرضًا في حين يظهر الشعر.[٢٣٥] ولا تظهر الأمثال العربية كنماذج للوضع، كما يتم الاعتماد على السابقين والاقتباس منهم ووضع لفظ «انتهى».[٢٣٦]

---

[٢٣٠] وهي: (١) التوحيد (١٥)، (٢) الإيمان (٦)، (٣) المبتدأ (٧٣)، (٤) الأنبياء والقدماء (٢٣)، (٥) العلم (٣٤)، (٦) فضائل القرآن (٢٥)، (٧) السنة (١١)، (٨) المناقب والمثالب (١٦٧)، (٩) الطهارة (١٠)، (١٠) الصلاة (٥٢)، (١١) الصدقات والمعروف (١٧)، (١٢) الصيام (١٠)، (١٣) الحج (١٠)، (١٤) الجهاد والسفر (١٠)، (١٥) المعاملات (١٧)، (١٦) النكاح (١٨)، (١٧) الأحكام والحدود (١٧)، (١٨) الأطعمة (٣٢)، (١٩) اللباس والزينة (١٤)، (٢٠) الأدب والزهد (٣٧)، (٢١) الذكر والدعاء (٢٠)، (٢٢) المواعظ والوصايا (٧)، (٢٣) الفتن (٧)، (٢٤) المرض والطب (١٠)، (٢٥) الموت والقبور (١٤)، (٢٦) المواريث (١)، (٢٧) البعث (١٦)، (٢٨) الجامع (١١).

[٢٣١] طبقًا للكم: (١) المناقب والمثالب (١٦٧)، (٢) المبتدأ (٧٣)، (٣) الصلاة (٥٢)، (٤) الأدب والزهد (٣٧)، (٥) العلم (٣٤)، (٦) الأطعمة (٣٢)، (٧) فضائل القرآن (٢٥)، (٨) الأنبياء القدماء (٢٣)، (٩) الصيام (٢٢)، (١٠) الذكر والدعاء (٢٠)، (١١) النكاح (١٨)، (١٢) الأحكام والحدود والصدقات والمعروف (١٧)، (١٣) البعث (١٦)، (١٤) التوحيد (١٥)، (١٥) اللباس والزينة، الموت والقبور (١٤)، (١٦) المعاملات (١٦)، (١٧) السنة-الجامع (١١)، (١٨) الحج، الجهاد والسفر، الطهارة، المرض والطب (١٠)، (١٩) المواعظ والوصايا، الفتن (٧)، (٢٠) الإيمان (٦)، (٢١) المواريث (١).

[٢٣٢] السابق ج١، ١٣٣.

[٢٣٣] السابق ج١، ١٤٧–١٤٨.

[٢٣٤] السابق ج١، ١٥٥–١٦٩، ١٧٩، ١٨٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٣٠٣–٣٠٦، ٣٢٧–٣٣١، ٣٧٨–٣٨٢، ٣٩٣–٣٩٥. ج٢، ٣٣–٣٦، ٣٧–٤٥، ٣٩٧–٤٠١.

والحكم بالوضع على السند والمتن معًا بالرغم من التركيز على المتن.[٢٣٧] وأحيانًا يكون السند صحيحًا والمتن موضوعًا، والسند موضوعًا والمتن صحيحًا. وعادة ما يكون السند مرفوعًا والمتن موضوعًا لأنه لا يمكن إسناد الحديث الموضوع، فلا تُوجَد علاقة ضرورية بين صحة السند وصحة المتن. وتتعدد طرق نقد السند عن طريق إحصاء طرق الرواية، وتتبع سلسلة الرواة؛ فقد يكون أحدهم كذابًا، وقد يكون هناك نوع من الاضطراب الزماني يجعل مقابلة راوِيَين مُستحيلًا ووجودهما في عصرين مختلفين.[٢٣٨] وتطبق شروط الراوي في قواعد الجرح والتعديل على الرواة.[٢٣٩] والجرح أكثر من التعديل. وقد تستعمل بعض الصور الفنية للحكم على السند مثل كونه مُظلمًا.[٢٤٠] وتتفاوت درجات الوضع بين الكذب والضعف وما بينهما مشهور، بين الموضوع والضعيف.[٢٤١] والموضوع والواهي.[٢٤٢] وقد ينتهي الحكم على الحديث بالحسن أو الصحة.[٢٤٣] وقد يكون الحكم بالتوقف عن الحُكم لوجود أدلة وأدلة مُضادة على الوضع.[٢٤٤] وربما يُرجع الأمر كله إلى الله «والله أعلم» للدلالة على نسبية الأحكام. ويعتمد على الفقهاء كمصدر لها خاصة فقهاء السلف مثل ابن تيمية.[٢٤٥] ولا يتحرج القدماء في إطلاق الحكم بالوضع على الحديث حتى ولو كان مشهورًا متداولًا.

ويصدر الحكم على صحة المتن بشهادة حديثٍ آخر أو بشهادة العقل. فالعقل يُحسِّن ويُقبِّح ولا مناص من الاعتماد عليه حتى عند السلفيين عامة والأشاعرة خاصة. ومن ثم يصعب الحُكم على أحاديث العقل بأنها موضوعة.[٢٤٦]

---

[٢٣٥] الأشعار (١٧).

[٢٣٦] السابق ج١، ٣٣٥.

[٢٣٧] تنزيه الشريعة المرفوعة ج١، ١٨٩. «وهذا متن باطل وإسناد مختلف» ج٢، ١٩.

[٢٣٨] السابق ج١، ٢٧٢.

[٢٣٩] السابق ج١، ١٣٦.

[٢٤٠] السابق ج١، ٣٨٨.

[٢٤١] السابق ج١، ١٤٨.

[٢٤٢] السابق ج١، ٢٥١.

[٢٤٣] السابق ج١، ١٩٤.

[٢٤٤] السابق ج١، ٣٩٠.

[٢٤٥] السابق ج١، ١٤١.

وقد تكون أسباب الوضع داخلية في الصراع بين القوى السياسية كما مثَّلها الصراع بين فِرَق السلطة؛ الأشاعرة الأموية، وفرق المعارضة المعتزلة والخوارج والشيعة؛ لذلك كثرت الأحاديث الموضوعة في تبرئة فرقة السلطة وتكفير فِرَق المعارضة كما هو واضح في كتاب «السنة» أي الطريق السليم.[٢٤٧] وهل ظهرت هذه الفِرَق والصراع على السلطة في عصر الرسول حتى يطلق أحاديث لتبرئة فريق وإدانة فريق؟[٢٤٨] وتشتد الحملة على التشيُّع باعتباره السبب الرئيسي في الوضع، المُعارضة الجذرية. أما أسباب الوضع الخارجية فهي التوراة أي الإسرائيليات التي تكون أحيانًا نموذجًا للوضع من القصص.[٢٤٩]

والوضَّاعون أصناف سبعة شبيهة بتصنيف السيوطي:

(١) الزنادقة بدافع الاستخفاف بالدين والتلبيس على المسلمين. وقد وضعوا وحدَهم حوالي أربعة آلاف حديث. وهو وضع عن قصدٍ لَمَّا كان الحديث سلطة، والقرآن دُوِّن من قبل يصعُب الوضع فيه.

(٢) أصحاب الأهواء والبِدَع لنصرة مذاهبهم أو ثلب مُخالفهم. فالنص أحد وسائل الدفاع عن الذات ونقد الخصوم في مجتمعٍ الحجَّة فيه ما زالت نصية، والنص فيه ما زال سلطة.

(٣) صُنَّاع الوضع وتُجَّاره؛ جُرأةً على الدين. وهم الذين امتهنوا الوضع، لقدراتهم الإبداعية، لأصحاب المصالح، مع أنه لا يجوز أخذ الأجر على قراءة القرآن أو رواية الحديث.

(٤) الزهاد الجهلاء للترغيب والترهيب وحثِّ الناس على الخير وزجرهم عن الشر، مثل الكرامية وبعض المُتصوفة؛ فالغاية تُبرر الوسيلة. والصوفية لا يؤمنون برواية السند عن طريق العنعنة لرواةٍ ماتوا، بل ينقلون أحاديثهم من الحي الذي لا يموت. فالذوق بديل عن الرواية.

(٥) أصحاب الأغراض الدنيوية كالقصَّاصين والشحاذين وأصحاب الأمراء الذين يضعون الحديث لمصالحهم أو لمنافعهم أو كأحد وسائل كسْب العيش.

---

[٢٤٦] تنزيه الشريعة المرفوعة ج١، ٢١٣–٢١٤. «وما أضعف عقل من لا يعتقد هذا مرفوعًا.» السابق ج١، ٣٧٠.

[٢٤٧] السابق ج١، ٣١٠–٣٢٠.

[٢٤٨] السابق ج١، ٤٩٠.

[٢٤٩] السابق ج١، ٢٤٠.

(٦) الشره ومحبو الظهور وتحويل الإسناد الضعيف إلى مشهور، وتغيير الإسناد لادِّعاء سلطة عِلمية في مجتمع يرى حمَلَة العلم علماء، وأن العِلم هو العِلم المنقول.

(٧) واضعو الموضوع دون تعمُّد بل عن سهوٍ وغلط.[٢٥٠] وهم حسنو النية الذين يصاحبون المتن أكثر ممَّا يحرصون على السند. وينقصهم شرط الرواية وهو الضبط، وهناك مئات من الوضَّاعين مُرتَّبون ترتيبًا أبجديًّا؛ حوالي ألف وسبعمائة وثلاثة وستين واضعًا. والكُنى بعد الأسماء.[٢٥١] ويوصف كل واضع في عبارة قصيرة تُحدد شخصيته ومعرفة درجة الوضع ابتداءً من الاختلاق القصدي والكذب المُتعمد.

(ك) «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لعلي القاري الهروي المكي (١٠١٤هـ)[٢٥٢]

وهو كتاب في الأحاديث الموضوعة ومقاييسها. ويضم تسعمائة وثمانية وسبعين حديثًا مع مقدمة نظرية عن الأصل والموضوع في الإسناد، وهو عدم الثبوت، ولا يعني بالضرورة أن يكون موضوعًا.[٢٥٣] فقد يكون الحديث موضوعًا من طريق، صحيحًا من طريق آخر. ويعتمد على عدد من الأحاديث والآيات والأشعار.[٢٥٤] ويُحكَم على درجة صحته بمقياس لغوي. والترتيب الموضوع أفضل. وأحيانًا ينتقل من الحديث إلى المُحدِّث. وهي عديدة: ليس بثابت، ليس بحديث، لم أجده موضوعًا، كذب، لا أصل له، لا أعرف، لم أقف عليه،

---

[٢٥٠] السابق ج١، ١١–١٨.

[٢٥١] السابق ج١، ١٩–١٣٣.

[٢٥٢] الإمام العلامة الفقيه المُحدث علي القاري الهروي المكي: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (وهي الموضوعات الصغرى)، حقَّقه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، (١٤١٧هـ)، اعتنى بإخراجه سلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، ط٦، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

[٢٥٣] «لأن هذا كله يُحسَب، ظهر للمُحدِّثين من حيث النظر إلى الإسناد، وإلا فلا مطمع للفظ الإسناد لا تجويز العقل أن يكون الصحيح في نفس الأمر موضوعًا، والموضوع صحيحًا إلى الحديث المتواتر فإنه في إفادة العلم اليقيني يكون قطعيًّا صريحًا.» السابق ص٤٣–٤٤. «ولهذا قال الزركشي: بين قولنا لم يصح وقولنا موضوع بَون واضح؛ فإن الوضع إثبات الكذب. وقولنا يصح إنما هو إخبار عن عدم الثبوت ويلزم منه إثبات العلم.» السابق ص٤٤.

[٢٥٤] الآيات (١٧)، الأحاديث (٦٠)، الأشعار (٢).

لم يُوجَد، لا أصل له بهذا اللفظ. وهناك مقاييس أخرى أكثر موضوعية مثل المقياس اللغوي والفرقة الناجية.[٢٥٥] وقد يبحث عن مصدره خارج الوحي مثل مُحدِّث دجَّال، باطل، بدعة، لا يصح، منكر، كلام ساقط، كذب صريح، ليس مرفوعًا، خبر باطل، أو يُعرف مصدره مثل منسوب إلى التوراة، كلام بعض أهل السلف، خبر باطل أو يرفع لبعض الصحابة تُرغِّب في العلوم، أو اعتمادًا على السابقين كالفرقة الناجية أو لبعض الصوفية أو الحكماء.[٢٥٦] وقد يكون من كلام الصحابة أو عمر بن عبد العزيز أو إبراهيم بن أدهم أو ذي النون المصري أو علي بن أبي طالب الشافعي أو القدرية أو الزنادقة أو الزيدية، والقدرية مجوس هذه الأمة، أو النقيض، بعض الأبرار أو بعض الفقهاء. وأكثر الأعلام وردوا؛ ابن حجر العسقلاني ثم السيوطي ثم السخاوي ثم الذهبي ثم العراقي ثم ابن الجوزي ثم أحمد بن حنبل ثم البخاري ثم أبو هريرة ثم البيهقي ثم علي بن أبي طالب ثم العجلوني ثم الترمذي.[٢٥٧] لا فرق بين محدث وجامع للحديث. والجامعون المتأخرون أكثر من المُحدِّثين الأوائل. ويرجع الوضع هنا حال الراوي.[٢٥٨]

(ك) «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للملا علي القاري (١٠١٤هـ)[٢٥٩]

وهو جمع وتحقيق، ورصد ودراسة، ترتيب هجائي في ألف وثلاثمائة وثمانية وستين حديثًا موضوعًا، ثم تحليل لأسباب وضعها ومقاييس الوضع وليس ترتيبًا فوقيًّا كالموضوع أو هجائيًّا كالغريب.[٢٦٠] الجزء الأول منه خارج الهجاء بل مجرد ترقيم، والثاني داخل الهجاء مع الترقيم.[٢٦١] الأول مجرد مادة خام، رصد وتجميع مع ترقيم الأحاديث وإيراد كل صياغات المتون. ولا يحكم على الحديث بأنه موضوع بأي درجة. والاعتماد على الآخرين في الحكم على وضع الحديث مثل ابن تيمية أو «الإحياء».[٢٦٢] وتؤخذ الاقتباسات بلفظ «انتهى». ويظهر موقف الفِرق؛ المعتزلة والخوارج والرافضة من الأحاديث السياسية، وموقف الصوفية من الأحاديث القلبية.[٢٦٣] وتظهر بعض مصادر الوضع مثل التوراة.[٢٦٤] ويُستعمل العديد من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية والأمثال العربية للتحقُّق من

---

[٢٥٥] السابق ص٨٠–٨١، ٦٩.

[٢٥٦] المصادر القديمة (١٤٥).

صدق الأحاديث الموضوعة.[٢٦٥] كما يتم اللجوء إلى الحس والبداهة والفطرة كمعايير خارج النص بل لتصديق النص المعياري ذاته.[٢٦٦]

وأهمية الجزء الثاني هو محاولة وضع منطق للوضع يعتمد على طرُق الرواية في السند وتاريخيته وعلى اللغة والظروف السياسية والاجتماعية للمتن من أجل التحقق من بعض المسائل التي اشتُهرت والصواب خلافها.[٢٦٧] وذلك مثل لقاء بعض الأئمة، وإضافة تصانيف لبعض الناس، وتعيين قبور للمشاهير، وشهرة البعض بالعِلم على الإطلاق أو في أحد العلوم.[٢٦٨] فكثير من الوقائع موضوعة مكذوبة مختلقة. وجميع كتب الملاحم بهذه

[٢٥٧] (١) ابن حجر العسقلاني (١١٦)، (٢) السيوطي (٩٤)، (٣) السخاوي (٧٦)، (٤) الذهبي (٦٧)، (٥) العراقي (٤٦)، (٦) ابن الجوزي (٤٠)، (٧) أحمد بن حنبل (٣٨)، البخاري (٣٤)، (٨) أبو هريرة (٣٣)، (٩) البيهقي، علي بن أبي طالب، العجلوني، الترمذي (٣٢)، (١٠) الطبري (٢٦)، (١١) ابن تيمية (٢٥)، (١٢) ابن عدي (٢٤)، (١٣) ابن حبان، الحاكم (٢٢)، (١٤) ابن عراق (٢١)، (١٥) ابن الربيع، الخطيب البغدادي (٢٠).

[٢٥٨] السابق ص١٣١–١٣٢، ١٣٤، ١٥١، ١٥٩، ١٦١.

[٢٥٩] العلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروفة بالموضوعات الكبرى، تحقيق خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول صاحب موسوعة أطراف الحديث النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[٢٦٠] القسم الأول: ذكر الأحاديث مُرتبة على حروف الهجاء ص٤٧–٢٧٦ (٢٣٠ص)، الثاني: فصول في تحقيق بعض المسائل التي اشتُهرت والصواب خلافها ص٢٧٧–٣٥٩ (٨٣ص).

[٢٦١] خارج الهجاء، السابق ص١–١٣٩، داخل الهجاء ص١٤٠–٢٧٦.

[٢٦٢] السابق ص٧٥.

[٢٦٣] السابق ص١٢٦، ٣٠٠.

[٢٦٤] السابق ص٢٥٢.

[٢٦٥] الآيات (١٢١)، الأشعار (٩)، الأمثال (٤).

[٢٦٦] السابق ص٢٩٨–٣٠٠.

[٢٦٧] خاتمة: المقاصد الحسنة في بيان الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السابق ص٢٧٧–٣٥٩.

[٢٦٨] «ما اشتُهر من لقاء بعض الأئمة ونحوهم ببعض، وكذا تصانيف مضافة لأناس، وقبور لأقوام ذي جلالة مع بطلان ذلك كله، وأناس يُذكَرون بين كثير من العوام بالعِلم إما مُطلقًا أو في خصوص عِلم مُعين. وربما تساهل في ذلك من لا معرفة له بذلك العِلم تقليدًا أو استصعب ما كان مُتصفًا ثم أزال بالترك أو تشاغل بما انسلخ به عن الوصف الأول. وهو في جميع هذا كثير لا ينحصر.» السابق ص٢٧٧.

الصفة. وكتب المغازي مملوءة بها، وأماكن القبور للأنبياء والأولياء والصالحين.[٢٦٩] وكثير من الأحاديث موضوعة بإسنادٍ واحد وخطب الوداع للصحابة. وقد وضع الزنادقة أحاديث لإفساد الشريعة وإيقاع الشك والتلاعب بالدين لنصرة مذهبٍ أو ترغيب وترهيب، وتركيب الأسانيد على كلام حسَن أو بقصد التقرُّب إلى سلطان أو للقُصَّاص.[٢٧٠] فالوضع هنا يرجع مباشرة إلى المتن.

ويمكن معرفة الحديث الموضوع دون النظر في سنده.[٢٧١] وهناك مؤشرات وعلامات تدل على وضع الحديث منها:

(١) اشتماله على كثير من المجازفات التي لا يقول مثلها الرسول أي مجرد العادات وبداهة العقل.

(٢) تكذيب الحس؛ أي الاتفاق مع الواقع المشاهد، فالحديث ليس ضرب خيال أو محض خرافة؛ وبالتالي استبعاد أحاديث الملائكة والشياطين والجن.[٢٧٢]

(٣) سماجة الحديث وإمكانية السخرية منه وهو ما يُصان عنه العقلاء والأنبياء. فالحديث مدعاة للاحترام والتقدير. وبالتالي تخرج أحاديث الأعاجيب وعلاج الحيوانات والأشجار وباقي مظاهر الطبيعة.

(٤) مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة. وكل حديث يشتمل على فسادٍ أو ظلم أو عبث أو مدح باطل أو ذمِّ حق. فالحديث يصحح بعضه بعضًا. والغالب يصحح الاستثنائي.

(٥) الادعاء بأن النبيَّ فعل أمرًا ظاهرًا بمحضرٍ من كل الصحابة وأنهم اتفقوا على كتمانه ولم يفعلوه. فالحديث للتبليغ وليس للكتمان. ولا يمكن إجماع الصحابة على التواطؤ على الكتمان في أمور الدين لأمر الرسول لهم بالتبليغ.

(٦) بطلان الحديث في نفسه أي الاتساق الذاتي. وهو وقوع الحديث في التناقض الداخلي يجعله موضوعًا. فالحديث يخاطب العقول والحواس ومن شرطه الاتساق في بنيته الداخلية وإلا كان مركبًا مصطنعًا أي مُختلَقًا موضوعًا.

---

[٢٦٩] السابق ص٢٧٧–٢٧٩.

[٢٧٠] السابق ص٢٨٦.

[٢٧١] السابق ص٢٩١–٢٩٧.

(٧) مخالفة الحديث كلام الأنبياء بل أيضًا كلام الصحابة. فالوحي مُتصل واحد، ومراحل مختلفة لقول واحد. والصحابة مجرد مُبلغين له وليسوا مؤلفين.

(٨) وضع تواريخ مُحددة في الحديث وهو ما يتناقض مع عموميات الحديث وكلياته. فالحديث لا يتنبأ بوقوع حوادث لأشخاص مُعينين وإلا كان تبريرًا لواقع مُتوهَّم أو وقائع مُتمنَّاة.

(٩) مشابهة الحديث لمواعظ الصوفية ووصفات الأطباء.[٢٧٣] فالحديث لا يهدف إلى إحداث أثر مباشر ومنفعة عاجلة، بل يوجه السلوك الإنساني.

(١٠) ليست أحاديث العقل كلها كذب نظرًا لأهمية العقل واشتهارها. والعقل أساس الوحي. والوحي يخاطب العقول وجمهور العقلاء.

(١١) أحاديث الخضر وحياته وقصصه كلها كذب دون استثناء، وكذلك كل قصص الصوفية وأحاديث الأولياء وكراماتهم.

(١٢) قيام الشواهد الصحيحة على بطلان الحديث إما عن طريق عدم التعاصُر بين الرواة في السند أو الركاكة في المتن.

(١٣) مخالفة الحديث لصريح القرآن. فالحديث شرح وتفصيل للقرآن ويستند إليه. والبخاري يبدأ كل بابٍ في الحديث وكل موضوع بالآية التي يستند إليها.

(١٤) أحاديث صلوات الأيام والليالي كلها كذب. فهي أدعية صوفية وخيالات ذهنية للإثارة، وجعل الزمان يتحدَّث مثل باقي الظواهر الطبيعية.

(١٥) ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجُّها السمع، ويدفعها الطبع. فليس كل واضعي الحديث على نفس الدرجة من القدرة اللغوية والإبداع البلاغي.[٢٧٤]

(١٦) ذم الحبشة والسودان والترك والخصيان والمماليك؛ أي الأحاديث في الأعراق والأجناس والإسلام يعترف بتعددية الأمم والألسنة والألوان وبأن الاستحقاق فردي وليس جماعيًّا. ولا يمكن إطلاق حُكم واحد على قوم بأكملهم.

(١٧) ما يقترن بالحديث من القرائن التي تبطله، وهي قرائن تتعلق بالسند أو بالمتن؛ فلا يكفي في الحديث أن يُقال قال رسول الله على الإطلاق، بل إخضاع القول لشروط الرواية. والرواية ليست مجرد قول بل حفظ وأداء.

---

[٢٧٢] «ولا يخفى أنه إذا ثبت شيء في النقل فلا عبارة بمخالفة الحس من العقل.» السابق ص٢٩٩. «فالحس يرد هذا الحديث.» السابق ص٣٠٠.

وبعض موضوعات الأحاديث تبطلها، وليس فقط اضطراب السند أو ركاكة المتن مثل:

(١) أحاديث الحمام لا يصح منها شيء؛ فالحمام لا يتكلَّم. وهو يخالف مجرى العادات، وبداهات العقول، وشهادة الحس.

(٢) أحاديث اتخاذ الدجاج ليس فيها حديث صحيح؛ فالدجاج أيضًا لا يتكلم والقصد منه إثارة الخيال، والانتباه حول الموضوع بالتفنُّن في خلق الوسائل.

(٣) أحاديث ذم الأولاد كلها من أولها إلى آخرها. وهو ما يناقض الطبيعة البشرية والتجربة الإنسانية بل والقرآن بتزيين حب النساء والأولاد.

(٤) أحاديث التواريخ المُستقبلة التي تهدف إلى تحديد مسار المستقبل، خاصة النظم السياسية والسلطات الحاكمة بانهيار الخصوم وقدوم الأصدقاء.

(٥) الاكتمال يوم عاشوراء والتزين والتوسعة والصلاة فيه لا يصح منها شيء ولا حديث واحد. ولا يثبت عن النبي غير أحاديث صيامه وما عداها باطل. وهو ما تحوَّل في الدين الشعبي إلى الأيام المفترجة وعدم تساوي الزمان في الفضل.

(٦) فضائل السور وثواب قراءة سورة كذا وله أجر كذا، من أول القرآن إلى آخره. وقد اعترف بذلك واضعوها. وهو ما تحول في الدين الشعبي إلى أُحجية وبركات وقراءات في الأفراح والأحزان لنيل الثواب وتجنب العقبات.

(٧) فضل الصديق وفضائل معاوية ومعظم أحاديث فضائل الصحابة الذين دخلوا في معارك سياسية من أجل تفضيل أحدهما على الآخر طبقًا للموقف السياسي.

(٨) مناقب أبي حنيفة والشافعي والتنصيص على اسميهما، وحديث الإيمان لا يزيد ولا ينقص والتنشيف بعد الوضوء ومسح الرقبة وأحاديث الذكر والحيض ومدح العزوبة، ومدح بعض المأكولات والأزهار والعطور والحناء والأصباغ والرؤى واللعب بالشطرنج، ورفع اليدين في الصلاة، وقتل المرأة، ودخول الجنة ... إلخ. والدخول في كل هذه التفصيلات التي لا دلالة لها والتي فرضتها مواقف خاصة لتبريرها أو رفضها.[٢٧٥]

---

[٢٧٣] السابق ص٣٠٦–٣١٦.

[٢٧٤] السابق ص٣١٨–٣٣٥.

[٢٧٥] السابق ص٣٣٦–٣٥٩.

(ل) «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» للغزي العامري (١١٤٣هـ)[٢٧٦]

وقد أشكل موضوع الحديث «الموضوع» حتى أصبح علمًا مُستقلًّا له تصانيفه الخاصة، ويمكن أن يصبح مادة للإبداع الأدبي، كيفية صناعة الحديث. ولم يستعمل الكتاب مصطلح «الموضوع» بل اكتفى بتعبير «ما ليس بحديث». وهو أقرب إلى التطبيق منه إلى النظرية. يقتفي أثر كتاب الجد، ويقتبس من القِسمين الأخيرين.[٢٧٧] يكتفي بمجرد الرصد وترتيب الأحاديث المصنوعة ترتيبًا أبجديًّا.[٢٧٨] وفي الغالب يذكر القول المباشر فقط دون الرواية، المتن دون السند؛ لأنه حديث موضوع لا يهم سنده.[٢٧٩] ويمكن التعرُّف على مصادره في الكتب المقدسة السابقة أو عند الصحابة أو عند الحكماء والصوفية.[٢٨٠] ويُرجع الحديث الموضوع إلى أصله في الكتاب أو السنة للتحقُّق من صدقه.[٢٨١] كذلك يستعمل الشعر المصدر المشترك، الرسول الشاعر، وعلي شاعرًا.[٢٨٢] بل قد يدخل الله كعاملٍ في الوضع لإعزاء سلطة الحديث. كما هو الحال في الحديث القدسي.[٢٨٣]

وأهم شيء في الوضع هو تكيفه مع الشكل الأدبي للحديث، وقربه من الأمثال العامية السائرة، سجعها، وقصرها، ووضوحها، وتعبيرها عن التجربة الإنسانية.[٢٨٤] وتظهر خصائص الشعوب كما هو الحال في الحِكَم الشعبية في أحاديث فضائل العرب

---

[٢٧٦] أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

[٢٧٧] «فلما كان الكتاب المُسمَّى بـ «إتقان ما يحسُن من الأخبار الدائرة على الألسن» لجدِّنا شيخ الإسلام نجم الدين الغزي العامري ... كتاب كمل في بابه وفاق على أترابه، يحتوي على بيان ما دار من الأحاديث على الألسن، وما يصح فيها وما يحسُن، وعلى بيان ما لم يُرْوَ من سيد البشر أحببت أن أنتقي منه القِسمين الأخيرين أعني ما ورد في الأثر وما هو كذب عليه ومن لا يعلم أن ما عداها قد ورد في السنن غير أنه ينقسم إلى صحيح وضعيف وحسَن. فهو وإن لم يصح جُله لكن ورد في السند كله.» السابق ص٣٥–٣٦.

[٢٧٨] «ورتبته كالأصل على حروف المعجم لتسهل مطالعته، وتقرُب مراجعته. وقد وافقت الأصل في مصطلحه ...» السابق ص٣٦.

[٢٧٩] وضع الرواية، السابق ص٦٧.

[٢٨٠] أحاديث أفاضل الصحابة والفقهاء، السابق ص٦٤، ٩٦، ١٠١، الصوفية، الغزالي، التوراة ص١١٨، ٧٥، ٩٦.

[٢٨١] القرآن، السابق ص٥٨، ٦٠، ٧٤، ٧٧، ٨٢، ٨٤–٨٥، ٨٨. الحديث ص٥٦. الآيات (٤٢)، الأحاديث (٨٠٧).

والعجم.[٢٨٥] ومعظمها له رصيد في التجربة البشرية والمعاني البديهية دون تعليل أو إبداءٍ للأسباب كما هو الحال في أسباب الحديث الصحيح.[٢٨٦] وفي الخاتمة تستبعد ثلاثة كتب ليس لها أصول في علم الحديث: الملاحم، والمغازي، والتفسير.[٢٨٧] وهي موجودة في البخاري.[٢٨٨]

(م) «النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية» للمالكي (١٢٣٢هـ)[٢٨٩]

وهو رصد لبعض الأحاديث المكذوبة، أربعمائة وثلاثة وثلاثون حديثًا، مرتبة أبجديًّا دون مقدمة نظرية باستثناء سبب تأليف الكتاب.[٢٩٠] وهو رصد الأحاديث التي لا أصل لها في السنة ولكنها جارية على ألسنة العوام. وهي متون دون أسانيد ما دامت مكذوبة. ولا يهم قائلها وإن أمكن التعرُّف على مصدرها. تعتمد على بعض الآيات ولكن على كثيرٍ من الشواهد الشعرية نظرًا لارتباط الأحاديث المكذوبة بها فكلاهما من فنون القول وأساليب البلاغة.[٢٩١] وقد أتى الكثير منه من التوراة أو الصحابة والتابعين أو من بعض الصوفية مثل الغزالي أو من الأمثال العامية السائرة.[٢٩٢] ومنه كثير من كلام أهل السلف بوجهٍ عام.

---

[٢٨٢] الشعر، السابق ص٩٣.

[٢٨٣] حديث الله، السابق ص٦٣، ٢٠٠.

[٢٨٤] حديث الله، السابق ص٦٣، ٢٠٠.

[٢٨٥] الأمثال العامية، السابق ص٤١، ٢٦٤. الشكل الأدبي ص٤٩، السجع ص٥٠.

[٢٨٦] الشعوبية، السابق ص٤٥، ٢٠٩.

[٢٨٧] السابق ص٧٣.

[٢٨٨] وهو قول أحمد الخطيب في الجامع وابن إسحاق، السابق ص٢٦٨–٢٦٩.

[٢٨٩] العلامة محمد الأمير الكبير المالكي: النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

[٢٩٠] «فيها الأحاديث المكذوبة على النبي، الباطلة التي لا أصل لها، الجارية على ألسنة العوام. أربعمائة حديث كلها مكذوبة وباطلة ومنكرة. وتركت أسانيدها لكونها لا أصل لها. وقليل ما أُبين قائله تبعًا للأصل المأخوذة منه ... ورتَّبْتُها كأصلها على حروف المعجم لأجل التسهيل ...» السابق ص٢٥–٢٦.

[٢٩١] الآيات (٦)، الأشعار (٣٠).

[٢٩٢] التوراة، النخبة البهية ص٢٥، ٦٥، ٨٢، الصحابة مثل علي والصديق وعمرو بن العاص والتابعين، والفقهاء مثل الأوزاعي، والصوفية مثل الداراني والغزالي، السابق ص١٢٢.

البعض منه وضع في حُب مصر والآخر في ذمِّ الفِرَق الكلامية الزيدية والقدرية أي المعتزلة والشيعة.[٢٩٣] والبعض على لسان كسرى، الملك العادل.[٢٩٤]

ولا يكتفي برصد الأحاديث المكذوبة بل حكَم على درجة الكذب ونوعه على كل منها. مثل عدم وورده أصلًا.[٢٩٥] وعبارات أخرى تستعمل صيغ لم يُعرَف، لا يُعرف، أو لا يثبت، وغير وارد، ولم يُروَ أبدًا.[٢٩٦] وعبارات أخرى تتوجَّه نحو تحديد السند مثل أنه لم يرفع وموقوف ومنقطع وغريب ومنكر وضعيف وبراء مُهمل أو منسوخ، وبالتالي فهو كذب وباطل ومكذوب وموضوع وكذب محض.[٢٩٧] وقد يجتمع أكثر من وصفٍ لتقوية الحُكم مثل كذب موضوع، كذب باطل.

(ن) «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (١٢٥٠هـ)[٢٩٨]

ويتضمن العنوان تقابلًا بين الفائدة والوضع. فللوضع فوائد في منطق الإبداع. والغاية الدفاع عن الحديث وتمييز الصحيح من الموضوع، والتحذير من العمل به، وإرشاد الناس إليه.[٢٩٩] وقد سبقت أدبيات أخرى في هذا الموضوع، وهو قسمان: الأول مُختص بالكذابين

[٢٩٣] في حب مصر مثل «ما تبعُد مصر على حبيب.» «مصر أطيب الأرضين ترابًا وعجمها أكرم العجم أنسابًا.» «مصر بأقوالها كلها.» «مصر كنانة الله في أرضه، ما طلبَها عدو إلا وأهلكه الله.» السابق ص١٠٦، ١١٢–١١٣. في ذم القدرية والزيدية «الزيدية مجوس هذه الأمة.» «القدرية مجوس هذه الأمة.» السابق ص٦٦.

[٢٩٤] «بعثت في زمن الملك العادل.» السابق ص٤٥.

[٢٩٥] وهي عبارات مثل: لم يُروَ، لم يرِدْ، لم يُروَ أصلًا، لا أصل له، باطل لا أصل له، لم يُوقَف له على أصل، لا أصل له بهذا اللفظ، كذب لا أصل له، لا يصح أصلًا، لا يصح عن النبي.

[٢٩٦] وهي: لم يعرف، لا يعرف، لا يعرف في السنة، لا يثبت فيه شيء، غير وارد، لم يروَ أبدًا، ورد بمعناه لا بهذا اللفظ، لم يُوجَد، لم يثبُت، ليس بحديث.

[٢٩٧] وهي: لا يرفع، موقوف، منقطع، ضعيف، منكر، غريب، براء مهمل، منسوخ، كذب وباطل، مكذوب، مكذوب وموضوع، كذب محض.

[٢٩٨] شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، أشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[٢٩٩] السابق ص٣–٥.

والضعفاء، والثاني مُختص بالأحاديث الموضوعة.[٣٠٠] ويشمل النقد السند والمتن على حدٍّ سواء، فيذكر السند إذا كان مرفوعًا، وتُذكر درجة صحة المتن ضعيفًا أو مشهورًا أو موضوعًا، ويُحكَم على السند المجهول والمتن الموضوع.[٣٠١] وعلى كليهما؛ باطل. كما يحكم على الراوي؛ من تفرَّد به، وأول من وضعه قبل أن يشتهر. وأحيانًا لا يكون الحديث موضوعًا بل صحيحًا، ولكن انتابته شبهة. ومع ذلك فالموضوع أكثر من الصحيح طبقًا لعنوان الكتاب. وتتعدَّد الآراء في الحديث الواحد بل وتتضارب؛ فالأحكام نسبية، والموضوع لا يخرج عن كونه موضوعًا برواية الثقات له.[٣٠٢] وقد يبلغ الموضوع من الشهرة بحيث يُصبح هو المُتحكم في سلوك الناس بل والجماعات المُتشدِّدة.[٣٠٣] ومن الأحاديث ما بلغ الشهرة بحيث لا يمكن اعتباره موضوعًا مثل «اطلبوا العِلم ولو في الصين.»[٣٠٤] وأحيانًا يذكر قلب الحديث وليس متنه كله.[٣٠٥] فالوضع ليس تُهمة بل هي عملية خلق طبيعي، أدبي اجتماعي طبقًا للحاجة. وتتعدَّد صِيَغ المتون الموضوعة كما تتعدَّد صيغ المتون الصحيحة. وتتعدَّد درجات الحُكم على الحديث بين الإثبات «موضوع» أو النفي «ليس صحيحًا»، «متروك» أو «لا يؤخذ به». وقد يُتوقَّف عن الحكم لصعوبة الجزم. ولا يُكتفى أحيانًا بمجرد الحُكم بل يُشفَع بدراسة طويلة كما هو الحال في الدراسات المعاصرة.[٣٠٦]

وتم التبويب على أبواب الفقه؛ ستة عشر بابًا.[٣٠٧] أكبرها الفضائل وأصغرها الطلاق.[٣٠٨] وترقم الأحاديث على التوالي كتابًا كتابًا. ومجموعها ألف ومائتان وتسعة

---

[٣٠٠] «ولو لم يكن منها إلا تنبيه المُقصرين في عِلم السنة على ما هو مكذوب على رسول الله ليتجنبوه، ويحذروا من العمل به، واعتقاد ما فيه، وإرشاد الناس إليه ...» السابق ص٣.

[٣٠١] السابق ص٣٦.

[٣٠٢] السابق ص٨٨.

[٣٠٣] وذلك مثل تحريم جلوس الفتى مكان جلوس الفتاة الدافئ إلا بعد أن يبرد؛ بناء على حديث موضوع. السابق ص١١٩.

[٣٠٤] السابق ص٢٧٨.

[٣٠٥] السابق ص١٣٠.

[٣٠٦] السابق ص٢٧٨–٢٨٣، ٣٦١–٣٦٦.

[٣٠٧] هي: (١) الطهارة (٩)، (٢) الصلاة (٤٥)، (٣) صدقة العرف والتطوع والهدية والقرض والضيافة (١٧)، (٤) الصيام (١٥)، (٥) الحج (١٧)، (٦) النكاح (٢٠)، (٧) الطلاق (٢)، (٨) المعاملات (١٥)، (٩) الأطعمة والأشربة (٣٢)، (١٠) اللباس والتختم (٨)، (١١) الخضاب والطيب وقص الظفر والشارب وتسريح الشعر والختان (٥)، (١٢) القضاء (٢)، (١٣) الحدود (٦)، (١٤) الجهاد وما ورد في الأئمة

وثلاثون حديثًا. إلى هذا الحد بلغ الوضع عن السلف الصالح. وهناك موضوعات مضافة إلى الفقه مثل مناقب الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة والمشهورين بالوضع ومؤلفاتهم والأسباب الحاملة عليه، والكتب الموضوعة في التفسير في آخِر فضائل القرآن، محاولة للجمع بين التنظير والرصد.[٣٠٩] ومع ذلك تُذكر الأحاديث المتفردة بلا تعليق. وتحليل أسباب الوضع تُبين دوافع المجتمع وتياراته وصراعاته السياسية والاجتماعية، فالمجتمع هو الواضع، والواضع مجرد الأديب الذي صاغ، وهو ما يُسمَّى بالكذب في الحديث وكصفة في الراوي، الموضوع مخترع وهو يعني أن «الموضوع» في نظرية المعرفة مُختَرَع أيضًا ومصنوع من الذات، فكل موضوع من خلق الذات، وقد لا يعني الوضع سوء نية مُبيتة من مُغرضين وأصحاب فرق المعارضة المعتزلة والخوارج والشيعة، بل قد يكون عن حُسن نية للترغيب والترهيب ومزيد من الإقناع ما دام الحديث سلطة عند الناس، وإذا كان هذا الوضع في الحديث، فكيف يمكن الاعتماد على سلطة واهية خاصة إذا كان فيها أمر بالقتل وسفك الدماء مثل «مَن بدَّل دينه فاقتلوه.» أو قتل الكفار والمرتدين؟

والموضوع يتفق مع مصلحة واضعِه حين الوضع. مصلحة فردٍ أو جماعة، خاصة أو مشتركة[٣١٠] وقد يكون الوضع على سبيل المزاح في البداية ويُروى مزاحًا ويُسمع مزاحًا بروح عربية تحب الفكاهة. وقد يتفق مع العقل والبداهة والفطرة والتجربة البشرية والمصالح العامة، ولا اعتراض عليه من أحد[٣١١] كما أن كثيرًا من الأحاديث الصحيحة قد تتعارض مع العقل والفطرة، ويساهم الصوفية وهم الطهرة الأتقياء في الوضع، حتى إنه

الظلَمة (٨)، (١٥) الأدب والزهد والطب وعيادة المريض (٥٦)، (١٦) الفضائل (١٨٤). خاتمة في ذكر أحاديث متفرقة لا تختص بباب معين (٥٧).

[٣٠٨] وبالتالي يكون الترتيب الكمِّي على النحو الآتي: (١) الفضائل، (٢) الأدب والزهد والطب وعيادة المريض، (٣) الصلاة، (٤) الأطعمة والأشربة، (٥) النكاح، (٦) الحج، (٧) الصدقة والتطوع والهدية والقرض والضيافة، (٧) الصيام، المعاملات، (٨) اللباس والتختم، (٩) الطهارة، الجهاد والأئمة الظلمة، (١٠) الحدود، (١١) الطلاق.

[٣٠٩] «وقد قدمت الأحاديث الموضوعة في مسائل الفقه مبوبًا ذلك على الأبواب. ثم ذكر بعد ذلك سائر الموضوعات. وقد ذكرت في أخريات، مناقب الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة ومن بعدهم أبحاثًا مقيدة في ذكر النسخ الموضوعة، ومن هو مشهور بالوضع، والأسباب الحاملة على الوضع. وكذلك ذكرت في آخر باب فضائل القرآن والكتب الموضوعة في التفسير.» السابق ص٥.

[٣١٠] السابق ص١٧٦.

[٣١١] «هذا كذب وباطل لا يُحدِّث بهذا أحد يعقل.» السابق ص٦٥.

يستحيل التمييز بين أقوال الصوفية الأوائل وأحاديث رسول الله[٣١٢] بل قد يُسنَد عديد من أقوال الصحابة خاصة إلى الرسول[٣١٣] فالمعاني والقيم الأخلاقية موجودة في أحاديث الرسول وفي غيره من الصوفية والصحابة، وهناك مجالات يسهل فيها الوضع ويرتع فيها الخيال مثل الموضوعات المُتعالية، موضوعات السماء والملائكة والقيامة والمعاد.

ويعتمد الوضع أيضًا على الشواهد القرآنية والشعرية والأمثال العربية؛ فالمتن فنٌّ من فنون القول، وأسلوب من أساليب البلاغة يُضاف إلى النثر العربي.[٣١٤] والقرآن أكثر من الشعر للحاجة إليه للتصديق كنموذج في المعنى والعبارة. وهو ضروري لاتفاق أسباب النزول مع سياق الحديث.[٣١٥] ويُحال إلى بعض المؤلَّفات وهي نفسها تستعمل عديدًا من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة مثل «الإحياء».[٣١٦] وهل يكفي الاعتماد على القرآن لضبط الحديث والقرآن نفسه حمَّال أوجه؟ وتُقتبس بعض الشواهد من الأعمال السابقة والإشارة إليها بلفظ «انتهى».

(ق) «البيان المُكمل في تحقيق الشاذ والمُعلل» للأنصاري اليماني (١٣٢٧هـ)[٣١٧]

وهو تأليف في موضوع جزئي في نقد السند. يعتمد على كتب السابقين، وتقل فيه الشواهد النقلية. يغيب القرآن، ويقل الحديث والشعر.[٣١٨] وكان التأليف جوابًا على سؤال.[٣١٩] يُميِّز بين الشاذ والمعلل، ويعرِّف كلًّا منهما، ويعطي نماذج الشاذ في السند والمتن. وينقل اختلاف المُحدِّثين في تعريف كلٍّ منهما والمذاهب المشهورة فيها واختلاف آراء الفقهاء خاصة الشافعي؛ فالشاذ والمُعلل أحد مؤشرات الأحاديث الموضوعة. الشاذ والمُعلل عكس الصحيح.

---

[٣١٢] مثل نسبة بعض أقوال أبي سعيد الخراز إلى الرسول، السابق ص٢٥٠.

[٣١٣] السابق ص٢٥٦.

[٣١٤] الآيات (٤٠)، الأشعار (٣).

[٣١٥] الفوائد المجموعة ص٢٩.

[٣١٦] السابق ص١٣٨.

[٣١٧] العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن الأنصاري اليماني: البيان المكمل في تحقيق الشاذ والمُعلل، اعتنى به سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٣١٨] الحديث، السابق ص١٧، ٢٦، ٢٥، ٣٧. الشعر، السابق ص١١-١٢، ٢٠-٢١.

[٣١٩] البيان المكمل ص١١.

رابعًا: أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

وكل حديث له سياق، تمامًا مثل الآية القرآنية. وله أسباب نزول. وقد يَنسخ حديث لاحق حديثًا سابقًا. وقد تمَّ التأليف في هذين الموضوعين على نحوٍ مُستقل.

(١) أسباب النزول

وتعني الموقف الذي تكلَّم فيه الرسول وأهم المؤلفات فيه:

(أ) «اللمع في أسباب الحديث» للسيوطي (٩١١هـ)[٣٢٠]

في القرآن «أسباب النزول» وفي الحديث أسباب القول. فكل قولٍ له سياق سواء كان إلهيًّا أو نبويًّا. وهو مُرتَّب على أبواب الفقه مثل الإصحاحات الخمسة في اثني عشر بابًا، تضم ثمانيةً وتسعين حديثًا. وتضمُّ مقدمة المُحقق تحليلات إحصائية عن الأحاديث وتكرارها ومجموعها وأسباب تكرارها ومجموعها ثم المجموع الكلي، بداية كل حديث ونهايته وتخريجها في الصحاح والجوامع والمسانيد.[٣٢١] يذكر الحديث ومكانه وسبب قوله حديثًا حديثًا، حتى ولو كان مكررًا بصياغاتٍ عدة في القول المباشر أو الرواية. ويتعرض للأشكال الأدبية دون وعيٍ بها، مثل السؤال والجواب. كما يربط الحديث بالقرآن.[٣٢٢]

(ب) «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» لابن حمزة الحسيني (١١٢٠هـ)[٣٢٣]

وقد امتدت دراسة النزول في القرآن إلى الحديث لمعرفة سياق كل حديث. فلا قول إلا في موقف، ولا حديث إلا في مناسبة. لا تُوجَد أقوال على الإطلاق أو أحاديث خارج الزمان والمكان؛ فلكل قول سبب، وكل حديث في موقف. لا تقتصر أسباب النزول على علوم القرآن وحدَه بل تمتدُّ أيضًا إلى علوم الحديث.[٣٢٤] في القرآن سورة سورة، وفي الحديث أبجديًّا مرَّتين، بالحرف الأول ثم بالحرف الثاني كما هو الحال في قواميس اللغة. وهي في القرآن

[٣٢٠] الإمام المحدث الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: اللمع في أسباب الحديث، حقَّقه وخرَّج أحاديثه غياث عبد اللطيف دحدوح، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

لأن الوحي من السماء بسبب الأرض.[٣٢٥] في حين أن الحديث من الأرض بسبب الأرض؛ لذلك جاءت دلالات أسباب النزول في الحديث أقلَّ من دلالاتها في القرآن. وقد غلب الكم على الكيف، والمعلومات على العِلم، والوقائع على الدلالات. مادة بلا دلالات. وهي كثيرة مقارنة بما دُوِّن عن المسيح، ثلاثة وعشرون عامًا بثلاثة أعوام. النية جيدة ولكن التحقيق أقل. كان يمكن تتبع الأشكال الأدبية من خلال الترتيب الأبجدي. وكان من الممكن أيضًا التحوُّل من الترتيب الأبجدي إلى التصنيف الموضوعي لولا أنَّ الموضوع ليس فقط في بداية الحديث، بل قد يكون في الوسط أو في النهاية.[٣٢٦] وقد يكون الحديث سببًا للحديث وقد يكون القرآن سببًا للحديث.[٣٢٧] ومع ذلك يتداخل القرآن والسنة في الحديث. ويذكر القرآن كمناسبة للحديث.[٣٢٨] ولا تُوجَد تفرقة في أسباب النزول بين الموقف الواقعي والموقف المُتخيل أو الأسطوري.[٣٢٩] وتكشف أيضًا عن تطور الحديث، منسوخه وناسخه.[٣٣٠]

والأسباب نوعان: الأول يُذكَر في الحديث، والثاني لا يذكر داخل الحديث، بل خارجه. وقد يذكر السبب عقب قول النبي مباشرة أو بعد انقضاء عصر النبوة. والثاني قد يدخل فيه التوجُّه السياسي لمدح فرقةٍ في السلطة وذم أخرى في المعارضة.[٣٣١] وإذا أتى الحديث من غير قرن سببٍ به فإنه يكون مثل الآية الأخلاقية. فالفضائل الخلقية عامة لا ترتبط بالضرورة بالزمان والمكان والموقف. وهو ما عناه الأصوليون بخصوص السبب وعموم

[٣٢١] السابق ص٢٦–٢٧.

[٣٢٢] السابق ص٧٤، ٧٦، ١١١، ١٣٧–١٣٨، ١٥٣، ١٦٥، ١٨١، ١٨٥.

[٣٢٣] العلامة إبراهيم محمد بن كمال الدين الحنفي الشهير بابن حمزة الحسيني: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (ثلاثة مجلدات)، حقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[٣٢٤] السابق ج١، ٣٢.

[٣٢٥] من النقل إلى العقل ج١ علوم القرآن، من المحمول إلى الحامل، الباب الأول، الحوامل الموضوعية، الفصل الثاني: البيئة الاجتماعية.

[٣٢٦] مجموع الأحاديث ١٨٣٢ حديثًا.

[٣٢٧] البيان والتعريف ج١، ٣٨.

[٣٢٨] السابق ج٢، ٢٣–٢٤. ج٣، ٢٢٣، ٢٢٨، ٣٣٤، ٣٤٧.

[٣٢٩] السابق ج١، ٣٣.

[٣٣٠] السابق ج١، ٣٥.

[٣٣١] السابق ص٩–١٠.

الحُكم. وقد يكون السبب أكثر من سببٍ واحد. فالأسباب المتداخلة تؤدي إلى حُكم واحد. والمطلوب ليس فقط وصف علاقة السبب بالحديث من حيث الشكل الأدبي، بل من حيث المضمون وتصنيف الأسباب لمعرفة علاقة الفكر بالواقع كما هو الحال في أسباب النزول في علوم القرآن.[٣٣٢] ويُذكر الحديث ثم تخريجه في الإصحاحات الستة ثم سببه. يُذكَر ألف وثمانمائة وتسعة وثلاثون حديثًا ومنها أحاديث طوال.[٣٣٣] وقد يكون القرآن سبب قول الحديث، وقد يكون الحديث سبب نزول القرآن.[٣٣٤] ويدخل القرآن في حديث الرسول.[٣٣٥] وتعتمد الروايات على الشعر.[٣٣٦] ومنها شعر الرسول.[٣٣٧] وتُرتَّب الأحاديث ترتيبًا أبجديًّا مثل القواميس اللغوية وليس ترتيبًا موضوعيًّا طبقًا لأبواب الفقه كما هو الحال في الإصحاحات الستة وبعض السنن. وسبب النزول بديل عن السند، وربط للحديث بواقعه وليس فقط بقائله، بسياقه وليس فقط بروايته.[٣٣٨]

ويُقتَصر في الأحاديث على الأقوال المباشرة حتى لو تكرَّرت دون الروايات أو الحوارات. وهي أقوال قصيرة أشبه بالأمثال والحكم والأقوال المأثورة.[٣٣٩] وتتخلَّلها أحيانًا بعض الأحاديث الطوال والأدعية.[٣٤٠] الأحاديث التي تبدأ بالهمزة أطولها.[٣٤١] ومنها ما يبدأ بحرف التوكيد والنصب «إن». وأحيانًا يتم اختصار الحديث وحذف مقدماته ونهايته من

---

[٣٣٢] من النقل إلى العقل ج١ علوم القرآن، من المحمول إلى الحامل، الباب الأول: الحوامل الموضوعية، الفصل الثالث: أسباب النزول.

[٣٣٣] السابق ص١٤٦، ١٧١–١٧٢.

[٣٣٤] السابق ص١٥٤، ١٥٦–١٥٧، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٣١٥، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٣٥، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٩١–٤٩٢، ٥١٩، ٥٢٩، ٥٤٢، ٥٧٦، ٥٧٩، ٦٠٢، ٦٤٩.

[٣٣٥] السابق ص٥١٨.

[٣٣٦] السابق ص٥٠، ١٥٨، ٢٥٣، ٣٩٩، ٤٠٧.

[٣٣٧] السابق ج١، ٤٤، ١١٢، ١٦٥، ٣٣٣، ٣٤٢. ج٢، ٧٣، ١١٩، ٢٢٨، ٢٦٨، ٢٨١–٢٨٢، ٣٤٤–٣٤٦، ٣٥٦. شعر الرسول ج٢، ١٥٢، ١٦٣.

[٣٣٨] السابق ص٤٤، ١١٢، ١٦٥، ٣٣٣، ٣٤٢. ج٢، ٧٣، ١١٩، ٢٢٨، ٢٦٨، ٨١–٢٨٢، ٣٤٤–٣٤٦، ٣٥٦. شعر الرسول ج٢، ١٥٢، ١٦٣.

[٣٣٩] تكرار بعض الأحاديث، البيان والتعريف ج١، ٢٧٣.

[٣٤٠] السابق ص٣١٥–٣١٩، ٣٧٣–٣٧٤.

[٣٤١] تشمل الجزء الأول كله.

أجل الإبقاء على قلبه، وهذا يدل على أهمية المتن على السند، وأهمية الواقع والسياق، وجدل العلاقة بين الاثنين. وأحيانًا يُقطع القول داخل وصف السبب لحُسن فهمه.

(٢) الناسخ والمنسوخ

والناسخ والمنسوخ يتعلقان بالمتن ومضمونه في الأحكام.[٣٤٢] وهو أدخل في علوم القرآن في أحد الحوامل الموضوعية وهو الزمان. وهو أدخل أيضًا في عِلم الأصول في المصدر الأول للتشريع وهو الكتاب.[٣٤٣] النسخ لغةً الإزالة، واصطلاحًا بيان انتهاء تكليف الخطاب بآخر. وفائدته تدرُّج المكلف. ومحل صِيغ الطلب. وأركانه الناسخ والمنسوخ. وشروطه استمرار الأهلية والمقاومة والتضاد لا اتحاد الجنس.[٣٤٤] وإن ثبت المتأخِّر فهو الناسخ والمُتقدِّم المنسوخ.[٣٤٥] وإن لم يثبت فالترجيح ثم التوقُّف. وأهم المؤلفات فيه:

(أ) «ناسخ الحديث ومنسوخه» لابن شاهين البغدادي (٣٨٥هـ)[٣٤٦]

وهو موضوع جزئي في علم الحديث، وموضوع رئيسي في علوم القرآن في العوامل الموضوعية، الزمان. وقد تمَّ تبويب الموضوع طبقًا لأبواب الفقه الخمسة: الطهارة، والصلاة، والجنائز، والصيام، والجامع لموضوعات متفرقة في المعاملات ومنها الحدود. وهو أكبرها. وأصغرها الصيام.[٣٤٧] ويكتفي بالرصد والإحصاء دون بيان الدلالات أو

[٣٤٢] ابن كثير ص١٦٩–١٧٠. وذلك مثل حديث «كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها.» السابق ص١٦٩.

[٣٤٣] ومن الأحاديث المنسوخة «لا تتوضئوا من لحوم الغنم.» «هلا استمتعتُم بجلدها ... إنما حُرِّم أكلها.» «هو الطهور ماؤه الحل ميتته.» «لا يأكل أحدكم من أضحية فوق ثلاثة أيام.» «كنتُ نهيتكم عن لحوم الأضاحي ألا فكلوا منها وتزوَّدوا.» النيسابوري ص٨٥–٨٨. ابن الصلاح ص١٣٩–١٤٠.

[٣٤٤] الجعبري ص٨٦–٨٩.

[٣٤٥] العسقلاني ص١٠٥–١٠٧، الكافي ص٣٠٣–٣٠٩، منظومة ألقاب ص١٣٣–١٣٥، التهانوي ص٤٥.

[٣٤٦] أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان أحمد المعروف بابن شاهين البغدادي: ناسخ الحديث ومنسوخه، دراسة وتحقيق د. كريمة بنت علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٣٤٧] الجامع (١٥٦)، الطهارة (١٥٤)، الصلاة (١٠٠)، الجنائز (٥٢)، الصيام (٣٧).

مكانته في الحديث، ودون وعيٍ بتطور التشريع أو مقارنة مع النسخ في القرآن.[٣٤٨] ويتكرَّر الحديث بأكثر من متنٍ وأكثر من سند. ويعتمد أحيانًا على الأحاديث المدونة.[٣٤٩] ويحيل مرة واحدة إلى القرآن.[٣٥٠] والبعض يحتاج إلى تفسير، مثل الغُسل من الحجامة. هدف الكتاب تاريخي صِرف، التدقيق في الموضوع وعدم الخلط فيه.[٣٥١]

(ب) «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ في الحديث» للحازمي الهمذاني (٥٨٤هـ)[٣٥٢]

ويشتمل على مقدمة نظرية وتبويب فقهي تطبيقي. وتضم المقدمة النظرية اشتقاق لفظ النسخ وأهله، وحَدَّه وشرائطه، ووجود الترجيحات فيه والفرق بين النسخ والتخصيص.[٣٥٣] وأهم شيء في التعريف هو عنصر الزمان، بيان المدة، أي ارتباط الحكم بفترةٍ معينة تتجاوزه فتُعاد صياغة الحكم طبقًا للفترة الجديدة. لذلك يظهر تعبير «بدأ الإسلام».[٣٥٤]

ويحدث ذلك في حياة الرسول. والسؤال هو: وماذا بعد وفاته؟ الفترات تتوالى، والعصور تتوالى، فهل تتغير الأحكام طبقًا للعصور الجديدة أم أن هناك قدرًا من الدوام والثبات بعد التغيُّر الأول، لا يُصبح التغيير بعدها دالًّا؟ وإذا كان النسخ تمَّ في فترة ثلاثٍ وعشرين سنة للحديث وهي فترة حياة الرسول كنبيٍّ فماذا بعدها وقد تجاوزت الآن أربعة عشر قرنًا؟ وهو عِلم نقلي يعتمد على ما تمَّ نقله عن النبي؛ لذلك تظهر أهمية السند أكثر من أهمية المتن حتى في طريقة طباعة الأحاديث؛ حيث يُفرد للسند مساحة أكبر وأسطر أكبر، في كل سطرٍ راوٍ.[٣٥٥] وهو واقع في الكتاب والسنة. ووقوعه في الكتاب يُثبت وقوعه

[٣٤٨] ناسخ الحديث ومنسوخه ص٢٤٧–٢٤٩.

[٣٤٩] وذلك مثل الواقعة في عدم الاستحمام والاكتفاء بالوضوء.

[٣٥٠] السابق ص٢٥٢.

[٣٥١] «أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله من منسوخه.» السابق ص١٠٦.

[٣٥٢] الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ في الحديث (جزءان)، دراسة وتحقيق أحمد طنطاوي جوهري مُسدَّد، المكتبة المكية، مكة، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٣٥٣] السابق ص١٢–١٨٠.

[٣٥٤] السابق ص١٨١.

[٣٥٥] السابق ص١١٣–١٢١.

في السنة.[٣٥٦] ويقع في العبادات والمعاملات ضدَّ التصوُّر الشائع بثبوت العبادات وتغيُّر المعاملات. فالأولى إلهية والثانية بشرية. ويستند إلى عديدٍ من الآيات والأحاديث.[٣٥٧]

النسخ هو الإبطال والإثبات في آنٍ واحد. إبطال القديم وإثبات الجديد لنهاية فترة القديم وحضور فترةٍ جديدة.[٣٥٨] والزوال إما على جهة الانعدام أو على جهة الانتقال. لذلك، النسخ إما بدون بدلٍ أو ببديل. والنسخ أيضًا انتهاء مدة العبادة برفع الحكم بعد ثبوته.[٣٥٩] وشرائطه أن يكون النسخ بخطابٍ وليس بموت المُكلف. وأن يكون المنسوخ حكمًا شرعيًّا وليس حُكمًا عقليًّا، لأنه ليس في الزمان، وألا يكون الحكم السابق مُقيدًا بزمانٍ مخصوص، وأن يكون الخطاب الناسخ مُتراخيًا عن المنسوخ.[٣٦٠] وأماراته بصريح اللفظ، أن يكون التاريخ معلومًا، وإجماع الأمة.[٣٦١] وقد يكون بالتمني مثل «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت.» ووجوه الترجيحات فيه كثيرة تصل إلى الخمسين وجهًا.[٣٦٢]

وفرق بين النسخ والتخصيص أن الناسخ يكون متأخِّرًا عن المنسوخ، وأن يكون خطابًا، وأن يكون مثل المنسوخ في القوة أو أقوى منه، في حين أن التخصيص يكون بما

---

[٣٥٦] السابق ص١٦٣–١٨٠.

[٣٥٧] الآيات (٥٥)، الأحاديث (٤٢٨).

[٣٥٨] وهو معنى المصطلح الشهير عند هيجل Aufhebung.

[٣٥٩] «الخطاب الدال على ارتفاع الحُكم الثابت المُتقدِّم على وجهٍ لولاه لكان ثابتًا به مع تراخيه عنه.» السابق ص١٢٣.

[٣٦٠] السابق ص١٢٣–١٢٧.

[٣٦١] مثل «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها.» السابق ص١٢٨–١٣٠.

[٣٦٢] منها: كثرة العدد، الإتقان والحفظ للرواة، العدالة، البلوغ، السماع المباشر وليس الحكاية، الشفاه وليس التدوين، كون الراوي صاحب القصة، حُسن السياق، القرب في المكان، ملازمة الشيخ، السماع من القريب وليس من الغريب، تعدُّد الرواة، الحجازية، البعد عن التدليس العنعنة، المشاهدة والمشافهة، الاتفاق في الروايات، سلامة اللفظ، الرفع، الاتصال، النقل باللفظ وليس بالمعنى، الحفظ والدراية، التدوين، النسبة للنبي بالنص وليس بالاستدلال، مقارنة الفعل للقول عند النبي، الاتفاق مع ظاهر القرآن، الاتفاق مع سنة أخرى، الاتفاق مع القياس، الاتفاق مع حديث آخَر مُرسل أو منقطع، الاتفاق مع عمل الأمة، النطق بالحكم وليس مجرد الفهم، الاستقلال دون الإضمار، الاقتران بصفة، الاتفاق مع تفسير الراوي، أولوية القول على الفعل، التخصيص، عدم القدح في الصحابة، الإطلاق، دلالة الاشتقاق، القول بالخبرين عند المخالف، الزيادة والنقصان، براءة الذمة، الاتفاق مع نظير في الحكم، أولوية الحظر، الاتفاق مع حكم الشرع السابق، أولوية الإيجاب على السلب، والاتفاق مع العقل، شخصية الصحابي، السابق ص١٣١–١٦٠.

هو مثله أو أضعف.[٣٦٣] دخول النسخ على مأمورٍ واحد على عكس التخصيص، النسخ رفع الحُكم، والتخصيص إخراج جزء من مضمونه.[٣٦٤] التخصيص مع النسخ من موضوعات علم أصول الفقه، وهو قصر العام على بعض مُسمياته. يشترك معه بالبيان، ويتمايز عنه بالزمان والأعيان. فائدته التهيُّؤ. ويكون بالنقل والعقل، متصلًا ومنفصلًا.[٣٦٥]

والترتيب طبقًا لكتب الفقه.[٣٦٦] ويتكرر موضوع الصلاة في ثلاثة كتب: الصلاة، والجمعة، والجنائز.[٣٦٧] وكتب النكاح والعشرة والطلاق والعدة والرضاع موضوع واحد.[٣٦٨] والغنائم والهدنة موضوع واحد هو الحرب.[٣٦٩] وتسقط كتب الأشربة والجهاد وغيرها من الكتب الأساسية، مثل العلم. وتظهر موضوعات قديمة تجاوزها الزمن مثل البول، والإنزال ومس الذكَر والوضوء مما مسَّت النار في كتاب الطهارة، وتحريم التصوير.[٣٧٠] وبعضها يستند إلى أُسس نفسية خالصة، مثل صلاة الخوف، واللجوء إلى الله في ساعة العسرة.[٣٧١]

(ج) «إعلام العالَم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه» لابن الجوزي (٥٩٧هـ)[٣٧٢]

والنسخ في الحديث كما هو الحال في القرآن. وكما ينسخ القرآن ينسخ الحديث مع أن النسخ في القرآن أوقع وأشد لأنه نسخ في الأحكام الشرعية في النص الأول قبل أن يحدُث في النص الثاني.[٣٧٣] والدلالة واحدة؛ تغيُّر الحُكم بتغيُّر الزمان. ولا يمكن أن يتغير الزمان ويثبت النص؛ فالنص لقطة على لحظة زمنية معينة، صورة لواقع مُحدد. والزمان يتغيَّر، والواقع يتبدَّل. وتتبدَّل اللقطات والصور تبعًا لها. ويقع النسخ في الأقوال والأفعال. ينسخ القول بالفعل، وينسخ الفعل بالقول.[٣٧٤] ويتفق النسخ مع العقل والمصلحة، ويطابق البداهة العقلية والواقع العياني. وقد يتغير الرأي والحُكم بناء على اتِّساع المعارف والعِلم بالعقل وتغيُّر المنظور مثل طهارة الجلد المدبوغ.[٣٧٥]

---

[٣٦٣] الاعتبار ص١٦١–١٦٢.

[٣٦٤] من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص ص١١٨–١٣٨.

[٣٦٥] الجعبري ص٨٩–٩٠.

[٣٦٦] وهي واحد وعشرون كتابًا: (١) الطهارة، (٢) الصلاة، (٣) الجمعة، (٤) الجنائز، (٥) الزكاة، (٦) الصيام، (٧) الحج، (٨) الأضاحي والذبائح، (٩) البيوع، (١٠) النكاح، (١١) العشرة، (١٢) الطلاق، (١٣) العدة، (١٤) الرضاع، (١٥) الجنايات، (١٦) السير، (١٧) الغنائم، (١٨) الهدنة، (١٩) الإيمان، (٢٠) الأشربة، (٢١) اللباس.

وبالرغم من اعتماد الكتاب على النقل دون العقل وأنه تجميع من رصد السابقين للناسخ والمنسوخ في الحديث، إلا أنه يعقد فصولًا نظرية في المقدمة تُبين فائدة النسخ وأهدافه.[٣٧٦] فللنسخ فائدتان: الأولى كسر التعوُّد وإيثار الجدَّة والتغيُّر وإلا استكان الطبع للمألوف.[٣٧٧] والثانية تغير المصالح وجريان الشرع طبقًا للمصالح المتجددة.[٣٧٨] ويعرف النسخ بثلاثة أشياء: الأول تعارُض الخبرَين، وتأخُّر أحدهما عن الآخر وبالتالي نسْخ المتأخِّر للمتقدِّم. ويكون ذلك صراحة بالإعلان أو بتناقُض الخبرين من راوِيَين مختلفَين وموت الأول قبل إسلام الثاني، أو مخالفة خبر الواحد للإجماع، ويكون الإجماع ناسخًا وخبر الواحد منسوخًا.[٣٧٩]

وقد تم ترتيب النسخ طبقًا لكتب الفقه مع حذف الأسانيد، فالنسخ للمتون.[٣٨٠] وينقسم كتاب الطهارة وحدَه إلى أربعة أبواب.[٣٨١] وتفصل الصلاة في خمسة كتب وهي

---

[٣٦٧] السابق ص٢٧٨–٤٨٦.

[٣٦٨] السابق ص٦٢٩–٦٦٤.

[٣٦٩] السابق ص٧٦٢–٧٨٠.

[٣٧٠] السابق ص٢١٦–٢٣١، ٨٠٦–٨٠٩.

[٣٧١] السابق ص٤٣٢–٤٣٩.

[٣٧٢] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: إعلام العالَم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق الدكتور أحمد بن عبد الله العماري الزهراني، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٣٧٣] «إن أحاديثي ينسخ بعضها بعضًا كنسخ القرآن.» السابق ص٥٢.

[٣٧٤] السابق ص٥٩–٦٥، ٧٣-٧٤.

[٣٧٥] السابق ص٧٥، ٨٢.

[٣٧٦] ناسخ الحديث ومنسوخه ص٤٩.

[٣٧٧] «ابتلاء المخلوق تارة بالتسليم للأمر، وتارة بإزعاجه عما ألِف. فإنه إذا دام على حالة صارت الحالة مألوفة كالطبيعة فلم يتبين تأثير المزعج الشرعي إلى الفعل لِأُنس الطبع بما اعتاد. فإذا نُقل بالتكليف إلى غيرها قُطِعَ إلفه وبان أثر تعبُّده.» السابق ص٥٤.

[٣٧٨] «تدبير المصالح، فإن الشرع قد يرى العمل بالشيء مصلحةً في وقتٍ ولا يراه مصلحةً في وقتٍ، كالنهي عن قتال المشركين لكون ضعف المسلمين، ثم أُمِروا بالقتال حين قويَ الإسلام.» السابق ص٥٤–٥٥.

[٣٧٩] السابق ص٥٦–٥٧.

موضوع واحد.[٣٨٢] وتقسَّم الأطعمة والأشربة في كتابَين وهما موضوع واحد.[٣٨٣] وتتقدَّم العبادات على المعاملات بالرغم من ظهور الجوانب الاجتماعية في العبادات مثل الزكاة والصوم.[٣٨٤] ومن المعاملات مع النفس مثل الأطعمة والأشربة واللباس والعِلم والسفر والأدب؛ أو مع الآخرين مثل النكاح والبيوع والجهاد والحدود والعقوبات. وهي موضوعات في حدود البيئة الاجتماعية القديمة التي انقضى عليها حوالي ألف عام.

[٣٨٠] «وقد رتبت كتابي هذا على نحو كتب الفقه ليكون أسهل لتناوُل الأحاديث. وحذفت أكثر الأسانيد لئلا يطول على الحفاظ.» السابق ص٥٧.

[٣٨١] وهي الوضوء، والمسح على الخفَّين، ونواقض الوضوء، والغسل. السابق ص٥٩–١٦٤.

[٣٨٢] وهي المساجد، المواقيت، الأذان، الصلاة، الجنائز. السابق ص١٦٥–٣١٥.

[٣٨٣] السابق ص٣٥٩–٣٨٥.

[٣٨٤] العبادات: (١) الطهارة، (٢) المساجد، (٣) المواقيت، (٤) الأذان، (٥) الصلاة، (٦) الجنائز، (٧) الزكاة، (٨) الصوم والمعاملات، (٩) النكاح، (١٠) البيوع، (١١) الأطعمة، (١٢) الأشربة، (١٣) اللباس، (١٤) العلم، (١٥) السفر، (١٦) الجهاد، (١٧) الحدود والعقوبات، (١٨) الأدب.

الفصل الثالث

شعور الراوي

أولًا: الجرح والتعديل

ويمكن تحليل المتن عن طريق مدى الثقة بضبط الراوي وعدالته وسماعه وحفظه وأدائه. وشعور الراوي هو الطرف الثالث في الحديث الحامل للسند والمتن على حدٍّ سواء. فالعِلم بما في ذلك عِلم الحديث، يتأسَّس في الشعور. وقد نشأ عِلم، هو الجرح والتعديل أو ميزان الرجال لمعرفة من تُقبل روايته ومن لا تُقبل. وهو ليس من الحديث بل ميزان له.[1] وقد تمَّ وضعه لضبط خبر الواحد في عِلم أصول الفقه، لأن التواتر له يقينه في شروطه الأربعة الداخلية: العدد الكافي، استقلال الرواة، الإخبار عن حسَن، التجانس في الزمان.[2]

ولا يقبل جرح المجروح.[3] ومع ذلك تجريح الراوي لا يخطؤه، فالجرح ليس غيبة، إنما هي الكبائر التي ذكرها الرسول. ولا يُتشدَّد أو يُتساهل في الجرح. لا تعنُّت ولا تسامُح.[4] ويحظر الجرح الزائد ما فوق الحاجة ودون تعديل. فلا يُوجَد تجريح مطلق أو تعديل مطلق. وأقل لفظٍ يُوفي بالغرض. ويورد حديث من عرَف التلقين ومن عرَف التساهُل في سماع الحديث.[5]

---

[1] السابق ص٩٢–١٠٧.

[2] من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص، ابن النفيس ص١٥٩–١٦١، الجعبري ص١٣٦–١٣٨، العسقلاني ص١٨٥-١٨٦.

[3] التهانوي ص١٧٥–١٧٧، الرفع والتكميل ص٥٣–٥٦، الكفاية ص٩٥–٩٩.

[4] التهانوي ص١٧٨–١٩٨.

[5] الكفاية ص١٣٦–١٤١.

وللجارح والمعدل شروط.[٦] منها أن يتم الجرح والتعديل لتامِّ المعرفة والورَع وصاحب الخبرة بالحديث وعِلله ورجاله، أي أن يكون هو نفسه عدلًا. وهناك عدد ضروري للمقبول تعديلهم. فلا يثبُت الجرح والتعديل بواحد، ويجوز أن يكون امرأةً أو عبدًا أو صبيًّا.[٧] إذا روى المحدث حديثًا عن رجُلَين أحدهما مجروح، لا يجوز للطالب إسقاط اسم المجروح ويقتصِر على حمل الحديث عن الثقة وحدَه، من أسباب الجرح دون التثبُّت. ومن سمع حديثًا من رجلين وحفظه عنهما ثم اختلط لفظ أحدهما بالآخر، لا يجوز له إفراد روايته عن أحدهما دون التثبُّت من صدق رواية الآخر.[٨] التشدد في أحاديث الأحكام، والتجوُّز في فضائل الأعمال. ومن الضروري التثبُّت في الحُكم بالجرح والتعديل، وليس من الضروري الجرح بلا ضرورة. ومن الجرح ما يجوز وما لا يجوز.[٩] وقد أثر علم الجرح والتعديل في حفظ الشريعة. وتجديد الدِّين أمر جماعي وليس فرديًّا، وهو أمر نسبي إضافي وليس مُطلقًا.[١٠]

(١) التعريف

والجرح والتعديل نوعان، السلب والإيجاب. والأول مُقدَّم على الثاني. يقومان على الظن، وبهما احتمال الخطأ. وقد يتقدم الجرح أو التعديل وقد يتعارضان.[١١] حينئذٍ يكون الجرح أولى. ومن أسباب الجرح غشيان السلطان وتعارُض القول والعمل.

ولماذا يغشيان السلطان للحاجة ليس بجارح والشبهة قائمة؟ فالسلطان يريد الحفاظ على سلطانه ويجد فقيه السلطان سندًا لذلك بفتاويه. وولاية الحسبة أقل شبهة. ومن روى حديثًا ولم يعمل به يكون ذلك مَدعاةً للتجريح.[١٢] فقد يعمل الراوي خلاف روايته كما يعمل الصحابي بخلاف الحديث.

---

[٦] السابق ص٦٧–٦٩.

[٧] الكفاية ص٩١–٩٣، الكافي ص٣٣٢، ٣٤١–٣٤٣.

[٨] السابق ص٣٢٧–٣٢٨.

[٩] السابق ص٥٢.

[١٠] الرفع والتكميل ص٤٣–٤٥.

[١١] الرفع والتكميل ص١١١–١٢٨، الكفاية ص٩٩–١٠٠.

[١٢] الكفاية ص١٠٦–١٠٧، ٣٢٩–٣٣٢، التهانوي ص١٩٧–٢٠٩.

ومن الجرح والتعديل ما يُقبل وما لا يُقبل. يُقبل المُفسَّر ولا يُقبل المُبهم.[١٣] لا يُقبل التجريح المُبهم.[١٤] ولا بدَّ من البحث والسؤال للكشف عن الأمور والأحوال. وهناك أربعة آراء:

(١) قبول التعديل مُبهمًا دون الجرح فلا يُقبل إلا مُفسَّرًا.[١٥]
(٢) قبول الجرح مُبهمًا وعدم قبول التعديل إلا مُفسرًا وهو عكس الأول.[١٦]
(٣) لا يقبل جرح ولا تعديل إلا مفسرًا.[١٧]
(٤) قبول الجرح مُبهمًا وعدم قبول التعديل إلا مُفسَّرًا.[١٨]

ولا تُروى رواية المجهول أو المستور. هناك ناقلون مُبدعون، أي واضعون للحديث وآخرون مجهولون.[١٩] ولا يحتاج الجرح إلى كشف.[٢٠] فقد أثبتت التجارب أنه بعد الاستفسار لا يُسقط الجرح العدالة. ويُذكر سبب التعديل على الإطلاق بخلاف الجرح الذي يحتاج إلى تحديد وتفصيل وبيان للأسباب والاتفاق عليها، خاصة إذا ما تعارض الجرح والتعديل؛ لأن الجرح مُقدم على التعديل، والنقد له الأولوية على المدح على غير ما هو جار في حياتنا المعاصرة؛ حيث يكثر المديح، ويُقبل النقد. والسؤال هو: هل يكفي شهادة الواحد في التعديل والجرح؟ وهل رواية ثقةٍ عن شيخٍ تكفي في تعديله؟ وهل فُتيا العالِم أو عمله مَدعاة للثقة؟ وإعراض العالِم عن الحديث ليس قدحًا فيه لأنه ربما امتنع لعارِض، وكذلك من روى عنه مرة واحدة. وأعلى العبارات في التعديل والتجريح «حجة» أو «ثقة» وأدناها «كذَّاب» وما بينها، «مسكوت عنه»، «فيه نظر»، «ليس به بأس». ومع ذلك تضيع شروط الأهلية بتقدُّم الزمان ولا يبقى إلا الإسناد المُتصل.[٢١]

---

[١٣] الرفع والتكميل ص٧٩–١١٠.

[١٤] التهانوي ص١٦٧–١٧٤، الكفاية ص٣٥–٣٧، ٩٣–٩٥.

[١٥] الرفع والتكميل ص٧٩–٩٠.

[١٦] السابق ص٩١.

[١٧] السابق ص٩٢.

[١٨] السابق ص٩٢–١١٠. العدالة وأحكامها، الكفاية ص٧٤–٧٧.

[١٩] التهانوي ص٢٠٣–٢٠٩، ٣٨٦–٤٢٩، قواعد التحديث ص١٩٨–٢٠٣.

[٢٠] الكافي ص١٠١–١٠٦.

والمنكر هو الشاذ عندما يُخالف رواية الثقات فيصبح منكرًا مردودًا، وإن رواه عدل ضابط قُبِل شرعًا.[٢٢] فمحكُّ اليقين هنا هو الراوي، عدله وضبطه.

والمقبول هو الثقة الضابط لما يرويه، المُسلِم العاقل البالغ السالِم من أسباب الفِسق وخوارم المروءة، المُتيقظ الخالي من الغفلة، الحافظ الخالي من النسيان، الفاهم للمعنى. وتثبت عدالة الراوي بشهرته بالخبر والثناء الجميل أو شهادة الأئمة أو اثنين منهم أو واحد على الأقل. هو كل حامل عِلم معروف بالعناية به.[٢٣] ويعرف الضبط بالاتفاق مع الثقات لفظًا ومعنى.

أما مجهول العدالة ظاهرًا وباطنًا فلا تُقبل روايته. أما المبتدع فتُردُّ روايته بصرف النظر عن تكفيره ببدعته؛ لأن التكفير لا يجوز. أما رواية أهل الأهواء فمردودة مثل الخطابية من الرافضة لاحتمال تدخُّلها في الرواية؛ لأنهم يرون شهادة الزور لموافقيهم ضدَّ أعدائهم. لو كان الراوي فرعًا وصدَّق شيخُه روايته لكنه اختلطت عليه الأمور أو راءى أو خمر رُدَّت روايته.[٢٤]

أما التائب من الكذب فتُقبل روايته إلا من كذب متعمدًا؛ فمن المحتمل أن يعود إلى الكذب المُتعمد بعد التوبة. أما من غلط في روايته وارتدَّ إلى الصواب عن غير قصدٍ فتُقبل روايته.

وإذا حدَّث ثقة عن ثقةٍ بحديث وأنكر الشيخ سماعه بالكلية فإنه يُشكُّ في روايته دون القدح في عدالته. ومن أخذ على الحديث أجرًا لا تُقبل روايته حتى لا تتحوَّل الرواية إلى مصدر رزقٍ فيُكثِر منها.

والتزكية لها مراتب؛ أعلاها الحكم بشهادة المُزكي، وبعدَها التصريح بأنها عدل رضى، ثم العمل بحديثٍ رواه المُزكي، ثم رواية حديثٍ عنه. لا يحتاج المُحدث المشهور بالثقة والعدالة إلى تزكية المعدل.[٢٥] ورواية الثقة عن غيره ليست تعديلًا. ويُعرَف المُزكي

[٢١] «وقد فُقدت شروط الأهلية في غالب أهل زماننا ولم يبقَ إلا مُراعاة اتصال السلسلة في الإسناد.» الباعث الحثيث ص١٠٧، ابن النفيس: المُختصر ص١٦٣.

[٢٢] ابن كثير ص٥٨.

[٢٣] طبقًا لقول الرسول «يحمل هذا العِلم من كلِّ خلفٍ عدوله.» السابق ٩٣.

[٢٤] ابن النفيس ص١٦٣–١٦٤، الجعبري ص١٣٩–١٤١.

[٢٥] الكفاية ص٨٢–٨٩، ٣٧–٤٨.

بما عنده من حال المسئول عنه. وقد عدل الله ورسوله الصحابة. والأصل في الصحابي العدالة.[٢٦] وتثبت العدالة بالاستفاضة والشهرة حتى ولو جهل اسمه ونسبه.[٢٧] ليست العدالة إظهار الإسلام وعدم الفِسق في الظاهر.[٢٨] والثقات من الرواة تتوافر فيهم العدالة في الرواية والشهادة. وما يعرفه عامة الناس من صفات المُحدِّث الجائز الحديث قد يختلف عمَّا ينفرد بمعرفته أهل العلم.[٢٩]

وتشتمل العدالة الإسلام وانتفاء البدعة والمعاصي، والمقدرة على الحفظ والقراءة إن كان صاحب كتاب، وحُسن القراءة.[٣٠] وهي ملَكة في النفس تلزم الشخص على ملازمة التقوى والمروءة وتجنُّب البدعة واجتناب الكبائر، وترك الصغائر، بل وبعض المباح. وتتضمَّن مع الإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفِسق والضبط واليقظة والابتعاد عن الغفلة أو الحفظ والعدل، ثقة. والعدول هم رواة الإصحاحات الخمسة.[٣١] والثقة ضدَّ البدعة.[٣٢] والسَّفَه يُسقط العدالة ويردُّ الرواية.[٣٣] ولكل ناقد خطة مثل ابن حبان في «الثقات»، وابن عربي في كتابه «الكامل». وتثبت العدالة بتنصيص المُعدلين أو بالاستفاضة أي بالشهرة. ويُسمَّى المعدل حتى لا يكون التعديل على الإبهام. والرواية عن راوٍ واحد لا تجعله عدلًا. والتعديل مقبول دون سببٍ على عكس الجرح. ولا يثبُت الجرح والتعديل بقولٍ واحد. ويقوم الجرح على التعديل إذا ثبت كلاهما في شخصٍ واحد.

ويمكن القدح في الحديث من جهة السند أو المتن أو المعنى.[٣٤] والقدح في السند الكاذب مثل ادعاء السماع المباشر من راوٍ قد تُوفي، أو الإعلان عن كذب الراوي صراحة. والكذب في المتن هو ادعاء على الرسول قول شيء لم يقُله. والكذب في المعنى رواية ما يستحيل قولًا وشرعًا. ويجوز تأويله وتنزيله على معنًى مُحتمَل، ممَّا يدل على إمكانية

---

[٢٦] وذلك لقول الرسول «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.» السابق ص١٦٤–١٦٥.

[٢٧] التهانوي ص٢٠٩–٢١٤.

[٢٨] الكفاية ص٧٨–٨٠.

[٢٩] الاقتراح ص٤٢٣–٤٣٤.

[٣٠] النيسابوري ص٥٣، الذهبي ص٦٧-٦٨، الكافي ص٣١٧–٣٢٧.

[٣١] التهانوي ص٢١٤–٢٣٢.

[٣٢] الرفع والتكميل ص٣٣٢–٣٥١.

[٣٣] الكفاية ص١٠٧-١٠٨.

[٣٤] ابن النفيس: المختصر ص١٧٥–١٧٩، الكافي ص٣٢٨–٣٣٢، ٣٣٥–٣٤٠.

تحويل الحديث من علمٍ نقلي إلى علمٍ عقلي واقعي. فالعقل والواقع ركيزتا الوحي قرآنًا أم حديثًا. وجرح الضعفاء من النصيحة.[٣٥] إذ يُكره السماع من الضعفاء. وتجريح بعض رجال الصحيحين لا يُعبأ به. مع أن الإصحاحات الستة قد وضعوا موضع النقد من القدماء. وقد أحجم المُحدِّثون عن الرواية في العصور المتأخِّرة لبقاء سلسلة الإسناد وأثر ذلك على شروط أهلية الرواة.[٣٦]

وتُردُّ رواية الكاذب في غير حديث.[٣٧] وتُكره رواية أهل المجون والخلاعة.[٣٨] وتُتجنَّب الرواية عن الضعفاء والمخالفين من أهل البدع والأهواء.[٣٩] وهناك فرق بين الغلط وكثرة الغفلة وسوء الحفظ.[٤٠] والاقتداء بذوي السَّنَن المُستقيم في ذكر تاريخ السماع القديم. ويتكلم المحدث على الحديث ويصفه بالصحة والثبوت وغير ذلك من الصفات.[٤١] ولا تُقبل رواية المبتدع أو إذا كذَّب الأصل الفرع أو أنكر أو نسي روايته.[٤٢]

(٢) الألفاظ

وألفاظ الجرح والتعديل عديدة. فألفاظ التعديل على مراتب:[٤٣]

(١) ثقة أو متقن، ثَبت أو حجة، حافظ أو ضابط.
(٢) صدوق، محله الصدق، لا بأس به.
(٣) شيخ.
(٤) صالح للحديث.

---

[٣٥] قواعد التحديث ص١٩٦، الجامع ص٥٠.
[٣٦] الكافي ص٣٤٣–٣٦٧.
[٣٧] الكفاية ص١٠٩–١١١.
[٣٨] السابق ص١٤٤-١٤٥.
[٣٩] الجامع ص٢٨٩–٢٩١.
[٤٠] البيان المكمل ص٥٠–٣٨٠.
[٤١] الجامع ص٣٠٩–٣١٤.
[٤٢] الكافي ص٣٤٣–٣٦٧.
[٤٣] ابن الصلاح ص٥٨–٦٠، الجعبري ص١٠٣-١٠٤، العسقلاني ص١٨٧–١٨٩، الكافي ص٣٦٧–٣٧٤، التهانوي ص٢٤٢–٢٨٧، البيان المكمل ص٥٠.

وألفاظ الجرح أيضًا على مراتب:

(١) ليس بحديث.
(٢) ليس بقوي.
(٣) ضعيف الحديث.
(٤) متروك الحديث.
(٥) كذاب ساقط.

قول الراوي حدَّثني الثقة أو مَن لا أتهم، هل ليس تعديلًا له.[٤٤] فالتعديل أمر جماعي. ويجرح رواة الصحيحين. لا أحد من الرواة يسلَم من الخطأ. ويستعمل البخاري نفسه لفظ «فيه نظر» أو «سكتوا عنه».[٤٥] وقد يكون الجرح مُتعنتًا غير بريء.[٤٦] وفي هذه الحالة يحتاج الجارح إلى تجريح. وكلمات المعاصر في المعاصر غير مقبولة إذا كانت بغير برهان.[٤٧]

وقد تتفاوت المصطلحات لوصف الراوي في مراتب التعديل إلى:

(أ) صالح الحديث، أي يُكتَب حديثه للاعتبار.
(ب) يُكتَب حديثه ولا يُحتجُّ به؛ أي متروك الحديث.
(جـ) ثقة؛ أي يُكتب حديثه، مُتقِن ثَبْت، يُحتج بحديثه.
(د) صدق أو صدوق؛ أي محله الصدق.
(هـ) لا بأس به؛ أي بمعنى يُكتب حديثه وينظر فيه.
(و) شيخ؛ أي يكتب حديثه وينظر فيه.

ومراتب الجرح:

(أ) ليس الحديث؛ أي يُكتب حديثه ويُنظر فيه اعتبارًا؛ أي كثير الخطأ.
(ب) ليس بقوي.

---

[٤٤] قواعد التحديث ص٢٠٤–٢٠٦.

[٤٥] الرفع والتكميل ص٣٨٨–٤٠٤.

[٤٦] السابق ص٣٤٠–٤٠٥، لفظ العدل الذي تحصل به العدالة، الكفاية ص٨٠–٨٢.

[٤٧] الرفع والتكميل ص٤٣١.

(جـ) ضعيف الحديث؛ أي لا يُطرح حديثه بل يُعتبر به.

(د) متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذَّاب؛ أي ساقط الحديث ولا يُكتب حديثه.[48]

وتختلف صياغة الأحكام على الأحاديث. فهناك فرق بين القول صحيح الإسناد وحسن الإسناد والقول حديث صحيح أو حسَن، ومدى الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعيف. ولا يلزم من نفي الصحة الضَّعف أو الوضع.[49] فقد ينطبق الحكم على السند دون المتن. وفرق بين حديث مُنكر، ومُنكر الحديث، ورواية المناكير في درجة التجريح.[50] وقد يكون الحُكم ليس بشيءٍ على المُحدِّث أو الحديث.[51] وقد يكون لا بأس به أو ليس به بأس.[52] وقد يكون من الراوي: هو كذا أو كذا.[53] وقد يكون «يكتب حديثه».[54] وقد يكون الحكم مجهولًا.[55] ولا يُعرَف له حال أو لم تثبُت عدالته. وقد يكون الحكم تركه فلان أو ليس مثل فلان.[56] وسكوت المُتكلمين في الرجال عن الراوي الذي لم يُجرح ولم يأت بمتنٍ مُنكَر يُعدُّ توثيقًا له ضمنًا.[57] وقد يتوجَّه صدور الجرح والتعديل من الناقد الواحد في الراوي نفسه. ويلزم التروِّي والنظر دون تعنُّت أو تسامُح أو اعتدال.[58]

---

[48] الجرح والتعديل ص٣٧–٣٩، ٤٩–٦٤.

[49] الرفع والتكميل ص١٨٧–١٩٨.

[50] السابق ص١٩٩–٢١١.

[51] السابق ص٢١٢–٢٢٠، الجرح والتعديل ص٨٥.

[52] السابق ص٢٢١-٢٢٢.

[53] السابق ص٢٢٣-٢٢٤.

[54] السابق ص٢٢٥.

[55] السابق ص٢٢٥–٢٢٩، ٢٥٣–٢٥٩، الكفاية ص٨٣-٨٤.

[56] الرفع والتكميل ص٢٦٠-٢٦١.

[57] السابق ص٢٣٠–٢٥٣.

[58] السابق ص٢٦٢–٣٣١.

(٣) الفِرَق

والصوفية يُغلِّبون المتن على السند لأن المتن هو المحمول، أما السند فهو الحامل. المتن هو الوحي أما السند فهو طريق تبليغه. وفي رأيهم تتعدَّد طرق البلاغ بين أهل الظاهر وأهل الباطن. بين من يأخذون عِلمهم من مَيتٍ عن ميتٍ ومن يأخذ علومه من الحي الذي لا يموت، بين العنعنة «عن فلان عن فلان» و«عن قلبي عن ربي أنه قال». لذلك نقدهم علماء الحديث واعتبروهم من أهل الأهواء. يقدحون في عدالتهم ويجرحونهم.[٥٩]

والفلاسفة كالصوفية مجروحون بسبب الجهل بمراتب العلوم، وهو ما يحتاجه المتأخرون؛ فقد انتشرت علوم الأوائل وفيها حق كالعلوم الرياضية والطبيعية، وفيها باطل كالطبيعيَّات والإلهيَّات وأحكام النجوم. فيحتاج القادم أن يُميز بين الحق والباطل، فلا يُكفِّر ما ليس بكافر، ويقبل روايته.[٦٠]

وأصحاب العقائد الكلامية مجروحون لأنهم من أهل الأهواء مثل الإرجاء والتشيُّع؛ عقيدتي السلطة والمعارضة، وخلق القرآن، وشغل الناس بما لا يفيد، والإرجاء عند المبتدعة، وكذلك ما يُروى عنهم من جواز الرؤية.[٦١] يُترك السماع من أهل الأهواء والبدع. والغلو في التشيُّع ليس سببًا للجرح إذا كان الراوي ذا ثقة.[٦٢] وتتدخَّل مذاهب الرواة وعقائدهم في رواياتهم كما هو حادث عند أصحاب الأهواء؛ لذلك لا يؤخذ العلم من صاحب

[٥٩] «ومن ذلك الاختلاف الواقع بين المُتصوِّفة وأهل العِلم الظاهر. فقد وقع بينهم تنافُر أوجب كلام بعضهم في بعض. هذه غمرة لا يخلص منها إلا العالِم الوافي بشواهد الشريعة. ولا أحصر ذلك في العِلم بالفروع؛ فإنَّ كثيرًا من أحوال المُحقِّقين من الصوفية لا يُعنى بتمييز حقِّهِ من باطله عِلم الفروع، بل لا بدَّ من معرفة القواعد الأصولية، والتمييز بين الواجب والجائز، والمُستحيل عقلًا والمُستحيل عادة. وهو مقام خطر. إذ القادح في مُحِق الصوفية داخل في حديث، «من عادى وليًّا فقد بارزني بالمحاربة.» والتارك لإنكار الباطل ممَّا سمعه بعضهم تارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.» الذهبي ص٨٨–٩٠.

[٦٠] السابق ص٩١.

[٦١] التهانوي ص٢٣٢–٢٤٢، ٣٦١–٣٨٠، الرفع والتكميل ص٣٥٢–٣٧٨، الكفاية ص١١٢–١٢٢، الجامع ص٤٨–٤٩.

[٦٢] التهانوي ص٤٠٧.

هوًى قد يدعو الناس إلى هواه ولا ينقل إلا ما يتفق مع هواه ولا يروي ما خالف هواه.[٦٣] وتُكره الرواية من الأحبار تجنُّبًا لدخول الإسرائيليات.[٦٤]

ومن أسباب القدح، الخلل الواقع بسبب عدم الورَع والأخذ بالتوهُّم والقرائن. فالظن أكذب الحديث. العلم والتقوى ضروريان في الجرح. وقد يصعُب اجتماع هذه الشرائط في المُزكين. ومن هنا عظم الجرح والتعديل.[٦٥] ويختلف المُحدِّثون في تصنيف الرجال وتعديلهم، وفي قبول رواية المبتدعة وردِّها، وفي اشتراط عدد المُزكي والجارح، وفي قبول الجرح المُفسَّر والمُبهم.[٦٦] واختلاف المُحدِّثين في الجرح والتعديل كاختلاف الفقهاء عن اجتهاد.[٦٧] وتجريح الضعفاء بسبب الهوى والغرض والتحامل، والمخالفة في العقائد، وإنكار المتواتر من الشريعة، والابتداع كما هو الحال في الخلاف بين الصوفية والفقهاء، والجهل بالعلوم ومراتبها، وعدم الورَع والوقوع في الوهم.[٦٨]

ثانيًا: التأليف في الموضوع

ونظرًا لأهمية الجرح والتعديل فقد تمَّ التأليف فيه كموضوع مستقل، بل قد يؤلِّف فيه مُحدِّث واحد أكثر من كتابٍ مثل «السبكي»:

---

[٦٣] النيسابوري ص١٣٥–١٤٠، التهانوي ص٣٦١–٣٨٠.

[٦٤] الكافي ص٣٤٣–٣٦٧.

[٦٥] الذهبي ص٩١-٩٢.

[٦٦] الجرح والتعديل ص٦٤–٧٢.

[٦٧] السابق ص٨٣.

[٦٨] الاقتراح ص٤٣٥–٤٥٤.

(١) «كتاب الضعفاء والمتروكين» لابن الجوزي (٥٩٧هـ)[٦٩]

هو كتاب تطبيقي في الجرح والتعديل، بل هو في الجرح أكثر ممَّا هو في التعديل كما يدل عليه العنوان، ونظرًا لتقديم الجرح على التعديل.[٧٠] ويكشف عن الجرأة في الحُكم، تجريح ما يزيد على أربعة آلافٍ من الرواة بما في ذلك رواة الصحاح والمسانيد والسنة.[٧١] وقد سبق هذه الكتب كتب أخرى عديدة في نفس الموضوع يُشير إليها المؤلِّف ويعتمد عليها.[٧٢] فالجرح والتعديل بدأ بمجرد ظهور الصحاح ومجموعات السنن والمسانيد، بل إن هذا الكتاب يُعدُّ حلقة من مشروع أعمَّ بدأ قبله.[٧٣] وقد رتَّبَ الرواة طبقًا للحروف الأبجدية.[٧٤] وقد صدرت الأحكام عن الرواة جامعة، من كان يروي منه، ووظيفته، وبلده، وكانت بعض الأحكام قاطعةً بلا تعليل، والبعض الآخر نسبي طبقًا للحاكم. لذلك تتعدَّد الأحكام، وتختلف من حاكمٍ إلى آخر بين القوة والضعف، والإطلاق والنسبية. وقد تتعلَّق النسبية بالحُكم على الكل أو الجزء، بالشدة أو باللين.[٧٥] وقد يتعلق الحكم بالفعل الوقتي أو بسِمة الشخصية الدائمة المُتحقِّقة في كل فعل؛ الكذب مرة أو صفة الكذَّاب، الوضع مرة في حالة ضعف أو صفة الواضع، مرة فعلًا ومرة اسمًا. وتختلف الصياغات في الأحكام بين كاذب وكان يكذب.[٧٦] مباشرة أو غير مباشرة، قاطعة أو مُحتملة، عن تعمد وبِنيَّة الكذب أو سهوًا وخطأ عارضًا، وقد يكون الحكم إيجابًا أم سلبًا، مُثبتًا أم نفيًا للنفي، مثل ليس بكاذب. وقد يحتاج أكثر من حُكم. فالراوي مجهول أو مُنكر.[٧٧] وقد يكون الحكم لفظًا أو صفة أو عبارة تصف الفعل.[٧٨] وقد تتضارب الأحكام لاختلافهما طبقًا لآراء المُحكِّمين.[٧٩] وتتنوَّع الأحكام بين الحقيقة والمجاز مثل كاذب، متروك، مجهول، ضعيف، موضوع أو لا يساوي فلسًا، لا يساوي فلسين.[٨٠] وقد يتجاوز الحكم على الراوي إلى اتهامه إلى درجة السب والشتم العلني.[٨١] وقد يكون السبب في الترك والتضعيف ولاء الراوي المذهبي وانتسابه إلى إحدى الفِرَق العقائدية السياسية كالخوارج.[٨٢] وكلها أحكام سلبية وليست إيجابية مثل ثقة؛ لأن الكتاب في الضعفاء والمتروكين.

---

[٦٩] الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي الواعظ البغدادي: كتاب الضعفاء والمتروكين، حقَّقه أبو الفدا عبد الله القاضي (ثلاثة أجزاء، مجلدان)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

[٧٠] «على أن تقديم الجرح على التعديل مُتعيِّن.» السابق ص٧.

وتتراوح الأحكام الموضوعية بين مجهول، متروك، ضعيف، منكر، لا بأس به، سارق، ضال، مُضل، ليس بشيء، ليس بالقوى، باطل، موضوع، غير مُستقيم، ليس بالقوي، غير صدوق، ليس به طعن، يذكر على جهة التعجُّب، لا يشتغل به، مقدوح فيه، مسروق، غير مؤتمن، غير مأمون، مجروح، مُتساهل، رجل سوء، دجال، كثير الوهم، فاحش الخطأ، ذاهب الحديث، مطعون فيه، غير معروف، لا يُحمَد. ولكلٍّ حكمٍ حقل دلالي مثل مُنكر يأتي بالمناكير، انفرد بالمناكير، منكر الحديث أو موضوع، موضوع، وضَّاع، يضع الحديث، لا بأس به إلا أنه كان اختلط، ويمكن رصد هذه الأحكام ومدى تكرارها لمعرفة أي الأحكام أشهَر.

(٢) «جواب عن أسئلة في الجرح والتعديل» للمُنذري المصري (٦٥٦هـ)[٨٣]

والسؤال طويل، والجواب قصير.[٨٤] موضوعه ألفاظ الجرح والتعديل. ويجمع بين النظرية والتطبيق، لا يعتمد على أي شواهد من القرآن أو الحديث أو الشعر. وشخصية المُحقق المُعتني بالكتاب مركزية أكثر من المؤلف. يذكر ميلاده ووفاته ومكانها بالرياض بالسعودية. ويضع فهرس الكتاب في منتصفه.[٨٥] ويُرقم الكتاب مرَّتَين على جزأين

[٧١] عدد الرواة بالضبط ٤٠١٨ راويًا.

[٧٢] «وقد جمع كتابي هذا زبد ما ذكره المتكلمون في التضعيف، وانتقى من الكتب المُصنفة في ذلك. وقد رأيت المصنِّف لا ينتقي ولا يتوخَّى، فليس بمصنف.» السابق ص١٢.

[٧٣] مثل كتاب «العِلل المُتناهية في الأحاديث الواهية» وكتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات»، الضعفاء والمتروكين ج١، ٧.

[٧٤] «ورتَّبتُ المذكورين فيه على حروف المعجم، ثم رتبتُهم في أنفسهم على الحروف أيضًا ... ثم رتَّبتُ أسماءهم على الحروف أيضًا.» السابق ص١٢.

[٧٥] السابق ص٦٣، ٧، ٧٦.

[٧٦] السابق ص٨٠.

[٧٧] السابق ص٦٩، ٧٥، ١٠٩.

[٧٨] السابق ص١١٢.

[٧٩] السابق ص١٠٠.

[٨٠] السابق ص٢٣، ٩١.

[٨١] السابق ص٩١.

ويتمُّه بنصَّين له يُزاحم بهما النص الرئيسي. بهما عِلم سلفي تقليدي. الدراسة الأولى مجرد ثَبت بأسماء الأعلام في الإيمان. والثانية أسماء الأعلام في الكفر ردًّا على الألباني والشاويشي، وتقربًا للوهابية. يعمل مع الحكومة.[٨٦] والدارستان أكبر من النص الرئيسي.[٨٧] يتحدث عن نفسه بضمير المتكلم.[٨٨] وهو ما يتنافى مع الخطاب العلمي الموضوعي. ويُعطي صورة خطية لتوبةٍ بخط التائب.[٨٩]

(٣) «ذِكر مَن يُعتمد قوله في الجرح والتعديل» للذهبي (٧٤٨هـ)[٩٠]

وهم ثلاثة أقسام؛ الأول من تكلَّم في أكثر الرواة، والثاني من تكلَّم في كثيرٍ من الرواة، والثالث من تكلَّم في الراوي بعد الآخر. وهم كلهم على ثلاثة أقسام: الأول المُتعنت في التوثيق، والثاني المُتثبت في التعديل ويغمز الراوي مرةً أو اثنتين؛ مُتساهل، والثالث مُعتدل منصف. ولكل نوع أسماء من الصحابة التابعين في المائتين الأولى والثانية وهم سبعمائة وخمسة عشر راويًا، يندرجون في اثنتين وعشرين طبقة. ويذكر الجميع بأسمائهم دون حُكم عليهم وبيان درجتهم في الرواية. فأصبح الكتاب أقرب إلى التاريخ؛ لا يعتمد على آيةٍ أو حديثٍ أو شعر.[٩١]

(٤) «قاعدة في المؤرخين» لعبد الوهاب السبكي (٧٧١هـ)[٩٢]

وهي نفس قاعدة الجرح والتعديل من منظور المؤرخ؛ فقد يضع المؤرخ أناسًا ويرفع أناسًا لتعصُّبٍ أو جهل أو نقل غير موثوق به. والأهم الجهل والتعصب؛ لذلك يشترط في المؤرخ الصدق والنقل باللفظ وعدم الاكتفاء بالنقل بالمعنى، والنقل المباشر دون الاعتماد

---

[٨٢] السابق ص١٠٣، ١١٤.

[٨٣] الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذري المصري: جواب عن أسئلة في الجرح والتعديل، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة (ولد سنة ١٣٢٦هـ وتوفي ١٤١٧هـ) رحمه الله تعالى، ويليه للمُعتني به «أمراء المؤمنين في الحديث» و«كلمات في كشف أباطيل وافتراءات»، مكتب المطبوعات الإسلامية، شركة البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

[٨٤] السؤال ص٣٧–٤٥، والجواب ص٣٧–٩١.

[٨٥] السابق ص١٤١.

[٨٦] الدراسة الأولى (٣٨)، والثانية (١٤١).

على الحفظ في الذاكرة، وتسمية المنقول عنه والكشف عن مصادره.[٩٣] ويشترط في الكتابة التاريخية المباشرة المعرفة بحال صاحب الترجمة، وحُسن العبارة والمعرفة بمدلولات الألفاظ، وحسن التصور، والتخلي عن الهوى. وقد يُضاف حضور التصور بالإضافة إلى حُسنه. ويعتمِد المؤلف على كثيرٍ من نقول السابقين.[٩٤] والحذر عند المؤرخ من الاختلاف في العقيدة بينه وبين من يكتُب عنهم، أو وجودهم في عصرٍ واحد يغلب عليه التنافُس ورَمي البعض بالتُّهم مثل التشيُّع.[٩٥]

(٥) «قاعدة الجرح والتعديل» لعبد الوهاب السبكي (٧٧١هـ)[٩٦]

والجرح والتعديل قاعدة وعِلم. والغرض رفض تقديم الجرح على التعديل على ما هو شائع؛ فالموضوع سجالي.[٩٧] ارتبط بعِلم الأصول لأنَّ المؤلف أصولي.[٩٨] يقوم على تحليل

---

[٨٧] السابق ص٣ (هـ).

[٨٨] السابق ص١٤١.

[٨٩] السابق ص٤٩-٥٠.

[٩٠] أربع رسائل في علوم الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط٧، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٧١–٢٢٧.

[٩١] السابق ص١٧١-١٧٢.

[٩٢] أربع رسائل في علوم الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط١، ٧، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٦٦–٨٠.

[٩٣] السابق ص٦٦–٦٩.

[٩٤] السابق ص٧١.

[٩٥] «وقد استقرأتُ فلم أجد مؤرخًا ينتحِل عقيدة، ويخلو الكتاب عن الغمز ممَّن يحيد عنها، سنة الله في المؤرخين، وعادته في النقلة.» السابق ص٨٠.

[٩٦] أربع رسائل في علوم الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط٧، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٩–٦٥.

[٩٧] الأشعار (٦)، السابق ص٢٧-٢٨.

[٩٨] «فإنك إذا سمعتَ أن الجرح مُقدَّم على التعديل ورأيتَ الجرح والتعديل، وكنتَ غرًّا بالأمور أو خدمًا مُقتصرًا على منقول الأصول حسبتَ أنَّ العمل على جرحه. فإياك ثم إياك، والحذَر كل الحذر من هذا الحسبان.» السابق ص١٩. «بل إنَّ الصواب عندنا أنَّ من ثبتَتْ إمامته وعدالته، وكثُر مادِحوه ومُزكُّوه وندر جارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحِه من تعصُّبٍ مذهبي أو غيره فإنا لا نلتفت إلى

نظري خالص. ويخلو من القرآن والحديث. والشعر نادر.[٩٩] هي قاعدة ضرورية نافعة تخلو منها كتب الأصول. ويعتمد على كتب السابقين.[١٠٠] وقد يكون سبب الجرح الخلاف المذهبي والعقائدي بين الجارح والمجروح؛ بين مُجسمةٍ ومُشبهةٍ ومُنزهة. وللتجريح شروط، والخبرة بمدلولات الألفاظ.[١٠١] لذلك نشأ الصراع بين الفقهاء والصوفية. وقبل التجريح يجب استبعاد الوهم والتأويل والكذب في النقل والتعصُّب والهوى.

(٦) «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للكنوي الهندي (١٣٠٤هـ)[١٠٢]

وهو تأليف في موضوع جزئي هو الجرح والتعديل. ومع ذلك تفصيلي للغاية. الهدف منه توضيح الموضوع بعد أن اختلط على المؤلفين فيه. نقول الموضوع من عِلم نقد الرجال دون عِلمٍ بمصطلحاته.[١٠٣] ويعتمد على مواد القدماء مُراجعًا لها، ويذكُر مختلف الأقوال، ويضع لفظ «انتهى».[١٠٤] ويستعمل أسلوب القيل والقال، «فإن قال ... فالجواب.» «لقائلٍ أن يقول.» «فإن قيل.»[١٠٥] كما يعتمد على الشعر.[١٠٦] وينقسم إلى أربعة مراصد ومقدمة وخاتمة، وينقسم المرصد الأول إلى أقوال، والثاني إلى مسائل وأقوال، والثالث ألفاظ الجرح

الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة، وإلا لو فتحنا هذا الباب، وأخذنا بتقديم الجرح على إطلاقه لَمَا سلِم لنا أحد الأئمة؛ إذ ما من إمامٍ إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون.» السابق ص١٩–٢٠.

[٩٩] السابق ص٢٠–٢٩.

[١٠٠] السابق ص٣٠–٥٢.

[١٠١] السابق ص٥٣–٥٦.

[١٠٢] الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، حقَّقه وخرَّج نصوصه وعلَّق عليه عبد الفتاح أبو غدة، ط٧، دار السلام، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

[١٠٣] «بعثني على تأليفها ما رأيتُ من كثيرٍ من علماء عصري، وفضلاء دهري، مِن ركوبهم على متن عمياء، وخبطهم كخبط العشواء، تراهم في بحث التعديل والجرح من أصحاب القدح، فهم كالحبارى في الصباري، والسكارى في الصحاري. وما ذلك إلا لجهلهم بمسائل الجرح والتعديل، وعدم وصولهم إلى منازل الرفع والتكميل. كم من فاضل قد جرَّح الأسانيد الصحيحة. وكم من كامل قد صحح الأسانيد الضعيفة. يُصحِّحون الضعيف، ويُضعِّفون القوي. ولا يهتدون إلى الصراط السوي. تراهم قد ظنوا نقل الجرح والتعديل من كتب نقاد الرجال، مع جهلهم باصطلاحات أئمة التعديل والجرح وعدَم تفريقهم بين الجرح المُبهم والجرح غير المبهم.» السابق ص٤٩–٥٠.

[١٠٤] السابق ص٥٧.

[١٠٥] السابق ص٦٤، ١٠٦، ٢٠٤.

والتعديل ومراتبها، والرابع إلى إيقاظات. وينقسم بعضها إلى فائدة وتذبذب.[١٠٧] ويميل إلى عقائد المُتكلمين مثل الإرجاء وفِرَقهم مثل المعتزلة.[١٠٨]

(٧) «الجامع في الجرح والتعديل»[١٠٩]

وهو مصنف في موضوع جزئي هو الجرح والتعديل؛ تطبيق عملي وليس قواعد نظرية. ويضم ٥٤٩٧ حديثًا مصنفة طبقًا لرُواتها مع إصدار أحكامٍ بالجرح والتعديل عليهم ابتداءً من أعلاها، وهو ثقة، إلى أدناها، وهو الكاذب. والجهد كله في الجمع والترتيب في موضوع، ثُم التأليف فيه على مدى ثلاثة عشر قرنًا بعد أن استقرَّ، اللهم إلا من نقْل العِلم واجتراره من العلماء. كان الهدف هو جمع الأحاديث في كتابٍ واحدٍ مثل «المسند الجامع» الذي صدر من قبل لتحقيق أُمنيتين: جمع أقوال المُتقدِّمين من علماء الحديث في كتابٍ واحد، وجمع علل الحديث والمُتفرِّق منها في بطون الكتب، إحياءً للسنة وعَودًا إلى القرون الأولى.[١١٠]

ثالثًا: شروط الراوي

شروط الراوي هي التي تُحدِّد أنواع الحديث سندًا ومتنًا؛ فمعرفة صدق المُحدِّث وإتقانه وثقته وصحَّة أصوله، وما يحتمله سنُّه ورحلته من الأسانيد، وغفلته، وتهاونه بنفسه، وعلمه، وأصوله تتعلق بالبنية النفسية للراوي؛ فموضوعية شعور الراوي شروط صحة

[١٠٦] السابق ص٦٩.

[١٠٧] السابق ص١٠٥، ٣٥١، ٣٧١، ٤٣١، ٣٧٤، ١١٠.

[١٠٨] السابق ص٣٥٢–٣٧٣، ٣٦٦.

[١٠٩] السيد أبو المعاطي النوري، حسن عبد المنعم شلبي، أحمد عبد الرازق عيد، ومحمد خليل الصعيدي (جمع وترتيب): الجامع في الجرح والتعديل (ثلاثة أجزاء): لأقوال البخاري ومسلم، والعجلي، وأبي زرعة، والرازي، وأبي داود، ويعقوب الفسوي، وأبي حاتم الرازي، والترمذي، وأبي زرعة الدمشقي، والنسائي، والبزار، والدارقطني، والنوري، وشلبي وعيد والصعيدي (القرن الخامس عشر)، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

[١١٠] السابق ص٥–٩.

الحديث، سندًا ومتنًا.[١١١] هناك جهالة ضارة وجهالة غير ضارة في الراوي.[١١٢] الجهالة سببها أن الراوي قد تكثُر غفوته فيذكر بغير ما اشتهر به لغرض. وفيه المُوضح.[١١٣] ويترك السماع ممن اختلط وتغيَّر.[١١٤] وقد يروي الرجل الحديث ويُتقِن سماعه ولكن لا يدري ممَّن سمعه.[١١٥] وقد يروي المُحدِّث مِن حفظه حديثًا فيُخالف فيه. وقد يُخالفه آخَر أحفظ منه فيرجع إلى قوله. وقد يُراجَع المُحدِّث ويُوقَف عندما يختلج في النفس شيء من روايته.[١١٦] قد يسمع الحديث الواحد من الجماعة.

(١) النقل الشفاهي

شروط الراوي لسماع الحديث وحمله وضبطه هي الاحتلام؛ أي البلوغ، والإسلام؛ أي أن يكون مُسلمًا بالغًا عاقلًا سالمًا من أسباب الفسق وخوار المروءة. ومن شروطه أن يكون عدلًا، ضابطًا لما يرويه، مُتيقظًا، حافظًا، ضابطًا لكتابته، ويكون مُنضبطًا بمقارنة رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان. ولا تقبل رواية المجهول ظاهرًا وباطنًا.[١١٧] وتُقبل رواية المستور وهو المجهول باطنًا، والمعروف ظاهرًا، ولا تُقبَل رواية المجهول العين. وتقبل رواية المبتدع الذي لم يُكفَّر ببدعته. وتُقبل رواية التائب من الكذب وأسباب الفسق. جحود الحديث بعد روايته والاعتراف بالكذب يجعله مرفوضًا.[١١٨] فقد ينكر الراوي روايته.

ولا يُروى ممَّن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عُرِف بالصلاح والعبادة، على عكس المثل الشعبي «الأدب فضَّلوه على العلم.»[١١٩] وتُخيَّر الشيوخ إذا تباينت أوصافهم. وهناك شيوخ يُجتَنب السماع منهم. ويُستعمل الحق في تقديم أولي السبق.[١٢٠] في حين يرى البعض التسوية بين الأصحاب، وكراهية إيثار بعضهم على بعض. وتجوز الأثرة بالرواية

[١١١] النيسابوري ص١٤–١٧، الجعبري ص٩٩، العسقلاني ص٢–٦، ابن تيمية ص١٢، الكفاية ص٢٢٨–٢٣٠.

[١١٢] التهانوي ص١٩٧–٢٠٩.

[١١٣] العسقلاني ص١٣٢، ١٣٥، ٢٠٦، النيسابوري ص١٢–١٧، ابن تيمية ص١١٢، الكفاية ص٢٢٨–٢٣٠.

[١١٤] الكفاية ص١٢٥–١٢٧، ١٤٨–١٥٤.

[١١٥] السابق ص٣٢٣-٣٢٤.

لأهل المعرفة والدراية. وتُستحَبُّ الرواية عن جماعة، وعدم الاقتصار على شيخٍ واحد.[١٢١] ويُروى الحديث بعد سؤال الشيخ عنه.[١٢٢] وقد يَتفرَّد راوٍ بحديثٍ لا يُوجد إلا عنده. وقد يُروى حديث يُشترَط فيه البراءة من عهدته.[١٢٣]

وللراوي شفاهًا شروط لا تكون نوعًا بل شروطًا عامة لكل الأنواع. منها الحفظ والتذكُّر. وقبلها السماع. وبعدها كما قال الأصوليُّون في مراحل الراوية الشفاهية الثلاث: السماع الذي يتطلَّب سلامة الحواس، والحفظ الذي يتطلَّب صلابة الذاكرة، والأداء الذي يتطلَّب سلامة اللسان من التلعثُم وسوء النطق. وتجوز رواية الضرير لأنه يتمتَّع بسلامة السَّمع وإن لم يتمتَّع بسلامة البصر.[١٢٤]

وإذا تعارض الشَّفاهُ مع الكتابة يُشَكُّ في الرواية، ويُقبل ما تسكُن إليه النفس. ففي الرواية الشفاهية احتمال خطأ النسيان. وفي الرواية المكتوبة احتمال خطأ النقل. ولا تجوز الرواية مُذاكرةً لأن المذاكرة تدريب وليست كمالًا. وشروط الراوي شفاهًا وكتابة التكليف؛ وبالتالي يُستبعَد الطفل والمجنون؛ والسلام والعدل الأخلاقي، وبالتالي يُستبعَد الفاسق؛ والضبط مع استبعاد السهو، والتشدُّد في أمر الحديث وليس التساهُل، وكثرة الرواة مع الاختلاف في عددهم في كل طبقة؛ أربعة أو اثنان أو واحد.

وشروط سماع الحديث وتحمُّله وصفة ضبطه هي:

(١) جواز التحمُّل قبل وجود الأهلية مثل من تحمَّل الإسلام قبل الإسلام وروى بعدَه. والسؤال هو: كيف لا يشترط لتحمُّل الحديث أهلية الرواية؟

[١١٦] الجامع ص٢٥٤–٢٦٠.

[١١٧] وذلك مثل حديث «إذا نُكِحت المرأة بغير إذن وليِّها فنكاحها باطل.» السابق ص٥٦.

[١١٨] ابن الصلاح ص٤٩–٦٠، الجعبري ص٩٩–١٠٣، العسقلاني ص١٣٦-١٣٧.

[١١٩] الكفاية ص١٤٥–١٤٨، الجامع ص٤٩-٥٠.

[١٢٠] الجامع ص٤٠–٤٤.

[١٢١] السابق ص١٥٥–١٦٠.

[١٢٢] السابق ص٢٨٧-٢٨٨.

[١٢٣] السابق ص٢٩٣-٢٩٤.

[١٢٤] الباعث الحثيث ص١٣٩–١٥٠، ابن النفيس: المختصر ص١٥٥–١٥٨، من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص، ص١٥٨–١٦٧، سماع من كان ينسخ وقت القراءة، الكفاية ص٦٤-٦٥.

(٢) كتابة الحديث في سن العشرين؛ سن العقل.

(٣) سماع الحديث في سنِّ الصبا. ولا يتحدَّد بعمرٍ بل بالعقل والضبط. ويتراوح بين الخمس والخمس عشرة.[١٢٥]

ويُضاف على التعرف أسماء رواة الكتاب المُصنَّف إلى أن يصلوا إلى المُصنِّف فيتَّبِعوا لفظه من غير تغييرٍ مُمكن. إذا رَوَوا كتابًا عن شيخٍ نسبوه في أول حديث، ثم أدرجوا عليه اسمًا دون تكرار ذلك في كل حديثٍ للتسهيل. ويجوز لأهل الحديث النسخ بإسنادٍ واحد. وإذا روي الحديث بإسنادَين فلا يجوز للناقل رواية الحديث بإسنادٍ واحدٍ دون الآخر. وكذلك إذا روي عن شخصَين. ولا يجوز التصريح بالسماع وهو ما لم يحدُث. وإذا كان في السماع بعض الوهَن فيجب إظهاره دون إخفائه. والسماع المباشر أفضل من السماع غير المباشر. ولا يجوز اختصار الحديث؛ فقد يكون للمحذوف صِلة بالمُختصر. وتقديم متن الحديث على إسناده خطوة للانتقال من نقد السند إلى نقد المتن.

ويُختار السماع من الأبناء. ويُكرَه النقل والرواية عن الضعفاء.[١٢٦] ويكره بعض العلماء التحديث عن الأحياء. وقد يُروى عن رجلٍ حديثٌ ويُنكِره المَروي عنه.[١٢٧] وتُستَحبُّ رواية المشاهير والعزوف عن الغرائب والمناكير. ويترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ ورواية المناكير والغرائب من الأحاديث. ويُترَك الاحتجاج بمن كثُر غلطه وكان الوهم غالبًا على روايته. ولا يضرُّ الرجوع عن حديث وقع الغلط فيه كان الغالب على رواياته الصحة. وتَحرُم رواية الأخبار الكاذبة، وتُوجِب إسقاط الأحاديث الباطلة. وتختار أجود الأحاديث التي لا يدخل عليها التعليل في أسانيدها. ولا متونها.[١٢٨]

[١٢٥] ابن الصلاح ص٦٠–٦٢، الذهبي ص٦١–٦٤، في كيفية السماع والتحمُّل وضبط الرواية وآدابها، الاقتراح ص٣٢٠–٣٤٩، من سمع حديثًا فخفي عليه في وقت السماع صُرِف منه لإدغام المُحدِّث إياه، الكفاية ص٦٦–٧٦.

[١٢٦] الكفاية ص١٢٢-١٢٣.

[١٢٧] السابق ص١٢٧–١٣٦.

[١٢٨] الجامع ص٢٩٤–٢٩٧.

(٢) السماع

والقراءة على المُحدِّث أقل منزلةً من السماع منه. وتجوز الرواية عمن يختار السماع من لفظ المُحدِّث على القراءة عليه.[١٢٩] وقد لا تجوز الرواية عمَّن يختار القراءة على المُحدِّث على السماع من لفظه. وقد تُشير الرواية إلى أن المُحدث قد سمع لفظًا. وقد يُقرُّ المُحدِّث بما قرئ عليه أو يسكُت أو يُنكره.

والالتزام بألفاظ الرواية ودرجات السماع ضروري لصحة الحديث. فمَن سمع حديثًا لا يقول في روايته «حدَّثنا»، ومن سمِع من جماعة لا يجوز أن يقول «حدَّثني».[١٣٠] ولا تجوز رواية من لم يقُل سمعتُ ولا حدَّثنا ولا أجزنا. فمِن الرواية يجب البيان عن السماع كيف كان. وإذا قال «حدَّثنا» أو «حدَّثني» أو «بلغَني» يصحُّ الاحتجاج بحديثه.[١٣١] وقد يقول المُحدِّث «أجزنا» ويرى أن ذلك كفاية. وقد لا يُفرِّق أحد بين «حدَّثنا» و«سمِعتُ» و«أخبرَنا» وقد يقول الراوي «حُدِّثتُ عن فلان» و«حدَّثنا شيخ لنا».[١٣٢] ومن قرأ على المُحدِّث إسناد حديثٍ وبعض متنِه يجوز له روايته. والعبارة عن الرواية عمَّا سمِع من المُحدِّث قراءة عليه. ويُمتحن الراوي بالسؤال عن وقت سماعه، وعن صِفة من رَوى عنه، والموضع الذي سمع فيه. وقد يظهر الكذب بحكايةٍ عن الشيخ خِلاف المحفوظ عنه.[١٣٣]

رابعًا: آدب الشيخ والسامع

وكما يُوجَد فصل في علوم التصوف عن «آداب الشيخ والمريد» كذلك يُوجَد قسم في علوم الحديث في «آداب الشيخ والسامع». وهو ليس نوعًا بل تحديدًا لمنطق الإلقاء والسماع في النقل الشفاهي. والقضية هي العمر، خمسون سنة أو أربعون أو ثلاثون للشيخ ممَّا يصطدم بصغار الصحابة. فماذا عن السامع من الأحداث وهم قادرون على حفظ القرآن كما يُشاهَد هذه الأيام في الطفل المعجزة. وهو ما يُسمَّى كيفية تحمُّل الحديث

[١٢٩] الكفاية ص٢٣١–٢٥٧.

[١٣٠] السابق ص٢٥٧–٢٧١.

[١٣١] السابق ص٣٢٤–٣٢٧.

[١٣٢] السابق ص٣٥٦-٣٥٧.

[١٣٣] الجامع ص٤٤–٤٧.

وروايته. وتكون في أحسن الأحوال عندما يتبدى كمال العقل في حوالي العشرين نظرًا لقصر العمر، والحرص على تقليل مراتب الإسناد. ويحتاج إلى كفاية أسماء الحاضرين في مجلس الرواية لتذكُّر الحديث. خمس سنوات فما فوقها تسمح باستعمال لفظ «سمع» ودون ذلك يُستعمل لفظ «حضر».[١٣٤]

وآداب طالب الحديث ليست نوعًا بل هي الشروط الأخلاقية للرواية. ومنها إخلاص النية، واستبعاد كل أعراض الدنيا. وقد يصل الأمر إلى جعل رواة الحديث هم حُماة الأمة عن وقوع البلاء عليها كما يدَّعي بعض الصوفية. ومنها العمل بما جاء في الحديث وليس فقط روايته. ومنها عدم الإطالة في السماع حتى لا تضجر النفس. ومنها عدم ترفُّع الراوي على من هو دونه. ومن شروط الرواية السعة والرحابة والدفء في الشتاء، وريحي في الصيف غير مُترب حتى لا تُعاق جودة الفهم والحفظ. وأفضل الأوقات الشتاء في أواسط النهار، والصيف في طرفيه لاعتدال الوقت. ومن الضروري إخلاء المجلس من جميع شواغل الذهن والأصوات ممَّا يعوق سماع القارئ. وأن تكون جلسته مُريحة. متمكنة حتى يُحسِن تأمُّل المعنى واستعادة اللفظ.[١٣٥] ولمَّا كان عِلم الحديث شريفًا فإنه يتطلَّب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيخ. وهو ليس من علوم الآخرة بل من علوم الدنيا مثل كل العلوم. فالآخرة لا تحتاج إلى علوم بل إلى أفعالٍ واستحقاق.[١٣٦]

(١) آداب الشيخ

فمن آداب الشيخ إخلاص النية، وتطهير القلب، والحذَر من حُب الرياسة، والامتناع عن الحديث إذا بلغ من العمر مَبلغه، وبدتْ عليه مظاهر الشيخوخة، وترْك من هو أولى منه بالحديث مُقدَّمًا عليه، وعقْد مجلسٍ لإملاء الحديث. وليكن للمُحدِّث مَوضع مُرتفع، ويفتتِح المجلس بقراءة القرآن. وقد تُذكَر ألقاب الرواة، ويُقدَّم الأعلى في الإسناد. وافتتاح الكلام بالبسملة والحمدلة عادة مَشرقية مع مُقابلة وإتقان ما أملاه. ويعني إخلاص النية صفاء الضمير ويقظته؛ فالأخلاق وسيلة للمعرفة ليس بالضرورة عن طريق العبادة المشيخية والصلاة على النبي، بل بقصد النفع للغير ونشْر العِلم. والحديث عن طهارة

---

[١٣٤] الباعث الحثيث ص١٥١–١٥٦، ابن النفيس المُختصر ص١٣٣-١٣٤، في آداب المُحدِّث وطالب الحديث وما يتعلَّق بهما، الكافي ص٦٣٣–٦٨١.

ووقار وهيبة وتمكُّن سلوك العلماء، مثل القبول على الناس بوجهٍ بشوش والتمهُّل في الرواية دون السرد. ويتصدَّى الراوي للرواية بناء على احتياج الناس لها وطلَب العِلم. ويَطلُب العِلمَ عند غيره إذا كان أعلمَ منه. ويُثني على الشيخ، ويُقدِّم من يستحق التقديم. ويُستحَبُّ التحديث لمن حلف ألا يُحدِّث.[١٣٧]

ويتحرَّى المُحدِث الصدق في مقاله. ويؤثر ذلك على اختلاف أمور أحواله. ويُحذِّر إذا روى الحديث خوفًا من وقوع الزلل والوهم فيه.[١٣٨] ويختار الرواية من أهل الكتاب لأنه أبعد عن الخطأ وأقرب للصواب.[١٣٩] ويُرَدُّ الحديث إلى الصواب إذا خالف مُوجب الإعراب؛ لذلك يُرغَب في تعلُّم النحو والعربية لأداء الحديث بالعبارة السوية. والصلاة على النبي كلما ذُكر والترحُّم على الصحابة عادة ناشئة عن التقديس الاجتماعي.[١٤٠]

وللراوي أخلاق وآداب، وما ينبغي استعماله مع أتباعه وأصحابه.[١٤١] إذ ينبغي للمُحدِّث أن يصون نفسه عن أخذ الأعواض على التحديث، وتنزيه نفسه عن قَبول أموال السلاطين، والتورُّع من أن يستقصي سامع الحديث منه حاجة، والاعتزاز بالنفس، والترفُّع عن مُضيه إلى منزل من يُريد السماع منه. وليس كما هو حاصل الآن عند من يُعطي الدروس الخصوصية في منازل الطلاب «الأستاذ التاكسي».

ويُذَم طلب الرئاسة قبل وقتها والمُثابرة عليها وهو غير مُستحقها. ويُكرَه التحديث لمن لا يبتغيه؛ فمن أسباب ضياعه بذلُه لغير أهله.[١٤٢] ويُكرَه التحديث لمن يعرض له الكسل والفتور أو مَن كان يُحدِّث أهل البدع. ويُترك أيضًا لمن عارض الرواية بالتكذيب أو من حدَّث أصحاب الرأي أو السلاطين، أو التحديث على سبيل المباهاة أو من لا نية

---

[١٣٥] السابق ص١٥٧–١٥٨، باب القراءة على المُحدِّث وآدابها، الجامع ص١٤٢–١٤٥، صفات الشيخ المختار السماع من أرجح شيوخ بلده، والرحلة في طلب الحديث وعدم التساهل في السماع والتحمُّل، والعمل بالحديث، آداب المُحدِّث وطالب الحديث، قواعد التحديث ص٢٤١–٢٤٦.

[١٣٦] ابن الصلاح ص١١٨–١٢٤، الذهبي ص٦٥–٦٧، الكافي ص٦٣٣–٦٤٩، الاقتراح ص٣٥٠–٣٧١.

[١٣٧] الجامع ص٢٦٠–٢٦٢.

[١٣٨] السابق ص٢٣٣–٢٣٨.

[١٣٩] السابق ص٢٤٢–٢٤٨.

[١٤٠] السابق ص٢٩٧–٣٠٠.

[١٤١] السابق ص١٦٤–١٦٦، ١٩٢–٢٠١.

[١٤٢] السابق ص١٦٧–١٨٢.

صحيحة له في التحديث، والامتناع عن بذل الحديث لأهله. ويُكرَه إملال السامع، وافتخاره بطُول إملاء المُحدِّث وإكثاره.[١٤٣]

ويُوقِّر المُحدِّث طلبة العلم، ويأخذ نفسه بحُسن الاحتمال لهم والحلم معهم.[١٤٤] ومن آدابه إكرام المشايخ وأهل المعرفة، وتعظيم الأشراف ذوي الأنساب ومَن كان رأسًا في طائفته وكبيرًا عند أهل نحلته، وإكرام الغرباء من الطلبة وتقريبهم، واستقباله لهم بالترحاب، وتواضعه لهم، وتحسين خُلقه معهم، والرفق بمن جفا طبعه منهم.

ويُصلِح المُحدِّث هيئته ويأخذ لرواية الحديث زينته، ويبتدئ بالسواك وقص الأظافر والشارب، ويمشط الشعر، وغسل الثواب، وغسل اليدين بعد الطعام الدسم، وتجنُّب الأطعمة ذات الرائحة الكريهة، وصبغ شعره ليس بالسواد ليُخالف أهل الكتاب، وهي ليست عادة شائعة عند الرجال اليوم، ويلبس ما هو مُستحب، ويُشمِّر القميص، ويلبس القلنسوة والعمامة والطيلسان والخاتم، ويسرح اللحية، ويتبخَّر ويتطيَّب، ويتجمَّل في المرآة، ويلبس النعلين.[١٤٥] وهي عادات مُتغيرة من مجتمع إلى مجتمع ومن عصر إلى عصر.

وللبدن لغته؛ الاقتصار في المشي، والابتداء بالسلام، والدخول على أهل المجلس، واستحباب الجلوس مُتربعًا مُتخشعًا، واستعمال لطيف الخطاب، والتحفُّظ في المنطق، وتجنُّب المزاح من أهل المجلس، ويجوز له الإنكار على من ترك بحضرته الوقار، واستحباب النكير بالرفق دون الإغلاظ والخرق. ويُكرَه التحدُّث على غير طهارة، ويعدل مجلسه مع أصحابه، ويُقبِل على جماعتهم بوجهه. ويخشع في حالة الرواية، ومن الأفضل خفض الصوت، والجلوس على المنبر. ويكره سرد الحديث، ويستحبُّ التمهُّل. ويكره تكرار الحديث وإعادته.[١٤٦]

---

[١٤٣] السابق ص٣١٤–٣١٦.

[١٤٤] السابق ص١٨٣–١٩١.

[١٤٥] الجامع ص٢٠٢–٢١٦.

[١٤٦] السابق ص٢١٦–٢٣٢.

(٢) آداب السامع

ولسماع الحديث وقراءته آداب. فالقارئ هو العدل الثقة المأمون الفصيح الصِّنِّيف، يسهل قراءته دون عجلةٍ أو إطالة بقصره في الزمان خشية الضجر.[١٤٧] أما السامع فهو المُنصت الذي لا ينشغل عن السماع بحديثٍ أو نسخ، وقد يحتاج إلى التبليغ إذا اتَّسع المكان. وتكون الرواية عن الشيخ صحيحة. ويجوز السماع من المحجوب إذا عُرِف بصوته أو بقرائن أخرى. ويجوز السماع من النساء مثل زوجات النبي.[١٤٨]

ومن الأدب مع الشيخ تعظيمه، وتوخِّي رضاه، والتوصُّل إلى الاستفادة منه، ومراجعته، والصبر على خلقه، وعدم إدخال الضجر عليه، والبداية بمشايخ البلد ثم الأقرب فالأقرب في الرحلة، وعدَم منع الحياء من التردُّد عليه والكِبر على من دُونه، وعدَم كتم العِلم، والحذَر من الحياء، والصبر على جفاء الشيخ، والتقميش والتفتيش، والانتخاب، والمعرفة والفهم مع الكتابة والحفظ، والكتب التي يقدم العناية بها، والتدرُّج في الطلب، والإتقان والمذاكرة، والتخريج والاشتغال بالتصنيف على طريقة العلماء ومعرفة أحسن التصانيف وآداب التأليف.

ويكمل الحديث بعد الرواية بالدراية، والعِلم بالمتن والسند، وحفظ الحديث بالتدريج، والإكثار من المذاكرة، وتبليغه بأحسن الطرق، والإملاء في أكمل هيئة، مُقبلًا باشًّا مفيدًا، والافتتاح بالقرآن، والتصنيف إما على أبواب الفقه أو مسانيد الصحابة، وتحسين العربية، ومن أدب القارئ حُسن الهيئة ومواجهة الشيخ وسطًا، ومراقبة فوائده، وإسماع الحاضرين، وترتيله، والأمانة في النقل، والاستعانة ببعض حُفَّاظ الوقت. واختتام مجالس الإملاء بالحكايات والنوادر والإنشادات بأسانيدها في الزهد والآداب. والأحاديث المختارة في مجالس الإملاء لا تصدم عقول الحاضرين بل تتَّجِه إلى فضائل الأعمال.

وهناك آداب لسؤال المحدِّث وكيفية للسؤال، وتعيين الحديث المسئول عنه. ويكره إملال الشيوخ، ومن أضجره أصحاب الحديث أطلق لسانه بذمِّهم. وللسماع صورة شرعية تبدأ بالبسملة. ويُرفَق بالمُحدِّث ويُحتمَل عند الغضب.[١٤٩] وقد لا يجوز الإكثار من الشيوخ

---

[١٤٧] ابن النفيس: المُختصر ص١٧١–١٧٢، الجعبري ص٩٧، العسقلاني ص٢٠٤، الكافي س٦٥٠–٦٥٥.

[١٤٨] وذلك لقول الرسول «فكلوا واشربوا حتى يُنادي ابن أم مكتوم.» السابق ص١٧٢.

[١٤٩] الجامع ص٩١–١٠٩.

حتى لا يتشتَّت السامع.[١٥٠] ويَجِدُّ ويجتهد. ويبدأ بسماع شيوخ أهل مصر قبل الانتقال إلى باقي الأمصار.

ومن آداب طالب الحديث الإخلاص والحذَر من استعمال الحديث لنيل بعض الأغراض الدنيوية، والرحيل المُستمر لإكمال البلاغ، والبداية بالصلاة والتسبيح، والاستماع إلى الكتاب أو إلى جزءٍ منه دون الانتقاء، وتقديم العناية بالصحيحَين ثم بالسُّنن (أبو داود، النسائي، الترمذي)، تعليل الأحاديث وطرُق نقلها، واختلاف الرواة فيها، والحذر من الإكثار.[١٥١]

وللكاتب أيضًا آداب مثل حُسن النية، والتطهُّر، وقصد النفع لمن بعده، وعدم نسخ كتاب إلا بإذن صاحبه، والاجتهاد في حفظه، والتحذير من تغييره، وردِّه في حالة طلبه.[١٥٢] ولا يتساهل في التحمُّل والسماع. ويفيد الطلبة بعضهم بعضًا. ويتنافسون فيما بينهم ولا يجوز كتمان العِلم ضنًّا بالاستفادة. وتُحبَّب المناصحة فيما بينهم.[١٥٣] ولا يمنعه الحياء والكبر عن الاستفادة. ويكتب ما يستفيد. ويسمع الأجزاء والكتب على التمام مع تقديم العناية بالكتب الستة. وتيقن ما أشكل عليه. ويعتني بما يؤدي إلى صحيح الحديث. ولا ينشغل بالتَّتمَّات فيُضيع المُهمَّات.[١٥٤] ويجب تقديم حفظ القرآن على حفظ الحديث. ويَحفظ الحديث ويحث عليه وتنفذ البصيرة فيه، ويُنعِم النظر في أصنافه وضروبه. ولا يصف أحد نفسه بالحفظ بل هو وصف الآخرين له. والمعرفة بالحديث ليست تلقينًا بل عِلم يحدُث في القلب. ويُستعان على ذلك بعدة أسباب منها الدعاء، والأطعمة التي تساعد على الحفظ، ومُطالعة الحديث بالليل، وإدامة درسه، وتكرار المحفوظ بالقلب، والمذاكرة مع الناس والأتباع والأصحاب والشيوخ وذوي الأسنان، ودوام المذاكرة، واتقاء الفتور.[١٥٥]

وعلى طالب الحديث الاحتراف للعيال واكتساب الحلال.[١٥٦] فلا خير ممَّن أكل من عمل يده. فالتحديث ليس حرفة بل رسالة. ولا يجوز أخذ أجرٍ على الحديث وإلا ما قُبلت

---

[١٥٠] السابق ص٣٧٦-٣٧٧.

[١٥١] ابن الصلاح ص١٢٤–١٢٩.

[١٥٢] الجعبري ص٩٩، الجامع ص٥١–٥٤.

[١٥٣] الجامع ص٣٢٣–٣٣١.

[١٥٤] الاقتراح ص٣٧٤–٣٧٧.

[١٥٥] الجامع ص٢٧–٣١، ٣٩٤–٤١٤.

[١٥٦] الجامع ص٢١–٢٦، الكفاية ص١٤١–١٤٤، الكافي ص٣٤٣–٣٦٧.

روايته. عليه إيثار العزوبة وترك الزواج، وعليه البكور في مجالس الحديث. ويمشي الطالب على تؤدة بغير عجل. ويُشمِّر ثيابه وبذاته في الهيئة، واستعماله السَّمت وحُسن الهدي.[١٥٧]

ومن الآداب الاستئذان على المُحدِّث، والوقوف على بابه أولًا، وتعريف الطالب بنفسه، وإفشاء السلام بقدرٍ مُستحبٍّ من رفع الصوت. وقد يكون الاستئذان بالفارسية. وإذا أُمِر الطالب بالانتظار فالقعود بجوار الباب. وينصرف الطالب بعد الاستئذان ثلاث مرات. فإذا دخل فللدخول آداب منها تقديم الأكابر. ويُكرَه تسليم الخاصة. ويُستحبُّ المشي على البساط حافيًا، ويُكرَه إقامة رجل والجلوس مكانه أو وسط الحلقة وفي صدرها أو بين اثنين بغير إذنهما. ويُكره القعود في مَوضع مَن قام وهو يريد العودة. ويُستحبُّ السلام على أهل المجلس إذا أراد الانصراف قبلهم.[١٥٨]

ويُعظَّم المُحدِّث ويُبجَّل. وأن يكون للطالب هيبة أمام المُحدِّث. ويجوز له القيام للمُحدِّث أو الأخذ بركابه أو تقبيل يده ورأسه ويمينه، والاعتراف بحقه، وتوقير مجلسه.[١٥٩] ويُعظِّم الشيخ ولا يُثقِل عليه.

ونظرًا لأهمية الموضوع فقد تم التأليف فيه كموضوعٍ مُستقل مثل:

(أ) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)[١٦٠]

كتاب في موضوع جزئي هو شروط الراوي. وللمؤلف أيضًا «الكفاية في علم الرواية». وهي روايات أحاديث في الموضوع دون دراسة نظرية أو وضع قواعد أو أصول كما هو الحال في عِلم الحديث. والأسانيد العالية ليست منهجًا بل أحاديث، تطبيقات وليست قواعد. لذلك كثرت الأحاديث، وتكرَّرت صياغاتها. كلها شواهد نقلية دون أي تنظير عقلي. تختصر حدَّثنا بحرفَي «نا» وتنقل أقوال الأنبياء السابقين مثل المسيح وموسى وأقوال

---

[١٥٧] الجامع ص٥٤–٦٠.

[١٥٨] السابق ص٦١–٧٥.

[١٥٩] السابق ص٧٦–٨٤.

[١٦٠] الإمام الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. وله طبعة أخرى تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (جزءان).

العلماء الأقدمين.[١٦١] ومنها الأحاديث الطوال.[١٦٢] وتُظهر ما يمكن تسميته الأحاديث القدسية التي يتكلم فيها الله أو جبريل.[١٦٣] ومنها بعض الأحاديث الموضوعة التي تَغلبُ عليها الخرافة.[١٦٤] وإليها تُضاف بعض الأحاديث الغريبة التي لا تتفق مع العقل. ويبدو التوجُّه السياسي في بعض الأحاديث ضدَّ فرق المعارضة السياسية كالخوارج والمعتزلة والشيعة.[١٦٥] ويُشار إلى الإسرائيليات أي الأحاديث الشائعة لدى بني إسرائيل.[١٦٦] ويُعتمَد على الشعر لتصديق الحديث. فكلاهما صياغات بلاغية للثقافة العربية.[١٦٧] والغاية من التأليف ضبط العِلم وتخليصه ممَّن ينتسبون إليه وهم أبعد الناس عنه.[١٦٨]

ويضم عشرة أجزاء متساوية في الكم باستثناء صغر العاشر.[١٦٩] ولا تُوجَد عناوين لها كلها إلا في سبعة فقط قبل عناوين الأبواب. وبعض العناوين ليست في الفهرس. ورءوس الموضوعات هي الأهم. لذلك يتحوَّل الحديث إلى موضوع دون تنظير؛ فالغاية جمع الأحاديث في موضوعٍ وليست دراسة الموضوع.

وهو كما يدلُّ العنوان في أخلاق العِلم والعلماء. فالعلم، أيُّ علم، أخلاق وسلوك كما وُصِف الرسول ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ويصِل الأمر إلى حدِّ عبادة الكتاب شفاهًا وتدوينًا. فالتعلُّم عبادة.[١٧٠] ويكشف عن أحوال العِلم في عصر المؤلِّف. يعتمد على المنقولات، وتغيب منه أي مقدمةٍ نظرية. ينقسم إلى عشرة كتب بلا علامة مُميزة لكل كتاب. كما ينقسم إلى ثلاثةٍ وثلاثين بابًا طبقًا لموضوع العِلم مثل النية في طلَب العلم، وأخلاق الراوي والسامع، والأسانيد العالية، وتخيُّر الشيوخ، وآداب الطالب، وآداب الاستئذان على المُحدِّث

---

[١٦١] قال المسيح، السابق ص١٧، ١٩.

[١٦٢] السابق ص١٩–٢٠، ٤٠١–٤٠٣.

[١٦٣] السابق ص٢٢٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٢٦–٣٨٠، ٤٢٤.

[١٦٤] السابق ص٣٣٩، ٤٠١-٤٠٢.

[١٦٥] السابق ص٣٤١.

[١٦٦] السابق ص٣٠٧.

[١٦٧] الأشعار (٥١).

[١٦٨] «وقد رأيتُ خلقًا من أهل هذا الزمان ينتسبون إلى الحديث، ويعدُّون أنفسهم من أهله المُتخصِّصين بسماعه ونقله، وهم أبعدُ الناس ممَّا يدَّعون، وأقلُّهم معرفة بما إليه ينتسبون. يرى الواحد منهم إذا كتب عددًا قليلًا من الأجزاء، واشتغل بالسماع برهةً يسيرة من الدهر أنه صاحب حديث على الإطلاق، ولَمَّا يُجهِد نفسه ويُتعِبها في طلابه، ولا لحقته مَشقَّة الحفظ لصنوفه وأبوابه.» السابق ص٦.

والدخول عليه وتعظيمه وسؤاله، وأدب السماع وكيفية الحفظ منه. ثم تأتي آداب العِلم المُدوَّن، وإرجاع كتب السماع، وتدوين الحديث، وتحسين الخط، والمُعارضة بالكتاب. ثم تعود أخلاق الرواية في القراءة على المُحدِّث وأخلاق الراوي، وكراهية التحديث لمن لا يبتغيه، وتوقير المُحدِّث طلبة العلم، وصون النفس عن أخذ الأعواض، وإصلاح هيئته، وتحرِّي المُحدث الصدق، وحُكم من روى حديثًا فخُولِف فيه، وإملاء الحديث وسلوك المُستملي، والثناء على المروي عنه، والمناصحة بين الطلاب، وأنواع كتب الحديث، والرحلة في طلبه، وحفظه وجمعه وتصنيفه، والتوقُّف عن الحديث عند كبار السن. ويعتمد على عديدٍ من الآيات والأحاديث المرفوعة والأحاديث الموقوفة. والآن تُعَدُّ آليات التدوين القديمة أو النقل الشفاهي قائمة بعد السجلات الإلكترونية الحديثة وشبكات المعلومات.

(ب) «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)[١٧١]

وهو أيضًا مُصنَّف في شروط الراوي مثل «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للمؤلف نفسه. ليس في نقد الحديث بل في تطبيق قواعد الرواية عليه. لذلك تكثر الأحاديث، وتتعدَّد رواياتها، وكأن الكتاب في الفقه وليس علم الحديث.[١٧٢] وتبزغ بدايات الأحاديث القدسية التي يُنسب القول فيها إلى الله على لسان الرسول.[١٧٣] كما تظهر بعدُ الأحاديث الخيالية التي يظهر فيها الرسول في المنام.[١٧٤] وتروى أحاديث أخرى تعكس المناقشات الكلامية حول الفَرْق بين النبي والرسول.[١٧٥] كما تنعكس الخلافات السياسية في بعض الروايات حول إدانة فرق المُعارضة كالمعتزلة والقدرية. والخوارج والشيعة.[١٧٦] كما يتمُّ الاعتماد

---

[١٦٩] الأول (٤٩)، الثاني (٥٥)، الثالث (٣٨)، الرابع (٤٦)، الخامس (٤٨)، السادس (٤٤)، السابع (٤٢)، الثامن (٤١)، التاسع (٤١)، العاشر (٢٦).

[١٧٠] الآيات (٥١)، الأحاديث المرفوعة (٤٠٩)، الأحاديث الموقوفة (١٢٠).

[١٧١] الإمام الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، علَّق عليه ووضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[١٧٢] السابق ص١٤، ٢٤–٢٥.

[١٧٣] السابق ص٤٧.

[١٧٤] السابق ص١٧٥.

[١٧٥] السابق ص١٨٣.

[١٧٦] السابق ص٣٤.

على الشعر لضبط الروايات وصياغاتها المتعدِّدة.[177] وسبب التأليف الحالة التي انحدر إليها عِلم الحديث، واشتغال البعض به وهو ليس من أهله. فالعِلم به أشرار وأخيار. وقد حذَّر الرسول من الكذب عليه أو سماع حديثه دون العِلم به. وقد أصبحت مشكلة صحَّة الحديث مثل مشكلة جمع القرآن وقراءته.[178] وينقسم إلى ثلاثة عشر جزءًا مُتساوية كمًّا تقريبًا.[179] كل جزء من عدة أبواب. ومجموعها مائة وتسعة وثلاثون بابًا. وعناوين الأجزاء ليست مستقلة من عناوين الأبواب ممَّا يدل على عدم إحكام بنية الموضوع.

خامسًا: طبقات الرواة

والسلف طبقات في عِلم الجرح والتعديل. والطبقة لغويًّا الاستواء على طبقة. وتفيد الترجيح. وقد يُوجَد راوٍ في طبقتَين باعتبارَين مختلفَين. ويكون بالزمان.[180]

---

[177] السابق ص٣٨، ٧٦، ٨٨، ١٢٣، ١٢٦، ١٤٩–١٥٠، ١٦٧، ٢٢٣، ٢٥٥، ٢٦٥، ٣٠٣–٣٠٥.

[178] «يحملون عمَّن لا تثبُت عدالته ويأخذون ممَّن لا تجوز أمانته، ويروون عمن لا يعرفون صحة حديثه، ولا يتيقَّن ثبوت مسموعه، ويحتجُّون بمن لا يُحسن قراءة صحيفته، ولا يقوم بشيء من شرائط الرواية، ولا يُفرِّق بين السماع والإجازة، ولا يُميز بين المُسنَد والمُرسَل، والمقطوع والمتصل، ولا يحفظ اسم شيخه الذي حدَّثه حتى يُثبته من غيره، ويكتبون عن الفاسق في فِعله، المذموم في مذهبه، وعن المُبتدِع في دينه، المقطوع على فساد اعتقاده، ويَرَون ذلك جائزًا، والعمل بروايته واجبًا، إذا كان السماع ثابتًا، والإسناد مُتقدِّمًا عاليًا. فجرَّ هذا الفعل منهم الوقيعة في سلف العلماء، وسهَّل طريق الطعن عليهم لأهل البدع والأهواء، حتى ذمَّ الحديث وأهله بعض ما ارتسم بالفتوى في الدين، ورأى عند إعجابه بنفسه أنه أحد الأئمة المُجتهدين، بصدوفه عن الآثار إلى الرأي المرذول، وتحكُّمه في الدين برأيه المعلول، وذلك منه غاية الجهل ونهاية التقصير عن مرتبة الفضل. يَنتسِب إلى قوم تهيَّبوا كدَّ الطلَب، ومُعاناة ما فيه من المشقَّة والنصَب، وأعيَتهُم الأحاديث أن يحفظوها، واختلفت عليهم الأسانيد فلم يضبطوها. فجانبوا ما استثقلوا، وعادَوا ما جهلوا، وآثروا الدَّعَة، واستلذُّوا الراحة، ثُمَّ تصدَّروا في المجالس قبل الحين الذي يستحقُّونه. وأخذوا أنفسهم بالطعن على العِلم الذي لا يُحسنونه. إن تعاطى أحدُهم رواية حديثٍ فمن صُحفٍ ابتاعها. كفى مئونة جمعي من غير سماعٍ لها، ولا معرفة بحال ناقلها. وإن حفظ شيئًا منها خلط الغثَّ بالسمين، والحق الصحيح بالسقيم، وإن قُلِب عليه إسناد خبر أو سُئل عن علة تتعلق بأثر تحيَّر واختلط وعبَث بلحيته وامتخط، توريةً عن مستور جهالته. فهو كالحمار في طاحونته. ثم رأى ممَّن يحفظ الحديث ويُعانيه ما ليس في وسعه الجريان فيه؛ فلجأ إلى الازدراء بفرسانه، واعتصم بالطعن على الراكضين في ميدانه.» السابق ص١٠–١١.

(١) الصحابة التابعون

والرواة هم الصحابة والتابعون، وبالتالي يتحوَّل علم الحديث إلى تاريخ وأسماء أعلام. الصحابي هو من رأى الرسول حتى وإن لم تطُل صحبته ولم يروِ عنه شيئًا.[١٨١] وهو تعريف زماني تاريخي صِرف في مقابل الصحابي الذي صحِب وسأل وروى وتفاعَل؛ أي الصحابة في الزمان وليس في المكان وفي الهمِّ المشترك وليس في التجاور بالكتِف أو بالجنب. وكلهم عدول. وما شجر بينهم بعدَ وفاة النبي تمَّ بحُسن نية واجتهاد، يخطئ ويُصيب، معذور ومأجور. وقد أخرج المعتزلة من الصحابة من قاتل عليًّا حبًّا فيه. ومنهم من حاول الصُّلح بينهم[١٨٢] وهناك معلومات عن الصحابة تخرُج عن الرواية إذ تُعرِّف الصُّحبة بالتواتر وبالأخبار المُستفيضة وبشهادة الصحابة وبالرواية.[١٨٣] وبالرغم من الاختلاف حول تعريف الصحابي إلا أنه معروف تاريخيًّا. ولهم خاصية لا يُسأل عنها، وهي عدالتهم. وأكثرهم حديثًا عن الرسول أبو هريرة. وأفضلهم أبو بكر ثم عمر، ثم الاختلاف في تقديم عثمان أم علي طبقًا للأهواء السياسية. وقد اختُلف في أولهم إسلامًا وآخِرهم موتًا.[١٨٤] ومع ذلك يُعرف الصحابي ومرتبته العلية. وعدالتهم، وأكثر الصحابة

---

[١٧٩] (١) (٢٦)، (٢) (٢٨)، (٣) (٣٢)، (٤) (٢٩)، (٥) (٣٠)، (٦) (٣٠)، (٧) (٢٩)، (٨) (٣٣)، (٩) (٣٠)، (١٠) (٢٧)، (١١) (٢٧)، (١٢) (٢٧)، (١٣) (٢٣).

[١٨٠] الجعبري ص١٤٢.

[١٨١] ابن كثير ص١٧٩–١٩١، الجعبري ص١٤٢–١٤٧، معنى الطبقة، التهانوي ص٤٧.

[١٨٢] بناء على حديث الرسول عن ابن ابنته الحسن بن علي وكان معه على المنبر «إنَّ ابني هذا سيد وسيُصلح الله به بين فئتين عظيمتَين من المُسلمين.» السابق ص١٨٢.

[١٨٣] «ما دعوت أحدًا إلى الإيمان إلا كانت له كبوةٌ إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم.» السابق ص٨٣، والعبادلة أربعة: عبد الله بن الزبير، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمر بن العاص. وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الولدان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الأرقَّاء بلال، ومن النساء خديجة، وآخِر الصحابة موتًا أنس بن مالك. وأفضلهم بعد النبي أبو بكر. ثم عمر ثم عثمان ثم علي. والبعض يُقدِّم عليًّا على عثمان؛ ثم العشرة المبشرون بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. والسابقون الأولون من صلى إلى القبلتين. بعد ذلك وربما من رآه ستُّون ألفًا. ومن شهد معه حجة الوداع أربعون ألفًا، وصاحبه بتبوك سبعون ألفًا. وقُبض ومعه مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة، صفات الأولياء في السنة، ابن تيمية ص١٧٩–١٨٦. أول من دوَّن الحديث، قواعد التحديث ص٧٠–٧٢، أكثر الصحابة حديثًا وفتوى ص٧٢–٨٤، حدود التابعين في الحديث والفتيا ص٧٤-٧٥.

[١٨٤] ابن الصلاح ص١٤٥–١٥١.

حديثًا، والعبادلة منهم، وعددهم وطبقاتهم وأولهم إسلامًا وطبقاتهم وفضلهم وأفضلهم وآخِرهم ولطائفهم.[١٨٥] وتتفاضل الأسانيد بين الأئمة والجهابذة، بين أصح أسانيد الشيخين والمُكثرين من الصحابة، وأوهَن الأسانيد منهم من المَكيِّين واليمنيين والِمصريين والشاميين والخراسانيين.[١٨٦] وقد وعد الله ورسوله الصحابة.[١٨٧] قول الصحابة أمر رسول الله أو «أمرنا» و«نُهينا» و«كنَّا نقول أو نفعل» يكون شرعًا طبقًا لألفاظ الرواية.[١٨٨] ومعرفة الصحابة على مراتبهم ليس نوعًا من أنواع الحديث.[١٨٩] وتختلف طبقاتهم بين اثنتي عشرة وخمس عشرة طبقة.[١٩٠]

ثم يُخصَّص أولاد الصحابة كنوع من أنواع الحديث. فالصحابة أي معاصرة الرسول. وأولاد الصحابة هم التابعون الذين عاصروا الصحابة نسبًا أو دون نسب.[١٩١] وهو تقليد في تقريظ الأوائل وأنسابهم مثل أولاد آدم وأولاد سيد البشر وأولاد الحلال.[١٩٢] ومنها رواية الآباء عن الأبناء والأبناء عن الآباء.[١٩٣] كما تساعد معرفة الأبوة والبنوة على ذلك في رواية الأبناء ورواية الآباء عن الأبناء.[١٩٤]

---

[١٨٥] الكافي ص٦٨٥–٧١١، بيان معنى الصحابي، قواعد التحديث ص٢٠٨، التهانوي ص٤٨، معنى وصف الصحابي أنه صحابي والطريق إلى معرفة كونه صحابيًّا، الكفاية ص٤٩–٥١.

[١٨٦] الكافي ص٤٠٦–٤١٥.

[١٨٧] الكفاية ص٤٥–٤٨.

[١٨٨] السابق ص٣٦٠–٣٦٤.

[١٨٩] وهم اثنتا عشرة طبقة: أبو بكر وبلال (حر وعبد)، دار الندوة، المهاجرون إلى الحبشة، من بايع النبي عند العقبة، أصحاب العقبة الثانية، أوائل المهاجرين، أهل بدر، المهاجرون بين بدر والحديبية، أهل بيعة الرضوان، المهاجرون بين الحديبية والفتح، المسلمون يوم الفتح، من رأى الرسول في حجة الوداع، النيسابوري ص٢٢–٢٥.

[١٩٠] ابن الصلاح ص١٥١–١٥٣، الأولى من حق العشرة المبشرين بالجنة، والثانية المُخضرمون من التابعين بين الجاهلية والإسلام، أكابر التابعين مثل الفقهاء السبعة ... إلخ، التهانوي ص٤٨.

[١٩١] النيسابوري ص٤٩–٥٠، العسقلاني ص١٤٨-١٤٩.

[١٩٢] وهناك أيضًا «أولاد الحرام» و«أولاد الكلب».

[١٩٣] الكافي ص٤٢٩–٤٥٨.

[١٩٤] ابن الصلاح ص١٥٦–١٥٩، العسقلاني ص١٦٠–١٦٢.

ومعرفة الإخوة والإخوان من الصحابة التابعين وأتباعهم ليس نوعًا من أنواع الحديث، بل قد يكشف عن القرابة كعاملٍ مؤثر في الرواية.[١٩٥] وقد تساعد معرفة الإخوة والأخوات من العلماء والرواة على معرفة مدى تأثير عامل القرابة في الرواية.[١٩٦] وتعرف أنساب المُحدِّثين من الصحابة لعل النسب يكون دافعًا على توجيه الرواية، حُسنها أو ضَعفها.[١٩٧] فهناك المنسوبون لغير آبائهم بل إلى جدَّته أو جدِّه أو إلى غير أبيه. وهناك أنساب مُخالفة لظاهرها.[١٩٨] وقد يشترك رجلان في الاسم والنسب وتجيء الرواية عن أحدٍ من غير بيان. أحدهما عدل والآخر فاسق.[١٩٩] وقد يحتج بخبر من عرفت عينه وعدالته، وجهل اسمه ونسبه.

والتابعون هم صحابة الصحابة. وهم خمس عشرة طبقة. إحصاؤهم تاريخي خالص.[٢٠٠] وقد يُروى عن راوٍ واحد، صحابي أو تابعي.[٢٠١] ومنهم المُخضرمون والفقهاء السبعة وأفضلهم وآخِرهم. إذا قال التابعي حدَّثني صحابي دون أن يُسمِّيه حجَّة قد يكون حجَّة لأنه مجهول غير مُعيَّن.[٢٠٢] بل يجب إيقافه.

وعدم التفرقة بين الصحابة والتابعين ليس نوعًا من أنواع الحديث بل هي طبقات المُحدِّثين.[٢٠٣] ومعرفة أتباع التابعين أيضًا ليست نوعًا من أنواع الحديث.[٢٠٤] وهو خط لا ينتهي. فهناك أتباع أتباع التابعين حتى هذا القرن. ويكون المقياس هو النبوَّة

---

[١٩٥] النيسابوري ص١٥٢–١٥٧، نموذج ذلك ذكر الإخوة من علماء نيسابور على غير ترتيبٍ وتقديم وتأخير. العسقلاني ص٢٠٤، الكافي ص٤٢١–٤٢٨.

[١٩٦] ابن الصلاح ص١٥٥-١٥٦، مثل أولاد سيرين، وكلهم تابعون.

[١٩٧] النيسابوري ص١٦٨–١٧٧.

[١٩٨] الجعبري ص١٩٣–١٩٦، تفاضُل الصحابة، قواعد التحديث ص٢٠٨.

[١٩٩] الكفاية ص٣٢٢-٣٢٣، ٣٢٥.

[٢٠٠] ابن كثير ص١٩١–١٩٤، الكافي ص٧١–٧٢٧.

[٢٠١] السابق ص٢٠٦–٢٠٨، الجعبري ص٢٦٠.

[٢٠٢] الكفاية ص٣٥٧–٣٦٠.

[٢٠٣] يُقسِّم النيسابوري طبقات التابعين إلى خمس عشرة طبقة؛ أَوَّلُهم من رأى العشرة المبشرين بالجنة، وآخِرهم من لقيَ أنس بن مالك من أهل البصرة. وما بينهما الفقهاء السبعة من أهل المدينة، ومنهم المُخضرمون من التابعين الذين أدركوا الجاهلية وحياة الرسول، ومنهم من لم يسمع أحدًا من الصحابة، النيسابوري ص٤١–٤٦.

[٢٠٤] النيسابوري ص٤٦–٤٨، الجعبري ص١٤٨٠–١٥٠، الكافي ص٧٢٩–٧٣٤.

والرسالة والزمان الأول. وهو الاتهام بالماضوية عند العلمانيين والتقدُّميين العصريين الحدثيين وما بعد الحدثيين. فالطبقات في الزمان والتاريخ. وما أسهل من تحويلها إلى طبقاتٍ اجتماعية في التفاضُل والتراتُب الاجتماعي.

وأحيانًا تكون جماعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. ليس لكل واحد منهم إلا راوٍ واحد.[٢٠٥] وتساعد معرفة الرواة التابعين ومَن بعدهم الذين لم يَحتج أحد بحديثهم في الصحيح ولم يسقطوا.[٢٠٦]

وقد يروي الأكابر من الأصاغر سنًّا.[٢٠٧] وهو ما يُوحي في المعنى التداولي بالمستوى الاجتماعي وفي تعبير «الأكابر»، «أولاد الأكابر».[٢٠٨] وقد يُروى عن الأقران سنًّا وسندًا وهو ما يُسمَّى المُدبج.[٢٠٩] وقد يُروى عن الإخوة والأخوات. فلا تعارُض بين القرابة والرواية.[٢١٠] وقد يَروي الآباء عن الأبناء والأقرب الأبناء عن الآباء.[٢١١] ويروي اللاحِق عن السابق.[٢١٢] وتساعد معرفة التاريخ والوفيات على ضبط نقل الرواة.[٢١٣] ومنها سن النبي والعشرة المبشرين بالجنة وتاريخ وفياتهم، وتاريخ وفيات أصحاب المذاهب الفقهية وأعيان العلماء وأصحاب الإصحاحات الخمسة وجماعة الحفاظ. والبعض يؤثر بالتحديث الشبَّان ويؤثرهم على المشايخ وذوي الإسناد.[٢١٤] وقد تكره الرواية ببلدٍ فيه مِن المُحدِّثين من هو أسبق أو أعلم منه. ويقطع التحديث عند كِبر السن مَخافة اختلال الحفظ ونُقصان الذهن.[٢١٥] ومعرفة أعمار المحدثين من ولادتهم إلى وفاتهم قد تساعد على الكشف عن التعاصُر والسماع

---

[٢٠٥] النيسابوري ص١٥٧–١٦١، ابن الصلاح ص١٥٩–١٦١.

[٢٠٦] النيسابوري ص٢٥٤–٢٥٦.

[٢٠٧] ابن كثير ص١٩٥-١٩٦، النيسابوري ص٤٨-٤٩، ابن الصلاح ص١٥٣-١٥٤، الجعبري ص١٥٠-١٥١، العسقلاني ص١٦٠.

[٢٠٨] ويروي عن الرسول «الكبر، الكبر»، «البركة مع أكابرهم». النيسابوري ص٤٨.

[٢٠٩] العسقلاني ص١٩٧.

[٢١٠] السابق ص١٩٨-١٩٩، الجعبري ص١٥٣–١٥٥.

[٢١١] السابق ص١٩٩–٢٠٤، الجعبري ص١٥٢-١٥٣.

[٢١٢] السابق ص٢٠٥، العسقلاني ص١٦٢.

[٢١٣] الكافي ص٨١٦–٨٤١، صحَّة سماع الصغير، الكفاية ص٥٣–٦٣.

[٢١٤] الجامع ص١٦٠–١٦٣، ١٦٦–١٧١.

[٢١٥] السابق ص٤٣٤-٤٣٥.

المباشر.[٢١٦] كما تساعد معرفة الأقران من التابعين وتابعي التابعين وعلماء المسلمين من بعدهم على معرفة التعاصُر بين الرواة، والقرينين من تقارُب سنِّهما وإسنادهما. وقد تحوَّل ذلك إلى نوع من المُدبَّج؛ وهو أن يروي قرين عن قرينه على التبادل.[٢١٧] وإذا اشترك راويان في رواية، أحدُهما مُتقدم والآخر متأخِّر وتبايَن وقت وفاتهما تبايُنًا شديدًا وحصل بينهما أمدٌ بعيد، انتفى التعاصر، وبالتالي ثبت الشك في صحة الرواية.[٢١٨]

(٢) الأسماء والكنى والألقاب

وقد يكون للراوي أسماء مُتعددة يُظنُّ أنهم أشخاص كثُر، وهم شخص واحد.[٢١٩] ويقع ذلك من المُدلسين. وقد يكون لراوٍ واحد أسماء مُفردة وكُنى، ومن هنا أتت ضرورة معرفة الأسماء والكُنى. ومنهم من اشتُهر بالاسم دون الكنية.[٢٢٠] ومنهم من لهم كُنًى دون أسماء أو لم تُعرَف أسماؤهم أو لهم كُنى وأسماء غير الكنية التي عُرفوا بها، أو مَن له كنيتان واسم، أو من عرفت كنيته واختُلف في اسمه، أو من اختُلف في كنيته واسمه معًا، أو من عُرف بكُنيته واسمه واشتُهر بهما. ومن المهم معرفة كُنى المعروفين بالأسماء دون الكنى.[٢٢١]

ومنهم من له ألقاب.[٢٢٢] ومنهم من له أسماء وأنساب تتَّفق وتختلف؛ تتفق وتفترق.[٢٢٣] منها اتفاق أسماء الأبناء والآباء، أو اتفاق أسماء الأبناء والآباء والأجداد أو أكثر. المُتفِق والمُفترِق إذا اتفقت أسماء الرواة وأسماء آبائهم واختلفت أشخاصهم. والمؤتلف والمُختلف إذا اتفقت الأسماء خطًّا واختلفت نطقًا. والمتشابه إن اتفقت الأسماء واختلفت الآباء بالعكس. وقد يقع الاتفاق في الاسم واسم الأب والاختلاف في النسبة.[٢٢٤]

ومنهم من يُنسَبون إلى غير آبائهم.[٢٢٥] ومن النسب من كان على خلاف الظاهر. منهم من نُسِب إلى أمِّه أو إلى جدته أو إلى رجلٍ غير أبيه. ومن أسماء الرجال والنساء المُبهمات.[٢٢٦]

---

[٢١٦] النيسابوري ص٢٠٢–٢١٠، الجعبري ص٢٠١–٢٠٣، العسقلاني ص١٨٥.

[٢١٧] النيسابوري ص٢١٥–٢٢٠.

[٢١٨] ابن الصلاح ص١٥٩.

[٢١٩] ابن كثير ص٢٠٨-٢٠٩، النيسابوري ص١٧٧–١٨٢، ابن الصلاح ص١٦١-١٦٢، الكافي ص٧٣٥–٧٤٢.

[٢٢٠] السابق ص٢١٠–٢١٩، ابن الصلاح ص١٦٤–١٦٨، العسقلاني ص١٩٩.

[٢٢١] ابن الصلاح ص١٦٨-١٦٩.

مثل ابن فلان أو فلانة أو العم والعمة. ومن الرواة متشابهون في الاسم والنسب مُتمايزون بالتقديم والتأخير في الابن والأب.[٢٢٧] ومن المهم معرفة وفيات الرواة ومواليدهم ومقدار أعمارهم لضبط التسلسُل.[٢٢٨] ومن المهم معرفة أوطانهم وبلدانهم لضبط التقابل والسماع الشفاهي المباشر.[٢٢٩] وكل ذلك من أجل معرفة الثقات والضعفاء من الرواة، ومَن اختلط في آخِر عمره، ومعرفة طبقاتهم، ومعرفة الموالي من الرواة والعلماء.[٢٣٠]

وقد يقع في الأسماء اختلاف واتفاق.[٢٣١] ويُسمَّى المختلِف والمؤتلِف مثل سلَّام وسلَام، والمُتَّفِق والمفترِق ممَّن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم، ومن اتفق في النسبية والكنية معًا أو العكس، ومن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم ونسبتهم، ومن اتفق في الاسم خاصة أو في الكنية خاصة، ومن اتفق في النسب خاصة.

ومن المهم أيضًا معرفة كُنى الصحابة والتابعين وأتباعهم.[٢٣٢] فالكُنى تدل على مدى القرابة والصداقة والأُلفة وصورة الراوية لدى بني قومه. وقد يخطئ راوٍ في نِسبة كُنية إلى اسم ليست له. وهناك أسماء مشهورة بالكُنى، ومنهم مُتوحِّد الكنية أو مُشفعها أو مُحقِّقها أو مشهورها أو مُتعدِّدها أو مُختلفها أو مُتفقها أو مشهورها.[٢٣٣] وهناك من الصحابة من له اسم وكنية ولقب، ومن له اسم بلا لقب ولا كُنية، أو له كنية ولكن عُرف بالاسم، ومن له كنية دون أسمائهم وألقابهم، ومن له كنية دون اسم ومن ذلك اسمه

[٢٢٢] العسقلاني ص٢٢٠–٢٢٣، ابن الصلاح ص١٦٩–١٧٢، الجعبري ص١٦٢–١٦٥.

[٢٢٣] السابق ص٢٢٣–٢٣١، ابن الصلاح ص١٧٢–١٨٥، مثل سلَّام وسلَام، عِسْل وعسل، الجعبري ص١٧٥–١٨٥.

[٢٢٤] العسقلاني ص١٧٥–١٨٤.

[٢٢٥] السابق ص٢٣١–٢٣٦، ابن الصلاح ص١٨٥–١٨٨، الجعبري ص١٨٥–١٩٠، العسقلاني ص١٧٥–١٨٥، ١٩٤-١٩٥، الكافي ص٧٩٩–٨١٥، الجامع ص٢٧٨-٢٧٩، ٢٨٢-٢٨٣.

[٢٢٦] السابق ص٢٣٦-٢٣٧، ابن الصلاح ص١٨٨-١٨٩.

[٢٢٧] ابن الصلاح ص١٨٥، الجعبري ص١٩٠–١٩٢.

[٢٢٨] السابق ص٢٣٧–٢٤٢، ابن الصلاح ص١٨٩–١٩٣.

[٢٢٩] السابق ص٢٤٨–٢٦٩.

[٢٣٠] السابق ص٢٤٢–٢٤٧، ابن الصلاح ص١٩٣–١٩٧، الجعبري ص١٦٠–١٦٢.

[٢٣١] الكافي ص٧٦١–٧٩٠.

[٢٣٢] النيسابوري ص١٨٣–١٩٠، ابن الصلاح ص١٦٢–١٦٤، الجعبري ص١٦٥–١٧٢.

[٢٣٣] الجعبري ص١٦٧–١٧٢، العسقلاني ص١٩٤-١٩٥، الكافي ص٧٤٣–٧٦٠، الجامع ص٢٨١–٢٨٥.

معلوم، ومن له كنيتان أو أكثر واسم، ومن له اسم مُتَّفق عليه وكُنية مُختلف عليها، ومن عرفت كُنيته واختُلف في الاسم، ومن اختلف في اسمه وكنيته، وهو قليل. ومن له اسم ولقب، ويذكر أحيانًا بكنيته فيقع الغلط. وقد يعرَّف المُحدِّث بالنقص كالعمى والعور ونحوهما من الآفات. وقد تساعد معرفة ألقاب المُحدِّثين على التعرُّف على أسماء الرواة ومدى تفخيمهم وتضخيمهم في الوعي الجمعي. لِمَ وجَّهَ كراهية بعض المُحدِّثين لها مثل «الصديق»، «أبو تراب»، «أبو هريرة».[٢٣٤]

(٣) القبائل والولدان والتوجهات السياسية

ومعرفة الموالي وأولاد الموالي من رواة الحديث في الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قد تساعد على الكشف عن دوافع الرواية في عصرٍ بلغ الصراع بين العرب والموالي أشدَّه، بين السلطة والمعارضة بلُغة العصر.[٢٣٥] والمولى هو من مسَّه أو أحد أصوله رِقٌّ أو ولاء الإسلام أو الحلف أو الملازمة. ويفيد أن الحرية ليست شرطًا للرواية.[٢٣٦]

ومعرفة قبائل الرواة من الصحابة والتابعين وأتباعهم وكل من له نسَب مشهور بلادًا أو ضياعًا أو سككًا أو مجاورة. فقد تساعد في معرفة دوافع الشعوبية والرغبة في إيجاد شرعيةٍ لها في الأصول.[٢٣٧] وكذلك قد تساعد النسبة إلى الصنائع والحرف والمِهن على التعرُّف على الرواة.

ومعرفة بلدان الرواة وأوطانهم قد تساعد على معرفة دوافع الرواية في عصرٍ تتنافس فيه الأمصار على الخلافة، وتُهاجر المعارضة السياسية إلى الأطراف.[٢٣٨] فقد نشأ خلاف بين الكوفيين والبصريين في اللغة والفقه والكلام، ربما امتدَّ إلى الحديث. وقد حاول القدماء التعرُّف على من نزل من الصحابة بكبار المدن الإسلامية؛ مكة، والبصرة، ومصر والشام

---

[٢٣٤] النيسابوري ص٢١٠، الجعبري ص١٧٢–١٧٥، العسقلاني ص٢٠٢-٢٠٣، الجامع ص٢٧٩–٢٨١.

[٢٣٥] النيسابوري ص١٩٦–٢٠٢، ابن الصلاح ص١٩٨–٢٠٠، العسقلاني ص٢٠٤.

[٢٣٦] الجعبري ص١٥٧–١٥٨، ١٩٦، الكافي ص٨٥٧–٨٥٩.

[٢٣٧] النيسابوري ص١٦١–١٦٨. وذلك مثل حديث «أحبوا العرب لثلاث: أني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي.» الجعبري ص١٩٧، العسقلاني ص٢٠٣-٢٠٤.

[٢٣٨] النيسابوري ص١٩٠–١٩٦، ابن الصلاح ص٢٠٠–٢٠٢، الجعبري ص١٩٧–٢٠١، الكافي ص٨٥٩–٨٦٠.

والجزيرة وخراسان. وقد تساعد معرفة المُتشابه في قبائل الرواة وبلدانهم وأسمائهم وكُناهم وصناعاتهم على رفع هذا التشابُه وعدم الخلط بين الرواة.[٢٣٩]

وتساعد معرفة الأئمة الثقات المشهورين من التابعين وأتباعهم ممَّن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرُّك بهم وبِذكرهم من الشرق إلى الغرب، من أهل المدينة ومكة ومصر والشام واليمن واليمامة والكوفة وبغداد والجزيرة والبصرة وواسط وخراسان.[٢٤٠] وهم طبقات الحفاظ.[٢٤١] وتكتب عدة مُصنفات في الموضوع وفي مشروعية جرحِهم وتعديلهم، ومعرفة من خلَط في آخر عمرِه منهم.[٢٤٢]

ومعرفة المغازي من أنواع الحديث، لأنَّ الموقف أزمة، والصراع مُحتدم مما يخلق نوعًا من الحميَّة، وإطلاق بعض الأحاديث للتشجيع، ورفع الروح المعنوية، وإذكاء روح الشهادة.[٢٤٣] ومنها المكتوب إلى الملوك والرسائل. وتدخل في «أسباب النزول» للحديث والموقف الذي قيل فيه.

ومن الأحاديث ما يتضح فيها التوجُّه السياسي بالنسبة لإدانة فرقةٍ كلامية لم تظهر إلا بعد وفاة الرسول مثل الخوارج، أو حدث لم يقع إلا بعد وفاته مثل استشهاد عمار بن ياسر.[٢٤٤] وحديث آخر على ولاية علي بن أبي طالب.[٢٤٥] ومن الأحاديث ما تعطي الأولوية والسيادة لقريش مثل الحديث المشهور «الإمامة من قريش.» والرد عليه بحديث «العلم في فارس.» قد يكون دوافع روايتها إن صحَّت، أو وضْعها إن كذبت، الدفاع عن سلطة قريش.[٢٤٦]

---

[٢٣٩] من أسماء القبائل المتشابهة: القيس والعيش، العنسي والعبسي، العوفي والعوقي، الزبيدي والزيدي والزيري، الحمراني والجراني، البجلي والتخلي، العايش والغايش، البصري والنصري والنضري، الشني والسني، الندبي والبدي، السامي والشامي. ونوع آخر النخاري والبخاري، والبلخي والثلجي، الأنباوي والأنباري، ومن الأسماء برير وبربرة ونوير، بجيد ونجيد ونجير، شريح وسريح، سوار وسرار، أسقر وأشعر، أمية وآمنة. ومن كُنى الرواة أبو الأشهب وأبو الأشعث، أبو إياس وأبو أناس، أبو يزيد وأبو يريد، أبو نضرة وأبو بصرة. ومن الحِرَف؛ الجزار والخراز، الحمار والخباز، البقال والثقال والنبال، البزاز والتمار، الغسال والعسال، اللبان والتبان، ابن حبان وابن حيان ... إلخ. النيسابوري ص٢٢١–٢٣٨.

[٢٤٠] النيسابوري ص٢٤٠–٢٤٩.

[٢٤١] الذهبي ص٦٨–٩٢.

[٢٤٢] الكافي ص٨٤٢–٨٥٧، ٨٦٠.

[٢٤٣] النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص٢٣٨–٢٤٠.

ويتولد علم السيرة من عِلم الحديث في خاتمة «الكافي».[٢٤٧] يتداخل فيها الشخصي مثل أزواجه والخيالي مثل إسلام الجن والإسراء.

و«فقه الحديث» موضوع جديد عن صِلة عِلم الحديث بعلم الفقه.[٢٤٨] يبدأ ببيان أقسام ما دُوِّن في عِلم الحديث، ثم كيفية تلقِّي الأمة الشرع من النبي، وأن السنة حجَّة على جميع الأمة وليس عمل أحد حجة عليها. ثم يُبين العمل بالحديث بحسب ما بدا لصاحب الفهم المُستقيم. فما يجمع بينه وبين الفقه هو طابع الالتزام، ولزوم الإفتاء بلفظ النص ما أمكن، وحرمة الإفتاء بضد لفظ النص. وربما اختلف النص والإجماع. وقد شنَّع المتقدِّمون على القول بالعمل على الفقه لا على الحديث أو لمثلنا مُمكنًا مَن يفهم الحديث؟ وردُّوا على من يقرأ كتب الحديث دون العِلم بها. وحذَّروا من التفلسُف في ردِّ الأحاديث إلى المذاهب، ومن عدم توقير الحديث أو الإعراض عنه. والتقوى ضرورية عند سماع قول النبي والاعتقاد به والرجوع إليه. والأدب فيما لم تُدرَك حقيقته، وإمرار الأحاديث على ظاهرها، والترجيح بين ما تعارَض من ظاهر النصوص باعتبار الإسناد والمتن والمدلول، وبأمورٍ خارجة، وتجب معرفة الناسخ والمنسوخ، وعدَم التحايل على إسقاط حُكم أو قبوله. ولا ضير من اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع أو اختلاف مذاهب الفقهاء. وهناك فرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأي. ولا ضَير من تغيُّر حال الناس في الصدر الأول وبعده. ويُعرف الحق بالدليل، ومعرفة الشيء بالبرهان. وتجب موالاة الأئمة والعذر في ترك المذهب لصالح الحديث.

وتعقد خاتمة فريدة في فوائد متنوعة يضطر إليها الأثري.[٢٤٩] منها سبيل الترقي في علوم الدين. بها روح الإصلاح في نبذ التعصُّب مع الإحالة إلى محمد عبده وسقراط. ثم

---

[٢٤٤] مثل «الخوارج كلاب النار.» «تقتل عمار الفئة الباغية.» السابق ص٩٢.

[٢٤٥] «يا عبد الله، أتاني ملك فقال: يا محمد، سَلْ من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بُعثوا؟ قال فقلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب.» السابق ص٩٦.

[٢٤٦] وذلك مثل «من يُرِد هوان قريش أهانه الله.» السابق ص١٥٩.

[٢٤٧] خاتمة: في أحوال سيد المرسلين على سبيل الإجمال، نسبه، ولادته، أمُّه، نشأته، زواجه، أصهاره، نساؤه، عمومته، عمَّاته، مواليه، خدَمه من الأحرار، بنيانه الكعبة، مَبعثه، وفاة عمِّه، وفاة زوجِه، إسلام الجن، الإسراء، هجرته، غزواته، رفقاؤه، سلاحه ودوابُّه وعدته وتركته، الكافي ص٨٧٧–٩١٦.

[٢٤٨] الباب العاشر: في فقه الحديث، قواعد التحديث ص٢٧٧–٤٠١.

[٢٤٩] قواعد التحديث ص٤٠٣–٤٠٧.

تأتي تتِمَّة في مقصدين.[٢٥٠] الأول طلب الحديث لتقوى الله، والعِلم للتعبُّد به، والثاني مدح رواة الحديث شعرًا.[٢٥١]

وتجوز الرحلة في طلب الحديث إلى البلاد النائية للقاء الحفَّاظ بها وتحصيل الأسانيد العالية. بل وتجوز الرحلة لطلب حديثٍ واحد. يُستأذَن الأبوان لضرورة إطاعتهما وبرِّهما وكراهة رحلة الأبناء والقيام بحقوق الزوجة وتعذُّر النفقة. ويُلتمَس الرفيق قبل الطريق. ويستخار في السفر وفي يوم الخروج. ويودَّع الإخوان والمعارف. وفي المُرافقة حُسن المعاشرة وجميل المُوافقة، ثم عَود الطالب إلى الوطن.[٢٥٢]

وقد دُوِّن في الموضوع مصنف خاص هو:

«الطبقات» للنسائي (٣٠٣هـ)[٢٥٣]

وهي رسالة قصيرة في طبقات الرواة دون تحديد عمر الطبقة. وقد تتعاصَر الطبقات أو تتداخل ممَّا يدل على أن الطبقة ليست فترةً زمنية تُعادل الجيل، أي حوالي الأربعين عامًا، بل تعني فئة من الرواة مُتساوية في الفضل. وهم تسع طبقات. يختلف عدد رُواتها بين أربعة وستة. يجمعها شيخ واحد، مثل الطبقة الأولى أو شيوخ مُتفرقة. والطبقة التاسعة وحدَها لها اسم «الضعفاء». ثم تأتي طبقات أخرى تحت اسم جديد «الطبقة المتروك حديثهم»، ثمانية رُواة ينقسمون إلى ثماني طبقاتٍ بين راوٍ وثلاثة رواة. وهم في العدد سبعة بالإضافة إلى آخر الطبقات. والرسالة أيضًا كلها في السند وليست في المتن، وفي الرواة وليست في المرويات.

[٢٥٠] السابق ص٤٠٩–٤١٨.

[٢٥١] السابق ص٤١٩–٤٢٥.

[٢٥٢] الجامع ص٣٧٨–٣٩٣.

[٢٥٣] الإمام النسائي: الطبقات، مجموعة رسائل في علوم الحديث للإمام النسائي وللخطيب البغدادي، حقَّقها وعلَّق عليها السيد صبحي الباري السامرائي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د.ت)، ص١٥–١٧.

الباب الثاني

نقد المتن

الفصل الأول

الأشكال الأدبية

أولًا: ماذا تعني الأشكال الأدبية؟

تعني الأشكال الأدبية صيغة الحديث من حيث هو رواية أو قول مباشر. والقول المباشر للرسول أو للمُحاور، ومِن السائل المحاور طلبًا للسؤال أم الرسول على الطريقة السقراطية، مُولِّد الإجابة من المُحاور. وهي ليست مجرد شكل لغوي بل هي شكل يكشف عن مضمون أو مضمون يفرِض شكله. وهي مدرسة في النقد الأدبي ترى أن الأدب هو الأشكال الأدبية، وأن النقد الأدبي هو التعرُّف على هذه الأشكال.

وقد يكون للحديث صياغات عديدة ولكنها لا تؤثر في نوع الشكل الأدبي. فالصياغات مرتبطة بالسند والنقول المُختلفة، في حين أن الشكل الأدبي مرتبط بالمتن. ترجع الصياغات إلى النقل في حين ترجع الأشكال الأدبية إلى العقل. ولا يؤثر اختلاف الصياغات في نوع الشكل الأدبي؛ إذ إنها تتعلق بالألفاظ، ترتيبها وبدائلها أو بزيادة أو بنقص.[1] وقد يأتي الحديث في أكثر من شكلٍ أدبي «المُسلم من سلِم المُسلمون من لسانه ويده.» القول المباشر، حديث الرسول أو الإجابة على سؤال.[2] الشكل الأدبي من اختيار الراوي وليس بالضرورة من وضع الرسول ومُحاوريه. يبغي الوضوح وحُسن التبليغ وقوة التأثير في المُستمع.

---

[1] مثل «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه.» و«فوالذي نفسي بيده.» وصياغات أخرى، ج١، ٠١، «من قام رمضان ...» «من صام رمضان.» ص٦١. «إذا أسلم العبد ...» و«إذا أحسن أحدكم إسلامه.» ص٧١ وأيضًا ص١٣، بصق العبد على القبلة ص٢١١–٤١١ (نظرًا لتكرار البخاري كمرجعٍ أوحد فقد تمَّ حذفه وعدَم وضع السابق محله والاكتفاء بالجزء ورقم الصفحة).

[2] البخاري ج١، ٩–١٠.

وهي دراسة نوعية وليست كاملة أو حصرية، تُبين فقط إمكانية دراسة الأشكال الأدبية. هي مجرد تمرين لمزيد من الدراسات، نموذج وليست دراسةً إحصائية لهذا النموذج. هي دراسة إرشادية لمزيد من التطبيقات للتعرُّف على جوهر هذه الأشكال الأدبية وصياغاتها المُتعددة في كتب الحديث، خاصة في الإصحاحات الستة واحدًا تلو الآخر، بداية بالبخاري ونهاية بالنسائي. هي مبادرة دراسة حتى يستأنفها نقَّاد آخرون مُحدثون لعِلم الحديث.

ولا يوجد خطأ أو صواب بل فقط اجتهادات تُخطئ أو تصيب. هو فقط نموذج للدراسات المُحتمَلة حول العلوم النقلية لتجديدها بعد أن ثبتت دون تغيير على مدى أربعة عشر قرنًا حتى تحوَّلت إلى علوم مقدَّسة. والأشكال الأدبية لنصوصٍ بما في ذلك النص القرآني، أحد مناهج النقد الأدبي. هي أحد المداخل لدراسة عِلم الحديث، ليس في السند الذي أوفاه القدماء حقَّه بل في المتن الذي يعتني به المُحدَثون في التحوُّل من السند إلى المتن، ومن النقل إلى العقل، والأشكال الأدبية من وضع الذهن البشري، يفرِضها الذوق الأدبي. والحديث مضمون من الرسول في حاجةٍ إلى شكلٍ من الراوي أو المُحدِّث، تمامًا مثل نظرية الوحي في الأناجيل، الوحي من جبريل أما العبادات والأمثلة والحوارات وسائر الأشكال الأدبية فمن الرُّسُل الذين قاموا بالتدوين، كتاب الأناجيل الأربعة.

ويدل الشكل الأدبي على طريقة التدوين في عصره طبقًا للآداب القديمة، ومنها الأدب العربي. لا يتعلق الأمر بالمسموع ولكن بالمُدوَّن. فالأدب تعبير وصياغة في شكل أدبي. وقد قامت مدرسة في النقد الأدبي وهي الشكلانية تعتني بالشكل وحدَه دون المضمون. وهو غير النَّظم الشهير في قضية الإعجاز عند عبد القاهر الجرجاني. فالنظم بين الشكل والمضمون. النظم هي ديناميات الشكل، ما تحت الشكل، العمليات الشعورية التي تُحدِّد الشكل، البنية الداخلية وليست الصورية للنص، وإعطاء الأولوية للبُعد الجمالي على البعد اللغوي للنص.

والسؤال هو: هل هذه الأشكال الأدبية واقع تاريخي أم أنها صياغات من علماء الحديث؟ فإن وعَت الذاكرة القول المباشر، الأمر أو النهي فإنها قد لا تعي الحوار بكلِّ مراحله سؤالًا وجوابًا. فالذاكرة تفرض صياغتها الأدبية. هي أقرب إلى أن تكون ذاكرةً أدبية منها إلى الواقع التاريخي. هي التي اختارها المُحدِّثون لإبلاغ أحاديث الرسول. هي تاريخ من حيث إنها جزء من آداب العصر وثقافته، ولكنها أدب من حيث إنها من اختيار المُحدِّث وذوقه الأدبي. وهذا لا يمنع أن يقع تطابُق افتراضي بين الشكل الأدبي

الذي اختاره المُحدِّث والشكل الأدبي الذي تحدَّث فيه الرسول. فكلاهما عربي، الرسول والمُحدِّث، ينتسبان إلى أدبٍ عربي واحد، وذَوقٍ أدبي واحد.

ولا يوجد أي تطبيق لمنهجٍ وافدٍ في دراسة الأشكال الأدبية للحديث. بل هي دراسة تلقائية صِرفة بالرغم من العلم بالوافد منهجًا وتطبيقًا.[3] هي دراسة تُكمل ما تركه القدماء ناقصًا أو غير مُكتمل وهو نقد المتن لخطورة أن يكون المتن ضعيفًا بالرغم من صحَّة السند. وهو تطوير لعِلم الحديث، من نقد السند إلى نقد المتن. يخضع لحاجة محلية صرفة، وموروث يُطوِّر نفسه بنفسه طبقًا لتغيُّر العصور وحاجاتها وآدابها وأذواقها. صحيح أن الموروث لم يكن بمعزِل عن الوافد في كل العصور، اليونان والرومان غربًا، وفارس والهند شرقًا، قديمًا، وهو أيضًا ليس بمعزل عن الغرب حديثًا وإن كان أقلَّ ارتباطًا بالشرق نظرًا لسيطرة الوافد الغربي على الثقافة العربية في العصور الحديثة، منذ النهضة العربية وحتى الآن. والحضارة الإسلامية ليست لحظة واحدة في تاريخها، وهي اللحظة اليونانية القديمة بل هي كل لحظة تتقابل فيها مع حضارتَين مثل الحضارة الإسلامية الحديثة فيما بعد ابن خلدون والحضارة الغربية الحديثة منذ عصر الترجمة الثاني وحتى الآن. فأرسطو حديثًا هو هيجل حديثًا، وسقراط قديمًا هو ديكارت أو هوسرل أو برجسون حديثًا، وأفلاطون قديمًا قد يكون هو كانط حديثًا.

وقد بدأت دراسة الأشكال الأدبية في جيلنا على استحياء في «رُباعيات الإمام البخاري».[4] وهي دراسة حديثة لأحوال الأشكال الأدبية لأحاديث البخاري وهي «الرباعيات». وقد عرف القدماء هذا النوع من الدراسات الإيقاعية العددية للمتون. وصنَّفوها ومنها الرباعيات.[5] وهي مجرد تخريج للأحاديث طبقًا لإيقاعات متونها وليس لأسانيدها.[6] وإذا كان الرسول قد أُوتي جوامع الكلِم فإنَّ أحاديثه تُعتبَر من فنون القول وأساليب البلاغة. هي جزء من النثر الفني أو أمثال العرب. إنما السؤال: ما الفرق بين هذه الإيقاعات من الأحادية إلى العشارية؟ هل هي مثل الإيقاعات الشعرية؟ هل تُعبِّر عن بنية الموضوع الرباعية؟ هل

---

[3] انظر دراستنا: مدرسة تاريخ الأشكال الأدبية، دراسات فلسفية، ص٤٨٧–٥٢١.

[4] الدكتور يوسف الكتاني: رباعيات الإمام البخاري، مكتبة العارف، الرباط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[5] صنفوها في أحاديث وثنائيات وثلاثيات ورباعيات وخماسيات وسداسيات وسباعيات وثمانيات وتساعيات وعشاريات؛ ومن الرباعيات للشافعي تخريج الدارقطني، وأُخرى للبخاري، السابق ص١٣٧–١٤٦.

[6] السابق ص١٥٣–١٥٦، ١٥٩–١٤٥.

تقوم على بنية التشابُه والاختلاف، والتقابُل والتضاد؟[7] هل فرضت شكلها على المضمون أم فرض المضمون شكله؟

كانت النية الأولى أن تُطبق الأشكال الأدبية على الإصحاحات الخمسة أولًا لمعرفة مدى تكرارها في الإصحاحات الأخرى وفي كتب السنن والمسانيد والجوامع والمدونات والموطآت، دون إحصاءٍ كامل لها بعد أن أسهب القدماء في التصنيف فيها دون مراعاة للتكرار، والاكتفاء بجمع المتقدِّمين دون الزيادة عليها بجمع المُتأخرين بعد أن بَعُد العهد بين الرسول والمُحدِّث، واستحال أن يبقى الحديث في الذاكرة دون زيادة بالإضافة المستمرة، جيلًا وراء جيل، وتدخُّل الخيال الشعبي في وضْع جوانب في الحديث لمساعدة الذاكرة على الحفظ، والبلاغ بالتشويق. كانت النية أن يُدرَس كل إصحاح على حِدة، بل وتُحلَّل الأشكال الأدبية في الإصحاحات الخمسة. ونظرًا لتكرارها في كل إصحاح تضخَّمت المسئولية، وصعب تحقيق النية كمًّا وكيفًا، لاستحالة تضخُّم النتائج في أجزاء، وتكرار الأمثلة والنموذج واحد.[8] وكان يحتاج إلى وسائل تقنية حديثة لتنظيم المعلومات وإلى فريق عملٍ يقوم به وليس جهد فردٍ واحد.

كان من المُستحيل القيام بإحصاءات شاملة في كل الإصحاحات الخمسة للأشكال الأدبية؛ فالبخاري وحدَه أربعة آلاف حديث. إنما تكفي النماذج التي تتكرَّر ثم يتوقَّف التكرار عند إضافة أي نموذجٍ جديد. وهو ما سمَّاه الشاطبي «الاستقراء المعنوي». وإذا حدث ذلك فإن الكمَّ يطغى على الكيف، ويكون أشبه ببعض الاتجاهات الحديثة في النقد التاريخي للكتُب المقدَّسة التي تمتلئ هوامشها بتحليل النصوص بكل اللغات القديمة وبعشرات المراجع والإحالات، والحُكم في أعلى الصفحة بسيط وواضح كالعربة المُثقلة التي يجرُّها حصان مُجهَد. ويتحوَّل نقد النص إلى غاية في ذاته وليس مجرد وسيلة للبرهان

[7] مثل خصال المنافق: إذا اؤتُمِن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. أشراط الساعة: أن يُرفع العِلم، ويثبُت الجهل، ويُشرَب الخمر، ويظهر الزنا. الأوامر الأربعة: الإيمان بالله، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، تأدية خُمس الغنائم. النواهي الأربعة: الدباء، الحنتم، المزفت، النقير. النواهي الأربعة: لا تسافر المرأة يومَين إلا مع زوجها أو ذي محرم، لا صوم في يومَين، لا صلاة بعد صلاتين، لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، السابق ص٢٤٩–٢٥٥، ٢٥٩–٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦.

[8] انظر دراستنا السابقة «من نقد السند إلى نقد المتن»، البخاري نموذجًا، حصار الزمن ج٣ الماضي والمستقبل ص٥٣–١٦٥.

وأداة للإثبات أو النفي، وهو ما وقعت فيه هذه الدراسة أحيانًا طلبًا لأكبر قدرٍ ممكن من البراهين ولمزيدٍ من التوثيق حتى تتأسَّس النتائج وتخرج من أعماق المادة.

ومع ذلك كان الاكتفاء بتحليل الأشكال الأدبية في «صحيح البخاري» ضروريًّا لعدة أسباب:

(١) هو أول الإصحاحات وأكثرها يقينًا والنموذج الأمثل كما يبدو في الأمثال العامية وعند عُلماء الحديث أكثر من الإصحاحات الأربعة الأخرى. وهو الذي يعادل المقدَّس في الدين الشعبي. وهو الأوسع انتشارًا والأكثر استعمالًا، والأقرب إلى قلوب الملايين من المسلمين.

(٢) الأشكال الأدبية التي تم استخلاصها منه مُكررة في الإصحاحات الأربعة الأخرى بطريقةٍ أقل وضوحًا، ولا تضيف جديدًا على الإصحاح الأول، والإضافة منها تثقل النتائج ببراهين زائدة لا ضرورة لها.

(٣) الأشكال الأدبية أكثر وضوحًا في الإصحاح الأول عنها في الإصحاحات الأربعة الأخرى والتي تحتاج إلى مزيدٍ من الجُهد للتعرُّف عليها.

(٤) لو تم تحليل الأشكال الأدبية في الإصحاحات الأربعة الأخرى لتضخَّمت الهوامش التحليلية وأثقلت كامل النص الأصلي، ولأصبح الدليل غاية في ذاته. ويطغى المثل على الممثول، والجسد على الروح.

(٥) هذه مهمة الحاسبات الآلية اليوم الأقدر على التحليل والتصنيف وإعادة التبويب، والتي قد تُصبح غاية في ذاتها؛ خلطًا بين المعلومات والعلم، وهي مهمة لا تنتهي. قد تنقلب على عكس المقصود منها، وقد تضيع النتائج أعلى الصفحة في خضم الهوامش أسفلها، وتصبح مجرد تعالُمٍ وتفقُّهٍ لا يضيف جديدًا.

(٦) تحليل الإصحاحات الخمسة يفوق طاقة البشر وتكليف ما لا يطاق ذهنيًّا ونفسيًّا وجسميًّا وزمانيًّا. يكفي الأجزاء التسعة لصحيح البخاري التي ملأت هذا الباب الثاني «نقد المتن» بفصوله الثلاثة: الأشكال الأدبية، تحليل المضمون العقلي، تحليل المضمون الواقعي.

(٧) الاستقراء المعنوي قادر على تحديد المادة العلمية لصالح الأشكال الأدبية إذا ما توقَّف الكمُّ عن إعطاء كيفٍ جديد، وهو الاستقراء الجزئي الذي يكفي للحصول على قانون دون استقراءٍ كلي طبقًا لمبدأ اطِّراد قوانين الطبيعة.

(٨) ومع ذلك تمَّ الاطلاع على الإصحاحات الأربعة الأخرى دون الإحالة إليها إلا في حالات وجود أشكال أدبية جديدة. كما أنه تمَّ عرضها في مُقدمة الباب الأول «نقد السند» في المقدمة «نقد المصادر».

(٩) تُستعاد الإصحاحات الأربعة الأخرى في تحليل المضمون العقلي وتحليل «المضمون الواقعي» وهو الأهم والذي يُميز إصحاحًا عن آخر. والمضمون في النهاية أهم من الشكل. الشكل وسيلة والمضمون غاية. وحتى هذه المضامين العقلية والواقعية تتكرَّر أيضًا. ويكفي نماذج منها حتى لا تتضخَّم الهوامش أسفل الصفحة على حساب النص أعلى الصفحة.

وقد اكتملت الأشكال الأدبية منذ منتصف الجزء الرابع قبل بداية كتاب «بدء الخلق» الذي يضمُّ النصف الثاني منه حتى الجزء الخامس، والجزء السادس كتاب التفسير. وحُلِّل الشكل والمضمون في كتاب «بدء الخلق» كحالةٍ خاصة في تحليل المضمون. كما حُلِّل كتاب التفسير في الشكل الأدبي الأول «القرآن والحديث». أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة السابع والثامن والتاسع فلم تُضِف جديدًا على الأشكال الأدبية إلَّا تأكيدها وزيادة الإحالات إلى هوامشها مما أثقلَها. وهي أقرب إلى المعاملات والحدود باستثناء الكتاب الأخير في الجزء التاسع «كتاب التوحيد» عودًا إلى «بدء الخلق».

وقد يكون الربط بين الحديث والآية من فِعل الراوي وليس من فعل الرسول، لأنَّ الربط مُفتَعل وليس طبيعيًّا.[٩] ولا مناسبة لذكر الآية إنما حشرها حشرًا.[١٠] فالراوي هو الذي يجعل الحديث شرحًا للقرآن.[١١]

ثانيًا: الحديث والقرآن والشعر واللغة

(١) القرآن في الحديث

هل يُعتبر وضع القرآن مع الحديث شكلًا أدبيًّا؛ وضعه كعنوان لموضوع الكتاب أو لتفسير نزول آية من وضع جامع الحديث؟ أما وضعه على لسان الرسول في حديثه فلربما من قول الرسول. هو ليس شكلًا أدبيًّا بل طريقة في التدوين لإلحاق الحديث بالكتاب. فلا

[٩] البخاري ج٦، ٢٣–٢٤، ٤٢، ٥٨، ٨٦، ٩٠–٩١، ١٨٧.

يُوجد حديث إلا وله أصل في الكتاب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. وبهذه الطريقة يكون للحديث سلطة مثل سلطة الكتاب. ولا أحد يشك فيه ما دام يستند إلى أصلٍ يقيني. وهو تدوين مُصطنع مُتكلف ومقصود وليس تدوينًا طبيعيًّا تلقائيًّا ذوقيًّا. والسؤال هو أين توضع الآية في الحديث؟

هناك سبعة أشكال لوضع الآية مع الحديث وهي:

(أ) الآية قبل الحديث وبعده

وقد تأتي الآية قبل الحديث كغطاءٍ وبعده كسندٍ مثل آية الفطرة لحديث الفطرة.[١٢] هنا الحديث له أصل يخرج منه، وله أصل يرجع إليه. الحديث مُحاصَر بالقرآن. في البداية والنهاية. والآية في البداية أكثر منها في النهاية؛ فالبداية أهم من النهاية. البداية الأصل والأساس المنشأ.[١٣] يبدأ كل باب قبل البداية بالرواية، بالآية القرآنية موضوع الرواية؛ فالقرآن هو الأصل، والحديث هو الفرع. القرآن الكل، والحديث الجزء. وتساعد هذه الطريقة على تصفية الأحاديث المُعارضة للقرآن التي ليس لها أصل فيه. وقد يتصدَّر

---

[١٠] مثل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ...﴾ السابق ص٢٨.

[١١] «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش» فذاك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، السابق ص١٥٤.

[١٢] البخاري ج٢، ١١٨–١١٩، وجوب الزكاة ص١٣٢. باب اتقاء النار ولو بشقِّ تمرة ص١٣٦ ج٣، ١٣.

[١٣] ج٣، ١٠، ١٢، ١٤، ١٧–١٩، ٣٠ كتاب الصوم ج٣، ٣٠، ٣٦–٣٧، ٤٤–٤٥، ٤٨، فضل ليلة القدر ص٥٩. الاعتكاف في العشر الأواخر ص٦٢. التجارة في البر ج٣، ٧٢. الخروج من التجارة ج٣، ٧٢. الإنفاق ص٧٣. تحريم الربا ٧٧–٧٨. الكيل والميزان ص٨٨. الإجارة ص١١٥. فضل الغرس والزرع ص١٣٥ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ص١٤٣–١٤٤. أداء الديون ص١٥٢. في المظالم والغضب (ثلاث آيات) ص١٦٧، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ص١٦٨، نصرة المظلوم ص١٦٩. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ص١٧١. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾. لقصاص المظلوم ص١٧٢. باب في الرهن والحضر ص١٨٦. في العتق وفضله ص١٨٨. احترام الرقيق ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ ص١٩٦، ١٩٨. الهداية للمشركين ج٣، ٢١٤. العمران. ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، ص٢١٦. كتاب الشهادات، البينة على المدعي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ ص٢١٨–٢١٩. الشهداء العدول ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ص٢٢١. شهادة القاذف والسارق والزاني ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ...﴾ ص٢٢٣. شهادة الزور ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ص٢٢٤. شهادة النساء ص٢٢٦. بلوغ الصبيان وشهادتهم ص١٣٢. شهادة أهل

الحديث أكثر من آية. وقد لا يكون الاتفاق كاملًا بين الآية والحديث ويحتاج إلى تأويل. وهذا سبب استدراك عائشة بآيةٍ على قول الرسول ثم إعادة تأويل قوله كي يتَّفِق مع القرآن.[١٤] يبدأ كل كتابٍ بآية مثل بداية كتاب النكاح بآية النكاح.[١٥]

الملك بعضهم على بعض ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ ص٢٣٧، تبديل الكتاب ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ ص٢٣٧، القرعة ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. الإصلاح بين الناس ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ ص٢٣٩، ج٤، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ كتاب الوصية ص٢. الحكم للذمِّي ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ ص٣ في بداية فضل الجهاد والسير ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ ج٤، ١٧، ١٨، ٢٥، ٢٨، ٣٤–٣٥، ٣٧، ٤٣، ٤٥. الجاسوس ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ص٧٢ باب الأسرى والفداء ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ ص٧٥ من تكلم بالفارسية ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾، ج٤، ٨٩–٩٠. باب الموادعة والمصالحة ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ ص١٢٣. ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾ ص١٢٣، إثم من عاهدتم غدرًا ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ص١٢٤.

[١٤] بداية حديث الوحي بآية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، وحديث «بُني الإسلام على خمس» وإن الإيمان يزيد وينقص بآية ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾. ج١، ٢، ٨–٩. وحديث «الإيمان بضع وستُّون شعبة ...» بآية ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، بداية حديث «إذا التقى المُسلِمان ...» بآية ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، ص١٤–١٥. حديث «إذا أسلم العبد فحَسُن إسلامه ...» مُصدَّر بآية ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾. مرَّتين ص١٦–١٧. وحديث «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ...» مُصدَّر بآية ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ...﴾ ص١٧، تصدير حديث أركان الإسلام بآية ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ﴾ ص١٨ تصدير الأعمال بالنيَّات بآية ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ص٢١، تصدير كتاب العِلم وأحاديثه بآيات ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ...﴾، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ص٢٢، وقصة موسى والخضر تسبقها آية ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ص٢٨–٢٩، بداية كتاب الوضوء بآية الوضوء ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ...﴾ ص٤٦. لما قال الرسول «من حُوسِب عُذِّب.» واجهته عائشة بآية ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فاستدرك الرسول قوله الأول بثانٍ «إنما ذلك العرْض.» ص٣٧ وفي موضوع الغائط والوضوء ص٥٥. كتاب الغسل ص٧١. كتاب الحيض ج١، ٨١، التيمم ص٩١ حديث التيمم ص٩٦. زينة المسجد ص٩٩. التعاون في بناء المسجد ص١٢١ مواقيت الصلاة وفضلها ص١٣٩، باب الأذان ص١٥٧. كتاب الجمعة ج٢، ٢، السعي يوم الجمعة بالآية أولًا﴿فاسْعَوا إلى ذِكر الله﴾ ص٩. صلاة الخوف ج٢، ١٧. مبايعة المؤمنات ج٢، ٢٧، ٤١ خسوف القمر ص٤٤. التهجد بالليل ص٦٠، ٦٥.

وقد تكون الآية عنوان باب.[١٦] ويبدأ الباب بآية قرآنية.[١٧] كما يبدأ الكتاب بالآية.[١٨] وقد تطول الآية بحيث تُصبح بيانًا وليس مجرَّد عنوان للموضوع مثل كتاب الفرائض وتصديره بآية المواريث[١٩] وحتى في كتاب «بدء الخلق» تأتي الآية قبل الحديث تدعيمًا له وبيان اتفاق الحديث مع القرآن، مثل موضوع السبع أرضين. ولا تستمر الرواية في شرح بعض ألفاظ الآيات مثل ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ أي السماء، سمكُها بناؤها. ثم يضيف الخيال كان فيها حيوان «الحبك» تفسيرًا للفظ ﴿الْحُبُكِ﴾ في القرآن بما تعوَّد عليه البدو، الحيوان. والاستواء هو الحسن ﴿وَأَذِنَتْ﴾ أي سمِعت وأطاعت ﴿وَأَلْقَتْ﴾ أي أخرجت ما فيها من المَوتى ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهم، و﴿طَحَاهَا﴾ أي دحاها، و﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ وجه الأرض،

تبشر الصابرين ص٩٢، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ص٩٣ تعذيب الميت ببكاء أهله عليه ودعوة القرآن للوقاية من النار، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ص١٠٠ الصبر عند الصدمة الأولى بآية ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ ص١٠٥. تحريم الصلاة على المنافقين ص١١٠، عتاب القرآن ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ لاستغفاره لأبي المُطلب ص١١٩، كل مُيسَّر لما خُلق له وسنده بآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ص١٢٠. عذاب القبر ص١٢٢. باب وجوب الزكاة ص١٣٠ وجوب الزكاة ص١٣١–١٣٢. باب الرياء ص١٣٤، باب أي الصدقة أفضل ص١٣٦–١٣٧، باب صدقة العلانية ص١٣٧، المنَّان ص١٤٠ الزكاة على الأقارب ص١٤٨. الصدقة للأقارب ص، ١٥١، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ص١٥٣. صلاة الإمام ص١٥٩، الصدقة على الإمام ص١٦٠، وجوب الحج ص١٦٣، زاد التقوى ص١٦٤–١٦٥. المسجد الحرام ١٧٦. الهدي ١٧٧، فضل مكة ١٧٩. توريث مدر مكة ١٨١–١٨٢. الطواف وسقاية الحاج ص١٨٨–١٩١. وجوب الصفا والمروة ص١٩٣–١٩٥، الإفاضة ص٢٠٠، ركوب البُدن ص٢٠٥.

[١٥] مثل ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، ج٢، ٢١١.

[١٦] ج٧، كتاب الطلاق ج٧، ٥٢ كتاب النفقات ج٧، ٨٠ كتاب الأطعمة ج٧، ٨٧ كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد ج٧، ١٠، كتاب الأشربة ج٧، ١٣٥ كتاب الطب ج٧، ١٤٨ كتاب اللباس ج٧، ١٨٢.

[١٧] مثل بر الوالدين بآية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، ج٨، ٢، (أمثلة أخرى ج٨، ٥، ١٢، ١٤، ١٧–١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٣٠–٣١، ٣٣–٣٤، ٣٩، ٤٢، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٢–٦٣، ٧٥، ٧٩–٨٠، ٨٣، ٩٥، ١١٠–١١١، ١١٤، ١١٦، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١١–٢١٣، ٢١٧ ج٩، ٥–٨، ١٨، ٢٠، ٢٦–٢٧، ٣٨، ٤٠–٤٢، ٧٨، ٨٤، ١٠٤–١٠٥، ١٠٧، ١١٠، ١١٣، ١١٩، ١٢٥–١٢٧، ١٣١، ١٣٨، ١٤١، ١٥١، ١٦٣–١٦٤، ١٧٢–١٧٥، ١٨٥–١٩٦.

[١٨] مثل بدأ كتاب الديات ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، ج٩، ٢، ١٧، ٢٤–٢٥، ٥٨، ٧٧، ١١٢.

[١٩] مثل آية ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ... إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، السابق ج٨، ١٨٤.

كان فيها الحيوان، نومُهم وسهرهم.[20] وتأتي الآية بعد القول المباشر كسندٍ له ومصدر. وكلاهما من الله. فقد قال الله، دون الإشارة إلى أنه حديث قدسي، إنه أعد لعباده الصالِحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشَر فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.[21]

وقد تأتي الآية بعد الحديث وليس قبله كسندٍ تحتي وليست كقُبة فوقية.[22] فالقرآن هو القاعدة. وكل ما لا يُبنى عليه يكون خارج القاعدة أو بتعبير عِلم مصطلح الحديث موضوعًا. ومع ذلك غرف الرسول بيده في رداء أبي هريرة بعد بسطِه وضمِّه حتى لا ينسى شيئًا، لا أصل له في القرآن. وقد تأتي الآية بعد روايةٍ وليس قولًا مباشرًا مثل آية ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في موضوع الشراء والبيع مع المشركين.[23]

(ب) الآية عنوان الباب

وقد تكون الآية ذاتها عنوانًا للباب.[24] فالآية موضوع يندرِج تحته الحديث. وقد تكون الآية عنوانًا للباب دون باب آخر.[25] فلا يُوجد قانون مُطرد يجعل كل بابٍ له آية عنوانًا له. وقد توضع آية لتأييد عنوان الباب أو الحديث.[26] وقد تُذكر آيات أخرى بالمناسبة لتقوية الأصل الذي يندرج تحته الحديث.[27] وقد تأتي الآية بمفردها دون حاجة إلى عنوان

---

[20] تسبقه آية ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، البخاري ج٤، ١٢٩.

[21] السابق ج٤، ١٤٣.

[22] حديث «أنا أعلمكم بالله وإنَّ المعرفة تصل القلب.» بعده آية ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، السابق ج١، ١١. وختام الرسول إجابته عن عدم معرفته بالساعة بآية ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ص٢٠، ٤١، ٥٢. حديث الصلاة إذ ذكرت وتقويته بآية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ص١٥٥. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ بعد النهي عن البكاء على الميت ج٢، ١٠٤، العطاء. ص١٤٢. صدقة الكسب والتجارة ص١٤٣. الحج والعمرة ص١٧٣، البيوع والإجازة والمكيال والوزن ثم آية ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ج٣، ١٠٣، ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ ص١٠٤، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ص١٤٣. «نُصِرت بالرُّعب.» ثم آية ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ج٤، ٦٥. في موضوع الغنائم ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ ص١٠٤.

[23] السابق ج٣، ١٠٥.

سورة أو باب، ويُذكر سبب مناسبتها.[٢٨] فالآية تكفي بذاتها دون تنظيرها في موضوع أو عنوان. وقد تأتي في الرواية.[٢٩] والرواية تصنع عنوان الباب مع الآية التي تستند إليها أو بدونها.[٣٠] وقد يُعلَن عنوان الباب عن قصدٍ مثل «باب قتل الخوارج والمُلحِدين بعد إقامة الحجة عليهم».[٣١]

وقد تصف الراوية الموضوع وتُصدر عليه حُكمًا مثل الوحي والرؤيا عن عائشة،[٣٢] وجرَيان اللبن في الأطراف والأظافر كناية عن العِلم.[٣٣] تأويلًا من الرسول، والقميص في المنام.[٣٤] وتغيير الزمان حتى تُعبَد الأوثان.[٣٥] ومَن استُرعِي رعية فلم ينصح. باب القضاء والفُتيا في الطريق. الحاكم يحكُم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوقه منزل صاحب الشرطة من الأمير. هل يقضي الحاكم وهو غضبان؟ وقد يكون عنوان الأبواب موضوعًا لعِلمٍ بأكمله مثل عِلم أصول الفقه.[٣٦]

---

[٢٤] مثل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، السابق ج٥، ٩٢–٩٣. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ص١٢٥ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ ص١٢٧. ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ص١٣٠. غزوة الحديبية ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ص١٥٥.

[٢٥] باب قوله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ السابق ج٤، ٥.

[٢٦] حديث كعب بن مالك ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ السابق ج٦، ٣.

[٢٧] ج٦، ٢٢–٢٤، ٢٦، ٣٩ ج٧، ٣، ٨–١٥، ١٨–١٩، ٢٢–٢٣، ٢٥، ٣٤، ٤١–٤٣، ٥١، ٥٤–٥٥، ٥٧–٥٨، ٦١–٦٢، ٦٤–٦٥، ٦٧، ٧٣–٧٥، ٧٨–٨٠، ٨٣، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ١٠٣، ١٠٧، ١١٣، ١١٦–١١٧، ١٢٠، ١٢٧–١٢٨، ١٤٠، ١٧٦، ١٨٤–١٨٥.

[٢٨] مثل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ ...﴾، ج٦، ٢٨–٣٠، ٣٢–٣٤، ٣٧–٤٠.

[٢٩] ج٧ ص٥، ٩، ١٣–١٥، ٢٠–٢١، ٢٤، ٢٩، ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٧، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ١١، ٦، ١٢١، ١٢٤، ١٤٢–١٤٣، ٢١٣.

[٣٠] ج٩، ص٢–٣، ١٠، ١٣.

[٣١] ج٩، ص٢٠–٢١ وأيضًا «باب ما جاء في المُتأوِّلين»، ص٢٢.

[٣٢] «أول ما بدأ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فلَق الصُّبح. فكان يأتي حراء فيتحنَّث فيه وهو التعبُّد الليالي ذوات العدد يتزوَّد لذلك ثُم يرجع إلى خديجة

ولكل سورة آية عنوانًا لها.[٣٧] وقد يُذكر اسم السورة دون آية. وتبدأ الرواية بشرح بعض ألفاظ الآية وليس كلها. وقد يتضمَّن الشرح الإعراب والتقديم والتأخير. وقد تكون الآية عنوان فقرة قبل بداية الرواية سواء كان بها قول مباشر أو كانت روايةً خالصة.[٣٨] وقد تكون الآية موضوعًا لباب الحديث دون قول مباشر أو سؤال أو جواب.[٣٩]

(ج) الآية في قول الرسول

ويُطعِّم النبي قوله بالقرآن لمزيدٍ من القوة.[٤٠] ويستعمل الآية استشهادًا بها لتدعيم قوله أو فعله.[٤١]

وفي كتاب «بدء الخلق» تأتي الآية لتأييد دعوة إبراهيم في قولٍ مباشر للرسول ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾.[٤٢] وفي قول مباشر في قصة موسى يدعم الرسول

فتُزوِّده بمِثلها حتى فجَأَهُ الحقُّ وهو في غار حراء فجاءه الملك ...» ص٣٧، وقول خديجة «أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصِل الرَّحِم وتَصدُق الحديث وتحمِل الكَلَّ وتُقري الضيف وتُعين على نوائب الحق.» السابق ص٣٨.

[٣٣] ج٩، ٤٥-٤٦.

[٣٤] ج٩، ٧٣.

[٣٥] ج٩، ٨٠-٨٣.

[٣٦] «باب من شبَّهَ أصلًا معلومًا بأصل مُبين فقد بيَّن الله حُكمها ليفهم السائل» السابق ج٩، ١٢٥.

[٣٧] مثل سورة البقرة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، ج٦، ٢١، آل عمران ج٦، ٤١-٤٢، ٥٩، ٦٣، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٦-٧٧، ٨٠، ٩١، ٩٤-٩٥، ٩٨-٩٩، ١٠٢، ١١٧، ١١٩-١٢١، ١٢٤، ١٣٧-١٣٩، ١٤١-١٤٣، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١-١٧٢، ١٧٤-١٧٧، ١٨٠-١٨٢، ١٨٨، ١٩٣-١٩٤، ١٩٧-٢٠٠، ٢٠٢-٢٠٣، ٢٠٥-٢١٠، ٢١٣-٣١٤، ٢١٦-٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠.

[٣٨] ج٩، ص٤٦-٤٩، ٥٧-٥٩، ٦١-٦٣، ٦٥-٦٦، ٦٩-٧٠، ٧٢، ٧٤-٧٦، ٧٨، ٨٠-٨٦، ٨٨-٨٩، ٩٢-٩٣، ٩٧-١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧-١٠٨، ١١٠، ١١٨-١٢٣، ١٢٥-١٢٧، ١٣٢-١٣٣، ١٣٦-١٣٧، ١٣٩-١٤١، ١٤٤-١٤٨، ١٥٠-١٥١، ١٥٤-١٥٨، ١٦٤-١٦٥، ١٦٨-١٧٠، ١٧٢-١٧٣، ١٧٧-١٧٩، ١٨٤-١٨٧، ١٩٠-١٩٧، ٢٠٢-٢٠٣، ٢١٠-٢١١، ٢١٥-٢١٦.

[٣٩] مثل باب ما ينهى عن إضاعة المال وذكر آيات ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، ج٣، ١٥٧، ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى ...﴾ ج٤، ١٠. ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ ص١٠، ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ ص١١، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ ص١٢. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ ص١٢

قصة ضربه الحجر بآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾.[43] ولتأييد قول الرسول عن الحشر حُفاةً عُراةً يذكر آية ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾. وأول من يُكسى إبراهيم ثم عيسى ابن مريم، بدليل آية ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.[44]

يستعمل الرسول الآية في حديثه لعدَّة أسباب.[45] منها تقوية حديث الرسول، وكجزءٍ من إجابته مثل إيصال الرحِم، والعفو عن المشركين، واليقين من القراءة وبيان التطابُق بين الحديث والآية.[46] وقد يأتي في حوار مع الرسول إذ يتذكَّر المُحاور الآية ليستدرِك بها معنى أحد الأحاديث.[47] وكان الرسول يُبايع الناس رجالًا ونساء بالآية على عدَم الإشراك

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ ص١٦. باب ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ...﴾، ص٢١ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ ص٢٢، باب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ...﴾ ص٢٣، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ص٢٤ ج٤، ٥٤. باب البيعة في الحرب ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ص٦١. استئذان الرجل الإمام ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ ص٦٢. باب حمر الزاد في الغزو ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ص٦٦. ﴿فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ﴾ ص. الجزية والموادعة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ص١١٧.

[40] «ما من مؤمنٍ إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمنٌ مات وترك مالًا فلتَرِثه عصبته من كانوا. ومن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتِني فأنا مولاه.» ج٣، ١٥٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ ص١٧٦–١٧٧.

[41] مثل قول الرسول «إن الله أمرَني أن أقرأ عليك.» وذكَّر بآية ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ج٥، ٤٥. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، ص٩٣، كان الرسول يمتحِن من هاجَر إليه من المؤمنات بآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ ص١٩٢.

[42] ج٤ ص١٧٣.

[43] ج٤ ص١٩١.

[44] ج٤ ص٢٠٤.

[45] مثل ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، ج٢، ١١–١٢.

[46] تقوية الرسول إيصال الرحم بآية ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، ج٨، ٦–٧، ٥٩، ٧٧، ١١٥–١١٦، ١٣٦، ١٩٠.

بالله.[٤٨] وقد يتفرَّد الرسول بتلاوة الآية القرآنية دون قولٍ منه، مثل قوله عند دخول مكة ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾.[٤٩] وقد يقول الرسول بالرغم من مُعارضته لآيةٍ قرآنية صريحة مثل الحديث مع شهداء القليب بالرغم من آية ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ولكن مناجاة الشهداء عاطفة إنسانية وتصديق للوعد.[٥٠]

وقد تأتي الآية أمرًا للرسول مثل أول ما نزل من القرآن.[٥١] وأمر الذين آمنوا بعدم السؤال عن أشياء إن تُبْدَ لهم تسؤهم.[٥٢] وتوضح الآية ما هو خاص للرسول وما هو عام للناس.[٥٣] والوحي خاص بالرسول.[٥٤]

وتذكر رواية ما كان الرسول يقرؤه من القرآن يوم الجمعة في صلاة الفجر، السجدة والإنسان.[٥٥] وقد لا تُذكَر الآية نصًّا ولكن تُذكَر موضوعًا؛ فقد سمع الرسول مرة رجلًا يقرأ في السجدة فذكَّره ذلك بآية سقطتْ من سورةٍ أو أخرى.[٥٦]

وقد يعتمد كتاب الرسول على آيةٍ قرآنية لتقويته مع أن الكتاب مُرسَل إلى من لا يؤمِن به، مِثل كتاب الرسول إلى هرقل عظيم الروم يدعوه فيه إلى الإسلام وإنهائه بآية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾.[٥٧] قد يكون ذلك تقوية لقولٍ شفاهي أو كتابي.[٥٨] ويحمل إثم الإريوسسيين الذين كانوا يقولون بوحدانية الله وأن عيسى ابن مريم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وهي آية المُباهلة الشهيرة،[٥٩] وفي الإحسان للوالدين.[٦٠]

[٤٧] مثل سؤال المُحاوِر عن آية ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، ج٨، ١٣٩.

[٤٨] ج٩، ٩٩–١٠٠.

[٤٩] ج٣، ١٧٨.

[٥٠] ج٢، ١٢٢–١٢٣.

[٥١] ج٩، ٣٧، ١١٦.

[٥٢] ج٩، ١١٧، ١١٩.

[٥٣] ج٩، ١٢٢.

[٥٤] ج٩، ١٢٤.

[٥٥] ج٢، ٥.

[٥٦] ج٣، ٢٢٥. باب قول الله تعالى ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ص٢٤٠.

[٥٧] ج٤، ٥٧.

وقد تكون الآية استمرارًا لقول الرسول وجزءًا لا يتجزَّأ منه، وكأن الرسول يستشهد به، وليست من فعل الراوي واستشهاده.[٦١] وربما يتمُّ الربط بلفظَي «ألم يقُل الله.» وقد يذكُر الرسول الآية وحدَها دون قول مباشر منه لا قبلها ولا بعدَها.[٦٢] ويشرح الرسول طبيعة القرآن؛ فهو ليس كتاب عقيدة وشريعة فحسْب، بل هو أيضًا كتاب فنٍّ في القراءة والصياغة والأسلوب، يحلو بالصوت والغناء.[٦٣]

والحديث سبب نزول القرآن مثل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ بعد قول الرسول لخديجة المرة الأولى «زملوني ... زملوني» و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ بعد قوله لخديجة المرة الثانية دثِّروني. دثِّروني.[٦٤] ومثل آية ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ وهو رأي عمر بعد أن أراد الرسول الصلاة على منافقٍ لأنه خُيِّر في آية سابقة بين الاستغفار أو عدَمِه.[٦٥] وقد يكون سبب النزول قولًا مباشرًا وليس فقط رواية. وتُذكَر آية أو آيتان، مثل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.[٦٦] وقد يكون أحد أقوال الرسول سبب نزول الآية.[٦٧] وقد تأتي الآية

---

[٥٨] يستعمل الراوي آية ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، ج٨، ١٧٣ ج٩، ١٥٣–١٥٤.

[٥٩] ج١، ٧.

[٦٠] ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، السابق ج٣، ١٩٥.

[٦١] مثل «لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم.» ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، ج٦، ٢٥. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ص٣٤–٣٥، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٥٧، ٦٩–٧١، ٧٧، ٨٥، ٨٧، ٩٥، ١٠٢، ١١٢، ١١٦، ١٢٢، ١٤٤–١٤٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٤–١٦٥، ١٦٨، ٢١١، ٢١٧–٢١٨، ٢٣١.

[٦٢] ج٦، ١٨٧.

[٦٣] «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن، وزاد غيره يجهَر به.» ج٩، ٨٨. «ما أذِن الله لشيءٍ ما أذِن لنبيٍّ حسَن الصوت بالقرآن يجهر به.» ص١٩٣.

[٦٤] ج١، ٤. وسبب نزول آية ﴿﴾ بعد سؤال أحد اليهود «يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا.» ص١٨.

[٦٥] ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ج٢، ٩٧، ١٢١. شرار الحديث سبب نزول ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ص١٢٩. سبب نزول ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ ص١٩٤–١٩٥ الخصومة حول سقاية النخل سبب نزول آية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ص١٤٦.

[٦٦] ج٦، ٢٦، ١٤٣–١٤٤، ١٥٦، ٢٠٠–٢٠٢، ٢١٥، ٢٢١–٢٢٢، ٢٢٧.

[٦٧] مثل «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه.» فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وأيضًا ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، ج٥،

بعد سؤالٍ للرسول كسبب نزولٍ لها مثل السؤال عن وصال الابن المُسلم للأم المشركة.[٦٨] والإجابة بالإيجاب. فبرُّ الوالدين يتجاوز الإيمان والكفر. وتنزل الآية تصديقًا لقول النبي.[٦٩] وقد يكون ذلك من الراوي أو من أحد المُحاورين مثل عائشة أو تصديقًا لفعله مثل إنزال الحجاب.[٧٠] وقد يكون فعل الرسول سببًا لنزول الآية.[٧١] وقد يكون نزول الآية سببًا للقول المباشر.[٧٢] وقد يكون نزول الآية سبب قول الحديث.[٧٣] وفي هذه الحالة يكون شرحًا لها أو تعليقًا عليها أو تطبيقًا لها. وقد يكون الحديث سبب نزول الآية وتكون الآية تصديقًا له.[٧٤] وقد تكون الآية سببًا لتعليق أحد الصحابة.[٧٥]

(د) الآية في قول الصحابي

وقد تكون الآية في سؤال الصحابي للرسول بعد نزولها للاستفسار عنها[٧٦] وقد يروي الصحابي شيئًا عن الرسول ويستعمل آية.[٧٧] وأحيانًا تَلقى الآية على لسان أحد الصحابة

٦٦. دعاء الرسول إلى قول «اللهم العَنْ فلانًا وفلانًا وفلانًا بعدما يقول سمِع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ص١٢٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾، ص١٥٣ ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ ص١٦٠. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ص١٦١. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ ص١٦٤، الاختلاف مع عمر حول المنافقين الذين شاهدوا بدرًا ورفض عُمر العفو عنهم وموافقة الرسول ونزول الآية تأييدًا لقول عمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ ص١٨٥.

[٦٨] ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾، ج٨، ٥، ٨٩، ج٩، ٦٥، ٩٠، ١٠٨، ١٢٠، ١٥٢، ١٦٦–١٦٧.

[٦٩] وهي آية ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، ج٨، ٩، ١٠٤، ١١٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٩٠ ج٩، ٢، ٦٧–٦٨، ١٣٢.

[٧٠] وهي آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾، ج٨، ٦٦، ٧٦.

[٧١] مثل غفوته عند عائشة فنزلت آية ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾، ج٥، ٩. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ﴾، ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ ص١١٤.

[٧٢] لَّما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ نادى النبي «يا معشر قريش.» وعدَّد بطونها، ج٤، ٧–٨.

[٧٣] لَّما نزلت آية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال الرسول «أعوذ بوجهك.» ج٦، ٧١، ٢٠٤–٢٠٥، ٢٢١.

[٧٤] ج٦، ١٣٨.

لأنَّ الرسول يُحِب أن يسمعها من غيره.[٧٨] ويَستشهد أحد الصحابة بالآية لتصحيح شَبَه الابن إلى غير أبيه. وقد يستعمل أحد الصحابة الآية لتأييد فعل الرسول.[٧٩] وقد يستعمل أحد الصحابة الآية في روايته.[٨٠] وقد يستعمل أحد الصحابة الآية لتأييد قوله أو فِعله أو مَوقفه.[٨١] وقد تُوجَد إحدى الآيات أثناء جمع المُصحف مع أحد الصحابة. وتأتي الآية كسندٍ للرواية كما قال أحد الصحابة مؤيدًا روايته ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

---

٧٥ لَمَّا نزلت آية ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، قالت عائشة «ما أرى ربك إلَّا يُسارِع في هواك.» ج٦، ١٤٧–١٤٨.

٧٦ مثل السؤال عن آية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ بعد نزولها وجواب الرسول، ج٤، ٩.

٧٧ كان طاووس إذا سُئل عن شيءٍ من أمر اليتامى قرأ ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، ج٤، ١٢.

٧٨ «اقرأ علي ... فإني أُحب أن أسمَعه من غيري.» فقرأ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فذرفَتْ عيناه. ج٦، ٥٧. وعلى لسان عائشة ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ في حديث الإفك ص٩٦، ١٠٧–١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٢٣، ١٣١، ١٣٨، ١٤٥–١٤٧، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٦، ١٨٤، ٢٠٨، ٢١٠–٢١١، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٨–٢٢٩.

٧٩ لَمَّا قدم الرسول قرأ أحد الصحابة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ج٥، ٨٤.

٨٠ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾، ج٥، ١١٢.

٨١ مثل تأييد قول عمر «ألا من كان يعبُد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.» بآيات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَيِّتُون﴾، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾، ج٥، ٨–٩ واستعمال أبي بكر دفاعًا عن الرسول عندما حاول أحد المشركين خنقَه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ص١٢، ٥٨. تعليم أحد الصحابة لآخَر قراءة آية ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، ص٣١–٣٥، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ هي رؤيا عين، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ هي شجرة الزقوم، ص٦٩ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ص٩٣ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، ص١٢٢، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ص١٣٠، استعمال عائشة آية ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ص١٥٢–١٥٣. تحذير الآية لأبي بكر بالامتناع عن الإنفاق عمَّن روَّج حديث الإفك ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ص١٥٣، خصام عائشة مع مُروِّجي حديث الإفك ﴿الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ص١٥٥ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ ص١٩٠، استعمال مُعاذ آية ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ في الصلاة ص٢٠٦.

مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.[٨٢] وقد يسأل الصحابي عائشة عن معنى آية.[٨٣] وقد يستعمل الصحابة الآية في أقوالهم.[٨٤] وقد تتضمَّن الرواية بعض تفاسير الصحابة كابن عباس للآيات القرآنية مثل شرح الدخول والمَسيس واللماس بالجماع.[٨٥] وكثير من التفاسير من عائشة. كما تتضمَّن شرح بعض ألفاظ الحديث. فالخمر ما خامر العقل.[٨٦] والخمر من خمسة: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير. وإذا لم يُسكِر فلا بأس به. وكانت عائشة تنقع للرسول تمراتٍ من الليل من ثور. ويتحول كلام رجل من الأنصار إلى وحي لا فرق بين كلام البشر وكلام الله مثل ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.[٨٧] ونزول الآية سبب في سؤال الصحابي.[٨٨] وقد تكون رواية أحد الصحابة عن الرسول سببًا لنزول الآية.[٨٩] وقد تنزل الآية لرفع الخلاف بين الصحابة وإعادتهم إلى وحدة الرؤية عند الرسول.[٩٠]

(هـ) الآية في الرواية لأسباب النزول والنسخ

وتروي الرواية سبب نزول القرآن. وهو ليس الهدف منها.[٩١] وقد تكون عائشة مصدر سبب نزول الآية.[٩٢] وتذكر الرواية سبب نزول الآية.[٩٣] ونزلت آية ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾

[٨٢] ج٤، ٢٠٥.

[٨٣] سأل أحد الصحابة عائشة عن آية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾، ج٤، ١١.

[٨٤] مثل استعمال عمر لتأييد قوله «مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.» وتأييدها بآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، ج٦، ١٧.

[٨٥] ج٧، ١٤، ٢٠–٢١.

[٨٦] ج٧، ١٣٦–١٣٧.

[٨٧] ج٩، ١٣٩.

[٨٨] لَمَّا نزلت آية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة للرسول أن يُنفق أحبَّ ما لديه، ج٤، ١٣.

[٨٩] سمع أحد الصحابة أنَّ الرسول قال لأحدِهم أنه من أهل الجنة وهو عبد الله بن سلام، ج٥، ٤٦، ونزلت آية ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾، بسبب نزول آية ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ص٥٧. ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، ص٩٥–٩٦ ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾، ص١٢٣ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ص١٢٧.

[٩٠] اختلف أبو بكر وعُمر وعلَتْ أصواتهما فأبعدهما الرسول ونزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾، ج٤، ٢١٣.

والرسول في غار حراء.[94] وقد يكون سبب نزول الآية في الرواية وليس في القول المباشر.[95] والرواية تضع المناسبة التي تنزل فيها الآية.[96] وكان الرسول يقول لا أدري إذا لم ينزل عليَّ الوحي. ولا يقول برأيٍ ولا بقياس.[97] قول يهودي «إن الله يُمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والخلائق على أصبع ثم

[91] عندما نزلت آية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال الصحابة «أيُّنا لم يظلم؟» فنزلت آية ثانية ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ج١، ١٥. نزلت آية ﴿ويسألونك عن الروح﴾ بناء على سؤال يهودي لإحراجه ص٤٣. وقُبلة رجلٍ لامرأة سب نزول آية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ص١٤٠. في صلاة الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ج٢، ١٦ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ ...﴾ ج٢، ١٦ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر ص١٢٢. ج٣، ١٣.

[92] اختلاف المسلمين في المنافقين في أُحد ونزول آية فما لكم في المنافقين فئتين ص٢٩. سبب نزول آية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ ج٣، ٧١، ٧٣ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ ٧٩ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ص٨٢ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ ص١٢١، ج٣، ١٣٤. موضوع حلف اليمين سبب نزول آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ﴾ ص١٤٥، ١٨٧–١٨٨ سبب نزول آية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ص١٤٩. الحلف باليمين سبب نزول آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ص١٦٠ سبب نزول آية ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ ص١٧٠ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ ص١٧٣ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ في امرأتين للرسول ص١٧٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ نزلت في حديث الإفك ص٢٣٠ وأيضًا ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ ص٢٣١. رفض حلف اليهودي كذبًا وأخذه أموال الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ص٢٣٢–٢٣٥ وأيضًا ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ ...﴾. الاستحلاف ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ...﴾ ص٢٣٥ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ ص٢٤٠. بعد رفض أنصاري أمر الرسول نزلت ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ص٢٤٥ ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ ص٢٤٧، ٢٥٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾، ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ ص٢٥٨. سؤال الناس الرسول في النساء فنزلت ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ ج٤، ١١ سبب نزول آية ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ طبقًا لعائشة ص١٢ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ ص٢٣، ٣٠، ٣٦.

[93] وهي آية ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ... وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، السابق ج٦، ٨-٩.

[94] السابق ج٤، ١٥٧.

[95] مثل آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾، السابق ج٤، ١٦.

[96] السابق ج٩، ٢، ١١٢، ١٢٤، ١٨٦.

[97] السابق ص١٢٤.

يقول أنا الملك.» فضحك الرسول حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.[٩٨] وقد تذكر الرواية سبب نزول الآية قبل ذِكرها. ثم أصبح الأمر موضوعًا لتأليفٍ مُستقل.[٩٩] وقد تُوضَع أكثر من آيةٍ في سبب النزول، الثانية مجرد إضافة. ثم يُملي الرسول على الصحابي الآية بعد نزولها. وقد يطلُب الرسول من أحد الصحابة تلاوة القرآن لآيةٍ يُريد سماعها بصوت غيره. ويبكي عندما يسمع آية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.[١٠٠]

تغطي الرواية الظرف الذي قيل فيه الحديث، وهي ما عُرف باسم أسباب النزول، مثل قول أحدهم إنه يُواصِل الصلاة في الليل، وآخَر إنه يصوم الدهر، وثالث إنه يعتزل النساء، فقال الرسول إنه يصوم ويفطر ويُصلي ويرقُد ويتزوَّج النساء. ومَن رغب عن سنته فليس منه.[١٠١] ولَمَّا اعترض أحدهم على الزواج بأنه ليس لديه ما يتزوَّج به فأقرَّ الرسول بأنَّ من استطاع الباءة فليتزوَّج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم.[١٠٢] وقد تُعطي الرواية ظروف أسباب النزول ويكون الحديث أي الحُكم تناقضًا. تدلُّ شكاية الناس بعدم وجود نساء. ونهى الرسول مرةً عن الاستخصاء وأمر مرةً به. الأولى قول غير مباشر والثانية قول مباشر.[١٠٣] وقد تُعطي الرواية سبب نزول الآية.[١٠٤] وتعثُر الرواية على آيةٍ أثناء جمع القرآن لم تجِدها إلا عند واحدٍ من الصحابة.[١٠٥] وقد يأتي الراوي بالآية في روايته ليقويها، مثل العفو عن المشركين ويشرح معنى قول الرسول، وأن كل شيءٍ بإرادة الله، وأنه ليس كمثله شيء، يُدركه ذوو الألباب.[١٠٦] ويذكرها للراوي باعتبار مكان حفظها

---

[٩٨] السابق ص١٥٠–١٥١، ١٦٥، ١٨١.

[٩٩] السابق ج٦، ٢٥–٢٦، ٣١–٣٦، ٣٨–٣٩، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٥٨–٦٠، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٨، ٨٠، ٨٤–٨٧، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ١٠٩، ١١٨–١١٩، ١٢٤، ١٣١–١٣٢، ١٣٦، ١٣٨–١٤١، ١٤٧–١٤٩، ١٥٣، ١٥٧، ١٧١–١٧٢، ١٨٤–١٨٦، ١٨٩–١٩١، ١٩–٤، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٤٠.

[١٠٠] السابق ص٢٤١، ٢٤٣.

[١٠١] ج٧ ص٢.

[١٠٢] ج٧ ص٣.

[١٠٣] ج٧ ص٥، ٥٢.

[١٠٤] ج٧ ص٥، ٢٤.

[١٠٥] هي آية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، ج٦، ٩٠.

في صدْر أحد القرَّاء.[107] ويُبين الرسول أن آية ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ تُعادِل ثلث القرآن.[108] والحديث شرح للقرآن.[109] وقد يُذكر اسم سورة أو آية لبيان وقت نزولها، وأنَّ البخاري قد أصبح مثل الواحدي أو غيره لبيان أسباب النزول. فآخِر سورة نزلت ﴿بَرَاءَةٌ﴾، أو سورة النساء.[110]

وأسباب نزول القرآن في واقع المسلمين وفي حياة الناس وليس في شياطين السماء التي أُحيل بينهم وبينها. فلما ذهب الرسول استمعت إلى القرآن فأخبروا زملاءهم الشياطين ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ وهي آية أيضًا ممَّا يدل على أن القرآن أخذ كلام الشياطين وأعاد صياغته. ثم نزلت ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾.[111]

وقد تُعطي الرواية الناسخ والمنسوخ كمصدرٍ تاريخي. ويكون العنوان هو الآية والرسول مجرد وسيلة للتبليغ.[112] قد تأتي الآية لبيان الناسخ والمنسوخ.[113] وقد تتضمَّن الرواية إذا كان الحديث ناسخًا أم منسوخًا مثل حديث نكاح الْمُتعة.[114] وقد تُذكَر الآيات المنسوخة مثل «إنَّا قد لقينا ربَّنا فرضيَ عنا وأرضانا.»[115] وقد تُحدد الرواية إذا كانت الآية ناسخة أو منسوخة.[116] وقد يثبت حُكم الآية وإخراجها عن الناسخ والمنسوخ.[117] وقد يكون حديثًا في أصله قرآنًا منسوخًا أو قد يكون القرآن المنسوخ قرآنًا أصلُه حديث.[118] وقد تُخبِر الرواية عن آيةٍ نُسيت أن تُوضَع في المصحف لأنها لم تُوجَد إلا عند خزيمة الأنصاري.[119]

---

[106] ج٨، ٥٧، ٦٢–٦٣، ٩٦، ١٣٦، ١٣٩، ١٥٦–١٥٧، ١٦٤، ١٧٩، ١٨٦، ١٩٠–١٩١، ١٩٨ ج٩، ١٦٤–١٦٥، ١٦٨، ١٧٤–١٧٥، ١٧٧، ١٨١.

[107] ج٩، ٩٣.

[108] ج٩ ص١٤٠–١٤١.

[109] ج٩، ١٤٢–١٤٥، ١٤٧–١٥١، ١٥٥–١٥٦، ١٦٠، ١٦٣.

[110] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، ج٤، ٢١٢.

[111] ج١، ١٩٥–١٩٦.

[112] ج٣، ١٢٥.

[113] مثل آية ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ التي نسختها آية ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ج٨، ١٩١، ج٩، ٢٣، ٢٧.

[114] ج٧، ١٦، ٧٨، ١٣٨–١٣٩.

[115] ج٥، ١٣٥.

[116] مثل ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ منسوخة، ج٦، ٣٠–٣١.

(و) الآية في الرواية للشرح والتفسير والتأويل

وتستعمل الآية لشرح عنوان الباب مثل «مناقب المهاجرين وفضلهم»؛ فالآية أداة شارحة وليست فقط أساسًا أو مصدرًا.[١٢٠] وقد تشرح روايةٌ ألفاظَ بعض الآيات.[١٢١] يشرح الراوي معنى لفظ في الآية ﴿حَسِيبًا﴾ يعني كافيًا.[١٢٢] وهنا ينعكس الدور بدلًا من آية أن تكون الآية شارحة للرواية تكون الرواية شارحة للآية. ويبدأ كثيرٌ من الآيات بلفظ «قوله» أي أن الرواية تفسير للحديث.[١٢٣] ولا دخل للقول المباشر، أو «حدَّثنا»، «ثم قال»، «وقال الله»، «قوله»، «وقال اقرءوا»، «ثم قرأ». وقد تكون الرواية مملوءةً بالآيات دون الأقوال المباشرة للرسول وتكون حينئذٍ أقربَ إلى التفسير وأسباب النزول وأحيانًا إلى التأويل مثل آيات موسى والخضر.[١٢٤] وأحيانًا تكون الرواية تفسير الآية.[١٢٥] وذلك مثل تفسير آية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكذلك القراءة على سبعة أحرف.[١٢٦]

وكما أنَّ بدايات عِلم السيرة في عِلم الحديث في الجزء الخامس عن مغازي الرسول وهي أشبَهُ بالمناسبات التي قيل فيها الحديث فكذلك بدايات عِلم التفسير في عِلم الحديث

---

[١١٧] ج٦، ١٣٩.

[١١٨] مثل «لو أنَّ لابن آدم مثل وادٍ مالًا لأحبَّ أن له إليه مثله. ولا يملأ عين ابن آدم إلَّا التراب، ويتوب الله على من تاب.» وتكمل الرواية «كنا نرى هذا من القرآن.» ج٨، ١١٥.

[١١٩] وهي آية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾، ج٤، ٢٤.

[١٢٠] وهي آية ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ...﴾، ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾، ج٥، ٣. مناقب الأنصار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، ص٣٧. دعاء النبي ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ص٤٢–٤٣. باب الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ ص٥٨. حديث الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾، ص٦٦. غزوة بدر ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ ج٥، ٩٢. غزوة أحد ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾، ص١١٩–١٢٠. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ص١٩٤.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا﴾، ج٥، ٩٨، مثل وكأسًا دهاقًا أي ملأى مُتتابعة، ج٥، ٥٣. شرح عائشة ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، ص٩٨.

[١٢٢] ج٤، ١١ لأعنتكم لأحرجكم وضيَّق. وعَنتْ خَضعتْ، ج٤، ١٢.

[١٢٣] ج٦، ٢٢–٢٤، ٤٢، ٥٠–٥٦، ٧٧، ٩٦–٩٧، ١٠٢، ١١٧، ١٤٤، ١٧٥، ١٧٨–١٨٠، ٢١٠، ٢١٧.

في الجزء السادس في «البخاري» كتاب التفسير كما ظهر من قبل كأحد أبواب علوم القرآن.[١٢٧] والجزء السادس كله في البخاري «كتاب التفسير» أي أنَّ هذا الشكل الأدبي «القرآن والحديث» تفرَّد به كتاب بأكمله ولم يكتفِ أن يظهر من خلال باقي الكتُب الأخرى. ويسير كتاب التفسير على وتيرة واحدة، الآيات التي ذكرها الرسول سورة سورة على نحوٍ طولي، من «البقرة» حتى «الناس» كما هو الحال في علم التفسير.

وقد يكون تأويل الآية عنوانًا للباب. ويكون تأويل القرآن بالقرآن وتربطهما الرواية.[١٢٨] وقد تُذكَر الآية تدعيمًا للرواية وليس للقول المباشر للرسول، بل وتأويلها على وقائع في حياة الرسول مثل غزوة بدر.[١٢٩] وهذا هو الذي يُسمى التفسير النمَطي في علوم التفسير عندما تؤوَّل الآية طبقًا لحادثةٍ ماضية أو حاضرة أو مُستقبلة. وممَّا يساعد على هذا الاتجاه أحاديث لا تستبعِد التأويل بل تشرعه مثل: «أُنزل القرآن على سبعة أحرُف.» وأيضًا حديث «كلٌّ مُيسَّر لِما خُلق له.»[١٣٠] فالنصُّ القرآني له سبعة أبعادٍ تُطابق مستويات الشعور؛ وبالتالي يتوقَّف التأويل على اجتهاد المُؤوِّل ودرجة عُمقِه.

(ز) الحديث والتوراة والإنجيل

وقد ترجع الآية إلى مَثيلتها في التوراة.[١٣١] وقد تتشابه الآيتان في الألفاظ والصياغة. والأهمُّ هو التشابُه في المقصد والغاية طبقًا لقواعد التفسير النمَطي، فالمُشار إليه في الآيتَين واحد وهو الرسول. التوراة تتنبَّأ به. والقرآن يُشير إليه. فلا تعارُض بين التوراة والقرآن. الأولى تصبُّ في الثاني. الأولى مُقدمة، والثاني نتيجة. الأولى تاريخ والثاني تَحقُّق لغايته. وفي التوراة الصحيحة غير المُحرَّفة طبقًا للقرآن بشَّرَت هذه التوراة بالرسول ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ كما تنبَّأ به الإنجيل في رأي بعض المُفسِّرين المسلمين بما ذكر

[١٢٤] ج٣، ١٨٣ ﴿حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ص١٩٣، ٢٥١، ج٤، ٩٧، ٩٩.

[١٢٥] ج٩، ٨٤، ١٠٨، ١١٦، ١٥١، «يُحرِّفونه أي يتأوَّلونه على غير تأويله.» ص١٩٥.

[١٢٦] ، «فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرة ...» ص١٩٤.

[١٢٧] من النقل إلى العقل، ج١ علوم القرآن، من المحمول إلى الحامل، الجزء الثالث، الحوامل الذاتية، الجزء الثالث: التفسير.

[١٢٨] باب تأويل قول الله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وقضاء النبي بالدين قبل الوصية اعتمادًا على آية ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾، البخاري ج٤، ٦.

عن «الفارقليط». فالتوراة والإنجيل كلاهما يتنبَّأ بقدوم الرسول؛ وبالتالي لا يمكن إنكاره. وهو ما يراه مُفسِّرو الإنجيل أن التوراة قد تنبَّأت بقدوم المسيح أو المُخلِّص. فاليهودي يؤمِن بالمسيحية وبالإسلام بالضرورة. والمسيحي يؤمن بالإسلام بالضرورة. والمُسلِم يؤمِن بالمسيحية واليهودية بالضرورة. وإنكار اليهودي المسيحية والإسلام، وإنكار المسيحي الإسلام خطأ تاريخي. فالسابق يُمهِّد للَّاحِق. وهو موضوع شائع في الحوار بين الأديان الذي يدور حاليًّا والذي يتطلَّب الاعتراف بالأديان الثلاثة؛ ليس فقط بدافع الأخوَّة ومطلَب الحوار ولكن طبقًا للنصِّ والتاريخ.

تتنبأ التوراة ببعض صفاته في القرآن. فهو شاهد ومُبشر ونذير، شاهد على اليهود والنصارى بأنه مذكور في التوراة والإنجيل ولا يعترفون به. وهو مبشر مثل موسى وعيسى، يحمِل نفس الرسالة؛ التوحيد والعدل، الشريعة والمحبَّة. وهو نذير لِمن لا يؤمن بموسى وبعيسى وبخاتم الأنبياء.

وتوضع الآية في رواية عائشة عن حديث الإفك مُستعينة بيوسف.[١٣٢] فالحوادث النمَطية تتكرَّر، وما حدَث من اتهام يوسف مع امرأة العزيز حدَث أيضًا باتهام عائشة مع صفوان في حديث الإفك. فالوقائع النمَطية في تاريخ الأديان واحدة. الخطورة على موسى وهو طفل ووضْع أمِّه له في اليمِّ حتى أتى مصر. والخطورة على المسيح وهو طفل حتى هربت به أمُّه إلى مصر. والخطورة على عبد الله والد الرسول بضرْب الأقداح وضرورة ذبحِه في المرَّات الأولى حتى خرجت في المرَّة الحادية عشرة ثلاث مرات على الإبل.

وتصف الرواية أهل الكتاب بأنهم كانوا يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام.[١٣٣] فالمُسلمون يعرفون التوراة من اليهود. وكانوا على عِلمٍ بالإسرائيليَّات من أحبارهم. وفي بعض الروايات كانت التوراة مُترجمةً إلى العربية بفضل

---

[١٢٩] مثل استشهاد البخاري في روايته بآية ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ السابق ج١، ١٩، ٤٠، ٥٨، ٨٩، ٩٥، ١٠٩–١١١، ج٢، ٧، ٣٣، ٣٧، ٥٠، ٩١، ٢٠٩، ج٣، ٧–٨، ١٠، ١٧. الموقف من الجواري في السفر ص١٠٩–١١٠. ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ ص١١٧ كسْب البَغِيِّ والإماء ﴿تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ ص١٢٢.

[١٣٠] «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرُف، فاقرءوا ما تيسَّر منه.» ج٩، ١٩٥.

[١٣١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ في التوراة ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومُبشرًا وحرزًا للأميين …﴾، ج٦، ١٦٩–١٧٠ ج٣، ٨٧.

[١٣٢] ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ﴾، ج٣، ٢٣٠ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ ص٢٤٠.

اليهود العرَب في اليمن وفي المدينة. وكان الرسول على علم باليهودية والنصرانية أثناء رحلاته إلى الشام ومُقابلته بعض الأحبار والرُّهبان أثناء تجارته لزوجته خديجة.[١٣٤]

والقرآن كتاب عمل وليس فقط كتاب نظر مِثل سائر الكتب المقدَّسة السابقة؛ التوراة والإنجيل.[١٣٥] فالقرآن استمرار لها. والوحي اتجاه عمَلي أكثر منه اتجاهًا نظريًّا. يحثُّ على العمل مع أقل قدْر من النظر، وجود الله وخلود العالَم وخلْق النفس. وهي أيضًا قضايا نظرية لها آثار عملية في الإيمان بالتوحيد ومساواة البشر في الخلق، والعدل كمعيارٍ للحُكم بين الناس.

وقد تُذكَر الآية على لسان الأعداء، اليهود مثلًا، لحسَد المسلمين عليها اعترافًا بقوَّتها وتأييدها.[١٣٦] فما زال اليهود بالرغم من اعتراف القرآن بأنبياء بني إسرائيل إلا أنهم يُعادون المُسلمين صراعًا على السلطة على المدينة وحسدًا من أنه آخِر الرسالات، وتحوُّل الوحي منهم إلى غيرهم، وهو ما زال قائمًا حتى الآن.

(٢) الشعر في الحديث

وقد يصوغ النبي حديثه شعرًا. فقد أوتي جوامع الكلِم في مجتمع الشعر وبيئة الشعراء.[١٣٧] والقرآن نفسُه نوع أدبي بين النثر والشعر. تأثَّر به العرَب لأنه نوع جديد يتجاوز النثر والشعر. كان الرسول يُنشد شعرًا وهو يبني المسجد.[١٣٨] إيقاع الشعر مثل إيقاع البناء كما هو الحال في غناء البنائين وألحان سيد درويش. ويسمع الرسول الشعر ويتذوَّق ويترحَّم على قائله.[١٣٩]

---

[١٣٣] ج٩، ١٣٦.

[١٣٤] «كيف تسألون أهل الكتاب عن كتُبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدًا بالله تقرءونه مُحصَّنًا لم يُشَب.» ص١٨٧. وكان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، ص١٩٣.

[١٣٥] ج٩، ١٩٠.

[١٣٦] وهي آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ج٤، ٢٢٤.

[١٣٧]

اللهم إن الخير خير الآخرة　　فاغفر للأنصار والمهاجرة

ج٩، ٩٦.

وكعادة العرب في التعبير بالشعر، فهو ديوان الجاهلية تُصاغ الرواية وبها بعض أبيات الشعر لمدح الرسول.[١٤٠] وكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى أنشد شعرًا.[١٤١] وكان بلال إذا أقلعت عنه الحُمَّى أنشد.[١٤٢] وينشد الشعر بعد تحرير العبيد.[١٤٣]

ويقابل الرسول الشعر بالشعر.[١٤٤] ويجيب الأنصار على شعر الرسول بشعرٍ آخَر.[١٤٥] وكانت عائشة تكره سبَّ حسان لأنه هو الذي مدح أبيها.[١٤٦] وتأتي الرواية بالشعر.[١٤٧] ويقوِّي الراوي روايته بالشعر.[١٤٨] وكان الشعر أداة تعبير للمُسلمين في ساعة المرَض وفي ساحة القتال.[١٤٩] والشعر له وزن خاص. الرجز في الحرب.[١٥٠] وكان المجاهدون ينشدون شعرًا.[١٥١] حتى الشهيد ينشد شعرًا في لحظته الأخيرة.[١٥٢] ولا يذكر فقط شعر المؤمنين بل أيضًا شعر الكفَّار. فقد رثى زوج طليقة أبي بكر كفَّار قريش.[١٥٣] ويدخل الشعر في المُباراة والصراع بين المُسلمين واليهود.[١٥٤]

(٣) تعدُّد اللغات في الحديث

والرسول على علم باللغات المجاورة مثل الحبشية. ويقول «سنه، سنه» أي حسن، حسن.[١٥٥] فالتاجر يتكلَّم كل اللغات في السوق، في حدِّها الأدنى، ولو بعض ألفاظ لضرورة التجارة. ولا يعرف الرسول وحدَه الحبشية بل أيضًا الراوي. إذ تعني «الأواه» الرحيم بالحبشية.[١٥٦] و«حصب» حطب بالحبشية، والمشكاة الكوة. فقد أتى القرآن بالعربية في بيئةٍ متعددة اللغات. واستعمل بعض الألفاظ الأجنبية المُعربة. كما يحدُث هذه الأيام في بعض الألفاظ العلمية والنقدية.

١٣٨

هذا الحمال لا حمال خيبر   هـذا أبـر بـنـاءً وأطـهَـر

وأيضًا:

اللهم إنَّ الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصاري والمهاجرة

ج٥، ٧٨، ٨٧.

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة   فاغفر للمهاجرين والأنصار

ص١٣٧–١٣٨.

ولا يعرف الرسول والصحابة والرواة الحبشية فحسب بل يعرفون النبطية كذلك. فلفظ ﴿طه﴾ يعني بالنبطية «يا رجل».[١٥٧] وتذكر الرواية اللغات التي يتكلَّمها الرسول مثل القسطاس أي العدل بالرومية.[١٥٨] ويتكلم الرسول بألفاظ أجنبية حبشية ورومية وفارسية وقبطية وهي ألفاظ قد عُرِّبت من قبل في شبه الجزيرة العربية التي كانت في علاقاتٍ لغوية وثقافية ودينية مع باقي الشعوب المجاورة.[١٥٩] وقال بالفارسية كِخْ كَخْ.[١٦٠]

وقد يستعمل الرسول لغة الإشارة باليد للتعبير عن العدد مثل «الشهر هكذا وهكذا.»[١٦١] ويستعمل الرسول لغة الجسد في التعبير عن قصر العمر، وأنه بين الحياة والبعث ما بين السبابة والوسطى.[١٦٢] وتصف الرواية إشارات النبي ولغة جسده باليد أو الرأس أو الابتسامة أو العبوس.[١٦٣] وهو ما يُعرَف في علم السيميائيات بلغة الجسد التي يُتقنها المُمثل العادي أو المُمثل الصادق. ولغة الإشارة هي أداة التعبير عند الأُمِّيين، والأكثر تأثيرًا وفهمًا عند العامة، لغة البصر وليست لغة السمع. بل إنها لغة بأكملها في فن «التمثيل الصامت» وهي أيضًا لغة بأكملها عند الصُّم، معروفة باسم لغة الإشارة التي تُلقَى بها نشرة الأخبار.[١٦٤] وحاليًّا يستعمل الأعمى ما يُسمَّى بطريقة «برايل» نسبة إلى مُخترعها، وهي تحويل الكلام إلى نقاطٍ بارزة عن طريق تخريم الورَق وهي تعادل الحروف عند المُبصرين. وبعض أفعال الرسول تقليد لغيره مثل نقش الخاتم، فقد كان عادة الأعاجم والرُّوم لأنهم لا يقبلون كتابًا ليس عليه خاتم. فاتَّخذ النبي خاتمًا من فضة ونقش عليه اسمه.[١٦٥]

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة	فاغفر للأنصار والمهاجرة
اللهم لا خير إلا خير الآخرة	فبارك في الأنصار والمهاجرة
نحن الذين بايعوا محمَّدا	على الجهاد ما بقينا أبدا
نحن الذين بايعوا محمدا	على الإسلام ما بقينا أبدا

ص١٣٨.

١٣٩

والله لولا الله ما هدينا	ولا تصدَّقنا ولا تصلينا
فأنزلن سكنية علينا	وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلي قد بغوا علينا	إذا أرادوا فتنة أبينا

ص١٤٠.

ثالثًا: الأنواع الأدبية

ويُحيل هذا التحليل الأول «القرآن والحديث» والشعر واللغة إلى الأنواع الأدبية، مثل القول المباشر والحوار، سواء كان السؤال من الصحابي والجواب من الرسول أو السؤال من الرسول والجواب من الصحابي.[١٦٦] القرآن والحديث والشعر واللغة هي مادة الأشكال الأدبية وليست صورتها.[١٦٧]

وتقلُّ الأشكال تدريجيًّا من حيث الكم. أكبرها الأول القول المباشر، والثاني سؤال الصحابي وجواب الرسول، ثم الثالث سؤال الرسول وجواب الصحابي، ثم الرابع القول المباشر والسؤال والجواب، ثم الخامس الحوادث العينية، ثم السادس التوجُّه السياسي، ثم السابع كتاب الرسول. فهناك الأشكال الأكثر شيوعًا وتلقائية في التعبير مثل القول المباشر، وهناك الأشكال الأقل شيوعًا مثل الرسائل المدوَّنة.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلَّينا
فاغفر نداء لك ما أبقينا وثبِّت الأقدام إن لاقَينا
وألقين السكينة علينا إنا إذا صِيح بنا أبَينا
وبالصباح عَولوا علينا

ص١٦٦.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المُطلِب

ص١٩٥.
ج٤، ٣٧، ٣٩، ٥٢، ٨١.
١٤٠
وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف عن البدر ساطع
أرنا الهدى بعد العمى فقلوبنا به مُوقنات أنَّ ما قال واقع
يبيت يُجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ج٢، ٩٦.

(١) القول المباشر

الشكل الأول. حديث الرسول مثل حديث «إنما الأعمال بالنيات.» وهو الأكثر شيوعًا، مثل نزول الآية بلا سبب نزول، ابتداء. القول المباشر هو الحديث-النموذج.[١٦٨] وهي السنة القولية فقط دون الفعلية في الخطاب النبوي المباشر وليس خطابًا عنه من وصْف الآخرين؛ الراوي أو المُحدِّث.

وقد يكون القول المباشر قولًا طويلًا لا يمكن لذاكرةٍ أن تعِيَه. يقصد حكاياتٍ وأخبارًا لا دلالة عملية عليها.[١٦٩] وفي هذه الحالة فإنَّ الراوي يُقطِّعه حتى يسهل تذكُّره. وقد تكون رواية في صياغة أخرى مما يدل على ضعف الذاكرة في حفظ الأقوال. وقد ينقطع القول عدة مرَّات حتى يتِمَّ تنفيذ الأمر. فكل قول أمر. فالأوامر لا تُعطى إلا في صياغاتٍ قصيرة إلا إذا كانت حكاياتٍ وقصصًا وأخبارًا.[١٧٠] وقد يكون القولان في صيغة الأمر، مرة أو عدة مرات.[١٧١] وتَقطُّع القول المباشر في قولَين يدلُّ على احتمال التركيب.[١٧٢] وتَقطُّعه في ثلاثة يدل على التركيب المُصطنع.[١٧٣] قد يتقطَّع القول المباشر عدة مرات. وتتغير صياغاته بين الأمر مرةً أو أكثر، مثل الخرص والإحصاء والتنبؤ بالمستقبل، مثل هبوب ريح شديدة، والإخبار مثل التعجُّل بالذهاب إلى المدينة وتحديد الأمكنة مثل طابه وجبيل والتعاطف معه، ودور الأنصار وكلها خير.[١٧٤]

فإذا قال الرسول «اللهم ارحم المُحلقين.» فإنه يُذكِّر بـ «والمقصرين» فيقول والمُقصرين. يكمل قوله بالناقص من الناس. فقول الرسول بديهي، يطابق العقل والواقع. ويمكن لأحدٍ غيره إكماله إذا سمِع نصفه. وقد حدث ذلك في القرآن أيضًا عندما صاح أحد كتاب الوحي بعد أن سمع تطوُّر الجنين في بطن الأم «فسبحان الله أعظم الخالقين.»

---

[١٤١]

كل امرئ مُصبِّح في أهله   والموت أدنى من شراك نعلِه

[١٤٢] قول حسان:

وهان على سراة بني لؤي   حريق بالبويرة مُستطير

ج٣، ١٣٧.

[١٤٣]

يا ليلةً من طُولِها وعَنائها   على أنها من دَارَةِ الكفر نجَّتِ

(أبو هريرة) ج٣، ١٩١.

فقال له الرسول اكتب هكذا نزلت. فالقول مشترك بين الرسول والسامع. الرسول يبدأ، والسامع يُنهي. الرسول يقول، والسامع يُذكِّر ويستدرِك.[١٧٥]

ووجود أكثر من صياغة للقول المباشر قد يدل على أوجه التطابُق مع الواقع التاريخي. ويُبرِز الراوي هذه الاختلافات بذِكر الصياغتَين بلفظ «قال» أو «حسبت» أو «كلمة نحوها» أو بإيراد نفس الحديث أكثر من مرةٍ متتالياتٍ أو مُتفرقات.[١٧٦]

وقد يكون القول المباشر في صيغة تساؤلٍ استنكاري قد يكفي، وقد يلحق به قول إيجابي، استنفارًا لبداهة السامع ولجوءًا إلى فطرته.[١٧٧] وقد يكون القول في صيغةٍ تساؤلية مثل «أليس إذا حاضت ولم تُصلِّ فذلك نقصان دينها؟»[١٧٨] فالحقيقة في ذهن السامع وليست فقط على لسان المُتكلم. وهي الطريقة السقراطية الشهيرة.

وقد يخاطب الرسول مجازًا أصبعه الدامية ويُواسيها أنه في سبيل الله.[١٧٩] فالقول تعبير عن النفس وليس بالضرورة إيصالًا لأحد. وقد يكون الخطاب للأشياء وللطبيعة كما يفعل الشعراء وكتَّاب المسرح. وقد يكون قول الرسول مثلًا.[١٨٠] فالمثل للشرح ولتقريب المعنى للإفهام وهو من فنون القول. استعمله القرآن كثيرا ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾. يُثير الخيال. ويحول المعنى إلى إدراكٍ حِسِّي، والفكرة إلى رؤية، والمجرَّد إلى عياني.

---

[١٤٤] أنشد الرسول:

إن العيش عيش الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة

فردُّوا:

نحن الذين بايعوا محمَّدَا   على الجهاد ما بقينا أبدَا

ويُجيب النبي:

لا خيرَ إلا خيرَ الآخرهْ   فبارك (فأكرم) في الأنصار والمهاجرهْ

ج٤، ٣١، ٦١.

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المُطَّلِب

ج٤، ٣٧، ٣٩، ٥٢، ٨١.

وقول الرسول أنواع: القول المباشر، الأمر أو النهي. وقد يعترض على الأمر.[181] ومع ذلك يكرر الرسول الأمر؛ فالأمر أمر للطاعة حتى ولو لم يُجِب عن كل التساؤلات حوله. الأمر للامتثال والتكليف كما يقول الأصوليون في مقاصد الشارع.[182] وفي حالاتٍ استثنائية قد لا يتمُّ تنفيذ طلب الرسول؛ فعندما طلب الرسول أن يكتب للناس كتابًا لا يَضلُّون بعده، رفض عُمر ظانًّا أن هذا الطلَب من وجع الرسول، ويكفي كتاب الله. فأخرجهم الرسول من مجلسه لأنه لا ينبغي عنده التنازُع.[183] ولمَّا حرَّم الرسول كل شيءٍ في مكة طلب أحدُهم استثناء الإذخر، ففعل. فالأمر يأخذ موقف المأمور بعَين الاعتبار. الأمر ذاتي والمأمور موضوع. وكل ذات تحقق في موضوع.

وقد يأمر الرسول أحد الصحابة باستنصات الناس قبل أن يتكلَّم كما يحدُث في هذه الأيام «سمع ... هوس.»[184] فالأمر يوجب السماع. والسماع يتطلَّب الصمت. الأمر يوجب

---

[145] مثل شعر امرئ القيس:

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لِكُلِّ جهول

حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها ... ولَّت عجوزًا غير ذات حليل

شمطاءَ يُنكَر لونُها وتغيَّرت ... مكروهة للشمِّ والتقبيل

ج٩، ٦٨.

[146]

نحن الذين بايعوا محمَّدَا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

ص٩٦.

وقال بلال:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ... بوادٍ وحولي إذخر وجليل

ص١٠٤.

وقال خبيب الأنصاري:

ولستُ أبالي حين أقتل مُسلمًا ... على أي شقٍّ كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ مُمزَّع

ص١٤٧.

التهيُّؤ للتنفيذ بسماعه وفَهمه. فالشريعة للإفهام كما يقول الأصوليون.[١٨٥] وقد يُنادي الرسول على أحدٍ مثل مُعاذ لإسماعه قوله؛ فالقول يحتاج إلى سامعٍ خاصٍّ قادر على الفهم والاستفادة والتنفيذ الفوري.[١٨٦] وقد يكون التعليق على «قول» أو «رأي» أو «فعل».[١٨٧] وقد يعترض رجل على قول الرسول فيَرد الرسول من جديدٍ شارحًا قوله الأول. فالقول حوار في موقف، يتبدَّل ويتغير طبقًا لتقديرات الموقف. وقد يكون قول الرسول بعد حركة نفورٍ واشمئزاز من أخذ القبور مساجد كما فعل اليهود.[١٨٨] فالقول استجابة لردِّ فعلٍ شعوري للرسول في موقفٍ مُعين. وقد يكون التعليق على فعل الرسول ذاته عندما ضمَّ ابن عباس وقال «اللهم علِّمه الكتاب.»[١٨٩] وقد يكون القول المباشر تعليقًا على حدَثٍ من الذاكرة مثل أمر الرسول بقتل الوزغ لأنه كان ينفخ على إبراهيم.[١٩٠] فالرسول يربط نفسه بأول المُسلمين. وربما يكون الراوي هو الذي فعل ذلك لجانبه الخيالي.

وقد يكون القول إدانة حدَث والتعليق عليه، مثل تنبيه أبي ذرٍّ أنه عيَّر أحدًا بأمِّه. كما علق على طريقة جلوس ثلاثة في الحلقة، من جلس في فُرجة بالحلقة بإيواء الله له،

١٤٧

فإنَّ أبي ووالده وعِرضي لِعِرض محمدٍ منكم وقاء

ج٥، ١٥٠.

١٤٨

إذا ما قمتُ أرحلها بليلٍ تأوَّهُ آهةَ الرجل الحزين

ج٦، ٨٠.

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربًا تَواصى به الأبطال سجِّينا

ص٩٢.

حصانٌ رَزان ما تُزنُّ بريبةٍ وتُصبح غرثى من لحوم القوافل

ص١٣٣.

يُذكرني حاميم والرُّمح شاجر فهلَّا تلا حاميم قَبْل التقدُّم؟

ص١٥٨.

ومن جلس في الخلف باستحياء الله منه، ومن غادر بإعراض الله عنه.[١٩١] ومثل التعليق على من تبوَّل في المسجد، ورؤية حيَّة والأمر بقتلِها للوقاية من شرِّها. وأحيانًا يحتاج الأمر إلى سؤال للاستفهام بقتْل رجلٍ مُتعلق بأستار الكعبة وقوله «اقتلوه»، دون سؤالٍ عن السبب ودون تبرير.[١٩٢] وقد يتكرَّر القول لمزيدٍ من التأكيد وبيان أهمية الأمر. وقد يكون التعليق على حدَث منه، مثل الصلاة بالليل وعدم خروجه حتى لا تُفرَض على الناس، ورفضه السلام لأنه كان يُصلي. فالصلاة شغل وانشغال.[١٩٣] وقد يُلقى الحديث مرَّتين، الأولى قبل الفعل، والثانية بعد الفعل. الأولى توجيه، والثانية تأكيد. فالفعل نهاية القول وبدايته. الفعل غاية القول، والقول وسيلة.

وقد يكون الحدث موقفًا؛ خصومة مثلًا، يختلف فيها الناس ويعلو صوتهم فيتحدَّث الرسول لحل النزاع وإعطاء الحل، مثل بيع الثمار قبل صلاحها.[١٩٤] وقد يكون الموقف

---

[١٤٩] كان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول:

كل امرئ مُصبِّح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعلِه

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحُمَّى يقول:

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحَولي إذخرٌ وجليل
وهل أرِدَنْ يومًا حياة مجنة ... وهل يبدوَنْ لي شاقة وطفيل

ج٥، ٨٤.

[١٥٠]

لولا أنت، ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزل السكينة علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلي قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

السابق ج٤، ٣١، ٧٨–٧٩.

[١٥١]

فلست أُبالي حين أقتل مُسلمًا ... على أي جنبٍ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ مُمزَّع

ج٥، ١٠٢، ١٣٣.

أجر الوصي وجريانه على عادة الأنصار وسُنَنهم ونيَّاتهم ومذاهبهم المشهورة، ويقترح أحدهم العشرة بأحد عشر أي العُشر وتفضيل الرسول الأخذ بالمعروف لِما يكفي. وقد يغضب البعض من حُكم الرسول في الخصومة. وقد يأتي القول المباشر على مرحلتين، بقرار ت «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وأمر «احتجبي» حتى يبدو الثاني نتيجة للأول وحتى يحتفظ كل أمرٍ بتغيره وتواصله في نفس الوقت.

وقد يكون القول تعليقًا على رؤية وتصديقها من مؤمنٍ كان يُصلي بالليل.[١٩٥] فالحدث ليس بالضرورة فعلًا أو واقعة. وقد يكون القول المباشر لتغيير عادة مثل تسليف الثمر في وزنٍ وكيلٍ معلومين وليس على الإطلاق كما كانت العادة.[١٩٦] وهو تخصيص لعموم بتعبير الأصوليين.[١٩٧]

وقد يكون القول تعبيرًا عن تغيير الأحكام فيما يعرف بالنسخ خاصَّة فيما يتعلق بالشعائر التي لها أهداف وقتية قد تتغيَّر بتغيُّر الزمان.[١٩٨] فالنسخ في الحديث كما هو في القرآن. وتغير الزمان واقع في كليهما.

وقد يكون القول المباشر تصحيحًا لقول صحابي. فأراد عمر تعميم الصدقة وأراد الرسول تخصيصها بالأقربين.[١٩٩] وفي بعض الأقوال المباشرة جدل مع اليهود مثل الجدل حول آية الرجم هل هي في التوراة أم لا وإخفاء اليهودي لها بأصبعه.[٢٠٠] فأهل الكتاب خاصة اليهود حاضرون ضِمن المُحاورين والمستمعين للحديث وليس فقط الصحابة؛ البيئات المعادية والبيئات الصديقة.

---

[١٥٢]

ما أبالي حين أقتل مُسلمًا	على أي شقٍّ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلوٍ مُمزَّع

[١٥٣]

وماذا بالقليب قليب بدْر	من الشيزي تزيَّن بالسنام
وماذا بالقليب قليب بدْرٍ	من القينات والشِّرب الكرام
تُحيي بالسلامة أم بكرٍ	وهل لي بعد قومي من سلام
يُحدِّثنا الرسول بأنْ سنحيا	وكيف حياة أصدارٍ وهام

ج٥، ٨٣.

(٢) الرواية

وتتداخل الرواية إلى حدٍّ كبير أكثر من القول المباشر سواء في عناوين السوَر أو في ذكر الآيات.[٢٠١] فالراوي هو الذي يربط بين القول المباشر للرسول والآية بلفظ «يعني» أو «ثم تلا هذه الآية»، «قال رسول الله»، ثم قرأ، «فذاك قوله» يشرح الراوي ألفاظها منه.[٢٠٢] ويتحدَّث الراوي باسم الرسول ولسانه بحديث القرآن «ثم يقول». وقد يسأل الصحابي عن شيءٍ فيجيب بالقرآن.[٢٠٣] «قال الله لنبيه».

وتُنسج الرواية من ثلاثة أنواع من المواد:

(١) ألفاظ قرآنية وشرحها خوفًا من وضع آياتٍ بأكملها في موضوعات مختلفة وأوصافٍ من عمل الراوي.

(٢) أقوال الرسول غير المباشرة التي لا يمكن وضعها على لسانه خوفًا من الوضع.

(٣) أقوال على لسان الصحابة وهم أقرب الناس إلى الرسول، ولا يدخلها أي شك. والوضع على لسانهم أخفُّ وطأةً وأقل ذنبًا من الوضع على أقوال الرسول.

(٤) وصف ذاتي للراوي وهو أقل الذنوب لأنه لم ينسب وصفه لأحد.

والرواية نوعان: الأول أقوال غير مباشرة على لسان الرسول تحرَّج الراوي من وضعها كأقوالٍ مباشرة لظنيَّتها أو الشك في صحتها. والثاني وصف من الراوي أو المُحدِّث لوضع الحديث في سياق. وهو وصف شخصٍ لا علاقة له بالأقوال المباشرة للرسول أو لُمحاوريه من الصحابة أو الوفود أو النساء أو المُفسرين. أما العنعنات فخاصة بالسند وليست بالرواية. والرواية هي التي تتضمَّن القول غير المباشر الذي يتضمَّن السُّنَن

---

[١٥٤] قال حسان بن ثابت عندما حرق النبيُّ نخل بني النضير:

وهان على سراة بني لؤي ‏ ‏ ‏ ‏ حريق بالبويرة مُستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيعٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وحرَّق في نواصيها السعير

ستعلَمُ أيَّنا منها بنزهٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وتعلم أيَّ أرضينا نضير

ج٥، ١١٣.

الفعلية والأوامر والنواهي، مثل نهي الرسول عن الاستخصاء بسبب عدم وجود النساء.[٢٠٤] والرواية وصف لأفعال الرسول أو الصحابة أو البيئة الاجتماعية التي عاش فيها الرسول؛ فهي أقرب إلى السنة الفعلية منها إلى السنة القولية.

ولا يُوجَد ضمان لصحة القول المباشر. فلربما كان قلبًا لرواية أو كانت الرواية قلبًا له دون أي حرجٍ من الراوي بتقابُل القولين.[٢٠٥] رواية المُحدِّث التي تربط بين الأحاديث خارج الحديث لأنها تاريخ خالص مثل رواية البخاري عن غار حراء وعن كتاب الرسول إلى عظيم الروم وماذا فعل مع البطاركة.[٢٠٦] وأحيانًا تكون الرواية أطول من القول المباشر. فالوصف يطول والقول سهم. الوصف دائرة والقول خط، باستثناء الأحاديث الطوال. الرواية هي التي تُقسِّم الحديث إلى كتبٍ وأبواب وتضع لكل كتابٍ وباب رأس موضوع. والتبويب اختيار ورؤية وليس مجرد عنوان وتصنيف.

وقد تصوغ الرواية حديث الرسول بشكلٍ مُستقل، وتصنع له الإطار، وتفسر قول الرسول، وتُصدِر الحُكم كتعليق منها نهائي مثل رواية أبي هريرة عن كذب إبراهيم ثلاث مرات، ومنها بالنسبة لزوجته وادِّعاء أنها أخته ليُنقذها من فرعون فأنقذها الله، ووهب لها هاجر، وتعليق أبي هريرة «فتلك أحكم يا بني ماء السماء.»[٢٠٧] وقد تكون الرواية حكايةً مستقلة مُمهِّدة لقول الرسول مثل حكاية الأخ الذي طلب من أخيه مناصفته في ماله وأهله فرفض ونزل السوق فكسب وتزوَّج بما كسب فاستحسنه الرسول وطالبه

---

[١٥٥] ج٥، ٦٤.

[١٥٦] ج٦، ٩١. الأترج بالحبشية مُتَّكِئًا، ص٩٤، ١٢١، ١٢٤.

[١٥٧] ج٦، ١١٩.

[١٥٨] ج٩، ١٩٨.

[١٥٩] قال الرسول سنه، سنه وهي بالحبشية، حسنة، ج٤، ٩٠.

[١٦٠] ج٤، ٩٠.

[١٦١] ج٣، ٣٤–٣٥ وهو ما يُسمَّى Body Language.

[١٦٢] «بُعِثتُ أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين.» ج٧، ٦٨.

[١٦٣] ج٧، ٦٥–٦٦.

[١٦٤] التمثيل الصامت Pantomime.

[١٦٥] ج٧، ٢٠٢–٢٠٤.

[١٦٦] ج٦، ٢٠–٢١.

[١٦٧] الأشكال الأدبية Formes Littéraires. الأنواع الأدبية Cenres Littéraires.

بأن يُولِم ولو بشاة.[٢٠٨] وقد تُهيئ الرواية الموقف كي يسأل الرسول، مثل إسراع بعيرٍ بعد وخزِه وسؤال الرسول عن سبب الاستعجال وإخباره بالعُرس فسأل عمَّا إذا كانت العروس ثَيِّبًا أم بكرًا حتى يُوصي بالبكر كي تلاعِب الرجل ويلاعبها.[٢٠٩] وتتضمَّن الرواية الحوار مع الرسول كجزءٍ من الإطار العام للحديث. وتظهر عائشة كمُحاور رئيسي.[٢١٠] وقد تتضمَّن الرواية السؤال المباشر أو الصورة الفنية حتى يقيس عليها الرسول مثل سؤال عائشة عن أي شجرةٍ ترتع فيها البعير؛ المأكولة من مثل أم التي لم يؤكَل منها؛ تقصد الثيِّب أم البِكر، لتخبره أنها البكر الوحيدة من زوجاته الثماني.[٢١١]

[١٦٨] ج١، ٢، ٤، ٨–٩، ٢١ حديث لخديجة «زمِّلوني.» «لقد خشيتُ على نفسي.» السابق ص٣، وأحاديث «إنما الأعمال بالنيات.» «بُني الإسلام على خمس.» «الإيمان بضع وستون شعبة.» «المُسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده.» «لا يؤمن أحدكم.» «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان.» «آية الإيمان حُبُّ الأنصار.» «يُوشِك أن يكون خير ما للمُسلم ...» «رأيتُ النار فإذا أكثرُ أهلها النساء.» ص١٤ «آية المنافق ثلاث.» «أربعٌ من كنَّ فيه كان مُنافقًا خالصًا ...» «من يقُم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ...» ص١٥، «انتدب الله لمن خرج في سبيله ...» ص١٥–١٦. «إن الدين يُسر.» ص١٦. «من اتَّبع جنازة مُسلم ...» ص١٨. «سباب المُسلم فسوق.» ص٢٠ «ويل للأعقاب من النار.» ص٢٣، «من يُرِد الله به خيرا.» ص٢٧. «يسِّروا ولا تُعسِّروا.» «لا حسَد إلا في اثنتين ...» ص٢٨. «بينما موسى في ملأ ...» ص٢٩–٣٠. «مثل ما بعَثني الله ...» «إن من أشراط الساعة.» ص٣٠–٣١. «ارجعوا إلى أهليكم فعلِّموهم.» ص٣٢. «ثلاثة لهم أجران ...» ص٣٥. «إن الله لا يقبض العِلم انتزاعا.» ص٣٦، ٣٧–٣٨، ٤٠–٤١، ٤٣–٤٤، ٤٦–٤٨، ٥٠–٥٤، ٥٥، ٦٢، ٦٣–٦٤، ٦٨–٧١، ٧٣، ٨٠، ٨٣، ٨٦–٨٧، ٨٩–٩١، ٩٧، ٩٩–١٠٠، ١٠٣–١٠٥، ١٠٨–١٠٩، ١١٤، ١١٨–١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢–١٤٣، ١٤٥–١٥٢، ١٥٤–١٥٦، ١٥٨–١٦٨، ١٧١–١٧٢، ١٧٧–١٧٨، ١٨٠–١٨١، ١٨٤–١٨٥، ١٨٩–١٩٢، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٧–٢٠٨، ٢١١–٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩. ج٢، ٢–٧، ٩، ١٢–١٣، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٩–٣٣، ٤١–٤٦، ٤٨–٤٩، ٥٤، ٥٩–٦٠، ٦٣، ٦٨، ٧٠–٧١، ٧٦–٧٧، ٧٩–٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٧، ٨٩–٩٠، ٩٢–٩٣، ٩٩–١١١، ١١٤، ١١٨، ١٢٠–١٢١، ١٢٣–١٢٥، ١٢٩–١٣٠، ١٣٢–١٤٤، ١٤٧–١٦٠، ١٦٤–١٦٧، ١٧٠، ١٧٢–١٧٤، ١٧٦–١٧٧، ١٨١–١٨٤، ١٩١–١٩٢، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥–٢٠٦. ج٣، باب العمرة ج٣، ٢، ٤–٦، ٨–١٠، ١٤، ٢٠–٢١، ٢٥–٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٦–٤٧، ٥١–٥٢، ٥٤، ٥٧–٦٤، ٦٦، كتاب البيوع ج٣، ٦٧. ٦٨، ٧٠–٧١. ٧٣–٧٩، ٨٢–٩٨، بيع النخل وثمره للبائع إلا إذا اشترط الشاري ج٣، ١٠٢، ١٠٧–١١١، ١١٥–١٢١، الحوالة ص١٢٣، ١٢٦، ١٣٤–١٣٦، ١٤٠–١٥٧، ١٦١، ١٦٤–١٦٥، ١٦٧–١٧٤، ١٧٧–١٧٩، ١٨١–١٨٢، ١٨٤–١٨٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٥–١٩٨، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٤–٢١٧. الشهادة على الأنساب ص٢٢٢، ١٢٤–١٢٦، ١٣٢، ٢٣٤، ٢٦٠، ج٤، ٢–٩، ١٤–١٦، ١٨–٢٢، ٢٥–٥٣، ٥٧–٥٨، ٦٢–٦٥، ٦٨–٨١، ٨٣–٨٨، ٩٤، ٩٦، ٩٨–٩٩، ١٠١–١٠٦، ١٠٨–١١٣، ١١٤–١٢٢.

والرواية تضع السؤال لتسمح للرسول بالإجابة.[٢١٢] وقد يمتدُّ السؤال ليصبح قصةً ومناسبة، السؤال آخِرها. مثل متى الساعة؟ وقد يتقطَّع السؤال إلى سؤالين.[٢١٣] وقد تُوضَع الرواية لتسمح للرسول بالسؤال مرة أو أكثر.[٢١٤] وقد تصف الرواية موقف الرسول وردود أفعاله على السؤال، الإجابة المباشرة أو التريُّث أو التجاهُل ثم الإجابة بعد إصرار السائل.[٢١٥]

وكانت الرواية تُعطي إخبارًا عن الرسول أن كان له تسع نسوة، وأنه كان يُقسِّم لياليه على ثمانٍ منهن دون واحدة خارج القسمة؛ لأن لها دائمًا الأفضلية في كل وقت.

---

[١٦٩] ج٤، ١٧٢–١٧٥.

[١٧٠] ج٤، ١٦١–١٦٦، ١٦٨–١٧١، ١٧٧ التعوذ ص١٧٩، تعليق على حديث ص١٧٩. عقر الناقة ص١٨٠-١٨١. مقاطعة مساكن الظالمين. الكريم يوسف ص١٨١–١٨٤، بعض أحاديث الإسراء والمعراج ص١٨٦–١٩٤، الصوم ص١٩٥-١٩٦، ١٩٨. خير نساء الجنة ص٢٠٠. شرط دخولها ص٢٠١، مقارنة اليهود بالنصارى بالمُسلمين والعمل طوال اليوم ص٢٠٧–٢١٤، ٢١٧–٢٢٩، ٢٢٩–٢٣٠، ٢٣٢. دعوة سبعين رجلًا ٢٣٤-٢٣٥، ٢٣٨–٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢-٢٥٣.

[١٧١] ج٣، ٢١٢-٢١٣ ج٤، ٤٥.

[١٧٢] ج٣، ٧٠، ١٩٣-١٩٤.

[١٧٣] ج٤ ص١٩٤.

[١٧٤] ج٢، ١٥٥.

[١٧٥] ج٢، ٢١٣.

[١٧٦] ج٤، ٦–٧ «ويلك» أو «ويحك»، ج٤، ٨.

[١٧٧] «مَن يعذرنا من رجلٍ بلغَني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمتُ من أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمتُ عليه إلا خيرًا.» ج٣، ٢١٩–٢٢٠.

[١٧٨] ج٣، ٤٥.

[١٧٩] «هل أنت إلا أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت.» ج٤، ٢٢.

[١٨٠] «مثَل الجليس الصالح والجليس السوء كمَثل صاحب المسك وكير الحداد …» ج٣، ٨٢. مثل رجل سقى كلبًا عطِشًا ص١٤٦-١٤٧، رجل أجر ربط الخيل في سبيل الله فتركها ترعى وتشرب. ورجل ستر ربطها تَغنِّيًا وتعفُّفًا دون أن ينسى حق الله. ورجل وزر ربطها فخرًا ورياء ص١٤٨-١٤٩.

[١٨١] مثل «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا …» ج١، ١١. بعد الإقامة اغتسل الرسول وطلَب من المُصلين الالتزام بأماكنهم ص١٦٤. أمر أن يُصلي أبو بكر بالناس. فلمَّا أخبروه بأنه رجل أسيف كرَّر الأمر بعد ذلك مرَّتين ص١٦٩، ١٧٢–١٧٥، ١٨٢–١٨٤، أمر الرسول امرأةً بصُنع كرسي ثم التعليق عليه بعد صنعه ج٢، ١١. الأمر بكيفية تغسيل ابنته ص٩٤–٩٦.

وكان يطوف على نسائه في ليلةٍ واحدة وهن تسع، وبنفس الغسل.[٢١٦] وأعتق الرسول صفيَّةَ وجعل عتقها صداقها.[٢١٧] وقد تزوَّج النبي عائشة وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين.[٢١٨]

وقد تتضمَّن الرواية أخبارًا عن الجاهلية وعاداتها لبيان جدل التواصُل والانقطاع بعد الإسلام. فقد كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنواع: خطبة الرجل إلى الرجل ولِيَّتَه أو ابنته فيُصدقها ثم ينكحها، وهو سارٍ إلى اليوم، ونكاح الاستبضاع من رجلٍ آخر بأمر الزوج كي تأتي بالولد، ونكاح جماعةٍ ما دون العشرة ونسبة الولد لهم جميعًا. ونكاح البغايا اللاتي يضعنَ أعلامًا على بيوتهن فإذا ولدت يجتمع من جامعها ويُقرِّروا نسبته إلى أحدهم.[٢١٩] وبعد الإسلام بقيَ الأول وانقطعت الثلاثة الأخرى. وروت عائشة أنهم كانوا لا يعدُّون النساء في الجاهلية شيئًا. فلما جاء الإسلام وذُكِر به الله رأوا النهي بذلك عليهم حقًّا دون إشراكهم في شيءٍ من الأمور.[٢٢٠] ومنع الواصلة والمستوصلة في الشعر لأن اليهود كانوا يعملون ذلك.

[١٨٢] من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص٥٠٣–٥١٥.

[١٨٣] ج١، ٣٩ ج٢، ١١٦ ج٣، ١٨، ٧٨ ج٤، ١٢٧–١٢٨.

[١٨٤] ج١، ٤١.

[١٨٥] من النص إلى الواقع ج٢، ص٥٠٠–٥٠٣.

[١٨٦] ج١، ٤٤.

[١٨٧] اتهم الناس أحدَهم الذي طلب من الرسول الصلاة في بيته بالنفاق، فلمَّا استجاب رد الرسول عليهم، ج١، ١١٦. تعليق على العتق «الولاء لمن أعتق.» ص١٢٣ على رأي عمر بعدم الصلاة ص١٥٤، التعليق على قراءة سورة بعينها في الصلاة دون غيرها لأنه يُحبها وبأنَّ له الجنة ص١٩٧، تعليق على قول الناس كسوف الشمس لموت إبراهيم ج٢، ٤٢، تعليق على كنيسة بالحبشة عليها تصاوير بالرفض ١١٤. وتعليق على من أتى بثمَر خيبر ج٣، ص١٠٢ واعتراضه الرجل أنه يأخذ الصاع بالصاعين والصاعين بالثلاثة تأخيرًا لغريم ص١٥٦. رد على هدية ص٢٠٩. تعليق على قول أحد الكفار ج٤، ٤٥ تعليق على انتحار أحد الكفار ص٤٥. رفض طرد عمر لأبي الأحباش ج٤، ٤٦–٤٧، تعليق على أعرابي في يدِه سيف يعلو الرسول وهو نائم ص٤٨–٤٩.

[١٨٨] ج١، ١١٨–١١٩.

[١٨٩] ج١، ٢٩ تعليقًا على لبس قميصٍ من حرير أُهدي إليه انتزعه غاضبًا ص١٠٥، الصلاة بأصحابه في مرضه جالسًا وهم قيام ص١٠٦، سؤاله ردَّ الأموال والسبايا والجواب ج٣، ٢١٢.

وتقصُّ الرواية أنهن كنَّ قبل الإسلام في جاهليةٍ وشرٍّ ثم جاءهن الله بالخير فكيف يأتي بعده الشر؟[٢٢١] وقال عمر «رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، نعوذ بالله من سوء الفتن.» وتُعرِّف الرواية الفتنة بقتال محمد للمشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة وليس كالقتال على المُلك.[٢٢٢] وتؤكد الرواية الطاعة للرسول.[٢٢٣]

وتتضمن الرواية السند أي العنعنة. تضع سند المتن والعنعنة.[٢٢٤] وقد يقصر أو يطول. وقد تجمع بين السند والسؤال.[٢٢٥] وقد تحتوي على استدراك السائل، والتساؤل مرة ثانية للاستفسار.[٢٢٦]

قد تشرح الرواية ألفاظ الرسول مثل الشغار. وقد يمتدُّ الشرح إلى الصحَّة والبطلان.[٢٢٧] وقد تصف الرواية مناسبة إلقاء الحديث. وقد تطول فتُصبح قصة، والقصص كثيرة. منها: أنَّ الرسول دخل على أم حرام زوجة عبادة بن الصامت فأطعمته

---

[١٩٠] ج٤، ١٧١.

[١٩١] «يا أبا ذر، أعيَّرته بأمِّه، إنك امرؤ فيك جاهلية.» ج١، ١٤، ٢٦ وقوله بعد أن رأى التسرُّع في الوضوء «ويلٌ للأعقاب من النار.» مرتين ص٣٥، ٦٥. تعليقًا على قرام عائشة ص١٠٥، تعليق على نخامة في القبلة ص١١٢، مساعده علي على النهوض ورفع التراب عنه وقول «قُم أبا تراب.» ص١٢٠، حديث الرسول عندما رأى رجلًا بالمسجد ماسكًا بالنصال ص١٢٢، تعليق على بكاءِ أبي بكر ص١٢٦، تعليق على سبِّ امرأة قريش وتثمين الرسول عليها فردًا فردًا ص١٣٨. لَمَّا رأى المؤذن أن يُؤذِّن للظُّهر فقال له الرسول «أبرد» مرَّتين. ثم حديث «شدة الحر من فيح جنهم.» ص١٤٢–١٤٣، ١٦٢. تعليق على رؤية القمر وتشبيه الله برؤيته ص١٤٥. تعليق على ليلة العتمة بعد صلاة العشاء ص١٤٨، التعليق على صلاة الليل ص١٨٦ والتعليق على الصلاة رواه الإمام ص١٨٧، انشغال الرسول بالإعلام عن الصلاة ص١٩١. تعليق على صلاة بإعادة الصلاة ثلاث مرَّات ص١٩٢–١٩٣. تعليق على مُسلم معفَّر بضرورة الغُسل يوم الجمعة ج٢، ٨. تعليق على رفض أبي بكر الغناء في العيد ج٢، ٢١، ٢٩–٣٠، تعليق على كسوف الشمس ص٤٢، ٤٩، تعليق على بكاء يهودية على مَيتٍ لها مات ص١٠٠. أمر بحشو أفواه النساء بالتراب اللاتي يَبكين على الميت ص١٠٤. مبارك زوجَين في ليلةٍ بعد أن مات ابنهما فكان لهما تسعة أولاد كلهم قرءوا القرآن ص١٠٤–١٠٥، تعليق على موت صبيٍّ ص١٠٦، ج٣، ١٧، تعليق على قتل ناقةٍ صاحِبَها ص٢٠، ٢٢–٢٣، مناسبة أذان بلال ج٣، ٣٧.

[١٩٢] ج٣، ٢١ تعليق على الأخبية ص٦٤، تعليق على عتق ص٢٠٨، القصاص بالمثل ج٣، ١١٦–١١٧، تعليق صاحب حقٍّ غاضب ص١٥٣، ١٥٦. خديعة رجل في البيع ج٣، ١٥٩. بعد تحريم شُرب الخمر ص١٧٣. تعليق على هدية ص٢١٤، التعليق على شاةٍ مسمومة من يهودية ٢١٤. ثناء رجل على رجلٍ وتعليق الرسول ضدَّ المدح ص٢٣١، ٢٤٦. مُقارنة بين الصائمين والمُفطرين ج٤، ٤٢، التعليق على قضم أصبع ج٤، ٦٥.

وأفلت رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك.[٢٢٨] ومنها أن امرأةً من الأنصار بايعت الرسول ثم اقتسم المهاجرين قرعة وكان من نصيبهم عثمان بن مظعون. ونزل في بيتهم، وتُوفِّي من وجعه، وغُسِّل وكُفِّن في أثوابه.[٢٢٩] وكانت له عين تجري هي عمله. ومنها أنَّ النبي خرج لحائط المدينة لحاجته وستَرَه صحابي وأدلى بساقيه في البئر واستأذن أبو بكر.[٢٣٠] وتأويل ذلك بالقبور. ومنها التنبؤ بعائشة زوجة النبي.[٢٣١]

وقد تتضمَّن الرواية وصف حالة الرسول وفعله وهو السنة الفعلية في مقابل السنة القولية.[٢٣٢] وقد تتضمَّن السنة الفعلية وصف الواقعة كلها بشخصياتها وأقوالها.[٢٣٣] فاستعاذة الرسول في صلاته من فتنة الدجال سُنة فعلية.[٢٣٤] وقد تطول الرواية مثل «باب الشهادة على الخط المختوم» في موضوع فقهي خالص؛ القتل الخطأ. ورواية طويلة عن عدم دخول الدجَّال المدينة. وقد تصف الرواية لغة الجسد وإيماءات الرسول وإشارته.[٢٣٥]

---

[١٩٣] ج٢، ٦٣، ٨٣. أدركتْ عائشة صلاة الرسول الزائدة فأرسلتْ له الجارية وهو يُصلي، فأشار بيده أن تتأخَّر، فلمَّا انتهى أخبرَها بأنه انشغل عن الصلاتين بعد الظهر لزُوَّار وهو يقوم بهما ص٨٨. ونبَّه الناس أنه لا يجوز التصفيق عندما خرج على أبي بكر وهو يُصلي بالناس. وعلق على إمامته جالسًا ص٨٩، تغسيل ابنته ص٩٣. مناسبة اقتناع أبي طالب بالإسلام ص١١٩. الإعلان عن تحريم الخمر بمناسبة نزول آياتها في سورة البقرة ج٣، ١٠٨. كان على الرسول دين فأتى ليطلُبه فهمَّ به أصحاب النبي، فطلب الرسول منهم تركَه لأنه صاحب حق ج٣، ٢١١.

[١٩٤] بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، ج٣، ١٠٠–١٠١، ١٠٣، خصومة حول ما يُعطى في الرقية ص١٢١، خلاف حول سقاية النخل ص١٤٥–١٤٦، الشفاعة ص١٥٦، وخز الجمل ص١٥٦–١٥٧، ١٧٢، ١٨٨، ٢٣٣. الولاء لمن أعتق ص٢٤٨. خصومة النسب ج٤، ٤.

[١٩٥] ج٢، ٦١، ٦٩.

[١٩٦] ج٣، ١١١–١١٣.

[١٩٧] من النص إلى الواقع ج٢، ٣١٦–٣٤٨.

[١٩٨] «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما اهتديتُ ولولا أن معي الهدي لأحللت.» ج٢، ١٩٦ ج٣، ٥، ١٨٥.

[١٩٩] ج٤، ٨.

[٢٠٠] ج٤، ٢٥١.

[٢٠١] وذلك مثل شرح ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ج٦، ٢٠. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ص٢٢ وأيضًا ص٢٧–٢٨، ٣٢–٣٣، ٤٠، ٤٩، ٧١، ٧٨، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ١٠٠، ١٠٢–١٠٣، ١٠٧، ١١٨، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٦–١٥٧، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٣، ١٨٧–١٨٨، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٧–٢٠٩، ٢١٢–٢١٣، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٠.

[٢٠٢] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ قال سالم الموت، ج٦، ١٠٢.

وتصف الرواية الحياة الخاصة بالأزواج على لسان زوجاتٍ عشر توريةً لا يُفهم مُعظمها من المُحدثين.[٢٣٦] فالحياة الجنسية لا حياء فيها. وكان الجنس مثل الدين بؤرةً لحياة الجماعة الأولى. وتصف الرواية جسد النبي. فقد كان يضرب بشعره على منكبيه كما يفعل الشباب هذه الأيام. كان شعره رَجِلا ليس بالسبط ولا الجعد، بين أُذنيه وعاتقه. وكان ضخم اليدَين والقدمَين، حسن الوجه وبسط الكفين. وبالمناسبة توصَف باقي أجساد باقي الأنبياء. فكان إبراهيم مثل محمد. وكان موسى مثل آدم، جعد على جملٍ أحمر مخطوم بخلبة. كما يوصف جسد الأشرار. وفي المقابل بين عيني الدجَّال مكتوب كافر.[٢٣٧] وكان الرسول يُطيِّب الرأس واللحية. وكانت عائشة تُطيبه كما تُطيب المرأة

---

[٢٠٣] ج٦، ١٥٥.

[٢٠٤] ج٧، ٤–٥، ١٥–١٦.

[٢٠٥] «قال النبي كلمةً وقلتُ أخرى.» قال النبي «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار.» وقلتُ أنا «من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.» ج٦، ٢٨.

[٢٠٦] ج١، ٣–٨.

[٢٠٧] ج٧، ٧.

[٢٠٨] ج٧، ٤–٥.

[٢٠٩] ج٧، ٦.

[٢١٠] ج٧، ٨، ٩–١٢.

[٢١١] ج٧، ٥–٦.

[٢١٢] ج٩، ٢، ٤–٥، ٩، ١٢، ٨١، ٨٥، ١٦٦–١٦٧.

[٢١٣] ج٩، ٣.

[٢١٤] ج٩، ٥–٦.

[٢١٥] ج٧، ٥.

[٢١٦] ج٧، ٤.

[٢١٧] ج٧، ٨.

[٢١٨] ج٧، ٢٢، ٢٧–٢٨.

[٢١٩] ج٧، ١٩–٢٠.

[٢٢٠] ج٧، ١٩٦.

[٢٢١] ج٩، ٦٥.

[٢٢٢] ج٩، ٦٧–٦٨.

زوجها بيدِها.[٢٣٨] وكان النبي يتمشَّط ويحكُّ رأسه بالِمدرى. وكانت عائشة تضع رأس الرسول على فخذيها وهي حائض.[٢٣٩]

وقد يكون موضوع الرواية أحد الصحابة وليس النبي، ويُعطي الصحابي قولًا من لديه ويقوم بدور النبي مثل أمرِه آخَر بأن يتزوج؛ فإنَّ خير هذه الأمة أكثرُها نساء.[٢٤٠] ومثل رواية عرض عمر ابنته حفصة على عثمان ثم أبي بكر قبل أن يخطبها الرسول. وقد تحتوي الرواية بعض اعتراضات الصحابة أو زوجات الرسول مثل اعتراض عائشة على المرأة التي تعرِض نفسها على الرسول، بل واعتراضها على آية ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ بأنها ترى أنا الله يسارعه على هواه.[٢٤١] وتعترف الرواية بوضع الصحابي وزيادته في

---

[٢٢٣] «بايعنا على السمع والطاعة في مَنشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وأثره علينا وألا نُنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان.» ج٩، ٥٩–٦٠، ٩٦–٩٧.

[٢٢٤] ج٩، ٢–٨، ١٠.

[٢٢٥] ج٩، ٣.

[٢٢٦] ج٩، ٤.

[٢٢٧] يشلح ابنة الرجل ويُنكحه ابنته بغير صداق وينكح أخت الرجل ويُنكحه أخته بغير صداق، ج٩، ٣١.

[٢٢٨] المتعة والنكاح فاسد والشرط باطل. المتعة والغار جائزان والشرط باطل، ج٩، ٣١.

[٢٢٩] ج٩، ٦–٧، ١٠–١٤.

[٢٣٠] ج٩، ٤٤–٤٥.

[٢٣١] ج٩، ٦٩–٧٢.

[٢٣٢] ج٩، ٤–٥، ٨.

[٢٣٣] ج٩، ٧٥–٧٦.

[٢٣٤] ج٩، ٨٣–٨٤.

[٢٣٥] ج٩، ٩٢.

[٢٣٦] ج٧، ٣٤–٣٥.

[٢٣٧] ج٧، ٢٠٨–٢٠٩.

[٢٣٨] ج٧، ٢١٠.

[٢٣٩] ج٧، ٢١١.

[٢٤٠] ج٧، ٤، ١٧–١٨، ٢١.

[٢٤١] «يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.» ج٧، ١٦–١٧.

الحديث.[٢٤٢] والرواية تضع بعض أقوال الصحابة.[٢٤٣] وقد تكون أقوال الصحابة أسئلةً أو تساؤلات أو أحاديث جانبية.[٢٤٤] وقد تتمدَّد أقوال الصحابة لتُصبح أحوال الصحابة ما اتفقوا عليه،[٢٤٥] مثل وصف ورقة بن نوفل للرسول.[٢٤٦] وتذكر الرواية شرح ابن عباس لآيةٍ قرآنية.[٢٤٧] وقد يأتي قول الصحابي في الروايات تنفيذًا لحُكم الرسول مثل قتل المُرتد.[٢٤٨] وبعضها تُعبر عن قواعد الإيمان مثل قول عمر «رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولًا.»[٢٤٩] وتُبرِّر الرواية كثرة أحاديث أبي هريرة عن الرسول على لسانه بأنه كان مُتفرغًا لا تشغله تجارة.[٢٥٠] وفي رواية الطاعة للأنصار وهو سياق حديث «الطاعة في المعروف». وتصف الرواية خصائص الطوائف مثل المهاجرين والأنصار. فقد قال أعرابي للرسول إنه لا يجد إلَّا قرشيًّا أو أنصاريًّا فإنهم أصحاب زرع.[٢٥١] وتعطي الرواية سياق حديث «الإمامة في قريش»، أنَّ أحدهم يُحدِّث أنه سيكون ملكًا في قحطان. وكان معاوية

[٢٤٢] «فقالوا يا أبا هريرة سمعتَ هذا من رسول الله؟ قال لا: هذا من كيس أبي هريرة.» ج٧، ٨١.

[٢٤٣] ج٩، ٢–٣، ٨٤.

[٢٤٤] ج٩، ٤.

[٢٤٥] ج٩، ٥.

[٢٤٦] «وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية. وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِي. وقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذعًا أكون حيًّا حين يُخرجك قومك ... لم يأتِ رجل قطُّ بما جئتَ إلا عُودي. وإن يُدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.» ج٩، ٣٨.

[٢٤٧] ج٩، ٤٢.

[٢٤٨] «إنَّ رجلًا أسلم ثم تهوَّد ... لا أجلس حتى أقتله قضاء الله ورسوله.» ج٩، ٨١.

[٢٤٩] ج٩، ١١٨.

[٢٥٠] «إنكم تزعمون أن أبا هريرة يُكثر الحديث على رسول الله، والله الموعد أني كنتُ امرأً مسكينًا ألزم رسول الله على ملء بطني. وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق. وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم.» ج٩، ١٣٣.

[٢٥١] «بعث النبي سريةً وأمَّر عليهم رجلًا من الأنصار وأمرهم أن يُطيعوه فغضب عليهم وقال أليس قد أمر النبي أن تُطيعوني؟ قالوا بلى. قال عزمت عليكم لمَّا جمعتكم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبًا فأوقدوا فلمَّا همُّوا بالدخول فقام ينظر بعضهم على بعض، قال بعضهم إنما تبِعنا النبيَّ فرارًا من النار أفندخلها. فبينما هم كذلك أخمدت النار وسكن غضبه.» ج٩، ٧٩.

حاضرًا فغضب أحد الصحابة وذكَّرهم بأن الرسول قد قال إنَّ هذا الأمر في قريش.[٢٥٢] وقد تصف الرواية المشاكل التي عرض لها المسلمون فيما بعد مثل جمع القرآن ورفض أبي بكر لأنَّ الرسول لم يفعله ورفْض عمر لأن أبا بكر لم يفعله ومثل الاستخلاف. ولم يُوجَد آخِر سورة التوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري.[٢٥٣]

وتصف الرواية ديانات الجماعات الأولى. فهذا يهودي. وذاك مجوسي.[٢٥٤] وهذا من الأحباش وهذا من العرب. وهؤلاء مُسلمون ومشركون وعبدة أوثان. وهذا يَمني، وهذا من الأعراب. وقد تصف الرواية كيفية التعامل مع أهل الكتاب خاصة اليهود.[٢٥٥] وكان الرسول يريد التواصُل مع أهل الكتاب والقطيعة معهم في نفس الوقت. وكان يُحب موافقتهم فيما لم يؤمَر به. وكانوا يُسدلون أشعارهم. في حين كان المشركون يُفرِّقون رءوسهم. فتابع الرسول أهل الكتاب أولًا ثم المُشركين فيما بعد.[٢٥٦] ومنع الواصلة والمُستوصلة في الشَّعر لأن اليهود كانوا يعملون ذلك.[٢٥٧]

(٣) سؤال الصحابي وجواب الرسول

الشكل الثالث سؤال سائل الجواب عليه مرة واحدة، مثل سؤال عن كيفية نزول الوحي إليه وأي الإسلام خير؟ وأي العمل أفضل؟ ومن أسعد بشفاعة الرسول؟ وعن القتال في سبيل الله. وقد يكون السؤال لرجلٍ أو امرأة، وسؤال الوضوء على الحذاء، وسؤاله عن مكان الإحلال في الحج، وسؤال عن اللباس في المُحرِم، وسؤال في وضع الماء للوضوء. ويتكرَّر السؤال أكثر من مرة مع أكثر من شخص ويجيب الرسول نفس الإجابة بصياغات مختلفة، تفيد نفس المعنى. فهل حدثت الواقعة عدة مراتٍ أم مرة واحدة بروايات مختلفة؟[٢٥٨]

---

[٢٥٢] «فإنه قد بلغني أن رجالًا منكم يُحدِّثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تُؤثَر عن رسول الله. وأولئك جُهَّالكم. فإياكم والأماني التي تُضل أهلها.» ج٩، ٧٨.

[٢٥٣] ج٩، ٩٢–٩٣، ١٠٠، ١٥٣.

[٢٥٤] ج٧، ٩٩، ١٠٣، ١١٦–١١٧، ١١٩–١٢١، ١٤٧، ١٥٤، ١٩٨.

[٢٥٥] ج٩، ٩٤.

[٢٥٦] ج٧، ٢٠٩.

[٢٥٧] ج٧، ٢١٣.

[٢٥٨] مثل سأل الحارث بن هشام الرسول: كيف يأتيك الوحي؟ فقال الرسول: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس.» ج١، ٢–٣، سؤال «أي الإسلام خير» والجواب «تُطعِم الطعام.» ج١، ١٤. سُئل الرسول

وقد يكون السؤال سؤالين مُتتالين يقتضيان فِعلَين.[٢٥٩] وقد تتعدَّد مراحل الإجابة، على مرحلتين، فيُقتطَع القول المباشر ممَّا يدل على احتمال التركيب.[٢٦٠] وقد تتعدَّد على ثلاث مراحل.[٢٦١] وقد يتكرَّر السؤال أكثر من مرة. ويستجيب الرسول أو لا يستجيب. وقد تكون الإجابة مرةً أو مرَّتَين فبعد إجابة الرسول يجيب مرة ثانية للتأكيد على الإجابة الأولى.[٢٦٢] قد تتعدد مراحل السؤال، وتتعدَّد الإجابة مثل الأعرابي الذي جاء يسأل عن الإسلام فأجابه الرسول بالصلاة. فأعاد السؤال مرة ثانية فأجابه الرسول بالصيام. فأعاد

«أي العمل أفضل» فقال «إيمان بالله ورسوله ...» ج١، ١٣، ١٤٠، لَمَّا سئل الرسول عن رضاعة عقبة ممَّن كان يريد الزواج منها قال الرسول كيف وقد قبل؟ ج١، ٣٣. ولَمَّا اعترض رجل على طول الصلاة قال: «أيها الناس إنكم مُنفرون ...» ج١، ٣٣–٣٤ إجابة على سؤال «من أسعد الناس بشفاعتك؟» وسألت النساء «غلبَنا عليك الرجال ...» ص٣٦. ما القتال في سبيل الله؟ ج١، ٤٣، ٤٥، ٤٨، سؤال عن الحيض في التوبة ج١، ٦٦–٦٧، ٧٩، سؤال عن فأرةٍ سقطت في سمن ج١، ٦٨، إجابة على سؤال الطهر ج١، ٨٤–٨٧، سؤال عمار لبس المحرم ج١، ١٠٢، سؤال عن أيام الشهر التسعة وعشرين ج١، ١٠٦، ج٣، ٣٥، سؤال عن تحريم دم الإنسان (العبد) ج١، ١٠٩، سؤال عن الرسول عمن أرسل الصحابي ثم السبب ثم فعل الرسول ج١، ١١٥، سؤال امرأة الرسول أن تجعل ابنها النجار يصنع لها كرسيًّا للجلوس عليه وموافقة الرسول ج١، ١٢٢. سؤال وفد عن كيفية الوصول إلى الرسول ج١، ١٣٩، لما نزلت آية سأل الصحابي إن كان له، فردَّ الرسول أنه لجميع الأمم ج١، ١٤٠، سؤال عمَّا أنكر الرسول من الناس ج١، ١٨٥، سؤال الصحابي بالدعوة ج٢، ١٥.

[٢٥٩] مثل «هل مع أحد منكم من طعام؟» «بيعًا أم عطية؟» ج٣، ٢١٤.

[٢٦٠] مثل «هو لك يا عبد بن زمعة.» و«الولد للفراش وللعاهر الحجر.» ج٣، ٧٠، سؤال عن المعراض ص٧٠–٧١ سؤال عن الهجرة ج٣، ١٢٨.

[٢٦١] الصلاة على مَيت والسؤال عن دَينه ثم عن تركته للوفاء به. وفي كل الحالات الصلاة عليهم ج٣، ١٢٤. سؤال عن ثمر خيبر ج٣، ١٢٩.

[٢٦٢] سؤال أي الجهاد أفضل؟ ج٤، ١٨. سؤال عن عمل بعد الجهاد ج٤، ١٨ أي الناس أفضل؟ ص١٨ سؤال عن القصاص ج٤، ٢٣، سؤال عن القتال ثم الإسلام وجواب الرسول الإسلام أولًا ثم القتال ثانيًا ج٤، ٢٤. سؤال الرسول عن ابنها الشهيد ومصيره وجواب الرسول أنه في الفردوس الأعلى ج٤، ٢٤، دافع القتال في سبيل الله ج٤، ٢٤–٢٥. سؤال عمر عن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ج٤، ٢٦، سؤاله عن ردائه ج٤، ٢٧. استئذان عائشة الرسول في الجهاد وجوابه جهادهن الحج ج٤، ٣٩. طلب على قتال اليهود وتفضيل الرسول دعوتهم إلى الإسلام أولًا ج٤، ٥٨، سؤال عمر عن شراء فرس ج٤، ٦٤. سؤال عمر عن البقاء بعد الإبل ج٤، ٦٧. سؤال عائشة عن عمرتها بينما أخذ الآخرون الجهاد عمرة ص٦٧، سؤال ابتياع فرس ج٤، ٧١، ٧٣، ٧٥. قتل من آذى الرسول ج٤، ٧٨، سؤال ما يقال في الحرب ج٤، ٨٠–٨١، ٨٤، ابتياع حلة ورفض الرسول ج٤، ٨٥. سؤال الرسول وجواب المسئول الذي سأل

السؤال مرة ثالثة فأجابه الرسول بالزكاة. وفي كل مرة يترك الرسول أيَّ واجباتٍ ندبًا «إلا أن تطوع». ولم يسأل الرجل مرة رابعة وبالتالي لم يُجبه الرسول بالرُّكنين الأخيرين، الشهادة والحج. والأعرابي يريد العمل لا النظر فاكتفى بأسئلته الثلاثة وأجوبة الرسول دون زيادةٍ أو نقصان. ومدحه الرسول «أفلح إن صدق». وعندما سأله أعرابي آخر عن الساعة وهو مشغول بحديثٍ سأل عن السائل فلمَّا عرَّف نفسه أجابه بأنها حين تضيع الأمانة. فلمَّا سأل السائل كيف؟ أجاب الرسول «إذا وُسِّد الأمر لغير أهله.»[٢٦٣] ومثل من سأل في حجة الوداع الرسول «لم أشعر وحلقت قبل أن أذبح.» فقال له الرسول «اذبح ولا حرج.» ثم سأله الثاني «نحرتُ قبل أن أرمي.» فقال له الرسول: «ارمِ ولا حرَج.» سؤال أم سلمة الرسول عن وجوب الغُسل على المرأة ثم عن احتلام المرأة وقد يصِل الأمر إلى ثلاث مرات.

وقد سأل صحابي الرسول أن يعدل في العطاء فعذله الرسول، وطلب عمر قتله. ومنعه الرسول، وحكم عليه بالخروج من الدين.[٢٦٤] فالإجابة الثانية تصحيح لردِّ فعل أحد الصحابة على الإجابة الأولى. وقد يكون السؤال بناء على طلب الرسول. فأتت الأسئلة ساذجة لا دلالة لها، مثل مَن أبي؟ ثم كرَّرها سائل آخَر فأخبره الرسول غاضبًا.[٢٦٥] وهي طريقة تعليمية في فن وضع السؤال من حيث أهمية موضوعه.

بدوره فرفض الرسول. وسأل الرسول ثانية فأجاب المسئول وردَّ الرسول وأنهى الحوار ج٤، ٨٦، سؤال الصحابي عن حج امرأته ج٤، ٧٨، ٩٣، ١٠٣.

[٢٦٣] ج١، ١٨، ٢٣، ٣١، ٤٣–٤٤، ٥٥، سئل الرسول هل حدث شيء في الصلاة؟ ثم سأل عنه فقيل له عمَّا تمَّ ثم قال قولًا مباشرًا عن النسيان كطبيعة البشر، ج١، ١١١، ١٣٠. سأل الصحابة التعريس بهم فأخبرهم بخوفه من النوم على الصلاة فتطوَّع بلال بإيقاظهم، وغلب بلال النوم فعاتبه الرسول فاعتذر بلال عن عُمق نومه، فحديث الرسول ج١، ١٥٤ سؤال الرسول عن قراءة فوافق ثم سمع قراءة آخَر فوافق لأنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرُف ج٣، ١٦٠، ١٦٦. سؤال الناس عن نحر الإبل وموافقة الرسول ثم سؤال عمر سبب بقائهم وأمر الرسول بندائهم ونحر أمامهم مُتمِّمًا بالشهادتَين ص٨٠، ٢١٠. جاء صحابي وأخبر الرسول أنه هلك، فسأله الرسول عن السبب فقال إنه وقع على أهله في رمضان، فطلب منه تحرير رقبة أو صيام شهرين أو طعام ستين مسكينًا أو الصدقة ولا يُوجَد من هو أفقر منه ج٣، ٢١٠، سؤال عن الهجرة، ج٣، ٢١٧–٢١٨، سؤال الرسول فأعطى ثم سؤاله ثانية فأعطى ثم قول مباشر ج٤، ٦. سؤال أي العمل أفضل والإجابة على مرحلتين، بر الوالدين ثم الجهاد ج٤، ١٧.

[٢٦٤] ج٤، ٢٤٣.

[٢٦٥] ج١، ٣٤.

وقد يكون سؤال الصحابي في صيغة إقرار. وتأتي إجابة الرسول بإقرار الإقرار. كما أقرَّ بأنه لم يُصلِّ المغرب فأقرَّه الرسول على ذلك بأنه لم يُصلِّها أيضًا بعد الإفطار يومَ الصوم.[٢٦٦] وقد يكون مجرد خبر وبناء عليه يقيم الرسول حُكمًا، وقد يكون سؤال الصحابي إخبارًا مع استعجابٍ مثل الوقوف أمام جنازة يهودي وجواب الرسول في صيغة استفهامية استعجابًا أيضًا للسؤال «أليست نفسًا؟»[٢٦٧]

وقد يكون سؤال الرسول في صيغة تمنٍّ أو رجاء حتى ولو رفض الرسول.[٢٦٨] ما ينطبق على الرسول لا ينطبق على غيره. فقد طلب الصحابة الدعاء على دوس لأنها عصت، فطلب لها الرسول الهداية. وقد يكون في صيغة خبر أو رجاء أو أمر ورجاء.[٢٦٩] وقد

---

[٢٦٦] أخبره أحد الصحابة عن تطويل الإمام في الصلاة، ج١، ١٨٠ «إني أخدع في البيوع» ج٣، ١٥٧، خبر السهم الذي نزل الماء ج٤، ٤١.

[٢٦٧] ج٢، ١٠٨.

[٢٦٨] مثل «يا رسول الله. ابتع هذه تجمَّل بها للعيد والوفود.» فرد الرسول «إنما هذه لباس مَن لا خلاق له.» فلمَّا أرسلها الرسول إلى عمر احتجَّ بقول الرسول فقال «تبيعها أو تُصيب بها حاجتك.» ج٢، ٢٠، ج٤، ٥٤.

[٢٦٩] سؤال عبد الله بن عمر الرسول بأن يشتري لباسًا لاستقبال الوفود ج٢، ٤–٥ سؤال امرأةٍ الرسول الخروج دون جلباب وأمر الرسول بلباسها وإلباس صاحبتها، ج٢، ٢٧–٢٨، سؤال الاستغفار ج٢، ٣٤، سؤال منع الهلال ج٢، ٣٥–٣٨، ٤٠–٤١، سؤال الصحابي عن الصلاة وهو في البواسير ج٢، ٦٠، سؤال فاطمة عن التهجُّد ليلًا ج٢، ٦٣. سؤال عن كيفية صلاة الليل ج٢، ٦٤، سؤال عائشة هل ينام قبل أن يوتر ج٢، ٦٧. تذكير بانقضاء الصلاة لنسيانه وليس لتقصيرها، ج٢، ٨٦. إخباره بأن ابنًا تُوفِّي وتوصية بالصبر والاحتساب ج٢، ١٠٠. سأل الصحابي وهو يموت وليس له إلا ابنة بالصدقة بثُلثي المال ثم بالنصف ثم بالثلث والرسول يرفض لكثرته ج٢، ١٠٣، سؤال عمر الرسول مُستنكرًا كيف يُصلي الرسول على زعيم المنافقين، وطلب الرسول من عمر أن يرجع، وإصرار عمر على سؤاله وجواب الرسول بأن الله خيَّره بين الاستغفار أو عدم الاستغفار، ونزول الآية مؤيدة لموقف عمر ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾، ج٢، ١٢١. سؤال عائشة عن عذاب القبر ج٢، ١٢٣. سؤال عن أولاد المشركين ج٢، ١٢٥. سؤال التصدُّق عن الأم ج٢، ١٢١. سؤال عن عملٍ يُدخل الجنة ج٢، ١٣٠. سؤال عن المفيد ج٢، ١٣١. سؤال عمر كيف يقاتل وقد منع الرسول قتال المسلمين؟ ج٢، ١٣١. أي الصدقة أعظم أجرًا؟ ج٢، ١٣٧، أي الصحابة أسرع به لحوقًا؟ ج٢، ١٣٧، خاصمته إلى الرسول ج٢، ١٣٨. سؤال عن الصدقة ج٢، ١٣٩، الزكاة على الأقارب ج٢، ١٤٨. سؤال عن المؤمن ورد الرسول أنه مسلم ج٢، ١٥٤، العمرة ج٢، ١٦٤. أي الأعمال أفضل؟ ج٢، ١٦٤. سؤال عن العمرة ج٢، ١٦٧، لباس المحرم ج٢، ١٦٨، شد الإزار ج٢، ١٧٩.

يكون تعجبًا من ذرف الرسول الدمع على إبراهيم وإجابة الرسول أنها رحمة.[٢٧٠] وقد يكون في صيغته شكوى من امرأةٍ حائض وهي في الحج لا تطوف ولا تسعى.[٢٧١] وقد يكون في صيغة استئذان لفعل شيءٍ يطلب شرعية له. وقد يكون في شكل خصامٍ يتقدم به أحد الناس إلى الرسول يطلب إنصافًا وعدلًا. وقد يكون مجرد رغبة دون التعبير عنها مثل الرغبة في الطواف.[٢٧٢] وقد يكون مجرد إحساس الرسول بالناس. فقد شعر برغبة من يريد السفر فأمر بأن يؤمهما أكبرهما.[٢٧٣]

وقد يكون السؤال رواية وليس قولًا مباشرًا. وتكون الإجابة في صيغة سؤال تهكمي لأن السؤال غير معقول عمليًّا مثل جواز صلاة اثنين في ثوبٍ واحد![٢٧٤] وقد لا يكون السؤال قولًا مباشرًا بل رواية. وقد تجمع الإجابة بين القول المباشر والشرح العملي مثل حديث التيمُّم بناء على سؤال. ويجيب الرسول وشرحه عمليًّا بضرب يدَيه على الأرض.[٢٧٥]

والقول المباشر عن الخلق جواب على سؤال من الناس في صيغة رواية وليس سؤالًا مباشرًا. والرواية أقل يقينًا من القول المباشر. وموضوع السؤال غير مُحدَّد «هذا الأمر». ولماذا يكون هذا الأمر نظريًّا خالصًا؟ وما الفائدة منه؟ وأي مشكلة يحل؟[٢٧٦] قد يكون سؤال الصحابي روايةً وليس قولًا مباشرًا أي أنه مناسبة يخلقها الراوي لإبراز الإجابة.[٢٧٧] قد يكون السؤال رواية وليس قولًا مباشرًا مثل السؤال عن أَمَةٍ تزني. وتكون الإجابة مُتقطِّعة تدريجيًّا حتى يقبل السائل، ويتمثَّل بالفعل أركان الإسلام، وترك الباقي

---

[٢٧٠] ج٢، ١٠٥.

[٢٧١] ج٢، ١٧٢، ١٨٨، ١٩٥، ج٣، ٤–٥، شكوى متى يكون الخروج من الصلاة؟ ص٧١. مثل السب ج٣، ١٩٥.

[٢٧٢] ج٢، ١٨٩.

[٢٧٣] أحسَّ الرسول بشوق الناس إلى أهاليهم، فقال «ارجعوا ...» ج١، ١٦٢، وشعر برغبة اثنين يريدان السفر فأمر الرسول بأن يؤمهما أكبرهما ج١، ١٦٢ ص١٧٥.

[٢٧٤] سأل أبو هريرة الرسول عن الصلاة في ثوب واحدٍ فأجابه أو لِكُلِّكم ثوبان؟ ج١، ١٠٠، ١٠٢، سؤال الرسول عن تصاوير كنيسة في الحبشة فأجاب بالتحريم ص١١٦–١١٧ سؤال امرأة أنها تشتكي، وأمر الرسول لها بالركوب وراء الناس ج١، ١٢٥.

[٢٧٥] ج١، ٩٢–٩٣ سؤال الرسول عن تصاوير ج٢، ١١٨.

[٢٧٦] ج٤، ١٢٩، سؤال عن الطاعون ص٢١٣.

[٢٧٧] ج٣، ١٦.

تطوُّعًا.[٢٧٨] وهو السؤال الشهير عن الإسلام وإجابة الرسول بالتدريج: الصلاة ثم الصوم ثم الزكاة ثم تعليق الرسول الشهير «أفلح إن صدق.»

وبعد سؤال الصحابي الرسول فعل شيء، يأمره الرسول فلا يستطيع الصحابي فعله فيطلُب من الرسول مساعدته فيرفض الرسول أربعَ مرَّاتٍ وهو يتعجب. وهي حادثة طلب العباس مساعدة الرسول على حمل المال المُتناثر من البحرين وحرصه على ذلك.[٢٧٩] هنا تكون الإجابة فعلية وليست قولية. فالإجابة عن السؤال تَوجُّهٌ عملي وليس مجرد معرفية نظرية. وعندما تبادل الصحابة الرأي حول كيفية إقامة الصلاة بعد قدومهم إلى المدينة اقترح البعض ناقوس النصارى وآخرون بوق اليهود، وعمر النداء عليها، فأمر الرسول بلالًا بإقامة الصلاة.[٢٨٠] فالإجابة هنا اختيار فعلٍ بين عدة اختيارات، وهو فعل جديد يتمايز به المسلمون عن غيرهم من أصحاب الديانات السابقة.

وقد لا يكون السائل صحابيًّا بالضرورة بل قد يكون مجرد أعرابي أو واحد من الناس أو يهوديًّا، رجلًا أو امرأة، فردًا أو جماعة. فالسؤال متاح للجميع، خاصة وعامة، صحابة وغير صحابة، أصدقاء وأعداء.[٢٨١] وقد يكون السؤال من جماعة وليس من

[٢٧٨] ج٣، ١٠٩. سؤال عن اللقطة ج٣، ١٤٩–١٥٠. سؤال عن الإسلام ج٣، ٢٣٥.

[٢٧٩] ج١، ١١٤–١١٥.

[٢٨٠] ج١، ١٥٧.

[٢٨١] ج٣، ٦، ١٥–١٦، ١٩ الحج نيابة عن الأم ج٣، ٢٣، جهاد النساء مع الرجال ج٣، ٢٤، دخول رجل الإسلام فأُصيب بعمًى فرجع إلى الرسول للرجوع عن الإسلام، فقال الرسول إن المدينة تنفي خبثها ج٣، ٢٩، سؤال أعرابي عن فرائض الإسلام تجزيئيًّا ج٣، ٣١. سؤال عن مواصلة الصوم بالرغم من مشقته والجواب أنه خاص به وليس للكل ج٣، ٣٧، ٤٨–٤٩ سؤال عن الصوم في السفر ج٣، ٤٣، سؤال عن قضاء الصوم عن الأم ج٣، ٤٦، سؤال عن صوم داود ج٣، ٥١، سؤال عائشة عن النوم قبل أن يوتر الرسول ج٣، ٥٩، سؤال في الاعتكاف ج٣، ٤٣. هل يؤكل اللحم دون معرفة مصدره؟ ج٣، ٧١. سؤال عن العرف ج٣، ٧٢. سؤال عن أجر التحنُّث في الجاهلية ج٣، ١٠٧، سؤال عن العزل والإجابة بإرادة الله ج٣، ١٠٩، سؤال عن الشفعة ج٣، ١١٥. عدم تولية منصب بطلب ج٣، ١١٥ وكالة الشاهد ج٣، ١٣٠–١٣١، عرض امرأة نفسها على الرسول ج٣، ١٣٢، سؤال العرس بكرًا أم ثيبًا ج٣، ١٥٧. طلب الكتابة ج٣، ١٦٥. الإطعام من قُوت العيال لو كان الرجل بخيلًا ج٣، ١٧٢. وفي حالة بخل الضعيف ج٣، ١٧٢، سؤال التوسيع على أُمَّته مثل فارس والروم ج٣، ١٧٦. الصرف ج٣، ١٨٤–١٨٥. سؤال أي العمل أفضل؟ ج٣، ١٨٨–١٨٩. سؤال عن الولاء لمن اعتق ج٣، ١٩٨، ٢٠٢. الهدية لأي الجارين؟ ج٣، ٢٠٨، سؤال الرسول ردَّ الأموال والسبايا ج٣، ٢١٢، ابتياع حلة لاستقبال الوفود ورفضها ج٣،

فرد، مثل سؤال الفقراء عن عدم مساواتهم بالأغنياء لأن للأغنياء عليهم فضلًا.[٢٨٢] وقد يكون السؤال مَبنيًّا للمجهول. فالُمهم هو السؤال وليس السائل الموضوع وليس المُثير له.[٢٨٣] والصيغة سُئل الرسول «دون معرفة السائل بل فقط موضوع السؤال ويجيب الرسول.»[٢٨٤] وقد يكون السؤال من العدو وليس من الصديق كتحية اليهود مثلًا بتحية «السلام عليكم» ولاحظت عائشة ذلك في النطق والمعنى بين «السام» و«السلام» وثبت النبي فقال لها «أفلم تسمعي ما قلتُ وعليكم؟» أي أنه ردَّ التلاعُب اللفظي بمثله.[٢٨٥]

وقد يكون سؤال الصحابي فعلًا، هدية حمارٍ وحشي مثلًا ورد الرسول له وشرح السبب.[٢٨٦] وقد يكون السؤال فعلًا يتمُّ الاستفسار حوله.[٢٨٧] ثم يُسأل الرسول عدة مرات تعريفها. وقد تتضمَّن صيغة سؤال الصحابي الإجابة وتكون إجابة الرسول «نعم» مما يدل على أن حُكم الرسول بديهي فطري، يستطيع العقل الإنساني والبداهة الإنسانية الوصول إليه.[٢٨٨]

ومع ذلك يغضب الرسول من كثرة سؤاله بناء على تجربة بني إسرائيل الذين أكثروا من السؤال فتم التضييق عليهم. فعندما سُئل عن اللقطة وأجاب سُئل عن ضالة الإبل

٢١٤–٢١٥. وصل الأم ج٣، ٢١٥، العائد في صدقته ج٣، ١١٥. سؤال عن الهجرة ج٣، ٢١٧، شكاية امرأة من عجز الزوج الثاني بعد طلاقها من الزوج الأول ورغبتها في العودة إليه ورفض الرسول حتى تتذوَّق عسيلته ويتذوَّق عسيلتها ج٣، ٢٢٠–٢٢١، الشهادة على الأنساب ج٣، ٢٢٢–٢٢٣. القسمة بين الأنصار ورفض الرسول ج٣، ٢٤٩. كيفية إنفاق المال ج٣، ٢٦٠، طلب الدعوة ثم سؤال عن الوصية بالنصف ثم بالثلث ج٤، ٤، سؤال عن أفضل الصدقات ج٤، ٥، ٩. سؤال عن إبقاء النذر عن أُمِّه بعد موتها ج٤، ١٠، سؤال عمر عن كيفية التصدق ج٤، ١١–١٢، سؤال عن أخذ الرسول خادمًا في السفر ج٤، ١٣. سؤال عن الصدقة عن الأم المتوفية ج٤، ١٣، سؤال عن صدقة الأرض ج٤، ١٤. سؤال عن صدقة المال ج٤، ٢٤. سؤال عن بيع فرس ج٤، ١٥. سؤال عن دين الشهيد وجواب الرسول على مرَّتين ج٤، ١٦٥–١٧٠.

[٢٨٢] ج١، ٢١٣.

[٢٨٣] ج٤، ٧٤.

[٢٨٤] ج٣، ٢٠–٢١ «سئل الرسول عن الكبائر.» ص٢٢٤.

[٢٨٥] ج٤، ٥٣. قالت اليهود محمد والخميس، فقال الرسول «خربت خيبر.» ج٤، ٥٨.

[٢٨٦] ج٣، ٢٠٣–٢٠٤.

[٢٨٧] سؤال عن اللقطة، ج٣، ١٦٢–١٦٣ ضالة الغنم ج٣، ١٦٣، لقطة الثمرة ج٣، ١٦٤.

[٢٨٨] سؤال عن الصدقة على الأم بعد وفاتها وموافقة الرسول، ج٤، ٩.

فغضب وأجاب. ثم سئل عن ضالة الغنم فأجاب، ويغضب الرسول من كثرة السؤال.[٢٨٩] وقد تكون إجابة الرسول بها عتاب على السؤال.[٢٩٠]

وقد يُسأل الرسول فيجيب بالقرآن وحدَه.[٢٩١] وقد تكون إجابة الرسول على التخيير «إن شئت».[٢٩٢] وقد يجيب الرسول عن سؤال الصحابي بسؤالٍ قبل أن يُجيب عنه بالفعل.[٢٩٣] فالإجابة مثل السؤال في صيغة تساؤلية.[٢٩٤]

وقد تكون إجابة الرسول عن سؤال السائل بالقول والفعل. فعندما سأله أبو هريرة أنه ينسى ما سمِع طلب منه الرسول أن يبسط رداءه ثم غرف بيده ثم ضمَّه أبو هريرة فما نسيَ شيئًا بعد ذلك.[٢٩٥] ويكون ذلك عدة مرَّاتٍ اذبح ولا حرج، في «ارمِ ولا حرج.» «افعل ولا حرج.»[٢٩٦] وقد يجيب الرسول على سؤاله بعد انتظار وحيار الصحابة بالإجابة،[٢٩٧] ثم يُجيب مثل السؤال عن الشجرة وإجابته بالنخلة.[٢٩٨]

(٤) سؤال الرسول وجواب الصحابي

وقد يسأل الرسول ويجيب الصحابي على الطريقة السقراطية. وهو عكس الشكل السابق. قد يسأل الرسول استفهامًا ثم يُجاب ثم يسأل الرسول استنكارًا ثم يأتي بفعل فيه تقدير للميت.[٢٩٩] وقد يسأل الرسول الشهداء، ثم يسأل الصحابة كيف يدعو أمواتًا، وردُّه عليهم

[٢٨٩] ج١، ٣٤، مثل سؤال «أتصلي؟» فأجاب: الصلاة أمامك، ج٢، ٢٠٠–٢٠٦.

[٢٩٠] السؤال عن ضالة الغنم فأجاب الرسول، ثم عن ضالة الإبل فغضب مُحيلًا الأمر إلى الله، ج٣، ١٦٥.

[٢٩١] ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، ج٤، ٤٩.

[٢٩٢] إجابة سؤال لامرأة بصنع ابنها النجار كرسيًّا يجلس عليه، ج٣، ٨١.

[٢٩٣] سأل صحابي ضرير أن يُصلي في بيته لأنه لا يرى في العتمة، فسأله الرسول أين يُحب أن يُصلي ثم صلَّى في بيته بناء على إشارته، ج١، ١٧٠، ٢١٣، ويرد على من يُتَّهم بالنفاق مرتين، ج٢، ٧٥.

[٢٩٤] ج٤، ١٨.

[٢٩٥] ج١، ٤١.

[٢٩٦] ج٢، ٢١٥.

[٢٩٧] سأل الرسول عائشة: أنفست، قالت: نعم. فدخلت إليه في الخميلة ج٣، ٣٩.

[٢٩٨] ج١، ٢٨.

[٢٩٩] سؤال عن الحبل الممدود ورفضه وتفضيل طاقة الجسد ج١، ٦٧. سؤال عن امرأة لا تقوم الليل ورفضه ج١، ٦٧–٦٨. سؤال عن قيام الليل وصوم النهار لأن للنفس والبدن حقوقًا ج١، ٦٨. السؤال

بأنهم ليسوا بأسمعَ منهم. يسمعون ولا يجيبون.[٣٠٠] وقد يسأل الرسول ويجيب المحاور مرة واحدة.[٣٠١] وقد يسأل الرسول مرة ويُجيب الصحابي مرة ثم يأتي قول الرسول المباشر.[٣٠٢] وقد لا يكون السؤال بصيغةٍ استفهامية بأداة استفهام بل بصيغةٍ خبرية يُفهم منها الاستفهام بالصوت، وهو ما يستحيل معرفته الآن أو بالسياق.[٣٠٣]

الاستفهامي متى ومن؟ والاستنكاري أفلا آذنتموني؟ ج١، ١٠٩، سؤال عن إنسانٍ فقيل له إنه مات فعاتب «أفلا آذنتموني؟» فلما حقروا شأنه ذهب يُصلي عليه. سؤال الرسول عن من لم يقارف الليلة فأمره بالنزول في قبر امرأة ج٢، ١١٤. وسؤاله عن أي الشهيدين أقرأ للقرآن لتقديمه في اللحد مع آخَر في ثوبٍ واحد ج١٢، ١١٤–١١٥، ١١٧. سؤالهم إذا كانوا قد رأوا رؤية ج٢، ١٢٥–١٢٧.

[٣٠٠] ج٢، ١٢٢–١٢٣. سؤال الرسول في مرضه عن حبيبته اليوم وغدًا للاطمئنان على أنه مع عائشة ج٢، ١٢٨. سؤال الرسول إن كان يُبصر شيئًا ج٢، ١٣٤. هل عندكم شيء ج٢، ١٤٣. سؤال أعرابي الرسول عن الهجرة ج٢، ١٤٥. سؤال الرسول أي زينب ثم أذن لها ثم سؤالها ثم الإجابة ج٢، ١٤٩–١٥٠، هل عندكم شيء؟ ص١٥٨. سؤال عن الإهلال في الحج ج٢، ١٧٢–١٧٣. سبب بكاء عائشة مرتين ج٢، ١٧٣–١٧٥، عدم هدم الكعبة ج٢، ١٧٩–١٨٠. ذو القلائد ج٢، ٢٠٧، الرمي والحلق ج٢، ٢١٢–٢١٣، ٢٢١، ٢٢٣، أيها الناس أي يوم هذا … أي بلد هذا … أي شهر هذا … «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام …» ج٢، ٢١٥–٢١٧.

[٣٠١] مثل سؤال الرسول ورقة بن نوفل «أو مُخرجيَّ هم؟» قال «نعم.» ج١، ٤، سأل الرسول «لعلَّنا أعجلناك؟» فلما قيل له نعم قال إذا أعجلت أو قحطت فعليك الوضوء ص٥٦. سؤال الرسول أبا هريرة وإجابته ثم قول مباشر للرسول ص٧٩–٨١. ويتكرر نفس السؤال مع عمر ومع أُبي بن كعب. سؤال الرسول عائشة هل حاضت؟ وإجابتها نعم ثم قول مباشر ص٨١، ٨٨، ٩٠. سؤال الرسول عن عدم صلاة أحدهم لغياب الماء وأمره بالتيمُّم ص٩٤. سؤال عن الجلباب الواحد ص٩٩. سؤال الرسول ثمن الحائط لبناء مسجد فرفض بنو النجار فأنشد معهم:

اللـهم لا خير إلا الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

ص١١٧، سؤال الرسول عن رجل أو امرأة سوداء غاب عن المسجد فلما أخبروه أنه أو أنها ماتت عاتبهم أنهم لم يخبروه وطلب الذهاب إلى قبره أو قبرها ص١٢٤. سؤال رجلٍ الرسول عن صلاة الليل ص١٢٧–١٢٨. سؤال الرسول عن الاغتسال خمس مراتٍ في اليوم وبقاء الدرن وإجابة الصحابة بالنفي وقول الرسول بأنها الصلوات الخمس ص١٤١. سؤال الرسول ما شأنكم فردُّوا بالعجلة فحديث الاطمئنان في الصلاة ص١٦٣، ونفس السؤال لمُصلٍّ عجول ثلاث مرات ص٢٠١، سؤال الرسول عمَّا قال الله ثم حديث الرسول ص٢١٤، سؤال الرسول عمن جاء متأخرًا والرسول يُلقي خطبة الجمعة فسأله

وقد لا يكون السؤال مذكورًا بل مُتضمنًا مفهومًا عندما يسأل الرسول «أين السائل».[٣٠٤] وقد يزدوج سؤال الرسول مع سؤال الآخرين. يسأل عن قوم مَن هُم؟ ثم يسأله القوم عمَّا يريدون. ثم يُجيبهم الرسول. ثم يسأل الرسول. وقد يكون القول سؤالان «ما يُبكيك؟» و«ما شأنك؟» وتكون الإجابة إجابتَين، إجابة عن كل سؤال.[٣٠٥] وقد يأتي سؤال ثالث «فرغتما؟» للاطمئنان. سؤال الرسول ثم الإجابة ثم إجابة الرسول. وقد

هل صلى؟ ج٢، ١٥، سؤال عما قال الله ص٤١. سؤال بلال عما عمل لأنه سمع وقْع أقدامه في الجنة ص٦٧.

[٣٠٢] ج٣، ١٢-١٣.

[٣٠٣] ج٢، باب عمرة رمضان ج٣، ٤، ١٢. سؤال الرسول عن المانع من الحج والجواب العمرة ج٣، ٢٢٤، طلب تثمين أرض لبناء مسجد ورفض بني النجار، فنُبشت قبور المُشركين وسُوِّيت خربهم وقطع نخلهم ج٣، ٢٦، ٤١. سؤال عن رجل مُظلل عليه من الحرِّ وسماح الرسل له بالإفطار ص٤٤. دعاء لأنس ج٣، ٥٣. سؤال عن صوم عاشوراء وأن المسلمين أحق به ج٣، ٥٧. سؤال الأخبية وترك الاعتكاف ج٣، ٦٣. التعرُّف على صفية ج٣، ٦٤، الاعتكاف ج٣، ٦٧، كراهة اللباس ج٣، ٨٣. الشراء والبيع مع المشركين ج٣، ٥. الانتفاع بفروة الشاة دون أكلها ج٣، ١٠٧، سؤال عن الأسير الكاذب المحتاج ج٣، ١٣٢–١٣٣. سؤال بلال عن مصدر التمر ج٣، ١٣٣، سؤال عن الزراعة ج٣، ١٤١، سؤال الغلام إعطاء الكأس للأشياخ قبل الصغار ج٣، ١٤٤، ١٤٧، سؤال عن امرأة حبست هرَّة حتى ماتت جوعًا ج٣، ١٤٧، ١٥٦. سؤال عن شراء غلام أُعتق ثم أعطاه الثمن ج٣، ١٥٦. سؤال عن ثمامة المربوط ثم الأمر بإطلاق سراحه ج٣، ١٦١. سؤال الرسول عن النيران وإجابته بحرق اليهود الحمر الأنسية فطلب كسرها وإراقتها فطلَب الناس إراقتها وغسلها فوافق الرسول ج٣، ١٧٨. سؤال الرسول أبا هريرة عن غلامه ج٣، ١٩١، سؤال الرسول عن الولد الشبيه بأبيه ج٣، ١٩٢، سؤال بيع فرس ج٣، ٢١٨، ٢٢٤-٢٢٥. الترحُّم على حديث عياد ج٣، ٢٢٥، شهادة النساء ج٣، ٢٢٦، سؤال عن عائشة في مرضها دون لُطف بعد حديث الإفك ج٣، ٢٢٨ سؤال زينب بنت جحش عن سلوك عائشة ج٣، ٢٣١. إكرام الله للصحابة ج٣، ٢٣٨، سؤال عمَّن لا يفعل المعروف ج٣، ٢٤٤. سؤال عن بريرة ج٣، ٢٥٠، سؤال الرسول عن أكل حمار ج٤، ٤٩، ١٠٠، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٧–١١٩، الصلاة نيابة عن الأم ج٤، ١٢٦.

[٣٠٤] ج٣، ٧. قيل له ج٤، ٣٣.

[٣٠٥] أتى وفد فسأل الرسول «من القوم؟» فلمَّا عرف قال «مرحبًا ...» فسألوا «إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ...» وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربعة منها الإيمان ونهاهم عن أربعة، وسأل: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال «شهادة ...» ثم أردف «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم.» ج١، ٢١، ٣٢. سأل الرسول في مرضه أَصلى الناس؟ ثم أمر بالماء فاغتسل ثم أُغمي عليه، وكرَّر ذلك ثلاث مراتٍ حتى أمَّ أبو بكر الناس مؤتمًّا بالنبي وهو جالس ج١، ١٧٦، سؤال عن شيخ يسير بين ابنيه لأنه أراد المشي وجواب الرسول بعدم جواز تكليف ما لا يُطاق.

يصِل الازدواج أربع مرات.[٣٠٦] قد يصل الأمر إلى سبع مرات.[٣٠٧] وقد يصل الأمر إلى تسع مرات.[٣٠٨] وقد تتوالى الأسئلة عشر مرات.[٣٠٩] وقد يزدوج السؤال. سؤال فجواب فسؤال ثانٍ فجواب ثان. وسأل الرسول عن اليوم فأجيب بأنه يوم النحر. ثم سأل عن الشهر فلمَّا سكت الناس حيارًا أجاب بنفسه بأنه شهر ذي الحجة فوافق الناس، ثم أبلغهم بحُرمة وفائهم لأموالهم وأعراضهم بينهم.[٣١٠] السؤال مرتان، والإجابة مرتان. تعديل الرسول الإجابة الأولى إلى الثانية، وتعديل السؤال من الأول إلى الثاني. واختلاف الصياغات تدل على أنه لا تَطابُق بين التدوين والواقع التاريخي.

وقد يتكرَّر السؤال والجواب عدة مرات. فقد سأل الرسول أحدًا هل يشهد أنه رسول الله فقال إنه يشهد أنه الرسول الأمين. ثم سأله إذا كان الرسول يشهد أنه أيضًا رسول الله فرفض الرسول وقال بأنه آمن بالله ورُسُله. ثم سأله الرسول عن ماذا يرى؟ فقال إنه يأتيه صادق وكاذب. فأبلغه النبي أنه خلط عليه الأمر. وأخبره النبي أنه خبأ إليه خبيئة.

---

[٣٠٦] ج٣، ٦، ٨، ج٨، ٢٥. سؤال من وقع على امرأته وهو صائم وليس له رقبة يُعتقها ولا يستطيع صوم شهرين ولا إطعام ستين مسكينًا فأعطاه الرسول تمرًا ليتصدَّق به ولا يُوجَد من هو أفقر منه، فتصدَّق بها على نفسه، ج٣، ٤١–٤٢، ٢٠٤–٢٠٥، ٢٠٨ سؤال عن أرض ص٢١٨.

[٣٠٧] «تزوَّجْت؟» «ومن؟» «كم سقت؟» «أَولِمْ ولو بشاة.» ج٣، ٦٩ «من هذا؟» «مالك؟» «أمعك قضيب؟» «بعنين» «مرَّتين»، «أين تريد؟» «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟» «فذلك»، «يا بلال أعطه وزده.» ج٣، ١٣١–١٣٢ (ثلاث مرات) ج٤، ٦٣.

[٣٠٨] «ما فعل أسيرك البارحة؟» «أما إنه قد كذبك وسيعود.» (ثلاث مرات)، ج٣، ١٣٢–١٣٣. سؤال الرسول وجواب الزبير ثم سؤال الرسول ج٤، ٣٣.

[٣٠٩] «اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود.» «إني سائلكم عن شيء!» «من أبويكم؟» «كذبتم.» «فهل أنتم صادقون في شيء؟» «من أهل النار؟» «اخسئوا فيها؟» «هل أنت صادق في شيء؟» «هل جعلتم في هذه الشاة سمًّا؟» ج٣، ١٢١–١٢٢.

[٣١٠] وجد امرأةً عند عائشة فسأل «من هذه؟» فقالت: فلانة تذكر من صلاتها. فقال «صهٍ عليكم بما تطيقون ...» ج١، ١٧، ٢٦، سؤال الرسول عائشة عن سبب بكائها فأجابت بأنها لن تحجَّ هذا العام، فسأل من جديد لعلك نفستِ فقالت نعم. فقال «فإن ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم ...» ج١، ٨٤، حديث مع أم هانئ وتوصية بها وإجارتها من أجارت ج١، ١٠٠. صوم النهار وقيام الليل ثم تعديل ذلك تخفيفًا ورفض التطوُّع قوة ج١، ٥١–٥٣. سؤال الرسول عن مَيت إذا كان عليه دينٌ أم لا والصلاة عليه في كلتا الحالتين ج٣، ١٢٦. إجازة الكتاب ج٣، ٢٥٦. سؤال الرسول «ما لبعيرك؟» «كيف ترى بعيرك؟» «أفتبعنيه؟» «فبعنيه.» (أربع مرات) ج٤، ٦٣.

وقال إنه الرخ. فنهره الرسول بأنه على قدره. ورفض الرسول أن يقتله عمر لأنه مثل الرخ لا خير في قتله.[٣١١]

وقد يتدخل في الحوار أطراف ثلاثة، الرسول والصحابة والأعرابي السائل، حتى وإن لم يتدخَّل أحد الأطراف بالقول المباشر بل بالفعل والإشارة. فعندما سأل أعرابي قادم: أيكم محمد؟ قال له الصحابة هذا الرجل الأبيض المُتكئ. فأعاد الرجل السؤال: ابن عبد المطلب؟ فقال له الرسول «قد أجبتُك.» فسأل الرجل ظانًّا أن سؤاله شديد. فلمَّا سمح له الرسول سأله سؤاله عن إرسال الله الرسول للناس. فأجابه الرسول «نعم.» فلما سأله عن أمر الرسول بصلواتٍ خمس. فأجاب الرسول «اللهم نعم.» فلما سأل الرجل عن الصيام شهرًا في السنة أجاب الرسول «اللهم نعم.» فلما سأل الرجل عن أخذ الصدقة من الأغنياء إلى الفقراء أجاب الرسول «اللهم نعم.» آمن الرجل هو وقومه. فهذا إخراج مسرحي رفيع. طلب التعرُّف على الرسول، التحذير من السؤال الشديد دون أن يكون في النفس حرج، معرفة الرجل بأركان الإسلام، الصلاة والصيام والصدقة دون ذِكر الشهادتَين والحج، الركن الأول والأخير، وموافقة الرسول. ثم إسلام الرجل هو وقومه وتعريفه بنفسه.[٣١٢]

وقد يبدأ قول الرسول بالمنادى. فإذا استجاب المنادى عليه أعطى الرسول أمرًا فيستجيب له المأمور. وقد يبدأ قول الرسول بالمنادى ثم بالسؤال ثم بالأمر ثم بالسؤال مرة ثانية ثم بالسؤال مرة ثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ثم أمر، ثم سؤال مرة ثامنة ثم أمران.[٣١٣] فالخطاب تفاعُل خطابين وحوار بين سائلٍ ومسئول، بين مُتكلم وسامع من أجل إتيان الفعل.[٣١٤]

وقد يأتي السؤال بناء على أمر الرسول. وقد يكون سؤال الصحابة إقرارًا ورضًا وليس سؤالًا. ثم يأتي حديث الرسول مُلوِّحًا بالجنة التي رآها في عرض الحائط لمزيدٍ من الإقناع.[٣١٥] فيأمر صبيًّا مريضًا يهوديًّا بالإسلام فيطلُب الإذن من أبيه فيأذن له فيقول

---

[٣١١] ج٢، ١١٧.

[٣١٢] ج١، ٢٤–٢٥.

[٣١٣] ج١، ١٢٤، ١٢٧.

[٣١٤] «جابر» «ما شأنك؟» … «اركب.» … «تزوجته» … «بكرًا أم ثيبًا؟» «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ …» «أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس …» «أتبيع جملك؟» … «الآن قدمت.» … «فدع جملك فادخل فصل ركعتين …» … «ادع لي جابر.» «خذ جملك ولك ثمنه.» ج٣، ٨١، ١٦٠.

[٣١٥] ج١، ١٤٣.

الرسول إن الله أنقذه من النار.[٣١٦] أمر الرسول ثم استدراك الصحابي ثم أمر بالخروج ثم سؤال الصحبة ثم اقتراح ناقتين وطلب الرسول الشراء بالثمن.[٣١٧] يأمر الرسول ويعترض الصحابي ثم يُكرِّر الرسول الأمر بعد أن يغضب.[٣١٨]

وقد يكون سؤال الرسول أمرًا «اسقني.»[٣١٩] وقد يكون حالًا رآه الناس عليها مثل استعجاله الصلاة ودخول حجر نسائه وتعجُّب الناس، ثم حديث الرسول أنه نسي قسمة التبر على الناس ولم يشأ الاحتفاظ به.[٣٢٠] وقد يسأل الرسول عتابًا دون انتظارٍ لإجابة إذا لم يُخبر بشيءٍ مثل وفاة أحد.[٣٢١] وقد يكون السؤال صامتًا، رؤية للرسول بعدها يجيب الرسول. فالرسول لا يحتاج إلى سؤال صريح. هو قادر على الرؤية وإدراك الأمور.[٣٢٢] وقد يسأل الرسول عن طريق النداء ثم يجيب بالإشارة ويفهم الصحابي أنها تعني القسمة بالنصف.[٣٢٣]

وقد يكون سؤال الرسول روايةً وليس قولًا مباشرًا.[٣٢٤] مثل رواية عائشة عن العتق. وبعد سؤال الرسول وإجابة الصحابي بالإشارة قد تكون إجابة الرسول بالفعل وليس

---

[٣١٦] ج٢، ١١٨، أمر بالسقاية، ج٢، ١٩١، طلب الرسول من رجل أن ينزل ويجدح فأصبح بالشمس فكرَّر الرسول الطلب مرةً ثانية وثالثة حتى أطاع الرجل الأمر، فشرب الرسول وأخبره بموعد حلول الإفطار بالموقع من الشمس ج٣، ٤٣، ٤٧. أمر الرسول ببيع الرداء ورفض عمر وتكرار الرسول الأمر فوهبه الرسول لعبد الله بن عمر ج٣، ٨٥.

[٣١٧] طلب الرسول إخراج من في منزل أبي بكر، فأخبره أنهما ابنتاه، فأخبره الرسول بالإذن في الخروج فطلب أبو بكر الصحبة واقترح الناقتَين، فأراد الرسول شراءهما ج٣، ٩٠.

[٣١٨] قال للزبير «اسقِ ثم أرسل إلى جارك.» فاعترض أنصاري لأنه ابن عمته فغضب الرسول وكرَّر الأمر «اسقِ ثم احبس.» ج٣، ٣٤٥. أمر بالبيع مرَّتَين ج٣، ٢٤٨، رأى الرسول رجلًا يسوق بدنه فأمره بركوبه فتعلَّل الرجل بأنها بدنة فأمره الرسول مرة ثانية بركوبها ج٤، ٨.

[٣١٩] ج٣، ٢٠٢.

[٣٢٠] ج٣، ص٢١٦.

[٣٢١] «ألا آذنتموني!» «ما منعكم أن تكلموني؟» ج٢، ٩٢.

[٣٢٢] رأى الرسول إنسانًا يتأذَّى من شَعره فسأله «يؤذيك هؤمك؟» قلت «نعم.» قال «فاحلق رأسك.» ج٣، ١٣.

[٣٢٣] ج٣، ١٦٢.

[٣٢٤] اشترت عائشة بريدة فاشترط أهلها ولاءها فذُكر ذلك للنبي فقال «أعتقيها فإنَّ الولاء لمن أعطى الورق.» ج٣، ١٩٢–١٩٣. سؤال عن العزل ج٣، ١٩٤، ٢٥١.

بالقول.[٣٢٥] وقد يتم ذلك على درجتَين بسؤال الصحابي واستجابة الرسول من حيث المبدأ ثم سؤال عن مكان التنفيذ. وقد لا يقتضي سؤال الرسول لأصحابه جوابًا نظريًّا بل فعلًا عمليًّا كما سأل عن ميت ثم ذهب معهم للصلاة عليه.[٣٢٦] ومثل اعتق غلامًا فسأل الرسول من يشتريه منه.[٣٢٧] وقد يسأل الرسول ويجيب عن سؤاله بفعل.[٣٢٨] وقد يجيب عن السؤال بسؤال.[٣٢٩] فالسؤال أكثر إيحاء بالمعنى من الإجابة.[٣٣٠] وقد يسأل الرسول ويجيب بنفسه.[٣٣١] فالسؤال إثارة واسترعاء للانتباه ووضع للإشكال.

(٥) القول المباشر ثم سؤال الصحابي وجواب الرسول

وهو الجمع بين القول المباشر والسؤال والجواب.[٣٣٢] وهو منهج تربوي لإشراك المُستمع في الفكر، في السؤال والجواب. يقول الرسول ثم يستدرك عليه أحد فيجيب الرسول.[٣٣٣] القول ثم السؤال ثم القول ثم السؤال ثم القول.[٣٣٤] وقد يتكرر الإيقاع عدة مرات. وتتغير

---

[٣٢٥] سؤال الرسول عن مكان الصلاة عند صحابي فأشار إليه فتوجَّه الرسول إليه، ج١، ١١٥-١١٦، نادى الرسول ثم أشار بيده بما يعني النصف، ج٣، ٢٤٦.

[٣٢٦] ج٢، ١١٤.

[٣٢٧] ج٢، ٩١.

[٣٢٨] ج٤، ٣٥.

[٣٢٩] سؤال: «ما يحبسك ألا تجيء؟» جواب «الآن يا ابن أخي.» ج٤، ٣٣.

[٣٣٠] حسن حنفي: ما السؤال؟ هموم الفكر والوطن ج٢، ٧–٣٠.

[٣٣١] «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاث مرات. قالوا بلى «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين.» ج٣، ٢٢٥.

[٣٣٢] «إن من الشجر شجرة ...» فلما سأله الناس ما هي؟ أجاب «النخلة.» ج١، ٢٣-٢٤، ٤٥.

[٣٣٣] عندما قال الرسول بأن العمل في أيام العشر أفضل، سُئل: ولا الجهاد؟ فأجاب إلا أن يخاطر رجل بنفسه ولا يعود، ج٢، ٢٥.

[٣٣٤] قول الرسول عن كسوف الشمس وخسوف القمر، ثم سؤاله عن شيء فأجاب برؤية الجنة وبها عنقود يأكل منه الناس إلى آخر الزمان، ورؤية النار وأكثر أهلها من النساء، فأجاب بكفرهن. فسألوا بالله قال بالعشير والإحسان. ج٢، ٤٦-٤٧. قال الرسول إن كل مَن لم يشرك دخل الجنة، فاستدرك صحابي وإنْ زنى وإنْ سرق فوافقه الرسول ج٢، ٨٩–٩٠. طلب الرسول الإذن بالصلاة على منافق فاعترض عمر وأجاب الرسول بالخيار في آية ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ص٩٧. دعوة امرأة تبكي على ميت بالصبر فرفضت لأنه لا يعيش مُصيبتها، وقوله ثانية إنما الصبر عند الصدمة الأولى ج٢،

الصياغات؛ مرة رجل رأى كلبًا عطشًا فسقاه. ومرة امرأة لأنها أقرب إلى العواطف.[٣٣٥] وقد يجمع الحديث بين القول المباشر والأمر الخبري مثل إجابته عن سؤال الأشربة بأمرهم بأربعة ونهيهم عن أربعة. وفي نفس الوقت قوله المباشر على سؤاله «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»[٣٣٦] وهي الطريقة السقراطية بتوليد الحقيقة من نفس المُستمع، وطريقة الظاهريات المُعاصرة في الخبرة المشتركة.[٣٣٧]

وبعد أمر الرسول قد يستدرك صحابي عليه فيوافقه على استدراكه.[٣٣٨] وقد يزدوج الخطاب يأمر الرسول، ويستدرك الصحابي ثم يسأل الرسول ثم يجيب الصحابي ثم يوافق الرسول وجعلها خاصية له.[٣٣٩] فالرسول يقول نصف الحقيقة والصحابي يكمل النصف الآخر لأن الحقيقة مشتركة بين الذوات.

---

١٠٠. عن متبع الجنازة له قيراط، فسئل الرسول عن القيراط فأجاب ج٢، ص١٠٠. كل إنسان مُقدر مكانه من الجنة والنار وسؤال أحد الصحابة عن الاتكال، وقول الرسول بأن كلًّا ميسر لما خلق له وهو لا ينفي الاتكال ج٢، ١٢٠، سؤال على كل مسلم صدقة ص١٤٣. الصدقة على النساء والسبب ج٢، ١٤٩، خوف الرسول أن يفتح الله على المسلمين وسؤال هل يأتي الخير بالشر ثم نزل عليه الوحي قبل الرد ج٢، ١٥٠. الصدقة بشاةٍ ميتة فاعترضت المرأة فأمر بالانتفاع بجلدها لا أكلها ج٢، ١٥٨، خروج المرأة في محرم وسؤال الصحابي عن خروجه للجهاد وجواب الرسول بالخروج معها ج٣، ٢٤. تحريم شحوم الميت واعتراض الناس بفائدتها وتحريم الرسول لها مرة ثانية، ج٣، ١١٠. النبي راعي الغنم ج٣، ١١٦. فضل سقي الماء ج٣، ١٤٦–١٤٧، ج٣، ١٥٢–١٥٣. كلام الخصوم بعضهم في بعض ج٣، ١٥٩–١٦٠. انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا سؤال واستفسار وإجابة «تأخذ فوق يديه.» ج٣، ١٦٨.

[٣٣٥] ج٣، ١٤٦–١٤٧، منع الجلوس في الطرقات والاعتراض ثم الجواب بإعطاء الطريق حقَّها ثم السؤال عنه ثم الإجابة ج٣، ١٧٣. قول الرسول عن السبع الموبقات ثم السؤال عنهم ثم إجابة الرسول، ج٤، ١٢. قول في الجهاد وسؤال عن تبشير الناس وجواب عن درجات الجنة ج٤، ١٩–٢٠، ٣٢. سؤال معاذ ثم إجابة الرسول ثم طلب معاذ ثم جواب الرسول ج٤، ٣٥. قول الرسول ثم سؤاله مرتين ثم إجابته ثم سؤاله ثم حكمه النهائي ج٤، ٣٦. أمر بترك الأحباش وسؤاله عائشة عن رغبتها في الفرجة ثم تعليقه على النساء ثم سؤال بالكفاية ج٤، ٤٧. موافقة الرسول على أكل لحم الحمار ثم سؤاله إذا كان بقي منه شيء له ج٤، ٤٩، ٧٢، أمر الرسول ثم سؤاله ثم قوله ج٤، ٨١–٨٢.

[٣٣٦] ج١، ٢١، ٢٢.

[٣٣٧] تأويل الظاهريات ص١٩٨–٢٠٠.

[٣٣٨] عندما أمر الرسول «من ذبح قبل الصلاة فليعُد. فاستدرك رجل أنه يشتهي اللحم هو وجيرانه، فوافق الرسول وانضم إليه.» وعندي جَزَعة أصبى إليَّ من شاتَي لحم.» ج٢، ٢١.

يأتي جواب الرسول ثم سؤال استيضاحي ثم جواب الرسول. فالحديث ليس تلقينًا بل هو مشاركة مع السامع.[٣٤٠] الحديث مجرد إشعال، مجرد شرر يُطلق نار الحقيقة من قلب السامع، وقد تكون الإجابة على سؤال الاستدراك بالإشارة باليد وليس بالقول.[٣٤١] فلغة الجسد مُكملة للغة اللسان. والجسد كله أداة للتعبير، حركاته وسكناته، وجهه وقسماته، عيونه وحواجبه، وقد يكون الاستدراك على قول الرسول بطلَب الكتابة وموافقة الرسول على ذلك. ويكون استدراكٌ ثانٍ شفاهًا إلا الإذخر. فاستثناه الرسول بناء على الطلب.[٣٤٢] الرسول يعطي العام والاستدراك يُعطي الخاص.

وقد تكون البداية السؤال بناء على قول أحد الصحابة جازمًا أن الله أكرم الميت. وبالرغم من جواب الصحابي بالإيجاب يجيب الرسول أنه لا حكر على إرادة الله ولا من الرسول. فانكشاف الحقيقة مُتدرج حتى نُعرَّف بيقينٍ، ولا تأتي دفعة واحدة وتذهب دفعة واحدة.[٣٤٣]

قال الرسول إن من أنفق على زوجين في سبيل الله دعتْه خزَنة الجنة؛ أي نال الثواب. فسأل أبو بكر عن شيء فأجابه الرسول بأنه يرجو أن يكون منهم، وفي صياغة أخرى دُعي من باب الجنة، عبادة عن النبي.[٣٤٤] فالإيقاع مرتان: سؤال وجواب وسؤال وجواب مثل السؤال عن أتقى الناس. وقد أُخبر الرسول بالخلاف بين أنصاري ومهاجري فسأل عنه وحكم عليه بأنه خبيث. فالسؤال والجواب حوار مُستمر وجدل دائم.

---

[٣٣٩] لمَّا أمر الرسول بالتمر بعد الصلاة استدرك صحابي أنه نحر قبلها فعلَّق الرسول بأنها شاة لحم، فردَّ الصحابي بأن لديه عناقًا أحبَّ إليه من شاتَين فوافق الرسول، ج٢، ٢١–٢٤، ٢٦، ٢٨.

[٣٤٠] «بينما أنا نائم أوتيت بقدح لبن فشربتُ حتى إني لأرى الريَّ يخرج في أظافري، ثم أَعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب.» قالوا فما أوَّلتَه يا رسول الله قال «العِلم.» ج١، ٣١.

[٣٤١] لمَّا قال الرسول «يُقبض العلم.» «ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج.» سئل عن الهرج فقال هكذا بيده فحرفها إشارة إلى القتل، ج١، ٣١، إلَّا الإذخر ج٣، ١٦٤.

[٣٤٢] ج١، ٣٩.

[٣٤٣] ج٢، ٩١. سؤال عن بناء الكعبة ج٤.

[٣٤٤] ج٤، ١٣٦، حوار حول يأجوج ومأجوج ج٤، ١٦٨. سؤال عن بناء الكعبة ج٤، ١٧٨، إعاقة أبي بكر ص١٨٢. اليهود واتِّباع المُسلمين لهم ج٤، ٢٠٦، أتقى الناس ج٤، ٢١٦، الخلاف بين المهاجري والأنصاري ج٤، ٢٢٣. برد الحُمى ج٤، ٢٤٦.

(٦) سؤال الصحابي وجواب الرسول ثم سؤال الصحابي وجواب الرسول

وهو شكل أدبي مضروب في اثنين؛ سؤال الصحابي ثم إجابة الرسول، ثم تكرار السؤال والجواب مرة ثانية فيصبح شكلًا رباعيًّا. وقد كان في الأصل ثنائيًّا ثم تكرَّر أي ضُرب في اثنين. وقد يتكرر السؤال والجواب عدة مرات بعد القول المباشر.[٣٤٥] وقد يكون قول الرسول أمرًا ثم سؤالًا ثم حُكمًا ثم سؤالًا ثم أمرًا، خمسة أقوال مختلفة من حيث أنواع الخطاب.[٣٤٦] وقد يتكرَّر السؤال والجواب ثلاث مراتٍ فيصبح سُداسيًّا أي حوارًا متصلًا.[٣٤٧] وقد يكون السؤال من الصحابي والإجابة من الرسول ثم يُعاد السؤال أكثر درجة فيجيب الرسول مُكررًا السؤال الثاني. وهو الإيقاع السداسي.[٣٤٨] وقد يتكرر ذلك ثماني مرات في حوارٍ قصير؛ سؤال عن الجاهلية وأشر منها ثم الإيجاب. ثم سؤال عن الأشرِّ فأجاب بتفصيل. ثم سؤال عن التفصيل ثم أجاب، ثم سؤال عن شرٍّ أبعدَ فأجاب، ثم سؤال عن التفصيل فأجاب، ثم طلب النصيحة فأجاب، فإن استحالت فأجاب.[٣٤٩]

---

[٣٤٥] دعوة الرسول بالرحمة ثم سؤال الصحابي عن الوصية بما له كله ثم رفْض الرسول ثم بنصفه ورفض الرسول ثم بثلثه وهو كثير لأنه من الأفضل ترك الورثة أغنياء. ج٤، ٣–٥.

[٣٤٦] دخلت عائشة على الرسول ومعها جاريتان تُغنيان فنهرهما أبو بكر فقال له الرسول «دعهما». وكان يوم عيد فسألها الرسول «تشتهين تنظُرين؟» فأجابت نعم، فوضع خدَّه على خدِّها قائلًا: «دونكم يا بني أرقدة.» حتى إذا ملَّت قال «حسبك.» قالت نعم. قال «فاذهبي.» ج٢، ٢٠. أمر الرسول بالركوب، فاعترض بأنها بدنة فكرَّر الرسول الأمر فكرَّر الاعتراض. فكرَّر الأمر مع «ويلك.» ج٢، ٢٠٥، ٢٠٨.

[٣٤٧] سؤال اليهودي الرسول عن ثلاث: أشراط الساعة، وأول طعام يأكله أهل الجنة، وشبَه الولد لأبيه أو لأخواله. وجواب الرسول بما أجابه جبريل. ثم ردَّ اليهودي أنَّ جبريل عدو اليهود. ثم أجاب الرسول عن أشراط الساعة وهي نار تحشُر الناس من المَشرق إلى المغرب. وأول طعام يأكلُه أهل الجنة فهي زبدة كبد الحوت. وشبَه الولَد للأب إذا سبق ماؤه ويُشبه الأمَّ إذا سبق ماؤها؛ فشهد اليهودي بأن الرسول رسول الله. ثم سأل الرسول عن خشيته من قومه. فدخل عليه اليهود فسألهم الرسول عن عبد الله بن سلام فأجابوا بأنه أعلَمُهم. ثم سألهم الرسول عن إمكانية إسلامه فاستعاذوا بالله من ذلك. فخرج إليهم عبد الله ابن سلام مُلقيًا الشهادة فوصفوه بأنه أشرُّهم، ج٤، ١٦١.

[٣٤٨] السؤال عن أكرم الناس والجواب أتقاهم. والسؤال أن هذا ليس هو المقصود فقال يوسف. وهذا ليس هو المقصود مرة ثانية فكرَّر الرسول السؤال بأنه عن العرب وأنَّ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، ج٤، ١٧٠.

[٣٤٩] سؤال عن اغتسال المرأة وجواب الرسول بالإيجاب، ثم سؤال عن احتلام المرأة ثم إجابة الرسول بالإيجاب، ج٤، ١٦٠. سؤال عبد الله بن سلام اليهودي عن ثلاثة أشياء وإخبار الرسول إيَّاه بأن جبريل

وقد يتداخل الفعل مع القول للصحابة والرسول أو لقريش والرسول. فعل للرسول أغضب قريشًا واتهامه لهم بالمُحاباة، فقول للرسول ففعل لأحد الناس فقول للرسول يتهم فيه إيمان من اتهمه ظلمًا.[٣٥٠]

(٧) كتاب الرسول

كتاب الرسول هو الحديث المدوَّن مثل رسالته إلى هرقل عظيم الروم لدعوته إلى الإسلام.[٣٥١] وتكشف عن معرفة الرسول بتاريخ الفِرَق المسيحية مثل «الأريسيين». وقد يكونون «الأريوسيين» أصحاب أريوس الذين رفضوا ألوهية المسيح وقالوا بأنه عيسى ابن مريم كما يقول المسلمون، سواء عرف الرسول ذلك عن طريق الوحي أو عن طريق التاريخ أثناء رحلاته إلى الشام من المسيحية العربية والرومية. والرسول لا يكتب بيدِه ولكن الراوي جعله يكتُب؛ أي أمَرَ بالكتابة فانتصر الإسلام لإحدى الفرق المسيحية الأولى في عصر آباء الكنيسة في القرن الرابع آخذًا صفَّ أريوس الذي كان يقول بإنسانية المسيح ضد أبولوناريوس الذي كان يقول بألوهيته قبل أن يتوسَّط مجمع نيقية بين الاثنين ويرفع شعار «واحد في ثلاثة»، و«ثلاثة في واحد».

بالإضافة إلى القرآن ورسالته إلى هرقل عظيم الروم وطبقًا لعلي، كتب النبي في صحيفة عن حرمة المدينة وموالاة الأعداء.[٣٥٢] وقد أوحى القرآن بكتابة كل العقود وتنصيب الشهود

أخبره بها. فقال إنه عدو اليهود، ومن الملائكة فأخبره الرسول بها. ثم سأل الرسول عنه وماذا يفعل الناس إذا أسلم، ج٤، ١٦٠–١٦١، أكرم الناس ج٤، ١٧٨–١٧٩، ٨٢، السؤال المضاعف ج٤، ٢٤٢.

[٣٥٠] ج٤، ١٦٧.

[٣٥١] «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهُدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام؛ أسلِم تسلَم يؤتك الله أجرك مرتَين. فإن تولَّيت فإن عليك إثم الأريسيين.» ج١، ٧، ٨٣–٨٤، ج٤، ٥٤، ٥٧. كتاب الرسول لأبي بكر عن الصدقة ج٢، ١٤٤، كتاب أبي بكر إلى البحرين بأمر الرسول ج٢، ١٤٦. صحيفة النبي عن حرمة المدينة ج٣، ٢٦. «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.» ورفض علي المحو، فمحا الرسول وكتب «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ...» ج٣، ٢٤٢. الكتابة باسم الله الرحمن الرحيم وتغييرها باسمك اللهم، ج٣، ٢٥٥–٢٥٦.

[٣٥٢] «المدينة حرام ما بين عابر إلى كذا. فمن أحدث حدثًا أو آوى مُحدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه عدل ولا صرف. وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم. فمن أخفر مُسلمًا فعليه

عليها مثل عقود الزواج والبيع والشراء؛ حفظًا للحقوق ومنعًا من ضعف الذاكرة أو تدخل الأهواء والمصالح وتغير النفوس.

وكان الرسول يودُّ أن يكتب كتابًا في مرضه الأخير لن يضلَّ المسلمون بعده، فرفض عمر لأن في كتاب الله وسنة رسوله غنًى عنه.[٣٥٣] فقد خشي أن يكون هناك ثلاثة مصادر للوحي، القرآن والسنة وهذا الكتاب الذي كتبه الرسول. وقد يختلف المسلمون على أولويتها، القرآن والسنة أم الوصية. لذلك تنبَّه الأصوليون على أن القرآن هو المصدر الأول وأن السنة مُندرجة تحته، وأنها تفريع لأصول. وفي حالة التعارُض بين الكتاب والسنة يرجح الكتاب. فالكتاب لم يمرَّ بفترة شفاهية قد يُصيبها الخلل في النقل كما هو حادث في السنة. لذلك فعل علماء الأصول التواتر شرط صحة الحديث.[٣٥٤]

ولا تهم في الكتابة الألقاب. فقد كتب عليٌّ هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فاعترضوا على اللقب لأنهم لا يعترفون به وأرادوا كتابة محمد بن عبد الله فرفض علي، وقبل الرسول. وطالب بمحو رسول الله، فرفض عليٌّ ومحاه النبي بيده. ثم طالبوا الرسول بالرحيل فرحَل.[٣٥٥] فالمهم الرسالة وليس الرسول، القضية وليس الشخص، المضمون وليس الشكل، الغاية وليست الوسيلة.

وتجد المناولة، أحد وسائل النقل الكتابي، أصلًا لها في الحديث عندما كتب لأمير سريةٍ كتابًا طالبًا منه ألا يقرأه حتى يبلغ مكانًا مُعينًا.[٣٥٦] فالفتح غاية والتوجيه يأتي بعدَها. والخوف أن يقرأ أمير السرية الكتاب قبل الوصول إلى أبواب الأرض المفتوحة فيتوقَّف. الفتح أولًا ثم التوجيه ثانيًا.

طلب الرسول كتابة قائمة بأسماء من تلفَّظوا بالإسلام.[٣٥٧] وهي بداية كتابة الدواوين في عهد عمر. والتحوُّل من الشفاه إلى التدوين مسارٌ طبيعي للعلوم الإسلامية.

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل. ومن والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل.» ج٤، ١٢٥.

[٣٥٣] «ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتابًا لن تضلُّوا بعده أبدًا.» ج٤، ٥٨.

[٣٥٤] من النص إلى الواقع، ج٢، بنية النص ص٩٩–١٠٩.

[٣٥٥] ج٤، ٦٢١.

[٣٥٦] ج١، ٥٢، من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص١٤٨–١٥٠.

[٣٥٧] ج٤، ٧٨.

الفصل الثاني

نقد المضمون العقلي

(١) من نقد الشكل إلى نقد المضمون

ويعني «نقد المضمون العقلي» التحوُّل من نقد الشكل إلى نقد المضمون. ولمَّا كان الحديث مُوجَّهًا نحو العمل فإن كل ما يتعارض مع العمل يصبح عُرضة للنقد. ويعني النقد هنا التساؤل حول الصحة التاريخية من حيث السند أو من حيث المتن. ولمَّا كان الوحي نفسه يقوم على العقل، وكان الحديث جزءًا من الوحي، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ فإنه أيضًا يتأسَّس على العقل مثل الوحي؛ فكلاهما من أصل واحد. القرآن وحي لفظًا ومعنًى، والحديث وحيٌ معنًى دون لفظ. علاقة الكتاب بالسنة هي علاقة النص بالعبارة الشارحة، المبدأ العام بالتفصيلات، النظرية العامة بالتطبيقات.

ولا يصنف المضمون العقلي أو المضمون الواقعي تحت الأشكال الأدبية. الشكل الأدبي يتعلق بالصياغة، القول المباشر، الرواية، الحوار ... إلخ، وليس بمضمون الحديث. في حين أن المضمون العقلي يتعلق بمدى اتفاق معنى الحديث مع العقل، والمضمون الواقعي يُبين مدى اتفاق معنى الحديث مع الواقع. المضمون العقلي أو الواقعي يتعلق بموضوع الحديث وليس بطريقة أدائه في السند أو المتن.

ومن الصعب التفرقة بين «نقد المضمون العقلي» (الفصل الثاني) و«نقد المضمون الواقعي» (الفصل الثالث) نظرًا لاتحاد العقل والواقع في ثُلاثي الوحي والعقل والواقع كأبعادٍ ثلاثة لشيءٍ واحد. فالوحي يرتكز على العقل في الذات وعلى الواقع في العالم. ومع ذلك كل الأحاديث الغيبية الخاصة بالموضوعات المُتعالية تدخل في «نقد العقل» وما سُمِّيت «الأحاديث القدسية». وكل الأحاديث الخاصة بالمعجزات تدخل في «نقد الواقع» لأنها تناقض قوانين الطبيعة.

هناك أحاديث لم تسبقها آيات، كغطاءٍ أو قاعدة لها ممَّا يدعو إلى الشك فيها.[1] وعقلًا كيف يغفر عمل ليلةٍ ذنوبَ العمر كله؟ وقد حسبت عائشة وأسماء آية في السماء وأيَّدهما الرسول لأنه يرى حتى الجنة والنار في مقامه والفتنة في القبور. ولا يدري الراوي هل قالت أسماء فتنة المسيح الدجَّال؟ وهل قالت المؤمن أو المُوقِن يقول هو محمد رسول الله ولا يدري هل قالت المنافق أو المُرتاب؟[2] ولا أصل في الكتاب لهذا الخبر، وكذلك حديث موسى يغتسل وحدَه واتهام بني إسرائيل له بأنه آدر، وفرار الحجر بثوب موسى وضرب موسى الحجر فثبتَ بطلان الاتهام، ونفس الحديث مع أيوب.[3]

والأقوال الغيبية هي في نفس الوقت أشكال أدبية ومضمون. هي أشكال أدبية لأنها قَصٌّ من صُنع الخيال. وهي مضمون لأنها تُعارض العقل. وهناك علاقة بين الأحاديث الغيبية والأحاديث الطوال. فالأحاديث الغيبية طويلة. والأحاديث الطويلة غيبية. فالخيال يحتاج إلى مساحة. والتصوُّر الفني لا حدود له.[4]

والأحاديث الطوال لا تستطيع الذاكرة استيعابها مثل قصة موسى والخضر، وإمكانية الخيال التدخُّل لمزيدٍ من الإحكام الروائي والإبداع الفني.[5] ومن الأحاديث الطوال رؤية الله كما يُرى البدر، وعقاب الكافرين ومُجازاة المؤمنين.[6] وحلم طويل تصوير فني.[7]

وكتاب «بدء الخلق» وهو أطول كتب البخاري ضمن تبويب الفقه، مع أنه موضوع نظري عقائدي فلسفي صوفي خالص لا شأن له بالأحكام العلمية وهي موضوع الحديث. وهو الذي اعتمد عليه المُستشرقون لإثبات أثر الأفلاطونية المُحدثة في علم الحديث.[8] والعجيب أن معظم كتاب بدء الخلق لا يتعلق بالموضوع بل يدخل في عِلم السيرة. يشمل

---

[1] مثل حديث «من يقُم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه.» بالرغم من وجود آية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه.» بالرغم من وجود آيات قرآنية عن رمضان ص١٦. وحديث آخر في نفس الموضوع ص١٩.

[2] ج١، ٣٢، ٥٧–٥٨.

[3] السابق ج١، ٧٨، من أحصى أسماء الله التسعة والتسعين دخل الجنة، ج٣، ٢٥٩.

[4] «مثال: خرج ثلاثة فأصابهم المطر فاحتمَوا بمغارة بجبلٍ فسدَّته صخرة. فدعا كل منهم الله بأفضل شيء عمله. الأول أبواه شيخان وكان يرعاهما مع أولاده وامرأته وأهله؛ فانفرجت الصخرة الثلث. والثاني أحبَّ ابنة عمِّه وأرادها فطلبت مائة دينار فجمعها ولكنها امتنعت إلا بحقِّه فقام عنها؛ فانفرجت الصخرة الثلث الثاني. والثالث استأجر أجيرًا ورفض أن يأخُذ أجره الذرة فزرعها ومنها اشترى أبقارًا فأتاه الأجير فأعطاه الذرة والأبقار ريعها؛ فانفرج الثلث الأخير.» السابق ج٣، ١٠٤–١٠٥، ١١٩، ١٣٨–١٣٩.

الكتاب بدء الخلق أقل من الربع، وعِلم السيرة ثلاثة أرباع الكتاب.[٩] وهو ما يوحي بالحقيقة المحمدية عند الصوفية وعلاقتها بالخلق.[١٠] بل وتضم أكثر من موضوعات السيرة.[١١] تجمع بين الخاص والعام. فتركيبه مُصطنع؛ يجمع بين موضوعين لا شأن لهما بالفقه.

ومن الصعب فصل الأشكال الأدبية في كتاب «بدء الخلق» عن مضمونها الميتافيزيقي لأن المضمون يفرض نفسه على الشكل، لأن المضمون أقوى وأكثر حضورًا. والشكل أقوى وأكثر حضورًا في المسائل العلمية. ويمكن تصنيف كتاب بدء الخلق على مستويين:

(١) استمرار تحليل الأشكال الأدبية في باقي أجزاء البخاري اتساقًا مع باقي الأجزاء بصرف النظر عن المضمون.

[٥] «وحكاية نزول جبريل من فُرجة من السقف وشق صدر النبي وغسله بماء زمزم وعرج بالرسول إلى السماء وأَمْره السماء أن تفتح واستقبال آدم له ثم مرَّ بالسموات السبع وبها إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم. وتنقطع الرواية مرَّتين بنسبتها إلى ابن حزم وأنس بن مالك عن ابن عباس والأنصاري وقد فُرِضت الصلاة بعد حوارٍ حول ما تُطيقه الأمة، فهبطت من خمسين إلى خمس حتى الوصول إلى سدرة المنتهى ودخول الجنة وبها حبَّات اللؤلؤ وتراب المسك.» السابق ج١، ٤١–٤٢، ٩٧–٩٨.

[٦] السابق ص٢٠٤–٢٠٥.

[٧] «رجلان أخذاه إلى الأرض المقدسة، رجل جالس ورجل بيده كلُّوب من حديد يدخل من شدقه إلى قفاه أكثر من مرة (الكذَّاب)، ورجل يضرب آخر بصخرةٍ فيشدخ في رأسه فيلتئم ويضربه من جديد (من عَلِم القرآن ولا يعمل). حرق رجال ونساء عُراة في تنُّور (الزناة). رجل في نهر دم يضرب الصخر إذا أراد الخروج (المرابون)، وروضة خضراء بها شجرة وشيخ وصبيان ونساء (الشهداء) مع الأنبياء والملائكة، ودار لمحمد ودار عمر لم تستكمل.» السابق ج٢، ١٢٦–١٢٧.

[٨] بدء الخلق (٣٧٠ص) ج٤، ١٢٨–٢٥٣، ج٥، ٢–٢٢٦، ج٦، ٢–٢٠. وهو المستشرق مايرهوف.

[٩] لا يشمل بدء الخلق إلا ٨١ص في حين أن السيرة تشمل ٢٧٩ص.

[١٠] من الفناء إلى البقاء ج٢ الوعي الذاتي.

[١١] تضم: حديث الغار، المناقب، قصة زمزم، أسماء الرسول، صفته، علامات النبوة، فضائل الصحابة، مناقب المهاجرين والأنصار، زواج خديجة، بنيان الكعبة، أيام الجاهلية، ما لقيه من المشركين في مكة، الهجرة الأولى، الإسراء، الهجرة الثانية، غزواته العشر: بدر، أحد، الخندق (الأحزاب)، ذات الرقاع، بنو المصطلق، الحديبية، ذات القرد، خيبر، الطائف، ذو الخلصة. حديث بني النضير، حديث الإفك، عقبة أبي موسى ومعاذ وجرير إلى اليمن، حج أبي بكر بالناس، قصص الأسود العنسي، عمان والبحرين، دوس والطفيل، كتابه إلى كسرى وقيصر، مرضه ووفاته.

التحول من الأشكال الأدبية إلى تحليل المضمون ثم ظهورها من جديد من خلال المضمون، وتصنيف المضمون طبقًا لها.

والقول المباشر نداء. يتقطع مرة بالرواية.[١٢] ويتكرر النداء مما يدل على رغبة الراوي في الإقناع والإصرار على الإيحاء بصدق الرواية. وقد تحتوي الرواية على جانب من الخيال كان من الصعب وضعه في الأقوال المباشرة للرسول. وهو قليل في أبواب الفقه. ففي الموضوعات الفقهية يقلُّ الخيال.[١٣]

(٢) الحلم والرؤية

وهناك صور فنية وأمثال تُعبر عن مدى الصداقة والأخوة بينه وبين صاحبَيه. وهناك صياغات أخرى مشابهة. ويدعو الرسول لعدم سب أصحابه؛ فلو أن أحدًا أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ قدْر أحدهم أو نصفه.[١٤] رأى الرسول ظلة، تنضح السمن والعسل يأخذ منها المُستكثر والمُستقل، ثم رأى سببًا واصلًا من السماء إلى الأرض أخذ به أبو بكر فَعَلا ثم أخذه آخر فَعَلا ثم ثالث فانقطع ثم وصل. والظلة الإسلام، وظلة السمن والعسل القرآن، والسبب الواصل من السماء إلى الأرض الحق الذي أخذه أبو بكر فَعَلا به ثم آخر ثم ثالث، وربما هم الخلفاء.[١٥] وبينما الرسول نائم شرب اللبن حتى خرج الريُّ من أظافره فناوله عمر. وكان تأويله العلم.[١٦] وفي تشبيهٍ آخر قميص فاض عن صدر عمر وأوَّلَه الرسول بالدين. ومن الأقوال المباشرة للرسول حلم في فضل عمر بن الخطاب.[١٧] ورأى ابن عمر كأن في يده سَرَقة من حرير لا يهوي بها إلى مكانٍ في الجنة إلا طارت إليه. والقيد في المنام ثبات في الدين. وحلم آخر في فضل الشهداء.[١٨]

وبطبيعة الحال تتعدَّد موضوعات الأحلام، منها الحسَن ومنها السيئ؛ فمن الحسَن الخضر في المنام والروضة الخضراء.[١٩] ومنه أيضًا التعليق بالعروة والحلقة وهو حلم كأن

---

[١٢] ج٤، ١٢٨.

[١٣] مثل البخاري الجزء السابع.

[١٤] فكان في الحلم على قليب ولو نزع منه ما شاء ثم أعطاها لأبي بكر فنزع بها ذنوبًا قليلة بضعف. ثم أعطاها لعمر فأخذ ينزع منها بقوَّة حتى كاد أن يضرب الناس، ج٥، ٧، ١١، ١٣.

[١٥] ج٩، ٥٥.

[١٦] ج٥، ١٣، ١٥.

صاحبه في روضةٍ ووسطها عمود أعلاه عروة وصعده متمسكًا بالعروة. ومن السيئ رأى أحدهم ملكين في يد كلٍّ منهم مقمعة من حديد وأوقفاه على شفير جهنم وعليها رجال مُعلقون بالسلاسل ورءوسهم إلى أسفل، منهم رجال من قريش تنبئوا بالغدر وبالانقلاب على الإسلام. ومنه أيضًا أن النبي رأى امرأةً سوداء ثائرة الرأس وأوَّلَها أنها وباء ينزل بالمدينة.[٢٠] وفي رمز آخر أتى مُسيلمة الكذَّاب والرسول في يده جريدة يُهدده فيها بالعقر ثم ينقطع القول إلى أن ذلك يحدُث في الحلم. بين يدي الرسول سواران من ذهب فنفخهما فطارا. فتأويلهما أنهما كذَّابان يخرجان من بعده، العنسي ومُسيلمة. فالحلم في حاجة إلى تأويل.

ومن موضوعات الأحلام عائشة؛ فقد رآها الرسول في المنام يجيء بها الملك إليه في سرقة من حرير مُخبرًا إيَّاه بأنها امرأته، فكشف الرسول عن وجهها فإذا هي عائشة. فرضِيت لأنه أمر الله.[٢١] وكانت تفخر باستمرار وتتباهى على باقي نساء الرسول بأن أهليهن زوَّجوهن في الأرض أما هي فقد زوَّجها الله في السماء. وعندما يصعُب نسبة القول إلى الرسول في اليقظة يُنسَب إليه في المنام كما رأى الرسول عائشة في سرقة من حرير على أنها امرأته.[٢٢] وهو دليل على مدى القُرب والمحبة بين الرسول وزوجه.[٢٣] فقبل أمر الله. وتضيف الرواية أنه نكحها وهي بنت ستِّ سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين.[٢٤]

وقد يطول الحديث ويتشعب وتكثر شخصياته. وكان يسأل أصحابه أن يقصُّوا رؤاهم فإن لم يفعلوا قصَّ هو نفسه.[٢٥] والحلم به كل مقومات القصِّ والتقابل بين

---

[١٧] «بينما أنا نائم أُتيتُ بقدح لبن فشربتُ حتى إني لأرى الريَّ يخرج في أظافري ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب.» ج١، ١٣.

[١٨] رأى رجلين صعدا به الشجرة فأدخلاه دارًا لم يرَ أفضل منها وهي دار الشهداء، ج٤، ٢٠.

[١٩] ج٩، ٤٥–٤٨.

[٢٠] ج٩، ٥١–٥٣، ج٤، ١٤٧.

[٢١] ج٧، ١٨-١٩.

[٢٢] «أُريتُكِ في المنام مرتين إذا رجل يجعلك في سرقة حرير، فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنتِ فأقول إن يكن هذا من عند الله يُمضِه.» ج٧، ٦.

[٢٣] ج٩، ٤٦-٤٧.

[٢٤] ج٥، ٧١.

[٢٥] «فقد أتاه آتيان ذات ليلة فرأى رجلًا مُضطجعًا وآخر قائمًا عليه بصخرة يُسقطها عليه ويتكرَّر ذلك بعد أن تصحَّ الرأس. وهو الرجل الذي يرفض القرآن وينام عن الصلاة. ورجل آخر مُستلقٍ على قفاه

الخير والشر، بين النعيم والعذاب، بين الجمال والقُبح. وتعليق التأويل حتى النهاية. وهي مناظر سبعة بما يدل عليه العدد من رمزية.

وتشمل الأحلام ليس فقط الأشخاص بل أيضًا الأمكنة والحوادث. فقد رأى الهجرة في المنام، أرضًا بها نخل اليمامة أو أرضًا أخرى، ثم اتضح أنها يثرب. فكل فعل يأتيه في منام.[٢٦] ويرى الرسول في المنام وهو يهاجر مكة إلى أرضٍ بها نخل وهي المدينة، جمهور المؤمنين وكأنهم بقر يوم أحد، والصدق والخير بعد يوم بدر.[٢٧] ورؤية الرسول عن بُعدٍ ردُّ فعلٍ على تكذيب الناس له.[٢٨] كل شيء في حياة الرسول يتم بمخطط مُسبق يعرفه حلمًا، الهجرة إلى المدينة، هزيمة أحد، عام الفتح، نصر بدر.

والإسراء والمعراج حلم مثل رؤيا يوحنا في الإنجيل، مثل وصف الكوثر كنهر حافتاه قباب اللؤلؤ مُجوفًا.[٢٩] وفي السدرة أربعة أنهار، اثنان ظاهران، النيل والفرات، واثنان باطنان في الجنة، فأخذ ثلاثة أقداح؛ لبن وعسل وخمر، فشرب اللبن طبقًا للفطرة له ولأمته.[٣٠] ويحشر الناس عراة. وإبراهيم أول من يُكسى. أما أصحاب الرسول فقد أحدثوا الفتن بعدَه.[٣١] وهو ما يتناقض مع مدح الرسول لأصحابه. خاصة أبا بكر وعمر. وقد ربط الرسول بينه وبين إبراهيم في التشهد في الصلاة.[٣٢]

ورأى الرسول في رؤياه أنه هزَّ سيفًا فانقطع صدْر أحد المؤمنين يوم أحد. فهزه مرة أخرى فعاد أحسن ممَّا كان يوم الفتح، تشجيعًا لهم ونصرةً وتأييدًا.[٣٣] ويرى الرسول أعداءه في المنام. فقد رأى وقد وُضِع في يديه سواران من ذهب فكرهَهُما ونفخهما فطارا. وهذا يعني خروج كذَّابَين من بعده؛ العنسي الذي قُتل ومسيلمة.[٣٤] ويرى الرسول في المنام المصائب التي تقع بالأمة ويتنبَّأ بها كما رأى امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة فأوَّلَ ذلك بأنه وباء.[٣٥]

وآخر قائم عليه بكلوب من حديد وينشر شدقه ومنخره وعينه إلى قفاه، ثم يُكرِّر ذلك من الجانب الآخر. ثم يتكرَّر ذلك بعد أن يصحَّ الوجه وهو الكذَّاب. والثالث نساء ورجال عراة في تنُّور فهُم الزناة. والرابع رجل يسبَح في نهر أحمر من الدم ويُلقمه رجل على الشاطئ بحجارةٍ في فمه فيعود إلى النهر ثم يتكرَّر ذلك، وهو آكل الربا. وخامس كريه المرأى وعنده نار يسعى حولها فهو مالك خازن جهنم. وسادس في روضة مُعتمة، رجل طويل وحوله وُلْدان كثير وهو إبراهيم. وسابع روضة عظيمة بها مدينة من ذهب وفضة سُكَّانها أحسن شكلًا وآخر قبيح، وقفزوا إلى نهر أبيض وخرجوا وقد ذهب عنهم السوء، بها جنة عدن ومنازل وهم من خلطوا أعمالًا صالحة بأخرى سيئة.» ج٩، ٥٦–٥٨.

وهناك أقوال مباشرة للرسول في أحلامه بعد اليقظة يرى فيها المستقبل. وهي وظيفة النبي في اليهودية.[٣٦] ويعرف الرسول ما يحدُث قبل أن يجيء خبرُه، مثل موت النجاشي، ويُطالب بالصلاة عليه والاستغفار له.

من لم يرَ تحقيق الحلم فكأنما طلب منه أن يعقد بين شعرتَين. ومن استمع إلى حديث قوم وهُم له كارهون أو يفرُّون منه صُبَّ في أذنه يوم القيامة. ومن صوَّر صورة عُذِّب وكُلف أن ينفخ فيها فيُحيِيها. فالحلم الصادق يتحقق، والكاذب لا يتحقق. ومن افترى فرية جعل عينيه ترى ما لم ترَ.[٣٧] وبهذا المعنى السيئ، الحلم من الشيطان. فإذا حلم أحد فليبصق من يساره وليستعذ بالله.[٣٨] فالحلم نوعان؛ حلم صادق وحلم كاذب. الأول من الملاك، والثاني من الشيطان.

وتُخبر الرواية أنَّ أناسًا رأوا ليلة القدر في السبع الأواخر، وأن آخرين رأوها في العشر الأواخر.[٣٩] فالحلم ليس قاصرًا على الرسول بل يمتدُّ أيضًا إلى الصحابة والتابعين وكل الأتقياء الصالحين مثل الصوفية.

---

[٢٦] ج٥، ٧١.

[٢٧] ج٩، ٥٢–٥٣.

[٢٨] «لما كذَّبتني قريش قمتُ في الحجر فجلَّى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.» ج٦، ١٠٤، ج٤، ٢٤٧.

[٢٩] «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مُجوفًا. فقلتُ ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر.» ج٦، ٢١٩.

[٣٠] ج٧، ١٤١.

[٣١] ج٦، ٦٩–٧٠، ٧٥–١١٢.

[٣٢] «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.» ج٦، ١٥١.

[٣٣] ج٥، ١٣١.

[٣٤] ج٩، ٥٢–٥٣.

[٣٥] ج٩، ٥٣–٥٤.

[٣٦] «فقد ذهب عند أم حرام، وهي امرأة متزوجة لتُطعمه كالعادة، وأخذت تُفليه فنام واستيقظ ضاحكًا. فلمَّا سألته عن السبب قصَّ لها الحلم أنَّ أناسًا من أُمته عُرضوا عليه غزاةً في سبيل الله راكبين البحر، ملوكًا على الأسرَّة. فطلبت أن يدعو لها أن تكون منهم ففعل. ونام ثانية واستيقظ ضاحكًا وطلبت منه أن يدعو لها ففعل في قولٍ مباشر هذه المرة «أنتِ من الأوَّلين.» وصرعت عن دابتها بعد أن ركبت البحر زمن معاوية.» ج٤، ١٩، ٢١، ج٥، ٦٤–٦٥.

والحدْس مثل الرؤية الصادقة ولكن في حالة اليقظة. ويتم بالقدرة على الفهم وإدراك طبائع الأشياء. فالوحي والعقل والطبيعة نسَق واحد، ثلاثة أوجه لشيءٍ واحد. العقل والطبيعة ركيزتا الوحي. والوحي يقوم على ركيزتَين: العقل والطبيعة. وهذا هو معنى حديث أن عمر مُحدِّث هذه الأمَّة كما كان في الأمم السابقة.[٤٠]

(٣) الأحاديث القدسية

وفي كتاب «بدء الخلق» تكثُر فيما سُمِّي فيما بعد «الأحاديث القدسية» أي حديث الله وليس الرسول لإعطاء مزيدٍ من السلطة واليقين لهذه الأحاديث المشكوك في صحتها. ولم تكن قد ظهرت من قبل في الأجزاء الثلاثة الأولى والنصف الأول من الجزء الرابع. مثال ذلك: يقول الله إنَّ أهون أهل النار عذابًا ما كان له شيء في الأرض يفتدي به وهو في صلب آدم، وهو عدَم الشرك به فأبى الإنسان إلا الشرك. وكيف يتكلم الإنسان وهو في صلب آدم؟ وكم في صلبه؟ وإذا كان الله أخذ عهد الذر على البشر وقدَّر كل شيءٍ فكيف يكفر الإنسان بالله؟[٤١] والسؤال هو: كيف يحمل ابن آدم الذي سنَّ القتل وِزر القاتل، وكلُّ نفس بما كسبت رهينة؟

الله هو المتحدِّث في القدسي وليس جبريل أو الملائكة كنوع من التصوير الفني واستعمالًا لأساليب البلاغة وفنون القول. مثال ذلك كذبه ابن آدم وأنكر الحشر، وشتمه بنسبة الولد والزوجة له. وقد أمر بالإنفاق لأن يد الله ملأى لا تنقصها نفقة حتى ولو أنفق ما في السماء والأرض.[٤٢] وينادي الله يوم القيامة على آدم لإخراج بعث إلى النار وآخر إلى الجنة من ذريته وقدره تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف أي الأغلبية. وللحديث صياغات عدة يتدخل فيها الخيال بإدخال يأجوج ومأجوج، والشعرة السوداء في جانب الثور الأبيض أو الشعرة البيضاء في جانب الثور الأسود، وكيف تكون هذه النسبة الضئيلة

---

[٣٧] ج٩، ٥٤.

[٣٨] ج٩، ٤٥–٤٨.

[٣٩] ج٩، ٤٠-٤١.

[٤٠] ج٥، ١٥.

[٤١] ج٤، ١٦٢.

[٤٢] ج٦، ٢٤، ٩٢، ٢٢٢.

ويكون المسلمون الأغلبية في الجنة؟[٤٣] وقال الله إن ابن آدم يؤذيه بسبِّه الدهر والله هو الدهر.[٤٤] بيده الأمر، يقلب الليل والنهار. وهذه الزيادة تجعل الدهر مجرد تقلب الليل بيده.

ويبدأ الحديث أحيانًا بلفظي «يقول الله» خارج القرآن وهو ما سُمي بعد ذلك الأحاديث القدسية لإعطاء الحديث مزيدًا من القوة.[٤٥] ولم يكن في البداية كذلك. وهو مثل حديث مُحاربة الله من يُعادي أولياءه وهم الصوفية، والقربة بين الإنسان والله عن طريق المحبَّة، ثم التوحيد بين السمعَين والبصرَين واليدَين والرجلَين.[٤٦] وإدخال الله في الحديث لتقويته وزيادة أثره في الإقناع وليس الاكتفاء بالتبليغ. فكل عمل الإنسان له إلَّا الصوم فإنه لله يجزي به. خُلوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك.[٤٧] وقد يكون ذلك إيجابًا وسلبًا حين يلعن الله الواصِلة والمستوصِلة، وهو حلق الشعر حتى ولو كان بسبب المرض.[٤٨] وحق العباد على الله إذا عبدوه ألا يُعذبهم.[٤٩] فللإنسان حقوق على الله كما أن عليه واجبات. والله له حقوق على الإنسان كما أن عليه واجبات (كتب الله على نفسه الرحمة). وكما قالت المُعتزلة الواجبات العقلية. والأحاديث القدسية هي أحاديث نبوية نُسبت إلى الله لمزيدٍ من الإقناع والتأثير. فالقرآن كلام الله والحديث كلام الرسول. ولا

[٤٣] ج٦، ١٢٢–١٢٣.

[٤٤] ج٦، ١٦٦.

[٤٥] «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة.» ج٨، ١١٢.

[٤٦] «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضتُ عليه. وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه. فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذ بي لأُعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.» ج٨، ١٣١. «يقول الله تعالى لِأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لو أنَّ لك ما في الأرض من شيءٍ أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم. فيقول أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألَّا تُشرك بي شيئًا، فأبيتَ إلا أن تُشرك بي.» ج٨، ١٤٣.

[٤٧] ج٧، ٢١١.

[٤٨] ج٧، ٢١٢.

[٤٩] ج٧، ٢١٨–٢١٩.

يُوجَد توسُّط بينهما. وبها مزيد من التشويق.[٥٠] وبها بُرهان على أن الله في صفِّ الإنسان باستمرار.[٥١] مثال ذلك الصوم لله يجزي به. وهو سيطرة على الشهوات من أجل الله.[٥٢] والتشبيه لتقوية المعنى مثل كشف الله عن ساقه فيسجُد له كل مؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً فيذهب ليسجد فيجد ظهره طبقًا واحدًا.[٥٣] ويظلُّ ظهره مقوسًا من كثرة الانحناء.

وقد يكون كلام الله على لسان جبريل.[٥٤] فيبدو الحديث القدسي كأنه أقوال جبريل سائلًا عن أهل بدْر، وإجابة الرسول أنهم من أفضل الناس. وأيده جبريل مُضيفًا من شهد بدرًا من الملائكة.[٥٥]

وردًّا على أسئلة اليهود الثلاثة يجيب الرسول، ويعزو إجابته إلى جبريل تقويةً له ضد اليهود، وإعطاء الإجابة مزيدًا من اليقين. وهي إجابة يتساءل حولها العقل. فكيف تكون أول أشراط الساعة نارًا تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وهو ضد تصوُّر الرحمة الإلهية؟ ولماذا يبدأ الحشر بالنار دون الجنة؟ ولماذا يكون أول طعام أهل الجنة زبدة كبد حوت؟ وكيف إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة يكون الوليد أشبَهَ بأبيه، وإذا سبق ماء المرأة يكون أشبَهَ بأمِّه؟[٥٦] ما علاقة سرعة الإنزال بقانون الوراثة والجينات؟ ومثال آخر حديث الإيمان والإسلام والإحسان، الإيمان بالله وملائكته ورسله وبالبعث، والإسلام

[٥٠] «قال الله أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عَين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بِشر.» ج٩، ١٧٦.

[٥١] «يقول الله إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عمِلها فاكتبوها بمِثلها. وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة. وإذا أراد أن يعمل حسنةً فلم يعملْها فاكتبوها له حسنة فإن عمِلَها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة.» ج٩، ١٧٧. «قال الله أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي.» ج٩، ١٧٧. «قال الله إذا أحبَّ عبدي لقائي أحببتُ لقاءه وإذا كره لقائي كرهتُ لقاءه.» ج٩، ١٧٧. «قال الله أنا عند ظنِّ عبدي بي.» ج٩، ١٧٧.

[٥٢] يقول الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشُربه من أجلي …» ج٩، ١٧٥، ١٩٢.

[٥٣] ج٦، ١٩٨.

[٥٤] ج٩، ٣٨.

[٥٥] سأل جبريل «ما تعدُّون أهل بدر فيكم.» ج٥، ١٠٣.

[٥٦] ج٦، ٢٣.

عبادة الله الواحد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، والإحسان عبادة الله وكأنه يُرى، وأشراط الساعة إذا ولدت المرأة ربَّتَها، وتلقين جبريل ذلك للرسول، وليس الرسول للناس،[٥٧] وقراءة القرآن على أحرُفٍ من جبريل.[٥٨]

ويتحدَّث الرسول باسم الله مُبلغًا قوله داخل الحديث، فلا فرق بين قول الله وحديث الرسول.[٥٩] لذلك كان الحديث القدسي أقوى من الحديث النبوي لأن الله هو المُتكلم نيابةً عن الرسول ثم يتكلَّم الرسول نيابةً عن الله مثل الحديث بعد صلح الحديبية. فقد احتاج الرسول إلى تقوية حديثه بعد أن دبَّ الشك في قلوب بعض الصحابة مثل عمر عن مدى شرعية هذا الصلح وعدَم إجحافه بالمسلمين. ويبدأ بسؤال الرسول الناس إذا كانوا قد علِموا ماذا قال ربُّهم للتشويق والنسبة إلى الله. وكيف يعلم المُسلمون ماذا يقول الله دون إبلاغ الرسول وهم ليسوا على اتصالٍ به اتصالًا مباشرًا؟ ولَمَّا أخبروه أن الله ورسوله أعلم أخبرَهم بأن الناس أصبحوا نوعَين؛ مؤمن وكافر به. فمن ينسب المطر إلى رزق الله ورحمته وفضله فهو المؤمن به، الكافر بالكواكب. ومن قال مُطِرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر به. فكل شيء يُرَدُّ إلى الله. وتلك علامة الإيمان بالرسول حتى يَقلَّ المتشككون في صلح الحديبية ويؤمنوا به.[٦٠] ومثَل اليهود والنصارى والمسلمين كمن عمل نصف النهار وثلاثة أرباعه أو كله، إلى الظهر أو إلى العصر أو إلى المساء.[٦١]

والصور الفنية في الحديث كما هي في القرآن. وإذا استُعملت في الشاهد فإن استعمالها في الغائب أولى. فالمُسلم كالشجرة لا يتحاتُّ ورقها وتؤتي أكلَها كل حين.[٦٢] وهو كالنخلة. وإذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها لقوله كالسلسلة على صفوان.[٦٣]

[٥٧] «هذا جبريل جاء ليُعلِّم الناس دينهم.» ج٦، ١١٤.

[٥٨] «أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرُف.» ج٦، ٢٢٧.

[٥٩] «قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.» ج٦، ١٤٥.

[٦٠] ج٥، ١٥٥.

[٦١] ج٦، ٢٣٥.

[٦٢] ج٦، ٩٩، ج٧، ١٠٤.

[٦٣] ج٦، ١٠٠–١٠١، ١٠٢.

واجتماع الملائكة في صلاة الصبح تصوير فني لبيان فضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد خمسًا وعشرين درجة.[٦٤]

والعجيب أنه لا ذِكر في علم الحديث للأحاديث القدسية، وهل لها أسانيد خاصَّة أم تنطبق عليها قواعد السند للأحاديث النبوية؟ ولا يُوجَد حتى تساؤل عن مدى صحتها سواء من حيث السند أو المتن أو الراوي؟ ولا عن مدى الحاجة إليها وضرورتها خاصة أنها تُغرق في مسائل عقائدية تصل إلى حدِّ الأسطورة والخيال بعيدًا عن مقاصد الأحاديث النبوية في التفصيلات العملية. ويطول بعضها بحيث يصعُب على أي ذاكرة لراوٍ حفظها وروايتها. فمُدوَّنات الأحاديث القدسية من وضع المتأخِّرين وليس المُتقدِّمين. وتطوُّر الحديث في التاريخ مثل السيرة يخضع للتقديس المستمر، والتحوُّل من الإنساني إلى الإلهي، ومن الحسِّ إلى الخيال. ويضطرب السند في الأحاديث القدسية. فبعد السند التاريخي أي العنعنة المُتصل إلى الرسول يأتي سند مُفتعل آخر «أراه يقول الله». فمن سمعه من الله؟ بطبيعة الحال ليس الراوي بل الرسول! وكيف؟[٦٥]

وهي أقوال تُشير إلى عقائد الفرق الإسلامية وغير الإسلامية بتعبير علماء الكلام ومؤرِّخي الفِرَق. شتيمة بني آدم لله وتكذيبهم له قد تعني الكفر والشرك به. ويشرح القول معنى الشتيمة وهو ادِّعاء النبوة لله، ومعنى التكذيب وهو إنكار البعث والمعاد.[٦٦] وهذا يعني أن بعضًا منها موضوع لأنَّ الله أو جبريل أو الرسول لا يتحدَّثون عن وقائع حدثت فيما بعد وفاة الرسول.

(٤) تشخيص الطبيعة وبدء الخلق

وتتناول بعض الأحاديث تشخيص الطبيعة والحديث معها وأنسنتها والدخول في حوارٍ معها وأمرها ونهيها. فالطبيعة كائن حي بشر، والإنسان جزءٌ منها وفي علاقة معها. كما تتناول خلقها ونشأتها ومصيرها في كتاب «بدء الخلق».

---

[٦٤] ج٦، ١٠٨.

[٦٥] ج٤، ١٢٩.

[٦٦] «شتمني ابن آدم. وما ينبغي له أن يشتُمني. ويُكذبني وما ينبغي له. أما شتمُه فقوله: إنَّ لي ولدًا. وأما تكذيبه فقوله: ليس يُعيدني كما بدأني.» ج٣، ١٢٩.

(أ) تشخيص الطبيعة

وتبدأ الآية كسندٍ نظري للحديث في البداية في موضوع الريح وكيف أن الرسول نُصِر بالصَّبا وهلكت عاد بالدبور، وفي ذكر الجن وقرابهم.[٦٧] وتُشفَع الآية بعدة آيات أخرى في نفس المعنى. كما يُشفع بألفاظٍ قرآنية يتم شرحها. ومنها ألفاظ الخلق مثل المَني والنطفة. وأيضًا في باب قصص الأنبياء. حديث الطبيعة هو قول فيه تشخيص لمظاهر الطبيعة وحوار الله مع الشمس وكأنها كائن حي. وتستعمل لغة تشخيصية مثل سجود الشمس وليست لغة طبيعية مثل شروقها وغروبها. وتُعطى الأوامر وكأنها كائن عاقل إرادي. ولا تفعل إلا بعد استئذانٍ مثل باقي البشر. ولا يؤذَن لها دون سبب. وتؤمر بالرجوع فتعود للشروق من مغربها مع أن اضطراب قوانين الطبيعة من علامات الساعة. وتأتي الآية بعد ذلك سندًا لهذا التفسير ومصدرًا له، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.[٦٨]

والطبيعة في علاقة مع الإنسان والإنسان في علاقة مع الطبيعة. فالرسول يُحب جبل أحد وجبل أُحد يُحبه في قصدية متبادلة.[٦٩] ويخاطب الرسول جبل أحد ويُعلِمه بأنه ما

[٦٧] هي آية ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾. والحيث «نُصِرتُ بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور.» ج٤، ١٣٢. ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ...﴾، ج٤، ١٥٣. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾، ج٤، ١٥٤. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾، ﴿لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، ﴿فِي كَبَدٍ﴾، ﴿مَا تُمْنُونَ﴾، ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ... إلخ ج٤، ١٥٩، ١٦٢–١٦٤ بالنسبة لإلياس وإدريس. وهود وعاد ج٤، ١٦٦، يأجوج ومأجوج ج٤، ١٥٩، ١٦٧–١٦٨، إبراهيم ج٤، ١٦٩، ١٧٩، إسماعيل ويعقوب ج٤، ١٧٩، لوط ج٤، ١٨٠، ثمود ج٤، ١٨٠، يوسف ج٤، ١٨٢، أيوب ج٤، ١٨٤، موسى ج٤، ١٨٤–١٨٦، امرأة فرعون ج٤، ١٩٢، شعيب ج٤، ١٩٣، يونس ج٤، ١٩٣. داود ج٤، ١٩٤–١٩٧، لقمان وزكريا ج٤، ١٩٨–١٩٩، مريم ج٤، ١٩٩–٢٠١.

[٦٨] سأل الرسول أبا ذرٍّ حين غربت الشمس: «أين تذهب؟» وأجاب: «فإنها تذهب حتى تسجُد تحت العرش فتستأذن فيؤذَن لها ويُوشِك أن تسجُد فلا يُقبَل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها. يُقال لها ارجعي من حيث جئتِ فتطلُع من مغربها.» ج٤، ١٣١. غزوة تبوك ج٦، ٢–٣. سؤال الرسول عن حُمَّى امرأة ج٤، ١٨٣.

[٦٩] «وهذا أحُدٌ يُحبنا ونُحبه.» ج٦، ٩، ج٧، ٩٩.

عليه إلا نبي وصديق وشهيدان.[٧٠] الرسول يُحب جبل أحد وجبل أحد يُحبه ليُخفِّف وقع الصدمة على المسلمين.[٧١] ويُعذَّب قوم بالريح وكأن الريح لا تخضع لقوانين الرياح.[٧٢]

وصعد الرسول المنبر الخشبي فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل الرسول من على المنبر وضمَّها إليه وقد كانت تئنُّ أنين الصبي حتى استقرَّت. فقال الرسول «بكتْ على ما كانت تسمَع من الذكر.» فقد نطق الجماد.[٧٣] وهو مجاز على شدَّة تأثير كلام الرسول في المُستمِعين. كما قال عن جبل أحد «هذا جبل يُحبنا ونحبه.»[٧٤]

ويُحدِّث الحيوانات مثل الذئب كمدعاةٍ للإيمان والتصديق.[٧٥] وتتحدَّث الأغنام والأبقار والذئاب، والرسول يسمعها كلها ويضمُّ إليه أبا بكر وعمر.[٧٦] وللحديث عدة صياغات أخرى مُشابهة أو مُخالفة. ويحادث الرسول أجساد الشهداء سائلًا إيَّاهم إذا كانوا وجدوا ما وعد الله لهم حقًّا كنوع من التحقُّق بالتجربة أمام اعتراض عمر؛ كيف يسمع من لا حراك لهم؟[٧٧]

وقد لا يحتاج تشخيص الطبيعة إلى كلامٍ بل يكفي التعامل معها. ففي القول المباشر الحيَّات جزء من الطبيعة الحية. وقتلها مع الثعابين اتقاءً لشرِّها. أما لمسها البصر وإسقاط الحبل فإنها صور فنية. وتَذكر الرواية الخلاف حولها من الصحابة تُقتَل أم لا تُقتَل لأنها من عوامر البيوت.[٧٨] فاختلاف الرواية حول القول المباشر مَدعاة للشك فيه. وإذا دخلتْ جُحرها فقد وُقِيتْ شرَّ الناس كما اتقى الناس شرَّها. وفي القول المباشر هل قتل الحيَّات

---

[٧٠] ج٥، ١٤، ١٩، ج٦، ٩.

[٧١] ج٥، ١٣٢.

[٧٢] ج٦، ١٦٧.

[٧٣] ج٣، ٨٠.

[٧٤] ج٤، ٤٢–٤٣.

[٧٥] ج٣، ١٣٦.

[٧٦] أخذ ذئبٌ شاةً من راعٍ فطلبها فرفض، لأنه لا راعي يوم السبع لها إلا هو. فردَّت عليه بقرة مارَّة بأنها خُلقت للحرث، ج٥، ٦–٧، ١٥.

[٧٧] ج٥، ٩٧–٩٨.

[٧٨] ج٤، ١٥٤، ١٥٦–١٥٧.

يحمي البصر ويحافظ على الحبَل وهل تركها أحياء يُعمي البصر ويسقط الحبَل؟[79] وفي القول المباشر خمس دواب يُقتلن في الحرم: الفأرة والعقرب والحديا والغراب والكلب العقور.[80]

(ب) بدء الخلق

ويبدأ كتاب بدء الخلق بالآيات الخاصة به للإيحاء بمصداقية أحاديثه. وتذكر آيات كاملة وألفاظ آيات يتمُّ شرحها مثل «أَفَعَيِينَا» أي أعيا علينا، «أَنْشَأَكُمْ» أي خلقكم، «لُغُوبٌ» أي النصب والتعب، «أَطْوَارًا» أي مراحل وقدرا. وهو في الرواية وليس في القول المباشر.[81] وتشرح الرواية الآية في بداية باب «النجوم» ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ بأن لها وظائف ثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. وسوى ذلك تأويل وخطأ وتكلُّف ما لا عِلم به.[82] وتستأنف الرواية ما لا يستطيع القول المباشر التعبير عنه. وكلها شرح ألفاظ القرآن مثل «هَشِيمًا» أي منفردًا و«الأبُّ»، ما يأكله الأنعام و«الأنام» أي الخلق و«بَرْزَخٌ» أي حاجب ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي نكدًا قليلًا.[83] وفي الرواية أيضًا بدأ الرسول يُحدِّث عن بدء الخلق والعرش فتفلَّتت راحلة أعرابي نادمًا على قدومه لأنه لم يفهم هذه الأقوال الفلسفية الميتافيزيقية في الخلق وخسِر انفلات راحلته. فالواقع أبلغ من الفكر وأكثر حضورًا.[84]

والسؤال هو: من أين أتى علم الرسول بنظريات الخلق؟ بعضها في القرآن مثل ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، وليس بها جديد؟ وكذلك خلق السموات والأرض في القرآن لا جديد فيه. إنما تبرُز معارك العقائد حول القدَر المُسبق وعِلم الله وإرادته من ناحيةٍ وحرية الاختيار من ناحية أخرى بين الجهمية والمعتزلة والأشاعرة كحلٍّ وسط في نظرية «الكسب» الشهيرة.[85]

---

[79] ج٤، ١٥٦.

[80] ج٤، ١٥٧.

[81] مثل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. ج٤، ١٢٨.

[82] ج٤، ١٣٠.

[83] ج٤، ١٣٠–١٣١.

[84] ج٤، ١٢٨.

وفي «بدء الخلق» استدار الزمان كهيئته يوم خُلقت السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم. فدائرة الزمان شكل طبيعي وإيحاء إنساني بدوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس.[٨٦] وتغرب الشمس وتذهب حتى تسجُد تحت العرش.[٨٧] ويقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟[٨٨] ولَّما كانت الشمس والقمر آيتين من آيات الله ينتهي الكسوف والخسوف بدوران الأرض والقمر وليس بالدعاء والصلاة.[٨٩]

ليست وظيفة الحديث صياغة نظرية في الزمان المُستدير بدوران الأرض، اثنا عشر شهرًا، أربعة حرم، وثلاثة مُتواليات، ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، ورجب بين جمادى وشعبان. النظرية الأولى ميتافيزيقية خالصة، والثانية الزمان العددي الشهري أكثر حسِّية وأقرب إلى القرآن، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.[٩٠] ولماذا الشمس والقمر مُكوَّران يوم القيامة فقط وهما كذلك منذ الخلق؟[٩١] الشمس والقمر ظاهرتان طبيعيَّتان لا ينخسِفان لموت أحدٍ ولا لِحياته. ثم يعود التشخيص والدعوة للصلاة لهما حين رؤيتهما ممَّا يقرب من الصابئة. وفي صياغة أخرى ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ وهو أفضل من الصلاة بالرغم من أنه مقابلة العِلم بالدين. وفي صياغة ثالثة «فافزعوا إلى الصلاة» والفزع أي الهروب من الظواهر الطبيعية إلى السلوك الديني.[٩٢]

ويصف قولٌ مباشر آخر خلقَ الإنسان في رحِم الأم أربعين يومًا ثم علقة أربعين غيرها ثم مُضغة أربعين ثالثة. ثم يبعث الله ملكًا بأربع كلماتٍ ليكتب عمله ورزقه وأجله،

---

[٨٥] «كان الله ولم يكن شيء غيره. وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء. وخلق السموات والأرض.» ج٤، ١٢٩.

[٨٦] «إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم …» ج٦، ٨٣، ج٧، ١٢٩.

[٨٧] ج٦، ١٥٤.

[٨٨] ج٦، ١٥٨.

[٨٩] «إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله. فإذا رأيتم منها شيئًا فصلُّوا وادعوا الله حتى يكشفها.» ج٧، ١٨٢.

[٩٠] ج٤، ١٣٠، ج٥، ٢٢٤.

[٩١] ج٤، ١٣١.

[٩٢] «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا.» ج٤، ١٣١–١٣٢.

سعيد أم شقي. ثم ينفخ فيه الروح. لذلك يعمل الإنسان. وقبل أن يدخل الجنَّة يُصبح من أهل النار أو يعمل عمل أهل النار ويُصبح من أهل الجنة ضربًا بقانون الاستحقاق عرض الحائط. ووصف النشأة في الرحِم لا يتجاوز أربعة أشهر، وماذا عن الخمسة الأخرى بعد أن تنشأ فيه الروح؟ وكيف يُقدَّر على الإنسان رزقُه وأجله وسعادته وشقاؤه قبل أن تُبعَث فيه الروح وهو غير مسئول أو عاقل أو حر أو حتى ينبض بالحياة؟ هي العقيدة الأشعرية التي سادت والتي أفرزت أحاديث أُخرى مشابهة مثل «السعيد من سعِد في بطن أُمِّه، والشقي من شقيَ في بطن أمه.»[٩٣] وفي صياغة أخرى أن الله وكَّلَ في الرحِم ملكًا يقول يا ربِّ نطفة يا ربِّ علقة يا رب مُضغة، يا ربِّ ذكر أو أنثى، شقي أم سعيد، وما الرزق وما الأجل فيكتب ذلك في بطن الأم. وفي صياغةٍ ثالثة: خلق الله الخلق فأخذ الرحم بحقِّ الرحمن عائذًا به من القطيعة. فوافق الله على أن يصِل من وصلها ويقطع من قطعها.[٩٤] وفي رواية خلق آدم وذريته من صلصالٍ من طين خُلط برمل فصلصل كالفخار أي أصبح مُنتنًا.[٩٥]

وفي قولٍ مباشر خلق آدم وطوله ستُّون ذراعًا. ثم ينقطع القول ويستمر في أمرٍ بالذهاب للسلام على الملائكة، وتحيتهم. فردُّوا على التحية بأحسنَ منها. فكل من دخل الجنة فهو على صورة آدم. وما زال الخلق يتناقَص حتى الآن حتى يدخل الجميع الجنة. وهناك ارتباط بين آدم وشكله وأهل الجنة. فأول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر بدرًا، والذين يلُونهم مثل كوكب دُرِّي. لا يبولون ولا يتغوَّطون أو يتفُلون أو يمتخِطون. أمشاطهم ذهب ورشحهم مسك، ومجامرهم عود الطيب، وأزواجهم حور العين على خلق رجلٍ واحد. وصورة أبيهم آدم، ستُّون ذراعًا في السماء. فكيف يسير آدم على الأرض بهذا الطول، ستُّون مترًا؟[٩٦]

وتذكر الرواية قول عمر عن حديث النبي عن «بدء الخلق» دون قولٍ مباشر له أو للنبي، فدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم. والأهم هو وضع مشكلة التذكُّر

[٩٣] ج٤، ١٣٥، ١٦١–١٦٢.

[٩٤] ج٦، ١٦٧–١٦٨.

[٩٥] ج٤، ١٥٩.

[٩٦] ج٤، ١٦٠.

والنسيان. «حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.» لبيان صعوبة رواية هذا الموضوع بالذاكرة.[٩٧] وتصف رواية الجنة منسوبة إلى عديدٍ من الصحابة أي أنها مُؤلَّفة من كثيرين بأنها مخلوقة، مطهرة من الحيض والبول والبزاق. وهو تشبيهٌ إنساني. كلَّما رُزِقوا أُتوا بشيءٍ ثم آخَرَ متشابهٍ شكلًا ومُختلفٍ في الطعم موضوعًا. يقطفون منها ما يشاءون، دانية قريبة من الأرائك؛ السُّرُر، وجوه نضرة، وقلوب مسرورة. وهي شروح على ألفاظٍ قرآنية مثل «قطوفها دانية»، «دهاقًا» أي ممتلئة، «كواعب» أي نواهد، «الرحيق» أي الخمر، «التسنيم» شراب أهل الجنة، «ختامه» طينه مسك، «نضَّاختان» فياضتان، الكوب ما لا أُذن له عكس الإبريق الذي له أُذن «عُربًا» مثقلة، «روح» جنة ورخاء، «ريحان» رزق، مخضود أي موقر، والعُرُب المُحبَّبات إلى أزواجهن، «مرفوعة» بعضها فوق بعض، «لغوًا» بطلان، «أفنان» أغصان، «مُدهامَّتان»، سوداوان.[٩٨]

وتصف رواية النار. فهي مخلوقة. ويعتمد الوصف على شرح ألفاظٍ قرآنية تصفها مجمَّعة من آراء الصحابة. فهي غسَّاق كما يغسق الجرح، وغسلين من الدُّبر. وحصَب جهنم، حطب بالحبشية أو الريح العاصف بالعربية. والحصب مُشتق من الحجارة. والصديد هو القيح والدم والخبَث.«تُورون» أي تستخرجون أو توقدون، والمُقوُون المسافرون. وألقى العَصْر. وصراط الجحيم سوء الجحيم، لشَوبًا من حميم يُخلط طعامهم ويُحرك بالحميم. وزفير وشهيق صوتان شديد وضعيف، وردًا أي عطاشًا، غيًّا أي خسرانًا، يُسجَرون أي يوقدون ونحاس الصفر يُصبُّ على الوجوه، «ذوقوا» أي باشروا وجرِّبوا، مارج أي خالص، ومريج مُلتبس مثل «مرج البحرين».[٩٩]

ولم تغب روح «بدء الخلق» عن باقي كتب البخاري بل خفَّت لصالح المسائل العملية وهو موضوع علم الحديث.

(٥) الملك وجبريل

والحلم والرؤية والأحاديث القدسية وتشخيص الطبيعة وبدء الخلق كلها موضوعات يغلب عليها الخيال وخلق الذات. ثم تأتي بعد ذلك الموضوعات المُتعالية التي تساهِم الذات

---

[٩٧] ج٤، ١٢٩.

[٩٨] ج٤، ١٤١-١٤٢.

[٩٩] ج٤، ١٤٥-١٤٦.

في تصويرها قياسًا للغائب على الشاهد مثل الملك وجبريل، والشياطين والجن والأرواح والموت، وأشراط الساعة ويوم القيامة، ومشاهد الآخرة وطرُق الحساب، والجنة والنار ثم القصص وأثر الإسرائيليات.

(أ) الملك والملائكة

تتدخَّل عوامل خارجية في الحديث مثل سؤال الملك وجواب الرسول، وتكرار السؤال وتكرار الجواب ثلاث مرات. ثم نزول الملك بالقرآن، أول سورة نزلت منه، وكذلك سؤال جبريل الرسول عن الإيمان ثم الإسلام ثُم الإحسان ثم الساعة، وإجابة الرسول بنجاح، وإخبار الرسول الصحابة بأنه جبريل أتى ليُعلمهم دينهم. وهي طريقة سقراطية في توليد الحقيقة من المسئول الأقل علمًا بفضل السائل الأكثر علمًا.[١٠٠] ويأتي الحديث وكأنه تفسير لآيةٍ أو عدة آيات حتى لا يبدو خارجًا عنها ويزداد اليقين بصحَّتِه.[١٠١] وهي آيات ذات رنةٍ صوفية. وشرح الرسول الآيات بقدوم رجُلَين له؛ مالك خازن النار، وميكائيل وجبريل. وشتَّان ما بين معنى الآيات ومعنى الحديث. وشهادة أمَّةِ الإسلام على غيرها تفسيرًا لآية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.[١٠٢]

والحكاية مع القول المباشر مثل حكايته عن نزول الملك المرة الثانية وقوله «زمِّلوني.»[١٠٣] وفي قول مباشر يقول الرسول أنه لَمَّا فتر عنه الوحي مرةً سمع صوتًا من السماء وهو ماشٍ فرأى الملك الذي جاءه بحراءٍ جالسًا على كرسي بين السماء والأرض، فهوى إلى الأرض. وجاء إلى أهله قائلًا: «زمِّلوني، زملوني.» فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، ثم ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.[١٠٤]

---

[١٠٠] جاءه الملك وهو في غار حراء فقال: «اقرأ.» قلتُ «ما أنا بقارئ.» قال: فأخذَني فغطَّني حتى بلغ مِني الجهد ثم أرسلني فقال «اقرأ.» قلتُ: «ما أنا بقارئ.» قال: فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾، ج١، ٣، ٢٠.

[١٠١] آيات ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، ج٤، ١٤٠.

[١٠٢] ج٤، ١٦٣.

[١٠٣] مثل «بينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كُرسي بين السماء والأرض فرُعِبتُ منه فرجعتُ فقلتُ «زمِّلوني» ...» ج١، ٤.

[١٠٤] ج٤، ١٤١.

وردًّا على سؤال كيف يأتيه الوحي، يجيب بأن الملك يأتي أحيانًا مثل صلصلة الجرَس فيفصم عنه فيَعِي ما يُلقنه وهي الصورة الأقسى. وأحيانًا يتمثَّل له رجلًا يُكلِّمه فيعي ما يقول.[١٠٥] وقد يتكرَّر ذلك ليُصبح مضاعفًا أربعة أو ستة مثل سؤال طاقة الصوم، وفي كل مرةٍ يسأل السائل أنه يطيق أكثر من ذلك حتى أوقف الرسول التنازُل عن الحد الأدنى.[١٠٦] وقد يكون جواب الرسول فعلًا لا قولًا، جفافًا أو مطرًا.[١٠٧] وتُخبِر الرواية بحضور الملائكة إلى الرسول وهو نائم، وقولها إنَّ العين نائمة والقلب يقظان.[١٠٨]

وتدخل الملائكة في القول المباشر لتقوية الخطاب والإقناع به مِثل اليمين والحلف والقسم، مثل عدم صلاة الملائكة على أحدٍ لم يستغفر.[١٠٩] كما تهدف إلى حثِّ المسلمين على الصلاة لصحبة الملائكة لهم. وإذا اتَّفقت آمين من المصلي مع آمين من الملائكة غفر الله ما تقدَّم من الذنب وما تأخَّر، لا تؤيده آية، وخارج عن نطاق الحديث العملي.[١١٠] ويتدخَّل جبريل في حديث الاعتكاف.[١١١] وقد تكون الإشارة إلى الملائكة نوعًا من المواساة لأهل المَيت بدلًا من البكاء عليه.[١١٢] ولا يدخل المدينة رُعب المسيح الدجَّال ولا الطاعون لأنَّ لها ملكَين على كل بابٍ من الأبواب السبعة.[١١٣] ووجود عدة صياغاتٍ متفاوتة بين الطول والقصر يُثبت الإبداع الإنساني فيه. ويعني تلقي الملائكة الأرواح بدايةَ الحساب طبقًا للاستحقاق.[١١٤] وتُظل الملائكة بأجنحتها الشهيد.[١١٥]

[١٠٥] ج٤، ١٣٦. طلب النظر إلى الحيَّة ثم الأمر بقتلها ج٤، ١٥٦، ج٤، ٦٨، غزوة تبوك ج٦، ٢. وضع أول مسجد في الأرض ج٤، ١٧٧–١٧٨، كيفية الصلاة على الرسول ج٤، ١٧٨. عرض الإسلام ج٤، ٢٢٢، سؤال الرسول بِكُنيته ج٤، ٢٢٦.

[١٠٦] ج٤، ١٩٥.

[١٠٧] ج٤، ٢٣٧، طلب الاستنصار ج٤، ٢٤٤، الصحبة في السفر، ج٤، ٢٤٥–٢٤٦.

[١٠٨] ج٩، ١١٤–١١٥.

[١٠٩] ج١، ١٢١، ١٤٥–١٤٦.

[١١٠] ج١، ١٩٨، ٢٠١.

[١١١] ج١، ٢٠٧.

[١١٢] ج٢، ٩١، ١٠٢.

[١١٣] ج٣، ٢٨.

[١١٤] «تلقت الملائكة روح رجلٍ ممَّن كان قبلكم …» ج٣، ٧٥.

[١١٥] «لا تبكي، ما زالت الملائكة تُظلُّه بأجنحتها.» ج٣، ٢٦.

وإذا أمَّن القارئ أمَّن الملائكة. فإذا اتَّفق التأمينان غُفر الذنب. ولله ملائكة يطوفون في الطرُق يلتمِسون أهل الذكر فيُنادون عليهم بالتعبير عن حاجاتهم. ويُخبرون الله بأنهم يُسبِّحونه ويُكبِّرونه ويحمدونه ويُمجِّدونه دون رؤيته. ويسألون الجنة دون رؤيتها. ويتعوَّذون من النار دون رؤيتها. فيغفر الله لهم. وهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم.[١١٦] يتعاقبون ملائكة باليل والنهار. ويجتمعون في صلاة العصر والفجر. ثم يعرُج بعضهم إلى الله ويسألهم عن عباده فيُجيبون بأنهم يصلون في ذهابهم وإيابهم.[١١٧] وينادي الملك على المنبر.[١١٨]

وفي قول مباشر: لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة.[١١٩] ويعني ذلك التماثيل التي بها الأرواح. فقد كان القوم حديثي عهدٍ بالوثنية. وكان من الضروري تطهير القلب منها. وليس اليوم في عصر الفنون التشكيلية.[١٢٠] ثم تزداد الرواية وتُصبح: لا تدخل الملائكة منزلًا فيه صوَر. وأصحابها يُعذَّبون يوم القيامة ويعجزون عن إحيائها.[١٢١] ثم تُصبح الرواية حكاية. فقد سأل الرسول عن وسادةٍ فقيل له للاضطجاع عليها فسأل مُستنكرًا بأنَّ الملائكة لا تدخُل بيتًا فيه صورة، وأن من صنعها يُعذَّب يوم القيامة ويُطالَب بإحياء ما خلق.[١٢٢] كان ذلك بداية الدعوة وخطورة الوثنية وعبادة الأصنام. وبعد انتصار التوحيد وإثبات التنزيه لم يعُد الخطر قائمًا. لذلك قامت الفنون التشكيلية، الرسم والتصوير والنحت. وازدهرت في العالَم الإسلامي وتقدَّم فيها الغربيُّون. ويضيف الراوي من لديه بعض المُبالغات لحُسن التصوير. فلمَّا قال إن الملائكة لا تدخُل بيتًا فيه تصاوير يقص الراوي أنه لم يدخُل البيت حتى ميت. ورأى إبراهيم وإسماعيل وبأيديهما الأزلام فيُدينهما. وهو ما يستحيل فهمه أن يأتي من إبراهيم وإسماعيل، وإبراهيم ما كان

---

[١١٦] ج٨، ١٠٦–١٠٨.

[١١٧] ج٩، ١٥٤، ١٧٤.

[١١٨] «يا مالك، ليقضِ علينا ربك»، ج٦، ١٦٣.

[١١٩] ج٤، ١٥٨.

[١٢٠] ج٥، ١٠٥.

[١٢١] «إن أصحاب هذه الصور يُعذبون يوم القيامة. ويُقال لهم أحيُوا ما خلقتم. إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة.» ج٧، ٣٣، ٢١٥–٢١٧.

[١٢٢] وفي صياغةٍ أخرى «لا تدخُل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل.» ج٤، ١٣٨–١٣٩. وقد يُستثنى «إلا رقْم في ثوب.» السؤال عن أول مسجد ج٤، ١٩٧. سؤال عن الحيرة ج٤، ٢٣٩، ٢٤٩.

يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مُسلمًا.[١٢٣] وقد وعد النبي جبريل عدم الدخول في بيتٍ فيه صورة أو كلب. فإذا كان هذا الوعد قولًا مباشرًا. فقد يظنُّ أن الرواية تحوَّلت إلى قولٍ مباشر.[١٢٤]

ويجلس الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون الأول فالثاني. فإذا أتى الإمام طوَوا الصُّحف واستمعوا إلى الذِّكر. وهذا يعني أهمية الحضور إلى المسجد مُبكرًا، وأهمية خطبة الإمام. ويُراقب الملائكة المُصلين. ويتعاقبون بالليل والنهار. ويجتمعون في صلاتي الفجر والعصر. ثم يعرجون إلى الله فيسألهم فيُجيبون أنهم تركوهم يُصلُّون، وأتوهم يصلون.[١٢٥] وهل يحتاج الله إلى شهادة الملائكة وهو بكلِّ شيءٍ عليم؟ وإدخال الملائكة في قول الرسول المباشر لزيادة التأثير والإقناع مِثل حثِّ الرسول على التأمين وراء قول الإمام، لأنَّ من وافق قولُه قول الملائكة غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر. وهو ضد قانون الاستحقاق.[١٢٦]

ولتحميس المرأة لطاعة زوجها على المُعاشرة فإن الملائكة تلعنها حتى تُصبح لو دعاها وامتنعتْ عليه.[١٢٧] وعزاء لمن قُتل أبوه في أحُد أخبره بأنَّ الملائكة تُظلُّه بأجنحتها حتى رُفع فلا داعيَ للبكاء.[١٢٨]

ويبعث الله ملكًا فيؤثر بأربع: بالرزق والأجل والشقاء والسعادة. والجنين في رحِم الأم أربعين يومًا ثم علقة ثم مُضغة.[١٢٩] فالملائكة هم الواسطة بين الله والعالَم يُنفِّذون إرادته ويُحقِّقون مشيئته طبقًا للأشاعرة. الله هو الرازق. وهو الذي يُحدد الآجال. والسعيد من سعِد في بطن أمِّه والشقيُّ من شقيَ في بطن أمِّه. فالبخاري كان يُعبر بالحديث عمَّا عبَّر عنه الأشعري في العقائد.

---

[١٢٣] ج٤، ١٦٩–١٧٠.
[١٢٤] ج٤، ١٣٩.
[١٢٥] ج٤، ١٣٨.
[١٢٦] ج٤، ١٣٩.
[١٢٧] ج٤، ١٤١.
[١٢٨] ج٥، ١٣١.
[١٢٩] ج٨، ١٥٢.

(ب) جبريل

والرواية مكان لإثبات أقوال جبريل وأحاديثه مع الرسول.[١٣٠] فجبريل أحد الملائكة. هو حامِل الوحي ومُبلِّغه. وعندما طلب الرسول أن يأتيه جبريل أكثر نزلت آية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾. فقول الرسول سبب نزول الآية.[١٣١] ولمَّا نزلت آية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ سأل الناس: ومَن لم يلبسْ إيمانه بظلم؟ فأجاب الرسول: الشرك. طبقًا لقول لقمان لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[١٣٢] ويسأل الرسول جبريل «ما يمنعك أن تزورَنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت آية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾.[١٣٣] وقد أقرأ جبريل الرسول على حرفٍ واحد فلم يزل الرسول يستزيده حتى قرأ على سبعة أحرُف.[١٣٤] فطلب التعدُّدية في القراءة من الرسول. ويصِف ابن عباس الرسول أنه كان أجود الناس في رمضان؛ حيث يلقاه جبريل وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان ليُدارِسه القرآن. وقد أخَّر عمر بن عبد العزيز الصلاة لنزول جبريل للصلاة أمام الرسول.[١٣٥] ولقد أسرَّ جبريل لفاطمة أنه كان يعرض عليه القرآن كل سنةٍ مرة وأنه عرضَه هذا العام مرَّتين. وهذا يعني أنه حضر من أجلِها، وأنها ستكون ألحقَ الناس بأبيها وسيدة نساء أهل الجنة.[١٣٦] ويخبر الرسول عائشة أن جبريل يُقرِئها السلام وتردُّ عائشة السلام لأنَّ الرسول يرى ما لا نرى.[١٣٧] فجبريل لا يُحاور فقط الرسول بل يُحيِّي أيضًا أحب نسائه إليه.

---

[١٣٠] «تبدَّى له جبريل فقال له يا محمد: إنك رسول الله حقًّا فيسكن لذلك جأشه، وتقرُّ نفسُه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لِمثل ذلك. فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك.» ج٩، ٣٨.

[١٣١] ج٤، ١٣٧.

[١٣٢] ج٤، ١٧٢.

[١٣٣] ج٦، ١١٨.

[١٣٤] ج٤، ١٣٧.

[١٣٥] ج٤، ١٣٧.

[١٣٦] ج٤، ٢٤٨.

[١٣٧] ج٤، ١٣٦–١٣٧.

وقد يتدخَّل جبريل في الربط باستدعاء الآية وقراءتها دفاعًا عن نفسه.[١٣٨] وعندما يَلقى إبراهيمُ أباه يتشفَّع فيه عند الله فيرفُض لأنه حرَّم الجنة على الكافرين. ويُقرئه جبريل على حرفٍ فيُراجعه الرسول حتى سبعة أحرُف.[١٣٩]

وفي ليلة الإسراء قدَّم له جبريل قدَحَين من خمرٍ ولبنٍ فأخذ الرسول اللبن. فقال جبريل: «الحمد لله الذي هداك للفطرة. لو أخذتَ الخمر غوَتْ أُمَّتك.»[١٤٠]

وقد يدخل جبريل في التصوير في وصية الرسول بالجار حتى ظنَّ أنه سيُورِّثه.[١٤١] ويتدخَّل جبريل مع الله في حوار. فإذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل أن الله يُحبُّه فيُحبه جبريل. وينادي على أهل السماء بذلك فيُحبونه ثم يُوضَع له القبول في أهل الأرض.[١٤٢] وإذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل أن الله أحبَّه فيُحبه جبريل، ويُحبه أهل السماء، ويُوضَع له القبول في الأرض.[١٤٣] وقد يُستعمل جبريل للعون.[١٤٤] ويأتي بغير موعد. وقد يتأخَّر ثم يأتي فجأة قاعدًا بين السماء والأرض.[١٤٥] ويُقرئ عائشة السلام.[١٤٦] ويُخبر الرسول بأن من مات من أُمته ولم يشرك بالله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وهو مُخالف لقانون الاستحقاق؛ الجزاء على الأعمال.[١٤٧] وجبريل يسمع حوار الرسول مع أصحابه لإعطائه مزيدًا من القوة والثقة.[١٤٨] ويبشر جبريل بأن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن سرَق وإن زنى. وجبريل يُلقي الحديث مرة ثانية بعد الرسول لمزيدٍ من الإقناع بما يُعارِض

---

[١٣٨] مثل «من كان عدوًا لجبريل»، ج٦، ٢٣، ١٤٠. «أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مُجوفًا. فقلتُ ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر.» ج٦، ٢١٩.

[١٣٩] «أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته. فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.» ج٦، ٢٢٧–٢٢٨.

[١٤٠] ج٦، ١٠٤.

[١٤١] ج٨، ١٢.

[١٤٢] ج٨، ١٧.

[١٤٣] ج٩، ١٧٣–١٧٤.

[١٤٤] قول الرسول لحسَّان بن ثابت «هاجِمهم وجبريل معك.» ج٨، ٤٥.

[١٤٥] ج٨، ٥٩.

[١٤٦] ج٨، ٦٨–٦٩.

[١٤٧] ج٨، ٧٥.

[١٤٨] ج٩، ١٤٤.

قانون الاستحقاق وهو الإيمان دون شركٍ يُدخل الجنة وإن سرق المؤمن وزنى.[١٤٩] ويكرر جبريل نفس القول.

عُرضت على الرسول الأمم. فكلُّ نبيٍّ يمرُّ ومعه أُمته أو نفر أو عشرة أو خمسة. والرسول يمرُّ معه وحدَه. ونظر فوجد أمَّةً كثيرة فسأل جبريل عنها فنفى ذلك، ونظر فإذا أمامه سواد كبير وهم أمة الرسول، منهم سبعون ألفًا أمامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، لأنهم كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيَّرون. وكانوا على ربهم يتوكَّلون. وطلب أحدُهم أن يكون منهم ورُفِض الآخر لأنَّ الأول سبقَه. والعدد سبعة عددٌ رمزي. وفي صياغةٍ أُخرى سبعون ألفًا يسبقون تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر،[١٥٠] وفي صورة ثالثة مُتماسِكين أخذ بعضهم ببعضٍ حتى يدخُل أولهم وآخرُهم الجنة. ثم تأتي صورة رابعة لمنادٍ ينادي على أهل الجنة وأهل النار بالخلود.

وقد تُخصَّص الملائكة بجبريل عندما قال الرسول «مكانك حتى آتيك.» وتقدَّم غير بعيد وسمع أصحابه صوتًا وهو صوت جبريل يُخبر الرسول أنَّ من مات من أُمته لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة مهما فعل.[١٥١] ويُستعمل جبريل لشدِّ العزم وتقوية العزيمة.[١٥٢] وأمَّ جبريل الرسول خمس صلوات. فهكذا أمر.[١٥٣] وقد نزل جبريل فأمَّ الرسول خمس مراتٍ للصلاة.[١٥٤] والأمر سهل لا يستدعي تعليمًا.

شقَّ جبريل صدْر الرسول. وغسلَه بماء زمزم. وأتى بطستٍ من ذهب محشوٍّ إيمانًا وحكمة، فحشاه به وصعد به إلى السماء. وسلَّم على آدم. ووجد نهرَي النيل والفرات ثم نهرًا من لؤلؤٍ وزبرجد هو الكوثر في السماء السابعة.[١٥٥] إدريس في الثانية، وهارون في

---

[١٤٩] «قال جبريل عليه السلام عرَضَ لي في جانب الحرة. قال بشِّر أُمَّتك أنه من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة. قلتُ يا جبريل وإن سرق وإن زنى، قال نعم. قال قلتُ وإن سرق وإن زنى قال نعم، وإن شرِب الخمر.» ج٨، ١١٧–١١٨.

[١٥٠] ج٨، ١٤٠–١٤١.

[١٥١] ج٣، ١٥٢.

[١٥٢] قول الرسول لحسَّان «اهجُهم وجبريل معك.» ج٥، ١٤٤.

[١٥٣] ج٥، ١٠٧.

[١٥٤] ج٤، ١٣٧.

[١٥٥] ج٩، ١٨٢–١٨٤.

الرابعة، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة وإقرار خمسين صلاة واكتساب خبرة الأنبياء في التخفيف. وهو حديث طويل واضح فيه الإخراج الفني.

وفي قولٍ مباشر فُرِج سقف في بيت الرسول وهو بمكة فنزل جبريل فشقَّ صدره وغسلَه بماء زمزم. ثم جاء بطستٍ من ذهبٍ مملوءٍ علمًا وحكمةً وإيمانًا فأفرغها فيه ثُم أطبق صدره. وأخذ بيده وعرج إلى السماء وطلب من خازن السماء الدنيا فتحَها لجبريل ومعه محمد، فقابل رجلًا عن يمينه أسودة إذا نظر إليها ضحِك وعن يساره أسودة إذا نظر إليها بكى. رحَّب بمحمد ورحَّب محمد به وهو آدم، ومن على يمينه ويساره بنوه الصالحون أهل الجنة، والطالحون أهل النار. ثم وصل إلى السماء الثانية وطلب من خازنها أن يفتح فوجَدَ فيها إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم، آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السادسة. وكلَّما مرَّ بنبيٍّ رحَّب به. ورحَّب النبيُّ بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح. ثم سمع النبيُّ صرير الأقلام. وفرض خمسين صلاة. فرجع إلى موسى الذي طلب مُراجعتها، فنزلت إلى النصف. ثم راجع موسى فطلب مُراجعتها مرةً ثانية وثالثة حتى وصلتْ إلى خمس. ثم وصل إلى سدرة المُنتهى بألوانها وجنابذ لؤلؤها وترابها المِسك.[١٥٦]

وجواب الرسول عن سؤال عائشة عن أشدِّ يوم على الرسول من أحُدٍ وهو يوم العقبة عندما أظلَّته سحابة وبها جبريل الذي ناداه بأن الله سمع قول قوم الرسول، وبعث إليه ملك الجبال تحت أمرِه. فناداه ملك الجبال وأخبرَه أنه مُستعد أن يُنفِّذ ما يطلبه. فرفض الرسول العقاب. ورجا أن يخرج من الأصلاب من يعبُد الله ولا يشرك به.[١٥٧]

وإذا كان جبريل قد ركب فرسه وحارب في بدْر فماذا عن أحد؟ وفي صياغة أُخرى «يوم أحد». فالمُهم الصورة العامة لا الواقعة المُحدَّدة. وسواء كانت الأولى أم الثانية فالنتيجة واحدة. إذا كان جبريل يوم بدْر فلماذا غاب يوم أحد؟ وإذا كان يوم أحد فكيف هُزِم المسلمون؟[١٥٨] ويدخل جبريل في الحوار عندما رجع الرسول من غزوة الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار وكأنه كان يُحارب مع الرسول أو من أجل ماكياج «من وحي الموقف» وضعت السلاح فو الله ما وضعتُه. فسأل الرسول أين؟ فأشار جبريل إلى بني قريظة. فخرج إليهم الرسول. وذلك يعني أولًا مُشاركة جبريل

---

[١٥٦] ج٤، ١٦٥–١٦٦.

[١٥٧] ج٤، ١٣٩–١٤٠.

[١٥٨] «يوم بدْر هذا جبريل أخذ برأس فرسِه عليه أداة الحرب.» ج٣٠١، ١٢٠.

حروب الرسول، وبالتالي هي حروب مُقدَّسة، ثانيًا مطالبة جبريل استئناف الحرب ضدَّ بني قريظة تبريرًا لقتال اليهود.[١٥٩]

(٦) الشيطان والجن

وهما الملاك المعكوس أو الملاك النقيض. فكل صفات الملائكة مقلوبة تُصبح صفات الجن والشياطين. وهما ثنائية الحُسن والقبيح، والخير والشر، في صيغةٍ تشبيهية بل وتجسيمية. يتدخَّلان في العالَم على نحوٍ شرير كما يتدخَّل الملائكة على نحوٍ خيِّر.

(أ) الشيطان

إذا كان الملاك يقول صدقًا فإنَّ الشيطان يكذب. ويُفسر قول مباشر كذِب الكهَّان خاصةً ورجال الدين عامة؛ إذ تنزل الملائكة في السحاب فتذكر ما قُضِي في السماء فتسترقُ الشياطين السمعَ فتوحيه إلى الكهَّان. فيكذبون مع ما يسمعون مائةَ كذبة إضافةً من عند أنفسهم. فهم لا يقدرون على حفظ الأمانة وتبليغ الرسالة دون تدخُّل الأهواء والانفعالات والمصالح.[١٦٠]

والشيطان مسئول عن كل الأفعال القبيحة. فعدَم الالتفات إلى الصلاة اختلاس الشيطان منها لتحذير الناس وحثِّهم على الانتباه إليها.[١٦١] ويعني عقد الشيطان الكسل وذهاب النشاط. وكذلك إذا مرَّ أحد أمام رجلٍ يُصلي يجب منعُه. وإن مرَّ يجب قتاله لأنه شيطان. وهو يختلس صلاةَ الناس. وتُقرأ آية الكرسي حين النوم لتحفظه من الشيطان حتى الصباح.[١٦٢] ويهرب الشيطان إذا نودي على الصلاة ويُسمع له ضراط. ويعود ليخطر

---

[١٥٩] ج٤، ٢٥.

[١٦٠] ج٤، ١٣٥، ١٥٢.

[١٦١] ج١، ١٩١. «عقد الشيطان على قافية رأس النائم ثلاث عُقَدٍ للرقاد. فإن استيقظ انحلَّت عُقدة. وإن توضَّأ انحلَّت الثانية. وإن صلَّى انحلَّت الثالثة.» ج٢، ٦٥. «وإذا نام ولم يُصلِّ بالَ الشيطان في أُذنه.» ج٢، ٦٦. «ومن يربط رأسه بالحجَر ينام عن الفرض.» ج٤، ٦٦. «وإذا نودي للصلاة أدبر الشيطان ويُسمع له ضراط حتى لا يسمع الأذان، ثم يعود فيشوِّش على المُصلي صلاته.» ج٢، ٨٧.

[١٦٢] «ويتشكك هشام بن عروة الراوي في ذلك.» ج٤، ١٤٩، ١٥٢.

بين الإنسان وقلبه ويُشوِّش عليه عدد الصلوات، الركعات والسجدات.[١٦٣] وكيف يكون ذلك والإنسان يكون أقربَ إلى الله وهو ساجد. فهل الشيطان أقوى من الله؟

قطع الشيطان الصلاة على الرسول وهمَّ بربطِه إلى ساريةٍ حتى يراه الناس في الصباح.[١٦٤] وجريان الشيطان مجرى الدم مجاز، أي أقرب إلى الدوافع البشرية وعُمقها في الإنسان.[١٦٥] الشيطان في دم الإنسان.[١٦٦] يجري من ابن آدم مبلغ الدم أي أنه يتخلَّل الإنسان ويسري في الانفعالات.[١٦٧] قدوم الشيطان ثلاث مراتٍ يدَّعي أنه أسير محتاج للتصدُّق عليه وكشْف الرسول عنه «ذاك شيطان.»[١٦٨]

الرؤية الصالحة من الله، والحلم من الشيطان.[١٦٩] الأول للحمد، والثانية للاستعاذة. ومن رأى الرسول في المنام فإنه حق لأن الشيطان لا يتمثل به. ومن رأى الشيطان فلينفُث عن شماله ثلاثًا وليتعوَّذ منه. واتقاء الحلم المُخيف البصق على اليسار والتعوُّذ بالله. وإذا اقترب الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن. والرؤيا حديث النفس، وتخوين الشيطان، وبشرى الله. ودواء الرؤيا الكريهة الصلاة.[١٧٠] يعقد الشيطان على قافية الرأس فإذا نام الإنسان عقد عليه الشيطان ثلاث عُقَد. فإذا استيقظ وذكر الله انحلَّت عقدة. وإذا توضَّأ انحلت أُخرى. وإذا صلى انحلت الثالثة وأصبح الإنسان نشيطًا وإلا استمرَّ في كسلِه.[١٧١] وهو تصوير فني بعد اليقظة للتحوُّل من الكسل إلى النشاط. وإذا نام الإنسان بال الشيطان في أُذنه. وإذا جامع أهله ودعا الله بأن يُجنِّبه الشيطان رزقه الله ولدًا ولم يضرَّه الشيطان.

والشيطان هو سبب النسيان.[١٧٢] وهو سبب الفتنة في المشرق حيث يطلُع قرن الشيطان. والقسوة غلظة القلب عند أهل الإبل إذ يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر. والإيمان يماني، واليمن مفهوم فالرسول أصوله يمانية. والحكمة يمانية. والشرُّ في قبيلتَين أُخريين.[١٧٣]

---

[١٦٣] ج٤، ١٥١–١٥٣.

[١٦٤] ج٢، ٨١. مُتذكرًا قول سليمان.

[١٦٥] «إن الشيطان يبلُغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئًا.» ج٣، ٦٤–٦٥، ج٤، ١٠٠.

[١٦٦] «الفتنة ثلاثًا من حيث يطلع قرن الشيطان.» ج٤، ١٠٠، ج٩، ٦٧–٦٨.

[١٦٧] ج٨، ٦٠.

[١٦٨] ج٣، ٣٣١.

والشياطين تنحلُّ في الليل. لذلك لا ينبغي للصبيان الخروج من المنازل إلا بعد ساعةٍ من العشاء، مع غلق الباب، وذكر اسم الله عند شُرب الماء أو الخمر (وخمِّر إناءك) وإطفاء المصباح. وإذا جنَّ الليل يدخل الصبيان إلى المنازل لانتشار الشياطين في الطرقات. وتُغلَق الأبواب. ويُذكَر اسم الله لأن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وتُغلق القِرَب، وتُخمَّر الأواني، وتطفأ المصابيح ويذكر اسم الله كما يفعل السحرة.[١٧٤] والشيطان يقذف السوء في القلوب ويجعل الناس تشكُّ في الرسول إذا ما رآه أحد مع امرأة. والاستعاذة من الشيطان واجبة لتُذهِب الشر.

ويدفع الشيطان في نظرية الخلق إلى السؤال عن العلة فيها حتى يأتي إلى سؤال العلة الأولى «مَن خلق الله؟»[١٧٥] ويدخل الشيطان في الخلق لتشخيص مظاهر الطبيعة. إذ تترك الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى تغيب لأنها تطلُع بين قرنَي الشيطان. وهو ما يُعارض الصلاة حين الغروب وحين الشروق وبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود. وقد تدخل عناصر الطبيعة الحية مع الشيطان. فإذا صاحت الدِّيَكة فإنها رأت ملكًا. وإذا نهق الحمار لأنه رأى شيطانًا مما يُوجب التعوُّذ منه.[١٧٦]

ويطعن الشيطان بني آدم في جنبَيه بأصبعه حين الولادة إلا عيسى ابن مريم فطعنه في الحجب ولم يؤثِّر فيه. وهو تصوير فني لحديث «كل بني آدم خطَّاءون، وخير الخطَّائين التوابون.» ومن قال لا إله إلا الله وحده كل يوم مائة مرة فهي مثل تحرير عشر رقاب، ومائة حسنة، وتغفر مائة سيئة، وتكون حرزًا من الشيطان من النهار حتى المساء، ويفضُل جميع أعمال الخير.

والشيطان يخاف عمر ولا يسير في طريقه كما تخافه النساء وتحتجِب، وكأنه أخوف لهنَّ من الرسول. وما لقِيَ الشيطان عمر سالكًا فجًّا إلا سلك غيره، ويُشبِّه عمر بعدو الشيطان. فما سلك الشيطان فجًّا إلا سلك عمر غيره.[١٧٧]

وتتوالى الصور والصور المُضادة للتعبير عن قُبح الشيطان وحُسن التخلُّص منه مثل ضرورة التوضُّؤ بعد الاستيقاظ من النوم والاستنشاق لأنَّ الشيطان يبيت على الخيشوم.

---

[١٦٩] ج٨، ٦١.

[١٧٠] ج٩، ٣٩–٤٤، ٤٨، ٥٤–٥٥.

[١٧١] ج٤، ١٤٨–١٤٩، ١٥١–١٥٢، ج٨، ٦١.

[١٧٢] «نسي فتى موسى إحضار الغداء له لأن الشيطان أنساه إياه.» ج٤، ١٥٠–١٥١، ١٥٥.

[١٧٣] ج٤، ١٥٥، ج٧، ٦٨.

ومع ذلك يمكن تجنُّب أفعال الشيطان وآثاره الضارة على الإنسان؛ إذ تُسلسل الشياطين إذا دخل رمضان وفتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب جهنم.[١٧٨] والشيطان يعني أهواء النفس وشبهاتها وظنونها، كمن ظنَّ بوجود امرأة في منزل الرسول، وهو من فِعل الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم.[١٧٩] ويأتي الإنسان أهله بدعاء الله لتجنُّب الشيطان ما يرزُقه من ولد وحتى لا يضرَّه أبدًا.[١٨٠] دعاء الرجل أن يُجنِّبه الله الشيطان عندما يكون مع أهله فيأتي الولد خاليًا منه، وكأنه لا قوانين للوراثة.[١٨١]

وللشيطان مرادف آخر هو إبليس. وتذكر الرواية صفة إبليس وجنوده اعتمادًا على شرح ألفاظٍ قرآنية.[١٨٢] بصرف النظر عن مصدرها؛ مجاهد أو ابن عباس. وإذا ذُكِرت آية فلِتقوية الحديث والاقتناع به.[١٨٣]

(ب) الجن

والجن مثل الشيطان مخلوق كريه ولو أنه أقل حضورًا من الشيطان. فالحديث الحق للكهَّان من الجني يخطفها من الحق فيُقرُّها في أذن وليِّه قرَّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.[١٨٤] وفي قولٍ مباشر مرفوع أشبه بالرواية، أمر الرسول بتخمير الآنية وإعداد الأسقية وغلق الأبواب وإبقاء الصبية خلف الأبواب لانتشار الجن، وإطفاء المصابيح

---

[١٧٤] ج٧، ١٤٥.

[١٧٥] ج٤، ١٤٩.

[١٧٦] ج٤، ١٥٥.

[١٧٧] ج٥، ١٤.

[١٧٨] ج٤، ١٥٠.

[١٧٩] ج٩، ٨٧.

[١٨٠] ج٩، ١٤٦، ج٨، ٢٨.

[١٨١] «أما لو أنَّ أحدَهم يقول حين يأتي أهله باسم الله اللهم جنِّبني الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتني ثم قُدِّر بينهما في ذلك أو قُضِيَ ولدٌ لم يضرَّه شيطان أبدًا.» ج٧، ٢٩–٣٠.

[١٨٢] مثل (يقذفون) يرمون، (دحورًا) مطرودين، (واصِب) دائم، (مَريدا) مُتمردا، (استخفَّ) استفز، (قرين) شيطان ... إلخ. ج٤، ١٤٧–١٤٨.

[١٨٣] وهي آية ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾.

[١٨٤] ج٨، ٥٨.

عند النوم لأنَّ الفويسقة ربما جرَّت الفتيلة فأحرقت أهل المنزل. وفي قول آخر هو عمل الشيطان.[١٨٥] والعظم والروث من طعام الجن. وقد أتاه وفدٌ من جن نصيبين، ونعم الجن، وسألوه عن الزاد فدعا لهم أنهم لا يمرُّون بعظْم ولا روثة إلا وجدوا عليه طعامًا.[١٨٦] فالرسول يستقبل وفودًا من الجن. ويتفاضل الجن فيما بينهم دون القول بأنَّ هناك خيرًا وشرًا. ويأكل الجن ولا يستطيع أن يُوفِّر الطعام لنفسه. ويستطيع ذلك الرسول بالدعاء. وإذا كان من أفضل أنواع الجنِّ فكيف يأكُل من فوق العظم والروث؟

ودخل عفريت من الجن على الرسول في صلاته فمكنه الله منه وربطه في سارية المسجد حتى يشاهده الناس فتذكَّر قول سليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ فردَّه روح خاسئًا.[١٨٧] وحديث آخر بربط أسير في السارية. وبالتالي احتمال بناء الحديث الأول المُتعالي بالحديث الثاني الواقعي. وربط الرسول عفريتًا من الجن في سارية من سواري المسجد شوَّش عليه الصلاة حتى ينظر إليه الناس في الصباح.[١٨٨] والإنس والجن يموتون، والله لا يموت.[١٨٩]

(٧) الموتى والأرواح

وتظهر الموضوعات المُتعالية ليس فقط في الملائكة وجبريل ونقيضهما في الجن والشياطين، بل في أرواح الموتى والروح القدس. فأرواح الموتى تظلُّ حيَّةً في المقابر تنعم أو تتعذَّب كما هو الحال في عِلم أصول الدين. والأرواح تسعد وتشقى طبقًا لاتفاقها واختلافها. أما الروح القدس فهي التي تهبط بالوحي أو في السيد المسيح. وهما أقل أهميةً كما في الموضوعات وأضيق نشاطًا.

(أ) أرواح الموتى

وأفعالها ليست مرئيةً بل مسموعة. يسمعها الرسول وحدَه. ويُعبر عما يسمع في حديث. وقد يكون القول تعليقًا على حدثٍ وقع، مثل سماع صوت إنسانَين يُعذَّبان في القبر، ثم وضع كسرة على القبر. فلمَّا سُئل عن السبب قال للتخفيف عنهما. ولا يُوجَد سند قرآني

[١٨٥] ج٤، ١٥٧.

[١٨٦] ج٥، ٥٩.

[١٨٧] ج١، ١٢٤–١٢٥.

لذلك.[١٩٠] وقد يكون القول المباشر تعليقًا على حدثٍ خاص بالرسول لم يُدركه إلا هو، مثل سماع صوت تعذيب ميِّتَين داخل القبر ثم وضع كسرة على القبر للتخفيف عنهما. فلما سُئل عن السبب قال بأن الأول كان لا يستتِر من بوله وكان الثاني يمشي بالنميمة.[١٩١] يعذب الإنسان في القبر لأنه لا يستتر من بوله أو يمشي بالنميمة. فإذا ما وضع عسيبةً رطبًا على القبر خُفِّف العذاب. فالخضرة رمز الحياة. وهو ما زال مُستمرًّا في الممارسات الشعبية.[١٩٢] ويعذب أهل القبور في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم كلها.[١٩٣] ورُؤى الرسول الجنة والنار، وفتنة القبور مثل فتنة الدجَّال. يعترف المُسلم أنه قد جاءته البيِّنات فآمن فيرقُد آمنا. والمنافق والمرتاب اعترفا بأنهما قالا كما قال الناس تقليدًا.[١٩٤] ولا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور. ويتمنَّى كل إنسانٍ أن يكون منهم.[١٩٥] والمسلم يشهد في القبر ألَّا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله. والحديث مع الشهداء، شهداء القليب وسؤالهم هل وجدوا ما وعدهم ربهم حقًّا؟ مجازًا.[١٩٦] وحياة القبر كلها صور فنية، السؤال والجواب، والنعيم والعذاب والشهادة. فإذا كانت الحياة في القبر ممكنة فهي خارجه أولى.[١٩٧]

(ب) الأرواح

«والأرواح جنود مُجنَّدة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكَر منها اختلف.» أصبح أشبه بالمثَل العامي.[١٩٨] فالجماعة المُتجانسة جماعة الأرواح، والجماعة المتنافرة جماعة الأرواح. فالروح ماهية الإنسان وليس الجسد. واللفظ لا يتكرَّر كثيرًا في الحديث لاتجاه الحديث نحوَ العالَم والسلوك العملي والوجود البدني. إنما التصوُّف هو الذي أبرز الموضوع وأصبح رئيسيًّا فيه.

[١٨٨] «إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة فأمكنني الله منه وأردتُ أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم ...» ج٦، ١٥٦.

[١٨٩] ج٨٩، ١٤٣.

[١٩٠] ج١، ٦٤، «وكذلك عرض النار على الرسول وهو يُصلي.» ج١، ١١٨، ج٢، ١٢٠، عذاب القبر ج١، ١٢٣–١٢٥.

[١٩١] ج١، ٦٤–٦٥.

[١٩٢] ج٨، ٢٠–٢١.

[١٩٣] ج٨، ٩٨.

وعلى عكس نقد القرآن الشهير للشعراء الذين يَهيمون في كل وادٍ ويقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، يدافع الرسول عن الشعراء نموذج حسَّان ابن ثابت وطلبه منه الإجابة بدلًا عنه «أجب عني.» ودعاؤه له بتأييد الروح القدس «اللهم أيده بروح القدس.» كما طلب منه هجاء الخصوم وجبريل معه.[١٩٩] فالشعر نوعان، شعر صحيح وهو المؤيد بالروح القدس، وشعر كاذب وهو الشعر الخيالي. ومن ثم يمكن تطبيق نفس التمييز في الحديث. الحديث الصحيح وهو ما يتفق مع حياة الناس العملية وما يفيد في عالَمهم. والحديث الكاذب ما يُحلِّق في سماء الخيال من صُنع المحدثين والرواة في لحظات الضعف والتعويض.

(٨) أشراط الساعة ويوم القيامة

ومن وضع الخيال والتصوير الفني والإحساس بالنهاية تأتي أشراط الساعة ومشاهد القيامة، فساد الأخلاق، ظهور الفتن، واضطراب قوانين الطبيعة، نهاية هذا العالَم وبداية عالَمٍ آخر تعبيرًا عن الأمل المُستمر والعدل الدائم والخلود بعد الفناء. وهو عالم شعوري فِعلي حتى ولو أخذ صورة الخيال.

(أ) أشراط الساعة

من أشراط الساعة فساد الأخلاق، وضياع الهِمَم، وانهيار القيم، وإذا تطاول رُعاة البهائم في البنيان أي الغرور، ووضع الرجل المناسب في غير المكان المناسب، وأصبح الجاهل عالمًا، والعادل ظالمًا وهو ما يحدُث الآن بسبب الوساطة والولاء للنظام السياسي والقرابة والطاعة والنفاق. ومنها تضييع الأمانة أي إذا أُسنِد الأمر إلى غير أهله، وأصبح الغش

---

[١٩٤] ج٩، ١١٦.
[١٩٥] ج٩، ٧٣.
[١٩٦] ج٢، ١٢٢.
[١٩٧] ج٦، ١٠٠.
[١٩٨] ج٤، ١٦٢.
[١٩٩] ج٤، ١٣٦.

والخديعة والسرقة هو السلوك الشائع بين الناس.[٢٠٠] ومن علاماتها نشر الرجُلَين ثوبيهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطوِيانه أي نقص العادات. وهو التوقُّف عن العمل والسير والتقدُّم والفعل. وإذا كانت الحركة علامة الحياة فإن السكون علامة الموت. ومن علامتها انصراف الرجل باللبن فلا يُطعمه، أي الجوع والمجاعة ووجود الطعام والشراب عند الآخرين ومُحرِّمين عليه. وعندما يأتي الإنسان حوضَه فلا يُسقى فيه، أي نهاية الغايات. وهي لحظات العطش والجوع كما هو حادث في أفريقيا الآن في أوقات الجفاف. وإذا رفعت أكلَتُه إلى فيه فلا يطعمها، أي توقف الأفعال والأهداف. وهي أوقات الجوع ووجود الطعام عند الأغنياء دون الفقراء. ومن علامات الساعة ألا يهرم الصغير، أي توقف الزمان والنمو، وهلاك الأطفال بسبب المجاعة والحروب الأهلية.[٢٠١] وعندها يُحسَر الفرات عن كنزٍ من ذهب ولا يؤخَذ منه شيء، أي عدَم الانتفاع بخيرات الأرض، والجهل بخطط التنمية ووجود الموارد دون استغلالها.[٢٠٢]

ومن علامات الساعة أن يأتي زمان على الناس ليتصدَّقوا فلا يجدون من يقبلها لانتهاء زمن الاختبار.[٢٠٣] فالصدقة لم تعُد تكفي، أو لانعدام الناس. من علامات الساعة تقليد الأمة مَن قبلها.[٢٠٤] ولا تقوم الساعة حتى تضطرِب نساء دوس على طاغيتها الذي كانوا يعبدون في الجاهلية، أي الثورة على الكفر. ولا تقوم الساعة حتى يخرج من قحطان رجل يسُوق الناس بعصاه، أي نهاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٢٠٥] وتتقاتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة، وظهور ثلاثين دجَّالا يدَّعي كل منهم أنه رسول. ويُقبَض العِلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثُر الهرج وهو القتل. يكثُر فيهم المال ويفيض ولا يجد رب المال من يقبل صدقته. ويتطاول الناس في البنيان، ويتمنَّى الرجل أن يكون في القبر. وتطلع الشمس من مغربها. ولا ينفع نفس إيمانها. ولا يتبايع الرجلان

---

[٢٠٠] ج٨، ٨٢.

[٢٠١] ج٨، ١٢٩.

[٢٠٢] ج٩، ٧٣.

[٢٠٣] ج٩، ٧٣–٧٤.

[٢٠٤] «لا تقوم الساعة حتى تأخُذ أمتي بأخذ القرون قبلَها شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قُلنا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن؟» ج٩، ١٢٦–١٢٧. وهو الحديث الذي صدَّرنا به «مقدمة في عِلم الاستغراب».

[٢٠٥] ج٩، ٧٣–٧٤.

ثوبهما بينهما ولا يطويانه. ولا يطعم الرجل بلبنِه، ويرِد حوضه دون أن يُسقى، ويأتي طعامه فلا يأكل.

وفي القول المباشر: خير مال الرجل غنم يرعاها في الجبال، والفرار بالدين من الفتن. وهي التوصية بالعُزلة عن الفتن في آخر الزمان كما فعل الحسَن وقت الفتنة وكثير من الصحابة.[٢٠٦] ومن علامات الساعة خروج رجل يسوق الناس بعصاه وهو ما يسهُل تفسيره على أنه الوضع الحالي.[٢٠٧] الخلاف هو قحطان القديم أو الجيش وقريش الحديث. ومن علامات الساعة اقتتال فئتين دعواهم واحدة مثلما يحدُث الآن.[٢٠٨]

وتحرس الملائكة المدينة من الدجَّال وكأن المدينة ستبقى إلى آخر الزمان، وكأنَّ أهلها غير قادرين على حراستها.[٢٠٩] وهو أعور والله ليس بأعور. حذَّر منه نوح من قبل.[٢١٠] وفي صياغة أخرى يأتي معه بمِثل الجنة والنار، وما يقول إنها الجنة هي النار. ويُضرب المثَل بالدجَّال على السوء والخطورة.[٢١١] وهو موجود في كل نبوَّةٍ منذ نوح.[٢١٢] وفي قول مباشر يتساءل الرسول عما يفعل المسلمون إذا نزل ابن مريم فيهم وإمامهم منهم.[٢١٣]

والمشرق أيضًا منشأ الفتن.[٢١٤] فماذا يعني المشرق في شبه جزيرة العرب؟ الخليج، آسيا حتى الصين؟ وهو أيضًا وقت نهاية الصوم. وعند الفلاسفة مَهبط الإشراق ومنطق المَشرقيين. وفي الفكر العربي المُعاصر كوكب الشرق، ومصر تاج العلاء في مفرِق الشرق، وفي الفكر الإصلاحي الجامعة الشرقية وتجمع شعوب الشرق. وفي فلسفة التاريخ حاليًّا «ريح الشرق». من أشراط الساعة نار تحشُر من المشرق إلى المغرب. تخرج نار من أرض

---

[٢٠٦] ج٤، ١٥٥.

[٢٠٧] «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه.» ج٤، ٢٢٣.

[٢٠٨] ج٤، ٢٤٣.

[٢٠٩] ج٤، ١٤١.

[٢١٠] ج٤، ١٦٣، ج٥، ٢٢٣.

[٢١١] «قال الرسول في بني تميم، هم أشدُّ أمتي على الدجَّال.» ج٣، ١٩٤.

[٢١٢] «إني أُنذركموه. وما من نبي إلا قد أنذره قومَه. لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولًا لم يقُله نبي لقومه. تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور.» ج٤، ٨٦.

[٢١٣] ج٤، ٢٠٥.

[٢١٤] «الفتنة من هنا.» وأشار إلى المشرق، ج٧، ٦٦.

الحجاز تُضيء أعناق الإبل ببُصرى.[٢١٥] ولماذا يأتي الكفر من المشرق أي من آسيا وهي الآن رصيد الإسلام، وتحوُّل النهضة من الغرب إلى الشرق فيما يعرف بريح الشرق؟ والفخر والخيلاء في أهل الخير والإبل أي عند العرب. والخوف أن يقصد بها الحجاز والخليج. والسكينة في أهل الغنم. والخوف أو يؤوَّلوا على أنهم أهل البدو.[٢١٦]

وفي قول مباشر يجمع الله يوم القيامة الأوَّلين والآخرين في صعيدٍ واحد فيسمعهم الداعي وينقدهم البصر. وتدنو الشمس منهم بين الظواهر الإنسانية والظواهر الطبيعية.[٢١٧] ومن أشراط الساعة أن تلِد الأمة ربَّتها أي قلب قوانين الطبيعة.[٢١٨] وتعني أشراط الساعة الخلل في الكون، واضطراب قوانين الطبيعة مثل رفع العِلم وكثرة الجهل، وإفشاء الزنا، وانتشار الخمر، وقلَّة الرجال، وكثرة النساء بنسبة واحدٍ إلى خمسين.[٢١٩] ومن مظاهر اضطراب قوانين الطبيعة، غروب الشمس من مشرقها، وشروقها من مغربها.[٢٢٠]

(ب) يوم القيامة

ويوم القيامة بعد أشراط الساعة وبين النفختَين أربعون. ولا تُحدِّد الرواية المقياس، اليوم أو السنة أو الشهر.[٢٢١] وما السبب؟ هل الزحام أو الاستعداد؟ والرسول أول من يفيق يوم القيامة بعد أخذ الصاعقة الجميع، وموسى آخذًا بقوائم العرش فربما أفاق قبله.[٢٢٢] وهو ما يتناقض مع إعطاء الرسول نفسه الأولوية في كل شيءٍ على باقي الأنبياء. ومن يجرُّ إزاره في الدنيا خيلاء يتجلَّل في الأرض يوم القيامة.[٢٢٣] ولا ينظر الله إليه. فالعقاب قد

[٢١٥] ج٩، ٣٧.
[٢١٦] ج٤، ٥٥١.
[٢١٧] ج٤، ١٧٢.
[٢١٨] ج٣، ١٩١.
[٢١٩] ج٧، ٤٨–١٣٥.
[٢٢٠] ج٨، ١٣٢-١٣٣.
[٢٢١] ج٦، ١٥٨.
[٢٢٢] «لا تُخيروني من بين الأنبياء فإنَّ الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق. فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جُزي بصعقة الطور.» ج٦، ٧٥، ١٥٨.
[٢٢٣] ج٧، ١٨٣.

وُقِّع عليه قبل الحساب على عكس قوانين العدل أنَّ العقاب بعد الحساب. فربما صاحب الخيلاء له ما يُبرِّره. ولماذا يمشي الإنسان على وجهه يوم القيامة والحساب لم يتم بعد؟[٢٢٤] ليست القضية قدرة الله بل الحكمة والغاية.

يُحشر الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء عفراء كقُرصٍ نقيٍّ ليس فيها مَعلم لأحد. وهو تصوُّر خيالي، لماذا قرص أبيض ليس عليه معلم لأحد؟ وفي الصياغة «أو غيره» أي أن المتن مُحتمَل.[٢٢٥] ويُحشر الناس يوم القيامة مجموعاتٍ على بعير، اثنان وثلاثة وأربعة وعشرة. واحد واثنان نعم، وثلاثة ربما، ولكن كيف عشرة؟ وماذا عن بقية الخلق؟ ولماذا اختير هؤلاء على بعير؟ ولماذا تَقيل النار معهم وتبيت وتُصبح وتمسي معهم والحساب لم يتم بعد؟[٢٢٦] ولماذا يقابل البشر يوم القيامة حفاة عراة؟[٢٢٧] هل يعني ذلك المساواة بين الناس منذ الخلق حتى آخره دون أي تفاوُتٍ اجتماعي يرمز باللباس وكما هو الحال في الإحرام في الحج؟

وسيؤتي برجالٍ من أمة محمد ويؤخذون ذات الشمال فيعترض الرسول بأنهم أصحابه فيقال له إنه لا يدري ماذا أحدثوا بعده. فإنهم لم يزالوا مُرتدِّين على أعقابهم.[٢٢٨] وكيف لا يعلم الرسول ما حدث من أُمته بعده وهو يعلم ما سيحدُث آخِر الزمان ومصير بعضهم في الجنة أم في النار. وهذا يعني أن المساواة بين الناس بصرف النظر عن علاقاتهم بالرسول ومدى قُربهم منه. ويتحوَّل كنز الدنيا يوم القيامة إلى ثُعبان أقرع يفرُّ منه صاحبه أو يدخل في فمه أو يخبط وجهه. وهي صور كريهة من أجل تخويف الناس من التكالُب على الدنيا وكنوزها.[٢٢٩] فالثروة إضافية لا تدخل في جوهر الإنسان ولا قيمته. من أخذ شيئًا بغير حقٍّ كهدية لأمير لإمارته يأتي يوم القيامة يحمل بعيرًا له رغاء أو بقرة

---

[٢٢٤] «أليس الذي أمشاه على الرِّجلين في الدنيا قادرًا على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة؟» ج٨، ١٣٦.

[٢٢٥] ج٨، ١٣٥.

[٢٢٦] «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيَّتُهم، النار تَقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا. وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسَوا.» ج٨، ١٣٥–١٣٦.

[٢٢٧] «أنكم مُلاقو الله حفاةً عراة غُرلا.» ج٨، ١٣٦.

[٢٢٨] ج٨، ١٣٦.

[٢٢٩] ج٩، ٣٠.

لها خوار أو شاة تبعُر. وهي صور كريهة حتى ينفر الأمير من الهدايا التي تُعطى له لإمارته والتي قد تكون رشوةً لإعطاء أحد غير ذي حقِّه.[٢٣٠]

ويعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويُلجمهم حتى يبلغ آذانهم.[٢٣١] وهو ما يدل على التعب والإجهاد منذ القيامة والحشر. ويُنصَب لكل غادر لواء يوم القيامة بأنه قد بايع الله ورسوله، وينصب له القتال ويمتحن.[٢٣٢] فالغدر ليس من شيمة المؤمنين. الغدر خرق للميثاق، وتَخلٍّ عن العهد، ونيل من قِيَم الشرف والأمانة. وهو لا يحتاج إلى انتظارٍ للحساب. يظهر على الغادر منذ يوم القيامة حتى يوم الحشر. فالغادر يُرفع له لواء يوم القيامة ويُقال له هذا غدرة فلان.[٢٣٣]

وفي حديث طويل واضح أنه موضوع لخيالاته، يجمع الله الناس يوم القيامة ويطلب منهم أنَّ من كان يعبد شيئًا فليتبعه، الشمس أو القمر أو الطاغوت. ويبقى في الأمة شافعوها ومنافقوها. فيشكُّون في الله شكَّ إبراهيم حتى يتجلَّى لهم في الصورة التي يعرفونها فيتبعونه. ويجتاز الرسول وأُمته الصراط بين ظهرَي جنهم. ولا يتكلم إلا الرسُل. ودعواهم السلام. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان تخطف الناس بأعمالهم. ثم يأمر الله الملائكة بإخراج من آمَن مِن النار وفي وجوههم أثر السجود. ويُصَبُّ عليهم ماء الحياة. فيبيتون تحته حتى آخِر رجل. فيطلب من الله إخراجه من النار. ثم يطلب إدخاله الجنة بعد أن يراها فيُحقِّق ما يتمنَّى ثلاث مرات.[٢٣٤] وللحديث صِيَغ أخرى بصورٍ أخرى. الأرجح أنه من وضع الصوفية. يجمع بين القيامة والحشر والحساب والجزاء، ثوابًا أو عقابًا في وقتٍ واحد. فالخيال في لا زمان، صورة مُركبة فنيًّا وليس مراحل مُتتابعة زمانيًّا.

ويدين الرسول شرار الخلق يوم القيامة. وهم الذين يبنون فوق قبورهم مساجد ويضعون فيها صورًا.[٢٣٥] هم الذين لم يتَّبعوا تعاليم الإسلام خاصة تحريم التجسيم والتشبيه عمليًّا، وليس فقط في التصوُّرات النظرية لله كما يفعل المُجسِّمة والمُشبِّهة.

---

[٢٣٠] ج٩، ٣٦.

[٢٣١] ج٨، ١٣٨.

[٢٣٢] ج٩، ٢٧.

[٢٣٣] ج٨، ١٥.

[٢٣٤] ج٩، ١٥٦–١٦٠.

[٢٣٥] ج٥، ٦٤.

فالمسجد لله وليس للمُتوفَّى. وهو خالٍ من الصور لأنَّ الله مُنزَّه لا شبيه له. وأشد الناس عذابًا يوم القيامة من يُصوِّر الصور.[٢٣٦] ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتم. الصور تشبيه وتصوير حسِّي.

يوم القيامة تعويض عما يحدُث في الدنيا. فالسبُّ في الدنيا لأحدٍ قربة له يوم القيامة.[٢٣٧] يسرع إلى تركها من أجل غيرها. والمُفلس هو الذي يفلس يوم القيامة، ويأتي بلا حسنات يستحقُّ عليها الثواب. والرجل السمين لا يساوي وزن بعوضة يوم القيامة لأنه اكتنز ولم يتصدَّق.[٢٣٨]

وقد رأى إبراهيم أباه يوم القيامة عليه الغُبرة والقَتَرة، صورتان لعدم الإيمان.[٢٣٩] وكل مكلوم في الله يأتي يوم القيامة وكَلمُه يدمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك.[٢٤٠] فالظاهر غير الباطن، والدم غير الروح. وجليس الصالح كحامل المسك له ريح طيب. وجليس السوء كحامل الكير يحرق الذباب وتفوح منه ريح خبيثة.[٢٤١]

والدعوة إلى جعل الصحابة يوم القيامة فوق كثيرٍ من الناس.[٢٤٢] وهو ما يتعارض مع مساواة الناس جميعًا منذ الخلق. والعيش عيش الآخرة، فالدعوة للأنصار والمهاجرين بالنصر.[٢٤٣] وهو ما يتعارض مع مساواة الناس جميعًا دون تمييز خاصٍّ للصحابة، مهاجرين وأنصار.

والشهادة بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة. وهو مقياس الثواب. ومن يذكر التسعة والتسعين اسمًا لله ويحفظها دخل الجنة.[٢٤٤] وهو مقياس آخر من مقاييس الثواب.

وتُستعمل القيامة للترهيب. فمن قتل نفسَه في الدنيا بشيءٍ عُذِّب به يوم القيامة.[٢٤٥] فالجريمة في الدنيا لا تنجو في الآخرة. ووجود عالَم آخر هو قرار للعدل دون الظلم في هذا

---

[٢٣٦] ج٨، ٣٣، ج٩، ١٩٧–١٩٨.

[٢٣٧] ج٨، ٩٦.

[٢٣٨] «إنه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزِن عند الله جناح بعوضة.» ج٦، ١١٧.

[٢٣٩] ج٦، ١٣٩.

[٢٤٠] ج٧، ١٢٥.

[٢٤١] ج٧، ١٢٥.

[٢٤٢] ج٨، ١٠١.

العالَم. وتُستعمل القيامة كتصويرٍ فني للترغيب والترهيب. فالأوامر والنواهي لا تكفي كتشريعاتٍ صورية بل في حاجة إلى وسائل شعورية للإقناع. فمن لا يؤدي زكاة المال يُصوَّر ماله كشجاع أقرع له زبيبتان يُطوَّقان بصاحبه يوم القيامة يأخذ بشدقيه ليُعذبه بماله.[٢٤٦]

ومن أشر الناس يوم القيامة ذو الوجهَين.[٢٤٧] وهو المنافق. فالأخلاق هي مِعيار النجاة. وهي جوهر الإيمان. تُحمَل عن الكذَّاب كذبته حتى تبلُغ الآفاق فيُصنع به إلى يوم القيامة.[٢٤٨] فالسوء يكبر ويزيد من الدنيا حتى الآخرة. وهو ما يعارض الرحمة والمغفرة. الله يستر على المؤمن ما يحمله في الدنيا ليغفر له يوم القيامة.[٢٤٩] فالله مع المؤمن حتى قبل الحساب وهو ما يتعارض مع زيادة السوء. والمُكثرون هم المُقلُّون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرًا.[٢٥٠] والآخِرون هم السابقون.[٢٥١] فالآخرة تعويض عن الدنيا.

(٩) الآخرة والحساب

والدنيا والآخرة نقيضان.[٢٥٢] والاستحقاق والظلم نقيضان كذلك؛ لذلك تعوض الدنيا هذا العالَم في الآخرة، ويعوض الظلم في عالَم آخر، عالَم الاستحقاق. الثاني استمرار للأول، يفصلهما الموت. فالموت ليس له الكلمة الأخيرة بل هو مجرد مَمرٍّ من عالَم إلى آخر، من الفناء إلى البقاء بمصطلحات الصوفية.[٢٥٣]

---

[٢٤٣]

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة

ج٨، ١٠٩.

[٢٤٤] ج٨، ١٠٢، ١٠٨–١٠٩.

[٢٤٥] ج٨، ١٩.

[٢٤٦] ج٦، ٤٩.

[٢٤٧] ج٨، ٢١.

[٢٤٨] ج٨، ٣١.

[٢٤٩] ج٨، ٢٤.

[٢٥٠] ج٩، ١١٦–١١٧.

[٢٥١] ج٨، ١٦٠، ج٩، ١٧٦.

(أ) الآخرة والحوض والصراط

الإنسان في الدنيا غريب، عابر سبيل، في طريقه إلى عالَم آخر، الآخرة.[٢٥٤] فالحياة مُستمرة بشكلَين. حياة حسِّية في الدنيا، ومعنوية في الآخرة. وما بينهما حياة الفكر والذكريات والأثر في قلوب الناس الذين ما زالوا أحياء لعدة أجيالٍ سابقة ولاحقة. لذلك يخلد العِظامُ في أذهان الناس في الدنيا قبل خلودهم خياليًّا في الآخرة.

والإيمان بالله واليوم الآخر دافع إلى الخير أو إلى الصمت.[٢٥٥] هو دافع أخلاقي؛ فالعقائد بواعث على الأخلاق والعمل الصالح، وليست غاية في ذاتها. العقائد وسيلة، والسلوك الخير غاية. وعقائد بلا أخلاق، إيمان فارغ. تُستعمل الآخرة للترغيب والترهيب؛ فمن شرب الخمر في الدنيا حُرم منها في الآخرة. وماذا لو آثر أحد شُربها في الدنيا قبل الآخرة؟ ومن استحلُّوا الحرير والخمر والمعازف وحرَموا الفقير يُمسَخون قردةً وخنازير إلى يوم القيامة.[٢٥٦] ولا يُشرب في آنيةٍ من ذهب أو فضة ولا يُلبس الحرير والديباج لأنها للناس في الدنيا، وللمسلمين في الآخرة.[٢٥٧]

يشهد الرسول على أمته وهو ينظر إلى الحوض أنه قد أُعطي مفاتيح خزائن الأرض ولا يخاف عليهم الشرك بل التنافُس عليها.[٢٥٨] ينظر الرسول إلى الحوض وقد أُعطي مفاتيح خزائن الأرض. ويحتاج لقاء الرسول على الحوض إلى الصبر.[٢٥٩] وهو أحرص الناس عليه. والرسول ينتظر على حوضِه من يرِدُ عليه من أُمته مع أنها تمشي القهقرى.[٢٦٠] قد أحدثت بعده الفتن. تشرَب منه، ثم لا يعرفهم الرسول. ويدعوهم الرسول إلى الصبر بلقائهم على حوضه.

---

[٢٥٢] «رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة.» ج٨، ٦٠.

[٢٥٣] من الفناء إلى البقاء (جزءان)، دار المدى، بيروت ٢٠٠٩م.

[٢٥٤] ج٧، ١١٠.

[٢٥٥] ج٨، ١٢٤–١٢٥.

[٢٥٦] ج٧، ١٣٨.

[٢٥٧] ج٧، ١٤٦.

[٢٥٨] ج٨، ١١٢–١١٣.

[٢٥٩] ج٨، ١٤٨–١٥١.

[٢٦٠] ج٩، ٥٨–٥٩.

ما بين المنبر والحوض روضة من رياض الجنة. والمنبر على الحوض.[٢٦١] والحوض مسيرة شهر، ماؤه من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء. مَن شرِب منه لا يظمأ أبدًا. مقدار الحوض ما بين المدينة وصنعاء؟ وهل يتَّسع أن يجلس عليه كل الخلق؟

والصراط جسر جهنم.[٢٦٢] وبالأحرى هو جسر بين الجنة والنار لمن تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فيسيرون عليه فيقعون هنا أو هناك. وكيف تدخل المصادفة كعاملٍ للترجيح وليس المغفرة؟ الصراط مجرد حافز على زيادة الحسنات من أجل الترجيح الفعلي الإيجابي حتى لا يتعرَّض إليه المؤمنون. هو جمع بين الترغيب في مزيدٍ من الحسنات والترهيب من كثيرٍ من السيئات. هي صورة فنية تحثُّ على مزيدٍ من الحسنات وقليل من السيئات. وفي صياغةٍ أخرى يخلص المؤمنون من النار ويحبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنار فيقتصُّ بعضهم من بعضٍ لمظالم كانت بينهم في الدنيا حتى يُنَقَّوا فيدخلون الجنة فيسعد بها عما كان في الدنيا.[٢٦٣]

(ب) الحساب، والاستحقاق، والشفاعة، والبشارة

والحساب هو الغاية من القيامة والحشر. ولا يفتدي مَن يُحاسب حتى ولو جاء بملء الأرض ذهبًا. وقد كان يُسأل أقل من ذلك. أول ما يُقضى بين الناس بالدماء نظرًا لقيمة الحياة وهو قانون القصاص. ومن نُوقش الحساب عُذِّب لأن الحساب ليس بديهيًّا، فيه أخذٌ ورد. فأفعال الإنسان بين الحُسن والقُبح. ولا أحد يُحاسب يوم القيامة إلا هلك إلا أن يتغمَّده الله برحمته.[٢٦٤] ويتم الحساب طبقًا لقانون الاستحقاق ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. هو القاعدة العامة قبل الرحمة والمغفرة.[٢٦٥] وبالتالي كيف لا يدري أحد ماذا يفعل الله به يوم القيامة ولا حتى الرسول وهناك قانون

---

[٢٦١] ج٨، ١٤٨–١٥١.

[٢٦٢] ج٨، ١٤٦.

[٢٦٣] ج٨، ١٣٨-١٣٩.

[٢٦٤] ج٨، ١٣٨-١٣٩.

[٢٦٥] «ما منكم من أحدٍ إلا كُتب مقعده من النار أو من الجنة.» قالوا: ألا نتَّكِل؟ قال «اعملوا فكلٌّ مُيسَّر لما خُلق له.» ج٩، ١٩٥.

الاستحقاق؟[٢٦٦] من أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أبى. فالمبادرة من الإنسان، والمقدمة لديه.[٢٦٧] ولا من إنسانٍ إلا ويكلم الله دون ترجمان بل من خلال عمله.[٢٦٨]

والسؤال عن الشفاعة ثم الإجابة عنها بالاستعداد ثم إعادة السؤال بالمحبة. والجواب بالموافقة مُناقض لقانون الاستحقاق وأقرب إلى الموقف الصوفي.[٢٦٩] فالمحبة تُوجِب الاستحقاق.[٢٧٠] وأهل بدْر في الجنة. يعملون ما يشاءون فقد غفر الله لهم إكرامًا للشهادة. فالشهادة تضحية بالوجود وليست إتيانًا بفعل منه.[٢٧١] فهناك فعل كُلي يَجُبُّ أفعالًا جزئية. يشفع غيره من الأفعال.

والقدَر المُسبق ضد قانون الاستحقاق.[٢٧٢] لأنه ضدَّ حرية الاستحقاق والمسئولية الفردية. تتعارَض مع حديث آخَر مثل: ما من نسمةٍ كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة سواء تمَّ العزل أم لم يتم.[٢٧٣] فهذا إنكار للسببية وهي أساس الأفعال، والتي على أساسها قامت مباحث العلَّة في عِلم أصول الفقه.[٢٧٤]

ودخول الجنة سبعين ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر. وطلب عكاشة أن يكون منهم، ورفْض غيرِه لأن عكاشة سبقَه ضدَّ قانون الاستحقاق أولًا وقانون المساواة والعدل ثانيًا.[٢٧٥] يدخل من الأثر سبعون ألفًا بغير حساب وهم الذين لا يَستَرْقون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكَّلون. وعدم الاسترقاء والتطيُّر عمل، والتوكُّل ثقة بالنفس، وكذلك عدم إيذاء الجار وإكرام الضيف.[٢٧٦] وقد عُرضت على الرسول الأمم، ويمرُّ الأنبياء ومع كل

---

[٢٦٦] ج٩، ٤٤، ٤٨.

[٢٦٧] ج٩، ١١٤.

[٢٦٨] ج٩، ١٨.

[٢٦٩] ج٥، ١٤–١٥.

[٢٧٠] من الفناء إلى البقاء، ج٢ الوعي الموضوعي.

[٢٧١] ج٥، ٩٩–١٠٠.

[٢٧٢] «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا يا رسول الله أفلا نتَّكل؟ قال اعملوا فكل مُيسَّر.» ج٦، ٢١١–٢١٢.

[٢٧٣] ج٧، ٤٣.

[٢٧٤] «لن يُدخِل أحدًا عملُه الجنة ... ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله بفضل ورحمة.» ج٧، ١٥٧، من النص إلى الواقع، ج٢ بنية النص، ص٣٨٥–٤١٢.

[٢٧٥] ج٧، ١٨٩.

[٢٧٦] ج٨، ١٢٤، ١٤٣.

منهم رهطُه، والرسول ليس معه إلا سواد عظيم، أُمة موسى. ثم امتلأ الأفق بسوادٍ هي أمة الرسول يدخل منهم سبعون ألفًا بغير حساب.[٢٧٧] فأين قانون الاستحقاق؟ وما مقاييسهم؟ هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون. وهي مقاييس تُوحي بأهمية الطلب والتوكُّل في آنٍ واحد. وأسعد الناس بشفاعة الرسول من قال لا إله إلا الله خالص النفس.[٢٧٨] والشفاعة تُؤجَر. وهو قضاء الله على لسان نبيه.[٢٧٩]

وتُصوَّر الشفاعة في حديثٍ طويل من قصص الأنبياء لتُبين خصوصية الشفاعة لمحمد ورفض آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى التوسُّط بين الإنسان والله؛ إذ يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيطلبون الشفاعة، ويسألون آدم وهو أول الخلق وسجَدَ له الملائكة وعلَّمه الأسماء فيعتذِر بخطيئته. ثم أتَوا نوحًا فهو أول رسول فيذكُر خطيئته. فيأتون موسى الذي آتاه الله التوراة وكلَّمه فيذكُر لهم خطاياه. ثم يأتون عيسى كلِمة الله وروحه فيعتذِر. فيأتون محمدًا الذي غفر الله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر فيقبَل. ويستأذن من الله فيقبَل الله الشفاعة ويُدخلهم الجنة ثلاث مرات. ومن بقِيَ في النار يخرُج بقوله لا إله إلا الله.[٢٨٠] يَشفَع الرسول يوم القيامة طالبًا من الله أن يُدخِلَ الجنة من كان في قلبه ذرة إيمان.[٢٨١] فأقل قدْرٍ من الإيمان يُشفَّع. وهو ما يُنسي العمل كجوهرٍ للإيمان. والرحمة والشفاعة ضد قانون الاستحقاق.

البشارة مثل الشفاعة ضد قانون الاستحقاق، الجزاء من جنس الأعمال. وهي خاصة بالرسول وهو تمييز بين الأنبياء. ويُوضَع الحديث في قالبٍ خيالي تفصيلي يرفض آدم أن يقوم بها ثم نوح ثم إبراهيم الخليل ثم موسى ثم عيسى ثم يقبَلُها محمد بعد استئذان الله الذي يوافق له عليها وهو من الأحاديث الطوال.[٢٨٢] فالرسول سيد الناس يوم القيامة. وهو الشفيع لهم يوم تدنو الشمس وليس آدم أبو البشر أو نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى. وهو حديث طويل يصعُب حفظه بالذاكرة دون تدوينٍ أو اصطناع. وقد تكون في

---

[٢٧٧] ج٧، ١٦٣، ١٧٤.

[٢٧٨] «لكل نبيٍّ دعوة فأُريد إن شاء الله أن أَخَبِّئ دعوتي شفاعةً لأُمتي يوم القيامة.» ج٩، ١٧٠.

[٢٧٩] ج٨، ١٤–١٥، ٨٢–٨٣.

[٢٨٠] ج٩، ١٤٩–١٥٠، ١٦٠–١٦١، ١٨٢.

[٢٨١] ج٩، ١٧٩.

[٢٨٢] ج٦، ٢١–٢٢، ١٠٥–١٠٧.

صيغة دعاء بسيط دونما حاجة إلى تصوير.[٢٨٣] وقد اطلع الله على أهل بدْر وطلب منهم عمل أي شيءٍ فإنه قد غفر لهم. وهذا ينقُض قانون الاستحقاق حتى بالرغم من أهمية المعركة الأولى في الإسلام.[٢٨٤] وقد بشَّر الرسول بالجنة أصحابه.[٢٨٥] وهي ميزة لهم على باقي المسلمين. وغير الصحابة حتى الآن ليس لهم ذنب في أنهم وُلِدوا بعده وليس من صحابته، وبالتالي لا يتمتَّعون بميزاتهم. لذلك رأى بعض الصوفية أنَّ المُعاصرة بالمصاحبة الوجدانية وليست بالوجود في الزمان والمكان.

وأخبر أن ابنته سيدة أهل الجنة. وهي بشارة غير مُتوقعة لابنةٍ من أبٍ أقسم من قبل أنها لو سرقتْ لقطع يدَها.[٢٨٦] وهي بضعة منه. مَن أغضبها أغضبَه. تعمُّ فيما يملك ولا فيما لا يملك طبقًا لقانون الاستحقاق. هي بضعة منه وهو بضع منها. لا ينكحها لو أحد يسوءُها عدو الله. وخيرها أيضًا مريم وخديجة. فلا يعني الحُكم الواقع بل التكريم.[٢٨٧] وخديجة أم أولاده. وقد بشر الله النبي خديجة ببيتٍ من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. وقد أتاه جبريل لتبشيره بذلك بالرغم مما كان من غِيرةٍ بين عائشة وخديجة وهي مُتوفَّاة لم ترَها.

(١٠) الجنة والنار

والجنة والنار صورتان للخير والشر يوم القيامة.[٢٨٨] وهما نتيجتان للسلوك البشري الحسَن والقبيح، للترغيب في الحسَن والترهيب من القبيح. حُفَّت النار بالشهوات والجنة بالمكارِه.[٢٨٩] فالجنة والنار تشبيهان للجهاد والهوى.

[٢٨٣] مثل «حلَّت له شفاعتي يوم القيامة.» ج٦، ١٠٨.

[٢٨٤] ج٦، ١٨٦.

[٢٨٥] ج٩، ٦٩، ١١٠.

[٢٨٦] وهي فاطمة، ج٥، ٢٥، ٢٧–٢٨، ٣٦.

[٢٨٧] ج٥، ٤٧–٤٩.

[٢٨٨] «ما رأيتُ في الخير والشر كاليوم قطُّ؛ أنه صُوِّرت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط.» ج٨، ٩٦، ١٢٣.

[٢٨٩] ج٨، ١٢٧، ١٤٦.

وإذا كانت الرحمة هي التي تدخل الجنة والنار، فقد أبقى الله تسعةً وتسعين منها وأعطى واحدًا في المائة فقط للبشر. فلا يأس من عدم دخول الجنة والنجاة من النار. ويدخل الناس النار بذنوبهم ثم يدخلون الجنة برحمة الله وهم الجهنميون.[٢٩٠] وهو ما يحافظ على مُطلق الإرادة الإلهية ولكن يطعن في قانون الاستحقاق.

البرُّ يهدي إلى الجنة، والفجور يهدي إلى النار.[٢٩١] وأهل الجنة كل ضعيفٍ متضاعِف لو أقسم على الله لأبره. وأهل النار كل عُتلٍّ جواظ مُستكبر.[٢٩٢] وهما امتداد لحِرَفهم في الدنيا، الزارع في الدنيا زارع في الجنة. والتاجر في الدنيا تاجر في الجنة.[٢٩٣] وهما أقرب من شراك النعل؛ أي أنهما قريبتان من الإنسان بناء على الأعمال. والأعمال بخواتيهما بناء على مقاصدها؛ فقد يعمل أحد عمل أهل الجنة في البداية ويكون من أهل النار أو عمل أهل النار في البداية ويكون من أهل الجنة.[٢٩٤] وفعل شيء مكتوب سلفًا ومُقدَّر مِن قبلُ، والجنين في رحِم الأم. فلله ما أخذ وما أعطى. إذا مات الإنسان عُرض عليه مقعده غدوةً وعشيًّا من النار أو الجنة حتى البعث. وكيف يكون ذلك قبل الحساب دون الدفاع عن النفس؟[٢٩٥]

وأكثر أهل الجنة من الفقراء، وأكثر أهل النار من النساء. الفقراء تعويضًا، والنساء رمزًا للغواية، وهو ما يُعتبر في الأدب النسوي مناهضة النساء.[٢٩٦] وفي قولٍ مباشر: اطلع الرسول على أهل الجنة فرأى أكثرهم من الفقراء. واطلع على أهل النار فرأى أكثرهم من النساء.[٢٩٧] الفقراء عزاء لهم عن فقرهم في الدنيا وتعويضًا عنه. والنساء طبقًا للصورة الشعبية منذ قصة آدم وحواء، أنهنَّ مصدر الغواية. اختصمت الجنة والنار إلى الربِّ بأن الجنة لا يدخلها إلا الضعفاء وسقط الناس، والنار المُتكبرون. فأخذ الله صفَّ الجنة

---

[٢٩٠] ج٨، ١٦٤.
[٢٩١] ج٨، ٣٠.
[٢٩٢] ج٨، ٢٤.
[٢٩٣] «استأذن واحد الله في أن يزرع في الجنة، والقرشيون والأنصار أصحاب زرع.» ج٩، ١٨٥.
[٢٩٤] ج٥، ١٦٩، ج٨، ١٢٨–١٢٩، ١٥٢–١٥٧.
[٢٩٥] ج٨، ١٣٤.
[٢٩٦] ج٨، ١١٩، ١٤١–١٤٢.
[٢٩٧] ج٤، ١٤٢.

بأنها رحمتُه ضدَّ النار بأنها عذابه. ولكلٍّ أهلها.[٢٩٨] فالتواضُع فضيلة، والكبر رذيلة. ومن جرَّ الثوب من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة.[٢٩٩] جنَّتان آنيتهما من فضة. وجنَّتان آنيتهما من ذهب. وفيهما قوم ينظرون إلى ربهم وما يمنعهم إلا رداء الكبر. وتحاجَّت الجنة والنار بأنَّ النار أوثِرَت بالمُتجبرين في حين أوثرت الجنة بالضعفاء وسقط الناس. فعزَّى الله الجنة بأنها رحمته وغرَّر النار بأنها عذابه، وبأن الجنة تمتلئ والنار لا تمتلئ.[٣٠٠]

وبعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يُذبَح الموت بينهما ويُنادى عليهم أنه لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا، ويزداد أهل النار حُزنًا. ولحظة الموت يُعرَض على الميت بالغداة والعشي إذا كان من أهل الجنة أومن أهل النار. يرى الإنسان المُستقبَل في حين أنه في تجربة الموت يرى الإنسان الماضي كشريطٍ في لحظة.[٣٠١]

لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار. ولا يدخل أحد النار إلا ورأى مقعده من الجنة؛ أي النسبية وليس الديمومة. آخِر أهل النار خروجًا منها يخرج حبوًا فيطلب منه الله دخول الجنة فيجدها مملوءةً ثلاث مراتٍ فيخبره الله أنها مثل الدنيا عشر مرات.[٣٠٢] وهو أدنى أهل الجنة منزلة. وقد عُرضت على الرسول الجنة والنار حتى رآهما دون الحائط.[٣٠٣] فالرسول قادر على التمييز بينهما دون الحاجز.

ويروي الرسول في حديثٍ حوارًا بين الله وآدم يوم القيامة؛ ينادي عليه الله فيُلبي آدم النداء، ثم يُنادى بصوتٍ أن الله يأمره أن يُخرِج من ذُريته بعثًا إلى النار. فيسأل عن بعث النار. فيُجاب من كلِّ ألف. فيقول تسعمائة وتسعة وتسعين. حينئذٍ تضع الحامِلُ حملَها، ويَشيب الوليد، ويكون الناس سُكارى وما هم بسُكارى، وعذاب الله شديد. فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم ثُم يُطمئِنُ الرسول قومه أنَّ هذه النسبة الكبيرة من يأجوج ومأجوج، ومن المُسلمين واحدٌ فقط. فالمسلمون كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو

---

[٢٩٨] ج٩، ١٦٤.

[٢٩٩] «مَن جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظُر الله إليه يوم القيامة.» ج٧، ١٨٢. «كم من كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة.» ج٧، ١٩٧.

[٣٠٠] ج٦، ١٧٣، ١٩٨.

[٣٠١] ج٤، ١٤٢.

[٣٠٢] ج٨، ١٤٦، ج٩، ١٨١.

[٣٠٣] ج٩، ٦٧، ١١٨.

كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود. ويرجو أن يكونوا رُبع أهل الجنة فكبَّر المسلمون. فزاد الرسول الثلث فكبَّروا ثم زاد إلى الشطر فكبَّروا. وباقي الأمم بأعمالهم بصرف النظر عن أديانهم.[٣٠٤] ويدخل القرآن في نسيج قول الرسول. فالإسلام أكثر رحمةً بالناس من الأديان السابقة التي حكمها قانون العقاب. وسأل الرسول أصحابه إن كانوا يرضَون أن يكونوا ثُلث أهل الجنة فرضُوا، أو نصفها لأنَّ الجنة لا يدخلها إلا مسلم. فلماذا السؤال مرةً ثانية والزيادة من الثلث إلى النصف كما هو الحال في التجارة؟[٣٠٥]

جزاء العبد الجنة، ونتيجة الدعاء العافية، فاختارت السائلة الجنة وقد يختار آخَر العافية، فالعاجِل خير من الآجل. ولماذا يتعارَض الاثنان ولا ينال المريض العافية بالدواء، والجنة بالعمل الصالح؟[٣٠٦] ويُصوَّر الموت على هيئة كبش أملح ويُنادى على أهل الجنة وعلى أهل النار للتعرُّف عليه فيُذبَح حتى ينال الفريقان الخلود.[٣٠٧] وهو تصوير فني للرغبة في الخلود، أهل الجنة طبيعي، وأهل النار لماذا؟

(أ) نعيم الجنة

الجنة مكافأة على الجهاد في سبيل الله.[٣٠٨] في الجنة مائة للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتَين ما بين السماء والأرض والفردوس أوسطها، وعرش الرحمن أعلاها. ومنه تتفجر أنهار الجنة.[٣٠٩]

ويسأل الله أهل الجنة هل رَضُوا فيردُّون بالإيجاب. والجنان كثيرة منها جنة الفردوس الأعلى. وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.[٣١٠] وفي صورة أخرى الراكب الجواد. ويتراءى أهل الجنة في الغُرَف كما تتراءى الكواكب في السماء. وفي صورةٍ أخرى كما يتراءى الكوكب الغارب في الأفق الشرقي والغربي. ومَوضع قدم في الجنة خيرٌ

[٣٠٤] ج٦، ١٢٢–١٢٣.
[٣٠٥] ج٨، ١٣٧–١٣٨، ١٦٣.
[٣٠٦] ج٧، ١٥٠.
[٣٠٧] ج٦، ١١٧–١١٨.
[٣٠٨] «من أنفق زوجَين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب.» ج٤، ٣٢.
[٣٠٩] ج٩، ١٥٣.
[٣١٠] ج٨، ١٤٢–١٤٣، ١٤٥–١٤٦.

من الدنيا وما فيها. لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطَّلَعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحًا ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها. وأحيانًا تكون الصورة مُتناقضة عندما يدخل أحد الجنة بالسلاسل.[٣١١]

والجنة ليست قدَرًا مُسبقًا بل كسبًا واستحقاقًا. وقد يؤدي القدر المُسبق إلى التواكُل، فالكل مُيسَّر لما خُلق له.[٣١٢] وكيف يدخل الجنة من آمن دون شركٍ وإن سرَق وزنى ضد قانون الاستحقاق؟[٣١٣] وكيف إذا وافق قول المصلي «آمين» قول الملائكة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر. وهو ما يُخالف قانون الاستحقاق، وأن الجنة جزاء على الأعمال وليس الأقوال؟ كما يُخالف النية لأن الموافقة مع تأمين الملائكة تتمُّ عرَضًا لا قصدًا.[٣١٤] وكيف يكفي قول لا إله إلا الله لدخول الجنة مع الزنا والسرقة رغم أنف أبي ذر؟ وكيف يتمُّ الحصول على كنوز الجنة بقول «لا حول ولا قوة إلا بالله» وليس بفعل؟ وهل دخول الجنة بذكر أسماء لا إله إلا الله، إلا واحدًا أم بالفعل؟[٣١٥]

وفي قول مباشر: للجنة ثمانية أبواب، منها باب الريان لا يدخل منه إلا الصائمون تقديرًا للصيام.[٣١٦] والجنة استحقاق لمن آمن بالله والرسول وأقام الصلاة وصام رمضان وهاجر في سبيل الله. والجنة لها أبواب للصلاة والجهاد والصدقة والصيام، والريان يدعى إليها الناس طبقًا لتقواهم ويأخذون الجزاء من جنس الأعمال.[٣١٧]

من يضمن للرسول ما بين لحييه وما بين رجليه يضمن له الجنة. وهما صورتان للِّسان وللفرْج.[٣١٨] وأول طعام أهل الجنة زبدة كبد حوت. وهو ما تحوَّل في الطب الشعبي إلى زبدة الحوت المصنوعة من ذكَرِه الواقف وهو يُجامع لتقوية الباه.[٣١٩] وهي تفصيلات

---

[٣١١] «عجب الله من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسل.» ج٤، ٧٣.

[٣١٢] «ما ليس منكم من أحد إلا وقد فُرغ من مقعده من الجنة والنار.» ج٨، ٥٩.

[٣١٣] ج٨، ١١٧.

[٣١٤] «فمن وافق قول الملائكة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه.» ج٦، ٢١.

[٣١٥] «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ... وإن زنى وإن سرق، وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر.» ج٧، ١٩٢–١٩٣، ج٥، ١٧٠، ج٩، ١٤٥.

[٣١٦] ج٤، ١٤٥.

[٣١٧] ج٥، ٧.

[٣١٨] ج٨، ١٢٥.

[٣١٩] ج٨، ١٤١.

خارج قانون الاستحقاق، والثواب والعقاب وترغيب في الجنة وتطلُّع إليها. ومن قتل معاهدًا لم يَرح رائحة الجنة مع أن ريحها مسيرة أربعين عامًا.[٣٢٠] وهذا يدل على أهمية أهل الكتاب وأنهم في ذمة المسلمين وعنقهم، وحُسن معاملتهم، ومساواتهم في الحقوق. فمَن آذى ذميًّا فقد آذى الرسول. وللصحابة حق مُكتسب في دخول الجنة مُسبقًا لأنهم من المبشَّرين بها. فقط أذن الرسول لأبي بكر ليس فقط بالدخول إلى بيته بل إلى الجنة.[٣٢١] وهو أول المُصدِّقين به، وصاحبه في الغار، وخليفته الأول.

وفي قول مباشر رأى الرسول وهو نائم الجنة ولها امرأة تتوضَّأ إلى جانب قصر. ولَمَّا سأل لمن هو قيل له لِعُمر. فتذكَّر غيرته وولَّى مدبرًا، فبكى عمر وتساءل مُتعجبًا أمن الرسول يغار؟[٣٢٢] وفي رواية أُخرى رأى الرسول أنه دخل الجنة فإذا بامرأة أحد الصحابة جالسة وسمع صوتًا لبلال، وقصرًا بفنائه جارية لعُمر، فرفض الرسول الدخول عليه لغيرته ورفض عمر ذلك لأنه لا يغار من الرسول.[٣٢٣] وقد أرسل الرسول إلى عمر قماشًا من حرير ليبيعها أو يكسوها لأحدٍ لا أن يلبسها. وفي الرواية يرفض الرسول أخذ جُبة سندس هديةً لأنه كان ينهى عن لبس الحرير. وفي قولٍ مباشر يَعتبر مناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذه الجُبة السندسية في الدنيا. ومناديل سعد ابن معاذ في الجنة خير من حرير الأرض.[٣٢٤] وفي قول آخر: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.»[٣٢٥]

وكان الرسول يبشر أصحابه كثيرًا بالجنة لرفع معنوياتهم أو لإعطاء نفسه سلطة معنوية عليهم.[٣٢٦] وكان سريع التبشير والوعد. ومن حفر بئرًا تكون له الجنة. والبئر فضيلة في مُجتمع صحراوي. ومن جهَّز جيش العسرة فله الجنة في مجتمعٍ مجاهد فاتح.[٣٢٧] وسمع دقَّة نعلَين بين يدَيه في الجنة تصديقًا للوعد.[٣٢٨] وفي الجنة منازل

---

[٣٢٠] ج٤، ١٢٠.

[٣٢١] ج٥، ١٠–١١.

[٣٢٢] ج٤، ١٤٢.

[٣٢٣] ج٥، ١٢، ج٧، ٤٦–٤٧.

[٣٢٤] ج٧، ١٩٤–١٩٥.

[٣٢٥] ج٤، ١١٤.

[٣٢٦] ج٥، ١٦.

[٣٢٧] ج٥، ١٧.

وطبقات تَفاضُل مثل الدنيا. في الأعلى أهل الغُرَف فلما استُدرِك عليه بأنها منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم وافق الرسول. وأثنى على رجالٍ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين. فهم بمنزلة الأنبياء.[٣٢٩]

وفي قول مباشر صورة أول زمرة تدخل الجنة صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخَّطون ولا يتغوَّطون. آنيتهم ذهب وأمشاطهم ذهب وفضة. رشحُهم المسك. لكلٍّ منهم زوجتان يُرى مُخُّ سيقانهما من وراء اللحم من الحُسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغُض. قلوبهم قلب واحد. ويسبحون بكرة وعشيًّا. وهي صورة مثالية للبشر في حُسن الوجه ورفض للحدود البشرية الجسدية. والذهب والفضة قيمتان دنيويتان مع أنهما مُحرَّمان شرعًا لأنهما يرمزان إلى نعومة النساء وليس إلى خشونة الرجال. رشحُهم المسك مع أن الرَّشْح عيب وعلامة على البرد. ولماذا لكلٍّ منهم زوجتان وفي الدنيا أربع؟ وهل شفافية اللحم التي تُضيء العظم منظر حسَن لسيقان المرأة؟ التعاون والتضامُن بينهم محمود، وذكر الله فضيلة. ولنفس القول صياغة أخرى مشابهة. بعضها يدخل في القول المباشر والبعض الآخر يدخل في الرواية التي تزيد الإبكار أول الفجر والعشي مَيل الشمس إلى الغروب.[٣٣٠] ويضيف قول مباشر آخر عدد مَن يدخل من أُمَّة الرسول سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف. يتوقف على درجة المُغالاة. والعدد سبعة رمزي في حضارات الشرق. وتُضيف صياغة أخرى مع القمر البدْر الكوكب الدُّري في السماء.

وفي قول مباشر: الخيمة درَّة مجوفة. لا يهمُّ حجمها على الأرض بل طولها في السماء، ثلاثون ميلًا. وفي كل زاويةٍ منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون.[٣٣١] فضيق الخيمة في الأرض يُعوِّضه وسعها في السماء. ووحدة الخيمة في الأرض يعوضها الأهل في كل ركن في السماء. في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوَّفة عرضها ستُّون ميلًا في كل زاويةٍ منها أهل يطوف عليهم المؤمنون.

وتُوصَف الجنة بالصور الفنية والقصص؛ فقد أتى الرسول اثنان وأخذا به إلى مدينةٍ مبنية بلَبِنٍ ذهبٍ وفضة واستقبلهم رجال نصفهم حسَن والنصف الآخر قبيح. فوقعوا

---

[٣٢٨] هما قدَما بلال ج٥، ٣٣.

[٣٢٩] ج٤، ١٤٥.

[٣٣٠] ج٤، ١٤٣–١٤٥.

[٣٣١] ج٤، ١٤٣.

في النهر فخرجا في أحسن صورة. وأخبراه بأنَّ هذه جنة عدن وهذا منزله. أما الرجال الأنصاف فهم أصحاب أعمال الخير وأعمال الشر.[٣٣٢] جنتان من فضة، وجنتان من ذهب، وأهلها ينظرون إلى ربهم وبينهم رداء الكبر على وجهه في عدن.[٣٣٣] في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. وكلها صور للمبالغة.

وكيف يمكن التحقُّق من روايات وصف الجنة، أنَّ بها مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين، ما بين الدرجتَين مثل ما بين السماء والأرض، واختيار السؤال عن الفردوس في وسط الجنة وأعلاها فوق العرش ومنه تنفجر الأنهار، وفي صياغة أخرى وفوقه عرش الرحمن؟[٣٣٤] وهذا يتضمَّن عدة أسئلة: كيف تكون ما بين درجتَين في الجنة مثل ما بين السموات والأرض؟ وإذا كانت هنا مائة درجة فلا بدَّ من تسعٍ وتسعين سماء وأرض؟ كيف يكون الفردوس أوسطها وأعلاها في نفس الوقت؟ كيف يكون فوق العرش، والعرش أكرم منه، والأقرب الصياغة الثانية أنه تحت العرش والعرش فوقه؟ كيف تنفجر منه الأنهار وهو فوق العرش؟

وتستعمل الجنة للترهيب والترغيب. فلا يدخل الجنة قاطع رحِم.[٣٣٥] وتُوجَد أحاديث أخرى أخلاقية مباشرة دون استعمال الجنة كوسيلةٍ للإقناع. وقد تُستعمَل الجنة لبثِّ الفضيلة والتقوى والزهد في الدنيا.[٣٣٦] والرسول كافل اليتيم في الجنة مثل أصبعيه السبابة والوسطى جمعًا بين التصوير بالجنة والتمثيل بلُغة الجسد.[٣٣٧] ولا يدخل الجنة قتَّات.[٣٣٨] والجنة عزاء فلإبراهيم مُرضع في الجنة.[٣٣٩] والجنة بشارة وأمل.[٣٤٠] موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وكذلك غدوة أو رَوحة في سبيل الله.[٣٤١] ويدعو آخر رجل ينتقل

---

[٣٣٢] ج٦، ٨٧.

[٣٣٣] ج٦، ١٨١–١٨٣، ج٧، ٤٠.

[٣٣٤] ج٤، ١٩–٢٠.

[٣٣٥] ج٨، ٦.

[٣٣٦] «من استطاع أن لا يُحال بينه وبين الجنة بملء كفِّه من دمٍ أهرقه فليفعل.» ج٩، ٨٠.

[٣٣٧] ج٧، ١٦٨، ج٨، ١٠.

[٣٣٨] ج٨، ٢١.

[٣٣٩] ج٨، ٥٤.

[٣٤٠] ج٨، ٥٩.

[٣٤١] ج٨، ١١٠.

إلى الجنة من النار اللهَ أن يشيح النار عن وجهه. مهما أُلقي في النار تطلُب المزيد وتمتلئ الجنة فينُشئ الله لها فضلًا جديدًا.[٣٤٢] فالله مع زيادة الجنة ونقص النار.

والجنة مناسبة للمُبالغات ودفع الأمور إلى الحد الأقصى. فطبقًا لقول مباشر، فيها شجرة يسير الراكب في ظلِّها مائة عام ولا يقطعها. وهو معنى آية (وظلٍّ ممدود)، ولَقابَ قوسٍ في الجنة خير ممَّا طلعت عليه الشمس أو تغرب.[٣٤٣] والوعد بالجنة في القول المباشر مُهمته تقوية الخطاب ومزيد من الإقناع. والوعد كجوابٍ للشرط مُنفصل عن فعل الشرط برواية «قال بكير حسبتُ أنه قال.»[٣٤٤] كما عُرضت عليه في عرض الحائط فرأى الخير والشر. ورؤية الجنة والنار وهو ساجد ثم حديث تعذيب امرأة هرةً لا أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض؛ لزيادة التأثير في الرفق بالحيوان. وخطف الأبصار التي ترتفع إلى قامة الإمام أثناء الصلاة لمزيدٍ من التخويف. ويتقطَّع الحديث ممَّا يدلُّ على أنه مُركَّب. والجنة وسيلة للتعبير للتفضيل بها عمَّا في الدنيا.[٣٤٥] وقد يكون المعنى مجازيًّا مثل: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة. فتحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبواب جهنم، وسُلسِلت الشياطين.»[٣٤٦] واستأذن رجل من أهل الجنة الله في الزرع ولديه كل شيء، فزرع فكان النبات مثل الجبال، وتعليق الله بأن آدم لا يُشبعه شيء.[٣٤٧] والجنة مكان للتعويض. ففي قولٍ مباشر «لمَّا مات إبراهيم كان له مُرضع في الجنة.»[٣٤٨] تُعطي الأمل بعد اليأس، والفرح بعد الحزن، والوجود بعد العدَم.

---

[٣٤٢] ج٩، ١٤٣.

[٣٤٣] ج٤، ١٤٤.

[٣٤٤] هو حديث «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة.» ج١، ١٢٢، ١٤٣. أطال الرسول السجود فقد رأى الجنة والنار ورأى امرأة تخدشها هرة حبسَتْها حتى ماتت جوعًا لا أطعمتها ولا أطلقتها تأكل من خشاش الأرض، ج١، ١٩٠. كذلك رأى جهنم في صلاة الكسوف، ج١، ١٩٠. ورأى الجنة لو تناول منها عنقودًا لأكل منه الناس حتى نهاية الزمان، ج١، ١٦٠. ولو رفع الناس أبصارهم فوق الإمام لخُطفت أبصارهم، ج١، ١٩١. والنار وأكثر أهلها من النساء لأنهنَّ يَكفُرن العشير والإحسان، ج٢، ٤٦. رؤية الجنة والنار وأنَّ الناس تُفتَن في القبور وامتحان المؤمن والمُرتاب، ج٢، ٤٧. سماع أقدام بلال في الجنة، ج٢، ٦٧. من مات ولم يُشرك دخل الجنة، ج٢، ٨٩. تقدير كل نفس مُسبقًا مكانها من الجنة أو من النار، ج٢، ١٢. من يخنق نفسه ومن يطعن نفسه في النار للتخويف، ج٢، ١٢١.

[٣٤٥] «في الجنة مناديل أفضل من منديل الحرير بالدنيا.» ج٣، ٢١٤.

[٣٤٦] ج٣، ٣٢–٣٣.

(ب) عذاب النار

وكما تُستعمل الجنة للترغيب تُستعمل النار للترهيب. فمن يرعى البنات ويُحسِن إليهن يكنَّ له سترًا من النار.[٣٤٩] والنار للتخويف مثل إطالة الإزار تحت الكعبين.[٣٥٠] وقد تتجدَّد الصورة بأنَّ من لا يَرحَم لا يُرحم، فالرحمة بالآخرين مثل رحمة الله بالعباد. ورحمة الله بعباده مثل رحمة الأمِّ بوليدها، لا تقذِف به في النار. جعل الله الرحمة مائة جزء أمسك منها تسعةً وتسعين وترك للبشر جزءًا. ومنها أن ترفع الفرسُ حافرها عن ولدها حتى لا تُصيبه. فالرحمة في الله وفي الإنسان وفي الحيوان. وتُصوَّر الرحمة بفعل الرسول عندما كان يضع الحسَن وزيد على فخذيه ويدعو الله لهما بالرحمة كما يرحمهما الرسول.[٣٥١] وقتل الأب ولدَه خشية أن يأكل معه كالشِّرك أن يجعل لله ندًّا وهو خلَقَه.[٣٥٢] ومن أشرك يدخل النار. وهو أيضًا ضدَّ الاستحقاق، وأن الجزاء قدر الأعمال وليس الأقوال.[٣٥٣] وإلى النار مَن يرتدُّ عن دينه. ومن كذب على الرسول فليتبوَّأ مقعده من النار.[٣٥٤] ومن تشهَّد ابتغاء وجه الله حرم الله عليه النار.[٣٥٥] وقد تؤدي كلمة إلى النار.[٣٥٦] ولا يحمي الرسول عمَّه الذي لم يؤمن به من النزول إلى الدرك الأسفل في النار. وقد رفض العمُّ أن يقول كلمة يحاجِج بها الرسول في صفه يوم القيامة. وقرَّر الاستمرار في الاستغفار له ما لم يُنهَ عنه. فالقرابة عاطفة أصيلة. وقد كان ينظر إلى البيت المُقدس كأحد الآيات.[٣٥٧]

وفي قول مباشر تُشخَّص النار وتدخل في حوار مع ربها وتشتكي له أنها تأكل بعضها، فأذِن لها بنفسَين واحد في الشتاء في الزمهرير وآخر في الصيف في الحر. وفي قولٍ

---

[٣٤٧] ج٣، ١٤٢.

[٣٤٨] ج٤، ١٤٥.

[٣٤٩] ج٨، ٨.

[٣٥٠] «ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار.» ج٧، ١٨٣.

[٣٥١] ج٨، ١٠.

[٣٥٢] ج٨، ٩، ١٢.

[٣٥٣] «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار.» ج٦، ٢٨.

[٣٥٤] ج٨، ٥٤.

[٣٥٥] ج٨، ١١٢.

[٣٥٦] ج٨، ١٢٥.

[٣٥٧] ج٥، ٦٥-٦٦.

مباشِرٍ آخر بعد أن أُصيب أحد الصحابة بالحُمَّى وبردها بماء زمزم لأن الرسول قال «الحُمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء.» وفي صيغةٍ أُخرى أكثر تخصيصًا بماء زمزم.[٣٥٨] وفي صيغة ثالثة تتحدَّد نسبة الحرارة في الإنسان بالنسبة لجهنم واحد إلى تسعةٍ وتسعين. وليس المقصود بطبيعة الحال التحديد الكمِّي بل الصورة الفنية للتضخيم والتعظيم. وفي صيغةٍ رابعة أنَّ الرسول نادى على المنبر مالك خازن النار. وفي صورةٍ أكثر تفصيلًا عن رجلٍ يُؤتى به يوم القيامة ويُلقى به في النار فتندلِق أقتابه. ويدور كالحمار برحاه. فيجتمع أهل النار لسؤاله عن السبب مع أنه كان يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. فأجاب بأنه كان بالفعل كذلك ولكنه كان لا يأتي بالمعروف ولا يتناهى عن المنكر؛ أي الفصل بين القول والعمل. وهو شرط الفقهاء في ضرورة اتِّساق القول والعمل عند من يقوم بهذا الدور. وتُستعمل جهنم كصورةٍ للحرارة الشديدة تُبرَّدُ بالصلاة. وهو معنى قول الرسول المباشر «أبرد» مرَّتين.[٣٥٩] أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل تُوضَع في أخمص قدمَيه جمرةٌ يغلي منها دماغه.[٣٦٠] وتزيد صيغةٌ صورة كما يغلي المِرجَل والقُمقم. وفي صورةٍ ثالثة ضحضاح من نارٍ يبلُغ كوبَين يغلي منهما دماغه. يُلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار قدمَه في النار فتقول قط! قط![٣٦١] وللنار لفظ آخر «جهنَّم» وتُسبِّح بعزة الله.[٣٦٢]

واتقاء النار ولو بشقِّ تمرة أو بكلمةٍ طيبة.[٣٦٣] سيكلم الله كل واحدٍ يوم القيامة مباشرةً دون ترجمان. ولا يرى شيئًا أمامه. ولا يرى إلا النار بين يديه فتستقبله. ويخرج من النار بالشفاعة فيدخلون الجنة فيُسمِّيهم أهل الجنة الجُهنميين.[٣٦٤] ويخرج من أهل النار من كان في قلبه ذرةٌ من إيمان فيُلقى به في نهر الحياة فتنبُت كما تنبُت الحبة صفراء مُلتوية.[٣٦٥] ويأمر الله آدم أن يُخرِج من ذُريته قومًا إلى النار.[٣٦٦] وهو ضدَّ قانون الاستحقاق.

---

[٣٥٨] ج٤، ١٤٦–١٤٧.

[٣٥٩] «أبردوا بالصلاة فإن شدَّة الحر من فيح جهنم.» ج٤، ١٤٦.

[٣٦٠] ج٨، ١٤٤–١٤٥، ١٥٠–١٥١.

[٣٦١] ج٦، ١٧٣.

[٣٦٢] ج٩، ١٤٣.

ومَن أحبَّ أن ينظُر إلى رجلٍ من أهل النار فلينظر إلى رجلٍ وضع صدره على ذبابة سيفِهِ واتَّكأ عليه وأخرجه من ظهره؛ أي الانتحار.[٣٦٧] ويتنبَّأ الرسول بمكان أحد المسلمين الشجعان في النار فقد اتَّكأ على ذبابة سيفه وانتحر.[٣٦٨] فلا يدخل الجنة إلا مؤمن. والله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. ومن أخذ شيئًا من أخيه ظُلمًا حتى ولو كان بحُكم الرسول الذي يخضع لبلاغة كل طرفٍ ويُخطئ ويُصيب في الحُكم فإنه يتبوَّأ مقعده في النار.[٣٦٩] فالظلم طريق إلى النار. يطمئن الرجل في النار؛ لأنه يأمر بالمعروف ولا يفعل وينهى عن المنكر ويفعله.[٣٧٠] فيختلف قوله عن فعله. وفي القول المباشر دخلت امرأة النار في هرَّة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.[٣٧١] وفي قول آخر كلبًا كاد أن يقتله العطش نزعت خفَّها وأوثقته بخمارها ونزعت له الماء وسقته. ونفس معنى القول المباشر مع من أمسك كلبًا ينقص من عمله كلَّ يومٍ قيراط إلَّا كلب حرث أو كلب ماشية. وفي قول ثالث من اقتنى كلبًا لا يُغني عنه زرعًا ولا ضرعًا نقص من عمله كل يومٍ قيراط.

(١١) قصص الأنبياء

ومن الأحاديث الطوال قول مباشر يتحدَّث فيه الرسول عن مقابلته للأنبياء السابقين السبعة، والرقم له دلالته، آدم، وعيسى، ويوسف، وإدريس، وهارون، وموسى، وإبراهيم بلا ترتيب، بقيادة جبريل. وقعت الواقعة والرسول عند البيت بين النائم واليقظان. هل هي رؤية واعية أم حلم نائم؟ أتاه طست من ذهب مملوء حِكمة وإيمانًا وبداية بيضاء

---

[٣٦٣] ج٨، ١٤، ١٤٠، ١٤٤.

[٣٦٤] ج٨، ١٤٣، ١٤٥.

[٣٦٥] ج٨، ١٤٤.

[٣٦٦] ج٩، ١٧٣.

[٣٦٧] ج٨، ١٢٨.

[٣٦٨] ج٥، ١٦٨–١٧٠.

[٣٦٩] ج٩، ٣٢.

[٣٧٠] ج٩، ٧٠.

[٣٧١] ج٤، ١٥٧–١٥٩.

هي البراق أقل من البغلة وفوق الحمار. وانطلق مع جبريل حتى السماء الدنيا. وبعد حوار قصير يسأل صوت من السماء عن القادمين وبعد أن يُجاب: جبريل ومحمد. يرحِّب بهما. سلَّم على آدم أولًا، ورحَّب آدم بنبي زميل. وحدث نفس الشيء بالسؤال والترحاب والتعرُّف على القادمين في السماء الثانية لمقابلة عيسى. وفي السماء الثالثة لمقابلة يوسف، وفي السماء الرابعة لمقابلة إدريس، وفي السماء الخامسة هارون، وفي السادسة موسى الذي بكى لهذا الغلام الذي يدخل الجنة من أُمته أكثر ممَّن يدخل من أُمة موسى، وفي السابعة إبراهيم. ورُفع محمد إلى البيت المعمور الذي يُصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم إلى سدرة المنتهى، نبَقُها كأنه قلال هجر، وورقها آذان أفيال. في أصلها أربعة أنهار، اثنان ظاهران، النيل والفرات، واثنان باطنان في الجنة. وفُرضت عليه خمسون صلاة فنصحه موسى بمراجعة الله بناء على تجربته مع بني إسرائيل، فأصبحت أربعين فثلاثين فعشرين فعشرًا فخمسًا بطريقة الفصال البدوية تخفيفًا على العباد. والحسنة بعشر أمثالها.[٣٧٢]

أول من يُدعى يوم القيامة آدم، فتظهر ذُريته. ويُقال لهم إنه أبوهم. ويطلب منه إخراج بعْث جهنم من ذُريته. من كل مائة تسعة وتسعين. ويرى المسلمون أنه كثير.[٣٧٣] وفي صياغة أخرى من كل ألفٍ تسعمائة وتسع وتسعين، وهو قليل. فطمأن الرسول بأن من يأجوج ومأجوج ألف، ومن المسلمين رجل واحد.[٣٧٤] ويستشفع الناس الله يوم القيامة فيسألون آدم بما له من ميزات فيذكر خطيئته. فيأتون نوحًا فيذكر خطيئته. فيأتون إبراهيم ويتذرَّع بخطيئته. ثم يأتون موسى فيذكر خطيئته. فيأتون عيسى الذي يرسِلهم إلى محمد الذي غفر الله من ذنبه ما تقدَّم وما تأخَّر فيقبَل. فيسجد لله أكثر من مرة طالبًا فيخرج من النار إلا من حبسه القرآن. فتحاجَّ آدم وموسى، فقال موسى لآدم إنه المسئول عن الإخراج من الجنة فردَّ آدم على موسى أن الله اصطفاه فكيف يلومُه على أمر قدَّرَه الله عليه قبل أن يخلقه بأربعين سنة فحاج آدم موسى.[٣٧٥] وفي قصةٍ حاج آدم موسى بالقضاء والقدَر كي يُخلي مسئوليته عن الخطيئة الأولى كما كتب الله على موسى التوراة.[٣٧٦]

---

[٣٧٢] ج٤، ١٣٣–١٣٥، ج٥، ٦٦–٦٩.

[٣٧٣] ج٨، ١٣٧–١٣٨.

[٣٧٤] ج٨، ١٤٤–١٤٥، ج٩، ١٧٩–١٨٠.

[٣٧٥] ج٨، ١٥٧.

[٣٧٦] ج٥، ١٢٠–١٢١.

وفي ليلة الإسراء رأى الرسول موسى رجلًا آدم طويلًا جعدًا. ورأى عيسى رجلًا مربوعًا بين الحمرة والبياض سبط الرأس. ورأى مالكًا خازن النار ورأى الدجَّال في آيات. فرؤيته لا شكَّ فيها.[٣٧٧] وهو تصوير جسدي للأنبياء يدلُّ على رسالته، القوة في موسى، والرحمة في عيسى، والتأكيد على خروج الدجَّال.

ويذكر الرسول قصة يأجوج ومأجوج. وتبدأ برواية أن الرسول دخل على زينب بنت جحش فزعًا على غير عادة الأنبياء وهو يُنذر العرب من شرٍّ قد اقترب لأنَّ سدَّ يأجوج ومأجوج فتح اليوم. واستعمل لغة اليد للإشارة. فلمَّا سألت زينب كيف يهلك العرب وفيها الصالحون، أجاب الرسول بالإيجاب إذا كثر الخبَث. وتتقطع الرواية عدة مراتٍ لتركيب القصة من عدة حوارات منها حوار الله مع آدم لإخراج بعث النار وهم ألفان إلا واحدًا صالحًا مع رجاء أن يكون المسلمون رُبع أهل الجنة أو ثُلثها أو نصفها والناس تُكبِّر. وهم كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيض أو كشعرةٍ بيضاء في جلد ثور أسود.[٣٧٨] وواضح الإخراج المسرحي والتصوير الفني في القصة. وبالنسبة لعاد، قال الرسول إنه نُصِر بالصَّبا كما أُهلكت عادٌ بالدبور، وتطويع ظواهر الطبيعة لقوى الأنبياء.[٣٧٩]

ويسأل الله نوحًا إذا كان قد بلَّغ أُمته فيُجيب بالإيجاب. ثم يسأل أُمته فينكرون. فيسأل الله عن شاهدٍ فيقول محمد وأُمته الوسط العدل.[٣٨٠] ويونس أفضل الأنبياء.[٣٨١] وأكرم الناس يوسف. ويستدعيه الرسول حتى يُؤيده الله بسبعٍ كما أيَّد يوسف.

وبعض الأحاديث حكايات من التوراة مثل قصة إبراهيم وزوجته سارة الحسناء يدخُلان قرية ملك جبار. فلمَّا سأل الملك إبراهيم عن هوية من معه كذب حمايةً لها وادَّعى أنها أخته وطلب من زوجته أن تكذِب معه لأنه لا يُوجَد على الأرض مؤمن إلا هما. وأرسلها إلى الملك فقامت وتوضَّأت لتُصلي داعية الله عدم تسليط الكافر عليها حفاظًا على فرجها الذي لزوجها. فنام ثم قام خشية أن يُقال قتلته. فكرَّرت سارة الوضوء والدعاء فنام وقام

---

[٣٧٧] ج٤، ١٤١.

[٣٧٨] ج٤، ١٦٨–١٦٩.

[٣٧٩] ج٤، ١٦٦.

[٣٨٠] ج٤، ١٦٣.

[٣٨١] «ما ينبغي لأحدٍ أن يقول أنا خير من يونس بن متى.» ج٦، ٦٢. «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب.» ج٦، ٦٣، ٧١، ٩٥، ١٤٣، ١٥٥، ١٦٤–١٦٥.

قائلًا إنها شيطان. وطلب إرجاعها إلى إبراهيم وأعطاها هاجر معها إليه شاكرة الله أنه كبت الكافر وأعطاها خادمة.[٣٨٢] والقصة ليس بها أي أثر من النبوَّة لعدة أسباب: كذب إبراهيم وطلبه من زوجته أن تكذِب معه، وهي ليست شيمة الأنبياء، عدم مقاومته رغبة الملك في طلب من معه، التضحية بأُخته دون امرأته، الغرور بأنه لا يُوجَد على الأرض مؤمن إلا اثنان، نوم الملك والحسناء أمامه مرَّتَين، حماية المرأة نفسها بالدعاء وليس بالمقاومة أو بالحيلة، حُكم الملك أنها شيطان، إرساله هاجر هدية بالرغم من غضبه، وبالتالي تفوُّق أخلاق الملوك على أخلاق الأنبياء.

وفي قولٍ مباشر تُروى قصة إبراهيم. وهو أول من يُكسى يوم القيامة. ويقلق الرسول على أصحابه فيُخبَر أنهم منذ فارقهم ارتدُّوا على أعقابهم. ثم تنقطع الرواية وتبدأ أخرى عن لقاء إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه قتَرَة وغُبرة. فيُعاتبه إبراهيم لعصيانه ويندم الأب ويعِدُه بالطاعة اليوم. فيتشفع إبراهيم في أبيه بذبحٍ عظيم تحت قدَمي الله يُلقى في النار. وهي أقرب إلى الدراما بين عاطفة الأبوَّة والنبوَّة والطاعة الإلهية وإنقاذ الأب من أجل الابن عن طريق الفداء، طريقة إسماعيل وإبراهيم والكبش العظيم. فما تمَّ لإبراهيم مع ابنه في الدنيا يتمُّ مع أبيه في الآخرة. ووجد الرسول صورة إبراهيم ومريم في المنزل فأعلن أن الملائكة لا تدخُل بيتًا فيه صورة. وإبراهيم وإسماعيل ما زالا يَستقسمان بالأزلام، ثم تنقطع الرواية بثالثةٍ عن سؤال عن أكرم الناس والرد بأنه أتقاهم. ويظل السؤال قائمًا ويكون الردُّ يوسف. ويظل السؤال قائمًا عن معادن العرب، والردُّ أن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، تأكيدًا على التواصُل وليس الانقطاع. ثم تنقطع الرواية مرة أخرى لتشبك فيها قصة أخرى عن إبراهيم الطويل. ثم تنقطع الرواية لتشبك رواية يُخبِر فيها الرسول عن اختتان إبراهيم وعمره ثمانون عامًا. وتتخلَّل الأقوال المباشرة رواية عن الدجَّال ومكتوب بين عينَيه الكافر وشكل إبراهيم وموسى. ويبدأ قول مباشر عن كذِب إبراهيم ثلاثًا؛ تشرحه الرواية، اثنتان في الله: قوله إني سقيم، وقوله فعلَه كبيرهم هذا، والكذب بأنَّ امرأته أخته حمايةً لها من الملك. وتستأنف رواية بأن الرسول أمر بقتل الوزغ لأنه كان ينفخ على إبراهيم.[٣٨٣]

---

[٣٨٢] ج٣، ١٠٥–١٠٦.

[٣٨٣] ج٤، ١٦٩–١٧١.

وفي قول مباشر تأتي قصة شفاعة الأنبياء. فيرفض إبراهيم وهو خليل الله لكذباته ويفوِّض الأمر إلى موسى.[٣٨٤] وتنسج قصص الأنبياء ابتداء من نواتها في القرآن مثل قصة موسى والخضر. والدافع عليها ادِّعاء موسى أنه أعلم الناس. فأراد الله أن يُثبت له أن الخضر أعلم منه عن طريق حوتٍ يوضَع في مكتل ويكون في كل مكان. وهو حديث طويل وله صياغات عدة بحيواناتٍ وطيور أخرى.[٣٨٥] وقصة موسى والخضر تُبين أن الخضر أعلم من موسى بدليل الحوت الذي نسِيَه موسى عند الصخرة بفعل الشيطان.[٣٨٦]

لقد أوذي موسى بأكثر ممَّا أُوذي به المسلمون وصبر.[٣٨٧] ولا يُخيَّر الرسول على موسى، فالناس تُصعَق يوم القيامة فيكون الرسول أول من يُفيق، ويكون موسى باطشًا بجانب العرش. ولا يدري الرسول إذا كان موسى قد أفاق قبله أو استثناه الله من الصعق.[٣٨٨] وقد يركب القول المباشر على رواية أسطورية مثل قول الرسول أنه بإمكانه أن يُريهم قبر موسى على جانب الطريق عند الكثيب الأحمر على رؤية إرسال ملك الموت إلى موسى، فسحقه وخرق عينه، فرجع إلى الله شاكيًا، فردَّ الله عينه، وأرجعه ليضع موسى يده على متن ثورٍ وله بكل شعرةٍ غطَّتها يده سنة يعيشها ثم الموت.[٣٨٩] فسأل موسى الله أن يُدنيه من الأرض المقدَّسة رمية بحجر!

ومن الأحاديث الطوال تتعدَّد الأقوال وتتقَّطع ممَّا يدل على تركيبها. ترحم الرسول أم إسماعيل. ولولا عجلتها لكانت زمزم عينًا معينًا.[٣٩٠] كما أقبل إبراهيم وإسماعيل وأمُّه وهي تُرضعه. ووضعهما إبراهيم عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد ولا أحد بمكة ودون ماء. ووضع جرابًا فيه تمر وسقاء ماء. وتبعته أم إسماعيل خوفًا من تركها وإذا كان هذا أمر الله، فردَّ بالإيجاب وأردفت أن الله لن يتركها. وذهب إبراهيم بمُفردِه ودعا. ونفد الماء عند إسماعيل. وعطش ابنها فوجدت الصفا أقربَ جبلٍ إليها ثم إلى المروة.

---

[٣٨٤] ج٤، ١٧٢.
[٣٨٥] ج٦، ١١٠–١١٧.
[٣٨٦] ج٩، ١٧١–١٧٢.
[٣٨٧] ج٨، ٢٢، ٣١، ٨٠، ٩١.
[٣٨٨] ج٨، ١٣٤–١٣٥، ج٩، ١٥٤، ١٧٠.
[٣٨٩] ج٢، ١١٣.
[٣٩٠] ج٤، ١٧٢–١٧٧.

وسعت بينهما سبع مراتٍ ثم تُقطع الرواية. ويستمرُّ النبي شارحًا وصف القرآن بالسعي بينهما. ثم سمعت صوت الملك عند مَوضع زمزم وضرب الأرض بعقِبِه وجناحه فتفجَّر الماء فملأت السقاية. ثم تقطع القول وعاد الرسول مُتمنيًا لو أن أمَّ إسماعيل لم تغرِف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا. وطمأنها الملك بعدم الهلاك في بيت الله. وظهر طائر في السماء يبحث عن الماء فمنعتهم أم إسماعيل. ثم تقطَّع القول ليقص كِبر إسماعيل وتعلُّمه العربية وزواجه وموت أم إسماعيل، واختفاء إسماعيل وسؤال إبراهيم عنه وإخباره أن أسرته في ضيقٍ شديد. فأمرهم بتغيير عقبة الباب، وتطليق زوجته. ثم تزوَّج بأُخرى. وبالقصة تناقُضات حول تطليق زوجة إسماعيل بلا ذنبٍ والزواج من أخرى.

وكثيرًا ما يتدخَّل الخيال في قصص الأنبياء. فبينما كان أيوب يغتسل عريانًا خرَّ عليه رِجْل جراد من ذهب يحتمي في ثوبه فناداه الله ألم يُغنِهِ عما يرى فردَّ بالإيجاب ولكن لا غِنى له عن بركة الله.[٣٩١] وتذكر الروايات كثيرًا من الإسرائيليات مثل قول سليمان بن داود إنه سيطوف ليلة على مائة امرأة تلِد كل امرأةٍ غلامًا يقاتل في سبيل الله دون أن يقول إن شاء الله كما نبَّهَه الملك. ولم تلِد إلا امرأة واحدة، نصف إنسان.[٣٩٢]

ولتحليل الغنائم تُنسج قصة طويلة على لسان نبيٍّ آخر غزا وأمر ألا يتبعه رجل ملكَ امرأةً أو بني بها، وبنى بيوتًا ولم يرفع سقفها، ولا أحد اشترى غنمًا ينظر ولادها. وقرب من القرية في صلاة العصر فأمر الشمس بحبسها، فجمع الغنائم لتأكلها النار فلم تطعمها لأنَّ فيهم القلول. ولزقت يده بيد رجلٍ ثم يد رجُلين أو ثلاثة. فجاء برأس بقرة من الذهب فأكلتها النار. ثم أحلَّ الله الغنائم لمَّا رأى ضعف المسلمين وعجزهم![٣٩٣] وتدل هذه القصة على أربعة أشياء: الأول أن الغزو سُنَّة الأنبياء، ثانيًا سلطة النبي على ظواهر الطبيعة، ثالثًا النار لا تأكل إلَّا الحرام، رابعًا تبرير الغنائم الحلال. وفي قولٍ مباشر لدغت نحلةٌ نبيًّا نائمًا تحت شجرةٍ فأمر بإحراق بيتها. فأوحى الله له بأنها نحلة واحدة. وهو ما يتنافى مع أخلاق النبوَّة وما يُناقض العقل، حرق بيت نحلة بعد الحفر تحتها.[٣٩٤]

---

[٣٩١] ج٩، ١٧٥.

[٣٩٢] ج٧، ٥٠.

[٣٩٣] ج٤، ١٠٤.

[٣٩٤] ج٤، ١٥٨.

وفي حديث مقارنة بين علاقة بني إسرائيل باللحم وعلاقة حواء بآدم. فلولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها.[٣٩٥] والتمايز عن اليهود في عدم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد كما فعلوا من قبل.[٣٩٦] كما باعوا الشحوم وأكلوها بعد أن جمَّلوها وقد حُرِّمت عليهم.[٣٩٧] وأحيانًا يتمُّ الربط مع اليهود والنصارى وأحيانًا يتمُّ التمايز طبقًا لجدل التواصُل والانقطاع. فإذا كان اليهود والنصارى لا يصبغون شعورهم فالمسلمون يصبغون.[٣٩٨] والآن صبغة الشعر للنساء وليست للرجال.

وواضح مصدر الإسرائيليات في القول المباشر. فقد فُقدت أمة من بني إسرائيل دون معرفة سبب واضح إلا أنها شربت ألبان الإبل وألبان الشاة. وتتردَّد الرواية في تصديق هذا القول ثم تُقرُّ في النهاية بأن مصدرها التوراة.[٣٩٩] ويأخذ الرسول موقفًا مُحايدًا من الإسرائيليات لا تصديقًا ولا تكذيبًا مع أنه في موقفٍ آخر أخذ موقف الرفض لأنه أتى بأفضلَ من التوراة. وكانت الرواية قد أخبرتْ بأن اليهود كانوا يقرءون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية للمسلمين.[٤٠٠]

ومريم والمسيح خاليان من الشيطان. ويوضع الحُكم في قالبٍ خيالي؛ أنه ما من مولود يُولَد إلا والشيطان يمسُّه فيصرخ من المس. والوليد يصرخ من دخول الهواء رئتَيه لأول مرةٍ بعد أن كان يعيش في رحِم الأم.[٤٠١] وقد رأى الرسول في المنام رجلًا حسَن الهيئة هو المسيح يطوف حول الكعبة ورِجلاه تقطُر ماءً من الوضوء. ورأى آخر جعد قطط أعور العين اليُمنى كأنها عنبة طافية هو المسيح الدجَّال.[٤٠٢]

رأى الرسول المسيح يطوف بالبيت بعد أن توضَّأ وهو يقطُر ماء وعلى أحسن هيئةٍ وأجمل صورة، كما رأى آخَر جعدًا قطط أعور وهو المسيح الدجَّال.[٤٠٣] ولا يضر المسيح الدجَّال بالرغم من أنَّ معه جبل خبز ونهر ماء. وينزل من ناحية المدينة، فترتجِف من ثلاث رجفاتٍ فيخرُج إليه كل كافرٍ ومُنافق. ولا يدخل المدينة رُعب المسيح فلها سبعة

---

[٣٩٥] ج٤، ١٦١.

[٣٩٦] «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.» ج٦، ١٣–١٤.

[٣٩٧] «قاتل الله اليهود لمَّا حرَّم الله عليهم شحومها جمَّلوه ثم باعوه فأكلوها.» ج٦، ٧٢.

[٣٩٨] «إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالِفوهم.» ج٧، ٢٠٧.

[٣٩٩] ج٤، ١٥٦.

[٤٠٠] «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، ج٦، ٢٥.

أبواب على كل بابٍ ملكان. ولا يدخلها الطاعون، وما من نبيٍّ إلا وأنذر قومَه به. ورأى الرسول في منامه أنه يطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يُراق الماء من رأسه وهو ابن مريم، ورجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين وهو الدجَّال.[٤٠٤] حافره نار. وبين عينَيه مكتوبٌ كافر. الله ليس بأعور في حين أن المسيح الدجَّال أعور العين اليُمنى كأنه عنبة طافية.[٤٠٥] فالتقابل بين الجمال والقُبح، بين الحقِّ والباطل، بين البصر والعور.

وقال الرسول وهو ينهش ذراع شاةٍ إنه سيد القوم. وسأل الناس إذا كانوا يدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيُبصِر الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس فيسألون عمَّن يشفع لهم فيطلُب البعض آدم لأنه أبو البشر خلقَه الله بيدِه، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه الجنة فيرفُض لأن الله غضب منه لأنه عصاه بأكلِهِ من الشجرة. فذهبوا إلى نوح لأنه أول الرُّسُل وسمَّاه الله عبدًا شكورًا. فيرفُض نوح لأن الله غضب عليه. فأتوا إلى محمدٍ ساجدًا تحت العرش. فيطلبون منه رفع رأسه والشفاعة. ويُعلق الراوي أنه لا يحفظ الباقي لأنه من الأحاديث الطوال.[٤٠٦] والرسول سيد البشر. وهو أولى بالمؤمنين.[٤٠٧] وكثير من أحاديث «الأنا» تفيد نفس المعنى. يقضي ديونهم. وأسماؤه محمد وأحمد والماحي للكُفر والحاشر الذي يُحشَر الناس على قدمه والعاقب الذي يعقبه الناس.[٤٠٨] وهو أكثر الأنبياء أتباعًا.[٤٠٩] والرسول شهيد على كل الأنبياء وليس فقط خاتمهم. يشهد أنهم قد بلَّغوا رسالاتهم ضدَّ من يُنكرون ذلك من أُمته.[٤١٠] وهو أولى بالشكِّ من إبراهيم.[٤١١] فهو الوريث لكل صفاتهم. وهو أولى منه

---

[٤٠١] «ما من مولودٍ يُولَد إلا والشيطان يمسُّه حين يولَد فيستهل صارخًا من مسِّ الشيطان إيَّاه إلا مريم وابنها.» ج٦، ٤٢.

[٤٠٢] ج٧، ٢٠٨.

[٤٠٣] ج٩، ٤٣، ٥٠.

[٤٠٤] ج٩، ٧٤–٧٦، ١٧٠.

[٤٠٥] ج٩، ١٤٨.

[٤٠٦] ج٤، ١٦٣–١٦٤.

[٤٠٧] «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة.» ج٦، ١٤٥.

[٤٠٨] ج٦، ١٨٨، ج٧، ٨٦–٨٧.

[٤٠٩] «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مِثلُه آمَن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يوم القيامة.» ج٦، ٢٢٤.

بالسؤال، (أو لم تؤمِن؟) وهو أولى بموسى كي يصوم يومَه.[٤١٢] ويُحرِّم الرسول ما بين جبلَي المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة.[٤١٣] وفي تصويرٍ فني يوم القيامة تعترِف كل أمةٍ بمن كانت تعبد؟ عُزير عند اليهود، والمسيح عند النصارى، والله الواحد الأحد عند المسلمين.[٤١٤] وأحيانًا تبدو بعض مظاهر الكهنوت مثل الدعاء في وقتٍ مُعين مثل الجمعة.[٤١٥]

---

[٤١٠] ج٦، ٢٦.

[٤١١] «نحن أحق بالشكِّ من إبراهيم.» ج٦، ٣٩، ٩٧.

[٤١٢] ج٦، ٩١، ١٢١.

[٤١٣] ج٧، ٩٩.

[٤١٤] ج٦، ٥٦–٦٦.

[٤١٥] «في الجمعة ساعة لا يُوافقها مُسلم قائم يُصلي فسأل الله خيرًا إلَّا أعطاه.» ج٧، ٦٦.

الفصل الثالث

نقد المضمون الواقعي

(١) الرسول الإنسان

ويعني المضمون الواقعي مدى تطابق مضمون الحديث مع الواقع الإنساني وقدرات الإنسان وإمكانياته، خاصة أن الرسول بشَر مثل باقي البشر، وليس له معجزات باقي الأنبياء، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى. فالإسلام يعتمد على العقل. لذلك جاء مدى تطابق الحديث مع المضمون العقلي ضدَّ كل الموضوعات الخيالية المُتعالية، أي نقد المضمون العقلي. والآن نقد المضمون الواقعي أي مدى تطابق الحديث مع العادة والعُرف خاصَّة أن الإسلام يقوم على مجرى العادات وعدم جواز تكليف ما لا يُطاق ضِمن القواعد الأصولية. وفي المثل الشعبي يدلُّ أحيانًا تعبير «غير معقول» على معنى «غير واقعي» أو «غير مُشاهَد» أو «مُستحيل». وقد ظهرت هذه الواقعية في حديث الإسراء والمعراج عندما هبط عدد الصلوات من خمسين إلى خمسٍ في حديث الرسول مع موسى ورجوعه إلى ربه لمُراجعته بناء على ما طلبه، واستفادة من تجربة قوم موسى برفضهم التكليف الشكلي القاسي الذي أخذته صورة الشريعة. لذلك جاءتها محبَّة عيسى بالرحمة والمغفرة، والمحبة والسماحة. وهذا لا يتمُّ بالواقع فقط بل بالحديث أيضًا. فالأحاديث متنوِّعة منها ما يؤيد الرسول الإنسان لا يُبرزها المُحدِّثون ولا السامعون ولا الوُعَّاظ والمُبشِّرون لأنها غير مُغرية أو جاذبة للانتباه مثل أحاديث الرسول التي تجعله «سوبر مان» يتجاوز حدود الممكن والواقع، ويصِل إلى المُستحيل. ويعرف الواقع بتحليل الخبرات الشعورية وتحليل النفس لمعرفة طبيعة الإنسان وماهية الوجود البشري. فمصادر النفس البشرية، ومرجع الطبيعة الإنسانية. وهذه يمكن الاحتكام إليها بمعرفتها عن طريق الإحساس الذاتي والمشاركة الوجدانية مع الآخرين والملاحظات والمشاهدات ونتائج الاستبيانات والتحليلات في الدراسات النفسية الاجتماعية. وتعرف الطبيعة البشرية من الآداب والذكريات والأشعار والأمثال العامية.

وقد يتحوَّل نقد المضمون العقلي وخاصة الواقعي إلى عِلم السيرة، لأنه يتعلق بحديث الرسول وبموضوعاته أكثر مما يتعلق بأشكاله الأدبية أو بنقد السند. ومع ذلك يظلُّ تحليل المضمون في مقابل تحليل الشكل موضوعًا للحديث لأن المصدر في الحديث وليس في علم السيرة. السيرة تُستمَدُّ فقط من مصادر عِلم السيرة وليس من مصادر علم الحديث بالرغم من وجود بابٍ فيه عن السيرة. كل علمٍ يتميَّز عن الآخر بالرغم من أن العلوم النقلية الخمسة مُتداخلة لأنها كلها مُتعلقة بشخص الرسول: القرآن هو مُبلِّغه، والحديث هو قائله، والسيرة هو مادتها، والتفسير هو بادئه، والفقه هو مُشرِّعه.

وأحيانًا يكون الرسول مثل غيره من البشر خاضعًا لقانون الاستحقاق بل يكون أحيانًا أقلَّ من الآخرين لإعطاء النموذج. فإذا كان أحد الصحابة قد أتاه اليقين فإن الرسول لا يدري ماذا يُفعَل به. وهذا يدل على تضارُب الروايات، مرةً تعطي الرسول أكثر من البشر، ومرة أخرى تعطيه مثلهم أو أقل.[1] والأوقع أنه مثل سائر البشر. ينطبق عليه ما ينطبق عليهم من حياة وموت، وصحة ومرض، ويقظة وصحو، وعلم وجهل، وطول وقصر، وقوة وضعف، وفرح وحزن، وأمل ويأس، واعتقاد وشك، وموافقة وعتاب. وهو ما يجعله نموذجًا للناس، وقدوةً للبشر، يمكن اتباعها، ولا يصعُب الاقتداء بها.

ويكون الرسول أكثر تساهُلًا من الصحابة في الإنسانية مثل سماع الغناء ومشاهدة الرقص الشعبي من أحبِّ زوجاته إليه أكثر من أبيها.[2] فهو شاعر عربي يُقدِّر الموسيقى وما يُصاحبها من رقصٍ اشتُهرت به الأحباش، وأحبَّ هو أن يضع عائشة على كتفيه لمشاهدته. وقد أوصى بدقِّ الدفوف والإعلان عن الأفراح. وكان سماع حداء الإبل من عادة العرب لمُصاحبتهم في الأسفار. ولم يَشقَّ عن قلوب الناس بل له أيضًا ما يُبدون من أفعالهم. فالإنسان يُبدي المظاهر، والله مُطلع على السرائر. وقد يخطئ الإنسان إذا حكم على بواطن غيره، وضلَّلته المؤشرات وأخطأته الدلالات. لذلك لا يمكن تكفير أحدٍ كما يحدث هذه الأيام بسهولة لأنه لا يجوز الشقُّ عن قلوب الناس كما فعل خالد عندما قتل متشهِّدًا بالله خائفًا وعاتبه الرسول «ألا شققتَ عن قلبه؟» فأصبحت مثلًا.[3]

---

[1] البخاري ج٥، ٨٥.

[2] ج٥، ٨٦.

[3] ج٥، ١٨٣. «يسِّروا ولا تُعسِّروا، بشِّروا ولا تُنفروا.» ج٥، ٢٠٤-٢٠٥.

وأحيانًا يبدو الرسول واقعيًّا للغاية. يرفض أن يتصدَّق بثُلثي ماله أو بشطره بل يكفي الثلث وهو كثير حفاظًا على العيش الكريم للذُّرية.[٤] فالصدقة اختيارية أما الإعالة فواجب. الصدقة مندوب، والإنفاق واجب بمصطلحات الأصوليين. لذلك كان أبو بكر مثاليًّا عندما كان يتصدَّق بكل ماله ولا يُبقي لعياله إلا الله ورسوله. وكان عمر واقعيًّا عندما كان يتصدَّق بنصف ماله ويبقي النصف الآخر لأهله. وكان يقول لأبي بكر «يا أبا بكر انزل قليلًا.» وكان يقول لعمر «يا عمر اصعد قليلًا.» فأبو بكر يُمثل المثال، وعمر الواقع، والإسلام بين الاثنين وهو ما عُرِف بالوسطية التي تُفهم خطأً كمحور اعتدال في مواجهة محور تطرُّف، وتُقسِّم الأمة سياسيًّا، وتجعلها نافرةً من الجهاد والمُمانعة لمُخططات السيطرة والهيمنة الأمريكية والإسرائيلية على الوطن العربي والعالم الإسلامي.

ولا يكفي المهر في العُرس بل لا بدَّ من الوليمة. فالمهر ذهب للعروس، والوليمة للاحتفال بالحدث.[٥] قد يُعطى المهر في صمتٍ وكأنه صفقة في حين أن الوليمة إعلان واحتفال وبهجة جماعية. ويفضل أن يتزوَّج الصحابي بكرًا يُلاعبها وتلاعِبه وليس ثيبًا ذات خبرةٍ سابقة.[٦] وتختلف الآراء حول أيهما أمتع جنسيًّا، المُجرِّبة أم غير المجربة. قد تكون المُجربة أكثر اصطناعًا وتكلُّفًا، وغير المُجرِّبة أكثر طبيعية وتلقائية. والطبيعة أفضل من الصنعة في الحُب والشعر كأسلوبٍ للحياة والإبداع.

لذلك كان الرسول يريد أن يقضي يومَه الأخير عند عائشة.[٧] فهي البنت البكر الصغيرة اللعوب التي تُعطي الرجل الكبير الإحساس بالحياة، وتُرجعه إلى شبابه. لذلك كان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.[٨] وكانت هي البكر الوحيدة التي تزوَّجها. وكانت كل زوجاته السابقات ثيِّبات بما فيهن خديجة أم أولاده التي كان يذكرها بخيرٍ حتى مع عائشة. فهي التي أعطته السند الرُّوحي والعون المادي والإشباع العاطفي وهي في سنِّ الشباب على مدى خمسة عشر عامًا قبل أن تُولَد عائشة، بالرغم من الحكايات التي قدَّمت عائشة على سريرٍ من حرير في السماء. وكانت هي تفخر على باقي

---

[٤] ج٥، ٨٧–٨٨، ٢٢٥.

[٥] ج٥، ٨٨. العرس على صفية ج٥، ١٧٢.

[٦] ج٥، ١٢٣.

[٧] سأل «أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟» ج٦، ١٦.

[٨] ج٧، ٩٨، ١٠٠.

زوجاته بأن الله زوجها في السماء في حين أن الله زوجهن في الأرض. وكان يُحب أصحابه وأبناء أبنائه المُتبنَّين ويلعب معهم مثل الحسن والحسين طبقًا للمثل الشعبي «ما أعز من الولد إلَّا ولد الولد.» وقد اعتزل الحسَن الناس ساعة الفتنة. واستُشهِد الحُسين.[٩]

وتبدأ الرواية الخيالية ببعض المُبالغات مثل أنَّ الرسول كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذٍ تسع نسوة.[١٠] وقد ساند تلك الرواية حديث «أُوتيت قوة أربعين رجلًا منكم.» وهي صورة البطل الشعبي، المِغوار مع المرأة وفي ميدان القتال. فالقوي قوي في كل الميادين. والضعيف أو العاجز جنسيًّا لا يكون كذلك في ميدان القتال لأنه يهاب نفسه ويخشى الناس. والقوي جنسيًّا لا يكون كذلك إلا في ميدان القتال وإلا كان خائر القوى. فلا فرق بين غرفة النوم وساحة الوغى.

وبالرغم من إباحة تعدُّد الزوجات إلا أن الرسول كأبٍ رفض أن يتزوَّج علي على فاطمة كابنة. فما قد يقبله الآخرون على بناتهم قد لا يقبله هو.[١١] وشريعة الإسلام عامة وليست خاصة. وتعدُّد الزوجات بين المندوب والمكروه ولكنه ليس واجبًا أو مُحرَّمًا، متروك للظروف وحُسن تقديرها، بعد الحرب إذا كان عدد النساء أكثر من عدد الرجال ولا تستطيع النساء أن يترهَّبن أو يتحوَّلنَ إلى نساء طريق. وربما قد تكون الزوجة الأولى مريضة مُعوقة ولا تستطيع أن تقوم بواجبات المنزل. وفي كلتا الحالتين يكون الزواج الثاني بموافقتها ورضاها وبإعطائها نفس الحقوق التي للزوجة الثانية في المسكن والملبس والمأكل والمشرب والمصروف اليومي، بل أيضًا بحُسن معاملتها وتقسيم وقته بينهما وعواطفه وهو ما يستحيل على الرجل الذي يميل بطبعه نحو واحدةٍ أكثر من الأخرى. وتعليق الفعل على شرط مُستحيل (على ألا تعدلوا ولن تعدلوا). يُصبح مستحيلًا.

وتختلف الرواية على أمر الرسول بقتل الفويسق أم لا.[١٢] فالرسول لا يقتل ولا يأمُر بالقتل. فهو ليس سُلطانًا صاحبه سيَّاف كما هو الحال في بعض النظم البدوية المعاصرة التي تحكم باسم الإسلام والشريعة الإسلامية. فالحياة أول مقصدٍ من مقاصد الشريعة.

---

[٩] «قد بلغني أنكم قلتم في أسامة، وأنه أحبُّ الناس إليَّ.» ج٦، ١٩.

[١٠] ج٧، ٤٤.

[١١] قال وهو على المنبر «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوا في أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذَنُ ثم لا آذَن ثم لا آذَن إلا أن يُريد ابنُ أبي طالب أن يُطلِّق ابنتي وينكح ابنتهم. فإنما هي بضع مني يُريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها.» ج٧، ٤٧.

لذلك كان قتل عربي مُتمسكًا بأستار الكعبة غير واقعي ولا عادي من صاحب دعوةٍ جديدة تقوم على الرحمة والمغفرة، والأخوة والتسامُح. القتل في حدِّ ذاته تمجُّه النفس حتى ولو كان قصاصًا. يصيب النفس بالغثيان حين رؤياه بالسيف أو الرصاص أو الشنق والمقتول مُعلق بحبلٍ من عنقه بعد أن فصل عن جسده وهو يتحرَّك في الهواء. لذلك منعت بعض الشرائع المُعاصرة عقاب الإعدام لأنه قتْل حتى ولو كان قتْل القاتل. فمجموع الخطأين لا يكون صوابًا. وقتْل القاتل قتْل، ومضاعفة تجربة القتْل. وكان الرسول يريد أن يُحيي أكثر ممَّا أن يُميت. وكان قد أمر بقتل شاعرٍ هجاه فرثتْهُ أخته وتأثر الرسول بالرثاء وقال إنه والله لو سمع هذا الرثاء قبل أن يأمر بقتلِه ما قتلَه.

وقد يراجع الرسول قوله. فقد أمر بحرْق اثنين ثم بدَّل الحرق بالقتل لأن الحرق بالنار من اختصاص الله يوم القيامة.[١٣] فالقول من الرسول وليس من الوحي بناء على تقديره الخاص. وقد تتغيَّر الأحكام بناء على الذوق النبوي الذي يراجع نفسه، ويستدرك على نفسه، ويُنقذ نفسه بنفسه. وهو على عكس ما يتصوَّر البعض بأن كل ما يقوله الرسول وحي من عند الله بمعنى الوحي القرآني. الحديث اجتهاد، والاجتهاد خاضع للمُراجعة بناء على الدليل. وفي لحظة أُخرى، لا الحرق ولا القتل جائزان لأنهما إزهاق الروح التي أمر الله بحفظها كما يقول المثل الشعبي «ربنا عطى، ربنا خد، ربنا عليه العوض.»

(٢) الصاحب والأنصاري

الصاحب هو الدائرة الضيقة؛ الأخ والابن والحواري والأمين والأمير والقارئ والقائد. في حين أنَّ الصديق هو الدائرة الأوسع من المهاجرين والأنصار.

(أ) الصاحب

وأخبر أحد أصحابه أنه أشبَهَه بخَلقه وخُلقه. وهو ما يندُر، الشبه الجسمي والشبَه الأخلاقي.[١٤] فليس للرسول ميزة بدنية مثل موسى أنه كان قويَّ البدن كما عرضَه الفنانون والرسَّامون والمثَّالون، أو عيسى أنه كان رقيق الحال صبوح الوجه كما تخيَّله

[١٣] ج٤، ١٥٦.

الرسَّامون أيضًا. فهو مثل غيره بدنًا وخلقًا إلا أنه يُوحى إليه. هو بشَر مثل باقي البشر، مجرد وسيلة لإيصال الوحي مثل أي شخصٍ آخر دون ميزة خاصة فيه.

وإذا كان لكل نبيٍّ حواري فإن الرسول كذلك.[١٥] وهو القادر على الانتصار على بني قريظة والإتيان بخبرهم. فالحواري هو الصديق الصدوق. هو الخليل وشقيق الرُّوح، هو الأليف والأنيس مثل صاحبه الذي يُحاوره وهو في الغار. فالروح في حاجة إلى أن تتخارَج وتتحاوَرَ مع روح آخر، يقضي على عُزلته ويؤنِس غربته. الإنسان بطبيعته زَوج، والرُّوحان رُوحان، والصديق صديقان. وإن لم يكن هناك آخر تكلَّم مع نفسه وأقام حديثًا ذاتيًّا (مونولوج) وليس حوارًا (ديالوج). والإنسان في أوَّلِه اثنان، آدم وحواء، بصرْف النظر عن كيفية الخلق من روحه أم من بدنه، من نفسه أم من ضلعه، من روحه أم من مادته. فلا فرق بين مُتحاورَين وشقيقَي روح.

وأحد أبنائه المُتبنَّين أخُوه ومولاه. لا يُطعن في إمارته كما طُعن في إمارة أبيه، وهو خليق بها. كان من أحبِّ الناس إليه هو وأبوه.[١٦] وكلها أقوام بعضها من بعض. ورفض الرسول أن يتشفَّع الابن في سارقةٍ وأعلن قولته المشهورة أن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف طبَّقوا عليه الحد. ولو كانت ابنته سارقة لقطع يدَها. ولا يُوجَد أعزُّ من البنوَّة والأخوة، الأمومة والأبوَّة. فصِلةُ الرحم أساس العلاقات الاجتماعية، القرابة والزواج والإرث والجيرة والبيع والشراء في الشفعة، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. فالقرآن أصل الحديث، والحديث الصحيح فرع القرآن. والرسول الخيالي يستنِد إلى حديثٍ غير صحيح، والرسول الواقعي يستنِد إلى حديثٍ صحيح.

ويمدح أحد أبناء أصحابه إذا صلَّى بالليل. فلم يتوقَّف هذا الصاحب عن فعل ذلك.[١٧] وهو الرجل الصالح. فأبناء أصحابه أصحابه مثل آبائهم. وهم صحابة أيضًا لأنهم عاصروا

---

[١٣] ج٤، ٦٠.

[١٤] وهو جعفر بن أبي طالب، ج٥، ٢٤، ١٨٠.

[١٥] هو الزبير بن العوام، ج٥، ٢٧، ١٤٢.

[١٦] هو زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد، ج٥، ٢٩، ١٨٠، ج٦، ١٩.

[١٧] هو عبد الله بن عمر، ج٥، ٣١.

الرسول وليسوا تابعين عاشوا بعده. وهم مُطيعون لآبائهم مثل طاعة آبائهم للرسول. فالذرية صالحة وليست كالآن قتْل الابن أمَّه وأباه وأخاه لنيل السكن أو المال. فالصحوبية ليست المُصاحبة في المكان بل في الزمان. وليست المصاحبة في الزمان مُصاحبة مكانية في وقت الرسول ومكانه بل مُصاحبة شعورية باستحضاره في الزمان كمثَلٍ أعلى وقدوة ومصدر إلهام. وقد يكون الرسول لدى صحابي في المكان، بدويٍّ راعي غنم، أقلَّ حضورًا منه لدى مُعاصرٍ له في الزمان حتى ولو كان بينهما قرون. وهي المعاصرة الشعورية وليست الحضور المكاني أو الزماني.[18]

وقد سأل الرسول أحد أصحابه إذا كان يرضى أن يكون منه بمنزلة هارون من موسى، بمعنى الخلافة السياسية أو القيادة الروحية. واليهود عصَوا هارون وعبدوا العجل بعد أن غادر موسى وعاد غاضبًا وأخذ بلحيةِ أخيه الذي استعطفه بأنهم هم الذين عصَوه بالرغم من إشرافه عليهم.[19] ويضاف عليهما حفيداه، ولأن الله أحبهما فالرسول يُحبهما.[20] وهما ريحانتان من الدنيا. وأحدهما سيِّد قد يُصلح به الله بين فئتين من المُسلمين. وقد كان الرسول دائم التشبُّه بموسى واستدعائه دائمًا أكثر من المسيح. فموسى مؤسِّس دولة ومُحرِّر قوم، وعيسى مؤسِّس جماعة ومُحرِّر روح.

وأراد الرسول إعطاء الراية غدًا لرجلٍ يفتح الله على يديه. يُحب الله ورسوله ويُحبُّه الله ورسوله. ثم سأل عن علي فقيل يشتكي عينَيه فبصقَ فيها ودعا له فبرأ وأعطاه الراية. ورفض أن يبدأهم بالقتال كي يكونوا مُسلمين دون دعوتهم إلى الإسلام أولًا. فهداية واحدٍ خير من حُمر النعم.[21] وقد توحَّد الرسول مع علي بقوله «أنت منِّي وأنا منك.»[22] فلكلٍّ صاحبٍ ميزة وفضل: الصلح أو القتال، الدرع أو الرمح، الدفاع أو الهجوم، البناء الداخلي أم البناء الخارجي. كان تاريخ الأنبياء حاضرًا للغاية في وعي الرسول لأنَّ التاريخ يُعيد

---

[18] هذا ما سماه كيركجارد المعاصرة La Contemporanéité وتفرقته بين Disciple du premier main والتابعي Disciple du second main في كتابه الشهير «الفتات الفلسفي» أو «الشذرات الفلسفية» Les miettes philosophiques بعد «الشرح» Post-scriptum.

[19] وهو علي، ج٥، ٢٤، ج٦، ٣.

[20] وهما الحسَن والحُسين، ج٥، ٣٠، ٣٢–٣٣.

[21] ج٥، ١٧١.

[22] ج٥، ١٨٠.

نفسه وما هو إلا واحد من سلسلةٍ طويلة من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، أولي العزم حتى محمد. لذلك خرج الوعي التاريخي من قصص الأنبياء.[٢٣]

وأحد أصحابه من العلماء، زينة المجالس. ضمَّه إلى صدره ودعا له «اللهم علِّمه الحكمة.» وفي صياغة أخرى «علمه الكتاب».[٢٤] فالعِلم من الصدر إلى الصدر، ومن الجوف إلى الجوف، ومن الرُّوح إلى الروح كما يقول الصوفية في مُقابل حرفية الفقهاء، وكما يقول الشيعة في مقابل تدوين السنة. والعالِم بجوار الرسول مثل الولي بجانب النبي عند الصوفية، والإمام بجوار الرسول عند الشيعة. وهو ما سمَّاه الإخوان الجمهوريون المُحدثون «الرسالة الثانية». فالعلماء ورثة الأنبياء بنص الحديث. أحيانًا يتمثَّل العالِم النبي وأحيانًا ينحرِف عنه ويُقدِّم رسالته مثل بولص مع عيسى الذي أعطى مسيحية مختلفة، يهودية عقائدية مُعقدة عن مسيحية المسيح، الأسينية الأخلاقية البسيطة.[٢٥]

وكان لا بدَّ له من قارئٍ للقرآن وهو أحد قرَّائه.[٢٦] وأحدهم نموذج السلوك وحُسن الأخلاق ومن أحبِّهم إلى الرسول.[٢٧] فالقرآن يُحِب أن يُسمع كما أن يُبلَّغ، وأن يُتلى كما أن يُعلن. لذلك كان هناك مجاميع القرَّاء والقراءات والمباراة في القراءة والمسابقة عند المُحدثين. بل تحوَّلت القراءات إلى علمٍ مُستقل ومدارس في مصر والشام والعراق والحجاز، هو عِلم القراءات. بل تتحوَّل القراءة أحيانًا إلى فنٍّ مُستقل أشبه بالموسيقى والغناء، يَطرَب المُستمع لأصوات المُستمعين ولتجاويد القرَّاء. وكان مشاهير المُغنِّين يبدءون مُنشدين للقرآن فكلاهما تلحين لكلام. وكلاهما عاطفيَّان يؤثران في النفس. والقارئ هو الفنان. لا يقرأ القرآن صاحب الصوت الغليظ أو الرفيع، الخشن أو الحاد. يفقد معناه وليس فقط لا يُطرب صوته.

ولمَّا كان لكل أمةٍ أمين فإنَّ أحد أصحابه أمين هذه الأمة، أمين حقٌّ أمين.[٢٨] والأمين تعني كل شيء، الصاحب والحارس والراعي سواء كسُلطان أو كآمِر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر. هو الأمين على مصالحها من كل اتجاهاتها النظرية والعلمية، الشرعية والمصلحية. من يُنكر ذاته، ولا يرى مصلحته الفردية إلا في المصلحة الجماعية. وهو لفظ ما زال يتمُّ

---

[٢٣] من العقيدة إلى الثورة ج٤، النبوة والمعاد ص١٠٤–١٨٢، وأيضًا لسنج: تربية الجنس البشري، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧م.

[٢٤] هو عبد الله بن عباس، ج٥، ٣٤.

[٢٥] ظاهريات التأويل، ص٢٥٠–٢٦٩.

استعماله عندما وصف أحد الزعماء العرَب زعيمًا شابًّا آخر بأنه «أمين القومية العربية». كما تحوَّل «أمين» إلى اسم عَلَم شائع في عصرٍ تكثُر فيه خيانة الأمانة، والتخلِّي عن المسئولية، والتقديم إلى المُحاكمة، والضبطيات القضائية، والهروب خارج البلاد في شتَّى نواحي النشاط الاقتصادي.

وللرسول قائد مغوار. أخذ زيد الراية فأُصيب ثُم أخذَها جعفر فأُصيب ثُم أخذها ابن رواحة فأُصيب وعيناه تذرِفان حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله فتح به الله عليهم.[٢٩] ويتبرَّأ الرسول من قتل شخصٍ تشهَّد خوفًا.[٣٠] فالنبي ليس قائدًا عسكريًّا حتى ولو كان داود وسليمان، بل هو مُبلغ الرسالة. والقائد شخص آخَر، قواه في القتال، في القوى العملية وليست في القوى النظرية. الرسول القلَم، والقائد السيف.

والرسول كثير المدح لأصحابه ولفضلهم مثل عِلم عمر. فقد رأى الرسول أنه يشرَب قدح لبنٍ والريُّ يخرج من أظافره فأعطاه عمر. والريُّ هو العِلم وفي صيغةٍ أخرى الدِّين.[٣١] وفي صياغة ثالثة رأى الرسول الجنة وامرأة تتوضَّأ بجانب قصرٍ لعُمَر فغادره الرسول لمعرفته بغيرته. وفي رؤيا أُخرى رأى بئرًا ينزع أبو بكر منه بدلوٍ مرةً أو مرتَين وعمر عدَّة مراتٍ ممَّا يعني أن أبا بكر أضعف من عمر، وأن عمر أقوى من أبي بكر.[٣٢] رأى الرسول في منامه أنه على قليبٍ فنزع منه ما استطاع. فأخذها أبو بكر فنزع ما استطاع، وفي نزعه ضَعف. ثم أخذها عمر فنزع نزعًا عبقريًّا.[٣٣]

ولكلِّ نبيٍّ حواري، وحواري الرسول الزبير.[٣٤] وفي حديث آخر أبو عبيدة بن الجراح. وهذا يعني أن الرسول كان يثِق بأصحابه، ويأمُل فيهم خيرًا، وأن هذا الخير هو العِلم

---

[٢٦] هو سالِم مولى حذيفة مع ثلاثةٍ آخرين: عبد الله بن مسعود، أُبي بن كعب، معاذ بن جبل، ج٥، ٤٣–٥٣، ٥٤.

[٢٧] هو عبد الله بن مسعود، ج٥، ٣٤–٣٥.

[٢٨] هو أبو عبيدة بن الجراح، ج٥، ٣٢.

[٢٩] هو خالد بن الوليد، ج٥، ٣٤.

[٣٠] ج٤، ٢٠٣.

[٣١] ج٩، ٤٥–٤٦، ٥١–٥٢.

[٣٢] ج٩، ٤٩–٥٠.

[٣٣] ج٩، ١٧١.

[٣٤] ج٩، ١١٠.

الباطني الذي يُنزَع من بين الأظافر أو اللبن، الريُّ الذي يُشرب من القدح أو ماء الوضوء من امرأةٍ بجوار قصر. ولا ضير من الغيرة في الحق وليس في الجشع والنَّهَم أو هو الماء على القليب في بيئة صحراوية. فمِن أصحابه لا يأتي إلا الخير. وكل سيولةٍ في بيئةٍ جافَّة وقصرٍ وسط خيام، وامرأة وسط تحجُّب وحرمان وحروب سلبٍ وسَبي وأغنام وأسلاب.

وقد استُعملت الأحاديث في فضل الصحابة لإعطاء الشرعية السياسية لهم مثل الأحاديث في علي وجعفر وزيد.[٣٥] فالصحابة ليسوا مُجرد أصدقاء بل هم سلطة وخلفاء وتابعون بالرغم من أنه لا خلاف عليهم ولا وصاية نصًّا بل ترك الأمر شورى بين المسلمين. هناك إشارات وعلامات ونصوص يمكن تأويلها على هذا الوجه أو ذاك، ولكن يظل الأمر، أمر قيادة المسلمين، شورى بينهم طبقًا لنصوص القرآن. وبهذه النصوص في تفضيل الصحابة تمَّ تقديسهم وتحويلهم من تاريخٍ إلى مُقدَّس، ومن إنساني إلى إلهي، ومن سياسي إلى ديني. وما زال الصحابة إلى اليوم موضع تعظيمٍ وإجلال إلى درجة التقديس.

ويختلط في دائرة الحوار بين الخاص والعام، الزوج والصديق والقائد والقارئ والعالِم.[٣٦] كان جبريل يُقرئ السلام لإحدى زوجاته فقد كمُل من الرجال الكثير ومِن النساء القليل. كان يريد أن يقضي عندها آخِر أيَّامه. ينزل الوحي إليه وهو في لحافٍ معها. ويرفض أن تنام إحدى زوجاته عليه.[٣٧] فكان هو الرسول الشامل الذي يُدير كل شيء، النظر والعمل، الوحي والتبليغ، النبوَّة والرسالة، الدين والدنيا، السياسة والدولة.

وتعترِض بعض القبائل على قسمة الرسول بينهم العطاء، وجواب الرسول أنه يتألَّفهم. وطلب أحدُهم من الرسول تقوى الله. وأجابه ومن أحقُّ بطاعة الله منه. فاعترض ثانٍ ووصفه الرسول بأن البعض يقرأ القرآن باللسان ولكن يخرج من الدين كما يخرج السهم من الرمية، يقتلون المسلمين دون الوثنيين، ويستحقُّون القتل والهلاك مثل قوم عاد.[٣٨] فصورة الرسول تتردَّد بين صورته المُثلى في قصص الأنبياء وصورته الواقعية في حياته. ولم يَثُر الرسول أو كما كان يمكن أن يثور عمر. فالاعتراض وارِد. والثورة على

[٣٥] لعلي «أنت منِّي وأنا منك.» لجعفر «أشبهتَ خَلقي وخُلقي.» ولزيد «أنت أخونا ومولانا.» ج٣، ٢٤٢.
[٣٦] هي عائشة، ج٥، ٣٦.
[٣٧] هن: مريم، آسية، وعائشة. وفضلها على النساء مثل فضل الثريد على الطعام، ج٥، ٣٦–٣٧.
[٣٨] ج٤، ١٦٧.

عدم المساواة عدل. والرسول إنسان. ينتابُه ما ينتاب البشَر من أهواءٍ كما هو في حادث عبد الله بن أم مكتوم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾. والعقاب تصحيح لسلوكٍ واقعي كان من الأفضل في هذا المَوقف أن يكون مِثاليًّا لإعطاء النموذج، على أن الاستماع إلى الوحي لا يُفرِّق بين غنيٍّ وفقير، وأن طلب الهداية والمعرفة لا يرتبط بالطبقات الاجتماعية، أعلى أو أدنى.

(ب) الأنصاري

وقد يكون من حوله أفرادًا مثل المهاجرين أو جماعةً وأفرادًا مثل الأنصار؛ فطابعهم الجماعي أكثر من طابع المهاجرين، وطابع المهاجرين الفردي أكثر من طابع الأنصار. ومع ذلك يتكلَّم عن الأنصار أكثر مما يتكلَّم عن المهاجرين.

بلغه عنهم أشياء لم يرضَها لهم، مثل جمع الغنائم بعد النصر. وإذا كان الناس يرجعون إلى بيوتهم بها فإنهم يرجعون برسوله. ولو سلك الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكه الرسول معهم ثقةً بهم.[٣٩] فالأنصار هم الذين ناصروا الرسول عندما كان مهاجرًا فقيرًا دون غنائم وأسلاب. كان يدافع عن نسائهم في المهر وفي العرس.[٤٠] فكان يشعر أنه أبوهم ووليهم القاضي باسمِهم والشاهد على عقودهم والمُحيي لأفراحهم. لا يُحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق. من أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.[٤١] آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار.[٤٢] وهم أحبُّ الناس إلى الرسول. ويدعو لهم الرسول بأن يكونوا أكثر الناس أتباعًا.[٤٣] فهم الذين ناصروا وقاسموا مع المهاجرين دُورهم وأموالهم. هم أشبه بحواريي عيسى. ويدعو الرسول بأن يُغفر لهم جزاء ما قاموا به من حسنات لا يقوم بها إلا الأبرار.[٤٤] وكان الرسول يُوصي بالأنصار لأنهم كرشه

---

[٣٩] ج٥، ٣٨، ٢٠٢.

[٤٠] ج٥، ٣٩، ٢٠٣.

[٤١] ج٥، ٤٠.

[٤٢] ج٥، ٤٠.

[٤٣] ج٥، ٤٠.

[٤٤] ج٥، ٤٢.

وعيبته. قضوا ما عليهم، وبقي ما لهم. الإقبال على مُحسِنهم والتجاوز عن مُسيئهم.[٤٥] الناس تكثر والأنصار تقلُّ حتى يكونوا كالملح في الطعام. فمن الواجب تحقيق المنافع لهم ودفع الأضرار عنهم. بينه وبينهم أُخوة في القضية، ومشاركة في الرسالة، وتضامُن في الموقف، وتآزُر في المحنة.

وقد يجمع الرسول المهاجرين مع الأنصار، نثرًا وشعرًا.[٤٦] فلا فرق بين من هاجر وناصر، بين من آمَن أولًا وآمَن ثانيًا، بين من أسَّس ودعم، بين الأصل والفرع، بين من أيَّد في حالة العُسر ومن نصر في حالة اليسر. وتتفاضل دُور الأنصار فيما بينهم من الداخل.[٤٧] وكلها خير؛ فالبعض ناصر بقلبه، والبعض الآخر ناصر بماله. وكلٌّ ناصر طبقًا لما لديه. ويستعمل الرسول التصوير الفني للتعبير عن إعجابه بكرم الأنصاري وزوجته.[٤٨] هنا يتمُّ اللجوء إلى الله، الاعتقاد الجديد، للحثِّ على الفعل، وبيان فائدة الإيمان، وقبول الكرم من القيمة العُليا التي آمَن بها الجميع، مهاجرون وأنصار. ولأحد الأنصار مناديل من حرير أتت إليه من المناديل التي أُهديت للرسول.[٤٩] وعندما تُوفِّي اهتز العرش له، وهو تصوير للحزن. والناس تنزل على حُكمه لأنه يحكم بحُكم الله أو بحكم الملك، وهو خيرهم وسيدهم. ووصفه بأنه سيد القوم أو خيرهم، وكله بلاغة عربية رصينة لدى قومٍ شعراء وتصوير فني: مناديل حرير للرسول، اهتزاز العرش، النزول على الحكم، سيادة القوم، كل ذلك لأنصاري. ويفسر الرسول حلم الأنصاري بأن الروضة هي الإسلام، والعمود هو الإسلام، والعروة الوثقى هي الإسلام وأنه على الإسلام حتى يموت.[٥٠] فالأنصاري هو المُسلم الكامل، والإسلام الكامل هو الأنصاري. ويَعِدُ الرسول بعض الأنصار بأن ينتظروه على الحوض.[٥١] وقد يظلُّ المكان على العموم يشعرون به أثر الرسول؛ فالأنصار ليسوا

---

[٤٥] ج٥، ٤٣–٤٤.

[٤٦] دعاء الرسول: فأصلح الأنصار والمهاجرة، ج٥، ٤٢.

لا عيش إلا عيش الآخرة　　　فانصر الأنصار والمهاجرة

[٤٧] مثل بني النجار، بني عبد الأشهل، بني الحارث، بني ساعدة، ج٥، ٤١، ٤٥.

[٤٨] ج٥، ٤٢–٤٣.

[٤٩] هو سعد بن معاذ، ج٥، ٤٤، ١٤٣.

[٥٠] هو عبد الله بن سلام، ج٥، ٤٧.

[٥١] ج٥، ٤١–٤٢.

فقط مُكرمين في الدنيا بل أيضًا في الآخرة؛ ينتظرون الرسول على حوضه، يشربون منه في حين يُمنع منه الآخرون، وهي صورة بدوية للري والحرمان ساعة الحرب. وطالما كانت الحروب على الماء كما قد يحدُث في فلسطين في المُستقبل القريب بين الفلسطينيين أهل البلاد والمُستوطنين المُحتلين من الصهاينة. وطالما كان الموت من العطش كما هو الحال في أفريقيا الآن.

وقد تكون الدعوة لساكن المدينة، المهاجر أو الأنصاري؛ فللمهاجر عدة فضائل بعد الصدر الأول.[٥٢] ويستمر في فضائله مع الأنصاري بعد أن استوطن المهاجرون المدينة وغادروا مكة، وشاركوا الأنصاري في مسكنه. واختلطت المدن التالية بالمهاجرين والأنصار دون تمييز بين الفريقين، ومع ذلك ظل لقب «الأنصاري» أكثر شيوعًا من «المهاجر». وقد تكون الدعوة للمدن كنايةً عن أهلها مثل الدعوة لمكة والمدينة. وإذا كانت لمكة ذكريات صبا فإن الدعوة تكون للمدينة حتى يكون حُبها مثل حبِّ مكة.[٥٣] ويدعو لقبول هجرة أصحابه، ويرثي لمن مات بمكة؛ فالرسول في ولاء مزدوج بين مكة أصل الهجرة والمدينة دار الأنصار. لم يتنكَّر للقديم ولم يجحد الجديد.

والرسول من الأشعريين أهل اليمن، وهم منه.[٥٤] هم أرقُّ أفئدة وألينُ قلوبًا. الإيمان يماني، والحكمة يمانية، واليمن أصل حضارة مثل الحجاز، مكة والمدينة؛ انتشرت بها اليهودية وعاشتها الحضارة العربية. وما زال اليمنيُّون حتى الآن أهل عِلم وقضاء. وجامع صنعاء حلقة درس وجامع تبليغ؛ انتشرت فيه الثورات الزيدية، وظل إسلامها صافيًا رائقًا مثل شِعرها وأدبها ومجالسها ومقايلها وساعات عصرها.

(٣) المرأة والسلطان

من الموضوعات التي تجاوزها الزمن المرأة والسلطان. وكلاهما رفيقا العمر، في الحياة الخاصة وفي الحياة العامة، في المنزل وفي الدولة. وقد قلت فيهما أحاديث كثيرة معظمها لا تتَّفِق مع الواقع أو الزمن أو التاريخ حتى ولو كانت صحيحة في زمنها وعصرها. فإن

[٥٢] ج٥، ٨٧.
[٥٣] ج٥، ٨٤، ٨٨.
[٥٤] ج٥، ٢١٨–٢٢٠.

صحَّ السند تاريخيًّا فإن مضمون الحديث لا يصحُّ تاريخيًّا نظرًا لتغير التاريخ وإن بقي الحديث المنقول صحيحًا من حيث هو نقل وليس من حيث هو مضمون.

(أ) المرأة

بعض الأحاديث تجاوزها الزمن مثل «لن يُفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة.»[٥٥] قِيلت في مناسبتها وهي تعادل أسباب النزول في القرآن تعليقًا على تنصيب امرأةٍ على مملكة الفرس. وهو حُكم خاص بالفرس وليس حكمًا عامًّا للناس جميعًا. وهو ما عرَّفه الأصوليون بالتمييز بين الخاص والعام.[٥٦] وقد عمَّمتْه الأجيال على العرب بل قصروه عليهم. وأصبح يُستعمل حديثًا في الأدبيات المناهضة للمرأة ومنعها من حقوقها السياسية وتولِّي قمة السلطة السياسية. وقد انتبه القليل من نُقَّاد الحديث إلى سياق هذا الحديث وعدم جواز تعميمه ولكنه مُستعمل ومؤثر وفعَّال في الممارسة السياسية؛ فكل حديث في سياق. والحديث المشهور السلبي بالنسبة للمرأة إنما قيل بمناسبة تولِّي ابنة كسرى المُلك.[٥٧] وقد يُقال: ولماذا لا يُقال هذا بخصوص السبب وعموم الحكم؟ والحديث الثاني إنَّ الشؤم في المرأة والدار والفرس. وهي ثلاثة أركان في حياة البدوي.[٥٨] لا يستطيع أن يعيش بدونها. ومساواة المرأة بالفرَس تقوم على تشابُهٍ دلالي، في أن كليهما للركوب. والفرسة أو المهرة إحدى تشبيهات المرأة، وهو ما زال التصوُّر الشعبي. وأيضًا حديث ليس هناك من فتنة أضرَّ على الرجال من النساء.[٥٩] وهو جزء من التصوُّر الشعبي أنَّ النساء فتنة، وأنها مكان إشباع الغريزة، وأنها عورة، وأنها عار تُحجَب وراء حجابٍ أو نقاب أو ستار. وأيضًا حديث المرأة كالضلع هشَّة، قابلة للانكسار؛ فقد خُلقت من ضلعٍ أعوج إن حاول أحد استقامته انكسر.[٦٠] وهي صورة فنية لهشاشة المرأة بالرغم من أنها في الأدب الشعبي تُضرب وتُكسَر. وتعويضًا عن ذلك تستعمِل المكر والخديعة لتقوية نفسها والدفاع عن

---

[٥٥] ج٦، ١٠.

[٥٦] من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص٣١٦–٣٤٩.

[٥٧] هو حديث «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة.» ج٦، ١٠.

[٥٨] «الشؤم في المرأة والدار والفرس.» ج٧، ١٠.

[٥٩] «ما تركتُ بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.» ج٧، ١١.

حقوقها. وأيضًا حديث عامة الجنة من المساكين وعامة النار من النساء.[٦١] يكفرن بالله والعشير والإحسان. وهو تعميم سابق لأوانه يدل على تعويض المساكين بالجنة، ويجعل أهل النار من النساء من الفتنة والغواية. والرجل ليس أقلَّ غواية بل إنه هو البادئ بالغزل والمُوقِع في الشباك. وعادة ما تكون المرأة ضحية الغواية أكثر من كونها سببًا لها. وأحيانًا يتساوى الطرفان لحاجاتهما الطبيعية. وفي التاريخ حكايات عن كبار المُحبِّين: قيس وليلى، كُثير وعزة، جميل وبثينة، روميو وجولييت.

وتنقل أحاديث لا يتفق مضمونها مع هذا العصر مثل: لا تسافر المرأة إلا مع محرم. ويُفهم منها أمران: الأول، التعب والنصب وحاجة المرأة إلى رفيق طريق للمساندة. والثاني حمايتها من الغواية، وكأنَّ المرأة موضوع جنسي فحسب.[٦٢] ولا تحجُّ ولا تخلو برجل؛ فالمرأة حِرز ومضمون وشيء للخفاء والتستُّر عليه إلى الآن. هي أحد أفراد «الحريم» من الحرم الممنوع الذي لا يمكن الاقتراب منه. وعند الأصوليين لا تجوز المصافحة باليد أو المجالسة معهن. وإذا أوصى الرسول بالنساء خيرًا فلأنَّ المرأة خُلقت من ضلع أعوج لو أقامه أحد لكُسِر وإن تُرك ظلَّ أعوجَ، فلا صلاح للمرأة في الحالتين؛ الثبات والحركة.[٦٣] هناك حُكم مُسبق عليها أنه لا أملَ فيها سواء تركت على طبيعتها أو تغيَّرت. وهي الأفكار التي ما زالت تسري في الثقافة الشعبية.

والواقع أن المراجعة مُمكنة؛ فالزمان يتغيَّر، والعبادات أيضًا تتغيَّر. وكان الرسول في أحاديث أخرى يتمنى أن يغير الحديث طبقًا لتغيُّر الزمان.[٦٤] فلا شيء ثابت في التشريعات نظرًا لتغيُّر الزمان؛ لذلك كان الاجتهاد أحد مصادر التشريع الأربعة.[٦٥] وكان أيضًا الناسخ والمنسوخ.[٦٦]

(ب) السلطان

ويدعو الرسول إلى طاعة الأمير وعدم الطعن فيه كما طُعن في إمارة أسامة وأبيه زيد.[٦٧] فالإمارة ليست بالمحبَّة بل بالعدل، وليست بالعصيان بل بالطاقة، وهو ما زال سائرًا في الفكر السياسي حتى الآن. الطاعة فضيلة، والعصيان رذيلة. الطاعة سنة، والمعصية خروج. ويدعو الرسول إلى الصبر على السلطان، وأن من خرج عليه مات ميتة جاهلية.[٦٨]

[٦٠] «إنما المرأة كالضلع، إن أقمتَها كسرتها وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوج.» ج٧، ٣٣–٣٤.

وطاعة الرسول طاعة لله، وعصيان الرسول عصيان لله؛ فسلطة الرسول مثل سلطة الله، وطاعة السلطان من طاعة الرسول وعصيان السلطان من عصيان الرسول، فسلطة الأمير من سلطة الرسول.[٦٩] وهذا في كتاب الأحكام؛ أي علاقة الحاكم بالمحكوم؛ أي كتاب الحُكم.[٧٠] وتؤدي الأمة حق السلطان وتسأل الله حقَّها وليس السلطان.[٧١] والصبر على الأمير فضيلة حتى لو رُئي منه مكروه. فمن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.[٧٢] وهو نمَط من الأحاديث مثل «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.» فكل شيء مكروه ينتهي إلى موتٍ جاهلي. وهناك أحاديث أخرى مناقضة، أقرب إلى روح الشرع

[٦١] «قمتُ على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون. غير أن أصحاب النار قد أُمِر بهم إلى النار. وقمتُ على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء.» ج٧، ٣٩. «بكُفرهن … يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثُم رأت منك شيئًا قالت ما رأيتُ منك خيرًا قط.» ج٧، ٤٠.

[٦٢] ج٧، ٤٨.

[٦٣] ج٤، ١٦١.

[٦٤] «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت.» «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سُقت الهدي ولحللتُ مع الناس حين حلُّوا.» ج٩، ١٠٣، ١٣٨.

[٦٥] من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص٢١٥–٢٤٦.

[٦٦] السابق ص١١٨–١٣٨.

[٦٧] «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايمُ الله إن كان لخليقًا للإمرة، وأنه كان من أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده.» ج٩، ٩١.

[٦٨] «من كره من أمره شيئًا فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية.» ج٩، ٥٨.

[٦٩] «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني.» ج٩، ٧٧.

[٧٠] ج٨، ٧٧–١١٢.

[٧١] «أدُّوا إليهم حقَّهم وسلوا الله حقكم.» ج٩، ٥٩. «من حمَل علينا السلاح فليس منَّا.» ج٩، ٦٢. «لا يُشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعلَّ الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرةٍ من نار.» ج٩، ٦٢. «سباب المُسلم فسوق، وقتاله كفر.» ج٩، ٦٣. «لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض.» «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.» أو «فاعتزل تلك الفرق كلها.» ج٩، ٦٥.

[٧٢] «من رأى من أميره شيئًا فكرِهَه فليصبر فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية.» ج٩، ٧٨.

مثل: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.[٧٣] لا ينفي الحديث الصبر على كراهة الأمير حتى حدود الأمر بالمعصية؛ فالطاعة لا تكون إلا في المعروف، وهو ما يجعل المسلمين حتى الآن ساكتين ساكنين راضين بالمُنكر في القهر والفقر وشتَّى ألوان الظلم، يُضرب بأنظمتهم السياسية المثَل في الطغيان والفساد والتبعية.

ولكل نبي أو خليفة بطانتان، بطانة تأمُره بالمعروف وأخرى تحضُّه على المنكر، بطانة خير وبطانة شر. والمعصوم من عصم الله وليس عن طريق أداة أخرى لضبط الحاكم عن طريق المؤسَّسات الدستورية والرقابة الشعبية.[٧٤] وهو ما يحدُث في كل حكم، وما يقع في كل نظام سياسي.

وصاحب المال والثروة موضع حسَدٍ من الناس مع أنه قد يوظفه لخدمة الحق وهلاك أعدائه؛ فمعارضته إنكار لنعمة الله على الآخرين.[٧٥] وحسد آخر لصاحب الحِكمة، المُعتدل في مواقفه والذي يقتصر دوره على التأمُّل وتعليم الآخرين، ولا شأن له بالسياسة. فمن لم يسأل الإمارة أعانه الله. لا يسأل أحدٌ الإمارة، فإن سأل عنها وُكِلت إليه، وإن لم يسأل أعين عليها. وإذا حلف عن يمين يُكفِّر اليمين من أجل ما هو أفضل. الحرص على الإمارة في الدنيا ندامة في الآخرة. والإمارة لا تسأل بل تُعطى.[٧٦]

وحصر الإمارة في قريش تسلُّط قَبَلي اعتمد عليه الأمويُّون منذ الإمامة في قريش، وهو ما يُعارض حديثًا آخر عن السمع والطاعة؛ ولو أُمِّر عبدٌ حبشي.[٧٧] وهي أحاديث تُبقي الإمارة في قريش إلى آخر الزمان حتى ولو بقيَ منهم اثنان، وهو ما يعارض الواقع والتاريخ. وصياغة أخرى تجعل الأمر مشروطًا بإقامة الدين وليس على الإطلاق، وخذلان الله كلَّ من يُعاديهم.[٧٨] وكل الأمراء حتى لو تولَّوا من قريش؛ لذلك تحرص أنظمة الحُكم الحالية أن تنتسِب إلى قريش وأن تكون من الهاشميِّين وكأنَّ الأمر وراثة. وقد تابعتها نظُم ملكية وراثية أخرى ترجع إلى العائلة وليس إلى الرسول.

[٧٣] «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِهَ ما لم يؤمَر بمعصية. فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.» ج٩، ٧٨. «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا. إنما الطاعة في المعروف.» ج٩، ٧٩. «لا طاعة في معصية. إنما الطاعة في المعروف.» ج٩، ١٠٩.

[٧٤] ج٩، ٩٥.

[٧٥] «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلَّطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويُعلِّمها.» ج٩، ٧٨. «من لم يسأل الإمارة أعانه الله.» ج٩، ٧٩.

قال الرسول للحسين بن علي إنه سيد، ولعل الله يُصلح به فئتين من المسلمين؛[٧٩] إذ يتنبَّأ الرسول بالخلاف السياسي في الأمة، وبالمصالحة بينهما. وقد حدث العكس؛ أن استُشهد الحسين بعد أن وقعت الحرب. فما تمنَّاه الرسول لم يحدُث. وقراءته للتاريخ لم تقع. وتنبُّؤه للمستقبل مثل باقي الأنبياء لم يتم.

وهل تكفي النصائح الخلقية للراعي حتى يَحسُن حال الرعية؟ وهل تكفي نصيحة الراعي كي يَصلُح حال الرعية؟ وهل يكفي تحذير الراعي إن لم ينصح الرعية، أو يغشها، بأنه لن يشمَّ رائحة الجنة؟[٨٠] يحتاج النظام السياسي إلى مُراقبة موضوعية على الراعي من الرعية من خلال مؤسَّسات رقابية فعَّالة؛ ديوان المحاسبة، القضاء الإداري، مجلس الدولة، مجلس الشعب، مجلس الشورى، الصحافة الحرة، مؤسَّسات المجتمع المدني؛ فالأخلاق شيء، والسياسة شيء آخر.

وقد يُوصَف الخوارج دون ذكر اسمهم، فإذا صحَّ الحديث فإنه يحتاج إلى دليلٍ على أن هذا الوصف ينطبق عليهم. وإن كان موضوعًا، وهو الأرجح، فالخوارج لم تَحدُث إلا بعد وفاة الرسول.[٨١] وهذا يدلُّ على أن بعض الأحاديث ذات التوجُّه السياسي موضوعة بعد وفاة الرسول. وكان كل صاحب مصلحةٍ سياسيةٍ أو اقتصادية أو اجتماعية يضع حديثًا لصالحه. وبلغت الأحاديث الموضوعة بالآلاف كلَّما زادت الأزمات، ما دام المجتمع ما زال يعيش النصَّ كسلطةٍ تشريعية.

والأمر بقتل المرتدين مرتبط بالحكم بالردة من فقهاء السلطان.[٨٢] وهو ضدَّ روح الإسلام وحرية الاعتقاد والحوار مع الخصوم. ولا يستطيع أحد أن يشقَّ على قلوب الناس. ولا توجد هيئة لديها سلطة تستطيع أن تُصدِر أحكامًا بالارتداد أو معيارًا للإيمان والكفر.

---

[٧٦] «إنا لا نُولِّي هذا مَن سأله ولا مَن حرص عليه.» ج٩، ٨٠.

[٧٧] «اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمِل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة.» ج٩، ٧٨.

[٧٨] «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقيَ منهم اثنان.» ج٩، ٧٨. «إن هذا الأمر في قريش لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين.» ج٩، ٧٨. «يكون اثنا عشر أميرًا كلهم من قريش.» ج٩، ١٠١.

[٧٩] ج٩، ٧١.

[٨٠] «ما من عبدٍ استرعاه الله رعيةً فلم يُحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة.» ج٩، ٨٠. «ما من والٍ يَلِي رعيةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌّ لهم إلا حرَّم الله عليه الجنة.» ج٩، ٨٠.

[٨١] «إن من ضِئضئ هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام. ويدعون أهل الأوثان. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد.» ج٩، ١٥٥، ١٩٨.

ومع هذا هناك أشياء تجاوزها الزمن مثل «من قتل قتيلًا له عليه بيِّنة فله سلَبه.»[83] فلا أحد يقتل ولا أحد يسلب سلاحًا ناريًّا من مدفع حتى مُصفحة أو طائرة أو بارجة أو سلاحًا نوويًّا؛ فقد انتهى هذا العصر الذي كانت فيه الحرب نزالًا فرديًّا، وشجاعة عضلية وسيفًا ورمحًا ودرعًا وفرسًا إلى عصرٍ الحرب فيه قرار الدولة والجيش وليس الأفراد. تتدخل فيه المنظمات الدولية وتحكمه القوانين.

(٤) اليهود وباقي الأقوام

تعلَّم الإسلام واقعيته من تاريخ الأنبياء السابقين وتجاربهم مع أقوامهم. فالإسلام حصيلة تجربةٍ طويلة من آدم حتى محمد — وأعظمهم موسى — وقد تجسَّد الدرس ليلة الإسراء والمعراج في طريقة فرض الصلاة. ولمَّا كان العرب مُنفتحين حضاريًّا على الشعوب المجاورة؛ الفرس والروم والترك، فقد أراد الإسلام وراثة الجميع باعتباره ثقافة العرب، ودينهم الأخير يمثل وحدتهم وشخصيتهم، حاضرهم ومُستقبلهم.

(أ) اليهود

وليس التعامُل مع اليهود دائمًا سلبًا؛ إذ يمكن حل الخصومة بين المسلم واليهودي سلمًا؛ فكلاهما مُحسن. ويستفيد المسلمون من تجربة اليهود في الاختلاف فيما بينهم.[84] فاليهود مثل النصارى عرَب، آمنوا بمراحل سابقة من دين إبراهيم، وحقدوا على المراحل التالية التي هي إصلاح لليهودية مثل النصرانية والإسلام. أرادوا الدفاع ليس عن دينهم وهو في جوهره مع الدين الجديد واحد، بل عن قوَّتِهم الاجتماعية وسُلطتهم الاقتصادية والسياسية في المجتمع. آمن النصارى بالدين الجديد بسهولةٍ لأنهم وجدوا البشارة به في الإنجيل. وكان كبارهم دُعاة روح لا بدَن مثل ورقة بن نوفل. ولم يكونوا سلطةً اجتماعية مثل اليهود بل ظلُّوا يعبدون الله خالصًا طبقًا لمبادئ النصرانية.

وفي موقف آخر أعلن الرسول أنه لو آمن به عشرة من اليهود لآمن به اليهود نظرًا للطابع الجماعي لإيمانهم وتقليد بعضهم لبعض؛ ثقة بأنفسهم دون بحثهم عن الأدلة

[82] «من بدَّل دينه فاقتلوه.» ج٩، ١٣٨.

[83] ج٥، ١٩٦–١٩٧.

[84] ج٣، ٥٨.

والبراهين. ومن يجد في نفسه الرغبة في الاستدلال كثيرًا ما يُفارق الجماعة ناقدًا لهم عقيدةً وممارسة، نظرًا وعملًا.

وقد يكون مصدر الحديث من الإسرائيليَّات لِما به من خيال. وهي رواية وليس بها قول مباشر. والرواية أقرب إلى الإبداع الخيالي، وتبدأ للتصديق بها بآيتين ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ و﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾. يهودي استلف من يهودي مبلغًا من المال دون شهداء لأنَّ الله شاهد، وأخفاها في لوحة سفينة لإرسالها إلى صديق، فاستلمها الصديق على الضفة الأخرى، ثم جاء صاحب المال يسأل عن ماله فردَّها إليه الآخر ممَّا يُثبت أنَّ الله خير كفيلٍ وشاهد.[٨٥] وهي أخلاق إسلامية في نسيجٍ يهودي.

والمقارنة بين الرسول وموسى لا تعني تفضيله عليه؛ فيوم القيامة يصعق الجميع، والرسول أول من يفيق وموسى بجانب العرش ربما لم يصعق وربما أفاق قبل الرسول؛ فيظل موسى رائدًا للأنبياء.[٨٦] يظل موسى هو النبي النموذج لآخر الأنبياء، قوة وشريعة وقيادة لأمَّةٍ وتحريرًا لها من عبودية فرعون. وهو أكثر الأنبياء ذِكرًا في القرآن، وإحالة في الحدَث، وهو الذي حاجَّ آدم، وحاور محمدًا ليلة الإسراء والمعراج.

ومع ذلك لا يُوجَد ذكر كثير في الحديث لليهود كما يُوجَد في أسباب النزول. فهم سياق الوحي قبل أن يكونوا سياق الحديث. هم الذين غَضِب عليهم القرآن قبل أن يُخفِّف الحديث هذا الغضب لتأليف المجتمع وإعادة بناء طوائفه؛ المسلمين واليهود والنصارى والمشركين، على أساس التوحيد والعدل والمساواة في الحقوق والواجبات. أراد الرسول فقط أن يرِث أنبياء اليهود وشريعتهم وعاداتهم كما فعل في صوم عاشوراء «نحن أحقُّ بصومه.» وفي صياغةٍ أُخرى «نحن أولى بموسى منكم.»[٨٧] فالوحي مُستمر من أنبياء بني إسرائيل حتى غيَّر مَسيرته إلى العرب لدى محمد. والاتصال له الأولوية على الانقطاع. الاتصال واقع، والانفصال بالتأويل يُعاد إلى الاتِّصال، مثل إعادة تأويل صورة الشريعة، وكثرة التحريم، والاستفادة من نتائج العصيان المُستمر، وعدم تدرُّب الإرادة الجماعية على الطاعة. فروح اليهودية، الشريعة، وروح النصرانية، المحبة، اتَّحدتا في روح الإسلام، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

[٨٥] ج٣، ١٢٤–١٢٥.

[٨٦] ج٣، ١٥٨–١٥٩. الاعتراف به رسول الله ج٣، ٢٥١.

[٨٧] ج٥، ٨٩–٩٠.

ويستفيد الرسول من تجارب الأمم السابقة؛ كيف أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف طبَّقوا عليه الحد.[88] في حديث «والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها.» ففي الإسلام الشريعة نافذة على الجميع، لا فرق بين شريف ووضيع، غني وفقير، حاكم ومحكوم. لا تعرف الشريعة التمييز بين الطبقات الاجتماعية. وبالتالي يتساوى المسلمون أمامها في الحقوق والواجبات. وتجربة اليهود مع الشريعة هي التي جعلت المسيح يُعيد تأويلها على أساس أولوية المحبة عليها دون تغييرها «ما جئتُ لأنسخ الناموس بل جئتُ لأغيره.» أتى فقط ضدَّ النفاق، وانفصال العمل عن النظر، وتحويل معبد الله إلى دكان بالاتجار في المعبد بعد أن قلب عليهم الموائد، وقذف ببضائعهم على الأرض.

وتزداد الأحكام السلبية على اليهود حتى تُصبح أكثر من الإيجابية؛ فقد لعن الرسول اليهود لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وتضيف رواية أخرى النصارى.[89] وهذا يعني أنهم يُقدسون الأنبياء أكثر مما يُقدسون الله. وقد حرَّم اليهود بعد ذلك هذه العادة واستمر فيها النصارى في كنائسهم تحت المنبر وفوقه. وتتوقَّف عظمة البناء وزخرفته وتمثاله الذي فوقه بالرخام في غطاء المقبرة على درجة التقديس. ويتبارى في هذه الأعمال الفنانون العظام. وتختلط التجربة الفنية بتجربة المُقدَّس. أما اليهود فلِحِرصهم على التوحيد حاولوا عدم الوقوع في مظاهر الشرك بعبادة غير الله، وعدم الوقوع في التجسيم والتشبيه، ومارسوا الفن المجرد والزخرفة الهندسية أسوةً بالمسلمين؛ لذلك لا يختلف المعبد اليهودي من الداخل عن المسجد الإسلامي كما هو الحال في معبد قرطبة وغيره من المعابد حتى إن المُشاهد ليحسبه «أرابيسك» إسلاميًّا.

وقد ظلَّ الرسول يتألَّم من الطعام المسموم الذي أكل بخيبر ممَّا قد يُفسر عداءه لها وذكراه الأليمة منها.[90] فقد حاول اليهود التخلُّص منه غيلةً واغتيالًا على عادتهم في التخلص من الخصوم دون المواجهة الصريحة. وظلَّ يتألم من هذا الوجع مدةً طويلةً دون أن يتخلص منه بالرغم من وجود الطب النبوي والمعجزات الدوائية وحديث فخذ الشاة له «لا تأكُلني إني مسمومة، إني مسمومة.» فقد اضطُرَّ الخيال الخلَّاق إلى إحداث رد فعل

[88] ج٥، ١٩٢–١٩٣.

[89] ج٦، ١٣–١٤.

[90] ج٦، ١١.

على الحادث الأليم وحماية الرسول ممن أرادوا اغتياله؛ فالحياة لها الكلمة الأخيرة على الموت، والباطل لا ينتصِر على الحق، والغدر لا ينتصر على المواجهة.

وفي الحديث لعن الرسول قريش عامة ثم خصَّصها بأفرادٍ لأن الناس كانوا يعتقدون بأنَّ الدعوة في مكة مُستجابة. وهو ما قد لا يتفق مع أخلاق الرسول ولا مع سماحة القرآن.[٩١] وقد كبَّر الرسول على خراب خيبر لأنه إذا نزل بساحة قوم ساء صباحُهم.[٩٢] ولعن الرسول اليهود لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد.[٩٣] وقاتل الله اليهود لتجميل الشحوم وبيعها وهي محرمة للقضاء عل مصادر ثروتهم واقتصادهم.[٩٤] عمل أهل الكتاب كأُجَراء اليهود حتى نصف النهار، والنصارى حتى العصر، والمسلمون من العصر حتى المغرب. واعترض أهل الكتاب بأنهم أكثر عملًا وأقل أجرًا. وفضل الرسول يُعطي الله من يشاء.[٩٥] وهي قصة مُركبة من عدة وقائع؛ أولًا لعن الرسول مكة وهو غير واقعي لأنَّ مكة هم أهل الدعوة الذين يُراد لهم الدخول في الإسلام فكيف تُدان من البداية ولم تهتدِ بعد؟ واللعنة طابع أنبياء اليهود وليس نبي الإسلام. ثانيًا التكبير على خراب خيبر مثل الدعوة على الأعداء الذين نقضوا العهود وحاربوا الطرف الآخر وأتوه من الخلف. ثالثًا، لعن اليهود لاتخاذ قبورهم مساجد موضوع مُقحَم على الصراع بين الرسول واليهود ولا يستدعي القتال. رابعًا، لعن اليهود لبيع الشحوم ولحم الخنزير من أجل القضاء على قوَّتِهم الاقتصادية في المدينة. خامسًا، تصوير تطوُّر مراحل النبوة من اليهودية إلى المسيحية إلى الإسلام بالصلاة حتى الظهر ثم حتى العصر ثم إكمال الصلاة يدلُّ على وحدة الديانات الثلاث وأنَّ آخرها أكملها. اليهودية أولها، والنصرانية أوسطها، والإسلام آخرها.[٩٦] ولا حَجر على إرادة الله ولا على ما يهب الرسول باسم الله. كلٌّ في مرحلته التاريخية طبقًا للضرورة وليس طبقًا للرغبة والمشيئة الفردية والجماعية.

---

[٩١] ج١، ٦٩، ١٣٨.

[٩٢] ج١، ١٠٤، ١٥٩، ج٢، ١٩، ج٤، ٥٨، ٦٩.

[٩٣] ج١، ١١٦، ١١٩، ج٢، ١١١، ١٢٨.

[٩٤] ج٣، ١٠٧–١٠٨، ١١٠.

[٩٥] ج٣، ١١٧–١١٨.

[٩٦] «عمل اليهود حتى الظهر، والنصارى حتى العصر، والمسلمون هم الذين أكملوا حتى الغروب.» ج٩، ١٩١. وهذا ما قرَّره لِسِنج في كتابه: تربية الجنس البشري، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧م.

ويعلن الرسول عن خراب خيبر وينذر بسوء صباحها.[٩٧] فهو يعلم قانون التاريخ وجزاء القدر، والتقوقع على الذات ومُعاداة الآخرين. وهو قادر على قراءة المستقبل ليس كالمُتنبي أو العرَّاف أو قارئ الفنجان، بل بمعرفته بقانون التاريخ ومصير المجتمعات. وهو ما حدث بالفعل بنهاية خيبر في عصر الرسول دون انتظار. وقد قبل اليهود أنصاف الحلول بعد هزيمتهم في خيبر، أن يعملوا في أرضهم بدل إجلائهم عنها وقَبِل الرسول.[٩٨] وهذا يعني بلغة العصر أن يعيشوا مواطنين كغيرهم من المُسلمين دون أن يكوِّنوا أقليةً وسط أغلبية، أو دولة وسط دولٍ كما كانوا في فلسطين في هذا العصر وكما قد يعودون بانتهاء خيبر الجديدة، الجيتو الصهيوني، وما سُمِّي الدولة اليهودية. وهي فقط مشكلة وقتٍ ومراحل تاريخ. فالطائفية والعنصرية وحياة الجيتو واحتلال أرض الآخرين وطردهم منها ضد قانون التاريخ؛ وهو قانون العقل والواقع والفضيلة.

الأرض لله، وعلى اليهود الإسلام أو إجلاء الأرض بعد بيع ما لهم فيها.[٩٩] وذلك إنْ أصرُّوا أن يعيشوا جماعةً منعزلة عن غيرهم. فالإسلام يُوحِّدهم مع باقي الناس، مُتساوين في الحقوق والواجبات طبقًا للقانون الطبيعي. فحياة الجيتو لا مُستقبل لها بين المسلمين. لا تُوجَد في مجتمعاتهم «حارة يهود» أو «حي يهودي» متميز عن غيره من الأحياء كما عاش اليهود طوال عمرهم حتى إنشاء الكيان الصهيوني، حفاظًا على هويتهم، وحرصًا على تجمُّعهم، ودفاعًا عن كيانهم وطائفتهم خوفًا من الذوبان في المجتمعات الأخرى. فتولَّد عند الآخرين الإحساس بالعداء لهم لأنهم غير مواطنين ويعيشون في نفس الوطن خاصة في وقتٍ تزدهر فيه القومية. وهو ما حدث أخيرًا في ألمانيا وأوروبا الشرقية والغربية وروسيا خاصة. وتلقَّفتْهم أمريكا لأنهم مجموعة من المهاجرين مثلهم قضَوا على السكان الأصليين وحلُّوا محلَّهم، وعاشوا في أحيائهم وتجمُّعاتهم اليهودية حتى عاود البعض منهم الهجرة ثانية إلى إسرائيل التي تقوم مع العرب الفلسطينيين بمثل ما قامت به الهجرة الأمريكية ضدَّ السكان الأصليين، الهنود الحمر في الأرض «المُكتشَفة» في العصر الحديث التي كانت «خالية» من السكان كما كانت فلسطين خالية من الفلسطينيين!

---

[٩٧] «خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين.» ج٥، ١٦٧–١٦٨.

[٩٨] ج٣، ١٤٠–١٤١.

[٩٩] «يا معشر يهود أسلِموا تسلَموا ... اعلموا أنَّ الأرض لله ورسوله وإني أُريد أن أُجليكم. فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبِعه.» ج٩، ٢٦، ١٣١.

ومن الأقوال في الحديث ما يُشجع على مُقاتلة اليهود حتى إنَّ أحدهم يختبئ وراء الحجر فيتكلَّم الحجر ويطلُب قتله.[١٠٠] وهو ما يتم تناقُله في خُطَب الوعَّاظ في المساجد لأنه يجد هوًى عند المُصلين جرَّاء ما يشاهدونه من مجازر ومذابح في فلسطين منذ ١٩٤٨م حتى غزة ٢٠٠٩م وهو ما زال قائمًا حتى الآن بكل ما تفعله إسرائيل من إجراءات العزل والاستيطان وهدم المنازل والطرد والقتل والاغتيال والاعتقال والتشريد والإبعاد في فلسطين. وهو ما قد تصدُق عليه نبوءة الرسول.

(ب) باقي الأقوام

ولماذا من الأقوال ما يدفع إلى قتال الترك؟ فمَن هُم الترك؟ هل هُم الأتراك وقد أصبحوا من كبار المُدافعين عن الإسلام وانتهت إليهم الخلافة على مدى خمسة قرون؟ يوصفون بأنهم ينتعِلون نعال الشَّعر، عراض الوجوه، صغار الأعيُن، محمرُّو الوجوه، ذُلف الأنوف. هل هم القوقاز وقد أصبحت أواسط آسيا من المناطق الإسلامية؟ هل هم الروس الشيوعيُّون كما كان يُقال أثناء الحرب الباردة في الأربعينيَّات في الجماعات الإسلامية بما في ذلك الإخوان المسلمين؟[١٠١] هل هم الصينيون الصاعدون وقد دخل الإسلام في الصين وأصبحوا بالملايين، ونشأت حركات استقلالية عند المُسلمين في سينكيانج وبدأ التوتُّر بين المقاطعة والصين الأم؟ ألا يمكن أن يعيش الإسلام في قلوب الصينيين دون أن يكون لهم دولةٌ انفصالية عن الصين الأم؟ وهي نفس مُشكلة المسلمين في جنوب الفلبين، مندناو. ومن يعادي المسلمين الآن ليسوا بهذا الوصف بل هُم الأمريكيُّون أولًا، والأوروبيون ثانيًا، وإن لم يكونوا كلهم بل غالبيتهم أو أعظمهم. هو الرجل الأبيض بعنصريته ومركزيته وغروره الثقافي، من أستراليا ونيوزيلانده شرقًا حتى الولايات المتحدة غربًا، باستثناء الملوَّنين السود الأفارقة والسمر الأمريكيين اللاتين، مرورًا بأوروبا التي تعلَّمت ونهضت وارتقت وتقدَّمت

[١٠٠] «تقاتلون اليهود حتى يَختبئ أحدُهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله.» وفي صيغة أخرى «لا تقوم الساعة حتى تُقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مُسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.» ج٤، ٥١.

[١٠١] «إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعِلون نعال الشعر. وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة.» «لا تقوم الساعة حتى تُقاتلوا الترك صغار الأعين حُمر الوجوه، ذُلف الأنوف ...» ج٤، ٥١–٥٢.

بفضل الترجمات من العربية إلى اللاتينية في العصر الوسيط الأوروبي المتأخِّر حتى قُبيل عصر النهضة.

وطلب عمر أن يدعو الرسول الله أن يُوسِّع على أُمته كما وسَّع على الفرس والروم. فعمر بحدسِه أدرك أن العرب سيرِثون الإمبراطوريَّتَين في الشرق والغرب وسيبزغون كقوةٍ ثالثة.[١٠٢] وسبب انهيارهما الانغماس في الحياة الدنيا، أي بتعبير المُحدثين المادية. ويخشى الرسول على الأمة أن يُصيبها ما أصاب الأمم السابقة إذا ما فتح الله عليهم بركات الأرض.[١٠٣] يهلك كسرى ويهلك قيصر ويخلفهما المسلمون.[١٠٤] وهو ما كان يدعو له الإخوان المسلمون في جيلِنا أثناء الحرب الباردة؛ أن يُهلك الله الشيوعية في الشرق والرأسمالية في الغرب وأن يخلفهما المسلمون. فالإسلام أمَّة وسط بين الطرفَين. وهذا لا يمنع من مدْح فارس بعد دخولها الإسلام، فقد كان منها العلماء والقوَّاد، «ولو كان الإيمان في الثريَّا لناله رجال من أهل فارس.»[١٠٥]

وأوصى الرسول بإخراج المشركين من جزيرة العرب حتى تكون بؤرة انطلاق لهم شرقًا وغربًا، ودولة قاعدة ينتشر منها الإسلام.[١٠٦] وتشمل مكة والمدينة واليمامة واليمن. والعرج أول تهامة. فالقلب يمتدُّ من وسط الجناحين كما انطلق الإسلام أولًا إلى آسيا وأوروبا. ولم ينتشر جنوبًا وشمالًا؛ أفريقيا وأوروبا إلَّا مؤخَّرًا. وقد أوصى الرسول بثلاثٍ وهو في وجعه الأخير: الأولى إخراج المشركين من جزيرة العرب أي اقتصار شبه الجزيرة على دينٍ واحد. والثانية إجازة الوفد التي قرَّر إيجازها؛ أي استمرار أوامره بصرف النظر عن حياته أو مَماته. ونُسِيت الثالثة التي تترك مجالًا للمُتأوِّلين لاستنباطها. ووحدة الثقافة في شبه الجزيرة العربية مُقدِّمة لوحدة الأرض والسياسة حفاظًا على وحدة العرب. فاليمن وعُمان ودول الخليج، الإمارات والكويت كلها ثقافيًّا وسياسيًّا أجزاء من شبه الجزيرة.

---

[١٠٢] «أَوَفي شكٍّ أنت يا ابن الخطاب. أولئك قوم عُجِّلت لهم طيِّباتهم في الحياة الدنيا.» ج٣، ١٧٦.

[١٠٣] «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من بركات الأرض.» ج٤، ٣٢، ٣٩–٤٠، ٤٤.

[١٠٤] «هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده. وقيصر ليهلكنَّ ثم لا يكون قيصر بعده. ولتقسمنَّ كنوزهما في سبيل الله.» ج٤، ٧٧، ١٠٤.

[١٠٥] ج٦، ١٨٩.

[١٠٦] «أخرِجوا المُشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزُهم.» ج٤، ٨٥، ١٢١، ج٦، ١١.

فالوطن العربي وحدات متكاملة في شبه الجزيرة وفي الشام الكبرى التي تضمُّ العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن، والجنوب الأفريقي، مصر وليبيا والسودان والصومال المُتصلة جغرافيًّا، وكل الدول الإسلامية الأفريقية في غانا ومالي وتشاد المُتصلة ثقافيًّا.

ويبدو التوجُّه السياسي في استخلاف عليٍّ في غزوة تبوك بحديثٍ مشهور.[١٠٧] فالفتح مُستمر في حياة النبي أو بعده. وصحابته قوَّادُه في حياته أو في مَماته. فالرسالة أولَى من الرسول، والنبوَّة أولى من النبي. والأخسَرين أعمالًا هم الحرورية في الرواية أي الخوارج، وقد كانوا بأرض حاروراء.[١٠٨] فقد جُمع الحديث بعد نشأة الفرقة وربما هم اليهود والنصارى. فالآية صورة تُملأ بأي مضمونٍ يريده المُفسِّر. فالرسول يُنبِّه على قائده كما يُحذِّر من المنشقِّين عنه والخارجين عليه.

(٥) أول الزمان وآخره

والرسول أول الزمان وآخره، آدم ومحمد، مُنتقلًا من الخيال إلى الواقع، ومن النبوَّة إلى التاريخ، ومن الماضي إلى الحاضر، ومن تكرار الأنبياء وتواليهم إلى تفرُّد النبي وختم النبوة. تحوَّل التطور إلى اكتمال، والتاريخ إلى بِنية، والوسيلة إلى غاية، والبداية إلى نهاية.

(أ) أول الزمان

كل نبيٍّ يُنذر قومه كما أنذر نوح قومه.[١٠٩] وينكرون الإنذار وتشهد أمَّة محمد له عليهم. كل نبي يشهد على قومِه ومحمد يشهد على الأقوام وشهدائهم جميعًا. فالآخِر يشهد على الأول، والنهاية تشهد على البداية.

ويأتي إبراهيم بعد نوحٍ في الوعي التاريخي وليس في التسلسُل الزماني. ليس الأنبياء فقط تاريخًا موضوعيًّا بل هو لجوء ذاتي. فقد لاحظ الرسول أن عائشة إذا كانت راضيةً قالت «وربِّ محمد.» وإذا كانت غاضبة قالت «وربِّ إبراهيم.» الرِّضا يبعث القريب،

[١٠٧] «ألا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه ليس نبي بعدي.» ج٦، ٣.

[١٠٨] ج٦، ١١٧.

[١٠٩] ج٨، ٥٠، ج٩ ١٣٢.

والغضب يستدعي البعيد.[١١٠] وفي التشهد الصلاة على محمد مثل الصلاة على إبراهيم، والمباركة لمحمدٍ مثل المباركة على إبراهيم. فإبراهيم أول المسلمين مضمونًا، ومحمد أولهم تكرارًا وتأكيدًا. والصلاة على محمد وأزواجه وآله وأصحابه وذُريته إكرامًا له، مثل الصلاة على إبراهيم. وحرم الرسول في مكة ما بين جبليها كما حرَّم إبراهيم مكة.[١١١] وإبراهيم أول الخلائق يُكسى يوم القيامة في حين يُحشر الباقي حفاةً عراة! هل هذا تكريم لإبراهيم؟ ولماذا يتمُّ على هذا النحو بتجريد الخلق من اللباس؟[١١٢] وفي بعض المجتمعات والعادات، العُري للضيف أكثر تكريمًا له من اللباس.

وقد خُتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة.[١١٣] فلا شيء يوقِف الحياة والنَّسل والذرية بسبب دفعة الحياة، دفعة النبوة، حركة الوحي في التاريخ. فإبراهيم يريد ذريةً وامرأتُه عاقر. فبأريحية وغيرية ومحبةٍ تامَّة بحثت له امرأته سارة عن زوجة بِكر مصرية ثانية حتى ولو كانت جارية، هاجر، كي تُحقِّق الغرض. وتمَّ لها ما أرادا. ونجحت الخطة الإنسانية تنفيذًا للمسار التاريخي. وأصبحت ذرية إبراهيم ذريةً صالحة، إسماعيل وإسحق ويعقوب، بالرغم مما يُرى من تنازُع ذرية إسماعيل، العرب، مع ذرية إسحق، اليهود، منذ النشأة حتى الآن، منذ الميلاد حتى فلسطين.

ويبدو الرسول من ذرية إسماعيل. فمن تشهد عشرًا كمن أعتقَ عشرةً من ولد إسماعيل.[١١٤] فالتشهُّد يُعتق، والتوحيد حرية. والعتق ليس من الأسْر الاجتماعي بل من الأسْر الروحي. والعبودية ليست قيدًا في اليدين عن الفعل أو في القدمَين عن الحركة، بل هي قيد في القلب عن الإحساس وفي اللسان عن التعبير. فالتشهُّد فِعلان من فعل الشعور، نفي «لا إله»، وإثبات «إلا الله». والنفي سلب ورفض وتحرُّر للشعور من كل الآلهة المُزيَّفة كالمال والجاه والثروة والسلطة. والإثبات عن طريق الاستثناء، إيجاب ووضع للإله الحقيقي الذي يتساوى أمامه الجميع.[١١٥]

---

[١١٠] ج٨، ٢٦.

[١١١] ج٨، ٩٥–٩٧، ج٩، ١٢٩.

[١١٢] ج٨، ١٣٦.

[١١٣] ج٨، ٨١.

[١١٤] ج٨، ١٠٦.

[١١٥] الدين والثورة في مصر ج٧، اليمين واليسار في الفكر الديني، ١٤٧–١٦٢.

ويوسف رمز لسنوات القحط.[١١٦] ويمكن الدعاء على قوم بها. وقد تحولت السنوات العجاف بعد ذلك إلى سنوات وفرة. ولو لبث الرسول في المسجد سِني يوسف وأتاه الداعي لأجابه.[١١٧] فتجربة يوسف ليست خاصَّة بل عامة بكل تقيٍّ مظلوم. في الحديث الأول تعميم الخاص، وفي الحديث الثاني تخصيص العام بلُغة الأصوليين.

والنساء على العموم مثل صواحب يوسف ماكرات.[١١٨] وهو تعميم ينقُصه تخصيص. قد يصدُق على الأغلب ولكن لا يصدُق على الكل. كما أنَّ امرأة العزيز وصاحباتها ليست تجربة عامة؛ فهناك سارة وهاجر صاحبات إبراهيم، وهناك خديجة وعائشة من أزواج محمد.

ولا صوم أكثر من صوم داود، شطر الدهر، صيام يوم وإفطار يوم.[١١٩] فداود نموذج الصيام المُعتدل بين الإفراط والتفريط؛ وبالتالي فهو نموذج الإسلام في الاعتدال. فالاعتدال نموذج متواصل عبر الأنبياء حتى عند أكثرهم قوة وشدةً وملكًا. في حين أن سليمان نموذج التطرُّف. فقد أقسم سليمان ليطوفنَّ على تسعين امرأة في ليلة واحدة لتجلب كلٌّ منهن فارسًا يجاهد في سبيل الله دون أن يقول إن شاء الله. فلم تحمل إلا امرأة واحدة بشقِّ رجُل.[١٢٠] وهو من صنع الخيال وضد الواقع، فلا يستطيع أحد، حتى ولو كان نبيًّا، أن يدور على تسعين امرأةً في ليلةٍ واحدة. ولا ينجح في التخصيب إلا بنصف رجل لأنه لم يرهن ذلك بالمشيئة الإلهية. واضح الأسلوب التعليمي في الحديث، أنه لا يحدُث شيء في هذا العالم، حتى ولو كان بفعل النبي، إلا بالإرادة الإلهية. والرسول نفسه الذي وصف نفسه بنفس الوصف لم يتجاوز التسعة نسوة. وهو أيضًا ربما بفعل المُبالغة والتقريظ حتى ولو ساند ذلك حديث آخر «أوتيت قوة أربعين رجلًا منكم.» نظرًا للصِّلة الوثيقة بين قوة النبوَّة وقوة الذكورة. فمن يستقبل جبريل بالروح ويفصم عنه يكون أقدر على استقبال امرأة بالبدَن.

وهناك أحاديث عدة تصِف خمس مميزاتٍ للرسول. أولًا، أوتي جوامع الكلِم وهي كل ما دوِّن في الكتب المقدسة من قبل وهو من أفصح العرَب؛ يتذوَّق الشعر، وأحاديثه صِيَغ

---

[١١٦] «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف.» ج٨، ٥٥، ١٠٤، ج٩، ٢٥.

[١١٧] ج٨، ٤٢.

[١١٨] ج٨، ١٢١.

[١١٩] ج٨، ٧٧.

[١٢٠] ج٨، ١٦٢–١٦٣، ج٩، ١٦٩.

أدبية، ويستعمل الشعر في معاركه الدعوية كما فعل مع حسان بن ثابت، وقد استقبل القرآن، وهو معجزة العرب البلاغية. ثانيًا، نُصر بالرعب بقوة الحق وضعف الباطل، بالحرب النفسية إرهابًا للخصوم وردعًا لهم كما هو الحال في الحروب الحديثة. فالحرب ليست بالقوة العسكرية وحدَها بل بالقوة المعنوية. فالقوة متنوعة؛ مادية ومعنوية، كَمية وكيفية، يدوية ونفسية. ثالثًا، أوتي خزائن الأرض بالقدرة على الفتح والنصر وتحرير الشعوب المغلوبة على أمرها تحت سيطرة الفرس والروم. رابعًا، أُعطي وحيًا وحُمِّل رسالة، ونقل أمانة. فهو لا يغزو لمجرد الغزو أو لاستغلال ثروات الشعوب والسيطرة عليها كما فعل الاستعمار الغربي الحديث والصهيونية مُتسلِّقة عليه وعلى نمَطِه. خامسًا، أكثر الناس تبعًا يوم القيامة. فالإسلام هو الدين الطبيعي الذي ينتهي إليه كل الخلق، وتتحوَّل إليه كل الديانات العقائدية والشعائرية والكهنوتية كما يحدُث الآن في سرعة التحوُّل إلى الإسلام من الديانات الأخرى حتى إنه أصبح الدين الثاني في أوروبا، والأول في أفريقيا. ولولا الصين والهند لكان الأول في آسيا. والرسول يُطعِمه ربُّه ويسقيه دلالة على القُرب.[١٢١] ولا يحتاج إلى عون مادي؛ فالإسلام قادر ببنيته الداخلية وبقوة المسلمين على المحافظة على وجوده واستمراره. ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، ومنبره على حَوضه.[١٢٢] وهو وعد بالنجاة في الدنيا والآخرة، في الأرض وفي السماء، وهي صور فنية تخلب اللبَّ وتُثير الخيال وتبعث على الحركة. أتاه آتٍ من ربه يأمره بالصلاة في هذا الوادي المبارك، عمرةً وحجة.[١٢٣] وهو اختيار لبؤرةٍ يجتمع إليها المسلمون سنويًّا رمزًا للوحدة، وتشاورًا حول أحوالهم في مؤتمر سنوي علني. ولا ضير أن يتحوَّل الصعود على عرفات إلى الصعود على القدس لتحريرها أو الحج إلى المسجد الأقصى أُولى القبلتين وثالث الحرمين، وأن تذهب الملايين إليه لتخليصه من الحفر والتهويد والحفاظ عليه من الانهيار.[١٢٤]

(ب) آخر الزمان

وخير القرون قرن الرسول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. وتكمل الرواية القول المباشر عن عدد الأجيال بعدَه، ثم ينهار التاريخ بعدَها بقوم يسهرون ولا يستشهدون،

[١٢١] ج٩، ٤٧، ١١٣.

[١٢٢] ج٩، ١١٩.

ويخونون ولا يُؤتمَنون. ويُنذِرون ولا يَفُون. ويظهر فيهم السحق مثل جيل اليوم.[١٢٥] وتختلف الصياغات والمعنى واحد. وتتعدَّد الصور، سبق أحد اليدين الأُخرى والدلالة واحدة. وهو تصوُّر التاريخ المنهار الذي يُبرِّر اليوم الآخِر والقيامة. فالانهيار يتوقَّف إلى صعود، والقيامة إلى نهوض. ولن ينتهي الزمان حتى ينتهي الإيمان على الأرض. ويتم ذلك بالتناقُص تدريجيًّا. فالإيمان يزيد وينقص؛ يزيد في أول الزمان، وينقُص في نهاية الزمان.

والرسول قادر على معرفة ما سيحدُث في المُستقبل؛ فقد أخبره جبريل بأجوبة الأسئلة الثلاثة التي سألها يهودي، التي لا يعلم إجابتها إلا نبي: أشراط الساعة، وأول طعام يأكله أهل الجنة، ومتى ينزع الولد إلى أبيه أو أمِّه. الأولى نار تحشُرهم من المشرق إلى المغرب. والثانية كبد الحوت. والولد يُشبه أباه إذا سبق ماؤه، وأمَّه إذا سبق ماؤها. فآمَن. فلمَّا سأل قومَه عنه أشادوا به، ولما أسلم أمامهم أنكروه.[١٢٦] فشرط النبوَّة عند اليهود قراءة المُستقبل؛ لذلك أتى الفعل العبري «تنبَّأ» يدل على المعنيَين في وقتٍ واحد، وكذلك في العربية. والرسول أمين في السماء يأتيه خبره صباحًا ومساء.[١٢٧] وقد يكون التعليق على حدثٍ مناسبةً للتنبُّؤ بالمستقبل عن حدثٍ أو عن توجُّهٍ سياسي على مستوى الفتنة الداخلية قبل الخارجية.[١٢٨] فإحساس الرسول بالأمة وبالتيَّارات المتصارِعة فيها يجعله قادرًا على أن يرى بوادر الفتنة، فلا تستطيع الأمة أن تنطلق خارجيًّا إلى الفُرس والروم إلا إذا توحَّدت داخليًّا.

وكثير من أقوال التنبُّؤ بالمستقبل للتشجيع مثل أول من يركب البحر أو أول من يغزو مدينة قيصر يُغفَر له.[١٢٩] فهذا تحميس للمجاهدين وشحذ لعزائمهم، واستنفار لشجاعتهم لفتح بلاد الروم. وقد يكون الحديث تنبُّؤًا ببشارةٍ حسنة.[١٣٠] توفيقًا أو نصرًا، تشجيعًا للأمة وهي في بداية فتوحاتها ونشر دينها خارج شِبه الجزيرة العربية. وذلك مثل

---

[١٢٣] ج٩، ١٢٩–١٣٠.

[١٢٤] خواطر حاج، أخبار الأدب، يناير ٢٠٠٦م.

[١٢٥] ج٥، ٣٠٢.

[١٢٦] ج٥، ٨٨–٨٩.

[١٢٧] ج٥، ٢٠٧.

[١٢٨] مثل نفض الغبار عن عمار بن ياسر وقول الرسول «ويح عمَّار تقتلُه الفئة الباغية ...» ج١، ١٢٢، تعليق على من لم يرضَ بقِسمته في العطاء، ج٢، ١٣، حديث عن الرؤية في العشر الأواخر، ج٢، ٦٩.

التنبُّؤ بدور الحسَن في الصلح بين فئتين عظيمتَين.[131] وهناك نبوءات أخرى بمستقبل العرب تختلط بعلامات الساعة.[132] وهي ست: الأولى، موت الرسول وقد تُوفِّي الرسول بالفعل. ويستطيع الإنسان العظيم أن يتنبأ بنهايته بإحساسٍ غامض أنه أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة «ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.» أو بآية مباشرة من الوحي، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. وقد شعر كبار المُصلحين بقُرب النهاية قبل وفاتهم، وكتبوا وصاياهم أو تلفَّظوا بكلماتهم الأخيرة. والثانية، فتح بيت المقدس وقد فُتح في عهد عمر، أولى القبلتَين وثاني الحرمين. ولا يستطيع أحد الآن التنبُّؤ بتحريره وتطهيره من التهويد والإحاطة بالأحياء اليهودية والحفر تحت المسجد الأقصى للبحث عن أُسُس هيكل سليمان الأسطورية. والثالثة، موتان قد يكونان مَوتَي الشيخَين، وهما أكبر خسارة في الإسلام. فقد مات النجاشي في حياة الرسول، وقد كان نصيرًا للمسلمين لأنه كان يعرِف الحق. والرابعة، استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا. وهو ما حدث بالفعل في أيام عمر بن عبد العزيز حيث امتلأ بيت المال وفاض ولم يجد الخليفة أحدًا يُعطيه. والخامسة، فتنة تدخُل كلَّ بيتٍ وهي الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين والتي راح ضحيَّتَها علي بن أبي طالب ثم الحُسَين بن علي والتي انقسم فيها المسلمون فريقَين بين علي ومعاوية، كما يختلف العرب الآن بين الاعتدال والمُمانعة، بين حماسٍ وفتح، بين المقاومة والمفاوضة. والسادسة، هُدنة بين العرب وبني الأصفر فيغدرون ويأتون تحت ثمانين غاية تحت كلٍّ منها اثنا عشر ألفًا وهم بنو إسرائيل حاليًّا في فلسطين الذين استوطنوا منذ بداية القرن الماضي بحجَّة إقامة مزارع جماعية، اشتراكية إنسانية، عمَّالية أخوية على طريقة «السان سيمونيين» الذين أسَّسوا مثلها في مصر في القرن التاسع عشر. ثم استمرَّت المزارع الجماعية حتى أصبحت مُستوطنات مسلحة تطرُد المزارعين الفلسطينيين من قُراهم حتى أصبحت دولةً مُسلحة من رأسها إلى قدمَيها يؤيدها العالَم كله بالمال والسلاح وابتلعت فلسطين كلها واحتلَّت سوريا ولبنان. وما زالت تحلم بإسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل.

---

[129] ج٤، ٥١.

[130] «لأعطين الرايةَ رجلًا يفتح الله على يديه.» ج٤، ٥٧، ٦٥، ٧٣.

[131] ج٣، ٢٤٣–٣٤٤.

[132] ج٤، ١٢٤.

يتنبَّأ الرسول بالفتن ويُحذِّر من المستقبل.[١٣٣] ويخشى على أمته من فِتن آخر الزمان. فلا يخشى عليهم الفقر ولكن الغِنى كما وقع للذين من قبلهم فتنافَسوا عليه فأهلكهم.[١٣٤] وفي صياغةٍ أخرى أكثر تفصيلية أنَّ ما بين أيدي الأمة لا شيء، والرسول شاهِد عليه، وموعدهم الحَوض. لا يخشى عليهم الشرك بل التنافُس على الدنيا. وحذَّر المحاربين من مغادرة أماكنهم إذا ما رأوا الأسلاب والغنائم كما حدث في غزوة أحد.

تنهار الأمة آخِر الزمان. وترى من بعد الرسول أمورًا تكرهها وهي كثيرة لا حصر لها.[١٣٥] تتراوح بين المادية والمعنوية، بين البدنية والنفسية؛ إذ تهلك الأمة على أيدي أغلِمةٍ سفهاء، غِلمة من قريش. وهم الحكَّام السفهاء الذين يدافعون عن كراسيِّهم، وليس عن مصالح شعوبهم. ويُعبر عن هذه الحالة بأحاديث كثيرة مثل «ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب.» في صياغة أدبية مُحكمة ينبِّه العرب على الشر الذي اقترب: الاستعمار والصهيونية والتخلُّف والقهر والفقر والفتور. ويُفتَح من ردم يأجوج ومأجوج، ويكثُر الخبث. وهي الحضارات المجاورة الغالبة والتي تفيض من المركز إلى الأطراف، مثل الحضارة الغربية وتسبب ظاهرة التغريب. وتقع الفتن خلال البيوت كوَقع القطر. فالفتنة ليست عامة بل خاصة، ليست في الأمة بل في الأسرة، ليست في الدولة بل في الشعب. يشعُر بها الجميع. ينقُص العمل، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثُر الهرج؛ وهي البطالة التي عمَّت والفقر والقتل والفوضى العامَّة في كل مكانٍ وغياب النظام والقانون. وتأتي أيام ينزل فيها الجهل، ويُرفع العِلم، وهو ما يعني ارتفاع نسبة الأمية وانهيار مستوى التعليم العام والجامعي، وإنشاء الجامعات الخاصة. ومن شرار الناس من تُدركهم الساعة وهُم أحياء. فقد انتهى الخير، وضاعت الفضيلة، وامَّحى الإيمان. ولم تعُد هناك فرصة لفعل الخير أو معرفة الحق. ولا يأتي الزمان إلا وبعدَه أشرُّ منه، أي الوصول إلى نهاية القاع، وعدم وجود أي أملٍ في فعل الخير. هذه هي مظاهر الفتنة العامة التي لا يمكن ردُّها. «وستكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي.»

ومن مظاهر الفتنة أيضًا خروج الأمانة من قلوب الرجال.[١٣٦] يضيع المبدأ ذاته وليس فقط إمكانية تحقيقه. وهذا يعني فساد الضمائر وضياع الهِمَم وخلل النفوس. وفي هذا الوقت يفرُّ المُسلِم من الفتن هاربًا بنفسه، وناجيًا بروحِه كما فعل الصوفية الذين

---

[١٣٣] «هل ترون ما أرى، مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر.» ج٣، ١٧٤.

استحال عليهم تخليص العالَم فآثروا خلاص أنفسهم. وتتبع الأمة سنن من كان قبلها أي التقليد.[١٣٧] وهم اليهود والنصارى أي إسرائيل والغرب. وتعجز عن الإبداع والمشاركة في صُنع الحضارة. تُصبح هامشًا لغيرها. وتفقد دورَها الريادي الذي أهَّلها له دينها. لذلك حذَّر الرسول من الفتنة والقتل؛ فمن الفتنة ما قتل. والقتل فتنة.[١٣٨]

وتحكم الرواية على آخِر الزمان؛ على من يأتي بعد الرسول فيبدِّلوا الدين.[١٣٩] وهم حكام العرب والمسلمين اليوم الذين فقد معظمهم الأهلية في الحُكم ورعاية مصالح الأمة. وتلعن الرواية الغِلمة من قريش الذين على أيديهم هلاك أُمته والذين أدَّوا بأوطانهم إلى الاحتلال والتخلُّف. ينتسِبون إلى قريش أو إلى الجيش، إلى الهاشميين أو العسكريين. وغالبيتهم ملكيُّون. والهرْج بلسان الحبشة القتل. والرسول على عِلم بلغاتِ البيئات الثقافية المجاورة ومنها الحبشية.[١٤٠] وما أكثر القتل في الحروب الأهلية بين المسلمين الآن، الصومال نموذجًا. وتصف الرواية الفتنة التي تمُوج مَوج البحر، بها باب يُكسَر أو يفتح. فإذا كُسِر لا يُغلَق أبدًا. وهو الباب الذي في معظم الحروب الأهلية ونزاعات الحدود، والنزاعات القبلية والعرقية والأحقاد التاريخية والصراعات المذهبية، السخط على أحياء قريش.[١٤١] وهم الذين توارثوا الحُكم عبر السنين الماضية. الحُكم باسم الدين أو باسم الجيش وهو الدين الجديد.

ومن علامات المستقبل نزول المسيح حاكمًا بين البشر فيكسر الصليب، ويقتُل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.[١٤٢] فالمسيح رمز النصر وليس

---

[١٣٤] ج٥، ١٠٨، ١٢٠–١٢٢، ١٣٢.

[١٣٥] ج٩، ٥٩–٦١، ٦٤، ٧٦–٧٧. انظر أيضًا مُقدمة في عِلم الاستغراب ص١٨–٤٤.

[١٣٦] ج٩، ٦٦.

[١٣٧] ج٩، ١٢٦–١٢٧.

[١٣٨] «فلا ترجِعوا بعدي ضُلَّالًا يضرب بعضكم رقاب بعض.» ج٩، ١٦٣.

[١٣٩] ج٩، ٥٩–٦١.

[١٤٠] ج٩، ٦٨.

[١٤١] «إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علِمتم من الذلة والقلة والضلالة، وأنَّ الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد حتى بلغَ بكم ما ترَون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذاك الذي بالشام والله إن يُقاتل إلَّا على الدنيا.» ج٩، ٧٢.

[١٤٢] ج٣، ١٧٨.

رمز الصراع الإسلامي المسيحي. والصليب رمز المحبَّة والعناق والتآخي وليس رمز التناصُر والخصام. وهو الخير الذي يذهب بالشرِّ، ويفرض سلطانه حتى يفيض على الجميع.

ويتنبَّأ الرسول بالنصر للمسلمين ووراثة كسرى وقيصر.[١٤٣] وفي صياغةٍ أخرى يتقطَّع القول للدلالة على تركيبه. ينتشر الإسلام من منطقة وُسطى فاردًا جناحيه شرقًا وغربًا كما حدث في بداية انتشار الإسلام، وكما حدث حاليًّا في انتشار الإسلام شرقًا في آسيا وغربًا في أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى الجنوب في أفريقيا.

وبالرغم من الفتن آخر الزمان إلا أن النصر للأمة. فالخير ينتصِر على الشر، والحق على الباطل، وكما هو الحال لدى الجماعات الإسلامية المعاصرة.[١٤٤] ويكون ذلك بفضل نخبة من الأمة ظاهرة على الحق بصرف النظر عن مُخالفيهم ومُوافقيهم.[١٤٥] وبلغة العصر بفضل جيلٍ قرآني فريد تحت شعار «لا إله إلا الله».[١٤٦]

وتكثُر أحاديث المستقبل في علامات آخر الزمان بأقوالٍ مباشرة للرسول، وهي نهاية الزمان قبل الأوان أي غياب الصلاح وعموم الفساد؛ إذ يأتي على الناس زمان يكون فيهم الرسول فيُفتَح لهم، وزمان آخر لمن صاحَب الرسول فيُفتَح لهم. فلا ينتصر إلا الرسول والصحابة والتابعون.[١٤٧] ويبشر الرسول أصحابه بالنصر. ويوحِّد نفسه بينه وبين أصحابه «أنت منِّي وأنا منك.» يُعطي الراية غدًا لرجل يفتح الله على يديه وتكمل الرواية أنه تفل في عينيه ليشفيهما. ويسأل الصاحب أنه يُقاتلهم حتى يكونوا مثل المسلمين، ويطلب منه الرسول الانتظار حتى النزول بساحتهم ودعوتهم إلى الإسلام وإخبارهم بحقِّ الله. فهداية رجلٍ واحد خير من حمر النعم.[١٤٨] وتختلف الصياغة عدَّة مرات؛ لذلك فإن الأمة في جهادٍ حتى آخر الزمان. الخيل مربوطة في نواصيها إلى يوم القيامة خاصة

---

[١٤٣] «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. والذي نفس محمد بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله.» ج٤، ٢٤٦–٢٤٧.

[١٤٤] «لا يزال من أُمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله.» ج٩، ١٦٧.

[١٤٥] «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرُّهم من كذبهم ولا من خالفَهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.» ج٩، ١٦٧.

[١٤٦] هي لغة ومصطلحات سيد قطب في «معالم في الطريق».

[١٤٧] ج٥، ٢.

[١٤٨] ج٥، ٢٢–٢٣.

في مصر «جندُها خير أجناد الأرض وشعبها مُرابط إلى يوم القيامة.» ويروى مثل هذا الحديث في فلسطين.[١٤٩]

(٦) المعجزات

ومع أن الرسول من البشر العاديين ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ إلا أنَّ الأحاديث تنسِب إليه معجزات قولية وفعلية تؤثِّر في الأحداث أكثر من الطبِّ النبوي الذي لا يُبارك ولا يلعن، حتى يبدو أن الأطفال أكثر واقعيةً من الكبار، ويسعَون للحصول عليها.

(أ) المعجزات القولية والفعلية

وعلى غير العادة يصف الرسول في أقواله بعض معجزاته. فقد نزل المسلمون في صلح الحديبية على بئرٍ فأتوا على ما فيه من ماء فأتى الرسول بدلوٍ وبصق فيه وأنزله البئر وطالبَهم بالصبر ساعةً فامتلأ بالماء، وارتوى المسلمون ورِكابهم حتى ارتحلوا. وفي روايةٍ باستثناء قول مباشر «دعُوها ساعة.»[١٥٠] وفي رواية أخرى كان المسلمون حوالي ألفٍ وأربعمائة وصفهم الرسول بأنهم خير أهل الأرض. وكان يمكن أن يُريهم الشجرة التي سمَّاهم بها القرآن، (أصحاب الشجرة) إلا أنه لم يُبصرها من كثرة العدد. وكان يمكن أن يريهم إيَّاها بإفساحهم المكان أو بالقلوب. وهي معجزة نمطية في تاريخ النبوَّات، تكاثُر الخبز والسمك من معجزات السيد المسيح، رغيفان وسمكتان أطعمت مئاتٍ من المستمِعين إلى تعاليمه، وفاض أكثر منها. وهي إما من صُنع الراوي للمُبالغة في تعظيم الرسول أو حالة نفسية عند الحاضرين نتيجة صحبته.

ومرة أخرى أحضر ابنته وزوْجها وقعد بينهما وأراد أن يُعلمِّهما خيرًا مما يسألان لِيُردِّداه عند النوم، تكبيرًا أربعًا وثلاثين، وتسبيحًا ثلاثًا وثلاثين، وحمدًا ثلاثًا وثلاثين، وهو خير لهما من خادم.[١٥١] ولماذا هذا العدُّ التنازلي بواحدة؟ وإذا كان هو أمرًا نفسيًّا، لا

---

[١٤٩] ج٤، ٢٥٢–٢٥٣.

[١٥٠] ج٥، ١٥٦–١٥٧.

[١٥١] وهما فاطمة وعلي، ج٥، ٢٤.

يشعُران بالإرهاق من أعباء المنزل فمن الذي سيقوم بها؟ من الذي سيقوم بأعباء المنزل، التنظيف والطهي والترتيب؟ يُخشى أن ينتهي ذلك إلى الشعوذة. وأن يُمارَس في المواقف الخطِرة مثل مواجهة العدو في القتال.

وفي بعض الأحاديث يستعمل النبي المُعوِّذات. إذا كان النبي ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمُعوِّذات، أي أن المعوذات لم تحمِه. فلما تفلَ كانت عائشة تنفُث عليه بهنَّ وتمسح بيدِه لبركتها. كان ينفُث على يديه ويمسح بهما وجهه.[١٥٢] وهو ما يحدُث أحيانًا في الأفلام والتمثيليَّات التليفزيونية كنوعٍ من الدجل والسحر والشعوذة. لو قال غاضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهَب غضبه.[١٥٣] وشعر براحةٍ نفسية وهدأت نفسه. فاستدعاء الأعلى يُذهِب الأدنى. وكان الرسول يُعوِّذ بعض أهله، ويمسح بيدِه اليُمنى ويَرقي. وهو ما يُشبه الممارسات الشعبية التي يحاربها المصلحون والتي يقضي عليها العِلم الحديث. ولُدِغ سيد من أسياد العرب فرقاه الرسول؛ إذ كان يمسح الوجع بيده اليُمنى. واللَّدغ سُم في الجسد ولا تُعالجه الرُّقى بل الدواء الذي يقضي على مفعول السم.

ويأمر حديث آخر بالاسترقاء من النظرة الأولى. فالعين حق، ولا تُعالَج بالوشم.[١٥٤] وكيف تكون العين حقًّا وفي نفس الوقت ينهى عن الوشم؟[١٥٥] والطب النفسي جزءٌ من الطب العِلمي. فالحلم أحد موضوعات التحليل النفسي. ويصعُب التمييز بين الرؤيا من الله والحلم من الشيطان. فكلاهما حلم. وكيف يتمُّ التعوُّذ من الحلم السيئ حتى لا يضره؟[١٥٦] والطيرة والشؤم من الأمور النفسية. والمرأة والدار والدابة من الأمور الاجتماعية.[١٥٧] والفأل الكلمة الصالحة يسمعها أحد. وهو تحوُّل من الخيال إلى الواقع، ومن الوهْم إلى الفعل.[١٥٨] وهذا كله من الكهانة.[١٥٩]

---

[١٥٢] ج٧، ١٧٠–١٧٤.

[١٥٣] ج٨، ٣٥.

[١٥٤] ج٧، ١٧١.

[١٥٥] ج٧، ٢١٤.

[١٥٦] «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفُث حين يستيقظ ثلاثَ مرات، ويتعوَّذ من شرِّها فإنها لا تضرُّه.» ج٧، ١٧٢.

[١٥٧] «لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث: المرأة والدار والدابة.» ج٧، ١٧٤، ١٧٩.

والرسول قادر على أن يدعو على فارسٍ لحِقَ به بالهلاك فيقع من على فرسه فهلك.[١٦٠] وهو ما يعادل في وسائل القتال القديمة إطلاق النبال والسهام. وما يُقابل في وسائل القتال الحديثة إطلاق الرصاص والصواريخ. فالدعاء لا يقتُل عن بُعد وإلَّا لدعا الفلسطينيون والعرب والمسلمون على إسرائيل بالهلاك من أجل تحرير فلسطين. ولدعَتْ حركات التحرُّر الوطني لدى المسلمين لأنهم هم الذين لديهم الإيمان الصحيح على الاستعمار في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فتحرَّرت الأوطان دون مليون شهيد في الجزائر، وآلاف الشهداء وآخِرهم شهداء غزة. وحماس هي التي تقاتل ولا شكَّ في إيمانها.

وقد تكون المعجزة في الرواية وليست في القول المباشر. حينئذٍ تكون أقل تصديقًا لأنها من تأليف الراوي وليست من قول الرسول، من خيال الراوي وليست من فعل الرسول.[١٦١] إذ تصف الرواية ما يمكن تسميتُه بمعجزات الرسول. فقد أكل عشرةٌ مما صنعته أم سليم حتى شبعوا، ثم دخل عشرة آخرون فأكلوا حتى شبعوا، ثم دخلت عشرة ثالثة فأكلوا حتى شبعوا، ثم دخلت عشرة رابعة فأصبحوا أربعين، ثم أكل النبي ولم ينقص من الطعام شيء.[١٦٢] وهي أيضًا أشبه بمعجزة تكاثُر الطعام عند المسيح؛ إذ أكل خمسمائة من رغيفٍ وسمكتَين، وفاضت عشرات من الأسماك والأرغفة.

ولَمَّا حملت أسماء بنت أبي بكر بعبد الله بن الزبير أتت به الرسول وولدت بالمدينة فوضعه الرسول في حجره ثم دعا بتمرةٍ فمضغها ثم تَفَل في فِيهِ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق الرسول، ثم حنَّكه بالتمرة ودعا له فبرَّك عليه. وكان أول مولود في الإسلام، وفرحوا به فرحًا شديدًا لأنه قد قيل لهم إنَّ اليهود قد سحروا المسلمين فلن يُولَد لهم أحد.[١٦٣] والطفل لا يأكل شيئًا في هذه السن، وقابل للعدوى من فم الكبار. والسياق سِحر المُسلمين في مقابل سِحر اليهود، ومستوى ثقافي بمستوًى ثقافي مُشابه. وأتى الرسول بإناءٍ فأدخل فيه يدَه وفرَّج أصابعه وقال حيَّ على الوضوء فالبركة من الله. فتفجَّر الماء

[١٥٨] «لا طيرةَ وخيرُها الفأل، الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم.» ج٧، ١٧٤–١٧٥، ١٨٠.

[١٥٩] «إنما هذا من إخوان الكهَّان.» ج٧، ١٧٥–١٧٦.

[١٦٠] ج٥، ٧٩.

[١٦١] دعاء الرسول ومباركة النخل فوزَّع على الناس وفاض الكثير، ج٣، ٢١٠.

[١٦٢] ج٧، ١٠٥.

[١٦٣] ج٧، ١٠٨–١٠٩.

بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا، وكان الناس ألفًا وأربعمائة أو خمس عشرة مائة.[١٦٤] وهي صياغة أخرى لمعجزة البئر الجاف الذي امتلأ ماءً بفضل بصاق الرسول.

وفي حديثٍ آخر اشتكى له أحدُهم أن بابنِ أخته وجع، فمسح رأسه ودعا له بالبركة، ثم توضَّأ فشرِب من وضوئه، ونظر خلف ظهره فرأى خاتم النبوَّة بين كتفَيه.[١٦٥] وهو خيال محض. فالنبوَّة ليس لها خاتم يُرى، وأين يوضَع؟ وفي أي إصبع؟ وأين بين الكتفَين؟ ولماذا يراه غير نبي، وكيف يشرب إنسان من وضوء آخَر واستنشاقه وتمخُّطه حتى ولو كان نبيًّا؟ وفي حديثٍ آخر بال الرسول على الطعام ورش بماءٍ ودعا عليه حتى يأكل الطفل المريض الطعام.[١٦٦] فكيف يصحُّ المريض بالبول حتى ولو كان بول نبي؟ البول بول، والدواء دواء، والنفس تَعاف الطعام المرشوش بالبول.

وأمر الرسول بشُرب ألبان الإبل وأبوالها. الألبان نعم أما الأبوال؟ وما الحاجة أو الضرورة الشرعية التي تبيح المحظورات؟ والحبيبة السوداء، حبة البركة في الرواية وفي القول المباشر شفاء للمرض بعد سحق خمسٍ أو سبعٍ وقطرِها في الأنف مع الزيت في الجانبين.[١٦٧] وهي أشبه بالوصفات البلدي في الطبِّ الشعبي الذي يظلُّ البعض يمارسه حتى اليوم. يصنعها الدجَّالون والمشعوذون بدعوى أنها من الطبِّ النبوي مذكورة في «البخاري» الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهو الكتاب الثاني بعد القرآن وقبل «إحياء علوم الدين». والتلبين للمريض وللمحزون قول مباشر ورواية.[١٦٨] يعرفه الطب الشعبي. وهو أشبه بما يُعرف بـ «اللبخة» أو «اللزقة». يُعالج الأمراض البدنية والنفسية.

والتبرُّك بالنبي مُغالاة في مدحِه من أصحابه، فقد كان بلال يأخذ من وضوء النبي والناس يتسابقون ليفعلوا بالمِثل. فمن أصاب شيئًا مسح به أو أخذ من بلل يدِ صاحبه.[١٦٩] وهو أقرب إلى الشرك طبقًا لقواعد الإيمان في «البخاري» ذاته. فالله هو الشافي وليس ما

---

[١٦٤] ج٧، ١٤٨.

[١٦٥] ج٧، ١٥٦.

[١٦٦] ج٧، ١٦١.

[١٦٧] ج٧، ١٦٠، ١٦٨.

[١٦٨] ج٧، ١٦١.

[١٦٩] ج٧، ١٩٩.

تبقَّى من وضوء النبي. وهو نفس الأمر أن يتوضَّأ الرجل من وضوء زوجته تحببًا إليها. وفي هذه الحالة يُسمَّى «الوَضوء» بفتح الواو وليس بضمِّها. وقد يتحوَّل الرسول بهذه الطريقة إلى وثنٍ أو ولي يتمسَّح الناس به ويتبرَّكون حيًّا أو ميتًا، سائرًا على الأرض أو مُلقًى في ضريح.

وقد تُجرى المعجزات على المَوتى بما في ذلك المنافقون. فقد أخرج النبي عبد الله بن أُبي من قبره ووضعه على ركبتَيه ونفث عليه من ريقِه وألبسه قميصه![١٧٠] وهنا تفوق معجزة الرسول معجزة المسيح الذي أمر المتوفَّى بالنهوض فنهض دون استمرار الرواية أكثر من ذلك. وربما يُعبر المشهد عن مدى سماحة الرسول ومغفرته للمُنافقين. وقد أراد لهم أن يستغفر سبعين مرةً أكثر ممَّا فصَّل القرآن ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾. وإصرار الرسول على أن يستغفر أكثر ردًّا على احتجاج الصحابة. ألبسه قميصه في الكفَن. هذا هو الحد الأدنى في الحدث التاريخي، نواة الرواية قبل أن ينسج الخيال حولها المُبالَغات الإبداعية والصور الفنية.

وتشعر الحيوانات بمعجزات الرسول. فبعد أن ركَز بلال عنزةً ليُقيم الصلاة، صلَّى الرسول ركعتَين إلى العنزة والدواب يمرُّون بين يديه من وراء العنزة.[١٧١] وهو إخراج مسرحي جميل؛ فبلال يرى أن مرور العنزة بين يدي الرسول أثناء الصلاة لا يجوز مُستعملًا بعض العنف بركزها. وصلى الرسول والحيوانات تسير أمامها بقيادة العنزة. ففي تاريخ الأديان تألَف الحيوانات الرسول قبل أن يألفه الإنسان. وتُصدِّقه قبل أن يؤمن به الإنسان تعبيرًا عن طيبة الحيوان وجحود الإنسان. والرسول يُقدِّر الطبيعة لأن الإيمان بالله طبيعي، والتوحيد طبيعي لا تستبعده المظاهر الاجتماعية والأوضاع الطبقية للناس.

ونفرَتِ الدابة في المنزل من قارئ سورة الكهف. نفرت الدابة فنزلت سحابة عليها، واعتبرها النبي سكينةً نزلت للقرآن.[١٧٢] فالقرآن يستدعي السحابة في مجتمع صحراوي جافٍّ في حاجة إلى المطر. ولا يليق بالدابة أن تظلَّ بجوار قارئ القرآن. فالرواية تصوير فني لقيمة القرآن في سياقه الجغرافي البدوي الصحراوي الذي يقوم على الحيوان والماء.

---

[١٧٠] ج٧، ١٨٥.

[١٧١] ج٧، ١٨٢.

[١٧٢] ج٤، ٢٤٥.

وقد ينسج القول المباشر على رواية مثل القول المباشر عن السِّحر بناء على رواية عائشة أن الرسول قد سُحِر.[١٧٣] ويتقطع القول المباشر لأنَّ الوضع لا يتحمَّل أن يكون متصلًا. فهو رأي عائشة. وواقعة السحر مُدرَكة وليست خارج الإدراك. والمدرِك أقرب الناس إليه. وموضوع الإدراك يهمُّها شخصيًّا. فالعجز الجنسي يقلق أحبَّ زوجاته إليه. وهو سِحر على الطريقة الشعبية التي تُسمَّى «العمل» ثم فك العمل، مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر في بئر. لم تستخرج عائشة العمل لأن الله شفاه ولكن ردم البئر اتِّقاء لشره. وكيف يردم بئر والماء حياة الصحراء؟

وفي رواية استفتى الرسول الله في أمرٍ فأفتاه فيه. إذ أتاه رجلان، جلس أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه. فسأل الأول عن حال رجلٍ فقيل مطبوب أي مسحور. وسأله مَن طبَّه قيل لبيد بن الأعصم في جف طلعة ذكر في مشط ومشاطة تحت رعوفة في بئر. وأتى النبي البئر فرآها كأنَّ رءوس نخلها رءوس شياطين، وماؤها نقاعة حناء، فأمر به فأخرجت ورفض إخبار الناس حتى لا يُثير شرًّا عليهم. وتُعلق عائشة أن لبيد كان حليفًا لليهود. وهو قول مباشر لعائشة يتضمَّن حوارًا داخليًّا بين الرسول ونفسه.[١٧٤] وهذا يعني أن السحر كان مؤامرةً يهودية للتخلُّص من النبي.

والعمل جزء من السحر مذكور في القرآن ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ولكنه أيضًا مذكور أنه من عمَل الشيطان للشر وليس للخير. فلا يُفلح السِّحر مع الحكمة والعِلم مثل سِحر فرعون الذي أبطله سِحر موسى، سحرٌ بسحر. وقد مرض أحدهم لأنه قد تمَّ سَحرُه وأقر الرسول السِّحر، «مشط ومشاطة وجُف طلع نخلة» من بئر يُشبه ماؤها نقاع الحناء ورءوس نخلها رءوس الشياطين.[١٧٥]

وفي رواية أخرى سحر الرسول لأنه كان يرى أنه يأتي النساء فلا يستطيع وهو أشدُّ أنواع السِّحر عليه. والضعف الجنسي له أسبابه العضوية وليس السِّحر والربط كما هو الحال في العادات الشعبية.[١٧٦] وقد شُفيَ الرسول بالعجوة والسِّحر المضاد. وكيف

---

[١٧٣] «أتى الرسول رجُلان، وقعد الأول عند رأسه والثاني عند رجِله يسألان عن الرسول المريض الذي عاداه لبيد بن الأعصم. وسبَبُ المرض مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر في بئر. نخلها كأنه رءوس الشياطين. لم تستخرج عائشة «العمل» لأن الله شفاه ولكن أردم البئر اتقاء لشره.» ج٤، ١٤٨.

[١٧٤] ج٨، ٢٢–٢٣.

[١٧٥] «اجتنبوا المُوبقات؛ الشرك بالله والسحر.» ج٧، ١٧٦–١٧٨.

يكون الدواء بالعجوة والسحر؟[١٧٧] وكيف يمارس الرسول أو عائشة السِّحر؟ صحيح أن السِّحر مذكور في القرآن؛ سحرة موسى، ولكنه سِحر باطل قائم على خداع الحواس، تحوُّل العصا إلى حياتٍ تسعى. وموسى يقوم بالسحر المُضاد الأقوى لأن المعجزة ما زالت دليلًا على النبوَّة. أما في ختم الرسالات فلم تعد المعجزات دليلًا على النبوة. وبها استبدل البرهان العقلي أو المشاهدة الحسية أو الإعجاز الأدبي، إعجاز القرآن. والسحر مجاز «إن من البيان لسحرًا.»[١٧٨]

(ب) القرآن كعلاج

ولا يكفي أن يكون القرآن معجزًا على نحوٍ أدبي على ما عُرف في النقد الأدبي باسم «إعجاز القرآن» بل هو أيضًا معجز بقراءته في مجتمع شفاهي، وربما بكتابته في مجتمع كتابي كما هو الحال في التعاويذ والأحجبة وتعليق الآيات من ذهبٍ وفضة لتزيين الجِيد والنحور. فالقرآن يُنزل السكينة على من يقرؤه أو يسمعه. والسؤال هو: هل يُنزل القرآن السكينة، كفعلٍ معجز أم بالاطمئنان من القراءة؟[١٧٩]

وكيف تعادل آية أو سورة ثُلث القرآن أو نصفه أو كله؟ كيف يساوي الجزء الكل؟ القرآن كله وحيٌ من عند الله. تتساوى فيه السُّوَر والآيات، طويلها وقصيرها، مكيُّها ومدنيُّها، بل ناسخها ومنسوخها. فالكل قرآن لا تفضيل فيه كبضاعة في مجتمعٍ تجاري.[١٨٠] قد يفاضل الرسول بين آيات القرآن دون ذِكر أي منها. فالآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلةٍ كفتاه.[١٨١] وأحيانًا يكون التفضيل لسورة بأكملها ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.[١٨٢] وهذا يُعبر عن إحساس بالرسالة أو تذوُّق أدبي. فالآيتان في آخر سورة البقرة يُعبران عن موقفٍ إسلامي، الأولى عن وحدة الأديان، والثانية عن عدم

---

[١٧٦] ج٧، ١٧٧.

[١٧٧] ج٧، ١٧٩.

[١٧٨] ج٧، ١٧٩.

[١٧٩] ج٦، ٢٣٢.

[١٨٠] «الواحد الصمد ثُلث القرآن.» ج٦، ٢٣٣.

[١٨١] ج٥، ١٠٧.

[١٨٢] ج٥، ١٦١.

جواز تكليف ما لا يُطاق طبقًا لقواعد الأصوليين.[١٨٣] وهما الآيتان اللتان يكثر الأئمة من ذكرهما في صلوات الجهر. أما الآية الثانية فهي آية الفتح والتي تبلُغ اكتمال الرسالة وأداء الأمانة واكتمال النصر ليفرح المؤمنون.

والسُّوَر من القرآن، والآيات من السُّوَر، والكل وحي على نفس القدْر. فلا تُوجَد سورة أفضل من سورة ولا آية أفضل من آية.[١٨٤] ولماذا أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم؟[١٨٥] هل لأنها تتكرَّر في كل ركعة؟ وقد تحوَّل الأمر من الفضل إلى الرُّقَى. فقد كان يَرقي بفاتحة الكتاب. وقرأ بأمِّ القرآن لشفاء لدغة. فتحوَّل التفضيل إلى شعوذة ما زال يُعاني منها المسلمون حتى الآن. وكان إذا أوى إلى فراشه نفَثَ في كفَّيه ويقول قل هو الله أحد والمعوذتين ويمسح بهما وجهه. وكان يأمر عائشة أن تفعل ذلك إذا اشتكت.[١٨٦] وقد استمرَّت هذه الممارسات لدى الطبقات الشعبية حتى الآن. وتاجَر بها المشعوذون والدجَّالون. وهي التي بقيتْ ونُسِيَ باقي القرآن، وطبعت في طبعاتٍ مُستقلة مُزخرفة، تعاويذ وأحجبة وتعليقات حول الرقاب وفي العربات.

وفي وجعه الأخير طلب أن يكتب كتابًا لن يضلُّوا بعده أبدًا فرفض عمر اكتفاء بالكتاب والسنة خشيةً من تعدُّد المصادر وزيادة ثالثٍ يطغى على الأول والثاني.[١٨٧] فالاحتماء بالنصِّ واللجوء إليه ضارٌّ بالمسلمين. النص نفسه قطعة ورق ومداد وحبر وخط مرسوم. وثنٌ لا ينفع ولا يضر، أي شرك بالله. ولا حرج في أن يُعمل الإنسان عقله ودوافعه حتى مع الرسول. فالعقل والواقع أساسان للوحي.

---

[١٨٣] الأولى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. والثانية بعدَها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٨٤] «لأُعلِّمنَّك سورة هي أعظم السُّوَر في القرآن.» ج٧، ٢٠، ٧٧، ألا أُعلمك أعظم سورة في القرآن؟ ج٦، ٢٣١.

[١٨٥] ج٦، ١٠٢.

[١٨٦] ج٧، ١٧٠–١٧٤.

[١٨٧] «ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلُّوا بعدَه أبدًا.» ج٦، ١١-١٢.

وهي عوامل نفسية، من يقرأ القرآن كالأترجة طعمها وريحها طيب، ومن لا يقرؤه كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها. والفاجر الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مُر. والفاجر الذي لا يقرأ القرآن حنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح لها.[١٨٨] وهي كلها تشبيهات في بيئةٍ زراعية صحراوية لتقريب القرآن من النفس، والمؤمن كالخامة من الزرع تُفيئها الريح مرةً وتَعدِلها أخرى. والمنافق كالأرزة انجعافها مرة واحدة. وقد يكون العكس هو الصحيح، المنافق يتذبذب والمؤمن ثابت. ولا يفهم ذلك إلا الفلاح. فتشبيه القرآن بالزرع لأن كليهما خصب ونماء، وبذور وزرع، ونمو واخضرار، وأوراق وثمار. والمُسلم المصاب بأذًى تحاتُّ خطاياه مثل ورق الشجر.[١٨٩] وقد يستعمل القرآن كدعاءٍ علاجًا للأوبئة والأمراض. وهو استعمال له في وضعه الخاطئ. فلماذا الدعاء لمن يؤذيه هوام رأسه وليس الدواء؟[١٩٠] والشرك بالدواء أنفع من الشرك بالدعاء. الله هو الشافي مجازًا، والدواء هو الشافي حقيقة.[١٩١] ولا غِنى بالعلَّة الأولى عن العِلَل الثانية كما حدد الأصوليون. وهو أساس القياس الشرعي. وإذا كان الأصل استنباطًا من النص فإن الفرع استقراء من الواقع.[١٩٢]

وكيف تستطيع آية الكرسي حفظ الإنسان من اقتراب الشيطان منه؟[١٩٣] وهل مجموع الخطأين يكون صوابًا؟ فحظ الآية واقتراب الشيطان من فعل الوهْم أو التوهُّم أو الخيال أو التخيُّل. وقد تكون السورة وقتَ النزول مطابقة للحالة النفسية للرسول مثل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.[١٩٤] هنا يشعُر بوقعها الحسَن في النفس وأثرها الطيب. فيشعُر الإنسان براحة نفسية أنَّ الوحيَ تصديق لتجربته النفسية، وأن الله معه، نصرَه وأيَّدَه ورعاه. وتلك معجزة القرآن.

---

[١٨٨] ج٦، ٢٣٥، ج٧، ٩٩–١٠٠.

[١٨٩] ج٧، ١٤٩–١٥٣.

[١٩٠] ج٧، ١٥٥.

[١٩١] «اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادر سقمًا.» ج٧، ١٥٧.

[١٩٢] من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص٣٧٥–٤١١.

[١٩٣] «إذا أويتَ إلى فراشِك فاقرأ آية الكرسي. لن يزال معك من الله حافظ. ولا يقربك شيطان حتى تُصبحَ.» ج٦، ٢٣٢.

[١٩٤] «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهِيَ أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾» ج٦، ٢٣٢.

(٧) الطب النبوي والأمثال العامية

والطب النبوي الذي ما زال ساريًا حتى الآن بأطبائه وأعشابه وكتبه وجمهوره وسُمعته الشعبية أحد مظاهر المعجزة، فهو طبٌّ بسيط يقوم على الأعشاب المتداولة وساري المفعول، يُحقِّق إنجازاتٍ كبيرة في الشفاء. والأمثال العامية هي التي تجمع بين الوصفات «البلدية» وبين التشبيهات الأدبية في العلاج لحُسن الفهم. فيُفهَم المثل الأدبي حرفيًّا ويطبق كوصفةٍ علاجية.

(أ) الطب النبوي

والطب الحديث الآن ليس موضوعًا للدعاء أو لوسائل العلاج القديمة كما هو الحال فيما يُعرف بالطبِّ النبوي. وقد كان الطب القديم عند الأطباء والفلاسفة طبًّا حديثًا في عصرهم، تطويرًا للطب اليوناني. فالشفاء ليس بالضرورة في العسل والحجامة وكيِّ النار أو استبعاده.[١٩٥] إن علاج إيذاء هوام الرأس الحلْق أو وضع الدواء المُطهر لقتلها. فكيف يكون العلاج صوم ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو النُّسك بعض الوقت؟[١٩٦]

والفرار من المجزوم كالفرار من الأسد؛ هروب من مواجهة المرض أو عزل صحي مثل مواجهة الطاعون.[١٩٧] فلا يدخل المدينة المسيح ولا الطاعون تشبيهًا والعزل الصحي قديمًا «الكارانتينة» كان أحد وسائل العلاج لمنع نقل العدوى. وكيف يكون ماء الكمأة شفاء للعين؟[١٩٨] كيف يكون ماء المريض دواءً للمريض إلا بدافع العجب وشدِّ الانتباه والخروج عن المألوف؟ وتبريد الحُمَّى بالماء علاج طبي. ووصف الحرارة من نار جهنم تشبيه.[١٩٩] تجمعها الحرارة. والموت بالطاعون شهادة مثل المَبطون والمطعون أي الذي قُتل غِيلة.[٢٠٠] ولا يتحمل مسئولية الموت بالإهمال. الموت بالوباء شهادة لأنه موت جماعي.

---

[١٩٥] «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكيَّة نار، وأنهى أمتي عن الكي.» ج٧، ١٥٩، ١٦٢–١٦٣.

[١٩٦] ج٧، ١٦٣.

[١٩٧] ج٧، ١٦٤، «إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها. وإذا وقع بأرضٍ فلا تخرجوا منها.» السابق ص١٦٨–١٦٩ «لا يدخل المدينة المسيح ولا الطاعون.» ص٦٩ «لا يُوردَنَّ مُمرض على مُصح.» ج٧، ١٧٩–١٨٠.

[١٩٨] «الكمأة من المنِّ، وماؤها شفاء للعين.» ج٧، ١٦٤.

وكيف عجوة من سبع تمراتٍ تشفي من السُّمِّ والسحر من اليوم إلى الليل؟[٢٠١] هذه كانت أسرع الوسائل المُتاحة في المجتمع الصحراوي. السُّم نعم معروف كظاهرة. أما السِّحر فغير معروف كظاهرة إلا كظاهرةٍ نفسية في عِلم النفس المَرَضي عندما تظهر على المريض علامات شاذَّة في الفعل أو القول. وكيف تكون حبة سوداء مثل حبَّة البركة، شفاءً من كل داءٍ إلا الموت، المفتاح السحري لكل شيء؟[٢٠٢] ويُقال نفس الشيء على العُود الهندي الشافي لسبعة أمراض. وعادة ما يتبع الفكر الديني نمَط المفتاح السحري الذي به حلُّ مغاليق كل شيءٍ، وكما هو وارد حتى الآن في شعار «الإسلام هو الحل» مع أنه لا حلَّ هناك لظاهرة مُعقدة أو أنَّ هناك عدة حلول.

وتشير بعض الأحاديث إلى وسائل الطب الحديث مثل لا داء إلا له دواء.[٢٠٣] والداء لا ينزل من السماء بل يصعد من الأرض عن طريق الأوبئة والجراثيم وأسباب الأمراض. ويتمُّ التعبير عن ذلك بصورةٍ فنية. جناحا الذباب، في أحدهما داء وفي الآخر دواء.[٢٠٤] وهو قول مباشر. وفي عِلم الطب يكون البحث عن العلل القريبة وليس عن العلل البعيدة. وبالتالي الدعاء للعلة البعيدة لا يُغني من التعرُّف على العلل القريبة.[٢٠٥] وهو مِثل الطبِّ الميتافيزيقي في الهند والعلاج المعرفي في الغرب الحديث. وتُعارِض بعض الأحاديث التجربة في الطب التجريبي. فعندما أُصيب أخٌ بإسهالٍ وسقاه الرسول العسل فزاد الإسهال فكيف يصدُق الله ويكذِب البطن؟ ربما لم يكن القدْر كافيًا. فلمَّا تكرَّر شُرب العسل توقف الإسهال. فالتجربة أساس العلم. ومبدأ التصديق من مبادئ فلسفة العلم.[٢٠٦]

---

[١٩٩] «الحُمَّى من فيح جنهم فأطفئوها بالماء.» ج٧، ١٦٧.

[٢٠٠] السابق ص١٦٩.

[٢٠١] ج٧، ١٧٩–١٨١.

[٢٠٢] «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داءٍ إلا من السام، الموت.» ج٧، ١٦٠-١٦١، ١٦٤–١٦٦.

[٢٠٣] «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء.» ج٧، ١٥٨.

[٢٠٤] «إذا وقع الذباب في إناء أحدِكم فليغمِسه كله ثم ليطرحه؛ فإنَّ في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء.» ج٧، ١٨١، ج٤، ١٥٨.

[٢٠٥] «اللهم رب الناس، مُذهب الباس، اشفِ أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا، بإذن ربنا.» ج٧، ١٧٢-١٧٣.

[٢٠٦] «صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقِه عسلًا.» ج٧، ١٥٩–١٦٦.

ولا يدخل الجن في علم الطب حتى ولو كان لاستبعاد الكهان. فقولهم كلمة يخطفونها من الجن فيقرؤها في أُذن وَليِّه ويخلقون معها مائة كذبة، تفسير بعيد حتى ولو كانت الظاهرة مُركبة.[٢٠٧] ولا يوجد ما يدل على صِدقه أو التحقُّق من صدقه. لا يُتعامَل مع هذا الطب النبوي إلا بحديث «أنتم أعلم بشئون دنياكم.» أي الطب العلمي التجريبي الذي يمكن التحقُّق من صدقه والذي يمكن لأي أحدٍ الوصول إليه. ليس طبًّا خاصًّا بدينٍ أو طائفة ولكنه طبٌّ مَشاع بين الناس.

(ب) التشبيهات الأدبية

ويصعُب التمييز بين الطب النبوي والتشبيهات الأدبية، بين الوصفات البلدية والصور الفنية، بين الحقائق العلمية والإبداعات الذاتية. فكلاهما من صُنع الذات وخلْقها؛ أي من وضع الراوي أو المُحدِّث. وتتراوح بين التشبيه البسيط؛ شيء بشيءٍ أو المَثَل؛ قضية بقضية، أو الحكاية الطويلة التي يظهر فيها الخيال على أوسع نطاق. فتصوير لمدى أهمية العلاقة بين الابن والأم أكثر من الأب «أمك» ثم «أمك» ثم «أمك»، ثم «أبوك». تُضاف حكاية طويلة عن ثلاثة نفرٍ نزل عليهم المطر وأوَوا إلى مغارة فانسدَّت بصخرة فدعا الله أن تفرج بحق أنه طلب أولًا لأبويه قبل ولدَيه وانتظرهما حتى يستيقظا وأولاده يتضوَّرون جوعًا فانفرجت الصخرة فرجة. وآخر راوَدَ ابنة عمِّه التي يُحبها عن نفسها فطلبت مائة دينار فجمعها، ولمَّا قعد بين رجليها طلبت منه اتقاء الله ولا يفتح الخاتم إلا بحقِّه فقام عنها فانفرجت الصخرة أكثر. وثالث رفض عبده أن يأخذ أجرَه من الأرز فزرع وكبر وأنتج واستثمر في البقر فعاد العبد ليطلُب حقَّه فأُعطي كل شيء. فانفرجت الصخرة تمامًا. وهو من الأحاديث الطوال.[٢٠٨] والأحاديث المباشرة على عدم عقوق الوالدين كثيرة دون تصوير. والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت.[٢٠٩] ومثل تشبيه الناس كالإبل المائة ليس فيها راحلة.[٢١٠] قد بُعث الرسول بجوامع الكلِم.[٢١١] لا فرق بين سِحر الكلام والتأثير في الواقع.

---

[٢٠٧] ج٧، ١٧٦.

[٢٠٨] ج٨، ٣–٤.

[٢٠٩] ج٨، ١٠٧.

والمُسلِم مثل شجرة تؤتي أكلها بإذن ربها.[212] فهذه صورة فنية وليست حقيقةً علمية. الشجرة تخضع لقوانين الزراعة والنبات للعِلل القريبة وليست البعيدة. والمسلمون في أهل الشرك كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر.[213] وفي صورةٍ أخرى كالرَّقْمة في ذراع الحمار. وهذا تصوير لمدى التمايُز بين المسلمين والمشركين، واللغة العربية معروفة بأنواع التشبيه. ومن قواعد الأصوليين، المُحكم والمُتشابه، والحقيقة والمجاز. وإذا كانت القاعدة تنطبق على القرآن فكيف لا تنطبق على الحديث؟ والمؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه. والفاجر يراها كذبابٍ مرَّ على أنفه.[214] المثل الأول يُخيف، والثاني تشمئزُّ منه النفس. والتصوير الفني أكثر أثرًا في النفس وإقناعًا من الأوامر أو النواهي. فالنفس بطبيعتها لا تقبل ما هو مفروض عليها من الخارج. ومَثل الرسول والناس كمَثل رجلٍ استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله وقعت فيه الفراش والدوابُّ وهي ترفضه. فالرسول يحجبها من النار وهي تقتحِمها.[215] فالإنسان يودي بنفسه إلى التهلكة، والرسول يَحميه. الرسول درع واقٍ من الهلاك الذي يوقع الإنسان فيه نفسه بنفسه. وما من أحد إلا ويُكلمه ربه دون ترجمان ولا حجاب. فالله قريب من الإنسان، والإنسان قريب من الله، أقرب إليه من حبل الوريد. وهو ما ردَّده الصوفية. ومن اقتطع مال مسلم بيمينٍ كاذبة لقِيَ الله وهو عليه غضبان.[216] فالأمانة جوهر الإيمان. والتوحيد يؤدي إلى العدل. وحقوق الناس من حقوق الله. وثلاثة لا يُكلِّمهم الله ولا ينظر إليهم؛ من حلف على سلعةٍ كذبًا، ومن حلف على يمينٍ كذبًا، ومن منع فضل ماء.[217] والصدق جزءٌ من الإيمان؛ فالكذب على سلعة أو في يمينٍ أو التبذير في ثروات الطبيعة كالماء في المجتمع الصحراوي نقيض الإيمان، ومَثل المؤمن كمَثل زرعٍ يفيء

[210] ج٨، ١٣٠.
[211] ج٩، ١١٣.
[212] ج٨، ٤٢.
[213] ج٨، ١٣٧–١٣٨.
[214] ج٨، ٨٣–٨٤.
[215] ج٨، ١٢٧.
[216] ج٩، ١٦٢–١٦٣.
[217] ج٩، ١٦٨–١٦٩.

ورقُه من حيث أتته الريح فإذا سكنت اعتدلت. فالمؤمن يكفأ بالبلاء، والكافر مثل الأرزة صماء معتدلة يقصمها الله إذا شاء، وهي تشبيهات زراعية في بيئة صحراوية، ومثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة؛ طعمها طيِّب وريحها طيب، والذي لا يقرؤه كالتمرة؛ طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ طعمها مرٌّ ولا ريح لها. فدرجات الإيمان بالنسبة لقراءة القرآن مثل درجات الثمرة في علاقتها برائحتها وطعمها.[٢١٨] وقد يُستعمل تشبيه الركوب والعدو؛ فيما بين مُتكبر وكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسرع. وقد يختلف الناس في تذوق الصورة الفنية طبقًا لبساطتها وتركيبها.[٢١٩]

ومن تصدَّق بمقدار تمرةٍ من كسبٍ طيب يتقبلها الله بيمينه ثم يُربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل.[٢٢٠] فهذا مثل التأثير في السلوك وتوجيه الفعل وليس واقعة فعلية. وللدلالة على قِصر العمر، ما بين الرسالة والقيامة مثل ما بين الأصبعين؛ السبابة والوسطى.[٢٢١] فهذا مثل إشاري للإيحاء بمعنًى وليس واقعةً حقيقية؛ فالزمان لا يقاس بالمكان.

وقد يتحوَّل المثل إلى حكاية تطول وتقصُر طبقًا لمقدرة الخيال على الإبداع؛ فأهل التوراة عملوا حتى منتصف النهار، وأهل الإنجيل حتى صلاة العصر، وأهل القرآن حتى غروب الشمس.[٢٢٢] وهذا يعني تطوُّر الوحي في المراحل الثلاث الرئيسية، اليهودية والنصرانية والإسلام، وأن الإسلام هو خاتم الرسالات. وكان رجل من السابقين يُسيء الظنَّ بعمله فطلب من أهله أن يذروه في البحر بعد مَوته، ثم جمَعَه الله وسأله عن السبب فأجاب مخافته، فغفر الله له. وهي طريقة الهنود. وهي أقرب إلى الحكاية منها إلى الواقعة، وإلى الخيال منها إلى الواقع. فالخيال أكثر رحابةً وقدرة على التأثير من سكون الواقع، وفي صياغةٍ أخرى لم يعمل رجل خيرًا قط، فأمر بحرق جثته وذرِّها في البر والبحر، فأمر الله البحر والبر بجمْع الذرَّات وسأله لماذا ذلك، فأجاب: من خشيته، فغفر الله له. وهناك

---

[٢١٨] ج٩، ١٩٨.

[٢١٩] ج٩، ١٤٢.

[٢٢٠] ج٩، ١٥٤–١٥٥.

[٢٢١] «بُعثت أنا والقيامة كهاتَين.» ج٨، ١٣١–١٣٢.

[٢٢٢] ج٩، ١٦٩.

صياغة ثالثة أخرى لنفس المعنى بلا تصوير إلا تكرار الذنب.[٢٢٣] ومَثل الرسول والله كمَثل رجل أنذر قومه بجيشٍ رآه بعينيه فأطاعته طائفة فنجت وكذبت طائفة فاجتاحهم الجيش.[٢٢٤] فالرواية مُصدقة في الواقع، والخبر صادق طبقًا لِقسمة الأصوليين الخبرَ إلى صادقٍ وكاذب ومُمكن.[٢٢٥] والله أفرَحُ بتوبة عبده من رجلٍ نام وترك راحلته وعليها طعامه وشرابه وهو في مهلكةٍ فاستيقظ ولم يجِدها واشتدَّ عليه العطش والحر ورجع إلى مكانه ونام ثُمَّ استيقظ فوجَدَ راحلته عنده قد أتته.[٢٢٦] وهو تصوير لفرَح الله بعودة الإنسان إليه بصورةٍ صحراوية، عودة الراحلة للبدوي. وفي صورةٍ أُخرى: الله أفرح بتوبة عبده من رجلٍ سقط عن بعيره وأصبح ضالًّا في الصحراء. وهي صورة بدوية أخرى من البيئة الصحراوية، وبطلها البعير، ومؤلِّفها الراوي أو المُحدِّث ليضع سياقًا للقول المباشر.

(٨) الدعاء والتعويض

ولَمَّا كان الإنسان الواقعي غير مُشبَع الحاجات، وغير مُستجاب الرغبات، وإمكانياته الفعلية لا تؤهله لتحقيق ما ينقُصه، فإنه يلجأ إلى الدعاء كوسيلةٍ للتعبير عما يتمنَّى تفريجًا للنفس وتحقيقًا لِما يُريد حتى ولو على مستوى الكلام. فأصبح الدعاء الديني جزءًا رئيسيًّا في الخطاب الديني. وهو أكبر كتابٍ في البخاري.[٢٢٧] هو حيلة العاجز. الكلام تعويض عن الفعل، وحركة اللسان تعويض عن حركة البدَن. بل تكوَّنت حلقاتٌ لهذا السبب عند الصوفية للأدعية، وتمَّ التأليف فيها كنوعٍ أدبي. ونُسب الكثير منها إلى الرسول. وتفنَّن الدعاة في الصوت واختيار الكلام للتأثير على الناس والردود عليهم في جلساتٍ صاخبة. وكلَّما ارتفع الصوت، وزادت الحرارة في الدعاء سهلت الاستجابة، كاليد الطويلة تنال البعيد. وكلَّما اشتدَّت الأزمات ونقصت الحاجات وعجز التحقيق الفعلي للأمنيات والرغبات اشتدَّ الدعاء. وأصبح تعويضًا عن العجز الفعلي؛ فالقادر لا يدعو. والفاعل لا يَسأل. وهو ما سمَّاه «إقبال» لمن يرفع يديه إلى السماء داعيًا «فلسفة السؤال».

---

[٢٢٣] ج٩، ١٧٧–١٧٩.

[٢٢٤] ج٨، ١٢٦.

[٢٢٥] من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص١٤٢–١٤٧.

[٢٢٦] ج٨، ١٢٦.

[٢٢٧] ج٨، ٨٢–١٠٩.

(أ) الدعاء

والدعاء له أشكال أدبية، وزمان، وتحقيق مَطلب، وتلبية حاجة، ومَدعو له، ولغة، ووسيلة. فالأشكال الأدبية للدعاء كثيرة منها التسبيح؛ التسبيح في دبر كل صلاةٍ عشرًا، والحمد عشرًا، والتكبير عشرًا.[٢٢٨] الحمد على ما أصاب الإنسان، والتسبيح والتكبير عليه، وهو ما يدلُّ على إرادة قويَّة وصمودٍ وصبرٍ عظيمَين. ومن سبح مائة مرة كل يومٍ حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر. ومنه التهليل، فمن تشهد مائة مرة في اليوم كانت له عدل عشْرِ رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحِيَت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان. ولا يُوجَد أفضل منه إلا رجل عامل.[٢٢٩] والتشهد هو الإعلان الأول عن الانتماء، قول وعمل، نفي وإثبات. وتتكرَّر كلَّ يوم، ومنه التشهُّد في الصلاة «التحيات لله والصلوات والطيبات …»[٢٣٠] وقد يكون التكبير والتسبيح والحمد ثلاثًا وثلاثين لكلٍّ منها أفضل من خادم في الفراش وفي المضجع، ويكون الدعاء لدفع الأذى والمضرَّة والشر عن الإنسان. وهو دعاء طبيعي. وبعد نفض الإزار، حتى لا يكون به حشرة، يُقال إنه وضع جنبه باسمِه وبه يرفعه، ورحمة النفس إن أمسكها، وحِفظها إن تركها كما يحفظ الصالحين. ينزل الله إلى السماء الدنيا ثلث الليل الأخير لاستجابة دعاء من يدعوه، ويُعطي من يسأله، ويغفر لمن يستغفره وهو مجاز من أجل حثِّ الناس على الدعوة والسؤال والاستغفار وتسهيل النوم ووضع الجنب ورفعه باسم الله، وإمساك النفس ليغفر الله لها وإرسالها كي يحفظها.[٢٣١] بل ويمتدُّ الدعاء إلى الاستفادة به حين الدخول إلى خلاء من الخُبث والخبائث. يستدعي اسمه بمناسبة استجلاب كلِّ خير، ودفع كل شر. هو سلاح دفاعي في يد الإنسان. والدعاء لا ينفي العزم، ولا يتضمَّن الاستعجال ثم الشكوى بأنه لم تتمَّ الاستجابة.[٢٣٢] فالدعاء اختبار وامتحان وليس طلبَ منفعةٍ عاجلة بغرَضٍ من المنفعة؛ إذ يشمل الدعاء التعوُّذ من فِتَن الدنيا.[٢٣٣] فالدعاء لتطهير القلب وتخليص النفس والتجرُّد من المنافع المباشرة، وإلَّا تحوَّل إلى الدعاء الشعبي الساذج.

---

[٢٢٨] ج٨، ٨٩.

[٢٢٩] ج٨، ١٠٦–١٠٧.

[٢٣٠] ج٩، ١٤٢.

[٢٣١] ج٢، ٦٦.

[٢٣٢] ج٩، ٩٢.

ويكون الدعاء باسم الله، الحمد لله الذي أحيا وأمات وإليه النشور.[٢٣٤] الموت والحياة، ولا يتحيَّنُ الإنسان الموتَ باسم الله لضُرٍّ أَلَمَّ به بل يدعو الله بأن يُحييه ما دامت الحياة خيرًا له أو أن يتوفَّاه ما دامت الوفاة خيرًا له.[٢٣٥] ومع الدعاء يأتي التعوُّذ من فتنة المَحيا والممات.[٢٣٦] باسم الله يحيا الإنسان ويموت، في الصباح والمساء مجازًا، وفي بداية العُمر ونهايته حقيقة.[٢٣٧] كان النبي يدعو من الليل، ويحمد رب السموات والأرض، ونور السموات والأرض. قوله حق ووعده حق ولقاؤه حق، والجنة والنار والساعة حق، له يُسلِم، وبه يؤمن، وعليه يتوكَّل، وإليه يُنيب، وبه يُخاصم، وإليه يحتكِم. يستغفر ممَّا تقدَّم وتأخَّر وأسرَّ وأعلن، هو الله لا إله غيره.[٢٣٨] الدعاء هو توحيد الحياة والقصد والاتجاه والإرادة والرغبات والأهداف والأفكار والآراء والاتجاهات نحو وجهةٍ واحدة.[٢٣٩] الدعاء هو وحدة الشعور.

وقد يكون الدعاء أن يجعل الله نورًا في القلب وفي البصَر وفي السمع ومن اليمين ومن اليسار وفوق وتحت وأمام وخلف. والله يسمع ويُبصر. وهو دعاء للمعرفة والنظر، وللبصر والبصيرة، للرأي والرؤية كما تريد الفلاسفة. وأنه لا إله إلا هو.[٢٤٠] وهو تحويل المعرفة إلى موضوع للمعرفة، والدعوة لسميع بصير وليس لأصمَّ ولا غائب.[٢٤١]

وأفضل دعاء طبقًا لأفضل الأزمنة، خلال النهار وخلال الليل وفي الصباح يجعل صاحبه من أهل الجنة. وفي يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مُسلم وهو يصلي وسأل الله خيرًا إلا أعطاه.[٢٤٢] فالأوقات تتمايز فيما بينها في لحظات، لحظات السحر أو الشروق أو

---

[٢٣٣] ج٩، ٩٧.

[٢٣٤] ج٨، ٨٥، ٨٨–٨٩.

[٢٣٥] ج٨، ٩٤.

[٢٣٦] ج٨، ٩٨.

[٢٣٧] ج٨، ١٤٥–١٤٦.

[٢٣٨] ج٩، ١٤٣–١٤٤.

[٢٣٩] «اللهم أسلمْتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلَّا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيِّك الذي أرسلت.» فإنك إن متَّ في ليلتكَ متَّ على الفِطرة، وإن أصبحتَ أصبتَ أجرًا، ج٩، ١٧٤.

[٢٤٠] ج٨، ٨٤–٨٦، ٨٩ «إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا.»

[٢٤١] ج٩، ١٠١–١٠٢.

[٢٤٢] ج٨، ١٠٦.

الغروب أو منتصف الليل، كل طبقًا لهواه. دعاء الليل الحمد لله نور السموات والأرض ومن فيهنَّ وقَيِّم السموات والأرض، فهو الحق، وعدُه وقوله ولقاؤه حقٌّ، والجنة والنار والساعة حق، والنبيُّون ومحمد حق. الاستسلام له والتوكل عليه والإيمان به والإنابة له والخصام إليه، وطلب المغفرة لما قدَّم وأخَّر وأسرَّ وأعلن.[٢٤٣] وهو الدعاء الخالص للتجرُّد وشحذ الهِمَم والتخلُّص من احتياجات الدنيا. وفي الثلث الأخير من الليل ينزل الله كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا ويُعلن أنه يستجيب لمن يدعوه، ويُعطي من يسأله، ويغفر لمن يستغفره. يقترِب الله من الإنسان، يستمع إلى دعائه، ويُنصت إلى ضربات قلبِهِ، وهو لا يتحرَّك في المكان. وفي كل صلاة: الشهادة ونفي الشرك، وإثبات الملك والحمد والقُدرة والعطاء.[٢٤٤] وهي المطهرات للقلب من كل شائبة، والمُنبهات للوعي من كل شرك.

وأفضل دعاء ما كان بعدَ الوضوء والبدَن طاهر، وإسلام النفس لله وتفويض الأمر إليه، والرغبة منه والرهبة منه، واللجوء إليه، والإيمان بكتابه ونبيِّه، والموت على الفطرة.[٢٤٥] وهو الإسلام الطبيعي التلقائي الذي وصفَه الفلاسفة، إسلام حي يقظان الذي لا يحتاج إلى تعليم، عقيدة أو شريعة. وإذا كان الدعاء حين النوم بعد الوضوء والصلاة والاضطجاع على الشقِّ الأيمن، مات الإنسان على الفطرة إذا كان الدعاء آخِر ما قال.[٢٤٦] والدعاء في الصلاة بأنَّ الإنسان ظلم نفسه ويطلب المغفرة والرحمة. فمهما أدَّى الإنسان فإنه ما زال مُقصرًا في أدائه على الوجه الأكمل. ولم يكن عدلًا تمامًا. ويكون الدعاء بالتعلُّم «اللهم علِّمه الكتاب.»[٢٤٧] فلا شيءَ أفضل من العِلم. وأفضل عِلم هو عِلم الكتاب، عِلم الوحي الذي على أساسه يقوم كل عِلم. الدعاء تقوية للطلَب وثقة بتحقُّقه. والاستخارة دعاء واستنجاد بعِلم الله وقُدرته وفضلِه.[٢٤٨]

والدعاء له لُغة الجسد، الاضطجاع على الشقِّ الأيمن ووضع اليد اليُمنى تحت الصدغ الأيمن.[٢٤٩] وهي صورة تمثيلية فريدة مع عدَّة صُوَر أُخرى مثل رفع الكفَّين والوجه والعينين إلى السماء أو الابتهال بالعينَين والوجه إلى أسفل. والاضطجاع والإيواء إلى الفراش

[٢٤٣] ج٨، ٨٣، ٨٦–٨٨.

[٢٤٤] ج٨، ٩٠.

[٢٤٥] ج٨، ٨٤–٨٦، ٨٩.

[٢٤٦] «اللهم ثبِّته واجعله هاديًا ومهديًّا.» ج٨، ٢٩، «اللهم أيِّدْه بالروح القدس.» ج٨، ٤٥.

[٢٤٧] ج٩، ١١٣.

والتكبير والتسبيح والحمد ثلاثًا وثلاثين أفضل من خادم. وذلك لا يُغني عن التنظيف والطهي والعناية بالأطفال. الدعاء له أسلوب في القيام والقعود والتعامُل مع اللباس واختيار الكلمات، وبنفْض الإزار حتى لا يعلق به شيء؛ حشرة أو زاحفة. والدعاء باسم الله الذي به وضَع جنبَه ورفعَه، ورحمة النفس إن أمسكها والحفاظ عيلها إن أرسلها.

والدعوة لنجاة المُستضعَفين من المؤمنين وتشديد الوطء على أعدائهم. والمؤمن لا يكون ضعيفًا في الحق. والعدو لا يكون قويًّا في الباطل على الأمد الطويل.[٢٥٠] ويُستجاب لدعاء المسلمين في اليهود[٢٥١] ولا يُستجاب لدعاء اليهود في المسلمين.[٢٥٢] الدعاء بالبركة على قوم، وباللعنة على قومٍ آخرين.[٢٥٣] ويدعو لآل محمدٍ أن يُرزقوا قوتًا.[٢٥٤] والدعاء على الأعداء.[٢٥٥] والدعاء على المُشركين ولعنِهم.[٢٥٦] والدعوة على الأحزاب بالهزيمة، وشدِّ الوطأة على مُضَر. وكل من عصى الرسول، واليهود. والدعاء للبركة في المكيال والصاع.[٢٥٧] والأوْلى الدعاء للضبط في الكَيل للبائع أو الشاري ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

ووظيفة الدعاء تحقيق الحاجات والمطالب، وهي نوعان؛ مادية ومعنوية. المادية كثرة الرزق والولد والبركة فيهما.[٢٥٨] والدعوة للزوج وطلب الوليمة، والزواج من بِكر تُلاعِب الزوج ويُلاعبها، وتُضاحكه ويُضاحكها.[٢٥٩] والمعنوية العِلم والتوفيق والرِّضا. ومنها الدعوة إلى قبول هجرة أصحاب الرسول وعدَم ردِّهم على الأعقاب.[٢٦٠] ومنها الدعاء لجلب الخير وتجنُّب الشر.[٢٦١] والحاجات المعنوية مثل الهداية والرشاد.[٢٦٢]

---

[٢٤٨] ج٩، ١٤٥.

[٢٤٩] ج٨، ٨٤، ٨٧.

[٢٥٠] ج٩، ٢٥.

[٢٥١] ج٨، ١٠٤.

[٢٥٢] ج٨، ١٠٦.

[٢٥٣] «اللهم ارزُق آل محمد قوتًا.» ج٨، ١٣١.

[٢٥٤] ج٨، ١٢٢.

[٢٥٥] «اللهم اشدُد وطأتك على مُضَر، اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف.» ج٨، ٥٥.

[٢٥٦] ج٨، ١٠٤.

[٢٥٧] «اللهم بارك لهم في مِكيالهم وبارك لهم في صاعهم.» ج٩، ١٢٩.

[٢٥٨] «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته.» ج٨، ٩١، ٩٣، ١٠١.

والدعاء لتخفيف الكروب باستدعاء الله العظيم الحليم، ربِّ العرش العظيم، ربِّ السموات والأرض، وربِّ العرش الكريم.[٢٦٣] وهي القوة التي لا تُعادلها قوة، يُقال عند الكرب دعاء.[٢٦٤] والدعاء لتخفيف الهمِّ والحزَن والعجز والكسل والبُخل والجُبن وضلع الدين وغلبة الرجال. وأرذل العمر والمَأثم والمَغرم. والعوذ من فِتن الدنيا، وفتنة الدجَّال وعذاب القبر وفتنته.[٢٦٥] ودعاء الزوج بإبعاد الشيطان عن أهله وولدِه.[٢٦٦]

والدعاء لحماية مكة والمدينة ومُباركة المُدن والدعاء للسفر.[٢٦٧] وكلها حاجات عجز المجتمع عن تحقيقها ولم يجد تعويضًا عن ذلك إلا الدعاء. فالدعاء حِيلة العاجز، والقادر لا يدعو.

والدعاء للاستغفار من الذنوب. وأفضل استغفارٍ الاعتراف بأن الله هو الخالق، وأنَّ الإنسان هو العبد، وأنه على العهد والوعد ما استطاع، والعوذ به من شرِّ ما صنع، والاعتراف بنعمته عليه وذنبه وطلب المغفرة. وكان الرسول يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة.[٢٦٨] والاستغفار لظلم النفس، والله غفور رحيم. طلب المغفرة لِما قدَّم وأخَّر، ومغفرة الجهل والإسراف في الهزل.[٢٦٩] فالخلاص الفردي مُقدَّم على الخلاص الجماعي. والإحساس بالذنب والتقصير يُلاحق الإنسان دائمًا. لذلك يحتاج إلى الاستغفار، أي الاعتراف أمام النفس حتى يعود إلى أصل الطهارة والبراءة والفطرة.

---

[٢٥٩] ج٨، ١٠٢.

[٢٦٠] ج٨، ٩٩.

[٢٦١] «اللهم إن كنتَ تعلَم أنَّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (في عاجل أمري وآجله) فاقدُره لي. وإن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (في عاجل أمري وآجله) فاصرِفه عنِّي واصرفني عنه. واقدُر لي الخير حيث كان.» ج٨، ١٠١.

[٢٦٢] «اللهم ثبِّته واجعله هاديًا ومَهديًّا.» ج٨، ٩١.

[٢٦٣] ج٨، ٩٣.

[٢٦٤] «لا إله إلا الله العليم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم.» ج٨، ١٥٤–١٥٥.

[٢٦٥] ج٨، ٩٧–١٠٠، ١٠٣.

[٢٦٦] ج٨، ١٠٣.

[٢٦٧] «اللهم مُنزِّل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب وزلزلهم.» ج٩، ١٧٤.

[٢٦٨] ج٨، ٨٣، ٨٨–٨٩.

[٢٦٩] ج٨، ١٠٥.

والاستغفار له صِيَغ عديدة، منها الاعتراف بأنَّ الله هو الخالق وأن الإنسان عبده، وأنه على العهد والوعد ما استطاع والعياذ به من شرٍّ ما صنَع، والاعتراف بنعمته وبذنبه لأنه وحدَه غافر الذنوب. فإذا مات الإنسان خلال النهار وهو يقظ، أو الليل وهو نائم قبل أن يُفيق، فهو في الجنة. والرسول نفسه كان يستغفر ويتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة، وهو ما يعني أن الإحساس بالذنب شديد.[٢٧٠] ويظلم الإنسان نفسه ولا يَغفر له إلا الله.[٢٧١] يغفر الله كلَّ ما عمل الإنسان وقد ستر عليه في الدنيا من قبل.[٢٧٢] فمغفرة الله مُستمرة من الدنيا إلى الآخرة. والتوبة تغسل الخطايا بماء الثلج، وتنقية القلْب من الخطايا كالثَّوب الأبيض، والإبعاد عن الخطايا بُعد المشرق والمغرب.[٢٧٣] فالتوبة شرط المغفرة، البداية بالفعل الإنساني. التوبة فعل إرادي حُر، والمغفرة نتيجة.

(ب) التعويض

وإذا كان الدعاء تعبيرًا عن العجز لزم التعويض كطريقٍ ثانٍ لتجاوز العجز. ويأتي هذا التعويض في صورة الإيمان بالإله الواحد القهار الذي يسند الجميع، ولا يخذل أحدًا. وهو ما يظهر في كتاب «التوحيد». ولا تحتاج الرواية فيه إلى تمعُّن في الخيال لأنَّ الأقوال المباشرة تقوم بذلك دون حرَجٍ من الراوي أو المُحدِّث.[٢٧٤] وتنتقل من العجز إلى القُدرة، ومن الضعف إلى القوة. وباختصار، من الإنسان إلى الله.

يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ويقول إنه الملك فأين ملوك الأرض؟[٢٧٥] فالله هو ملك الملوك، الملك الديَّان. وتلك قمة التعويض، القوة كلها مُركزة في قِمةٍ واحدة. كل شيء بيده. والأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفَؤها الجبار بيده كما يكفأ المسافر خبزته. نُزلًا لأهل الجنة. فالأرض بيمينه هذه المرة وليست السماء، يَطويها كما يطوي الإنسان الخُبز دليلًا على جبروته لتقديمها لأهل الجنة. فخادم القوم سيدهم. إدامهم ثور

---

[٢٧٠] ج٨، ٨٣.

[٢٧١] ج٩، ١٤٤.

[٢٧٢] ج٩، ١٨١.

[٢٧٣] ج٨، ٩٨.

[٢٧٤] ج٩، ١٣٩–١٩٩.

[٢٧٥] ج٨، ١٣٥، ج٩، ١٤٢، ١٥٠، ١٧٢.

ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا وتظهر المُغالاة المستمرَّة في الوصف تعويضًا عن الإحساس بالعجز والشعور بالدونية. وتتفصَّل الصور. فيدُ الله ملأى، ينفق منها منذ خلق السموات والأرض. عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض.[٢٧٦] وهي صورة الملك، والميزان القبان، والقاضي العدل، والمُنصف بين الأطراف دون مَيلٍ لأحدهما أو جُور. والشمس مُستقرُّها تحت العرش.[٢٧٧] وهي ثابتة مِثله. فالعرش على قمَّة الطبيعة، والله على قمَّة العرش. إنه ملك الكون، كل شيء بقبضته. وتذهب الشمس للسجود فيؤذَن لها أن تعود من حيث جاءت فتغرُب. فهو المُسيطر على حركة ظواهر الطبيعة ومسارها.[٢٧٨] وقد استدار الزمان على هيئة الأرض يوم خلق الله السموات والأرض.[٢٧٩] فالزمان مرتبط بالمكان. مُستدير مثله. والله له أعوانه ومساعدوه من الملائكة. إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا.[٢٨٠] ويقولون: الله هو العلي الكبير. ولا يسب الدهر لأن الله هو الدهر.[٢٨١] ويتنزَّل الله كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حتى ثلث الليل الأخير للاستماع إلى دعاء الناس ليغفر لهم.[٢٨٢] فالضعف والقوة مُتلازمان.

خلق الله آدم على صورته، طوله ستُّون ذراعًا، وطلبَ منه السلام على الملائكة لسماع تحيته وتحية ذُريته، فسلَّم عليهم وردُّوا السلام وزيادة «ورحمة الله». فكل من يدخل الجنة على صورة آدم. وما زال الخلق ينقُص حتى الآن وهو أقرب إلى المنظر المسرحي؛ فكيف يكون طول الإنسان ستِّين ذراعًا. وإذا كان الله خلق آدم على صورته فهل الله ستون ذراعًا؟ وطلب سماع تحية الملائكة له صياغة لآيةٍ من القرآن تطلب من الملائكة السجود لآدم. ولتبرير هذا الطول الخيالي يقصر الخلق يومًا بعد يومٍ حتى وصل إلى حجمه الآن. وهذا يعني أن في المُستقبل سيقصر آدم طبقًا للقانون وهو مثل قانون التطوُّر الذي يتطوَّر الإنسان فيه من الحيوان ويصغر جسمًا ويكبر عقلًا. وفي حديثٍ آخر ردَّ الملائكة

[٢٧٦] ج٩، ١٥٠، ١٥٢.

[٢٧٧] ج٩، ١٥٥.

[٢٧٨] ج٩، ١٥٣.

[٢٧٩] ج٩، ١٦٣.

[٢٨٠] ج٩، ١٧٢–١٧٣.

[٢٨١] «يؤذيني ابن آدم، ويسبُّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أُقلِّب الليل والنهار.» ج٩، ١٧٥.

[٢٨٢] ج٩، ١٧٥.

على آدم وزادوا عليه «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». فالزيادة مرةً تُعزى لآدم ومرةً تُعزى للملائكة.[٢٨٣]

والله هو الزمان كل الزمان. فلا يُسبُّ الدهر لأن الله هو الدهر.[٢٨٤] وهو قول الله على لسان الرسول. والله هو الجمال المُطلق، كل الجمال وما دونه نقص. وإذا كان المسيح الدجَّال «أعور» فالله ليس بأعور.[٢٨٥]

وأجاب على سؤالٍ عن العزْل بعد أن اشتهى المُسلمون النساء في غزوة بني المُصطلق بالنفي، لأنه ما من نسمة كائن إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة. لا يستطيع الإنسان أن يتدخَّل في خلقِها أو عدم خلقِها.[٢٨٦] وهو ما يتناقض مع روايةٍ أخرى حول جواز العزْل وما يعتمد عليه بعض الفقهاء المُحدثون على جواز تحديد النسل بالطرُق الطبيعية. فمهما عزل الإنسان أو لم يعزل فما هو كائن كائن بإرادة القوة وليس باختيار الضعف.

وبعد أن جمعوا العجوة والدقيق والسويقة في ثوبها وحملوه على بعيرها أخبرها الرسول أنَّ الله هو الذي أسقاها وأطعمها. ويعني مجازًا لأنَّ الرواية لا تعتمد على شاهد قرآني.[٢٨٧] يُشير إلى العلَّة الأولى التي إليها يرجِع كل شيء وليس إلى العِلل الثانية التي تندرج تحت العلة الأولى. وقد يسأل الرسول عن فعل إرادي فتأتي الإجابة بالإحالة إلى إرادة الله المُطلقة فيُجيب الرسول بالقرآن.[٢٨٨] وكيف تُوجَب الجنة والنار على أحدٍ لأن المسلمين شهداء الله في الأرض لمجرَّد ثناء المسلمين عليه؟[٢٨٩] وكيف يستحق أحد الجنة أو النار بشهادة أربعةٍ من المسلمين عليه، خلطًا بين إثبات الزنا واستحقاق الثواب أو العقاب؟ والشهادة ليست بالقول بل بالفعل، ليست نظرية بل عملية. والجنة استحقاق وليست شهادة، نتيجة جدٍّ ذاتي ومثابرة وعرَق، وليست بشهادة الآخرين.

---

[٢٨٣] ج٨، ٦٢، ٦٨.

[٢٨٤] «قال الله: يَسبُّ بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار.» ج٨، ٥١. «لا تقولوا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر.»

[٢٨٥] ج٨، ٥٠، ج٩، ٧٥–٧٦.

[٢٨٦] ج٥، ١٤٨.

[٢٨٧] ج١، ٩٤–٩٥، تشبيه رؤية الله برؤية القمر، ج١، ٤٥، ١٥٠.

[٢٨٨] سأل الرسول فاطمة وصديقتها «ألا تُصليان؟» فاحتجَّت فاطمة بالإرادة الإلهية فأجاب الرسول ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، ج٢، ٦٢.

[٢٨٩] ج٢، ١٢١–١٢٢.

والرسول أيضًا ينتظر الأوامر العُليا قبل الحُكم. فلا شيء يأتي من عنده.[٢٩٠] وهو خاتم الأنبياء ومُتمِّم الرسالات، ومَن غفر الله له من ذنبه ما تقدَّم وما تأخَّر. لا يُقرِّر شيئًا من عنده بل كلٌّ يأتيه من الله؛ ممَّا يُعطي الجبرية حجَّة لصالحهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾، ولا يُنجَّى أحد بعمله ولا الرسول دون رحمة من الله.[٢٩١]

ويُستعمل الله للإخافة والردع والحماية.[٢٩٢] فالقوي أقدَرُ من الضعيف. وهو الذي يُقرر كل شيء، خيرًا أم شرًا. طاعته تجلب الخير والمنفعة والنهاية الحسنة. وعصيانه يجلب الشرَّ والأذى والنهاية السيئة. طاعته تُدخِل الجنة، وعصيانه يُدخِل النار. ويظلُّ الإنسان في صراعٍ بين الدافِعين. وأحيانًا تتحوَّل حياته إلى جحيم، إلى كبتٍ وتعويض، ودعاء واستغفار، يطلب الرحمة والمغفرة، ويستجدي العون والخلاص.

وحُكمه هو حُكم الله أو حُكم الملك؛ كي يُعطي حُكمه قوة وشرعية ويمتثل إليه الناس. فالله في الذهن هو السيد والملك.[٢٩٣] والخطورة أن تتحوَّل هذه الصورة إلى السلطان. فيُصبح الله هو السلطان، والسلطان هو الله. فطاعة السلطان طاعة لله، وطاعة الله طاعة السلطان، وعصيان السلطان عصيان لله، وعصيان الله عصيان للسلطان. وهو ما يستعمله السلطان لفرْض نظام القهر والتسلُّط على رقاب العباد متجاوزًا «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«الدين النصيحة» و«أعظم شهادةٍ قولة حقٍّ في وجه إمامٍ جائر.»

وهنا ينفصل العدل عن التوحيد، ويظلُّ التوحيد بمفرده بلا عدل. مع أنه إذا عمل الإنسان عملًا صالحًا وأدَّى صدقة فلن يتركه الله بلا جزاء.[٢٩٤] والمسئولية الفردية تُعفي

---

[٢٩٠] «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري.» ج٥، ٦٠.

[٢٩١] «لن يُنجَّى أحد منكم بعمله ... ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمته.» ج٨، ١٢٢–١٢٣. «لن يُدخِل أحدكم عملُه الجنة.» ج٨، ١٢٢.

[٢٩٢] استلَّ أعرابيٌّ سيفَ الرسول وهو نائم وقال له: من يمنعك مني؟ فقال «الله» ولم يفعل شيئًا ولم يُعاقبه الرسول. ج٥، ١٤٧.

[٢٩٣] قوله لسعد بن معاذ: «قومُوا إلى سيدكم أو خيركم ... تُقتَل مُقاتِلتُهم وتُسبى ذراريهم. قضيتَ بحُكم الله (وربما قال) قضيتَ بحُكم الملك.» ج٥، ١٤٣.

[٢٩٤] ج٨، ٤٨.

الآخرين. ولا تجعل الله مسئولًا عن أفعال العباد.[٢٩٥] صحيح أن الله قادر على كلِّ شيء، ولكن الإنسان حُر، له إرادة مُستقلة.

وقانون الاستحقاق لصالح الإنسان وليس قانونًا رياضيًّا خالصًا. فقد كتب الله الحسنات والسيئات. ومن همَّ بحسنة ولم يعملها كُتبت حسنة، وإن عملها كتبت عشرًا إلى سبعمائة ضعف أو أكثر. ومن همَّ بسيئة ولم يعملها كتُبت حسنة فإن عملها كتبت سيئة واحدة، وذلك للترغيب والترهيب.[٢٩٦] وهو قانون يضمُّ الحقوق والواجبات للطرفين. واجب الإنسان العمل الصالح. لذلك قال المعتزلة بالواجبات العقلية؛ واجب التكليف وشكر المُنعم وحقُّه الجزاء ودخول الجنة. وحقُّ الله العبادة فهو الجدير بها «وواجبه» الوعد والوعيد بالرغم ممَّا في اللفظ من سُوء تعبير؛ فالله لا يجب عليه شيء والواجبات العقلية تُلزم الإنسان ويُلزم الله بها نفسه مثل ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. حق الله على العباد عبادته وعدم الشرك به، وحق العباد على الله عدَم عذابهم. وهو قانون الاستحقاق، أي المساواة في الحقوق والواجبات.[٢٩٧] وهذا هو السبب في الخلل بين الاثنين في حياتنا المُعاصرة. المواطن عليه واجبات وليس عليه حقوق. والسلطان له حقوق وليس عليه واجبات. وهو نفس الخلل أيضًا بين الحضارة العربية والحضارة الغربية. العربية عليها واجبات وليس لها حقوق، والغربية لها حقوق وليس عليها واجبات. وهو أحد أسباب سوء الفهم دائمًا والصراع أحيانًا بين العرب والغرب.

لذلك كان السؤال: وكيف يتَّفق العدل الإلهي مع القضاء والقدر وأن يكتب الله على ابن آدم حظَّه من الزنا، والزنا حقيقةً ومجازًا، زنا بالفرج، وزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا النفس التمنِّي والاشتهاء، فلا يبقى له شيء من اختياره الحر، والوجود هو الحرية على ما عبَّر بعض الفلاسفة المُعاصرين في الغرب؟[٢٩٨] وكيف يتَّفِق مع البشارة، فقد غفر الله لأهل بدْر أعمالهم وطالبهم بِعمل ما شاءوا فقد وجبتْ لهم الجنة؟[٢٩٩] وما زال في الحياة مُتَّسَع للخير والشر. وكيف تُعلَن النتيجة قبل الاختبار؟ ألا يرتكن المُبشَّر له فيفعل

---

[٢٩٥] «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.» «اللهم حوالَينا ولا علينا.» ج٨، ٩٢.

[٢٩٦] ج٨، ١٢٨.

[٢٩٧] ج٨، ٧٤، ١٣٠–١٣١.

[٢٩٨] ج٨، ٦٧.

[٢٩٩] ج٨، ٧٢.

ما يشاء ما دام قد ضمِن النجاح؟[٣٠٠] وهناك باب بأكمله في البخاري بعنوان «القدَر» ممَّا يدلُّ على مركزيته وعن «التوحيد» دون باب عن العدل والاستحقاق.[٣٠١]

وفي الأقوال المباشرة يُنادي الرسول على بني تميم ليُبشرهم فعبسوا وعلى أهل اليمن فقبِلوا. الأوَّلون يريدون عطاء، والآخرون راضُون بالميتافيزيقا، ممَّا يدلُّ على اختلاف الناس حول المسائل النظرية الخالصة التي لا ينتج عنها أي أثرٍ عملي.[٣٠٢] وهذا يدلُّ على رفض الطبيعة البشرية للبشارة، ومن يتقبَّل البشارة مُسبقًا لا يقبل اللعنة أو الإدانة مُسبقًا. وأين قانون الجزاء من جنس الأعمال الأقرب إلى البديهة والواقع؟

وتستمر العقائد الأشعرية في الظهور على لسان الرسول في أقواله المباشرة مِثل أولوية الرحمة على العدل، ومنها البشارة والشفاعة ضدَّ المعتزلة الذين يُعطون الأولوية للعدل على الرحمة طبقًا لقانون الاستحقاق.[٣٠٣] وهو أقرب إلى الجهمية في كتابة كلِّ شيءٍ في كتاب، وتحديد مكانه فوق العرش. وهو ما لا يجوز لأنَّ العرش لا يعلو عليه شيء. ولو كان تحت العرش لكان أفضل وأقرب إلى التنزيه. وتظهر عقيدة الإرجاء في كلام الرسول على لسان جبريل مُخبرًا إيَّاه بأنَّ من مات من أُمته لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة أو لم يدخل النار، وإن زنى وإن سرق. فالإيمان تمتمةٌ بالشفتَين، وذِكر باللسان وليس عملًا بالأركان.[٣٠٤] وهذا يدلُّ على أن جمع الأحاديث وروايتها لم يخلُ من توجيهاتٍ عقائدية في عصرها. وقد كانت في أصلها تبريرات سياسية لحوادث وقعتْ واختيارات تمَّت. فالعقائد إفرازات سياسية أولًا ثم تتحوَّل السياسة بعد ذلك إلى إفرازات عقائدية.

---

[٣٠٠] ج٨، ١٥٢–١٥٨.

[٣٠١] «إن الله خلق أحدكم يُجمَع في بطن أمِّه أربعين يومًا وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك يؤذن بأربع كلماتٍ فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإنَّ أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخُل النار. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها.» ج٩، ١٦٥–١٦٦.

[٣٠٢] ج٤، ١٢٨.

[٣٠٣] «لمَّا قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، أنَّ رحمتي غلبت غضبي.» ج٤، ١٢٩. من العقيدة إلى الثورة ج٣، العدل.

[٣٠٤] ج٤، ١٣٨.

والقول المباشر يجمع بين المسائل العلمية والمسائل النظرية، بين العقل والخيال، بين السيئة ونوع الجزاء. فالظلم يؤدي إلى الخسف بالظالم إلى سبع أرضين. وتختلف الصياغة في شكلَين مما يدل على أنه نقل بالمعنى وليس نقلًا بالحرف. والصياغة الثانية أكثر تفصيلًا من الأولى. في الشرح «بغير حق.» وفي التصوير «خسف به يوم القيامة.»[٣٠٥]

ونظرًا لازدواج الأشعرية مع التصوُّف تخرج أقوال مباشرة أشعرية صوفية في آنٍ واحد تجمعها لغة الحب. فإذا أحبَّ الله نادى جبريل وأعلن عن ذلك حتى يُحبه الناس وجبريل، أهل السماء وأهل الأرض. فالحُب على الذيوع وليس سرًّا.[٣٠٦] من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.[٣٠٧] وجوهر الإيمان أن يكون حُب الله أفضل من كل شيءٍ وأن يكون حُب البشر في الله.[٣٠٨] وحلاوة الإيمان في حب الله، وأن يُوضع في النار أحبُّ إليه من أن يَرجِع إلى الكفر، ويكون الله ورسوله أحبَّ إليه من كل شيء.[٣٠٩] والمبادرة بأيدي الإنسان في القُرب من الله، فالله عند ظنِّ عبده به، معه إذا ذكره. إذا ذكره في نفسه ذكره الله في نفسه، وإذا ذكرَه في ملأ ذكرَه الله في ملأ خيرٍ منه. وإذا تقرَّب إليه بشبرٍ تقرَّب الله إليه ذراعًا. وإذا تقرَّب إليه ذراعًا تقرَّب الله إليه باعًا. وإذا أتاه يمشي أتاه الله هرولة.[٣١٠] والله قريب من الإنسان كلَّما ذكره.[٣١١] يرى المؤمنون الله عيانًا كما يرَون القمر ليلة البدر بالقلب، رؤية داخلية تأكيدًا لوحدة الذات والموضوع؛ فالذات موضوع، والموضوع ذات.[٣١٢]

هكذا ينشأ التأليه، من الضَّعف إلى القوة، ومن العجز إلى الإرادة، فالإيمان بالله تأليه، عملية ذاتية وليست إثباتًا لموضوعٍ خارجي «الله»، الله عملية تأليه ذاتية وليس موضوعًا ساكنًا خارجيًّا يُشار إليه منفصلًا عن الذات. المعرفة وجود، والوجود معرفة.[٣١٣]

---

[٣٠٥] «من ظلم قيدَ شبرٍ طُوِّقَه من سبع أرضين.» «من أخذ شيئًا من الأرض بغير حقِّه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين.» ج٤، ١٣٠–١٣١.

[٣٠٦] ج٤، ١٣٥.

[٣٠٧] ج٨، ١٣٢.

[٣٠٨] ج٩، ١٢٥.

[٣٠٩] ج٩، ١٤٨، ١٩٢.

[٣١٠] ج٨، ١٧.

(٩) التوحيد والعدل

وتبلغ ذروة الحديث كما رواه البخاري في التوحيد والعدل. له كتاب عن التوحيد وليس له كتاب في العدل؛ فهو أشعري من أهل التوحيد وليس مُعتزليًّا من أهل التوحيد والعدل. وقد طغت الأشعرية على عِلم العقائد منذ القرن الخامس الهجري حتى العصر الحديث عندما حاول رائد الإصلاح الديني محمد عبده، الخروج من الأشعرية التاريخية عن طريق الماتريدية في «رسالة التوحيد» للاقتراب من العدل. وقال بالحُسن والقبح العقليين، وفي نفس الوقت أثبت حاجة العقل إلى وحي، وهذا الوحي هو النبي. وظلَّ أشعريًّا في التوحيد وإن حاول أن يكون مُعتزليًّا في العدل.

وقد جرت العادة على جعل التوحيد أساس العدل حتى عند المعتزلة، في الأصول الخمسة الشهيرة؛ التوحيد هو الأول، والعدل هو الثاني. وفي الواقع العدل هو أساس التوحيد؛ فبناءً على ما يفعله الإنسان في الواقع يتحدَّد مثله الأعلى؛ إذا فعل وأنجز وحقق ونجح في الواقع فإنَّ التوحيد لديه يكون مجموعةً من القِيَم والمُثل العليا، وإذا لم ينجز ولم يفعل ولم يُحقِّق ولم ينجح تتحجَّر هذه القِيَم وتتشخَّص في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء، وتتحوَّل إلى كائن حي مُشخَّص يفعل وينجز ويُحقِّق بدلًا عنه، وطالما أنه بعيد المنال لم يتحقَّق فإنه يُناجيه ويدعوه ويخاطبه ويعبده أي يؤلِّهه. وكلما زاد العجز زاد التأليه.

لا يُقال إنَّ هذا هو علم أصول الدين، وليس علم الحديث لأن عِلم الحديث بُني على عِلم أصول الدين في مضمونه العقلي ومضمونه الواقعي. والبخاري أشعري حتى النخاع ولو أنه عاش قبله بحوالي نصف قرنٍ إلا أنه عبَّر عن البيئة العقائدية التي كانت موجودة في نفس العصر. وهو موضوع جدير بالدراسة: أثر علم العقائد في تدوين عِلم الحديث. وعلم العقائد علم سياسي بالأصالة، أيديولوجيا المجتمع الديني. وعِلم الحديث تشريع لهذا العِلم عن طريق التدوين والنسبة إلى الرسول، ثم إخفاء نقْد المتن عن طريق نقد السند. وهذا الكتاب «من نقد السند إلى نقد المتن» هو محاولة لإزاحة الستار عن هذا التأسيس لعِلم الحديث من باطن علم أصول الدين.

[٣١١] «قال الله أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحرَّكتْ بي شفتاه.» ج٩، ١٨٧، «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول إنه خير من يونس بن متى ونسبَه لأبيه.» ج٩، ١٩٢.

(أ) التوحيد

والتوحيد يحمي المُوحد من أي خوفٍ من المستقبل، ويبعث على الاطمئنان فيه بل والسعي إليه. وهو ما سمَّاه الكلاميُّون حماية المُوحد من عذاب النار.[٣١٤] وإذا اقترن التوحيد العملي بالتوحيد النظري يكون ذلك ضمانًا للمُستقبل. فمن يَخُط ببدَنه لمستقبل الآخرين يضمن مُستقبله، مثل شهداء بدر الذين وجبت لهم الجنة.[٣١٥] التوحيد النظري طريق مسدود. فالسؤال له نهاية، حتى الله خالق كل شيء قيل: فمن خلق الله؟[٣١٦] والتوحيد العملي لا حدود له؛ فلا حول ولا قوة إلا الله كنز من كنوز الجنة.[٣١٧] والعياذ بالله يحمي من الشرور. هذا ما يشعر به الإنسان إذا كان التوحيد قد تحوَّل إلى قوةٍ بديلة عن قوة الذات. يرتكن إليها حين ضعفِه. ويجد فيها النصر والعون والتأييد.

والشرك بالله أكبر الكبائر. ومعه عقوق الوالدين لتقوية الخبر.[٣١٨] فالشرك بالله أي عدَم احترام الآخَر، مثل عقوق الوالدين، وهو أيضًا عدم احترام الآخر. والمبايعة على عدَم الشرك بالله هي مُبايعة على عدم السرقة والزنا والقتل وشهادة الزور والافتراء والبهتان. يعاقبه الله في الدنيا أو يستره عنه ويُعذبه في الآخرة.[٣١٩] وعدم الشرك ليس مجرد الاعتراف بقضية عددية؛ أن الله واحد، بل هو التزام بقِيَم الأخلاق البديهية التي لا شكَّ فيها لأنَّ أصلها واحد وليس اثنين كما هو الحال في الشرك. فالتوحيد والشرك قضيَّتان أخلاقيَّتان. الأولى أساس القِيَم اليقينية، والثانية أساس الشك والظن والنسبية في القيم.

والذبح باسم الله، والدعاء باسم الله، وفِعل أي شيءٍ باسم الله مدعاة للاطمئنان. فالذبح عملٌ قاسٍ، دمٌ يسيل، وإزهاق روح. والدعاء باسم الله لتحقيق أكبر قدرٍ مُمكن من الإنجازات باستلهام أكبر قوة.[٣٢٠]

---

[٣١٢] ج٩، ١٥٦.

[٣١٣] الاغتراب الديني عند فيورباخ، دراسات فلسفية ص٤٠٠–٤٤٥.

[٣١٤] ج٩، ٢٣–٢٤.

[٣١٥] ج٩، ١١٩.

[٣١٦] ج٩، ١٤٤.

[٣١٧] «أعوذ بوجهك الكريم.» ج٩، ١٤٨.

[٣١٨] ج٨، ٧٦.

[٣١٩] ج٩، ٩٩.

[٣٢٠] ج٩، ١٤٦–١٤٧.

ولا يحلف الإنسان باللات والعُزَّى بل بالله وبقول «لا إله إلا الله.» فالله أقوى من كل الآلهة، والإله الواحد أقوى من إلهَين أو ثلاثة أو أكثر. ولا يجوز الحلف بالآباء بل بالله أو الصمت.[٣٢١] فالله هو أغلى ما ينتسِب إليه الإنسان. وهو أعزُّ من الآباء والأبناء والبنات والزوجات، والتسمية بالله تُعطي قوة وتسلُب عن الآخر المقاومة. وقد تصدَّرت خطاب الرسول إلى هرقل عظيم الروم.[٣٢٢] فكل فعلٍ يبدأ باسم الله ليأخُذ صيغةً شرعية ويعلن عن تأسيسه على نيةٍ خالصة مجردة دون أهواء أو ميول شخصية. وهناك كتاب بأكمله بعنوان «الأيمان والنذور».[٣٢٣] وصيغته «والذي نفسي بيده»، «ورب الكعبة» أي الصدق المُطلق، والتجرُّد الخالص.

والولوج باليمين في الأهل آثِم عند الله من إعطاء الكفارة التي فرضها الله عليه. فالوفاء للأهل أسبق من الوفاء لله. والحلف بالله ليس بالآباء.[٣٢٤] والحلف بالله مُقلِّب القلوب دليل على التغيُّر.[٣٢٥] والحلف بالثابت أولى بالحلف من المُتغيِّر.

وكيف يتصوَّر البعض الولد لله وهو يُعاقبهم ويرزقهم؟[٣٢٦] فالله هو المُتعالي الذي ليس كمثله شيء. هو الكائن الموجود بذاته وليس الموجود بغيره؛ لذلك وصف المتكلمون ذاته بأنه موجود، قديم، باق، ليس في محل، يُخالف الحوادث وواحد.[٣٢٧] وهو وجود على الطرف الآخر من الوجود الإنساني الموجود الهش، الحادث، والكثير. فالله والإنسان وجود مُتضايف ولكن على النقيض.

والله عالم على الإطلاق قبل حدوث المعلوم. لديه عِلم الغيب، ومفاتيح الغيب خمسة: ما تغيض به الأرحام، وما يحدث في الغد، ومتى يأتي المطر، وبأي أرض تموت النفس، ومتى تقوم الساعة.[٣٢٨] ولعلَّ الله اطَّلع إلى أهل بدر وغفر لهم.[٣٢٩] وهو وراء علم العباد.

[٣٢١] ج٨، ٧٢.

[٣٢٢] ج٨، ١٥٨–١٨٤.

[٣٢٣] ج٨، ١٦٠.

[٣٢٤] «لا تحلفوا بآبائكم. ومن كان حالفًا فليحلف بالله.» ج٩، ١٤٧.

[٣٢٥] ج٩، ١٤٥.

[٣٢٦] ج٨، ٣١.

[٣٢٧] من العقيدة إلى الثورة، ج٢، التوحيد ص٢٧–٣٢٨.

[٣٢٨] ج٩، ١٤٢.

[٣٢٩] ج٨، ٣٢.

ومن يُرِد الله به خيرًا يُفقهه في الدين[٣٣٠] والله يستر على المؤمن في الصباح ما عمل البارحة.[٣٣١]

وهو افتراض يُبرِّر به الإنسان علمه المحدود المتغير النسبي. يساعده على مزيدٍ من البحث والمعرفة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. ويحثُّه على التقدُّم المستمر للعِلم. وما يُقال في العلم يُقال في باقي الصفات السبعة كما حدَّدها المُتكلمون: القدرة، الحياة، السمع، البصر، الكلام، الإرادة. القدرة لأن الإنسان عاجز، والحياة لأنه ميت، والسمع والبصر والكلام والإرادة لأنه قد يكون أصمَّ، أعمى، أبكم، هوائيًّا.

وقد تعني سبحان الله «العجب» على كل ما لم يتعوَّد الإنسان عليه.[٣٣٢] فالله هو النموذج الفريد، وهو الأمل الذي يتطلَّع إليه الإنسان. هو التطلُّع نحو الكمال، بعيد المنال. لا تصف العبارة شيئًا في ذاته بل تُعبِّر عن موقفٍ ذاتي. هي أقرب إلى الأدب منها إلى العِلم، ومن التعبير منها إلى الوصف.

ويعني كتاب الله الشريعة أي القانون أي العدل.[٣٣٣] الله بلَّغ وحيًا إلى الرسول الذي بلَّغه إلى الناس. وخوفًا عليه من الضياع، وهو نفس الخوف على الحديث من التبديل والوضع فيما بعد، تمَّ تدوينه. وحفظه كتابه، وسُمِّي مجازًا كتاب الله مع أن كُتَّاب الوحي هم الذين دوَّنوه. والله ليس له كتاب. والخطورة أن يتمَّ التوحيد بين الله والكتاب فيتحوَّل الكتاب إلى وثن، طباعةً وتجليدًا وزخرفةً واستعمالًا هدايا، وتبرُّكًا، لمسًا وتقبيلًا.

وهو نفس ما حدث بالنسبة لتعبير «إن شاء الله»، وربط الفعل الإنساني بالمشيئة الإلهية «إنا فاعلون غدًا إن شاء الله.» تعني إمكانية ظهور عوامل جديدة في المستقبل غير مُتوقَّعة أثناء تحقيق الفعل ودور اتخاذ القرار.[٣٣٤] لذلك تحمِل أمثال هذه العبارات معانيَ مجازية وإلا تمَّ إحالة كل شيءٍ في الإنسان والتاريخ والطبيعة إلى الله. فإن قيل

---

[٣٣٠] ج٩، ١٢٥.

[٣٣١] ج٨، ٢٤.

[٣٣٢] «سبحان الله، ماذا أُنزل من الخزائن وماذا أُنزل من الفتن.» ج٨، ٩٠، «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.» ج٩، ١٩٩. وهي آخر عبارة في البخاري.

[٣٣٣] «لأَقضينَّ بينكما بكتاب الله.» ج٩، ٩٤، ١١٠، ١١٤.

[٣٣٤] ج٨، ٢٨، ١٦٣.

الله هو الذي حمل وليس الرسول فمعناه أن التوفيق من الله، وأن على الإنسان أن يسعى وليس عليه الوصول بالضرورة إلى نتائج مسعاه.[٣٣٥] وإنْ قيل أيضًا: إرادة المؤمنين إرادة الله وإرادة الله إرادة المؤمنين، أي أنَّ إرادة المؤمنين تحقيق لمقاصد الوحي وأنَّ مقاصد الوحي تحقيق للمصالح العامة.[٣٣٦] وإن قيل أيضًا تظلُّ طائفة من الأُمَّة ظاهرةً حتى يأتيها أمر الله، فإن ذلك يعني أن كل شيءٍ في التاريخ باقٍ ببقاء فعله، وأن التاريخ هو مجموع تراكُم الأفعال.[٣٣٧] وبهذا المعنى، الله خالق كل شيء، وكاتب كل شيء وخالق كل نفس.[٣٣٨] وهذا لا يعني إنكار العِلل الثانية إلا على سبيل الاتكال وتبرير العجز عن الفعل. صحيح أنَّ الله لا يُستكره على شيء، ولكنه أيضًا لا يَستكرِه أحدًا على شيء.[٣٣٩]

وفي الثقافة الشعبية: عبد الله رجل صالح.[٣٤٠] وتسمية البشر عباد الله دليل على الطاعة والخضوع. فالأسماء مواقف وعبد الله خير إنسانٍ بلا غطاء ولا سند. وفي الثقافة الشعبية المجهول أو غير المعروف الاسم يُنادى بعبد الله، والأم العاقر حرصًا على كرامتها تسمَّى «أم عبد الله». والعبد لله خير من أن يكون عبدًا لأي مخلوقٍ كان، يكون سيدًا له.

وأكبر ذنب ادِّعاء الندية لله وهو الخالق.[٣٤١] فكل المخلوقات عبيد الله. وللعبد هنا معنًى مجازي أي مخلوق لله وليس رقًّا له. فكل إنسان حُر لا سيِّد له. ومع ذلك أكبر الكبائر الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور وشهادته.[٣٤٢] فالآخَر هو الآخَر سواء كان الله أو الإنسان أو الذات أو الحقيقة. فالتوحيد يؤدي إلى احترام الإنسان، واحترام الذات سواء كانت الذات الإنسانية أو تعويضها في الذات الإلهية. ومن يحترم الذات الإلهية من التدنيس يحترم الذات الإنسانية وحقوقها من الضياع. وإراقة دم الأبرياء

---

[٣٣٥] ج٨، ١٥٩.

[٣٣٦] «يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.» ج٩، ١٠٠.

[٣٣٧] ج٨، ١٢٥.

[٣٣٨] ج٨، ١٤٨–١٤٩.

[٣٣٩] «إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء ولا يقولنَّ أحدكم إن شئتَ فأعطني فإنَّ الله لا مُستكرِه له.» ج٨، ١٦٨.

[٣٤٠] ج٩، ٤٧، ٥٢.

[٣٤١] ج٨، ٧٤.

[٣٤٢] ج٩، ٢.

تُعادل الإلحاد في الحرم واتِّباع الجاهلية بعد الإسلام.[٣٤٣]الذات الإنسانية والذات الإلهية كلتاهما تشاركان في الحياة كوصفٍ وقصد. التوحيد يعصم الإنسان؛ فهو حق الإنسان الأول، وواجبه الحفاظ على الذات قيمةً واحدة سواء كانت الذات الإنسانية أم سموَّها في الذات الإلهية؛ ومن ثم لا يجوز قتل المُخالفين في الرأي ما داموا مُوحِّدين بالله. ولا يمكن لأحدٍ الحكم على إيمان الآخر. فلم يَشُقَّ عن قلبه، وليس تصوره لله مقياسًا لتصورات الآخرين.[٣٤٤] بل لا يجوز تسميتهم خوارج؛ فهو لفظ أتى بعد نهاية النبوَّة يدلُّ على توجيه رواية الحديث صحيحًا أم ضعيفًا أم موضوعًا توجيهًا سياسيًّا من السلطة ضد المُعارضة. وإذا كان القرآن قد أُنزِل على سبعة أحرف فلماذا حصرَه في حرفٍ واحد، هي الفرقة الناجية، فرقة السلطان؟ والدعاء للحفظ من الكُفر والطغيان كما دعت سارة امرأة إبراهيم أن يحفظها من الملك الطاغية بعد أن طلبها. فلمَّا دعت وتوضَّأت وصلَّت غطَّ في نومه.[٣٤٥]

لذلك يتحمَّل الإنسان ما يلاقيه من تعبٍ ونصَب في سبيل الله.[٣٤٦] فالله هو الغاية القصوى التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها. هو العلة الغائية أكثر منه العِلة الفاعلة. والجهاد في سبيل الله، والغزو في سبيل الله، والاستشهاد في سبيل الله، أي من أجل غاية نبيلة وليس من أجل مصلحةٍ شخصية أو بطولة فردية. والعذاب في سبيل الله لدرجة الشقِّ بالمنشار والتمشيط بالحديد حتى اللحم والعظم كما حدث للأنبياء، نماذج الشهداء.[٣٤٧] وهم قدوة جميع المؤمنين ونموذج لتحقق الإيمان في التاريخ. ويُعرض على الرسول غزاة الأمة يركبون البحر ملوكًا على الأسرَّة.[٣٤٨] وذلك تشجيعًا للفتح واستثارةً للهمم وتحقيقًا لرؤيةٍ مستقبلية بالنصر ووراثة القياصرة والأباطرة على كراسيهم. والقتل في سبيل الله تمنٍّ وشهادة، فيتمناها الإنسان أكثر من مرة.[٣٤٩] فالحياة عقيدة أو جهاد كما قال أحد

[٣٤٣] ج٩، ٤، ٦–٧، ١٧، ١٩.

[٣٤٤] ج٩، ٢١–٢٣.

[٣٤٥] ج٩، ٢٨.

[٣٤٦] ج٨، ٤٣.

[٣٤٧] ج٨، ٧٨.

[٣٤٨] ج٩، ٢٦.

[٣٤٩] ج٩، ٤٤.

المُصلحين المُعاصرين. من جاهد في سبيل الله دخل الجنة.[٣٥٠] بداية صادقة ومسار صادق ونهاية صادقة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا يكون في سبيل الله.[٣٥١] وهذا يعني الانتصار للحق والعدل، كلمة الله.

والإيمان أن يسير الإنسان من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه.[٣٥٢] فالتوحيد يُعطي الإنسان الثقة بالنفس دون أن يتخلى عن الحذر، ويُلقي بنفسه إلى التهلكة. والرسول أعلم الناس بالله وأشدُّهم خشية منه.[٣٥٣] الخوف على الخارج، والخشية في الداخل. الخوف على المُحيط الخارجي، والخشية في الشعور الداخلي. ومن السبعة الذين يظلهم الله رجل ذكَر الله ففاضت عيناه خشية.[٣٥٤] الخشية هي الوازع الداخلي والضمير الحي بلا رقيب خارجي أو خوف من عقاب. هي راحة الضمير في سكونه والرضا عن النفس. فإن قلَّ تحوَّل إلى خوفٍ من عقاب خارجي، نار جهنم. والموت استراحة الإنسان من تعَب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله.[٣٥٥] الرحمة هي السماحة والعفو والإنسانية والعفو والقبول والمحبة والتعاطف. قد يُعبَّر عنها بالصورة الفنية. فبعد أن خلق الله الخلق كتب في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة ووضع يدَه على عرشه أنَّ رحمته تغلب غضبه.[٣٥٦]

ويُرى الله، ولا شكَّ في رؤيته مثل رؤية الشمس دون سحاب، والقمر ليلة البدر. ويطلب الله إلى كلِّ من كان يعبد أحدًا سواه فليتبعه، كالشمس أو القمر أو الطاغوت. ويأتي المنافقين في صورةٍ أُخرى ويكشف لهم عن نفسه فيتبعونه إلى جسر جهنم به شوك السعدان. ثم يخرج منهم من بقي فيه آثار لسجودٍ ويُصبُّ عليهم ماء الحياة فيبعثون من جديد. ويستمرُّ الحوار مع الله في حديثٍ طويل.[٣٥٧] فمُنتهى النعيم رؤية

---

[٣٥٠] ج٩، ١٠٢.

[٣٥١] ج٩، ١٦٦.

[٣٥٢] ج٩، ٢٦.

[٣٥٣] ج٨، ٣١، ج٩، ١١٨، ١٢٠.

[٣٥٤] ج٨، ١٢٦.

[٣٥٥] ج٨، ١٣٣.

[٣٥٦] ج٩، ١٤٧، ١٥٣، ١٦٥، ١٩٦.

[٣٥٧] ج٨، ١٤٧–١٤٨.

الذات الإلهية من الذات الإنسانية، رؤية داخلية وليست رؤية موضوعية خارجية. ويتنوَّع الخيال وتتبدَّل الصور الفنية طبقًا للقُدرة على التشبيه البلاغي. ورؤية الله تصوير فني للقُرب والوصول والوصال. والطريق الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب في أوقات السحر، أي الانتقال من الليل إلى النهار حيث تنتقِل النفس من القديم إلى الجديد وتكون في حالة حركةٍ لا سكون.[٣٥٨]

وتتكرَّر صِيَغ التوحيد في كل صلاةٍ لتوحيد قوى الإنسان ودفعها نحو غايةٍ واحدة.[٣٥٩] تتوحَّد قواه الداخلية، الشعور والفكر، وقواه الخارجية، القول والعمل، ضدَّ كل مظاهر الازدواجية في السلوك، مثل النفاق والخوف والجبن واللامبالاة. ثم تتوحَّد قوى المجتمع وطبقاته الاجتماعية بلا تفاوُتٍ بين الطبقات، أغنياء وفقراء، شرفاء ووُضَعاء. ثم تتوحَّد القوى الإنسانية بين الدول. فلا مركز ولا أطراف، ولا بِيض ولا ملونَّين، سُود وسُمر وصُفر، ولا مُتقدِّمين ومُتخلفين، ولا شمال ولا جنوب، ولا غرب ولا شرق. فالتوحيد ليس مجرد عقيدة بل هو قيمة تتحقَّق على كل المستويات الفردية والاجتماعية والدولية.

(ب) العدل

والعدل كما هو لدى المعتزلة في أصولهم الخمسة هو الأصل الثاني بعد التوحيد، الأصل الأول. وفي الحقيقة هو الأصل الأول الذي على أساسه يتمُّ تصوُّر التوحيد. فما يحدُث في الواقع ينعكس في تصوُّر المثال. وقدرة الإنسان على الأرض هي التي تُحدِّد تصوُّره للسماء؛ فالعمل يسبق النظر، والفعل يسبق التصوُّر. وبناء على نجاح الإنسان وإحباطاته يتم تصوُّر مُثُله وتصوُّراته. وكما هو الحال في التحليل النفسي، كل مضمون الأحلام، عالم التمنيات، هو انعكاس لِما يحدُث في عالم اليقظة من إشباعات أو إخفاقات. فالدين هو حلم الإنسانية الطويل بعالَمٍ من الحق والعدل والمساواة، والفضيلة والخير والسلام.

والأخلاق هي هذا العالَم المتوسط بين الحلم والواقع، بين الدين والمجتمع، بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن. فالمَثل الأعلى هو تجريد أخلاقي لله. والله هو دفع المَثل

---

[٣٥٨] ج٦، ١٧٣.

[٣٥٩] «لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير. اللهم لا مانع لِما أعطيت، ولا مُعطيَ لِما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.» ج٩، ١١٨.

الأعلى درجةً نحو التشخيص والتسكين والتجسيم، ونقله من الذات إلى الموضوع، ومن الزمان إلى الخلود. الله هو المَثل الأعلى، النية الخالصة في مقابل نوايا الدنيا؛ ثروة أو سلطة أو جنس.[٣٦٠] الله هو مجموع القيم الأخلاقية.[٣٦١] هو مجموع المبادئ التي تُحدِّد سلوك الإنسان مع نفسه ومع الجماعة وإلا ظلَّ الإنسان خاضعًا لُمجرَّد الأعراف والعادات النسبية المُتغيِّرة. وأصبح بتعبير الفلاسفة كائنًا «لا أخلاقيًّا»، مجرد كائن اجتماعي تاريخي.

والله لا يقبل الصلاة بلا وضوء. وإذا كان الوضوء شرط صحَّة الصلاة فالله هنا رمزٌ للصحة والكمال.[٣٦٢] الله هنا رمز للفعل الأخلاقي الكامل الشروط. يُحال إليه لأنَّ المجتمع دينيٌّ ما زال يتكوَّن. لم يُصبح عقلانيًّا «علمانيًّا» بعدُ يدرك الأخلاق في ذاتها، والقيم في ذاتها. فالأخلاق الدينية تسبق الأخلاق الذاتية. الأولى تنبع من لبِّ العقيدة وهو الله لأن المجتمع صاحب رسالة جديدة. كل شيء يرتبط بها. يفسر كل شيء بالعلة البعيدة وليس بالعلل القريبة. يُرى كلُّ شيءٍ من منظور الأيديولوجيا الجديدة؛ الدين، وليس في ذاته مما يتطلَّب وقتًا طويلًا لتأسيس المجتمع المدني.

ومن القيم الأخلاقية التي أخذت ثوبًا دينيًّا التواضُع. فأسماء البشر عبيد لله، عبد الرحمن، عبد الرحيم، عبدالله.[٣٦٣] عبد الواحد، عبد الحي، عبد القادر، عبد السميع عبد السلام، عبد المؤمن، عبد القاهر، عبد الغفار، عبد القوي. وكلها خاضعة للذات والصفات والأفعال الإلهية التي تعلو كلَّ شيء، وكل شيء آخر خاضع لها. وأخسُّ الأسماء من تسمَّى بملك الملوك لأنه اسم من أسماء الله. وهي مجموع القِيم الأخلاقية الإرشادية المُطلقة للسلوك الإنساني. فسلوك الإنسان له سند من أسماء الله ليستمدَّ منها مثاليته وتعاليه.[٣٦٤]

ومن يتصبَّر يُصبِّره الله، تقوية للصبر.[٣٦٥] فالصبر فضيلة إنسانية. كثيرًا ما أبرزها الصوفية حتى أصبح أحد المقامات.[٣٦٦] فالله هنا يُمثل قوة إضافية على التشجيع على

---

[٣٦٠] ج٩، ٢٩.

[٣٦١] «ما من أحدٍ أغيَرُ من الله. من أجل ذلك حرَّم الفواحش.» ج٩، ١٤٧، ١٥١.

[٣٦٢] ج٩، ٢٩.

[٣٦٣] ج٨، ٥٢–٥٣.

[٣٦٤] ج٨، ٥٦.

[٣٦٥] ج٨، ١٢٤ «اتقي الله واصبري.» ج٩، ٨١.

[٣٦٦] من الفناء إلى البقاء، ج٢ الوعي الموضوعي.

الاستمرار في مُمارسة الفضيلة وعدَم التخلِّي عنها طالَما أنها ما زالت لم تُصبح قيمة ذاتية. فالأخلاق الدينية الإلهية مُقدِّمة للأخلاق الإنسانية الذاتية.

والكذب في الله صِدق، فالضرورات تُبيح المحظورات، فقد كذب إبراهيم على الملك وقال إنَّ سارة أخته وليست امرأته لإنقاذها من رغبات الملك.[٣٦٧] فالإنسان هو الأولى. فبالرغم من أنَّ القيمة مُطلقة مثل الصدق إلا أنها تتراجَع لقيمةٍ أخرى أعلى منها مثل الكرامة، طبقًا لسُلَّم القِيَم، وتنازل الأدنى للأعلى أو الأعلى للأدنى في حالة الخطر، إنقاذًا لمقاصد الشريعة. وهو ما سُمِّي في ثقافاتٍ أُخرى الغايات تُبرِّر الوسائل. وهو ما يُقِرُّه الواقع والطبيعة والتلقائية. فالمَثل الأعلى ليس صوريًّا جامدًا بل يرعى حياة الناس. هو مثل أعلى مُستمد من الواقع ومُستقرأ منه.

وفي نفس المعنى تكون الدعوة إلى اليُسر والتيسير عن طريق اللجوء إلى «الله» كوسيلة للإقناع مثل «من شاقَّ شقَّ الله عليه.»[٣٦٨] وفي صياغةٍ أُخرى قد يُضاف يوم القيامة لمزيدٍ من الإقناع. فالله ليس كما هو في ذهن المحافظين المُتشدِّدين يُضحِّي بالبشر وبالحياة في سبيل إرادته ومشيئته، بل الغاية هي المحافظة على حياة الناس. الله غني عن العالمين. والإنسان في حاجة إليه كمَثلٍ أعلى. والدين ليس مشقَّة. الدين يُسر وليس عسرًا. والله رحمة للعالمين وليس شقاءً لهم. يُحب الرفق في الأمور وليس التشديد فيها.[٣٦٩]

والله هو السلام؛ لذلك يُقال في آخر الصلاة في التشهُّد «التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.» فيُصيب كل عبد صالح في السماء والأرض التشهُّد.[٣٧٠] وللحديث صياغات وضعية أُخرى دون إدخال الله. هو السلام مع النفس وعيش حياة الرضا، والسلام مع الآخر وعيش حياة الوفاق، والسلام مع العالَم وعيش حياة الانسجام على عكس التصوُّر الشعبي أنَّ الدين حياة الصراع مع النفس بالزجْر ومع الآخرين بالمنع ومع العالَم بالتحريم. الجهاد فقط في حالة العدوان والدفاع الشرعي الطبيعي عن النفس. لا يبدأ

---

[٣٦٧] ج٩، ٢٨.

[٣٦٨] «من سمَّع سمَّع به الله يوم القيامة.» «من يُشاقِق يَشق الله عليه يوم القيامة.» ج٩، ٨٠.

[٣٦٩] ج٨، ١٤.

[٣٧٠] ج٨، ٦٤–٦٥، ٧٣، ٨٩.

الإسلام بالعدوان على أحدٍ بل يدعو بالحِكمة والمَوعظة الحسنة ويُجادل بالتي هي أحسن ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

وبالإضافة إلى القِيَم الفردية، هناك أيضًا القِيَم الاجتماعية. فالإسلام دين اجتماعي. الترغيب لزيادة الرزق والولد لصِلة الرحم.[٣٧١] «تكاثَروا تناسَلوا فإني مُباهٍ بكم الأُمَم يوم القيامة.» والإسلام هو المسلمون. والمُسلمون أمة. تكويناتهم الأولى جماعية؛ المهاجرون والأنصار. ونشأ في بيئة جماعية، القبائل والعشائر. ودخل غزوات دفاعًا عن النفس. وأقام حروبًا لتحرير مُستعمرات الفُرس والروم على أطراف شبه الجزيرة العربية. وإذا كان لكلِّ أمةٍ شهيد فإن الرسول شهيد على الأُمَم ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. والمال والبنون زينة الحياة الدنيا. وأول تجمعٍ الوالدان. بعد عبادة الله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

والحرام من الله وليس فقط من الطبيعة. فقد حرَّم الله الدماء والأموال الأعراض، تأكيدًا على يقين الحُرمة وليس فقط ظنيَّتها.[٣٧٢] فحُرمة الطبيعة قد يختلف فيها الناس طبقًا لاختلاف الطبائع؛ لذلك لزمت وحدة الشرائع من وحدة الألوهية. يقين الطبيعة يقين أول، ويقين الله يقينٌ ثانٍ لتأكيد اليقين الأول وإعطائها مزيدًا من اليقين. ولتصحيح الطبيعة إذا ما تحوَّلت إلى ظنٍّ نظرًا لتعدُّدها واختلافها. في الأصل هي حلال لأنَّ الطبيعة خيِّرة. والاستثناء سُوء فهم أو تأويل الإنسان لها أو عدم إدراك أبعادها.[٣٧٣]

وتُستعمَل العقائد كأسُسٍ للأخلاق مثل «لا يؤمن من لا يأمن الجار بوائقه.» و«من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤذي جاره.» و«يكرم ضيفه ويقُل خيرًا أو ليصمت.» وكل معروف صدقة، وكل إمساك عن الشر صدقة، والكلمة الطيبة صدقة. والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا.[٣٧٤] هنا يُصبح الآخر هو الله، الله هو الآخر. والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. فالأولوية للآخر الإنساني. والآخر الإلهي ما هو إلا تعويض عن الآخر الإنساني في حالة غيابه. الأُفقي أولًا، فإذا غاب نشأ الرأسي كما حدَثَ

---

[٣٧١] ج٨، ٦.

[٣٧٢] ج٨، ١٨.

[٣٧٣] من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص٥٧٤–٥٧٥.

[٣٧٤] ج٨، ١٢–١٤.

في التصوُّف.[٣٧٥] من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليصمت.[٣٧٦] وفي صياغات أخرى يُضاف: وليكرم ضيفَه وليصِلْ رحمه. فالله هو الآخر الرأسي، والآخر هو الله الأفقي.

والله لا يُكلِّم يوم القيامة ولا يُزكي ويَعِدُ بالعذاب الأليم لمن يمنع أحدًا من فضل ماءٍ بالطريق، ومن يُبايع الإمام للدنيا، ومن باع وحلف بالثمن كذبًا.[٣٧٧] فالماء حياة البدوي في الصحراء. ومُبايعة الإمام على الدنيا وليس على الحق خيانة للأمانة، ونبذ للشهادة، وطمَع في مغانم الدنيا. ومن كذب في التجارة فقد غشَّ أخاه. فالظاهر أن الدين أساس الأخلاق. وفي الواقع الأخلاق أساس الدين في حالة عدَم تحقُّقها. الدين أساس الأخلاق في الثقافة الشعبية والأخلاق أساس الدين في الثقافة العامة.

والترحُّم بالله على إنسانٍ للعزاء. فالفقد يُلجئ إلى الوجد كما هو الحال عند الصوفية. الدين تعويض عن الدنيا، والخلود بديل نفسي عن الزمان. وفي العزاء الشعبي إما أن يكون باقي الزمان في حياة قريب المُتوفَّى «الباقية في حياتك.» أو في الرحمة الإلهية «الله يرحمه.»[٣٧٨]

جعل الله الإخوان تحت أيدي المُسلمين يُطعمونهم ويُلبسونهم ولا يُكلفونهم من العمل ما لا يُطيقون أو يُعينونهم عليه.[٣٧٩] وهو معنى حديث «الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.» وللحديث صِيَغ أخرى مثل «وكونوا عباد الله إخوانًا.» فالوجود الإسلامي وجود جماعي. الفرد للجماعة، والجماعة للفرد ويَدُ الله مع الجماعة.

والمسلم أخو المسلم لا يظلمه. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.[٣٨٠] ويموت عبد الله وهو آخِذ بالعروة الوُثقى. وفي المنام الروضة روضة الإسلام. والعموم عدو الإسلام، والعروة الوثقى التمسُّك بالإسلام.[٣٨١] وسباب المُسلم فسوق، وقتاله كفر.[٣٨٢] وهي قيمة

[٣٧٥] من الفناء إلى البقاء، ج٢، الوعي الموضوعي.

[٣٧٦] ج٨، ٣٩–٤٠.

[٣٧٧] ج٩، ٩٩.

[٣٧٨] ج٨، ٤٣.

[٣٧٩] ج٨، ١٩، ٢٣، ٢٥.

[٣٨٠] ج٩، ٢٨.

[٣٨١] ج٩، ٤٦–٤٧.

[٣٨٢] ج٨، ١٨–١٩.

احترام الآخر. فالمُسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده. الإسلام حُرمة بين المسلمين احترامًا للأخوة في الدين أي الترابُط الاجتماعي. لا يُهان ولا يُعتدى عليه. ومن ثَمَّ كل ما يقع بين المسلمين من شجار، وكل ما يقع بين المواطنين من عُنفٍ وتكفير أو بين المحكوم والحاكم من عنفٍ مُتبادل خارج عن الأخوة الإسلامية.

وقد يكون الترغيب في صلة الرحم عن طريق حديث الله مع خلقِه بعد الخلق. فقد سألت الأرحام عن مَقام العائذ به من القطيعة فأخبرَها الله أنه يصِل مَن وصلها، ويقطع من قطعها.[٣٨٣] وللحديث صِيَغ أخرى بنفس الصورة، حديث الرحمن للأرحام. وقد تأتي صورة أخرى بأنَّ الله وليٌّ من يصِل الأرحام. والصورة بليغة ومؤثرة «صِلة الرحِم» منذ الميلاد، وربط المواليد. وقد يكون الترغيب بحديث الله عن الساعي على الأرملة والمسكين كالمُجاهد في سبيل الله.[٣٨٤] فالجهاد من أجل إعطاء الحياة للآخرين مثل الجهاد لنَيل الشهادة للذات. وقد يكون فعل الله بالتصوير والحكاية برَجُلٍ اشتدَّ عليه العطش فنزل بئرًا وشرِب ثم نزل مرةً أخرى لريِّ كلب عطش بخفِّه فغفر الله له.[٣٨٥] فللإنسان في كل كبدٍ رطبة أجر. الحياة حياة، لا فرق بين نبات أو حيوان أو إنسان. فالحفاظ على الزرع الأخضر مثل الحفاظ على حياة الحيوان أو الإنسان. وإن أشرَّ الناس عند الله يوم القيامة من ترَكَه الناس اتِّقاء شره.[٣٨٦]

ولَمَّا كان الإسلام جماعة، والمسلمون أمَّة، فإن أبغض الناس إلى الله الألد الخصيم.[٣٨٧] الخصومة لا تكون إلا في الله، أي خصومة على المبادئ والقِيَم الخلقية وليست الخصومة الشخصية بناء على الأهواء والانفعالات البشرية. الإسلام صُلح بين الأخوين وبين الطائفتَين. المُصالحة توحيد، والخصومة تفريق. وقد طلب الرسول من عائشة الرفق في التعامُل مع الناس حتى مع الأعداء، لأنَّ الله يُحب الرفق.[٣٨٨] والجدال بالتي هي أحسن تُحيل الخصيم إلى ولي، والعدو إلى صديق ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

---

[٣٨٣] ج٨، ٦–٧، ج٩، ١٧٧.
[٣٨٤] ج٨، ١٠–١١.
[٣٨٥] ج٩، ١٧٧.
[٣٨٦] ج٨، ١٦.
[٣٨٧] ج٩، ٩١.
[٣٨٨] ج٨، ٧١.

والمدح تملُّق ومُداهنة. ومن يمدح فكأنما يقطع عُنق الممدوح. وإن كان لا بدَّ فيكون ظنًّا وحسبانًا. ولا يُزكِّي على الله أحدًا.[٣٨٩] والذم اغتياب ونقص في المواجهة. وكلاهما ليس من خُلق المسلم. ومن يرائي يُرائي الله به.[٣٩٠] وأحيانًا تأتي أحاديث مُضادَّة مثل حُب الله للمدح إذا كان اعترافًا بحسنات الغير وتشجيعًا عليها.[٣٩١] ومع ذلك فالأخذ بالأحوط أفضل ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ فالمُداهنة كذِب. والمُكذِّب لا يُطاع ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

وتضم الأخلاق مجموعةً من الآداب العامة البديهية. الله مرآة لها. في الصلاة يكون الإنسان أمام وجه الله فلا يتنخَّم.[٣٩٢] وكذلك إذا كان أمام وجه الآخرين احترامًا لكرامة الوجه الذي يرمُز إلى وجود الآخر. والله يُحب العطاس، ويكرَه التثاؤب. إذا عطس أحد يحمد الله، وعلى كل مُسلم أن يُشمِّته.[٣٩٣] قد يكون العطاس دليلًا على النشاط الزائد أو إثباتًا للوجود، في حين أن التثاؤب مَلل من وجود الآخر، ورغبة في النوم. فالأخلاق ليست فقط معايير لأفعال الجوارح بل هي أيضًا لحركات الجسد الإرادية واللاإرادية. فالجسد لغة، تعبير وإشارة. وكما هو الحال عند بعض الفلاسفة المُعاصرين في الغرب. استعملها الرسول بيدَيه ورأسه.

وأخيرًا، قد تكون الغاية «من نقد السند إلى نقد المتن» بعد اكتشاف عِلم أصول الدين في بطن عِلم الحديث هو العودة بالتوحيد إلى فاعلية في الفرد والجماعة وإلى حركةٍ في التاريخ وتحريره من تدوين الحديث ونِسبته إلى الرسول، والعودة بأصول الدين إلى مبادئ الأخلاق، ومن النظر إلى العمل، من الاعتقاد إلى السلوك. فصيغة التوحيد الأولى «أشهد أن لا إله إلا الله» تتضمَّن ثلاثة أفعال للشعور: الأول فعل «أشهد» أي أرى وأسمع وأتكلَّم وأعبر عن كل ما يَحدُث حولي دون خوفٍ أو وجَل أو نفاق أو كذِب على نقيض الحِكمة الصينية الشهيرة «لا أرى، لا أسمع، لا أتكلَّم». وفعل نفي «لا إله» تحرير الشعور من كل الآلهة المُزيفة لكل عصر، الجاه، الثروة، السلطة، الشهرة، المرأة. وفعل إثبات عن

[٣٨٩] ج٨، ٢٢، ٤٧.

[٣٩٠] «مَن سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يرائي الله به.» ج٨، ١٣٠.

[٣٩١] «وما أحدٌ أحبُّ إليه المدح من الله.» ج٩، ١٤٧، ١٥١.

[٣٩٢] ج٨، ٣٣–٣٤.

[٣٩٣] ج٨، ٦١–٦٢.

طريق الاستثناء «إلا الله» أي الله الواحد الحق العدل الذي يتساوى أمامه الجميع.[٣٩٤] فالتأليه هنا تحرير لا يحتاج إلى قتالٍ فِعلي بل إلى جهدٍ شعوري. وهو ما سُمِّي «جهاد النفس» دون الإقلال من «الجهاد الأكبر». جهاد النفس في الداخل والجهاد الأكبر في الخارج. الأول ضدَّ القهر الداخلي، والثاني ضد التسلُّط الخارجي.[٣٩٥]

وإذا كان «نقد السند» عند القدماء قد ربط عِلم الحديث بعلم التاريخ فإن «نقد المتن» عند المُحدثين يربط الحديث بالعلوم الإنسانية؛ النفس والأخلاق والاجتماع والفلسفة، من أجل معرفة مدى تطابُقه مع العقل ومع الواقع، وهما الركيزتان الرئيسيتان للوحي، وبالتالي تظهر وحدة الوحي والعقل والطبيعة التي وراء نشأة العلوم الإسلامية كلها، النقلية التي بدأت بالنقل، والعقلية التي بدأت بالعقل، والنقلية العقلية التي جمعت بين الاثنين.[٣٩٦]

---

[٣٩٤] «ماذا تعني لا إله إلا الله»، الدين والثورة في مصر، ج٧ اليمين واليسار في الفكر الديني، ص١٤٧–١٦٢.

[٣٩٥] «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قال لا إله إلا الله عصَم منِّي ماله ونفسه إلا بحقِّه وحسابه على الله.» ج٥، ١١٥، ١٣٨.

[٣٩٦] الوحي والعقل والطبيعة، قراءة في كتاب القانون في الطب لابن سينا، حصار الزمن ج٣، ٥٣٩–٥٨٥.

المصادر والمراجع

أولًا: فضل علم الحديث

(١) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): رسالة مختصر نصيحة أهل الحديث، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٢) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): رسالة الرحلة في طلب الحديث، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ثانيًا: الإصحاحات والسُّنن

(١) الأوزاعي (الإمام عبد الرحمن بن عمرو أبي عمرو) (١٥٧هـ): سُنن الأوزاعي «أحاديث وآثار وفتاوى»، تصنيف الشيخ مروان محمد الشقار، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) الدارمي (الإمام أبو محمد عبد الله بن بهرام) (٢٥٥هـ): سُنن الدارمي، الطبعة الثانية، في جزأين، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

(٣) البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي) (٢٥٦هـ): صحيح البخاري، ستة أجزاء في مجلدين، صورة التقرير الذي كتبه عليها العلَّامة الشيخ حسُّونة النواوي، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٤٥هـ.

(٤) مسلم (الإمام أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) (٢٦١هـ): صحيح مسلم المُسمَّى الجامع الصحيح، منقولة من تاريخ ابن خلِّكان، في مجلدين، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٤٨هـ.

(٥) أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني) (٢٧٥هـ): سُنن أبي داود، تعليق الشيخ أحمد سعد علي، في جزأين، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

(٦) أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني) (٢٧٥هـ): سُنن أبي داود، حَكَم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

(٧) ابن ماجه (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) (٢٧٥هـ): سُنن ابن ماجه، حقَّق نصوصه ورقَّم كتبه وأبوابه وعلَّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، في جزأين، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٨) ابن ماجه (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) (٢٧٥هـ): سُنن الترمذي الجامع الصحيح، حقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه، ورقَّمه خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩) النسائي (الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (٣٠٣هـ): السُّنن الكبرى، قدَّم له واعتنى به وخرَّج أحاديثه أبو أنس جاد الله بن حسن الخدَّاش، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، الدار العثمانية، عمان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٠) ابن حبَّان (الإمام أبو حاتم محمد الخرساني) (٣٥٤هـ): الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الإمام الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفاسي (٧٣٩هـ)، حقَّق أصوله الشيخ خليل بن مأمون شيحا، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(١١) سُنن الدارقطني، الطبعة الرابعة، في أربعة أجزاء، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(١٢) البيهقي (الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) (٤٥٨هـ): السُّنن الصغرى، حقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه خليل مأمون شيحا، في جزأين، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٣) ابن القيم (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي) (٧٥١هـ): تهذيب السُّنن، حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه إسماعيل بن غازي مرحبا، الطبعة الأولى، في خمسة أجزاء، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٤) حسونة (الشيخ عبد القادر عرفان العشا): الأحاديث القدسية مع شرحها، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

ثالثًا: المسانيد والجوامع

(١) زيد بن علي (الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) (١٢٢هـ): مُسند الإمام زيد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

(٢) أبو حنيفة (الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي) (١٥٠هـ): مُسند أبي حنيفة، رواية أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث الحارثي (٣٤٠هـ)، حقَّقه وضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه أبو محمد الأسيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٣) مالك (الإمام مالك بن أنس الأصبحي) (١٧٩هـ): موطأ الإمام مالك رواية ابن يحيى الليثي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) مالك (الإمام مالك بن أنس الأصبحي) (١٧٩هـ): المدوَّنة الكبرى، رواها سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي، في ستة مجلدات، دار صادر، بيروت، ١٣٢٣هـ.

(٥) الطيالسي (أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود) (٢٠٤هـ): مُسند أبي داود الطيالسي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، في ثلاثة مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٦) الحميدي (الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن الزبير) (٢١٩هـ): المُسند، حقَّق أصوله وعلَّق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، في مجلدَين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٧) ابن الجعد (الحافظ الثبت أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري) (٢٣٠هـ): مُسند ابن الجعد، رواية وجمع الحافظ الثقة الكبير أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي (٣١٧هـ)، مراجعة وتعليق وفهرسة الشيخ عامر أحمد حيدر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٨) إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ): حديث عبد الله بن عباس، خرج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الله عمر بن بسام بن الصادق، راجعه وأشرف عليه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان، ٢٠٠٨م.

(٩) ابن حنبل (الإمام أحمد بن حنبل) (٢٤١هـ): المُسند، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، حمزة أحمد الزين، في عشرين مجلدًا، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(١٠) الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) (٢٧٩هـ): الجامع الكبير، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه بشَّار عواد معروف، الطبعة الثانية، في ستة مجلدات، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

(١١) الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) (٢٧٩هـ): نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، دار صادر، بيروت، (د.ت).

(١٢) الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) (٢٧٩هـ): مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول، دار صادر، بيروت، (د.ت).

(١٣) ابن حرب العسكري (الإمام المُحدِّث أبو إسحاق إبراهيم السمسار) (٢٨٢هـ): مُسند أبي هريرة، تقديم وتحقيق وتخريج عامر حسن صبري، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٤) الروياني (الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن هارون الروياني الرازي الآملي الطبري) (٣٠٧هـ): مُسند الصحابة المعروف بمُسند الروياني: خرَّج أحاديثه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، جزءان في مجلدٍ واحد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١٥) السَّراج (أبو العباس محمد بن إسحاق) (٣١٣هـ): مُسند السراج، للإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي محمد بن عبد الواحد (٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(١٦) أبو عَوَانة (الإمام أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني النيسابوري) (٣١٦هـ): مُسند أبي عوانة المُسمَّى المُسند الصحيح المُخرَّج على صحيح مسلم، ضبطه وخرَّج أحاديثه أبو علي النظيف، في أربعة مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٧) ابن الشرقي (الإمام الحافظ أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري) (٣٢٥هـ): أحاديث من المُسند الصحيح، تقديم وتحقيق وتخريج عامر حسن صبري، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٨) الأصبهاني (الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن منده) (٣٩٥هـ): مُسند الإمام الزاهد إبراهيم بن أدهم، دراسة وتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(١٩) ابن الجوزي (الواعظ البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الحنبلي) (٥٩٧هـ): جامع المسانيد، تحقيق علي حسين البواب، الطبعة الأولى، في ثمانية أجزاء، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢٠) ابن كثير (الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي) (٧٧٤هـ): جامع المسانيد والسُّنن الهادي لأقوم سنن، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه عبد المُعطي قلعجي، الطبعة الثانية، في ثمانية عشر مجلدًا (٣٧ جزءًا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢١) ابن المُلقن (الحافظ سراج الدين عمرو بن علي) (٨٠٤هـ): تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج، تحقيق وتعليق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٢٢) ابن حجر العسقلاني (الشيخ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني) (٨٥٢هـ): مُسند عائشة من المسند المُعتلي بأطراف المُسند الحنبلي، حقَّقه وخرَّج أحاديثه أبو مُطيع عطاء الله بن عبد الغفار كوريجو السندي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٢٣) الكيلاني (الشيخ عبد الرازق بن عبد القادر): الأربعون الكيلانية، علَّق عليها زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.

رابعًا: المجموعات الجزئية

(١) البيهقي (الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) (٤٥٨هـ): فضائل الأوقات، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) الثقفي (الشيخ أحمد بن الزبير) (٧٥٦هـ): كتاب تعيين الأوان والمكان للنصر الموعود به آخِر الزمان، حقَّقه وضبطه وقدَّم له وعلَّق عليه محمد بن شريفة، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.

خامسًا: الرواية

(١) الشيباني (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد) (٢٨٧هـ): الآحاد والمثاني، قرأه وعلَّق عليه يحيى مراد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) النَّسَائي (الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (٣٠٣هـ): مجموعة رسائل (تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم، الطبقات، تسمية من لم يَروِ عنه غير رجل واحد)، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٣) ابن حماد العقيلي (الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى) (٣٢٢هـ): كتاب الضعفاء، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٤) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): الكفاية في عِلم الرواية، علَّق عليه ووضع أحاديثه الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٥) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، الطبعة الأولى، في جزأين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٢٤٨هـ/٢٠٠٧م.

(٦) ابن عليٍّ المقدسي (الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر) (٥٠٧هـ): أطراف الغرائب والأفراد على كتاب الأفراد للدارقطني (٣٨٥هـ)، نسخَه وصحَّحه جابر بن عبد الله السريع، الطبعة الأولى، في جزأين، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٧) ابن الجوزي (الواعظ البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) (٥٩٧هـ): كتاب الضعفاء والمتروكين، حقَّقه أبو الفدا عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، في ثلاثة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

(٨) ابن باطيش (إسماعيل بن أبي البركات هبة الله) (٦٥٥هـ): التمييز والفَصْل بين المُتَّفِق في الخط والنقط والشكل، تحقيق عبد الحفيظ منصور، في جزأين، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

(٩) ابن العاقولي (أبو المكارم غيَّاث الدين محمد بن محمد عبد الله بن محمد الواسطي البغدادي الشافعي) (٧٩٧هـ): الرَّصف لِما رُوي عن النبي من الفعل والوصف، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، في جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١٠) ابن العاقولي (أبو المكارم غيَّاث الدين محمد بن محمد عبد الله بن محمد الواسطي البغدادي الشافعي) (٧٩٧هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١١) سنبل المكي (العلامة الفقيد محمد سعيد) (١١٧٥هـ): الأوائل السُّنبلية وذيلها، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، اعتنى بإخراجها سلمان عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ.

(١٢) اللكنوي الهندي (الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي) (١٣٠٤هـ): الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، الطبعة الخامسة، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٣) أبو غدة (عبد الفتاح) (١٤١٧هـ): التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة، الطبعة الخامسة، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٤) الفاداني المكي (العلامة الفقيه محمد يس) (١٤١٢هـ): العُجالة المكية في أسانيد الشيخ محمد سعيد سنبل إلى مؤلفي الكتب الحديثية المذكورة في أوائل السُّنبلية، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، اعتنى بإخراجها سلمان عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ.

(١٥) باشنفر (سعيد بن عبد القادر): كشف اللثام عن الأحاديث الضعيفة في الأحكام المعمول بها عند الأئمة الأعلام، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٦) أبو الفيض الكتاني (مولانا جعفر الحسني الإدريسي): نظم المُتناثر من الحديث المُتواتِر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(١٧) ابن عزيز (محمد): الحسرات فيمن رحل للسماع على مُحدِّث فوجدَه قد مات، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

سادسًا: علم مصطلح الحديث

(١) أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني) (٢٧٥هـ): رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سُننه، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢) النيسابوري (الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ) (٤٠٥هـ): معرفة علوم الحديث، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيد مُعظم حسين، مكتبة المُتنبي، القاهرة، (د، ت).

(٣) المقري (أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني) (٤٤٤هـ): بهجة المنتفع (شرح جزء في علوم الحديث في بيان المُتصل والمرسَل والموقوف والمُنقطع)، تصنيف أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، الطبعة الأولى، الدار الأثرية، عمان، ١٤٢٨هـ.

(٤) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): رسالة الإجازة للمعدوم والمجهول، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٥) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): الفصل للوصل المُدرَج في النقل، دراسة وتحقيق محمد بن مطر الزهراني، الطبعة الأولى، في جزأين، دار الهجرة، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٦) ابن علي المقدسي (الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر) (٥٠٧هـ): رسالة في شروط الأئمة الستة، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٧) ابن موسى الحازمي (الحافظ أبو بكر محمد) (٥٨٤هـ): رسالة في شروط الأئمة الخمسة، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨) ابن الصلاح (الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري) (٦٤٢هـ): مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٩) ابن النفيس (علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي) (٦٨٧هـ): المُختصر في علم أصول الحديث النبوي، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٠) ابن دقيق العيد (تقي الدين محمد بن علي) (٧٠٢هـ): الاقتراح في بيان الاصطلاح، دراسة وتحقيق قحطان عبد الرحمن الدوري، الطبعة الأولى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م.

(١١) ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد) (٧٢٨هـ): علم الحديث، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(١٢) الجعبري (برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر) (٧٣٢هـ): رسوم التحديث في علوم الحديث، تحقيق ودراسة إبراهيم بن شريف الميلي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(١٣) التبريزي (أبو الحسن علي بن أبي محمد الأردبيلي) (٧٤٦هـ): الكافي في علوم الحديث، قرأه وشرحه، وخرَّج أحاديثه ووثَّق نصوصه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الدار الأثرية، عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(١٤) الذهبي (الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد) (٧٤٨م): الموقظة في علم مصطلح الحديث، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السادسة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٥) الذهبي (الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد) (٧٤٨م): خمس تتمَّات في أبحاث حديثية هامة، اعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة السادسة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٦) ابن كَيكَلدي (الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل العلائي) (٧٦١هـ): جامع التحصيل في أحكام المراسيل، حقَّقه وقدَّم له وخرَّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(١٧) الأبناسي الشافعي (العلامة بُرهان الدين إبراهيم بن موسى بن أيوب) (٨٠٢هـ): الشذا الفيَّاح من علوم ابن الصلاح، حقَّقه أبو عبد الله محمد علي سمك، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(١٨) البلقيني الشافعي (الإمام سراج الدين عمر بن رسلان) (٨٠٥هـ): محاسن الاصطلاح في تضمين ابن الصلاح، وضع حواشيه خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(١٩) ابن قنفذ القسنطيني (العلامة أبو العباس بن حسن بن الخطيب) (٨١٠هـ): شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق عبد العزيز دخان، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢٠) السيد الشريف (العلامة علي بن محمد بن علي الجرجاني) (٨١٦هـ): فن أصول مصطلح الحديث، تحقيق ودراسة أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢١) الوزير (عز الدين محمد بن إبراهيم الزيدي الحسني اليمني) (٨٤٠هـ): تنقيح الأنظار في معرفة علوم الآثار، حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه محمد صبحي بن حسن حلاق، وعامر حسين، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢٢) ابن الحنبلي (العلامة رضي الدين محمد بن إبراهيم الحنفي) (٩٧١هـ): قفو الأثر في صفوف علوم الأثر، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٢٣) الزبيدي (الإمام الحافظ محمد مرتضى الحسيني) (١٢٠٥هـ): بُلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٢٤) الصَّبَّان (أبو العرفان محمد بن علي) (ق١٣هـ): منظومة الصَّبَّان في علم مصطلح الحديث، تصحيح وشرح الشيخ كامل محمد محمد عويضة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢٥) القاسمي (الشيخ محمد جمال الدين الدمشقي) (ق ١٤هـ): قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢٦) التهانوي (العلامة الفقيه ظفر أحمد العثماني) (ق ١٤هـ): قواعد في علوم الحديث، حقَّقه وراجع نصوصه وعلَّق عليه عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السادسة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢٧) حسن البنا (١٩٤٩م): الإيضاح لمباحث الاصطلاح، جمعها واعتنى بها ماجد الدرويش، قدَّم لها فتحي يكن، الطبعة الأولى، دار الإمام أبي حنيفة، طرابلس، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

سابعًا: الجرح والتعديل

(١) ابن معين (أبو زكريا يحيى) (٢٣٣هـ): العلل ومعرفة الرجال، تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج نصوصه أبو عبد الهادي محمد مجفان الجزائري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) ابن حنبل (الإمام أحمد بن حنبل) (٢٤١هـ): رسالة في سؤالات حول الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٣) أبو جعفر (محمد بن عثمان بن أبي شيبة) (٢٩٧هـ): رسالة في مسائل أبي جعفر عن شيوخه في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٤) الدارقطني (الإمام الحافظ علي بن عمر) (٣٨٥هـ): كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٥) المنذري المصري (الحافظ أبو محمد عبد العظيم) (٦٥٦هـ): جواب الحافظ المصري عن أسئلة الجرح والتعديل، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة الثانية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ.

(٦) الذهبي (الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد) (٧٤٨هـ): رسالة ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السابعة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٧) السبكي (الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي) (٧٧١هـ): رسالة قاعدة في الجرح والتعديل، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السابعة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٨) السبكي (الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي) (٧٧١هـ): رسالة قاعدة في المؤرخين، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السابعة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩) السخاوي (الحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن) (٩٠٢هـ): رسالة المُتكلمين في الرجال، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السابعة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٠) اللكنوي الهندي (الإمام أبو الحسنات محمد عبد الحي) (١٣٠٤هـ): الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، حقَّقه وخرَّج نصوصه وعلَّق عليه عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، الطبعة السابعة، دار السلام، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(١١) البخاري ومسلم وعشرة آخرون: الجامع في الجرح والتعديل، جمع وترتيب السيد أبي المعاطي النوري، أحمد عبد الرزاق عيد، حسن عبد المنعم شلبي، محمود محمد خليل الصعيدي، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، عالَم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ثامنًا: أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

(١) ابن شاهين البغدادي (أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد) (٣٨٥هـ): ناسخ الحديث ومنسوخه، دراسة وتحقيق كريمة بنت علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) الهمذاني (الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازمي) (٥٨٤هـ): الاعتبار في الناسخ والمنسوخ في الحديث، دراسة وتحقيق أحمد طنطاوي جوهري مُسدد، الطبعة الأولى، في جزأين، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) ابن الجوزي (الواعظ البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) (٥٩٧هـ): إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق أحمد بن عبد الله الغماري الزهراني، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): اللُّمَع في أسباب الحديث، حقَّقه وخرَّج أحاديثه غيَّاث عبد اللطيف دحدوح، مراجعة نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٥) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): أسباب ورود الحديث «اللُّمَع في أسباب الحديث»، تحقيق يحيى إسماعيل أحمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٦) ابن حمزة الحسيني (الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الحنفي) (١١٢٠هـ): البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٧) ابن حمزة الحسيني (الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الحنفي) (١١٢٠هـ): البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، حقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨) ابن إسماعيل النابلسي (الشيخ الإمام عبد الغني) (١١٤٣هـ): ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحدث، خرَّج أحاديثه عبد الله محمود محمد عمر، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

تاسعًا: المُختلف والمُشكِل

(١) الشافعي (محمد بن إدريس) (٢٠٤هـ): اختلاف الحديث، برواية الربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) الشافعي (محمد بن إدريس) (٢٠٤هـ): اختلاف الحديث، برواية الربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

(٣) ابن قتيبة (الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم) (٢٧٦هـ): تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد مُحيي الدين الأصفر، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٤) ابن فورك (الإمام الحافظ أبو بكر) (٤٠٦هـ): مشاكل الحديث وبيانه، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، الطبعة الثانية، عالَم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥) الأزدي المصري (الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد) (٤٠٩هـ): المؤتلِف والمختلف في أسماء نقَلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، حقَّقه وعلَّق عليه مُثنَّى محمد حميد الشمري وقيس عبد إسماعيل التميمي، أشرف عليه وراجعه بشَّار عواد معروف، الطبعة الأولى، في جزأين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٦) الخطيب البغدادي (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي) (٤٦٣هـ): غُنية المُلتمس إيضاح المُلتبس، حقَّقه وعلَّق عليه يحيى بن عبد الله البكري الشهري، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧) الجياني (الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني) (٤٩٨هـ): تقييد المُهمل وتمييز المُشكل، اعتنى به علي بن محمد العمران ومحمد عزير شمس، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، دار عالم الفوائد، السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

عاشرًا: المشهور والغريب

(١) الهروي (أبو عبيد القاسم بن سلام) (٢٢٤): غريب الحديث، الطبعة الثانية، في مُجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة) (٢٧٦هـ): غريب الحديث، صنع فهارسه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، في جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٣) أبو نصر الحميدي (الإمام أبو عبد الله محمد) (٤٨٨هـ): تفسير غريب ما في الصحيحين، قرأه واعتنى به يحيى مراد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٤) إلكيا (أبو شجاع شيرويه بن شيرويه الديلمي الهمذاني) (٥٠٩هـ): الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، في ستة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٥) الزمخشري (العلامة جار الله محمود بن عمر) (٥٨٣هـ): الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، في أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٦) ابن الجوزي (الواعظ البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) (٥٩٧هـ): غريب الحديث، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه عبد المُعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، في مُجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٧) ابن الأثير (الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري) (٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة الثانية، في خمسة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨) ابن الأثير (الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري) (٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه وقدَّم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الرابعة، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٧هـ.

(٩) ابن القسطلاني (٦٨٦هـ): الإفصاح عن المعجم من إيضاح الغامض والمُبهم، تحقيق وتخريج محمود مغراوي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(١٠) ابن العاقولي (أبو المكارم غيَّاث الدين محمد بن محمد عبد الله بن محمد الواسطي البغدادي الشافعي) (٧٩٧هـ): غريب الرصف، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١١) الصالحي (العلامة محمد بن طولون) (٩٥٣هـ): الشذرة في الأحاديث المُشتهرة، تحقيق كمال بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، في مُجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(١٢) الجراحي (المُفسِّر المُحدِّث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني) (١١٦٢هـ): كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عما اشتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش، الطبعة الخامسة، في جزأين، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الحادي عشر: الشاذ والمُعلل

(١) النيسابوري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي) (ق٣هـ): المُزَكيات وهي الفوائد المُنتخبة العوالي، انتقاء وتخريج علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ)، قابَل أصوله وخرَّج أحاديثه أحمد بن فارس السلوم، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) اليماني (العلامة المُحدِّث القاضي حسين بن محسن الأنصاري) (١٣٢٧هـ): البيان المُكمل في تحقيق الشاذ والمُعلل، اعتنى به سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، الطبعة الأولى، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الثاني عشر: الحديث الموضوع

(١) الطبراني (الحافظ سليمان بن أحمد) (٣٦٠هـ): الأحاديث الطوال، حقَّقه وخرَّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) ابن الجوزي (الواعظ البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) (٥٩٧هـ): العلل المُتناهية في الأحاديث الواهية، قدَّم له وضبطه الشيخ خليل الميس، الطبعة الثانية، في مجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٣) ابن الجوزي (الواعظ البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) (٥٩٧هـ): كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، حقَّق نصوصه وعلَّق عليه نور الدين بن شكري بن علي بوياجلار، الطبعة الأولى، في أربعة أجزاء، دار أضواء السلف، السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤) برهان الدين الحلبي (الإمام الفقيه إبراهيم بن محمد الطرابلسي الشافعي) (٨٤١هـ): الكشف الحثيث عمَّن رُميَ بوضع الحديث، حقَّقه وعلَّق عليه السيد صبحي البدري السامرائي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٥) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٦) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): تحذير الخواص من أكاذيب القُصَّاص، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) الكناني (أبو الحسن علي بن محمد بن عراق) (٩٦٣هـ): تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، حقَّقه وراجع أصوله وعلَّق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، الطبعة الثانية، في جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٨) المُلَّا علي القاري (العلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان) (١٠١٤هـ): الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكُبرى)، تحقيق خادم السنة أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٩) القاري الهروي (الإمام الفقيه نور الدين بن سلطان المكي الحنفي) (١٠١٤هـ): المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، حقَّقه وراجع نصوصه عبد الفتاح أبو غدة (١٤١٧هـ)، اعتنى بإخراجه سلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة السادسة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(١٠) العامري (أحمد بن عبد الكريم الغزي) (١١٤٣هـ): الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١) الشوكاني (الإمام محمد بن علي) (١٢٥٠هـ): الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، أشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(١٢) الأمير الكبير (محمد بن محمد بن أحمد السنباوي المالكي) (ق١٣هـ): النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البَريَّة، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

الثالث عشر: المنظومات الشعرية

(١) الحافظ العراقي (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين) (٨٠٦هـ): ألفية الحديث، حقَّقه وصحَّحه أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): ألفية السيوطي في عِلم الحديث، الطبعة الثالثة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الرابع عشر: الشروح والتلخيصات والحواشي والتعليقات

(أ) الشروح

(١) ابن زريق (الإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي الصالحي الحنبلي) (٨٠٣هـ): رسالة حول ما تكلَّم فيه الدارقطني في كتاب السُّنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين، دراسة وتحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) الحافظ العراقي (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين) (٨٠٦هـ): فتح المُغيث بشرح ألفية الحديث، حقَّقه وعلَّق عليه محمود ربيع، الطبعة الثانية، عالَم الكتب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٣) الحافظ العراقي (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين) (٨٠٦هـ): التقييد والإيضاح لِما أُطلِق وأُغلِق من كتاب ابن الصلاح، دراسة وتحقيق أسامة بن عبد الله خياط، الطبعة الثانية، في جزأين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٤) مُلَّا حنفي (الإمام محمد شمس الدين التبريزي) (٩٠٠هـ): شرح فن أصول مُصطلح الحديث، تحقيق ودراسة أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥) السخاوي (الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد) (٩٠٢هـ): فتح المُغيث شرح ألفية الحديث، شرَح ألفاظه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه الشيخ صلاح محمد محمد عويضة، الطبعة الأولى، في ثلاثة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٦) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): شرح ألفية العراقي في علوم الحديث، دراسة وتحقيق أبي حفص شادي بن محمد سالم النعمان، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٧) الحنفي (الإمام الهُمام الملَّا علي القاري) (١٠١٤هـ): شرح مُسند أبي حنيفة، قدَّم له وضبطه الشيخ خليل مُحيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

(٨) الفاسي (محمد بن عبد القادر بن علي يوسف) (١١١٦هـ) شرح منظومة ألقاب الحديث، تحقيق محمد مظفر الشيرازي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٩) الأمير الصنعاني (أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح) (١١٨٢هـ): توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، وهو شرح تنقيح الأنظار للوزير الحسني اليمني (٨٤٠هـ)، علَّق عليه ووضع حواشيه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة الأولى، في جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١٠) الجبرين (العلَّامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن): الثمرات الجنية شرح المنظومة البيقونية، اعتنى به سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، الطبعة الأولى، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١١) لاشين (موسى شاهين): تيسير صحيح البخاري في ثلاثة مجلدات، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(١٢) العوني (الشريف حاتم بن عارف): شرح موقظة الذهبي، اعتنى به عدنان بن زايد الفهمي وبدر بن زايد الفهمي، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٨هـ.

(١٣) شاكر (أحمد محمد): الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (٧٤٤هـ)، الطبعة الثالثة، صبيح، مصر، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

(١٤) الحلبي الأثري (علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد): النكت على نزهة النظر في توضيح نُخبة الفكر لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الطبعة العاشرة، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٧هـ.

(ب) التلخيصات

(١) القرطبي (الإمام الفقيه أبو العباس أحمد بن عمر) (٦٥٦هـ): تلخيص صحيح الإمام مسلم، تحقيق رفعت فوزي، أحمد محمود الخولي، الطبعة الثانية، في جزأين، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(ج) التعليقات

(١) آبادي (أبو الطيب محمد): التعليق المُغني على الدارقطني، الطبعة الرابعة، في أربعة أجزاء، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الخامس عشر: الدراسات القديمة والحديثة

(١) الطبري (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير) (٣١٠هـ): تمام المنَّة في تقريب صريح السنة، حقَّقها وضبطها واعتنى بها أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، الأردن، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

(٢) المقدسي (الحافظ مُحب الدين إسماعيل بن عمر) (٦١٣هـ): الثلاثيات التي في مُسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق وتعليق محمد بن ناصر العجمي، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٣) المَقدِسي (الحافظ ضياء الدين) (٦٤٣هـ): الزيادات على الثلاثيات، تحقيق وتعليق محمد بن ناصر العجمي، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٤) السخاوي (الحافظ محمد بن عبد الرحمن) (٩٠٢هـ): عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع، اعتنى به علي بن محمد العمران، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

(٥) السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن) (٩١١هـ): إسعاف المُبطأ برجال المُوطأ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٦) الشافعي (الفقيه العلَّامة عبد الغني بن أحمد البحراني) (ق١٢هـ): قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٧) ابن عاشور (سماحة الإمام محمد الطاهر) (١٣٩٤هـ): كشف المُغطَّى من المعاني والألفاظ الواقعة في المُوطأ، ضبط نصه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه طه بن علي بوسريح التونسي، الطبعة الثانية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٨) أبو غدة (عبد الفتاح) (١٤١٧هـ): أمراء المؤمنين في الحديث، الطبعة الثانية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ.

(٩) أبو غدة (عبد الفتاح) (١٤١٧هـ): كلمات في كشف أباطيل وافتراءات، الطبعة الثانية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ.

(١٠) الكتاني (يوسف): رباعيات الإمام البخاري، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرباط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(١١) ياسوف (أحمد زكريا): الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، تقديم نور الدين عتر، تقريظ محمد سعيد البوطي وعصام قصبجي، الطبعة الأولى، دار المكتبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٢) نصر (الصديق بشير): ضوابط الرواية عند المُحدِّثين، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٤٠١هـ/١٩٩٢م.

(١٣) الخشت (محمد عثمان): مفاتيح علوم الحديث، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ت).

(١٤) عبده (طارق محمود): أبواب مهجورة من السنة «كتاب في آفات القلوب وفريضة التفكير»، تقديم الشيخ محمد الغزالي ود. عبد الصبور شاهين، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.


هنداوي